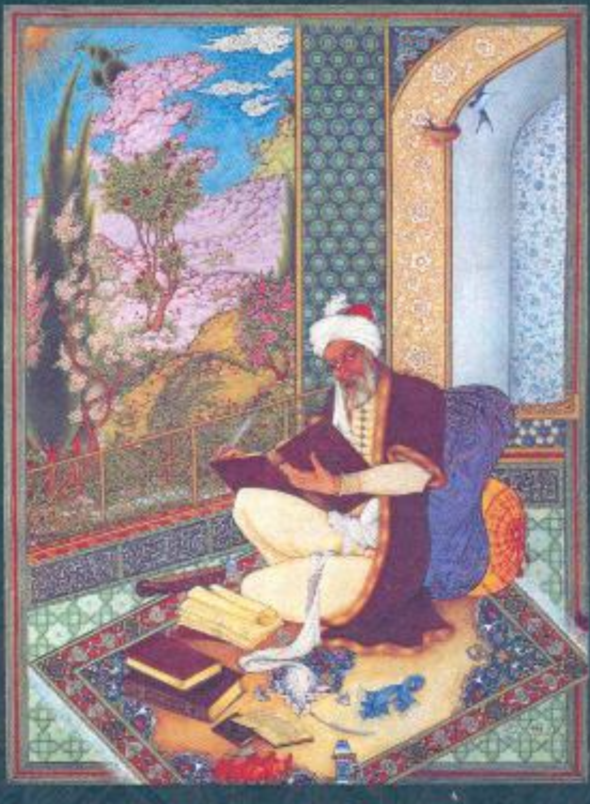
الفتوحات المكيّة

للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي

تحقيق : عبد العزيز سلطان المنصوب



الجزء الثاني عشر

الفتوحات المكية

الجزء الثاني عشر- الأسفار ٣٤-٣٧

نسخة المنصوب

نسخة إلكترونية أصلية مجانية

منقحة من الطبعة الورقية الثانية

المحققة من النسخة الأصلية بخط المؤلّف

متاحة من المحقق للاستخدام الشخصي غير التجاري

دون أيّ تعديل مع الإشارة إلى المصدر عند الاستشهاد

ПФጸነꝸ1ሕ XԿሰነ

Xየነሕገꝸ Xየ1ጸሕ XየነΦϽXለየ1ሕ XԿሰነ

Xየነሕ81ሕ XየϘϽΦ1ሕ X∘ПШ1ሕ ነꝸ XΨϘነꝸ

◊1ሕꝸ1ሕ ШԿП Xየ1ጸሕ1ሕ XԿሰነ1ሕ ነꝸ XϘϘΨꝸ1ሕ

የϽሕገX1ሕ ϽየႶ የጸԿ⋝1ሕ ꝸሕᐊԿXሰሕ11 ϘϘΨꝸ1ሕ ነꝸ XΨሕXꝸ

ᐊሕሃ⋝Xሰሕ1ሕ ᐊነ∘ Ͻᐊጸꝸ1ሕ ሕ1ሕ XϽሕ⋝ሕ1ሕ ∘ꝸ 1የᐊ∘X የሕ ነΦᐊ

سلسلة الصفا

الفتوحات المكية

للشيخ الأكبر

محمد بن علي بن محمد ابن العربي الطائي الحاتمي

محيي الدين بن العربي

تحقيق

عبد العزيز سلطان المنصوب

الطبعة	نوع الطبعة	السنة	الناشر	البلد
الأولى	ورقية	٢٠١٠م	وزارة الثقافة	الجمهورية اليمنية
الثانية	ورقية	٢٠١٣م	المجلس الأعلى للثقافة	جمهورية مصر العربية
الأولى	إلكترونية	٢٠٢٥م	مركز الصفا للدراسات	الجمهورية اليمنية

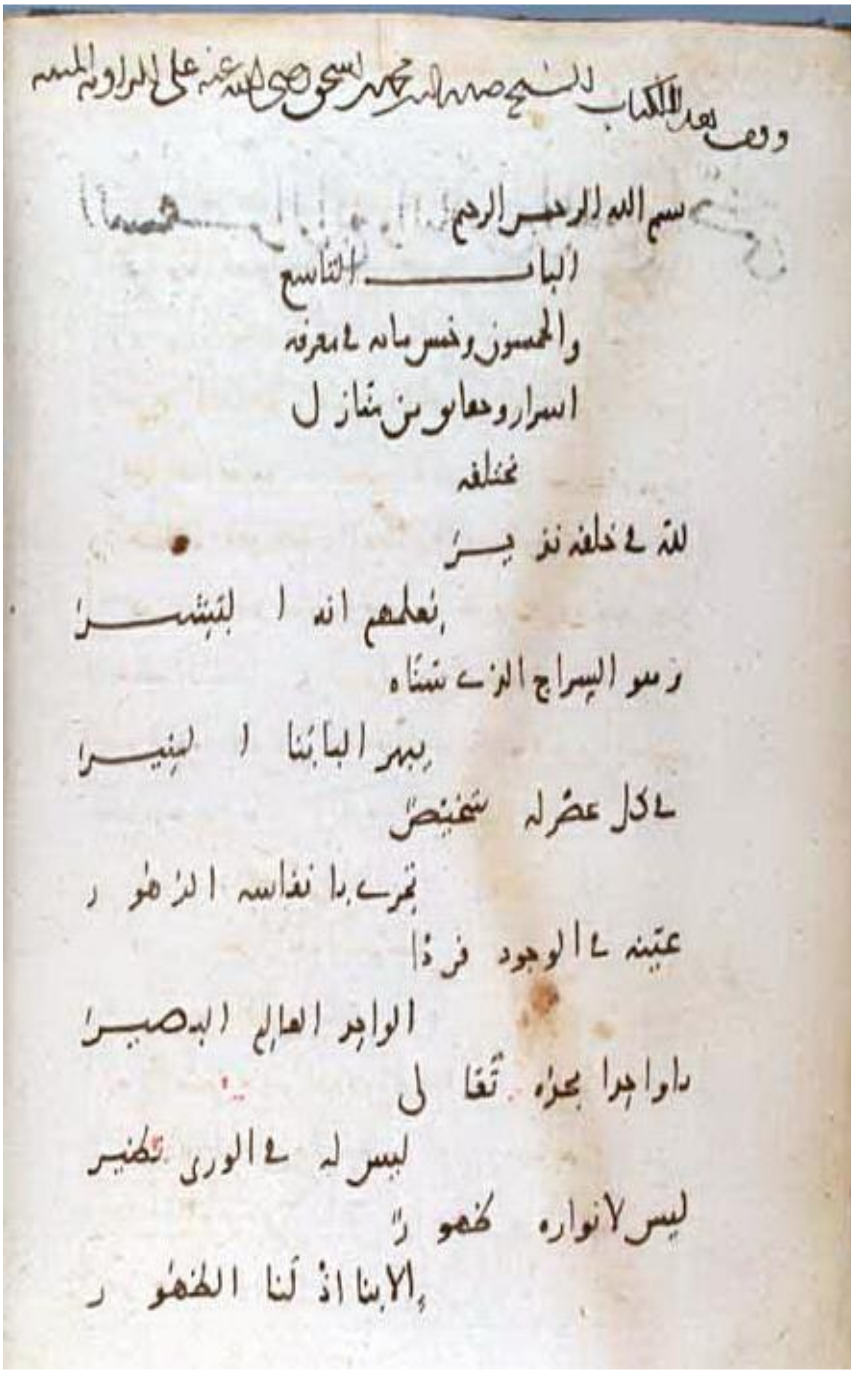
السفر الرابع والثلاثون من الفتوح المكّيّ[1]

(١) العنوان ص ١ب، يلي العنوان بخط محمد بن إسحق القونوي: "إنشاء سيدنا وشيخنا الإمام العالم الراسخ المحقق الفرد الكامل، محيي الملة والدين، أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي ﷺ وأرضاه به منه".
يلي ذلك بخط الشيخ الأكبر: "رواية مالك هذه المجلدة محمد بن إسحق القونوي عنه". يليه ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٣٨، يليه طابع دمغة برقم ١٨٧٨، ثم بيان عدد الصفحات: ٢٦٧ صحيفة.
يلي ذلك في رأس الصفحة الثانية على جانبيها: "وقف هذا الكتاب الشيخ صدر الدين محمد بن إسحق ﷺ على الزاوية المبنية عند قبره وشرط أن لا يخرج منها أصلا".

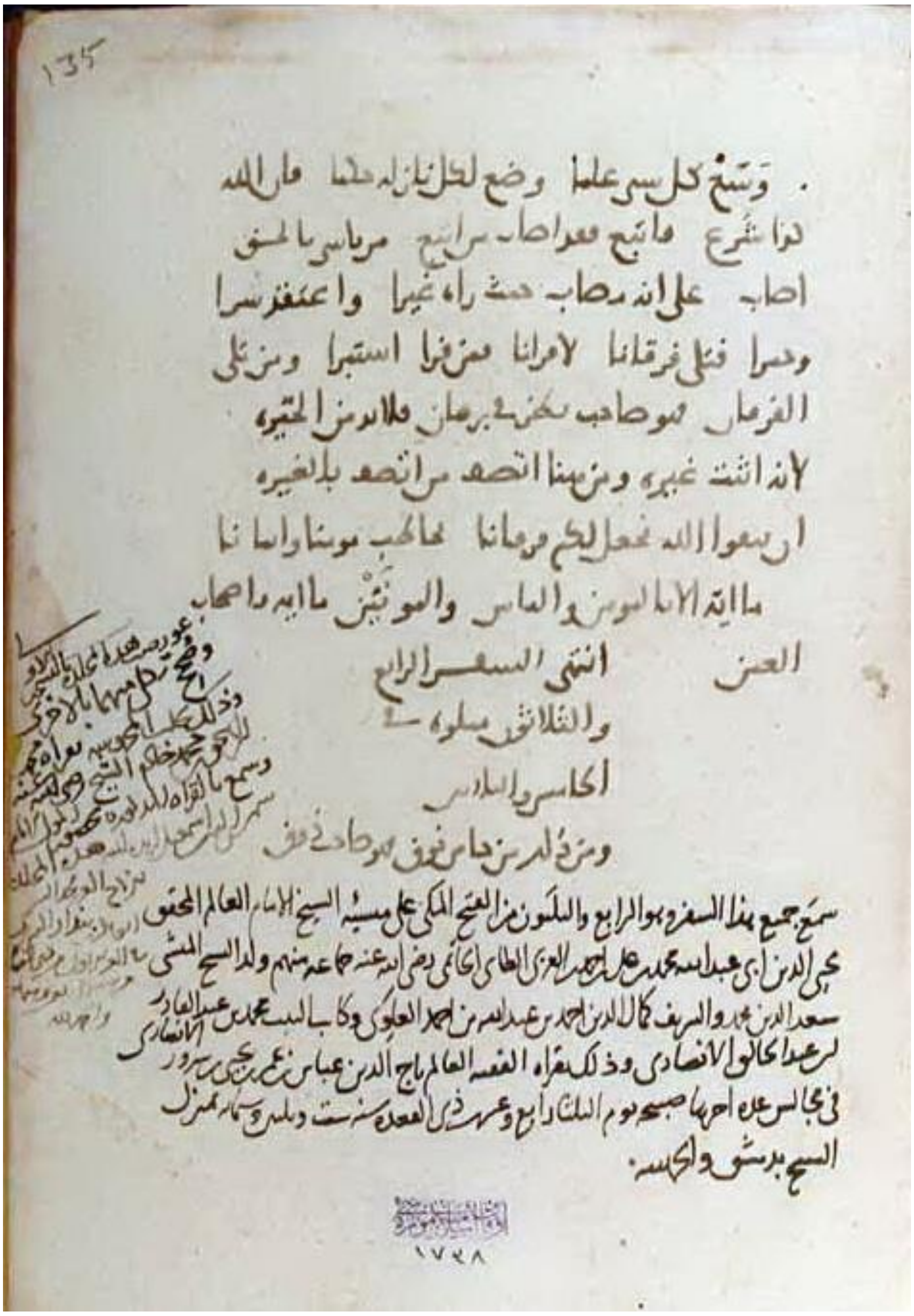
رموز مستخدمة في التحقيق

﴿ ﴾	آيات قرآنيّة
« »	حديث شريف
( )	إضافات أدخلت على الأصل
ق	نسخة قونية
س	نسخة السليمانيّة
هـ	نسخة القاهرة

- إذا جاء التعبير في الحاشية من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.
- عندما تقتصر الحاشية على تعبير مثل: (ص ١) أو (ص ١ب) مثلا، فذلك يعني أنّ الكلمة التي تدلّ عليها هذه الحاشية هي الكلمة الأولى في ص ١ في مخطوط قونية (جهة اليمين) أو (جهة اليسار) على التوالي.



الصفحة الثانية من مخطوط قونية



الصفحة الأخيرة من مخطوط قونية

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الباب التاسع والخمسون وخمسمائة
في معرفة أسرار وحقائق من منازل مختلفة

لِلّهِ فِي خَـلْـقِـهِ نَـذِيـرُ   يُعْلِمُهُمْ أَنّـهُ البَشِـــيرُ
وَهُوَ السِّراجُ الذي سَناهُ   يَـبْـهَـرُ أَلْـبـابَـنـا المُـنِـيرُ
فِي كُلِّ عَصْرٍ لَهُ شَخَيْصٌ   تَجْرِي بِأَنْفاسِـــهِ الدُّهُورُ
عَيَّنَـهُ فِي الوُجُودِ فَرْدًا   الواحِدُ العَالِمُ البَصِـــيرُ
يا واحِـدًا مَجْـدُهُ تَعَـالَى   لَيْسَ لَهُ فِي الوَرَى نَظِيرُ
لَـيْـسَ لأنْـوارِهِ ظُـهُـوْرٌ   إلَّا بِنـا إذْ لَنـا الظُّهُورُ
فَنَحْنُ[2] مَجْلَى لِكُلِّ شَيْءٍ   تَظْهَرُ فِي عَيْنِـهِ الأُمُورُ

اعلم -أيّدنا الله وإيّاك بروح القدس- أنّ هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب. هو الباب الجامع لفنون الأنوار الساطعة، والبروق اللامعة، والأحوال الحاكمة، والمقامات الراسخة، والمعارف اللدنّيّة، والعلوم الإلهيّة، والمنازل المشهودة، والمعاملات الأقدسيّة، والأذكار المنتِجة، والمخاطبات المبهِجة، والنفثات الروحيّة، والقابِلات الرّوْعيّة، وكلّ ما يعطيه الكشف، ويشهد له الحقّ الصِّرْف. ضمّنتُ هذا الباب جميع ما يتعلّق بأبواب هذا الكتاب، مما لا بدّ من التنبيه عليه، مرتَّبًا من الباب إلى آخِره.

---

(١) البسملة ص ٢
(٢) ص ٢ب

فمِن ذلك: سِرُّ الإمام المبين وما يتعلّق بالباب الأوّل

إنّ[1] الإمامَ هُوَ المُبَيِّنُ شَرْعَ مَن شَرَعَ الأُمُورَ مُبَيِّنًا لِعَبِيْدِهِ
مِنْها الَّذِي فِي حَقِّهِمْ تدْرُوْنَهُ وكَذاكَ ما يُخْتَصُّ فِي تَوْحِيْدِهِ

الإمامُ المبين هو الصادق الذي لا يَمين. مجلى ما أحاط به العلم، وتشكَّل فيه الكيف والكمّ، وحلّت به الأعراض، وفعل بالإرادات والأغراض، وانفعلت له الأوعية المِراض. النورُ الباهر، وجوهر الجواهر. يقبل الإضافات الكونيّة، والاستنادات[2] العينيّة، والأوضاع الحُكميّة، والمكانات الحِكميّة. رفيعُ المكانة، كثير الاستكانة. عَلَمٌ في رأسه نار، عبرة لأُولِي الأبصار. يُمْلِي جميع ما سُطِر، وما هو بمسيطِر. ما له وجود إلّا بما يُجْمِلُهُ، ولا يُفَصِّل إلّا بما يقبله. هو المحصي لما عُلِم وجُهِل، وفُصِّل وأُجْمِل. لكلّ صورة فيه عينٌ، وله في كلّ صورة[3] كون. يُمِدّ ويستمِدّ، ويُعَدُّ له ويُعِدّ. منه ظَهَرْنا، وإيّاه نَهَيْنا وأَمَرْنا.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الظرف.. المودَع في الحرف

-مما يتعلّق بالباب الثاني-

الظرف وِعاء، والحرف وِطاء. تختلف صُورتُه، وتحكم سُورتُه. هو مغني المعاني، المظهِر لاختلاف الأشكال والمباني. يحوي اللهَ وُجُودُهُ، ويغني عن شهود الحقِّ شهودُه. منازِلُه معدودَة، وآثاره مشهودَة، وكلماته محدودَة، وآياته بالنظر مقصودَة. أُعْطِي مقاليد البيان، فأفصح وأبان.

فمِنْـهُ نَثْرٌ ومِنْـهُ نَظْمٌ ومِنْـهُ أَمْرٌ ومِنْـهُ حُكْمُ

---

(١) ق: هذان البيتان ثابتان في الهامش الأيسر بخط مختلف، مع إشارة "صح" كما أنهما لم يردا في س.
(٢) ص ٣
(٣) ثابت في الهامش بقلم الأصل: "سورة" من غير إشارة الاستبدال، ومن غير توضيح موقعها؛ هل أمام كلمة صورة هذه أم السابقة لها. وربما يقصد بها الشيخ صواب استخدام كلا التعبيرين

وفِيْهِ[١] حَقٌّ وفِيْهُ خَلْقٌ   فَفِيْهِ عَدْلٌ، وفِيْهِ ظُلْمُ

له التلفّظ والرقم، وله التوهّم لا الوهم. لا وجود له إلّا به، فانتبه. أبان للآذان ما ستَرَهُ الجَنان. نطق عن الغيب بما لا شكّ فيه ولا ريب. يشهده الإيمان والعيان، صحفا ﴿مُّكَرَّمَةٍ. مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ. بِأَيْدِي سَفَرَةٍ. كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[٢]، هو ابن الإمام، لا؛ بل أبوه الذي له الكمال والتمام. إذا أَسْهبَ ذهب، وإذا أوجزَ أعجز. فصيح المقال، كثير القيل والقال. تختلف أشكاله ومعارجه، وتخفى على المتَّبِع آثارُه ومدارِجُه. كاين باين، راحلٌ قاطن. استوطن الخيال، وافترشَ[٣] الكتاب، واستوطأ اللسان.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ التنزيه.. النزيه

-وهو ما يتعلّق بالباب الثالث-

تَنزَّهْنا[٤] عن التنزيه لَمّا   رأيناهُ يَدُلُّ على الشَّبِيْهِ

وقُلنا: ذاكَ حَظُّ الحَقِّ مِنّا   بِعِلْمِ الواحِدِ الفَرْدِ النَّبِيْهِ

التنزيهُ تحديد المنزّهِ، والتشبيه تَثْنِيَةُ المشبِّه؛ فيا وليّ تنبَّه. وتفكّر فيمن نَزَّهَ وشَبَّه؛ هل حاد عن سواء السبيل؟ أو هل هو من علمه في ظلٍّ ظليل، في خير مستقرٍّ وأحسن مقيل؟ المنزّهِ يُخَلِّي، والمشبّه يُجَلِّي ويُحَلِّي، والذي بينهما لا يُخَلِّي ولا[٥] يُحَلِّي، بل يقول: هو عين ما بطن وظهر، وأَبدَر واستَسَر. فهو القمر والشمس، والعالَم له كالجسد للنفس؛ فما ثَمّ إلّا جَمْع، ما في الكون صَدْع. إن لم يكن الأمر كذلك، فما ثَمّ شيء هُنالِك. والأمر موجود؛ لا بل وجود. والحكم مشهود؛ لا بل شهود. وبالنِّسب صحّ النَّسب، ولولا المسبِّب ما ظهر حكم السبب. فإن قلت: ﴿لَيْسَ

---

(١) ص ٣ب
(٢) [عبس: ١٣ - ١٦]
(٣) رسمها في ق: وافترس
(٤) هذان البيتان ثابتان في الهامش الأيسر بقلم الأصل
(٥) ص ٤

كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[1] زال الظلُّ والفَيء. والظلُّ ممدود بالنصّ، فعليك بالبحث والفحص.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ البدء اللطيف.. وما جاء فيه من التعريف

-من الباب الرابع-

مَه؛ إنّ العالَم علامة. بدؤه ممن؟ فهو علامة على مَنْ؟ ما استتر عينٌ حتى يظهره كون. رأينا رسوما ظاهرة، ورُبوعا داثِرة، قد كانت قبل ذلك عامِرة، وناهيةً وآمرة. فسألناها: ما وراءك يا عصام؟ فقالت: ما يكون به الاعتصام. فقلتُ: ما ثَمّ إلّا اللهُ وحَبْلُه، وما لا يَسع أحدا جَهْلُه. فقال: لولا الكثائف ما عُلمت اللطائف، ولولا آثارُها ما ظهر منارُها؛ فَمَن خَبَتْ نارُه انْهَدَّ منارُه. له حضرة القُدس[2]، وما يَتِمُّ به إلّا الحسّ. لولا الحسُّ[3] بشهود الأثر؛ ما عُرِف لِلّطيفِ خَبر. النفس عمياء للقرب المفرِط وما تشهده الحواسّ، وهي الصمّاء عن إدراك الوَسْواس[4]. وهي الخرساء فلا تُفْصِحْ، والعجماء فلا تَعْقِل فتوضِحْ.

سَرَى اللطيفُ مِن اللطيفِ فَنَاسَبَهْ ... وبَـدا لَهُ مِنْـهُ الخِلافُ فَعـاتَبَـهْ
وتَوَجَّهَـتْ مِنْـهُ عَلَيْـهِ حُقُوقُـهُ ... فَـدَعـاهُ للقـاضي العَلِيمِ فَطـالَبَـهْ
نادى عَلَيْـهِ مُجَرِّسًـــا هَـذا جَزاء ... مَن عامَلَ الجِنْسَ البَعِيْدَ وصاحَبَهْ
لِيَثُوبَ مَن سَمِعَ النِّـداءَ فَيَرْعَوِيْ ... عَنْـهُ ويَعْلَمَ أَنّـهُ إن جـانَبَـهْ
تَظْفَرْ يَـداهُ بِكُلِّ خَيْرٍ شـــامِـلٍ ... فاسْـتَعْمَلَ الأَرْســالَ فِيْهِ وكاتَبَهْ

هو اللطيف في أسمائه الحسنى، وبها ظهر الملأ الأعلى والأدنى. لَمّا تجاورتْ تحاورتْ، ولمّا تكاثرتْ تسامرتْ. فرأت أنفسَها على حقائق، ما لها طرائق. سماؤها ما لها من فُروج، ومع[5] هذا

---

(١) [الشورى: ١١]
(٢) ص ٤ب
(٣) "لولا الحس" ثابتة في الهامش بخط آخر، مع علامة التصويب
(٤) ثابت في الهامش تعريف الوسواس هنا بقلم الأصل كما يلي: "الوسواس: صوت الحلْي"
(٥) ص ٥

فلها نزول وعروج، فطلبتْ أرضا تنبت فيها كلّ زوج بهيج. فقالت: المفتاح في النكاح، ولا بدّ من ثلاثة: وليٍّ وشاهدَيْ عدل، لهذا القضاء الفصل. فقال العليم: لا بدّ من ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾(١) فهذا -أيّها الوليّ- الشاهدان والوليّ. فهذا كان أوّلُ تركيب الأدلّة، وبعد هذا عرَضت الشُّبَه المضِلّة.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ "كن" والبسملة.. فيمن علّله

-من الباب الخامس-

قال الحلّاج، وإن لم يكن من أهل الاحتجاج: "بسم الله" منك بمنزلة "كن" منه، فخذ التكوين عنه. فمَن تَقَوّى جأشُه، واستدار عرشُه، وتمهَّد فرشُه، كرسول الله ﷺ قال: "كن" ولم يُبَسمل، فكان ولم يُحَوْقِل. فمن ذاق ضاق. وإذا التفّت الساق بالساق؛ فإلى ربّك المساق. فإليه ترجع الأمور؛ إذ كان منه الصدور.

لا تُبَسْمِلْ وقُلْ بـ"كُنْ" مِثْـلَ مـا قـاله يَكُنْ
فـإلَـيْـهِ رُجُـوعُـنـا لا إلَيْنـا فَكُنْ تَكُنْ

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ(٢) الروح، وتشبيهه بِيُوح

-من الباب السادس-

الرُّوْحُ(٣) مِن عالَمِ الأَمْرِ الذي تَدْرِيْ كَمِثْـلِ مـا نَصَّ لي في مُحْكَمِ الذِّكْرِ
وإنّ ربّي بِـذاكَ الـقَـدْرِ عَـرَّفَـنِيْ وكانَ تَعْرِيْفُـهُ حَقًّـا عَلَى قَـدْرِي

أشرقتْ أرضُ الأجسام بالنفوس، كما أشرقت الأرض بأنوار الشموس. وإنما لم نفرد العين؛ لأنّها ما أشرقت إلّا بما حصل فيها من نور الكون. وإن كان الأصل ذلك الواحد؛ فليس ما صدر

---

(١) [الفاتحة: ١]
(٢) ص ٥ب
(٣) البيتان ثابتان في الهامش بقلم الأصل

عنه بأمر زائد. فعدَّدَتْهُ الأماكن؛ لمّا أنزل نفسه فيها منزلةَ الساكن. فللحقيقة رقائق، يُعَبَّر عنها بالخلائق.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الكيف والكمّ.. وما لهما من الحكم

-من الباب السابع-

الكَيْفُ[1] والكمُّ مجهولان قَدْ عُلِمَا ... وقد فَهِمْتُ لماذا جاءني بِهِمَا
فَهْمًا يُبَلِّغُنا عِلْمًا بأَنَّ لَهُ ... فِيْنا التَّحَكُّمُ فانْظُرْهُ بِهِ لَهُمَا

هو البيت المعمور بالقُوى، والذي كان عليه الاستواء. محَلُّ الظهور، المشرقُ بالنور. كلمة الحقّ، ومقعد الصدق. معدن الأرفاق، ومظهر الأوفاق. محلُّ البركات، ومَعين السكنات والحركات. به عرفت المقادِر والأوزان، وبه سُمّي الثقلان. له من الأسماء: المَتِين، وهو الذي أبان النور المبين. حكم في النور بالقسمة، وظهرت بوجوده الظِّلالات والظُّلمة. منه تنفجر ينابيع الحِكَم، وتبرز جوامع الكِلَم. يحوي على رموز النصائح[2]، وكنوز المَصالح. الشهادة سخافته، والغيب كثافته. يستتر للغَيرَة، حتى لا يَرى راءٍ غيرَه. يتقلّب في جميع الأحوال، ويَقبل بذاته التصريف في جميع الأعمال.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ ظهور الأجساد.. بالطريق المعتاد

-من الباب الثامن-

تَجَسُّدُ[3] الرُّوْحِ للأَبْصارِ تَخْيِيْلُ ... فَلا تَقِفْ[4] فِيْهِ إنّ الأَمْرَ تَضْلِيْلُ
قام الدليلُ بِهِ عِنْدِي مُشاهَدَةً ... لَمّا تَنَزَّلَ رُوْحُ الوَحْيِ جِبريلُ

---

(١) البيتان ثابتان في الهامش بقلم الأصل
(٢) ص ٦
(٣) البيتان ثابتان في الهامش بقلم الأصل
(٤) الحروف المعجمة مهملة

البرزخُ (هو) ما قابل الطرفين بذاتِه، وأَبدى لذي عينين من عجائب آياتِه؛ ما يدلّ على قوّتِه، ويُستدلّ به على كرمه وفُتُوَّتِه. فهو القُلَّبُ الحُوَّل، والذي في كلِّ صورة يَتحوَّل. عوَّلَتْ عليهِ الأكابر، حين جهِلَتْه الأصاغر. فله المضاء في الحكم، وله القدم الراسخة في الكَيْفِ والكَمّ. سريعُ الاستحالة، يَعرِفُ العارفون حالَه. بيده مقاليد الأمور، وإليه مسانيد الغرور. له النَّسب الإلهيّ الشريف، والمنصِب الكياني المنيف. تلطَّف في كَثافتِه، وتَكثَّف في لَطافتِه. يجرحه العقل ببرهانِه، ويعدِّلُه الشرعُ بقوّة سلطانِه. يحكم في كلّ موجود، ويدلُّ على صحّة حكمه بما يعطيه الشهود. ويعترفُ به الجاهلُ بقدرِهِ[١] والعالِم، ولا يقدر على ردِّ حُكْمِهِ حاكِم.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ المارِج.. في الوالِج

-من الباب التاسع-

النارُ[٢] كالنُّورِ في الإِحْراقِ قَدْ شَـهِدا لِذلِكَ الأَمْرِ ما مَولاي قَدْ عُبِدا

فـالـكُلُّ دانَ بِـهِ والـكُلُّ دانَ لَهُ لَهُ التَّحَكُّمُ فِيْنـا كُلَّمـا وَرَدا

أوّلُ جوادٍ كبا، حين أُمِرَ فأَبى. وأوّل مَن قَدَح في النُّهَى مَن نُهِيَ وما انْتَهى. سَنَّ الخلافَ في الائتلاف. فأظهر النقيض؛ لِيعرف الحبيب من البغيض. امتثل الأمر فيما يشقيه، وحَلَّ به ما كان يتّقيه. يُحالِف الرَّدى، ويخالف الهدى، ولا يترك سُدَى. ومع اتّصافه بالخوف؛ لا يبرح في معاملته بالحيف. فإذا جنح منهم مَن جنح إلى ربّه طائعا، وكان لِباب سعادته قارعا؛ لم يُحْسِن أَحَدٌ يقرع قَرْعَه، وكان الحَقُّ بصرَه وسمعَه؛ إن سَمِعَ أَنْصَتْ، وإن أَسْمَعَ أَبْهَتْ.

---

(١) ص ٦ب

(٢) البيتان ثابتان في الهامش بقلم الأصل

ومِن ذلك: سِرُّ النور.. في الخفاء والظهور

-من الباب العاشر-

الشمسُ[1] مُشْرِقةٌ الشمسُ مُحْرِقةٌ ... بِنُوْرِها فَهْي نُوْرٌ حُكْمُهُ نارُ
ولَيْسَ يَعْبُـدُهـا إلّا أَخُـو عَمَـهٍ ... نَدْبٌ جَليدٌ لَهُ في القَلْبِ آثارُ

أشرقت الأنوار حين شَرَقَتْ[2]، وتميّزت بها الأعيان فافترقَتْ. فأغنت[3] الإشارات عن العبارات. فمِنها مَن هُيّم فتهيّم، ومنها مَن حُكّمَ فَتَحَكّم. فلكلّ عينٍ مقامٌ معلوم، وحدٌّ مرسوم. فمنه مرموز، ومنه مفهوم. يَخلقون نفوسَهم كما يشاءون، وفي أيّ صورة شاءوها يتحوّلون. هم الحدّادون والحُجّاب، ولهم الظهور والحِجاب، ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[4]. يُكثِرون التكبير، ويَحُفُّون بالسرير. لهم المقامُ الأَشمخ، ومنزلهم بين الله والعلماء منّا في البرزخ. فأصحاب النِّسب منهم عند أرباب الفِكَر هم الخلفاء من البشر، يعلم ذلك مَن تحقّق بالنظر، واعتمد على ما جاء به الكشف والخبَر في مجاري العِبَر. والعقول من حيث أدلّتُها قاصرةٌ عن دَرْكِ هذا العلم؛ لطموس عين الفهم.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الافتتاح.. بالنكاح

-من الباب الأحد عشر-

أَنا في الوُجُودِ بابٌ ... وعَلَيْهِ مِنْهُ قُفْلُ
فـأَنَا بَعْـلٌ بِوَجْـهٍ ... وبِوَجْهٍ أَنا أَهْلُ

القول من القائل في السامع نِكاح؛ فعيْنُ المقول عين ما تكوّن من السامع؛ فظهر ظهور المصباح. التوجّه سبب القول والتكوين على التعيين في المحلّ الظاهر؛ لِنُزول الباطن[5] إلى الظاهر.

---

(١) البيتان ثابتان في الهامش بقلم الأصل
(٢) شرقت الشمس: طلعت. أشرقت: أضاءت.
(٣) ص ٧
(٤) [ص: ٥]
(٥) ص ٧ب

وهذا نكاح بين المَعْنَى والحِسّ، و(بين) الأمر المركَّب والنفس؛ ليجمع بين الكثيف واللطيفْ، ويكون به التمييز والتعريفْ، وإن خالف تركيب المعاني تركيب الحروف؛ فهو كخلاف المعرفة والمعروف[١]. ثمّ ينزل الأمر النكاحيّ من مقام الافتتاح إلى مقام الأرواح، ومن المنازل الرفيعة إلى ما يظهر من نكاح الطبيعة. ومن بيوت الإملاك إلى نكاح الأفلاك لوجود الأملاك. ومن حركات الأزمان إلى نكاح الأركان. ومِن حركات الأركان إلى ظهور المولّدات التي آخرها جسمُ[٢] الإنسان. ثمّ تظهر في الأشخاص بين مباض ومناص[٣]؛ فالنكاح ثابت مستقِرّ، ودائم مستمِرّ.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الدَّوْر المستدير، والاستواء على السرير

-من الباب الاثني عشر-

اسْتَوَيْنا عَلَى السَّرِيـــرِ لأَمْرٍ   هُوَ دَوْرٌ والدَّوْرُ عَمَّ كِيـانَـهْ
فاسْتَدارَتْ بِنا الأُمُورُ وَحارَتْ   حِيْنَ حُزْنا جَنابَهُ[٤] وجِنانَهْ

الدهرُ حُوَّلٌ قُلَّبْ؛ ولهذا يتنوّع في الصور ويتقلّبْ. لولا استدارة الزمان ما ظهرت الأعيان، ولولا الملوان[٥] ما كان الحدثان[٦]. بتكرار الفصول يدوم حكم الأصول، وبه ظهور الإنعام هنا وفي دار السلام. إنما دارَ السرير؛ ليحيط بالكائنات عِلمُ التفصيل والتدبير. فيباشِر الأمور[٧] بذاته، ويهبَها ما يناسبها مِن هِباته. فإنّ الخزائن لديه، وفي يديه. فلولا الإحاطة والدَّوْر ما تمكَّن، ولا كان له ما سَكَن. فلا نفوذ للمُحاط به، فانتبِه. ومَن قال بالحَوْرِ في الدَّوْر، تعوَّذَ من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ[٨].

(١) "وإن خالف... والمعروف" ثابتة في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب
(٢) ثابت في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب وحرف خ
(٣) باض: أقام بالمكان ولزم، مناص: فرار.
(٤) ق: ربما كانت: جَنانه، فالحرف قبل الأخير مهمل
(٥) الملوان: الليل والنهار
(٦) الحدثان: الحوادث، الأحداث
(٧) ص ٨
(٨) الحور: النقص، والكور: الزيادة.

ولا يقول[١] بالحَوْرِ إلّا من لا عِلم له بالتسيير، ولا يَعرف قبِيلا من دبير[٢]. الأمر أَمام، والقول بالقهقرى خُلْفٌ من الكلام.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الفرش.. وحملة العرش

-من الباب الثالث عشر-

أَنَا[٣] في الفَرْشِ وُجُوْدٌ　　　ووُجُوْدُ الفَرْشِ عَرْشِيْ

فـإذا كُـنْـتُ إمـامًـا　　　كانَـتِ الأكْوانُ فَرْشِيْ

أرواحٌ وصوَر، متّكئون على سُرر. وأغذية ومراتب، لها طرقٌ ومذاهب. فالأرواح والصور، بين ملائكة وبشر. البشر لمباشرة اليدين، والملائكة للتردّد بين العين والعَيْن؛ مِن لا أين إلى أين، ومِن أين إلى لا أين، ومِن أين إلى أين، ومِن لا أين إلى لا أين. فبين "مِن" و"إلى" ظهر المَلآن الأسفل والأعلى. فالعرشُ حامِلٌ محمول، والأمرُ فاصِلٌ مفصول، والعالَم فاضِلٌ مفضول. والفرش مهاد موضوع، ومباح غير ممنوع. يحكم فيه الطبع، وإن قيّده الشرع. ولولا[٤] العين؛ ما ظهر للتقييد حُكم في الكون. فلو زالت الحدود؛ لزال التقييد، ولا سبيل إلى زوالها؛ فإنّ بقاءَها[٥] عينُ كمالها. بها صحّت المناضَلة، وبانت المفاضَلة. العرشُ فَرْشٌ لمن استوى عليه، والأمر منه بدأ ثمّ يعود إليه. من غير رجوعٍ على عقِبِه؛ بل هو على ذهابه في مذهبه. ما ثَمّ غاية فيرجع، ولا لإحاطته نهاية فيتصدّع. و«ليس وراء الله مرمى»، وهو الأوّل عند البصير والأعمى. فالكلُّ يقول بالابتداء، وافترقوا في إثبات الانتهاء. فمنهم ومنهم، وكلّ ذلك منقولٌ عنهم.

---

(١) فيها تصرف وتقترب من: يُنزل، والترجيح من هـ، س

(٢) قبيلا من دبير: من المجاز وهي تصغير القبل والدبر، أو الخلف والأمام.

(٣) البيتان ثابتان في هامش ق بقلم الأصل

(٤) ص ٨ب

(٥) رسمها في ق يقترب من: "بناءها"، والترجيح من هـ، س

ومِن ذلك: سِرُّ النبوّتين.. وما لهما من العَين

-من الباب الرابع عشر-

لَمّا انقطع إنباء التشريع؛ بقي الإنباءُ الرفيع؛ فإنّه يَعمّ الجميع. هو ميراث الأولياء من الأنبياء. فلهم اللمحات والأنفاس والنفحات. الاجتهادُ شرع حادث، وبه تسمَّى الحارِث بالحارِث. الاجتهاد شرعٌ مأذون فيه، لإمام يصطفيه. لا يزال البعث، ما بقي الورث. وهذا[1] المال الموروث لا ينقص بالإنفاق؛ بل سُوْقُه أبدا في نَفاق. فمثله كمَثَل المصباح، الذي لا يعقبه صباح. للشمس ظهور في السورتين، بالصورتين. فهي بالقمر نور، وبذاتها ضياء، وبحالتَيها يتعيّن الصباح والمساء؛ فتخُفي نفسَها بنفسِها. إذا أطلعت القمر نهارا؛ فهي الداعية سِرّا وجهارا. ولِبعث الكون بالليل الأليلي الداج؛ ثبت للشمس اسمُ السراج. فنبوّة الوارث قمريّة، ونبوّة النبيّ والرسول شمسيّة. فاجتمعنا في النبوّة، وفاز القمر بالفُتُوّة.

فالشـــمْسُ طالِعَةٌ بالليلِ في القَمَرِ	مع الغُروبِ ومـا لِلْعَيْنِ مِن خَبَرِ
عَجِبْتُ مِن صُوْرَةٍ تُعْطِيْكَ في صُوَرٍ	ما عِنْدَها مِثْلَ نُوْرِ العَيْنِ بالبَصَرِ
فَطاعَةُ الرُّسْلِ مِن طاعاتِ مُرْسِلِهِمْ	ومَـا لِعَيْنِ رَسُـــولِ اللهِ مِنْ أَثَرِ
إن قـال قـال بِـهِ لا بالهَوَى فَلِذا	يَعْصِي- الإلهَ الذي يَعْصِيْهِ فادَّكِرِ

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ[2] إطفاء النبراس بالأنفاس

-من الباب الخامس عشر-

لما كان القابل له مزاج الانفعال؛ كان للنفَس الإطفاءُ والإشعال. فإن أَطفأ أَمات، وإن أشعل أحيا؛ فهو الذي ﴿أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾[3]. فينسب الفعل إليه، والقابل لا يُعَوَّل عليه؛ وذلك لعدم

(١) ص ٩
(٢) ص ٩ب
(٣) [النجم: ٤٣]

الإنصاف في تحقيق الأوصاف. مع عِلمنا بأنّ الاشتراك معقول، في الأصول. للقابل الإعانةَ، ولا يُطلب منه الاستعانة. فهو المجهول المعلوم، وعليه صاحب الذوق يحوم، وحكمه في المحدَث والقديم. يظهر ذلك في إجابة السائل، وهذا معنى قولنا: "القابل". لولا نفَسُ الرحمن، ما ظهرت الأعيان، ولولا قبول الأعيان، ما اتّصفتْ بالكيان، ولا كان ما كان. الصبح إذا تنفَّس؛ أذهبَ الليلَ الذي كان عسعس.

فَلَوْلا اللَّيْلُ ما كان النَّهارُ   ولَوْلا النُّوْرُ ما وُجِدَ النِّفارُ

نفرت الظُّلَمُ لأكوانها؛ لا لأعيانها. فإنّ العينَ لا تذهب وإن اختلفت عليها الأحوال؛ فسجود الظلال بالغدوِّ والآصال[١]؛ سجودُ شكرٍ، واعتصام من استدراج إلهيّ ومكر.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الأوتاد والأبدال.. وتشبيهم بالجبال

-من الباب السادس عشر-

أرواحُ الأبدال أَعيانُ الأملاك؛ مِن نَيِّرات السبعة الأفلاك. وقَطْعُهم فلَك البروج؛ ما يتّصفون به في المقامات مِن العُروج. وحُلُولُهم بالمنازل؛ ما يستقبلونه من النوازل. ولذلك قسّم عليهم الوجود بالنحوس والسعود؛ فعَزْلٍ وولاية. وإملاقٍ وكفاية. والأوتادُ مسكِّنة؛ لكونها متمكّنة. فلها الرسوخ والشموخ. ومع هذه العزّة والمنع، وقوّة الردع والدفع؛ فلا بدّ من صيرورتها عِهْنًا منفوشا. وهباءً منبثًا مفروشا. فتلحق بالأرض لاندكاكها. وتؤثِّر فيها حركات أفلاكها. مِن أعجب علوم الرجال؛ ما لم يُسَمَّ فاعِلُهُ؛ مِثْلُ: رَجِّ الأرضِ، وبَسِّ الجبال. وهما دليلان على وقوع الواقعة؛ التي ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا[٢] كَاذِبَةٌ. خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾[٣].

أوّلُ علم حصل للعالِم بالله؛ علمُ السماع بالإيقاع من الله. فقال: "كن" لمعدومٍ لم يكن. فظَهَر

---

(١) ص ١٠

(٢) ص ١٠ب

(٣) [الواقعة: ٢ ، ٣]

عينُ الأوزان في الميزان؛ وليس سِوَى الإنسان. فظهَر بصورة الحقّ، ونزل ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾[1]. وكانت له الإمامة علامة، والخلافة ضيافة.

فَبِعلم الأسماء؛ حاز مُلْكَ الأرض والسماء. وبجوامع الكِلَم؛ أحاط علما بالحِكَم. فهو الحكيم المحيط؛ بما يستحقّه المركَّبُ والبَسِيط. فساح؛ في الانفساح، وصال؛ بالاتّصال. فأخذ الوجد في الإيجاد، وتحرّك عن موطن ثبوته لأَعْيُنِ الأشهاد. وما ثمّ أشهاد إلّا الأسماء التي تكوّنتْ أحكامها عنه، وظهرت آثارها به منه.

فبالسَّماع كان الوجود وبالوجود كان الشهود

* * *

فَلَوْلا الصَّيْدُ ما نَفَرَ الغَزالُ ولَوْلا الصَدُّ ما عَذُبَ الوِصالُ

ولَوْلا الشرعُ ما ظَهَرَتْ قُيُودٌ ولَوْلا الفطْرُ[2] ما ارتُقِبَ الهِلالُ

ولَوْلا[3] الجُوْعُ ما ذبلَتْ شِفاهٌ ولَوْلا الصومُ ما كان الوِصالُ

ولَوْلا الكَوْنُ ما انْفَطَرَتْ سماءٌ ولَوْلا العَيْنُ ما دُكَّتْ جِبالُ

ولَوْلا ما أَبانَ الرُّشْدُ غَيًّا لَمَا عُرِفَتْ هِدايةٌ أو ضَلالُ

وَلا كان النعيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَلا حَكَمَ الجَلالُ وَلا الجَمَالُ

أَرَى شَخْصًا لَهُ بَصَرٌ حَدِيدٌ لَهُ الأَمْرُ المُطاعُ لَهُ النِّزالُ

وآخَرَ ما لَهُ بَصَرٌ ويَرْمِيْ ولا قَوْسٌ لَدَيْهِ وَلا نِبالُ

فسبحانَ العليمِ بِكُلِّ أَمْرٍ لَهُ العِلمُ المحيطُ له الجَلالُ

إذا نَظَرَتْ إِلَيْهِ عُيُونُ قَوْمٍ بِلَا جَفْنٍ بَدا لَهُمُ الكَمَالُ

فَوقْتًا لَا يَرَوْنَ سِوَى نُفُوسٍ مُبَعَّدَةٍ وغايَتُها اتِّصالُ

---

(١) [القمر: ٥٥]
(٢) أثبت فوقها بقلم الأصل: "صح" ومقابلها في الهامش "الصوم" وعليه كلمة "صح" كذلك
(٣) ص ١١

ومِن[1] ذلك: سِرٌّ مَن مَنح لِيَرْبَحْ؛ فلنفسِه سَعى؛ فكان لما أُعْطِي وعاء

-من الباب السابع عشر-

إذا[2] ما كُنْتَ مَيْدانًا فَجُـلْ فيـه إذا كانا
فـإنّي لَسْـــتُ أَنْفِيْـهِ لِذَا سُمِّيْتُ إِنْســـانا

لمّا انتقل العلمُ إليه بقوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾[3]؛ سكت العارفُ لَمّا سمع ذلك وما تكلَّم. وتأوَّل عالِمُ النظر هذا القول[4] حذرا من جاهل يَتَوهَّم، ومَرِضَ قَلْبُ المشكِّك وتألَّمَ، وسُرَّ به العالِمُ بالله الهمهم، ولكنّه ما تكلّم بل تكتّم، وقال مثل ما قاله الظاهريّ: الله أعلم. فالإلهيُّ عَلِم، والمحدِّث سَلَّم؛ فاحمد الله الذي ﴿عَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾[5]؛ فثابر على شكره والزَم. فإذا رأيتَ مَن يُفرِّق بين الحمد والذمّ؛ قل له: لا تتقدَّم فتندم؛ فإنّ جدارك تهدَّم. وظهر المعمَّى فآمَن مَن كان بالأمس قد أسلَمَ؛ فإذا المعطي عينُ الآخِذِ؛ فعلى نفسه تَكرَّم. فهذه شعائرُ الله مَن عَظَّمها؛ عُظِّمَ فعُظِّم، ومن اهتضمها اهتضِم.

فأين أصحاب الهمم، وأهل الجود والكرم؛ يوضِّحون المُبْهَم، ويفتحون ما طُبع عليه وخُتِمْ؟ فتبرز مخَدَّرات الغيوب والظُّلَم، ذوات الثنايا الغُرِّ واللِّمم[6]؛ فيأخذْنَهم[7] ذات اليمين على الطريق الأَمَم؛ لينظر سائر الأُمم ما خُصَّتْ به أُمّةُ مَن أوتي جوامع الكِلَم، وفنون الحِكَم؛ محمد بن عبد الله ﷺ فبه بُدِئَ الأَمْرُ وخُتِم؛ "فكان نبيًّا وآدم بين الماء والطين"، ما خُمِرَتْ طينتُهُ وما عُلِم، وأُخِّرَتْ طينتُه ﷺ إلى أن جاءتْ دورة الميزان الذي عدَل حين حكم. فهو واضِع الشرائع ورافِعها؛ روحًا ونفسا، وعقلا وحِسّا، خَطَّ ذلكَ كلَّه في اللوح المحفوظ القَلَمُ.

---

(١) ص ١١ب
(٢) البيتان ثابتان في الهامش بقلم الأصل
(٣) [محمد: ٣١]
(٤) "هذا القول" ثابتة في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب
(٥) [النساء: ١١٣]
(٦) ص ١٢، واللِّمَم: شعر الرأس
(٧) يمكن قراءتها كذلك: "فيأخذ بهم" نظرا لإهمال الحرف الذي قبل الهاء

ومِن ذلك: سِرُّ التعبُّد.. في التهجُّد

-من الباب الثامن عشر-

إذا بان الصبح لذي عينين، وكنّا ممن أماتنا الله -تعالى- اثنتَين، وأحيانا اثنتَين؛ ظهر في غُيوبنا ما اعترفنا به من ذنوبنا. فكان تهجُّدنا محدودا، وقرآنُنا مشهودا، وطلع الآفِل في النوافل، وعَمَرتْ الفرائضُ المَرابِض. فقرَّبناها ضحايا، ومَطوناها مَطايا. فَرَبِحَتْ تجارة الأوراد، وظهر الرشاد والإرشاد؛ في خرق[1] الأدبِ المعتاد[2]. فقعدنا بالحقِّ في مقعد الصدق؛ بنعت القائم على كلّ نفس بما كَسَبتْ، والعالِمِ بما اكتسبتْ. فعندما طلع فجرُها؛ سعى بين يديها نُورُها، يتلوه أَجرُها. فحاز الأَجرَ كَثيفُها، واستنار بالنور لَطِيفُها.

بِنَعْتِـكَ لا بِنَعْتي كان وِرْدِي ... فَمَجْدُكَ في التَّهَجُّدِ عَيْنُ مَجْدِي
عَهِدْتُكَ إذ أَخذْتَ عليَّ عَهْدًا ... وَفَيْتُ بِهِ فأَوْفِيْ لِيْ بِعَهْدِي
وَعَدْتُ كما وَعدْتَ وقُلْتَ عنّي ... بأنّي صـــادِقٌ في كُلِّ وَعْدِي
وأنتَ الصـــادِقُ الحَقُّ الذي لَمْ ... يَزَلْ في جَـدِّهِ يَعْلُوْ بِجَـدِّي
بِجَدِّي قد عَلِمْتُ[3] عُلُوَّ جِدِّي ... لِمَنْ حمـد الإلهَ بِعَيْنِ حَمْـدِي
فَقُـلْ للحـامـدِين بِنـا أَفِيْقُوا ... فَحَـدُّ الحَقِّ في تَقْيِيْـدِ حَـدِّ
فَفِي الإِطلاقِ تَقْيِيْـدٌ نَزِيْـهٌ ... ومـا الإِطلاقُ في حَدِّي تَعَـدِّ

* * *

ومِن[4] ذلك: سِرُّ الجَزْرِ والإمداد.. في العلم المستفاد

-من الباب التاسع عشر-

من الأمور ما يأخذه الحدُّ، ومنها ما لا يُحَدُّ، والجزر والمدُّ أثران من الطبيعة يأخذهما الحدُّ.

---

(١) هـ: حرق، وحروفها المعجمة مهملة في ق
(٢) ص ١٢ب
(٣) أثبت فوقها بقلم الأصل من غير إشارة الاستبدال: "فهمت" مشيرا بذلك إلى صواب كلا التعبيرين
(٤) ص ١٣

والعِلمِ المستفاد للعليم يَعُمُّ الحديثَ والقديم. فإن عاندتَ فافهم قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾[١]، وبما حَكم به الحقُّ على نفسه فاحْكُم. ولا تنفرد بعقلِك دون نقلِك؛ فإنّ التقليد في التقييد. قَيّد الخليفةَ بالنظر في عبادِه؛ حين أهبطه إلى مهادِه. فقَيَّده حين قَلَّده. و﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢] وبيده ميزان الرفع والخفض. ومع كونه مالِك المُلْك؛ فهو مُلْك المُلْك؛ يؤتي المُلك من يشاء، وينزع المُلك ممن يشاء ويُعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣] وما جزر بَعْد المدّ؛ فإنّه تنبيه على أنّ الزيادة نقصٌ في الحدّ. فما جَزَرَ؛ إلّا ليكشف ما ستر.

عِلْمُ الحقّ بنا قد يكون معلومًا لنا. وأمّا عِلْمُه بنفْسِه؛ فلا[٤] يُعلم لِعُلُوّ قُدْسِه. وهو قوله ﷺ: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ﴾[٥] فإنّي لست من جنسك. فأنت الجنس الذي لا يتنوّع؛ لما يعطيه الحِمى الأَمنع. ولولا تجلّيه في صُوَر الآلهة؛ ما تَنعّمتْ به النفوسُ الفاكهة. ومن هنا قلت: "أنت الجنس"، وهو الأصلُ الذي يَرجع إليه والأُسّ.

ومِن ذلك: سِرُّ النافلة والفرض.. في تعلّق العالم بالطول والعرض

-من الباب العشرين-

مَن كان عِلّتُه عيسى فلا يُوسَى؛ فإنّه الخالق الْمُحَيّا، والمخلوق الذي يُحَيّا[٦]. عُرْضُ العالَم في طبيعته، وطُولُه في روحه وشريعته. وهذا النور من الصيهور والديهور المنسوب إلى الحسين بن منصور[٧]. لم أر متَّحدا رتق وفتق، وبربّه نطق[٨]، وأقسم ﴿بِٱلشَّفَقِ. وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ. وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾[٩] وركب طبقا عن طبق، مثله؛ فإنّه نورٌ في غسق. منزلةُ الحقّ لديه منزلةُ موسى من

(١) [محمد: ٣١]
(٢) [الزمر: ٦٣]
(٣) [الشورى: ١١]
(٤) ص ١٣ب
(٥) إشارة إلى قول النبي عيسى عليه السلام: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]
(٦) يحيّا: إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]. س، ه: المحيى.. يحيى
(٧) هو الحسين بن منصور الحلاج
(٨) "وبربه نطق" ثابتة في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب
(٩) [الإنشقاق: ١٦ - ١٨]

التابوت؛ ولذلك كان يقول باللاهوت والناسوت. وأين هو ممن يقول: "العين واحدة"، ويحيل[١] الصفة الزائدة. وأين فاران[٢] من الطور، وأين النار من النور؟ العرض محدود، والطول ظِلٌّ ممدود، والفرض والنفل شاهدٌ ومشهود.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ التوالج والتخالج

-من الباب الأحد والعشرين-

التوالج نكاح، والتخالج ولادة، في عالَم الملكوت والشهادة. مِن توالج الليل والنهار ظهرت خُلج الأعصار؛ فتميّزت الأيّام والأعوام والشهور، وجمع الدهر بالدهور. لولا حكم الشمس ما ظهر في عالم الأركان ذو نفَس ونفس. تعدَّدت المنازل بالنوازل؛ لا بل النوازل عيّنتِ المنازل؛ فاتّبعها العدد، وما بالدار[٣] من أحد. فإن وقع استثناء في هذا النفي فهو منقطع، وهذا أمرٌ لا يندفع.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ المنازل والنازل

-من الباب الثاني والعشرين-

للمنزل[٤] الأين، وللمنزلة العين. فالأمرُ والشأن في المكانة والمكان. والنازلُ مِن معناه: في منزلته، وفي منزله: من حيث صورته. للقرآن سُوَر هي منازله، وله آيات هي دلائله، وفيه كلمات هي صُوَره، وله حروف هي جواهرُه ودُرَرُه. فالحرفُ ظرفٌ؛ لمن هي منعوتةٌ بقاصرة الطَّرْف. والكلمات، في الكلام، كالمقصورات في الخيام. فلا تعْجَزْ لمفهوم الإشارات، ولا تعجَزْ عن مدلول العِبارات. فما وقع الإعجاز إلّا بتقديسه عن المجاز. فكلُّه صِدْق، ومدلول كَلِمِه حقّ. والأمر ما به

(١) ص ١٤
(٢) فاران: اسم جبال مكة بالعبراني
(٣) مكتوب مقابلها في الهامش بخط آخر: "بالربع"
(٤) ص ١٤ب

خفاء، وإن كان في نِسبة المناسبة للطلب بالإتيان بِسُوَرٍ مثله جفا. فما أُرْسِل رسولٌ إلّا بلسان قومه فتأمّل، ومن الله المعونةَ فاسأل.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الصون، وطلب العَوْن

-من الباب الثالث والعشرين-

الصونُ حِفْظٌ في الأولياء، عِصمةٌ في الرسل والأنبياء. فكان من تعبيره فيما عن الله يبلّغه؛ أنّه يَقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه. فإذا هو زاهِق، والآخر في أَثره لاحِق. فإنّ[1] التكليف -وإن كان حقّا- فإنّه زائل، كما أنّه عرَض ماثِل. فللدنيا حُكْم ليس لأختها، والأُمّ لا تُنكح على بِنتها. بل البنت إذا لم تكن في الحِجْر؛ فهي في بعض المذاهب حلال؛ وإن نُكِحَتْ أُمُّها بالشرع لذي حِجْر. طلبُ الإعانة دعوى من صاحب بلوى. إنما تُسدلُ الأستار والكِلل؛ من أجل المُقَل.

إيّاك والنظر؛ فقد يُكذِّبُ الخُبْرُ الخَبَر. الاستعانةُ بالصبر حَيْرةٌ بين التخيير والجبر. والاستعانةُ بالله تؤذِن بالاشتباه. ومَن اتّبع المتشابِه فقد ضلَّ وزاغ، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[2]. ومَن لَزِم المُحكم فقد تحكّم ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[3]؛ فإنّه الكفيل.[4]

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الاشتراك بين الشرائع.. مِن حُكم الزوابع

-من الباب الرابع والعشرين-

اعلم أنّ الزوابع تكون بحكم الشرائع والطبائع. ولذلك تعلو وتسْفُل، وتترقّى وتنزل. ومع أنّه كلّ وصْف من هذين كيانيّ، وهو نعت إلهيّ؛ فالعُلوُّ ما يَشكُّ فيه الدليلُ المعقول، والنزول ثَبت بخَبَر

---

(١) ص ١٥

(٢) [النور: ٥٤]

(٣) [الأحزاب: ٤]

(٤) في الهامش: "بلغ قراءة وسماعا ومقابلة على المؤلف"

الشرع[1] المنقول. فصاحِبُ الخلافة والإمامة مسكِنُه بين نجدٍ وتهامة. فله المجد الشامخ؛ بتحصيله عِلم البَرازخ. فله التّمييز والنقد، و﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾[2] لِفرح إمامهم، وسيّدهم وعَلّامهم. وعِلْمُ السياسة لأصحاب الرئاسة. فكلُّ رئيسٍ مدبِّرٌ سَؤوس؛ على قدر ما هو عليه المرءوس. ما كنّا خير أمّة أخرجت للناس؛ إلّا وكان نبيّنا ﷺ سَيّدَ ولد آدم من غير شكٍّ ولا التباس. فهو بنا ونحن به؛ فانتبه.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ اختصاص أنواع الإنعام.. بالأيّام

-من الباب الخامس والعشرين-

كلّ حليم أَوّاه؛ إذا ذكّرته بأيّام الله نهجتَ به منهج الانتباه. ولا ينتبه إلّا النائم، ولا يوقظه إلّا مَن هو على كلّ نفس بما كَسَبَتْ قائم. إنما نابت الأيّامُ مناب النِّعم؛ لأنّها الآتية بأنواع الكرَم. الزمان حافِظٌ إذ كان له الاحتواء، وبه يكون الانحراف والاستواء. ولما عنده من السَّعة؛ حاز الفصول الأربعة. فالزمان يحكم[3] في الأركان بتعاقب الملَوان الموجِبان الحدثان. فصُوَرٌ تحدثُ وتمرّ، وأحوال تسوء وتَسُرّ. فأدوارٌ تدور، ونجوم تطلع وتغور، وأيّام وجُمَع وسنون وشهور، يُعَيِّن تصريفها حوادث الدهور. فاليوم ليل ونهار، والشهر مَحْقٌ وإبدار، والسنة تِكرار، والجمعة سبعة أدوار. وحُكم الطرائق؛ في الساعات والدرجات والدقائق. وما زاد عليها من ثَوانٍ وثوالِث فما زاد؛ فهي رقائق تَمُدّ الحقائق.

ومِن ذلك: سِرُّ الرموز والكنوز

-من الباب السادس والعشرين-

رموزُ النصائح كنوزُ المصالح؛ فالناصح لما فَتَقَه الدهر ناصح، والعمل بالمصالح شيمةُ كلّ عبد صالح. ألا تراه كيف أقام الجدار؟ فإنّه من مصالح الأيتام الصغار. ولم يطلب على ذلك أجرا؛ بل

(١) ص ١٥ب
(٢) [الروم: ٤ ، ٥]
(٣) ص ١٦

قال: سأحدث لك منه ذِكْرا. فلمّا أخبره؛ انقاد الكليم إليه، وعوّل فيما أنكره عليه. فأنصف العبد المرحوم واعترف، وقال لصاحبه: كلّ واحد منّا على علم لا يعلمه الآخر، وهنا وقف. فلمّا عَلِم فضْلَه عليه(١)؛ سَلّمَ الأمور أَجمعَها إليه.

* * *

ومِن ذلك: سِرٌّ سجود الظلال بالغدوّ والآصال

-من الباب السابع والعشرين-

أنِفَتْ الظِّلال من السجود للشمس؛ لما هي عليه من شَرف النفْس. فاستدبَرَتْها في هذه الأوقات، وامتدّتْ ساجدةً لمن بيده ملكوت الأرض والسماوات. حين سجد لها مَن يزعم أنّه من أهل التمكين، وتَعبّدتْ مَن يَدّعي العقلَ الرصين. ولمّا رأت الظلال طلبَ استشراف الشمس عليها؛ لتنظر إليها؛ تقلّصتْ وانقبضتْ؛ تطلب أَصلها لتبيّن فضلها. فلم تر لها الشمس عينا تستعبده بنورها؛ لسرعة نفورها. ولولا عناية الأصل؛ ما صحّ لها هذا الفضل.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ التكييف.. في المشتى والمصيف

-من الباب الثامن والعشرين-

لَا يَعلمُ الربَّ فِي الحافِرَة   إلّا مَن عَرَفَ الأُولَى والآخرة

مَن(٢) كان ظاهره مصيفا؛ فباطنه مَشْتى؛ فيجمع ما بين أين ومتى.

ومَن كان ظاهرُه مَشتى؛ فباطنه مصيف؛ فليتقنّع في الحالين بالنصيف؛ وهما من أحوال التكييف. الكيفُ حالُ الأجسام، ومحَالُّ الأوهام. يَعمّ الكثائف، وله في البسائط لطائف. وزمان الاعتدال؛ ما له مِن زِوال(٣).

---

(١) ص ١٦ب

(٢) ص ١٧

(٣) يمكن قراءتها في ق: "زمال" والزّمال: مشيٌ فيه ميل إلى أحد الشقّين.

ومِن ذلك: سِرُّ تنزيه أهل البيت عن الموت

-من الباب التاسع والعشرين-

«قدّوس سُبّوح، ربُّ الملائكة والروح» يُذْهِبُ الأرجاس، ويقي شَرّ الوسواس الخنّاس. وموت الجهل أَشَرُّ موت، وقد عصم الله منه أهل البيت. فلا يَقدرهم حقّ قدرهم؛ إلّا مَن أطلعه الله على أمرِهم. ومَن اطّلع عليه؛ استند في الحال إليه. فهو أَعظم مستنَد، وأوثق ركن قصِد. فاستمسك بحبّهم للعقبى؛ فإنّه ما سأل ﷺ منّا ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1].

* * *

ومِن[2] ذلك: سِرُّ الراكب والفارس.. والقائم والجالس

-من الباب الثلاثين-

للراكب القفرُ، وللفارس الكرُّ والفرُّ. وللقائم الإنفاق، وللجالس الأرفاق. فمَن رَكِب لم يُعطَب، ومَن تَفرّس لم يُنْكَب. ومَن قام قام، ومَن جلس بَئس. فيا أهل الرِّكاب؛ عملكم في تَباب. يا خيل الله اركبي، واسلكي سبيل مذهبي. ويا قائمين على النفوس، بالرزق المعنويّ والمحسوس؛ تواصَوا بالحقّ وتواصَوا بالصبر. ويا جلساء الحقّ في مقعد الصدق؛ احذروا من المكر، وتواصَوا بالشكر.

ما أباح الله نكاح الأربع؛ إلّا لحيازتها المقام الأوسع. ولولا السّعَة التي في الأربعة؛ ما ضمّت العشرة الموصوفة بالكمال لمن اعتبره. ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[3] في الأيّام المتواصلة: ثلاثة في الحجّ، وسبعة إذا رجع وقطع كلّ فجّ. العشرة أوّل[4] العقود، ومنها تتركّب الحدود.

الراكب يرى ما لا يراه الفارِس، والقائم يشهد ما لا يشهده الجالس. شأنُ الأمير؛ الاستواء على السرير. والخادم؛ بين يديه قائم. فهو السيّد وإن قام بين يديه؛ فإنّ أمورَه مصروفةٌ إليه. وهما يصرّفان الركاب والخيل؛ تأويبا بالنهار وآسادا بالليل. فافتكروا، واعتبروا.

(١) [الشورى: ٢٣]
(٢) ص ١٧ب
(٣) [البقرة: ١٩٦]
(٤) ص ١٨

ومِن ذلك: سِرُّ الأصول.. في الفصول

-من الباب الأحد والثلاثين-

لولا الفصولُ المقوِّمَة؛ ما نارتِ البيوتُ المظلِمة. لولا الفصول؛ ما أبانت الحدودُ الأصول. بالفصول المقسّمة؛ ظهرت المرحَمَةُ والمشأمة. بالفصل تميَّز الربُّ من المربوب، وبه اتّصل المحِبُّ بالمحبوب. فبالفصل عَلِم المحِبُّ أنّه هالِك، والمحبوب مالِك. لا يَرِد الفصل إلّا على وصل. فهو عنوانه، وبه قام ميزانه. الفصل[1] خلأٌ محدود، والمفصول ملأ مشهود، وهو يحِلُّ محلَّ الوصل؛ فالوصل خلأ مثله، ومِثْل المماثل شَكْلُه.

فَالْفَصْلُ وَالْوَصْلُ ضُرَّتَانِ   هُمَا مِنَ اللهِ نِعْمَتـانِ

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ تدبير الإكسير

-من الباب الثاني والثلاثين-

الإكسيرُ سلطانٌ يقلب الأعيان، حكمُه حكم الزمان؛ لكنّه أسرع في الحدثان. ومع سلطانه فهو في حكم القابل، وإلى ما يقبله بالفعل مائل. فالعجز والقصور سارٍ في جميع الأمور. وعدمُ الاستقلال يقطع بالآمال. لولا المرضُ ما كان التدبير، ولا نزل الأمير عن السرير، ولا لَحِق الذهب بالقزدير، ولا قام عطارد مقام الإكسير بالإكسير، ولا ذهب النحاس بالذهب. ولو لم ترجع المعادن إلى أصل واحد؛ ما سُمّيت بالناقص والزائد. وأصلُ اعتلال الأبدان؛ بالزيادة والنقصان. والطبيبُ[2] الماهر المدبِّر الأكاسر؛ لا يزال من أجل الفضة والذهب؛ يتلو سورة "أبي لهب"؛ تبّت يداه وما كسب. فهو يسعى في إقامة الميزان، واعتدال الأوزان، ويحافِظ[3] على إقامة نشأة الإنسان في شهر نيسان. فإنّه شباب الدهر، وأوان الثمر والزهر، ومسرح النواظر في النواظِر. فاعلم؛ وإذا علِمت فالزم؛ وإذا لزمتَ فتكتّم.

---

(١) ص ١٨ب

(٢) ص ١٩

(٣) ق: "ويحاسب" وعليها خط إشارة الشطب، ومقابلها في الهامش بخط آخر: "ويحافظ" مع إشارة التصويب

ومِن ذلك: سِرُّ النيّة.. في الموحِّدين والثنويّة

-من الباب الثالث والثلاثين-

لَمّا لم يصحّ وجود العين الحادِث، المعرَّض للحوادث؛ إلّا بوجود الاثنين والثالث، وذلك تركيب المقدِّمات؛ لظهور المولّدات؛ بنكاح محسوس ومعقول، على وجهٍ وشرطٍ معقول ومنقول. فوافق العقل النقل، وساعَدَ الطبع السمع. ألا ترى الأمر موقوفا على اقتدارٍ نافِذٍ وقبول؛ كما حكمتْ به براهين العقول. فمَن نظر في توقّف الاثنين على الثالث؛ قال بالتوحيد[1] في وجود عين الحادث. ومَن نظر إلى هذين؛ قال -مع وجود الزائد- بالاثنين. ورأوا الأمرَ بين ظلمة ونور، وغمٍّ وسرور. وقال في الكلام الذي لا يدخله رَيْب ولا مَيْن: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[2] وما ثَمّ غير هَذَيْن. فالإله واحد، والقائل بغير هذا يضرب في حديد بارد.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ أنفاس الجُلّاس

-من الباب الرابع والثلاثين-

مَن جَلَس رَأَس. وهو قولهم: مَن ثَبَت نَبَت. الجليس أنيس. الذاكرون اللهَ: اللهُ[3] جليسهم. وإذا كان جليسهم؛ فهو بالذِّكْر[4] أنيسُهم. ومَن جالسك فقد جالسته. فأنتم جلساء الحقّ، وذلك هو مقعد الصدق. ثمّ يفترق الجلوس: فإمّا أن تجلس إليه، وإمّا أن يجلس إليك. فإن جلس إليك؛ كان في مقام ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾[5]؛ فإن فهمتَ فالزم. وإن جلست إليه؛ أفادك طرائف الحِكَم، وأتاك جوامعَ الكِلَم. فقد يستفيد المفيد، ويفيد المستفيد. أهلُ المجالس والجلوس؛ هم المقدَّمون والرُّءوس. كلُّ مَن جلَسَ خُدِم، وكلُّ مَن قام نَدِم. لولا قِيام الجدار[6] ما تهدّم، ولولا قيام[7] النشأة الإنسانيّة

---

(١) ص ١٩ب

(٢) [الذاريات: ٤٩]

(٣) ثابت في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب

(٤) ثابت في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب

(٥) [محمد: ٣١]

(٦) ص ٢٠

(٧) ثابت فوقها بخط قريب من الأصل، ومن غير إشارة الاستبدال: "إقامة"

إلى أرذل العمر ما سمّي الهِدم[١]. القائمُ متعرّضٍ لهبوب الأنفاس، والمتحرّكِ في قيامه متّصِف بالذاهب والخنّاس؛ فتعوّذوا بربّ الناس من شرّ الوسواس.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الجرَس.. واتّخاذ الحرَس

-من الباب الخامس والثلاثين-

الجرَسُ كلامٌ مجمَل، والحرَسُ بابٌ مقفَل. فمن فَصَّل مجملَه، وفتَح مُقْفَلَه؛ اطّلعَ على الأمر العُجاب، والْتحق بذوي الألباب، وعرف ما صانه القِشْر من اللُّباب؛ فعظَّمَ الحُجَّاب والحِجاب. الإجمالُ حُكمه، وفَصْلُ الخطابِ قسمَهُ؛ لإزالة غُمّة في أمور مهمَّة، محجوبة بليال مدلهمّة. والحرسُ عِصمة؛ فهم أعظم نعمة؛ لإزالة نقمة. صلصلةُ الجرس عينُ حمحمَة الفَرس.

ومِن ذلك: سِرُّ تمهيد موسى.. لعيسى

-من الباب السادس والثلاثين-

التوراة[٢] أَوّل جيل[٣] آمن بالإنجيل، وأوّل نور ظهر بالزبور. موسى خرج في طلب النار؛ فَوَرِي زناد الأقدار؛ فجاء بالتوراة وهو يحمد الآثار. موسى حيي بعيسى لأنّه روح، عيسى كلمةُ مَنْ كَلَّم موسى؛ فأَشْبَهَ نورَ يُوح. ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[٤]، وسلَّم على عيسى تسليما. وما سلَّم عليه إلّا به؛ لينتبه[٥]. وسلَّم على ابن خالته بنفسه؛ لتتميّز رتبة يومِه من أمسِه. فيرتفع اللَّبْس؛ باليوم الذي بين الغد والأمس. كلُّ متقدِّم من الرُّسل بشير، وفي أُمّته نذير. يُعْلِمُ بالآتي، ويحرِّض على صحبة المُواتي. ما نشأ الخلاف إلّا من عدم الإنصاف. وما ثَمّ إلّا خُلْفٌ؛ لأنّ الذي خَلَفَ مَن سَلَف خَلْفٌ. لم يكن لرسول الله ﷺ خَلَف؛ لأنّه أَنصف.

---

(١) الهِدْم جمعه الهِدَم: الثوب الخَلِق البالي
(٢) ص ٢٠ب
(٣) الحروف المعجمة مهملة في ق، وفي س: "حبل" والترجيح من هـ
(٤) [النساء: ١٦٤]
(٥) مصحفة وهناك تصرف في مواضع النقط في ق

ومِن ذلك: سِرٌّ حال الأَتباع.. في الاتّباع

-من الباب السابع والثلاثين-

لولا حُكم الاتّباع؛ ما سُمّوا بالأتباع. أتباعُ الرسل؛ هم المتحقِّقون بالسبُل. مَن سَلَك سَواء سبيله؛ حُمِد في[1] فعله وقِيله. الأمرُ صادقٌ وصِدِّيق؛ فلا بدّ من تابع ومتبوع. هذا هو التحقيق ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾[2] فإنّي بالله أسمع، وأبصر، وأَنطِق. فالزم تعلم.

ومِن ذلك: سِرٌّ ما لا يُنال إلّا بالكشف.. الصرف

-من الباب الثامن والثلاثين-

وليس إلّا علم التجلّي، والتداني والتدلّي. وكذلك ما ينتجه التحلّي بالأسماء من علوم الإنباء. وكلُّ علم موقوفٍ على الحسّ؛ فما فيه لَبْس. وما ينتجه الفكر؛ فلا يعوَّل عليه؛ فإنّ النُّكر يسارع إليه. وأمّا قوله: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ﴾[3] فقد أثبتَ لك ما رأيت. ودلَّ قولُه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾؛ على أمرٍ يستوي فيه البصير والأعمى. فَيَدُ اللهِ؛ أيدي الأكوان، وإن اختلفت الأعيان. فَعُدْ عن النظر في الصور؛ فإنّها محالُّ الغِيَر. ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[4] لِتُحْدِث حكما.

ومِن ذلك: سِرُّ العَزل والولاية.. في الضلالة والهداية

-من الباب التاسع والثلاثين-

يتضمّنُ[5] العَزْلُ الولايةَ؛ تَضَمُّنَ الضلالِ الهدايةَ. الهُدَى إلى الضلال هُدَى؛ فإيّاك أن تجعل الضلالةَ سُدَى. الضلالة حَيْرَةٌ؛ ولو لم تكن ذاتيّة لأَوْجَبَتْها الغَيْرة. لو لم تكن الضلالة انتُهِكَ حِماهُ، وكان إدراكه في عماه. لا عَزْل إلّا من ولاية، ولا ضلال إلّا بعد هداية. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾[6] وهذا من العلم المخزون المصون. مَن أضلّه اللهُ على

---

(١) ص ٢١
(٢) [الأعراف: ١٠٥]
(٣) [الأنفال: ١٧]
(٤) [طه: ١١٤]
(٥) ص ٢١ب
(٦) [التوبة: ١١٥]

عِلم؛ فهو صاحب فَهْم. والله الوالي؛ مِن اسمه المتعالي.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ المجاورة والمحاورة

-من الباب الأربعين-

المحاوَرة لا تُعقل من غير مجاورة. المحاوَرة مراجعة الحديث؛ في القديم والحديث. «الجار أحقّ بِصَقَبِه[(١)]»؛ من صاحب نَسَبِه. فإنّكم بالأصل مِن أُولِي الأرحام، ومن أهل الالتئام والالتحام. لا يُشترط في الجُوار الجِنْس؛ فإنّه عِلْمٌ في لَبْس. اللهُ جارُ عَبْدِهُ بالمعَيّة، وإن انتفَتِ المِثليّة. والعبد جار الله في حَرَمِه، ومُطَّلِعٌ على حُرَمِه؛ وهي أعيان كلمات الله التي لا تنفَد، ولا تَبْعُدَ فَتَبْعَد.

* * *

ومِن[(٢)] ذلك: سِرُّ النهار والليل.. والحِرمان والنَّيل

-من الباب الأحد والأربعين-

النهارُ مَعاش والليل لِباس؛ فالنَّيْل وِجدان، والحِرمان إفلاس؛ فقد ارتفع الالتباس. النهار حركة، والليل سكون، والمحروم مِن الخلق مَن يقول للشيء كن فيكون. فظهَر المنازِع بالتكوين، وحصل التعيين في الكثرة لوجود التلوين. فما جنى على التوحيد إلّا الكون، وما نازعَه إلّا وجود العين. فصاحب اللوا؛ مَن يرى الحقَّ عينَ السِّوى.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الفتوّة، المختصّة بالنبوّة

-من الباب الثاني والأربعين-

الفتى لا يعرف أين ومتى. أينُه دائم مستقِر، وزمانه حالٌ مستمر. الْتَحَمَ أَزَلُه بأَبَدِه؛ فلا أَوّل

---

(١) صقبت: قربت ودنت.
(٢) ص ٢٢

ولا انقضاء لأَمَدِه. لا يعرف الأجل المسمّى، ولا يقول بفَكِّ المعمَّى. الملَوان بحكم الفِتيان؛ تُصرِّفهما أحوالهم؛ فأعمالهما أعمالهم. مَن عتى ما تَفتّى، ولا سُمّي بفتى. غايةُ الفتى الخُلّة لما سَدَّ الخَلَّة. غار بالرُّقَباء فقطّعهم[1] جذاذا، واتّخذ الكبيرَ مَلاذا، ثمّ أحالهم على ما أوحى لهم.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ إلحاق الشُّبَه.. بالشَّبه

-من الباب الثالث والأربعين-

لولا الشَّبَه ما كانت الشُّبَه. فالظلال أَمثال، وأيُّ أمثال. مِن أعجب الأمر في الظلِّ مع المثل أنّ النورَ يُصَوِّرُه؛ وهو يُنَفِّرُه، والجسم يُقَرِّرُه ويُثْبِتُه؛ لأنّه مُنَبِّتُه. في لسان الأمّة: مَن أشبهَ أباه ما ظَلَمَ أُمَّه. أسماؤه الحسنى أسماؤنا؛ فعلى الشَّبَه قام بِناؤنا. وأَحكامُنا أحكامُه؛ فنحن بكلِّ وجهٍ شعائرُه وأَعلامُه. فتعظيمنا إيّاها من تقوى القلوب، وفتح الغُيُوب.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ التصرّف في الفنون.. من شأن أهل الجُنون

-من الباب الرابع والأربعين-

الفنون أعيانُ الشئون، والشئون هويّة المحتدّ، ربّانيّة المشهد. مِن أعجب ما وَرد؛ أنّه لم يلد؛ وعنه ظهرت[2] الأعداد؛ فله أحديّة العدد؛ وما بالدار من أحد. الجنون ستور؛ فقل: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[3].

---

(١) ص ٢٢ب
(٢) ص ٢٣
(٣) [الشورى: ٥٣]

ومِن ذلك: سِرُّ التكرار.. في الأدوار

-من الباب الخامس والأربعين-

تكرّر الملَوان؛ بالاسم لا بالأعيان، ودار الفلك؛ فحدث الجديدان. «أطَّتِ السماءُ وحُقَّ لها أن تئط»؛ فإنّ الأمر فيها منضغِط. كيف لا يُسمع لها صوت؛ وهي تخافُ الفَوْت؛ لِعِلمها بأنّها تمور مَوْرا ﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا﴾(1) ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ. تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ. قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾(2) ونفوس تالِفة، وعقول خائفة، وأسرار على حالها عاكفة. وَهَتِ السماء فهي واهية(3)؛ حين أصبحتْ على عروشها خاوية. لو بقي ساكِنُها؛ ما خَرِبَتْ مَساكِنُها. فالدَّوْرُ أَظهر الكَوْر.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ القليل والكثير.. في التيسير والتعسير

-من الباب السادس والأربعين-

مَن تعبّدَتْه الإضافات؛ فهو صاحبُ آفات. من ﴿كَانَ ذُو(4) عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ﴾(5). ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾(6) وقد كان الرُّطَبُ بَلَحًا وبُسْرا. مرقوم في الكتاب: كثير من الناس سجد، ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾(7) ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾(8) مع كونه أقوم قِيلا؛ فـ﴿ٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾(9)، وسبّح بحمد ربّك بكرة وأصيلا، و﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾(10) فـ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾(11). إخراجُ ما في اليد؛ هو الكثير وإن قَلّ؛ فاعرِفْ معنى الكُثْر والقُلّ. «سَبقَ درهمٌ ألفا»؛ لكونه ما وَجَدَ إلْفا.

---

(1) [الطور: 10]
(2) [النازعات: 6 - 8]
(3) ق: "هاوية" وصححت في الهامش بخط آخر: "واهية"
(4) ص 23ب
(5) [البقرة: 280]
(6) [الشرح: 6]
(7) [الحج: 18]
(8) [الإسراء: 85]
(9) [المزمل: 8]
(10) [المزمل: 2]
(11) [المزمل: 7]

ومِن ذلك: سِرُّ السافل والعالي[1].. والمتسافل والمتعالي[2]

-من الباب السابع والأربعين-

العالي صاحبُ الروح، والسافل له إليه طِرْفٌ جموح، والمتوسّط ذو طَرَفين، له إلى كلّ طَرَف جُنُوح. المتسافِل يَشهد لصاحبه بالسُّمُوّ، والمتعالي يشهد للمتّصف به بالمقام الدنيّ للدنوّ. الحاصل لا يُبتغى، وما سَفُل إلّا مَن طغى. ما بلغ الماءُ الزُّبَى؛ حتى زاد السيل وطمى. ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ غير الحقّ، ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾[3]. ما عنده عِلم ولا فُتُوّة؛ مَن أَلحق العبودةَ بالبُنُوّة[4]. أين الأبناء من العبيد؟ وأين الأَنِسُ من الوحيد؟

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الأزل.. في العِلَل

-من الباب الثامن والأربعين-

لو كان عِلّةً؛ لساوَقَه المعلول في الوجود وقد تأخّر؛ فثبت الاسم المقدِّم والمؤخِّر. لو اقتضى وجود العالَم لِذاته؛ لم يتأخّر عنه شيء من محدَثاته. ولو لم يصحّ أن يصدر عنه إلّا واحد؛ لبطلت النِّسب والشواهد. مَن جعل للصادر مع أحديّتِه نَسَبا؛ فقد أثبتَ أَحكاما ونِسَبا. والصادر موجود معلوم، والنِّسب أمر معدوم. والعدم لا يقوم بالوجود؛ فإنّ البراهين تبطله والحدود. والكثرة معقولة؛ وما ثَمّ عِلّةٌ إلّا وهي معلولة.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ وجود النفَس.. في العسس

-من الباب التاسع والأربعين-

بالعَسس يطيب المنام، وبالنفَس تزول الآلام. إن أُضيف إلى غير الرحمن؛ فهو بهتان. عن

---

(١) رسمها في ق: والعال
(٢) رسمها في ق: والمتعال
(٣) [النساء: ١٧١]
(٤) ص ٢٤

الرحمن ظَهَرَ حُكْمُه؛ فزال[1] عن المكروب غَمُّه. مِن قِبَل اليمن جاء، وإليه[2] بعد تنفيذ حكمه فاء. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾[3] لأنّه ظِلُّه. لا ينقبض الظلُّ إلّا إلى مَن صَدَر عنه؛ فإنّه ما ظهر عَيْنُه إلّا منه. فالفرع لا يستبِد؛ فإنّه إلى أصله يستنِد. في الفروع يظهَر التفصيل، وتشهد له الأصول في قضيّة العقول.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الحَيرةِ والقصور.. في ما تحوي عليه الخيام والقصور

-من الباب الخمسين-

الخيمةُ والقَصْرُ يُؤذِنُ بالقهر والقسْر. لولا الحيرة ما وُجدِ العجز، ولا ظهر سلطان العزّ. وبالقصور عُلِم بحدَث الأمور. القصور يلزم الطرفين؛ لعدم الاستقلال بإيجاد العين. لولا القبول والاقتدار، وتكوير الليل والنهار بالإقبال والإدبار؛ ما ظهرت أعيان، ولا عدمت أكوان؛ فسبحان المتفضّل بالدهور والأمور.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الهرَب.. من الحرب

-من الباب الأحد والخمسين-

مَن[4] مالَ متحيّزا إلى فئة، أو متحرِّفا لقتال؛ فما مال. فالهرب من الحرب وهو من الخداع في القِراع. كن قارًّا، ولا تتبع فارًّا. لا تضطرّه إلى ضيق[5]؛ فيأتيك مَن تكرهه من فوق. كلٌّ يجري في هربه إلى أَجَل؛ فلا تقل: بَجَل[6]. إذا نزل القدر عمي البصر. نزولُ الحِمام يقيّد الأقدام. لا جُناح لمن غلبه الأمر المتاح. مَن راح استراح إلى مقرِّ الأرواح. مَن فتح له باب السماء استظلّ بسدرة

(١) ص ٢٤ب
(٢) "إليه" أضيفت فوق السطر بقلم آخر في ق، وهي ثابتة في س
(٣) [هود: ١٢٣]
(٤) ص ٢٥
(٥) ق: "فسق" وعليها إشارة الحذف، وصححت في الهامش بخط آخر: "ضيق"، وهي كذلك في س، ه
(٦) بجل: حسبي

الانتهاء. الشهيد حيٌّ، وإنجازه لَيٌّ[1].

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ عبادة الهوى.. لماذا تُهْوى

-من الباب الثاني والخمسين-

لا احتجار على الهوى؛ ولهذا يُهوى. بالهوى يُجْتَنب الهَوى.

وحَقِّ الهَوَى إنَّ الهَوَى سَبَبُ الهَوَى ... ولَولَا الهَوَى في القَلْبِ ما عُبِدَ الهَوَى

بالهوى يُتّبع الحقّ، والهوى يُقعدك مقعد الصدق. الهوى ملاذ، وفي العبادة به التذاذ، وهو مَعاذ لمن به عاذ. ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾[2] فَيَهوِيّ[3] النجم وقع القسم؛ بعد ما طلع ونَجَم. مواقعُ النجوم ﴿قَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[4]؛ فلولا علوُّ قدرِه؛ ما عُظِّمَ من أمره.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الإشارات.. وإلحاقها بالعبارات

-من الباب الثالث والخمسين-

الإشارةُ إيماء[5]، جاءت بها الأنباء. فأشارت إليه، متّكلة عليه. فبرّأَتْها شهادته مما قيل، وتلي ذلك في كلّ جيل: في قرآن وزبور وتوراة وإنجيل. الإشارة حرام؛ إلّا لمن لزم الصيام. الإشارات عبارات خفيّة، وهو مذهب الصوفيّة. الإشارة نداءٌ على رأس البُعد، وبَوْحٌ بعين العِلّة في كلّ ملّة. لولا طَلَبُ الكتمان؛ ما كانت الإشارة بالأجفان. هي دلالة على المَيْن، وساعية في بين البَيْن. ولذلك لم يكن ينبغي لنبيّ أن تكون له خائنةُ عَين؛ ولهذا دلّت على المَيْن.

---

(١) كتب في هامش ق معنى لي: الخطل
(٢) [النجم: ١ ، ٢]
(٣) ص ٢٥ب
(٤) [الواقعة: ٧٦]
(٥) كتب مقابلها في الهامش: "إنباء" وبجانبها حرف خ

ومِن ذلك: سِرُّ الشياطين في السلاطين

-من[1] الباب الرابع والخمسين-

السلطانُ ظِلٌّ، وصحبته ذلٌّ. والشيطنة بُعْد، والظلّ لا يتبيّن حتى يمتدّ. إذا امتدّ عن أصله بَعُد، وإذا فاء إليه بعِد. السلطانُ راعٍ وداع، وكلُّكم راع. فالكلّ أمثال، والأمثال أضداد، والمضادّة عِناد؛ فثبت أنّ الشياطين سلاطين. الشيطان رجيم بذوات الأذناب من النجوم. قعدت الشُّهب على النُّقُب؛ فرَمَتْها مِن قُبُل وعن جُنُب. الأَمْرُ الكُبَّار؛ في حرق النار بالنار.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ تتبُّع التنوّع

-من الباب الخامس والخمسين-

تنوّعات العالَم في الحقِّ الشئون، وهي ما يظهر من الفنون. الظنُّ رَجْمٌ بالغيب، والعلم ما فيه شكٌّ ولا رَيب. «الظنُّ أكذبُ الحديث» في القديم والحديث. الأنواع؛ تفاصيلُ الجنس من غير نزاع. ولولا دفاع الله الناسَ بعضهم ببعض؛ لَبَطلت السنّة والفرض. تنوّعت[2] الأسماء فتنوّعت الأسباب، والكلّ نِسَبٌ والنِّسَب في تَباب. التنوُّع افتِراق لما ضمّته الحقاق، وقد لحق بالمحاق مَن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾[3]. التتبُّع تَجَسُّس، وقد نهي عن التجسّس.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الإلهام.. والوحي في المنام

-من الباب السادس والخمسين-

الدقائق أعوام في حال المنام، وعلوم النظر أوهام عند علوم الإلهام. القائل عن الإلهام ما

(١) ص ٢٦
(٢) ص ٢٦ب
(٣) [ص: ٧]

يخطئ، والحكم به لا يبطئ. عُظْمُ مِحَنِ النفوس وبلواها في ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[1] فمَن نهى النفس عن هواها بِهَواها؛ فقد أَمِن غائِلتها ومنتهاها. لولا إلهام النَّحل؛ ما وُجِد العسل في زمان المحْل. بالإلهام طلب المرعى، وجمع فأوعى. المبشِّرات نبوَّات ورسالات. فاستدرَك بعد أن عمّم؛ فقال: «لكن المبشّرات» فخصّص وتمّم. فسبحان مَن خصّه بالحكم، وجوامع الكِلَم.[2]

* * *

ومِن[3] ذلك: سِرُّ الزمان والمكان

-من الباب السابع والخمسين-

المكانُ نِسبةٌ في موجود، والزمان نِسبة في محدود، وإن لم يكن له وجود. المكان يُحَدُّ بالجُلّاس، والزمان يُعَدُّ بالأنفاس.

الإمكانُ يحكم في الزمان والمكان. الزمانُ له أصل يرجع إليه؛ وهو الاسم الإلهيّ الدهر الذي يُعَوَّلُ عليه. ظهر المكان بالاستواء، وظهر الزمان بالنزول إلى السماء، وقد كان قبل الاستواء له ظهور في العماء. الأينيّة للمتمكن والحالّ، والفرقُ ظاهرٌ بين الأماكن والمَحَالّ. الحالّ بحيث المحلّ، والمتمكن عن المكان منتقل. الزمان ظرفٌ لمظروف، كالمعاني مع الحروف. وليس المكان بظرف؛ فلا يشبه الحرف. ظرفُ المكان تجوُّز في عبارة الإنسان، الزمان محصور في القسمة بالآن، وما من شرطه وجود الأعيان. وإذا لم يعقل المكان إلّا بالساكن؛ فهو من المساكن.

* * *

ومِن[4] ذلك: سِرُّ المنصور والناصر من الأفلاك والعناصر

-من الباب الثامن والخمسين-

ما استُعيذ بالله من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ؛ إلّا لتأثير الدَّوْر. ما ثَمّ حَوْر؛ بل ثَمّ استِدارةٌ لا دَوْر.

---

(١) [الشمس: ٨]
(٢) في الهامش: "بلغ قراءة ومقابلة وعرضا وسماعا على الشيخ المؤلف".
(٣) ص ٢٧
(٤) ص ٢٧ب

ما في العالم تكرار مع وجود الأدوار. كلُّ ذلك إقبال وذهاب، ما ثَمّ رجوع ولا إياب. السبب الأوّل: خير الناصرين، والسبب الأخير: خير المنصورين. الأفلاك ذكور، والعناصر محالّ التكوين والظهور. وقد كانت الأفلاك أمّهات؛ لما ظهر فيها من المولّدات. الفاعلات أملاك، والمنفعِلات أفلاك، والانفعالات أعراسٌ وإمْلاك. لولا الالتحام؛ ما ظهر هذا النظام. قد يكون المنفعل ناصرا لفاعله فيه بقبوله، وبلوغ سؤله ومأموله. لولا الأمر المطاع؛ ما كان الاجتماع؛ فما ظهرت أشباح، ولا أرواح، إلّا بنكاح.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ اختصاص النصب بالغضَبِ

-من[1] الباب التاسع والخمسين-

الغضبُ نَصَبُ النفْس في كلّ جنس. نَصَبُ الأبدان من همم النفوس في المعقول والمحسوس. مَن تأثَّر تعثَّر، وما ثَمّ مَن لا يَتأثَّر. ببلوغ المراد تميّز الربّ من العِباد. فالربّ بالغ أمره، وإن جهل العبد قدره. والعبد عبدُ القَهر، بحكم الدهر. مَن حكم عليك؛ فهو إليك. فَوَلِّهِ أن شئتَ أو فاعزله، ونَزِّه نفسَه أن شئت أَو مَثِّلْه. في التنزيه عينُ التشبيه. فأين الراحة التي أعطتها المعرفة؟ وأين الوجود مِن هذه الصفة؟ الظالم هو الحاكم في أكثر المواطن، والحكم في الظاهر إنما هو للباطن؛ فلولا الأنفاس ما تحرّكت الحواسّ.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ امتياز الفِرَق، عند إلجام العَرَق

-من الباب الستّين-

إذا كان يوم العرْض، ووقع الطلب بإقامة السنّة والفرْض، وذهلت كلّ مرضعة عمّا أرضعَت، وزهِدت كلُّ[2] نفس فيما جمعَت، وأَلْجَمَ الناسَ العَرَق، وامتازَت الفِرَق، واستُقْصِيَت الحقوق،

---

(١) ص ٢٨
(٢) ص ٢٨ب

وحُوسِب الإنسان على ما اختزنه في الصندوق؛ زال الريبُ والمَيْن، وبان الصبح لذي عينين، ونَدِمَ مَن أعرض وتولّى، وفاز بالتجلّي السَّعادي كلُّ قلب بالأسماء الإلهيّة الحسنى تَحَلّى، في الموطن الذي إليه حين دنا تَدلّى. فرأى في النزلة الأُولَى والأخرى؛ من آيات ربّه الكبرى. فرفع ميزان العدل في قبّة الفصل. ففاز بالثقل أهل الفضل. فـ﴿مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ. فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾[1] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ. قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[2] و﴿مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ. فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ. وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ. نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾[3] ولا تمتاز الفِرَق إلّا بالحدود؛ فمنهم النازل بمنازل النحوس، ومنهم النازل بمنازل السعود.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ المقام الشامخ.. في البرازخ

-من الباب الأحد والستّين-

البرزخ بين بين، وهو مقام بين هذين؛ فما هو أحدهما؛ بل[4] هو مجموع الاثنين. فله العزّ الشامخ، والمجد الباذخ، والمقام[5] الراسخ. وعلم البرازخ له من القيامة الأعراف، ومن الأسماء الاتّصاف؛ فقد حاز مقام الإنصاف. فما هو عين الاسم، ولا عين المسمَّى، ولا يعرِف هويّته إلّا مَن يفكّ المعمّى، وقد استوى فيه البصير والأعمى. هو الظلُّ بين الأنوار والظُّلَم، والحدُّ الفاصل بين الوجود والعدم، وإليه ينتهي الطريق الأَمَم. وهو حَدُّ الوقفة بين المقامين لمن فَهِم. له من الأزمنة الحال اللازم؛ فهو الوجود الدائم. البرزخُ جامع الطرفين، والساحة بين العَلَمَين. له ما بين النقطة والمحيط، وليس بمركّب ولا بسيط. حظُّه من الأحكام المباح، ولهذا كان له الاختيار والسَّراح. لم يتقيّد بمحظور ولا واجب، ولا مكروه ولا مندوبٍ إليه في جميع المذاهب.

---

(١) [القارعة: ٦ ، ٧]
(٢) [الحاقة: ٢٢ ، ٢٣]
(٣) [القارعة: ٨ - ١١]
(٤) ص ٢٩
(٥) مكتوب بجانبها بقلم آخر: "صح"، ومقابلها في الهامش: "والعلم" وبجانبها "صح" وحرف خ

ومِن ذلك: سِرُّ النشر والحشر

-من الباب الثاني والستّين-

النشرُ ضدّ الطيّ، وبه يتبيّن الرشدُ من الغيّ. النشر ظهور[1]؛ فهو نور على نور. الحشرُ جمعٌ، ما فيه صَدْعٌ. بالحشر يقع الازدحام، وبه يكون الالتحام. لولا الحشر ما زُوِّجت النفوس بأبدانها، ولا أُقيمت المآدِب بميدانها. قبورُ الأرواح أَجسامُها، وقبور الأجسام آرامها. ففي سجن الأشباح سراح الأرواح؛ فلها الرواح والارتياح في الانفساح. وإن تقيّدت بصور جسديّة؛ فإنّ لها التقليبات[2] الأبديّة، وما لها نَعْتٌ إلّا الأحديّة. وإن كانت لا تنفكُّ عن صورة؛ فإنّها في أَعَزِّ سُورة. فإذا بُعِثَتِ الأجسامُ مِن قبورها، وحُصِّل للعَرْض عليها ما في صدورها؛ صدَّق الخُبْرُ الخَبَر، وما بقي للريب في ذلك مِن أَثَر. فمن جاز فاز، وليس للبازي إلّا ما حاز. فاعْبُر ولا تَعْمُر؛ فإنّ الدنيا نهرٌ وبحر، يحكم فيها مَدٌّ وجَزر، والإنسان على نهرها جِسر.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ المُقامة.. والكرامة

-من الباب الثالث والستّين-

النارُ دارُ انتقال من حال إلى حال، والحكم في عاقبتها للرحمة[3] والنعمة، وإزالة الكرب والغمّة. فلذلك لم توصف بدار مُقامة؛ لعدم هذه العلامة. وسمّيت منزل الكرامة دار المقامة؛ لأنّها مقيمة على العهد؛ فلا تقبل الضدّ. المقامةُ نشأةُ الآخرة؛ لأنّها عين الحافرة، ما هي كرّة خاسرة؛ بل هي رابحة تاجرة. سُوْقُها نَفاق، وعَذابها نفاق. فالصورة عذاب مقيم، والحسّ في غاية النعيم. فإنّ نعيم الأمشاج؛ فيما يلائم المزاج.

---

(١) ص ٢٩ب

(٢) مكتوب فوقها حرف خ، ومقابلها في الهامش: "التقلبات" وبجانبها "صح"

(٣) ص ٣٠

ومِن ذلك: سِرُّ الشرع.. المنافِر والموافِق للطبع

-من الباب الرابع والستّين-

الشرع لا يتوقّف على منافر أو موافق إذا تَصَرّف. له الحكم فيما ساءَ وسَرّ، ونَفَع وضَرّ. منزلته الحكم في الأعيان، لا في الأكوان. الصلاة خمس، ما بين جهر وهمس. «بني الإسلام على خمس»؛ لإزالة اللبس. فالتوحيد إمام؛ فله الأمام. و«الصلاة نور، والصبر ضياء، والصدقة برهان»، والحجّ إعلام بالمناسك الكرام، وحُرمات في حلال وحرام. الشرع زائل، والطبع ليس براحل. محلُّ[1] الشرع الدارُ الدنيا، ومحلُّ الطبع الآخرةُ والأُولَى. يرتفع الحكم التكليفيّ في الآخرة، ولا يرتفع الطبع من الحافرة. للشرع منازلُ الأحكام، وللطبع البقاءُ والدوام. جاءت الشرائع بحشر الأجساد، وثَبَتت بخرق المعتاد. أينما كانت الأجساد؛ فلا بدّ من كونٍ وفساد. وبهذا ورد الشرع، وجاء السمع، وقَبِله الطبع، ووافق عليه الجمع. والإيمان به واجب، وإنّ الله خلقهم من طين لازب.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الشهادتين.. والجمع بين الكلمتين

-من الباب الخامس والستّين-

العين طريق، والعلم تحقيق. لولا فضلُ العلم على العين؛ ما كانت شَهادة خزيمة بمنزلة شَهادة رَجُلَين. ما تنظر إلّا لتعلم، كما أنّك لا تخاطِب إلّا لِتُفْهِم، ولا تخاطَب إلّا لِتَفْهَم. الشهادة حضور، ونور على نور. الشهادة على الخَبَر؛ أقوى في الحكم من شهادة البصر. يُثبت ذلك شهادة خزيمة للنبيّ ﷺ المنقولة عنه في الأحكام. لولا[2] التلبّس الداخل على البصر؛ ما شَهِد الصحابة في جبريل ﷺ أنّه من البشر، وليس من البشر. فلو استعمَلهم العِلم، وكانوا بحكم الفهم؛ لَتَفكّروا فيما أَبصروا؛ حين سئلوا عمّا جهلوا؛ فكانوا يقولون: "إن لم يكن هذا المشهود روحا تجسَّد؛ وإلّا فهو دحية كما يُشْهَد" ولو ظهر في أماكن مختلفة في زمان واحد وتعدّد. فلا يقدح ذلك في دِحْيَيّتِهِ؛

(١) ص ٣٠ب

(٢) ص ٣١

فإنّه في كلّ صورة بهويّته. وتلك الصور لِهويّته؛ كالأعضاء لِعَين الإنسان، وهو واحد مع كثرة الأعضاء التي في الأكوان. فَمَن وقف عندما قلناه؛ حينئذ يعرف ما يَرى إذا رآه. وبهذا يجمع بين الكلمتين، ويتلفّظ بالشهادتين. لأنّه ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾[1] فإنّ هويّتَه سمعُه وبصرُه[2] وجميعَ قواه.

* * *

ومِن ذلك: سِرٌّ تقديس الجوهر النفيس

-من الباب السادس والستّين-

الجوهر الأصل، وعنه يكون الفصل. القدّوسُ عينُ بَصر المحبوب[3]، مِن خلف حجاب الغيوب. فإذا أَنصف الإنسان فرَّق بين الإيمان والعيان، ولا سيما فيمن كان الحقُّ قُواه من الأكوان. فالتصديق بالخبَر؛ فوق الحكم بما يشهده البصر؛ إلّا إذا نظر واعتبَر.

* * *

ومِن ذلك: سِرٌّ المقاوَلة والمحاوَلة

-من الباب السابع والستّين-

لولا القولُ ما ظهرَت الأعيان، ولا كان ما كان. فَصْلُ الخِطاب مِن المَقال، وسلطانه في قُلْتُ وقال. المحاولة في التفهيم لأرباب التعليم، كما هي في التفهُّم وطلب التعلّم. من المحاولة: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[4]، ومن المقاولة: «قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي»؛ فإليّ وعليّ. المحاولة لا يظهر عنها عين إلّا في كَوْن. المقاوَلة مِن المحاوَلة. المقاوَلة تأخُّر ومسابَقة، والمحاوَلة في الوجود مساوَقة. المقاولة نِسَب، والمحاولة سبب. المقاولة؛ منها مناوحة، ومنها مكافحة. القول يطلب

(١) [النساء: ٨٠]
(٢) "سمعه وبصره و" ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
(٣) ص ٣١ب
(٤) [ص: ٧٥]

السمع، ويؤذِن بالجمع، له[1] الأثر في السامع، وهو يقرِّب الشاسع. وفي بعض المواطن تغني الإشارة عن العبارة.

* * *

ومِن ذلك: الحجب المنيعة.. عن أحكام الطبيعة

-من الباب الثامن والستّين-

لا يقول بالحجب المنيعة عن أحكام الطبيعة، إلّا أصحاب خرق العوائد؛ أهل الأنوار والمشاهد، العاملون على أسرار الشرع، وما شعروا أنّ ذلك من أحكام الطبع. فإنّ العادة حجاب؛ فيا ليت شعري ما وراء هذا الباب. مَن عرف أنّ الطبيعة بالرتبة فوق الجنّة؛ عرف أنّ لله في جَعْلِها هناك الطوْلُ والمِنّة. لولا ما هي فوقها في المنزلة؛ لكانت الإعادة في الأجسام يوم القيامة من المسائل المشكِلة. مَن وقف مع اللوح والقلم؛ انحجب عن الطبيعة والتَزَم. ومَن جالس الأرواح المهيّمة؛ غابت عنه أُمور الأجسام المحكمة. مَن هيّأ روحَه لترويح النفَس؛ لم يدر ما صلصلة الجرَس. حكم الطبيعة تحت النفْس، وأكثر النظّار من ذلك في لَبْس. من المحال أن يَمنع الإنسان عن العلم بالطبيعة[2] مانع، وهو للعالَم بَرْنامَجٌ جامع. كيف يَجْهَلُ الشيءُ نفسَه، ويزعم أنّه يعرف أَصْلَه وأُسَّه؟! كيف يخرج عن جنسه مَن تقيّد بيومه وأمسه؟!.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ كشف الغِطاء.. بالعَطاء

-من الباب التاسع والستّين-

الشكر سببُ مزيدِ الآلاء، وتضاعُفِ النَّعْماء، وعصمةٌ مِن تأثير الأسماء بالأسواء. بالجود ظهر الوجود، والكرَم سببُ ارتفاع الهمم، وبالإيثار تُحْمَد الآثار، وبالعطاء يكون كشفُ الغِطاء،

---

(١) ص ٣٢

(٢) ص ٣٢ب

وبالهِبات تَنْمَحِي السيّئات. الأنعام من الإنعام، تحمِل الأثقال والرحال[1]، وعليها تمتطي الرجال[2] ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾[3] مع نزولها عن المقام الأقدس. ومن أعجب ما يكون؛ أنّ الوضوء مِن أَكْل لحومها مسنون؛ لِشربها من بئر شطون. العَطاءُ يَرُدُّ الوَعْرَ وِطاء. الرفادةُ أعظم عبادة. الرجعة في الهبة مَثْلَبة، وإمضاؤها مَنقبة، والمواهب[4] مِن أَحمد مناقبِ الواهب. الخَوْد[5] جُوْد، وهو لأهل الوجود. ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾[6] حين أعطى المركب وسْقَه[7]. مَن أَسهره وَعْدُ النَّيْل؛ طال عليه الليل. في كشف الغِطاء ارتفاع الضرر، واحتداد البصر؛ فتوهبُ قدر ما تَرى، وليس هذا حديث يُفْتَرَى؛ إنّ "كلّ الصيد في جوف الفَرا"، وبهذا المَثَل جَرى.

يَشهد للمؤذِّن مدى صوته، ولكن بعد موته. زكاة المحبوب في الحبوب، وزكاة الأعيان في الحيوان، وزكاة عموم الطلب في الفضة والذهب. عمّت العطايا والعِدات[8] جميع المولّدات. أعطت الشمسُ الذهب، ولولا غروبُها ما ذهب. ومَن أعطاك مالك؛ فما خيّب آمالك. وقد أعطاك ما أوجبتِ المروءةُ عليه؛ فأصرف النظر فيه وإليه. ومَن أعطاك ماله فقد جاد وأنعم، وهو ما زاد على الحاجة فاعلم. الأرزاق أرفاق، بالقصد لا بالاتّفاق. الإنفاق يزيل الإملاق. لا ينزل الساري عن ظهر البُراق؛ حتى يجوز السبع الطباق، ولا يعطي الأرفاق؛ إلّا لمعرفته بالرزّاق.

---

(١) ق: والرجال
(٢) ق: الرحال
(٣) [النحل: ٧]
(٤) ص ٣٣
(٥) الخَود: الجارية الحسناء الناعمة، والسرعة ولعلها المقصودة هنا. وهي في س، ه: الجود
(٦) [طه: ٥٠]
(٧) الوسْق: الحِمْل
(٨) العدات: جمع وعد

ومِن[1] ذلك: سِرُّ العهد.. في الزيارة والقصد

-من الباب الموفي سبعين-

لولا قصدُ الزيارة ما جاءت الرسل، ولا مهّدت السبل. ولا بدّ من رسالة ورسول؛ فلا بدّ من سبيل. وهو صاحب العهد والعقد؛ فـ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾[2]. ما جاء؛ مَن جاء من عند المالك إلّا ليعرِّف ما هنالك. وهنالك مجهول غير معقول؛ بل أحالته بعض العقول، ولا يوجد في منقول؛ ولكن ردّ النقل؛ ما دلّ على إحالته العقل؛ فثبت المقرّ، وجعل إليه المفرّ، ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾[3] إلى ربّك المستقرّ. وعيَّن المناسك للناسك، وكثّرها لالتماسِك، وأوضحَ المسالِك للسالِك، وأَمَر كلّ قاصد إليه وآت؛ بتعظيم الشعائر والحرمات، وجعل البُدْن من شعائر الله عند كلِّ حليم أَوّاه، ولم يكن المقصود منها إلّا أَتمّ؛ بقوله -تعالى-: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾[4].

وما كثَّر -تعالى- المناسك؛ إلّا لالتماسك. فإنّه أمرك بمعرفته، والاتّصاف بصفته[5]. فللّه حجٌّ إلى عبده؛ لِصدق وَعْدِه. وجعل فيه مناسك معدودة وشرائع محدودة، فقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾[6] من الأحوال، كما أمركم أن تكونوا معه فيما شرع لكم من الأعمال. وأمركم برمي الجمرة، لترجعوا إلى التوحيد مِن الكَثرة في عين الكَثرة. وجعلها في أربعة أيّام، لكلّ طبيعة يوم، لنحوز درجة الكمال والتمام. وجعلها محصورةً في السبعين؛ لأنّها الأغلب في انتهاء عمر الأمّة المحمّديّة من السنين[7]، واختصّها بسبعة في عشرة ليقوم من ضربِها السبعون. فكانت السبعة لها عُشرا، لكونها عَشرا. وجعل ذلك في ثلاثة أماكن بمِنى؛ لما حازته النشأة الإنسانيّة مِن حِسّ وعقل وخيال فبلغتِ المُنى. فإن قيّدها العقلُ والحسُّ أطلقها الخيال؛ لما في قوّته من الانفعال. فهو أشبهُ شيء

---

(١) ص ٣٣ب
(٢) [الروم: ٤]
(٣) [القيامة: ١١]
(٤) [الحج: ٣٧]
(٥) ص ٣٤
(٦) [الحديد: ٤]
(٧) يمكن قراءتها في ق: الستين

بالصورة، وله مِن السوَر أعظمُ سورة. ثمّ شرع الحَلْق؛ لظهور الحقّ بذهاب الخَلْق. فإنّه شعور مجمَل؛ فإزالته بوضوح العلم أجمل. وشرع الوقوف بـ"جَمْع"[1]؛ حتى لا يدخل القُرْب صَدْع. وجعل الوقوف بعرفة؛ لأنّ[2] الوقوف عند المعرفة. وجعل لوفده أيّام منى مأدُبَة؛ لما ناله في طريقه من المشقّة والمسغَبة؛ فإنّه بالأصالة مسكينٌ ذو متربة. وكان طواف الصدَر لما صدر، وطواف القدوم للورود، والوداع لرحلة الوفود.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ العدد المكسور.. لاستخراج خفايا الأمور

-من الباب الأحد والسبعين-

العدد المكسَّر هو المعدود، ولا سيما إن اتّصف بالوجود، وأخذتْهُ الحدود. العدد له أحديّة الكَثرة التي لا نهاية لها يوقَف عندها. وأمّا استخراج خفيّات الأمور بالعدد المكسور؛ فذلك من حيث المعدود الداخل في الوجود، وما يدخله من التقسيم وهو عين العدد المفهوم، وبه يُخرج ما خفي من العلم بالله، المنزَّه عن الأشباه، ولا أخفى من العلم به؛ فانتبه إن كنت تنتبه.

وإنما قلنا في المعدود الحاصل في الوجود؛ إنّه عين العدد المكسور[3]؛ لأنّا اقتطعناه مما لا ينتهي من الممكنات، وعبّرنا عن هذا القدر بالمحدَثات. فهو جزء مِن كلّ، لا إحاطة فيه ولا حصر. ولا إحصاء، ولو بالغت في الاستقصاء. وما يحصى منه إلّا الموجود، وهو المعدود.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الرجعة.. من منزل الرفعة

-من الباب الثاني والسبعين-

من علامات صدق التوجّه إلى الله؛ الفرار عن الخلق. ومِن علامات صدق الفرار عن الخلق؛

(١) جمع هي مزدلفة
(٢) ص ٣٤ب
(٣) ص ٣٥

وُجودُ الحقّ. ومِن كمال[1] وُجود الحقّ؛ الرجوعُ إلى الخلق: إمّا بالإرشاد، وإمّا بكونه عين الحقّ. فَسَمِّه خلقا بوجه، وحقّا بوجه؛ كما يقوله أهلُ الوجه. فإنّ الوجه له البقاء؛ وهو الذات التي لها الاعتلاء. وقد جاء الإعلام في أصدق القول والكلام: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾[2] و﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ. وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾[3] ولكن هنا سِرٌّ من حيث ما هو عليها ولديها: فما كلُّ "كلّ" في كلِّ موضعٍ تَرِدُ فيه يعطي الحصر؛ فإنّه قد تأتي ويُراد[4] بها القصر؛ مثل قوله في الريح العقيم: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾[5] وقد مرّت على الأرض وما جعلتها كالرميم؛ مع كونها أتت عليها، وما جعل الحقّ الحكم في الأرض إليها.

* * *

ومِن ذلك: ما خفي في الصدور.. من علوم الصدور

-من الباب الثالث والسبعين-

الحقُّ المعتقَد في القَلب؛ هو إشارة إلى القلبِ؛ فاقلِبْ تَجِدْ؛ ما ثبت في المعتقَد. فإنّه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[6]، ومَن لم يثبت له ظلٌّ كيف يكون له فيءٌ. والقلب في الصدور؛ وهو الرجوع، لا واحد الصدور. فإنّا عن الحقّ صدرْنا، مِن كوننا عنده في الخزائن كما أعلمنا فعلِمنا. فهو صُدور، لم يتقدّمه ورود كما هو في بعض الأمور. فمن قال: إنّ الصدور بعد الورود؛ فما عنده عِلم بحقائق الوجود. فلولا ما نحن ثابتين في العدَم؛ ما صَحّ أن تحوي علينا خزائنُ الكرَم؛ فلها في العدم شيئيّة غير مرئيّة. فقوله: ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾[7] ؛ إذ لم يكن مأموراَ. فقيّده بالذِّكْر[8] في محكم الذِّكْر.

---

(١) ق: "علامات" وعليها خط إشارة المسح، وفي الهامش "كمال" وبجانبها "صح"
(٢) [القصص: ٨٨]
(٣) [الرحمن: ٢٦ ، ٢٧]
(٤) ص ٣٥ب
(٥) [الذاريات: ٤٢]
(٦) [الشورى: ١١]
(٧) [الإنسان: ١]
(٨) ص ٣٦

ومِن ذلك: سِرٌّ ما في الجهاد.. من الصلاح والفساد

-من الباب الرابع والسبعين-

ما تفسُد في الوجود صورة؛ إلّا وعينُ فسادِها أيضا ظهور صورة. فما نزال في الصوَر في حال النفع والضرر. فالجهادُ صلاحٌ وفساد؛ لأنّ فيه حَزَّ الرءوس، ومفارقةَ الحِسِّ المحسوسَ. فالشهيد يشبه الميْت فيما اتّصف به من الفَوْت. ولذلك يورَثُ مالُه، ويُنْكَح عيالُه. فطلاق الشهيد يشبه تطليق الحاكم على الغائب وإن كان حيّا إذا أَبْعَدَ في المذاهب. وقد ثبت عن سيّد البشر: «لا إضرار ولا ضرر» وقد علِم أنّ الشهيد هو سعيد بدار الخلود، وإن حصل تحت الصعيد، ولا سبيل إلى رجعته، ولا إنزاله مِن رفعته؛ مع كونه حيّا يفرح ويُرزق، وما هو عند أهله ولا طَلَّق. وهذه حالة الأموات، والشهداء ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ. فَرِحِينَ﴾[١] وهم عندنا رُفات. وما لنا إلّا ما[٢] نراه، و«لكلّ امرئ ما نواه»، ولا نحكم إلّا بما شهدناه. فاستمع تنتفع.

* * *

ومِن ذلك: تَرْك العِناد.. لِترك السداد

-من الباب الخامس والسبعين-

ترك العناد أحقّ؛ لما فيه من موافقة الحقّ؛ موافقة إرادة، لا عادة. إذا قعد المعانِد مقعد صدق؛ فقد حصل في مقطع حقّ. إن لم يعانِد أهلُ الحقّ أهلَ الباطل؛ فجيده[٣] ليس بحال بل هو عاطل؛ فتارِك العِناد هو تارك السداد. تقابلت الأسماء إذا لم يكن الاسم المسمّى. إذا كانت اليد بالنواصي؛ أنزلت العِصم من الصياصي[٤]، ولم تُغْنِها[٥] ما عندها من الصياصي.

العناد من الْمُحِقِّ في بعض المواطن؛ سَداد، ومِن المبطِل فساد. الأوّل ليس بمعانِد حتى يعانَد

(١) [آل عمران: ١٦٩ ، ١٧٠]
(٢) ص ٣٦ب
(٣) الجيد: العنق، والعاطل: الذي لا حليّ عليه
(٤) الصياصي: كل ما يُمتَنع به، وهي الحصون.
(٥) الحرف الثاني مهمل في ق، س

فيعانِد؛ فإن صمَتَ كان كمثل مَن بُهِت، والباهت مقطوع الحجّة، دارِس المحجّة.

القيامُ لله نعتُ الحليم الأوّاه. لولا قيامُه ما رمي في النار، ولا انخرقت العادة في الأبصار. هي نار في أعيُن الأنام[1]، وهي على الخليل بردٌ وسلام. فهو عندهم في عذاب مقيم، وهو في نفسه في جنّة النعيم. لمّا هبّت عليه الأنفاس؛ كان كأنّه في ديماس[2].

* * *

ومِن ذلك: ما في الخَلْوة.. من الجَلْوة

-من الباب السادس والسبعين-

لا خلوة في الوجود؛ لأنّه لا بدّ مِن شاهد ومشهود. في خلوة الأسرار جَلْوة الجبّار، وفي خلوة الأشباح جلوة الملازِمين من الأرواح. لا بدّ لك من مكان تَعْمُرُه؛ فهو يُبصرك وإن كنت لا تبصره. الخلوة إضافة ونِسب، ولا بدّ فيها من جَلوة سبب.

أين الخلوة والوجوه سافرة، والأعين ناظرة مسافرة؟ الناس سَفْرٌ وإن قاموا، ومقيمون وإن هاموا. فإن سافرت وحدك فأنت شيطان، وإن سافرت مع القرين فأنتما شيطانان، وإن سافرت مع القرين والملَك فما للشيطان عليك سلطان. «الثلاثة رَكْبٌ»، وانتقال من البُعْد إلى القُرْب؛ فما كلّ خلوة مشهودة، ولا كلّ جلوة تكون محمودة؛ معدومة كانت أو موجودة.

* * *

ومِن[3] ذلك: سِرٌّ ما في الجلوة.. من الخَلْوة

-من الباب السابع والسبعين-

الخَلْوة -بالخاء المعجمة- جَلْوة -بالجيم- مع الحقّ في مقعد صِدْق. أين يذهب العبيد ممن هو

(١) ص ٣٧
(٢) الديماس: الكِنّ.
(٣) ص ٣٧ب

إليهم أقرب من حبل الوريد؟! فالخلوة به، لا عنه؛ فله في كلّ شيء كُنه. فالخلوة مطلْقة لا تصحّ، ومَن ادّعاها فما أسرع ما يفتضح. ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[١] فأين الخلوة؟! ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾[٢]. لولا طلب الجَلوة؛ ما شرع أحدٌ في اتّخاذ الخَلوة. الخَلوة أَرضُها معبَّدة، وأحوالها مقيَّدة. والجلوة مطلوبة لذاتها، مشهودة بِسِماتِها.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الاعتزال.. في السواحل والجبال

-من الباب الثامن والسبعين-

الاعتزال في السواحل والجبال؛ من صفات الرجال، يُطلب ذلك للاعتبار في الآثار؛ فإنّ الله أنزل الجبال منزلة الأوتاد؛ فسكّن بها المهاد لَمّا ماد. فيأخذ، بهمّته وطلبِه، الأعلى والأَنْفَسَ من الأمور التي نَدب إليها شمُوخُها، ويأخذ[٣] بثبوته على ما أمر بالإقامة عليه من طاعة ربّه رُسوخُها، ويأخذ مِن تجلّي الحقِّ له في سرّه اندكاكها، ويأخذ من قوّته في دين الله وغيرته لله مِلاكها. ويأخذ فيما ندبه الله إليه من اللَّيْن لمن هو تحت حكمه والهَيْن، من غير ضَعْفٍ ولا وَهْن تصييرها لهول ذلك اليوم المنتظَر كالعِهْن. ويأخذ من البحار اتّساعها لأخلاقِه، وقبولها تأثير الأهواء بالتموُّج لِطيب أعراقِه. فيكون مع كلّ اسم إلهيّ بحُكمه؛ على قدر معرفته به وعِلْمِه؛ فتقوم له الأسماء مقام الأهواء. فإذا سَكَنَتْ عنه سكن؛ لِعلمه أن لله ما سكن. والله من حيث هويّته جامِع لمسمّى المضارّ والمنافع؛ فإنّه -سبحانَه- الضارُّ والنافع. ويأخذ لحال مجاهدته تَسجِيرها، ومِن تسجِيرِها تسعِيرها. فلهذا وأمثاله طلبَ الاعتزال في السواحل والجبال.[٤]

(١) [العلق: ١٤]
(٢) [الصافات: ١٠٢]
(٣) ص ٣٨
(٤) في الهامش بخط آخر: "بلغت القراءة"

ومِن ذلك: سِرُّ الاعتزال.. مع تدبير الأهل والمال

-من الباب التاسع والسبعين-

الاعتزال بالأجسام من الأوهام، وبالمعنى لِلمُحِبِّ المعَنَّى[1]. فلو خَلا شيءٌ عن الحقّ مع نفي الاشتباه ما صدَقَ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾[2] وهو القول الصدق والكلام الحقّ. فليس من رجاله؛ إلّا من اعتزل بتدبير أهله ومالِه. فهو مع الله على كلّ حال في الأهل والمال. فمن قال: التبرُّرُ في التَّرك؛ فهو صاحِبُ إفك. فمن اعتزل لينفرد بنفسه؛ فما هو مع ربّه فيما يستحقّه جلال الله في قُدسِه، ولا يفرّق صاحب هذا الحال بين عقله وحِسّه. وما طلب الحقّ من مَساكنه أعظم مِن باطنه.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ القرار.. في الديار

القرارُ للخلْق نظيرُ الاستواء للحقّ. واعلم أنّه لا يصحّ الجوار، ولا يُقبل الجُوّار؛ إلّا بعمارة الديار؛ فلا يثبت الجار إلّا بالدار. قالت العارفة المشهود لها بالكمال: ﴿ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾[3] دار المآل. فقدَّمت الجار على الدار؛ لمّا عَلِمت أنّ بالدار يصحّ الجوار. والعرشُ سقفُ الجنّة وهو محلُّ الاستواء، وقعرُ الجنّة سقفُ النار التي هي محلُّ البلاء. فالجنّة على جهنّم؛ كالمِرجل[4] على النار لأهل الاعتبار. فالرَّجُلُ كلّ الرجل مَن ثبت في مَنْزِله عند مُنَزِّلِه. مَن عرف عموم إحسان البَرِّ استقرّ. لا بدّ لك من منزل؛ فلا تكن عن أوّل منزل بمعزِل. وأوّل مَنازِلك؛ عِلم خالِقك بك. ولا تزال في هذا المنزل مع انتقالك، وفي حِلِّك وارتحالك. فاسترِحْ إن شئت أو اتْعب؛ فإنّك في عِلْمه تتقلَّب. ما فَرّ موسى من لقاء ربّه، مع عِلْمه أنّه يلقاه بموته؛ وإنما فَرَّ لِعِلمه بما يزيده من العلم بالله بإقامته في بيتِه[5]؛ ففرارُه قَرارُه.

---

(١) ص ٣٨ب

(٢) [البقرة: ١١٥]

(٣) [التحريم: ١١]

(٤) ص ٣٩

(٥) كتب في الهامش تعريف بيته: "يعني الجسم".

ومِن ذلك: سِرُّ الانتزاح عن الأوطان.. ومهاجرة الإخوان

-من الباب الواحد والثمانين-

حواسُك أوطانك، وقُواك إخوانك؛ فَهَبِ الأوطانَ للقُطّان، واهجر الإخوان بالرحمن. فإنّه - تعالى- القاطن بقوله: «وسعني قلب عبدي المؤمن التّقيّ»، ولا ينزل إلّا بالموضع النظيف النقيّ. وقال: «كنت سمعَه وبصرَه»؛ فهويّته عينُ قُواك لمن نظر فيه واعتبرَه[1]، فتعيّن على العارف أن ينتزح عن الأوطان، وعلى الواقف أن يهجر الإخوان؛ وأين الله من الحدَثان؟! كن مع الله في أحوالك؛ تحمد عاقبةَ مآلِك. وإيّاك أن تنازِع؛ إذا علمتَ أنّك الجامع. فإنّ المفاصلة موجودة[2]، وهي لِعَيْنك مشهودة.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الجُنَن.. عن البلايا والمحن

-من الباب الثاني والثمانين-

الجُنَن صَوارِف، وأقواها العوارِف، وأضعفها المعارِف. مَن كان ذا معروف؛ شاهَد المعروف. مَن تحصَّن خَلْف جُنّتِه؛ رأى جنّته[3] في جثّته. أعظم البلايا والمحن؛ وقوع الفِتن. وأيّ فتنة أعظم عند الرجال من فتنة الولد والمال. «الولد مجهلةٌ مجبنةٌ مبخلةٌ». والمال مالِك، وصاحبه بكلّ وجهٍ وإن فاز هالِك. إن مسكه أهلكه، وإن جاد به تركه. البخيل يذمّه البخل، والكريم يَضُرُّ به البَذل. وقد جُبِل بخلْقه من نطفة أمشاج؛ على[4] الفاقة والاحتياج. وقال زهير بن أبي سلمى[5]: لا بدّ أن يطيع العوالي مَن يَعْصِ أطراف الزجاج:

---

(١) ص ٣٩ب

(٢) ق: "مشهودة" ومكتوب فوقها بخط آخر: "موجودة".

(٣) رسمها في ق: حنته

(٤) ص ٤٠

(٥) زهير بن أبي سلمى (ت ١٣ ق.هـ): حكيم الشعراء في الجاهلية، ولد في بلاد مزينة بنواحي المدينة وكان يقيم في الحاجر من ديار نجد. قيل كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة فكانت قصائده تسمى الحوليات، أشهر شعره معلقته التي مطلعها: أَمن أُمّ أوفى دمنة لم تَكَلَّم   بحومانة الدرّاج فالمُتَثَلّمِ
وهي المعلقة التي جاء فيها هذا البيت موضع الاستشهاد هنا (الموسوعة الشعرية)

ومَن يَعْصِ أَطْرافَ الزجاجِ فإنّه   يُطيع العَوالِي رُكِّبَـتْ كلَّ لَهْـذَمِ[1]

مَن تعرّض للفتن؛ فقد أخذ بحظٍّ وافر من المحن. لا يُمتحن بالدليل إلّا صاحب الدّعوى؛ فمن ادّعى فقد عرّض نفسه للبلوى. ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2] فقلنا بالجرأة على الخطايا، ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[3] فحلّت الرزايا بحلول البلايا. يقول ابن السيّد البطليوسي[4] ﷺ في بعض منظومه:

أُرْجُ الإلهَ وخَفْهُ   هذا الصِّراطُ القَوِيمُ

قَدْ قَالَ رَبُّكَ في "الحِجْرِ"[5]   والإلهُ كَرِيْمُ

نَبِّئْ عِبادِيَ أَنِّي   أَنا الغفورُ الرحيمُ

وقالَ: إنّ عَذابِيْ   هُوَ العَذابُ الأَلِيْمُ

فالقَلْبُ[6] بَيْنَ رَجاءٍ   وبَيْنَ خَوْفٍ يَهِيْمُ

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الحجاب والحجّاب.. والوقوف خلف الباب

-من الباب الثالث والثمانين-

الحجاب والحجّاب رحمة والدليل إحراق السُّبُحات؛ والحِجاب نقمة والبرهان ما جاء في أصحاب الدركات. وليس الوقوف خلف الباب بحجاب؛ إذا كان الباب يستحيل إلى مَن يكون خلفه الوصول، والإقامة لديه والنزول؛ فيكون الباب عين المطلوب؛ فإنّه المحبوب. فإذا وصلتَ إليه؛ حصلتَ بين يديه؛ فمَن ساعدَه شاهدَه.

---

(١) اللهذم: كل شيء حاد من سنان وسيف قاطع، قال ابن السكيت يقول: من عصى الأمر الصغير صار إلى الأمر الكبير.
(٢) [الحجر: ٤٩]
(٣) [الحجر: ٥٠]
(٤) ابن السيد البطليوسي (٤٤٤-٥٢١هـ): من العلماء باللغة والأدب، ولد ونشأ في بطليوس في الأندلس وانتقل إلى بلنسية فسكنها وتوفي بها، له مؤلفات في الأدب والفقه والتاريخ تزيد عن العشرة. (الموسوعة الشعرية)
(٥) يقصد سورة الحِجر
(٦) ص ٤٠ب

ومِن ذلك: سِرُّ الحدود.. والعقود

-من الباب الرابع والثمانين-

الحدودُ أظهرت المحدود؛ والعقود أسَرَّتِ المعقود؛ وما ثَمّ إلّا حَدٌّ وعقد؛ في ربٍّ وعبد. فَحَدُّ[١] الربِّ في ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[٢] فتميّز؛ وَحَدُّ العبد في الظِّلِّ والفيء قد تبرَّز. فالحدُّ المجهول معقول؛ والحدُّ الموجود مشـهود. تنوّعت الحدود الإلهيّة: بالعَماءِ، والاسـتواء، والنزول، والمعيّة. فلم ينحصرـ الأمر ولم ينضَبِط؛ ولهذا يحار العالِم فيه ويختبط. فمن سلّم فقد سَلِم؛ ومن آمن فقد أسلم.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ التّقوى.. في البلوى

-من الباب الخامس والثمانين-

الارتقاء؛ في الاتّقاء في دار الفناء، لا في دار البقاء. مَن اتّقى الله في موطن التكليف على كلِّ حال؛ حاز درجة الكمال عند الارتحال. الأمر بلوى؛ فاسـتعِن عليه بالتّقوى. لا تقوى إلّا بالله؛ ولا تقوى إلّا من الله. فمنه الحذر، وبه يُتَّقى الضـرر. قد استعاذ به منه؛ مَن أخذْنا طريقَ نجاتنا عنه. فَبِه يُلاذ؛ ومنه يُسـتعاذ. فأنت الداء والدواء، ومُحرشُ[٣] الأعداء على الأَوِدّاء. حكم التُّقى في يوم اللقاء؛ إذا[٤] تراءى الجمعان، واجتمع في الصـورة الفريقان. فإنّها خلافة عامّة يظهر سِرُّها يوم الطامّة. فلأيِّ معنى الواحدة تنجو، والأخرى لا ترجو؟ فالجبابرة والأنبياء في الأرض خلفاء.

(١) ص ٤١
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) حرش بينهم: أفسد وأغرى بعضهم ببعض
(٤) ص ٤١ب

ومِن ذلك: سِرُّ الأحكام.. في الأنام

-من الباب السادس والثمانين-

الأحكام في النيام من الأنام، والحِكم في القائمين من المنام. لولا الحُكم ما ظهرت الحِكَم، ولا مُيِّزت النِّقم من النِّعَم. لولا الشروع في الأحكام؛ ما التذَّ أحدٌ بمنام، ولا انتصبَ في العالَم إمام. فبالحكم انضبط، وكان النظام وارتبط. وحصل الأمان في النفوس، وأمِن -في الغالِب- التعدّي على المحسوس. فحدثت الأسفار إلى الأمصار، وكان الرجل آمنًا في رحلته عن أهله وماله عليهم بهذا الاعتبار. وهذا حكمٌ أعطاه الوضع؛ ولو لم يَرِد به الشرع. فلا بدّ من ناموس لأمان النفوس، وأوْلاه ما شرع، وفيه النجاة[1] لمن اتّبع.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الطالِع والآفِل.. في الفرائض والنوافل

-من الباب السابع والثمانين-

إذا طلع منك وأَفَل فيك؛ فهذا القدْر من العلم به يكفيك. فهو الظاهر بطلوعه، والباطن بأُفوله؛ فقف إن أردتَ السعادة والعلم عند قِيله. إنما لم يحبَّ الخليلُ الآفِل؛ لأنّه رآه يطلب السافل. وهمّته في العُلُوّ لطلب الدنوّ؛ فإنّه بذاته يَسْفُل وبحقيقته يأفُل. ولمّا كان أُفوله من خارج؛ افتقر الخليل إلى معارج؛ حتى لا يفقد النجم، فلا يُحال بينه وبين العِلم. والمعارج رحْلة، وقد علم أنّ الأمر ما فيه نِقْلَة. فإنّ نِسبة الأينيّات إليه على السواء: في الاستواء وفي غير الاستواء. جعل الله في النوافل عينَك كونَه، وجعل في الفرائض كونَك عينَه. فَبِك يبصرك في الفرض، وبه تُبصر في النفل؛ فالأمر ذرّيّة بعضها من بعض.

ما[2] هُوَ عَنْكَ بَلْ أَنْتَ عَنْهُ   فأَنْتَ مِنْهُ ما أَنْتَ مِنْهُ

---

(١) ص ٤٢

(٢) ص ٤٢ب

ومِن ذلك: سِرُّ اجتناب الشُّبْهَة.. في كلّ وُجْهَة

-من الباب الثامن والثمانين-

حقيقة الشُّبْهَة؛ أن يكون لها إلى كلّ وجْهٍ وِجْهَة. والشيء لا يزول عن حقيقته، ولا يعدِل عن طريقته. لأنّه لو زال عن حقيقته لَزالَ العِلم، وطُمِسَ عينُ الفَهم وبطل الحُكم، وزالت الثقة بالمِقة(١). المتشابِه محكمَ لمن عَلِم فحكم. مَن أَشبهك فقد أشبهته، ومَن باهتك فقد بهتّه. ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ﴾(٢)؛ فما ثَمّ شبهة أنت وغيرك متولّيها. العالم شبهة بالتحلّي؛ ولهذا أشبَهته في التجلّي. ألا ترى اختلاف الصور عليه عند النظر إليه؟ لا بل هو يختلف على الصور، وهو العليّ عن الغِيَر. الكلُّ عينٌ واحدة فلا اختلاف، وما ثَمّ عدد فيكون الائتلاف. فحقيقة الشَّبَه في الشُّبَه.

* * *

ومِن(٣) ذلك: سِرُّ تناول الشهوات في المتشابهات

-من الباب التاسع والثمانين-

لا سلوة عن الشهوة؛ فإنّها من حقيقة النشأة؛ هنا وفي الفيئة. في المتشابهات؛ الميل إلى جميع الجهات. ما العجب من كون العالَم على الصورة؛ وإنما العجب ممن يراه برزخا في السورة. والبرزخ بين طرفين، وما ثَمّ سِوَى عينين. أنت ومن أنت عنه، والكلُّ جميعا منه. عندنا لا يثبت البرزخ(٤) إلّا في العين الموجود؛ لأنّه بين الأعين الثابتة المعدومة وبين الوجود. فمن راعى هذا المقام الأشمخ؛ ثبت عنده أنّ العالَم في حال وجوده برزخ. فلو رُفع العالَم عن الوجود؛ لَزال البرزخ المحدود. تشابهت الأمور(٥) بالأمثال؛ تشابُه الأجسام الكثيفة بالظلال ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُۤ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعًا وَكَرۡهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾(٦).

---

(١) المقة: المحبوب
(٢) [البقرة: ١٤٨]
(٣) ص ٤٣
(٤) ثابت في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب
(٥) ثابت في الهامش بقلم الأصل
(٦) [الرعد: ١٥]

ومِن ذلك: سِرُّ ما اختار الرجال.. في ترك الحلال

-من[1] الباب التسعين-

المُحْرِمُ مُحِلٌّ إذا كان في الحِلّ، والحلال حرام إذا كان في الحرام. ما ترك الرجال الحلال؛ إلّا لدخوله تحت الأحكام؛ إلّا ما لا بدّ منه لإقامة هذه الأجسام. «الحلال بيّن والحرام بيّن»، وما بينهما قد عيّنهما. فلو ارتفع البيْن؛ لزالت الأحكام من العين. إذا حقّقت الأصول؛ فليس الزهد إلّا في الفضول. وأمّا ما تدعو الحاجة إليه؛ فذلك المعَوَّل عليه، لا يصحّ عنه تجريد؛ فإنّ غذاء الموحِّد في التوحيد؛ كتغذّي الوجود بالموجود، والحدِّ بالمحدود[2]، والعدد بالمعدود، والشهود بالمشهود. فالسبب لا يرتفع، والنِّسب لا تندفع.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ مَن لم يقل بالانتزاح.. عن المباح

-من الباب الواحد والتسعين-

ليس من الصلاح الانتزاحُ عن المباح؛ فبِه قُوتك وما يفوتك، هو نصيبك من الأحكام والناس عنه نِيام. نفى عنه الأَجر والوزر، وما عندنا حكم ينتفي عن المؤمن به الأجر. فلو تعطّلت الأُجور[3]؛ لالتبست الأمور. وما ثَمّ ما يلتبس فالتمس، ولا تَبتئِس فتفتلس. لو صحّ في الوجود اللَّبْس؛ لصحّ بالصورة بين اليوم والأمس. وأمّا كون العبيد "في لَبْسٍ من خلق جديد"؛ فما هو لمن بصره حديد. فإذا كُشِف الغطاء، وجاء العطاء؛ تسرَّحت الحواسّ وارتفع الالتباس، وتخلَّص النصُّ وزال البحث والفحص. فالمباح أَتمّ حكمٍ شرعٍ للإنسان، وعليه جميع الحيوان. ألا ترى أنّ لهم الكشف التامّ في اليقظة والمنام، ولهم الكتم؛ بما هم عليه في الإبانة مِن الحُكْم؟

---

(١) ص ٤٣ب

(٢) "والحد بالمحدود" ثابت في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب

(٣) ص ٤٤

ومِن ذلك: سِرُّ العَطاء.. بكشف الغِطاء

-من الباب الثاني والتسعين-

كلّ جزء من العالَم فقير إلى العظيم[1] الحقير. فالكلّ عبيد النِّعم، ومِن النِّعَم الأمان من حلول النِّقَم. فما منهم إلّا مَن يقرع باب الكرم الإلهيّ والجود الربّاني. فمنهم مَن يكون له كشفُ الغطاء عينَ العطاء، ومنهم مَن يكون له بقاءُ الغطاء عينَ العطاء. فمِن الناس مَن يكون[2] هُدهديّ البصر، ومنهم من هو خُفّاشي النظر؛ فإنّ الأمر إضافيٌّ، والحكم في الأشياء نِسْبِيٌّ. أين حال قوله ﷺ في رؤية ربّه: «نُورٌ أَنَّى أَراه» وبين قوله في رؤية ربّه: «ترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر» وليس المرئيّ سِوَاه. فأَثبتها لنا ونفاها عنه لما علم منه، ولم يقل: "نرى" بالنون، وفيه سِرّ مصون.

* * *

ومِن ذلك: (سِرُّ) إيثار السكوت.. وملازمة البيوت

-من الباب الثالث والتسعين-

السكوتُ حِلْيَةُ الأبدال، وملازمةُ البيوت ضَرْبٌ من الخلوات والاعتزال. السكوت مِن المحال؛ فلا بدّ من نُطْقٍ على كلّ حال. وليس مِن شرط البيان حركةُ اللسان؛ فإنّ لسانَ الحال أفصح، وميزانها في الإبانة عن نفس صاحبها أرجح. وملازمةُ البيوت عينُ النطق بلسان الحقّ. ومَن سكت بَكَّت، وربما رُمِيَ بالخرس وقام له مقام الجرس؛ فظهر سِرُّه وإن جهل أمره، وصار حديثا بين الناس، ووقع[3] في النفوس منه التباس، وكثرتْ فيه القالات وتطرّقتْ إليه الاحتمالات؛ ففتح بِصَمْتِهِ أبوابَ الألسنة، وعَمَرَ بملازمة بيته جميعَ الأمكنة؛ فإنّ له في كلّ محفِلٍ ذِكْرا؛ فقد جاء شيئا إمرا. لو لم يكن في السكوت وملازمة البيوت إلّا اتّصاف صاحبه بصفةٍ غير إلهيّة، مضاف إلى

(١) العظيم هنا: كل ما عظم من الأشياء
(٢) ص ٤٤ب
(٣) ص ٤٥

ذلك ما تحيله الماهيّة. فإنّ النطق مِن حَدِّه؛ فكيف يقول بفقده؟!.

* * *

ومِن ذلك: سِرٌّ ما في القول.. من الطُّول

-من الباب الرابع والتسعين-

لو لم يكن في القول من الطول؛ إلّا وجود الإنشاء وترجيح الإفشاء، وتحقيق المِلك والزيادة في المُلك. القول تكوينٌ وتعيين، وبيان ما هو الأمر عليه؛ فكيف يُتْرَك ولا يُنْظَر إليه؟ ما شرُفَ موسى عليه السلام إلّا بما نُسب إليه من الكلام. بالكلام وُجِد العالَم فظهر على أتمّ نظام. وكلُّ قول بحسب حقيقة القائل؛ فمنه الدائم ومنه الزائل[1]. فمن قولٍ لا يكون إلّا بحرف، وهو على الحقيقة لمعنى القول كظرف. ومن قولٍ لا حرف فيه فيزول؛ فقد أبنتُ عن الأصول.

* * *

ومِن ذلك: سِرٌّ قيام الليل.. لجزيل النيل

-من الباب الخامس والتسعين-

قيامُ هذه الأجسام أَوجبَ اسمَ ذي الجلال والإكرام. فالتزم الجلال والإكرام التزام الألف واللام. فكان الجلال للتنزيه عن التشبيه، وكان الإكرام للتنويه به في نفي التشبيه بالشبيه. فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[2] مَع أنّه ظِلٌّ وَفَيْء. فجعله مِثلا لا يماثَل، ومفضولا لا يفاضَل. فليلُ هذه النشأة جسمُه الطبيعيّ، ونهارُه ما نفخ فيه الروح العقليّ، فكان أَعدل الفتائل لقبول كرم الشمائل. فله الألطافُ الخفيّة، وجزيلُ الأُعطية المنزّهة عن الكميّة، لها فتح الباب والعطاء بغير حساب. النشأة الإنسانيّة بجميعها ليل، وفي الثلث الآخر منها يكون النزول[3] الإلهيّ لينيلَه أجزلَ النيل. ولم يكن الثلث الآخر إلّا الروح المنفوخ؛ الذي له الثبات والرسوخ، والعلوّ على الثلثين والشموخ. فالثلث

(١) ص ٤٥ب
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) ص ٤٦

الأوّل هيكله الترابيُّ، والثلث الثاني روحه الحيوانيُّ، والثلث الأخير به كان إنسانا، وجعل الباقي له أعوانا.

* * *

ومِن ذلك: سِرٌّ تعشّق القوم.. بالنوم

-من الباب السادس والتسعين-

الخيال عينُ الكمال، لولاه ما فضُلَ الإنسان على سائر الحيوان. به جال وصال، وافتخر وطال، وبه قال ما قال مِن: "سبحاني" و"إنني أنا الله" وبه كان الحليم الأوّاه. فله الشتات، والجمع بين أضداد الصفات. حَكَمَ على المحال والواجب بما شاءه من المذاهب. يخرق فيهما العادة، ويلحقهما بعالَم الشهادة؛ فيجسِّدهما في عين الناظر، ويلحق الأوّل في الحكم بالآخر. لا يثبت على حال، وله الثبوت على تقلُّب الأحوال. فله مِن آي القرآن ما جاء في سورة الرحمن(١)، من أنّه -تعالى- كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(٢) ولا بشيء من آلائك ربّنا نكذّب؛ فإنّا من جملة نعمائك.

* * *

ومِن ذلك: سِرٌّ الحذَر من القدر.. لاتّقاء الضرر

-من الباب السابع والتسعين-

سِرُّ القدر؛ وساطة الحقّ بين المؤثِّر والمؤثَّر فيه والأثر. فيُنْسَب الأثر إليه، وهو ما أوجده إلّا على ما كان عليه، ولا شيء منه في يديه. ما حكم فيه إلّا بما أعطاه من ذاته في ذاته، وفي جميع أحواله وأسمائه وصِفاتِه. والذي يختصّ بالموجود إعطاء الوجود والشهود، وهي نِسَبٌ لا أعيان، وتكويناتٌ لا أكوان. والعين هي العين؛ لا أمر زائد فالشأن واحد. فمِن سِرِّ القدر؛ كان العالَمُ سمعَ

---

(١) ص ٤٦ب

(٢) [الرحمن: ٣٠]

الحقّ والبصر ــ وهذا العلم هو الذي يعطيه إقامة الفرائض المشروعة، الواجبة المسموعة. كما أعطت النوافل أن يكون الحقُّ سمعَك وبصرَك؛ فحقِّق فيما أبديْته لك[1] نظرَك. فإنّك إذا علمتَ حكمت، ونَسَبْتَ ونَصَبْت، وكنتَ أنت أنت. وصاحبُ هذا العلم لا يقول قطّ: "أنا الله" وحاشاه مِن هذا حاشاه. بل يقول: أنّا العبد على كلّ حال، والله الممتنّ عليّ بالإيجاد وهو المتعال.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الأمان من الإيمان

-من الباب الثامن والتسعين-

أُخُوّة الإيمان تعطي الأمان، و«الإيمان يمان» فذهب الحِرْمان. لا تخيفوا النفوس بعد أَمْنِها إن كنتم عقلاء، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَـٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾[2] إن كنتم أُمناء. الإيمان برزخ بين إسلام وإحسان؛ فله من الإسلام؛ ما يطلب[3] عالَم الأجسام، ومحلُّ الانقسام. وله من الإحسان؛ ما يشهد به المحسان. فمن آمن؛ فقد أسلم وأحسن. ومَن جمع بين الطرفين؛ فاز بالحسنيين. بالإيمان ثَبَتَ النَّسب بينك وبين الرحمن. فهو المؤمن بك ولك؛ وإن أقامك فيما يناقض أَمَلَك. لولا أسماءُ الحذَر[4]؛ ما كان للأمان أثر. قُيِّدت الأسماء بالحسنى؛ لدلالتها على المسمّى الأسنى. فإنّ نظر العالم (هو) إلى تشتّت مبانيها، واختلاف معانيها، وفيماذا تتحِّد، وبماذا تنفرد. بأُخوّة الإيمان تَرِث؛ فلا تأسف على أُخوّة النَّسب ولا تكترث. «المؤمن أخو المؤمن لا يُسلِمُه»، وما ترك فهو يتسلّمه.

الإيمان والإحسان إخوان، والإسلام بينهما نَسبٌ رابط فلا تغالِط. الإسلامُ صراطٌ قويم، والإيمان خُلُقٌ كريم عظيم، والإحسانُ شهودُ القديم. لولا الإحسان ما عَرَف صورتَهُ الإنسان؛ فإنّ

(١) ص ٤٧
(٢) [النحل: ٩٤]
(٣) س، هـ: ما يطلبه
(٤) ص ٤٧ب

الإيمان تقليد، والعلم في شاهد ومشهود. إذا صحّ الانقياد؛ كانت علامته خرق المعتاد. «المؤمن مَن أمِنَ جارُه بوائقَه»، والمحسن مَن قطع منه علائقه، والمسلم مَن حقّق عوائقَه، وجعلها إلى مطلوبه طرائقَه. فسلك فيها سَواء السبيل، ولم يجنح إلى تأويل. فعرَّس في أحسن مقيل؛ في خفضِ عيش وظِلٍّ ظليل، ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ. وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾(١) ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ. وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ. لَّا(٢) مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ. وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾(٣).

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الأمَل.. مع توقّع الأجَل

-من الباب التاسع والتسعين-

مَن مال إلى الآمال؛ اخترمَتْهُ الآجال. لله رجال أعطاهم التعريف طرْحَ التسويف؛ فأزال عنهم الحذرُ والخوف السينَ وسوف. تعبّدهم الحال في زمان الحال. ليس بالمُواتي مَن اشتغل بالماضي والآتي. إذا عَلِم صاحِبُ الأمَل؛ أنّ كلّ شيء يجري إلى أجَل؛ اجتهد في العمل. فإذا انقضى العدد، وانتهت المُدد، وطال الأمد، وجاء الرحيل، ووقف الداعي على رأس السبيل؛ لم يَحُزْ قصب السبق؛ إلّا المضمر المهزول في الحقّ. إنما لم يصحّ الأمل في السبب الأوّل، ولا كان من صفات الأزل لأنّه ما ثَمّ ما يؤمَّل. فإنّ العين مشهود، والكلّ في حقّه موجود، وإن كان لعينه يتّصف بأنّه مفقود. فلم يبق للأمَل متعلَّق، ولم تكن له عين تتحقّق. والإنسان الكامل(٤) مخلوق على الصورة؛ فمن أين اتّصف بالأمل، وليس له في الأزل سورة؟ لقد نبّهتُ على سِرٍّ غفل عنه العلماء، ولم تعثر عليه الحكماء!. واسمع الجواب من فصل الخطاب.

اعلم «أنّ الله كان ولا شيء معه» في كونه من حيث عينه. فليس لمخلوقٍ عين في ذلك الكون؛ مع تعلُّق العلم من العليم أنّ ثَمّ حادثا يتميّز عن القديم، يتأخّرُ كونُه تأخُّرَ وجود؛ كتأخُّرِ الزمان عن

---

(١) [الواقعة: ٢٨ ، ٢٩]
(٢) ص ٤٨
(٣) [الواقعة: ٣١ - ٣٤]
(٤) ص ٤٨ب

الزمان في غير زمان محدود. فذلك القدر المعقول الذي تضبطه الأوهام وتحيله العقول؛ منه كان في المخلوق الأمل، وهو الذي أحدث الأجل. فأظهر الاسم الأوّل بالاسم الآخر عين الأمل بتأخُّر العمل، وحكم العلم بكونه في عينِهِ؛ فأراد فقال؛ فكان؛ فظهرت الأعيان، وفي حال الإرادة لم تتّصف العين بالكون. فالإرادة أثبتت عين الأمل لمن نظر وتأمّل.(١)

⋆ ⋆ ⋆

ومِن ذلك: سِرُّ إجابة الدعاء.. لا رغبة في العطاء

-من(٢) الباب الموفي مائة-

لَبِّ إذا دعاك الحقُّ إليه، لا رغبة فيما في يديه. فإنّك إن أجبتَه لذلك؛ فأنت هالك. وكنتَ لمن أجبت، وأخطأتَ وما أصبت. واستعبَدك الطمع واسترقّك، وأنت تعلم أنّ الله لا بدّ أن يوفِّيك حقّك. فمن كان عبدا لغير الله؛ فما عبد إلّا هواه، وأخذ به العدوّ عن طريق هُداه. التلبية تولية؛ فلا تُلَبِّ إلّا الداعي؛ فإنّك لما عنده الواعي. ما اختزن الأشياء إلّا لك؛ فقصِّر أَمَلَك، وخلِّص لله عملَك. ومَن علِم أنّه لا بدّ من يومه؛ فلا يعجل عن قومه. من عناية الله بالرسول المبجَّل؛ تخليص الاستقبال في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾(٣) حتى لا تعجل.

⋆ ⋆ ⋆

ومِن ذلك: سِرُّ العلم.. المستقرّ في النفس بالحكم

-من الباب الأحد ومائة-

العِلم حاكم؛ فإن لم يعمل العالِم بِعلمه فليس بعالِم. العلم لا يُمْهِل ولا يُهمِل. العِلم أوجب الحكم. لَمّا علم الخضر حَكَم، ولَمّا لم يعلم ذلك صاحبُه اعترض عليه(٤)، ونسي ما كان قد ألزمه؛ فالتزم. لمّا علِم آدمُ الأسماءَ عَلَّم، وتبرَّز في صدر الخلافة وتقدَّم. العلمُ بالأسماء كان العلامة على حصول

(١) في الهامش: "بلغ قراءة ومقابلة وسماعا على المؤلف، أيده الله تعالى".
(٢) ص ٤٩
(٣) [الضحى: ٥]
(٤) ص ٤٩ب

الإمامة.

العِلْمُ يَحْكُمُ والأَقْـدارُ جـارِيَـةٌ　　وكُلُّ شَيْءٍ لَهُ حَـدٌّ ومِقْـدارُ
إلّا العُلُوم الَّتِي لَا حَدَّ يَحْصُرُها　　لَكِنْ لَها في قُلُوْبِ الخَلْقِ آثارُ
فَحَدُّهَا مَا لَها فِي القَلْبِ مِنْ أَثَرٍ　　وعَيْنُهـا فِيْـهِ أَنْجـادٌ وأَغْوارُ
فَلَوْ تُحَدُّ بِحَدِّ الغَوْرِ ناقِضَـــهُ　　حَدٌّ لِنَجْدٍ فَفِي التَّحْدِيْدِ أَضْرارُ

افهم قولَه تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾[1] فتعلم إن كنت ذا فَهْم مَن أعطاه العلم. مَن علِم الشيء قبل كونه، فما علِمه من حيث كونه، وإنما علِمه من حيث عينه، من أين علم أنّ العين يكون وليس في العدم مكون؟ هذا القدْر من العلم أعطاه جُودُه وحكم به وُجُودُه.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ[2] تغيّر العلم.. لتغيّر الحكم

-من الباب الثاني ومائة-

أَعطى علمُ التحقيق وعلمُ الرسوم أنّ العِلم يتغيّر بِتَغيُّر المعلوم، ولا يتغيّرُ المعلومُ إلّا بالعِلم؛ فقل لنا كيف الحكم؟! هذه مسألةٌ حارتْ فيها العقول، وما ورد فيها منقول؛ فكيف أقول؟! منهجُ الأدلّة: أنّ العلّةَ لا تكون معلولةً لمن هي لَه عِلّة، ما أُتِيَ على مَن أُتِيَ من الالتباس؛ إلّا من إلحاق الغائب بالشاهد في القياس. فمِن فساد النظر: حُكْمُك على الغائب حُكْمُك على مَن حضر. لكلِّ مقام مقال، وأين الواجب، من الممكن، والمحال؟ وأين الحالُّ من المَحَال؟ لكلِّ عين حدّ عند كلّ أحد؛ فلا تغرّنّك الأمثال؛ فإنّها عين الإضلال.

---

(١) [محمد: ٣١]
(٢) ص ٥٠

ومِن ذلك: سِرُّ شكوى الحقّ.. بالخَلْق

-من الباب الثالث ومائة-

أخبرنا الحقُّ المالِك في بعض المناسِك والمَسالِك، فقال[١] وأطال: «شتمني ابنُ آدم ولم يكن ينبغي له ذلك، وكذَّبني ابنُ آدم ولم يكن ينبغي له ذلك». ثمّ شرح وأوضح، وأعطى المفتاحَ مَن شاء أن يَفتح، مَن فتح حصَّل جزيل المِنح. فعرَّف العليُّ ما أُوذي به لينصَره الوليّ. ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾[٢] كما أنّكم إن ذكرتموه يذكركم. فما ذَكَر إلّا ليُنْصَر فيَنْصُر. فمَن تأسّى بالحقّ أصاب، ومَن ترك الاقتداء به خاب. ننصره في الدنيا لينصُرنا في العقبى. وقد ينصرنا هنا رحمة منه بنا لعدم صبرنا. وهو سبحانه الصبور، مدهِّرِ الدهور، الذي يُمْهِل ولا يعجَل؛ ومَع هذا طلب النصر منّا في الدنيا واستعجَل. وذلك لحكمة الوفاءِ بالجزاءِ.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ شكوى الخلق.. بالحقّ

-من الباب الرابع ومائة-

خاطب أحكمَ الحاكمين: ربِّ ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٣]، وأخبر عن هذا الشاكي في نَصِّ الكتاب[٤]: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾[٥]. فمَن اشتكى إلى غير مشتكى فقد حاد عَنِ الطريق، وعرج عن مناهج التحقيق. الخلق مشتكى الحقّ، والحقّ مشتكى الخَلْق. مَن شكا إلى جنسه؛ فما شكا إلّا إلى نفسه، ومَن شكا ما قام به من الأذى إلى نفسِه فقد هَذَى. ما شكا الحقُّ من عباده إلّا إلى مَن خلَقه على صورته، وأنزله في سورته. ولولا اقتدارُه على دفع الأذى؛ ما جَرَى مِنْهُ مِثل ذا.

(١) ص ٥٠ب
(٢) [محمد: ٧]
(٣) [الأنبياء: ٨٣]
(٤) ص ٥١
(٥) [ص: ٤٤]

ومِن ذلك: سِرٌّ مراعاة الحقّ.. في النطق

-من الباب الخامس ومائة-

لا تقل: "نحن إيّاه"؛ لقوله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾(١). أنت الترجمان، والمتكلِّمُ الرحمن. تَقيّدَ كلامُ الله بالأمكنة؛ بكونه في المصاحف والألسنة. الحروف ظروف، والصفة عينُ الموصوف. فإذا نطقتَ فاعلم بمن تنطِق؛ فعليك بالصدق. ومَن كذب صدَق؛ فلا تعدِل وراعِ الحقّ. مِن عباد الله مَن يكون الحَقُّ(٢) لسانَه وبيانَه، ومِن عباده مَن لا يعلم ذلك فيُنزِّه ولا يُشبِّه؛ فيُكذِّب الحقَّ في ذلك وهو في ظنّه أنّه على الحقّ يُنبِّه. التنزيه تحديد فلا تقل بالتجريد، وقل بالحيرة؛ فإنّها أقرب حدٍّ في الغَيرة. العجز نعتُ المثْني؛ فإن قال فلا يثنّي؛ فإنّه لا بدّ أن يقف ويعترف؛ فليقف في أوّل قَدم فإنّه أَوْلَى بالقِدم؛ وإن مشى نَدِم، ولم يجد له في توجّهه موضع قَدَم؛ فلا يحصل النَّسَب إلّا لمن عرف النِّسَب.

* * *

ومِن ذلك: سِرٌّ أين كونُك.. إذ هو عينُك؟

-من الباب السادس ومائة-

أينيّة العماءِ للجهلاء، وأينيّة السماءِ للعلماء، وفَاءُ العماءِ لِسيّد النُّبَئاء، وفاء(٣) السماء للسوداء المنعوتة بالخرساءِ؛ فنابتْ منها الإشارة مناب العبارة. فاجتمع الجاهل والعالِم في تعيين هذه المَعالِم؛ ولكن للربّ المضاف الذي ما فيه خلاف. وأمّا ظرفيّة استواء العَرْش، وظرفيّة أحوال أصحاب(٤) الفَرش؛ فالواحدة للرحمن والأخرى لعالَم الإنسان. فهذه أربعة؛ لمن صفته إمَّعة.

وإنما كانت أربعة لإقامة السلطان على مسالك الشيطان. فجعل وَجْهَه في كلِّ وِجْهَة ليعصِم مَن شاء، ويحفظ مَن شاء. فإنّ الحقَّ مع بعض عباده بالولاية عناية، وبالكلاءة والرعاية. فله -

(١) [التوبة: ٦]
(٢) ص ٥١ب
(٣) ق: "وكيان فاء" وهناك إشارة استبعاد "كيان"
(٤) ص ٥٢

تعالى- عيْن في كلّ أين. ولذلك قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾[1] فجمَع، والقولُ الحقّ إذا جاء صدَع. فكلُّ مدبِّر عيْنُه، وكلُّ عامِلٍ يَدُهُ وكونُه. فالله في السماء وفي الأرض، وبيده ميزان الرفع والخفض. ﴿يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾[2] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[3] وكذلك أكثرهم لا يؤمنون.

فلنا أينيّات الأكوان في الأحوال والظروف، وله أينيّة الكلمات والحروف. فهو المجهول المعروف، والمنزَّه الموصوف.

حكمتْ العقول بأدلّتها عليه: أنّا به وإليه. فـ﴿إِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾[4] إذ كلّ ما في الكون ظلُّه. فالكلّ بالمجموع مثال، ومن حيث الكثرة أمثال؛ فلم يسجد له إلّا الظلال في الغدوّ والآصال. ولها[5] التقلُّص والامتداد؛ لأنّها من كثائف الأجساد. فعَبَّر عنها بالعباد، فمنهم المتكبِّرون والعُبَّاد. فَمَن تَعَبَّد أشبه ظِلّه، ومَن تَكَبَّر أَشبهَ أصله. والرجوع إلى الفروع أَوْلَى من الوصول إلى الأصول. فتحقّق؛ تكن من أهل الحقّ.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ قطع الأمل.. بمشاهدة الأجل

-من الباب السابع ومائة-

إذا أراد الله بعبده أن يقطع أَمله؛ يُشْهِده أَجلَه. "اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غدا". فيبذل جهده، ويزهد فيما عنده. ويقدِّم ما ينبغي أن يقدَّم؛ تخلُّقا بالاسم الإلهيّ المقدِّم. وينبغي أن يؤخِّر ما ينبغي أن يؤخَّر؛ تحقُّقا بالاسم الإلهيّ المؤخِّر. فيحكم في نفسه لنفسه، ويندم في يومه على ما فرّط فيه في أمسِه؛ ليجبر بذلك ما فاته، ويحيي منه بالندم ما

(١) [القمر: ١٤]
(٢) [الأنعام: ٣]
(٣) [الأعراف: ١٨٧]
(٤) [هود: ١٢٣]
(٥) ص ٥٢ب

أماته.

فإذا أقامه مِن قبرِه؛ فذلك زمان نشرِه وأوان حشرِه[1]. فيبدّل الله سيّئاته حسنات، ويُنقل من أسافل دركاته إلى أعالي الدرجات؛ حتى يودّ لو أنّه أتى بقِراب الأرض خطايا، أو لو حمل ذنوب البرايا؛ لما يعاينه من حُسن التحويل، وجميل صُوَر التبديل؛ فيفوز بالحسنيين، وهنالك يعلم ما أُخفي له فيه من قرّة عين. ففاز في الدنيا باتّباع الهوى، وفي الآخرة بجنّة المأوى.

فمن الناس مَن إذا حُرِمَ رُحِم، وجوزي جزاء مَن عُصِم. فجزاء بعض المذنبين أعظم من جزاء المحسنين، ولا سيما أهل الكبائر، المنتظِرين حلول الدوائر. فيبدو لهم من الله من الخير ما لم يكونوا يحتسبون، و﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾[2] وأكثر الناس لا يشعرون. فحسّنوا ظنّكم بربٍّ هذه صفته، وحقّقوا رجاءكم بمعروفٍ هذه معرفته.

مفاتيحُ الكرَم في معالي الهِمم. لكلّ نفس ما أمّلت، وستجزى يوم القيامة بما عمِلت؛ لكن مما يَسُرّها، لا مما يسوءُها ويضرُّها. ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا. فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾[3] فعلِمَت الفجور فاجتنبَتْهُ، وعلِمَت التّقوى فلزِمَتْهُ. فاتّقت[4] الله بالله؛ اتّقاءَ الأمثال والأشباه.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ ما توعَّر من المسالك.. على السالك

-من الباب الثامن ومائة-

الأخذُ بالعزائم نعتُ الرجل الحازم. أُولو العزم من الرسل، هم الذين لقوا الشدائد في تمهيد السُّبُل. ما جَنح إلى الرُّخَص مَن كان هِجّيرِه آخر القصص[5]. التخلّق بالأسماء الإلهيّة على

(١) ص ٥٣
(٢) [المائدة: ٥٤]
(٣) [الشمس: ٧، ٨]
(٤) ص ٥٣ب
(٥) آخر القصص: آخر ما جاء في سورة القصص، في الآية: "وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" [القصص: ٨٨]

الإطلاق، من أصعب الأخلاق؛ لما فيها من الخلاف والوفاق. إيّاك أن يظهر مثل هذا عنك؛ إلّا حتى تعلم معنى قوله ﷺ: «أعوذ بك منك». فمِمّن استعاذ؟ وبمن لاذ وعاذ؟ الكبرياء حدَث في أهل الحدَث، والحدَث مزيل الطهارة، وتكفيك هذه الإشارة.

طهارة الحدَث الفِطرة، وهو ما شهد به لله في أوّل مرّة. فإن حُشِر وبُعِث في الحافرة؛ فما هي "كَرّة خاسرة"، ولا سلعة بائرة. لمّا كان الشرك هو العارض، والدار الآخرة مزيلة للعوارض؛ لذلك لم يظهر فيها شِرك، ولا وقع فيها إفك[١]. مواقف القيامة شدائد؛ لحضور المشهود عليه والشاهد. فمن كان في الدنيا حسابه؛ فرح بِه أحبابه، وحُمِد ذَهابُه وإيابُه، وفُتحتْ له بالخيرات والخيّرات أبوابُه، وأُجزل له ثوابُه.

مَن سلك هنا ما توعَّر؛ تيسَّر له في آخرته ما تعسَّر. ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾[٢] في الدنيا ﴿يُسْرًا﴾ فيها، ثُمّ ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾[٣] في الدنيا ﴿يُسْرًا﴾ في الآخرة، لمن فهم مَعانِيها بما يُعانِيها. ما أثقلَ الظهرَ سِوَى الوزر؛ فلا تضف إلى أثقالك أثقالا، وكن لرحى ما يراد منك ثِفالا[٤]. هنا تُحَطُّ الأثفال؛ أثفال الأفعال والأقوال، وهنا تباشَر الأزبال وتدبَّر الأثفال. احذر من الابتداع بسبب الاتّباع، ولا تفرح بالاتّباع، وكن مثل صاحب الصواع؛ فإنّك لا تنفعك توبتك، ولا تزول عنك حوبتك. واقتصر على ما شرع، واتّبِع ولا تبتدِع، وكن مع الله في كلّ حال؛ تحمد العاقبة والمآل.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ المطابقة.. والموافقة

-من الباب التاسع ومائة-

المطابقة[٥] مشاكَلة، والموافقة مماثَلة. ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[٦] بقدر سورته. اعلم أنّ

---

(١) ص ٥٤
(٢) [الشرح: ٥]
(٣) [الشرح: ٦]
(٤) الثِفال: ما وقيت به الرحى من الأرض. والرحى تدق الحَبّ إذا كانت مثقّلة، ولا تثقّل إلّا عند الطحن. والثُّفل: الحب، ما سفل من كل شيئ. [أنظر لسان العرب]
(٥) ص ٥٤ب
(٦) [الإسراء: ٨٤]

أرباب النُّهَى؛ هم الذين يوافقون الحقَّ فيما أمر به ونَهَى. موافقةُ الأمثال من شأن الرجال. وقد ثبتت المِثليّة بكاف التشبيه؛ وهو التنزيه عن التنزيه. وقد ورد الخبر بالصورة، والخلافة في السورة. فالكمَّل هم النوّاب وهم الحُجّاب، وهم عين الحِجاب الواقفون عند الباب؛ للصادر والوارد، والوافد والقاصد. لهم الرِّفادة والسدانة والسقاية، وهم أهل الكلاءة والرعاية.

إليهم تُرفع النوَبْ، ومنهم تُعرف القُرَبْ، وبهم تفرَّج الكُرَبْ. ما لهم علم إلّا بمن طابقهم، وَلا يَشهدهم إلّا مَن وافقهم. بأيديهم مفاتيح الكرم، وإليهم ترتفع الهمم. هم الظاهرون بصورة الحقّ، والملجأ العاصِم لجميع الخلْق. لهم الحيرة والغَيْرة، هم العواصِم من القواصم، ولهم الدواهي[1] والنواهي. فلكلّ قاصمة عاصمة، ولكلّ داهية ناهية. يتصرّفون في جميع الأشياء؛ تصرّف الأفعال[2] في الأسماء: ما بين نصب وخفض ورفع، وعطاء ومنع. ﴿أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ. وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ. وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ. لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[3] فما ثَمّ إلّا تغيُّر أحوال، في أفعال وأقوال.

تطابَق المال والولد في زينة الحياة الدنيا، وتميّزت مراتبهم في العدوة القصوى. "وافق شَنٌّ طبقة"، ولهذا ضمّه واعتنقه. فلق الحَبُّ عن أمثاله؛ فلم يظهر سِوَى أشكاله: فَمَن بَذَر حِنطة؛ حصد حِنطة، كانت له فيها غِبْطة. ومَن بذر ما بذر؛ حصد مثل الذي بذر. ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ. وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[4] «وإنما هي أعمالكم تُرَدّ عليكم»، ولا يبرز لكم إلّا ما عملتم بيديكم. فلا تلوموا إلّا أنفسكم، وانقطِعوا إلى مَن أَنّسكم.

---

(١) رسمها مضطرب قليلا في ق ويقترب من: "المرواهي" والترجيح من هـ، س
(٢) ص ٥٥
(٣) [الإنشقاق: ١٦ - ١٩]
(٤) [الزلزلة: ٧ ، ٨]

ومِن ذلك: سِرُّ الاغتباط.. والارتباط

-من الباب العاشر ومائة-

مَن ألزم نفسه الحال؛ فهو شديد المِحال. مَن اغتبط بأَمرٍ[١] سعى في تحصيله، ونظر في تفصيله. ومَن ارتبط فقد اغتبط. الرباط ملازَمة، والملازَمة في الإلهيّات مقاوَمة. المغتبِط مسرور، والمرتبِط محجور. لمّا دخلتُ الحضرة القُدُسيّة والمقامات القدسيّة، ونزلتُ بفنائها، وأحطتُ علما بما أمكن من أسمائها؛ تلقّاني الاسم الجامع للمضارّ والمنافع؛ فأَهّل، ورحّب وسهّل، وبذل وأوسع، وجاد وما مَنع. فكان مما جاد به على المملوك: "نظم السلوك في مسامرة الملوك". فاتّخذته سجيرا[٢]، واتّخذني سميرا. فجرى بنا السمر، والليل قد أقمر؛ إلى حديث النزول الإلهيّ في الثلث الباقي من الليل الإنساني، وسؤاله عبادَه التائبين، والداعين المستغفرين؛ ليجود عليهم بالمِنح، وأنواع الطُّرَف والمُلَح.

فكان أحد الداعين، الواعين؛ شخصا ضخم الدسيعة، من العلماء بالطبيعة؛ ممن ثبتت قدمُه في العلم بها ورسخ، وكان له المقام الأشمخ. فسأل ربَّه: أين الطبيعة من النفَس، ومن المقام العقليّ الأقدس؟ فقال: هي عين النفَس فيمن تنفّس، لها الاسم الرحمن؛ الذي[٣] له الاستواء على الأكوان. هو الآتي من قِبَل اليمن؛ ولكن إلى من؛ وإن كنّا نعرف إتيانه ممّن. فالكُرَب تطلبُه، والمسرّات تعقُبُه، وهي التي تَذهب به وتُذْهِبُه. فيه ترويح القلوب، وتنفيس المكروب. إن لَجّ حجّ، وإن حجّ عجّ وثجّ. وإن اعتمر أعمر، وإن أَملى شغَل، وإن أَخلى أغفل، وإن أحْرم أحرم. وإن وَقَف بعرفات أحيا العظام النخِرات. وإن نام بالمزدلفة ألف النفوس المختلفة. وإن أضحى بمنى بلغ بالرمي المُنَى. وإن أفاض آض[٤] وهو راضٍ في الانبساط والانقباض.

---

(١) ص ٥٥ب
(٢) سجير الرجل: صفيّه وخليله
(٣) ص ٥٦
(٤) آض: رجع وعاد

ومِن ذلك: سِرٌّ الاعتدال.. وبال

-من الباب الأحد عشر ومائة-

لا يكون مع الاعتدال إلّا دوام الحال. الاعتدال لا يقبل التكوين ولا التغيير، ولا القليل ولا الكثير. انظر في وجود الخلق؛ تجده عن إرادة الحقّ، والإرادة انحراف بلا خلاف؛ لأنّها تعيّن المتعلّق؛ عند[١] مَن[٢] يعلم ما قلتُه ويتحقّق.

جنّة[٣] النعيم لأصحاب العلوم، وجنّة الفردوس لأَرباب الفهوم، وجنّة المأوى لأهل التّقوى، وجنّة عدْن للقائمين بالوزن، وجنّة الخُلد للمقيمين على الودّ، وجنّة المقامة لأهل الكرامة، وجنّة الرؤية لأصحاب البُغية؛ وكلّها منازل تجديد الإنعام، بأبدع ترتيب وأحسن نظام.

الشهوة تطلب المشتهَى؛ فإليها الانتهاء وهي المنتهَى. أين الاعتدال والأصل ميّال؟ فما ثَمّ إلّا مَيْل عن مَيْل؛ لطلب جزيل النَّيْل. لو كان ثَمّ اعتدال؛ ما مال. التنزيه مَيْل، والتشبيه مَيْل، والاعتدال بين هذين؛ ولا يصحُّ في العين. وإذا لم يكن الاعتدال من صِفاتها؛ كان العدل مِن سِماتها. والعدل مِن العدول؛ فانظر في ما أقول. لو كان ثَمّ اعتدال؛ لكان في الوقفة، ولا مالت من الميزان كفّة.

مَن قال بالاستواء والزوال؛ قال بالانحرافِ والاعتدال. وكلّ حركة؛ جمعت الثلاثة الأحكام، عند أرباب العقول والأفهام. فَعَيْنُ الشروق[٤] عينُ الغروب وعينُ الاستواء؛ عند العلماء بترحيل الشمس في منازل درج السماء. وهو عن كلِّ حيِّز منتقل: إمّا متعالٍ وإمّا منسفِل. فما ثَمّ سكون ولكن حركة، وفي الحركة الزيادة والبركة. فللّه ما سكن في الليل والنهار، وما ثَمّ ساكن في الأغيار؛ لا في البصائر ولا في الإبصار. ألا تراه قد جعله عبرة للأبصار عند أهل الاستبصار؛ فانظر واعتَبِر.

---

(١) ص ٥٦ب

(٢) ق: "ما" وفوقها إشارة الاستبدال بكلمة "من" وبجانبها "صح".

(٣) ق: "حيث" وصححت مباشرة "جنة"

(٤) ص ٥٧

ومِن ذلك: سِرُّ الفضل.. في العدل

-من الباب الثاني عشر ومائة-

الحقّ في الاعتدال؛ فمَن جار أو عدَل فقد مال؛ فإن مال لك فقد أفضل، وأتى في ذلك بالنعت الأنفَس، وإن مال عليك فقد أبخس. العدل في الأحكام؛ لا يكون محمودا إلّا من الحُكّام. والعدل هنا من الاعتدال، لا مِن المَيْل؛ فإنّ ذلك إفضال. ورد في الخبر عن سيّد البشر، فيمن انقطع أحدُ شراكِ نَعليه؛ أن ينزع الأخرى ليقيم التساوي بين قدميه. وقال فيمن خَصّ[1] أحدَ أولاده دون الباقين بما خصَّه به من المال: «لا أشهدُ على جَوْر» لعدم المساواة والاعتدال. فسمّاه جَوْرا؛ وإن كان خيرا.

ثمّ قال: "ألست تحبّ أن يكونوا لك في البرّ على السواء؟ فما لك تعدل عن محجّة الاهتداء؟" فاعدل بين أولادك؛ بطارِفك وتلادِك[2]. فالأحكام للمواطن التي تُملك، وما لا يملك منها إذا وقع فيها الجَوْر فإنّ صاحبه لا يهلك.

القسمة بين الأرواح في النفقة والنكاح على السواء وما يقع به الالتذاذ من طريق الأشباح. والقسمةُ في الوداد خارجةٌ عن مقدور العباد؛ فلا حرج ولا جناح في جَوْر الأرواح. الودّ للمناسبة؛ فزالت فيه المعاتبة. لا يقال: لِمَ لَمْ تحبّني ويقال: لِمَ لا تُقَرِّبني. قربةُ الأجساد مقدور عليه في المعتاد، وقُرب الفؤاد لا يكون إلّا بحكم الوداد. ولمّا كانت المحبّة تعطي وجود النِّسبة بين المحِبِّ والمحبوب؛ فرِح المحبِّون اللهَ لا المتحابّين في الله لحصول المطلوب. ثمّ إنّه قد ورد في الخبر الصدق، والنبأ الحقّ؛ أنّه يجِبّ اتّباعه، وما[3] يتّبعه إلّا مَن أطاعه. واتّباع الرسول اتّباع الإله؛ لأنّه قال ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[4] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[5] فـ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ

---

(١) ص ٥٧ب
(٢) الطارف: ما استحدث من المال، والتالد: ما ورثته من الآباء قديما.
(٣) ص ٥٨
(٤) [النساء: ٨٠]
(٥) [الأحزاب: ٧١]

وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[1] فإنّ الله يصلّي عليه وينظر إليه.

ومِن ذلك: الأملاك.. اشتراك

-من الباب الثالث عشر ومائة-

اشترك الزوجان في الالتحام؛ فإنّه نظام. لا يُفرح إلّا بنظام التوالد؛ فإن لم يكن فالأَوْلَى التباعد. فإنّ التباعد فيه تنزيه، والانتظام فيه تشبيه. وإنما حمدناه فيما[2] تولّد عنه به وقرّرناه. فمن كان الحقُّ سمعَه وبصرَه؛ فإنّ ولادة هذا الانتظام ما أَشهدَه وبصَّرَه. الأعراس لأصحاب الأنفاس. بالاشتراك كان المِلاك، وبه ظهرت الأملاك، وله دارتْ بحركاتها الأفلاك. مِن أعجب علوم المِنَح؛ حركةُ المستدير الذي ما يزول عن مكانه ولا يبرح. فهو الراحل القاطن، والمتحرّك الساكن. وموضع الغلط؛ في حركة الوسط[3]. فإنّه لا بدّ من ثابت يكون عليه الدَّوْر، والكَوْرِ والحَوْرِ. فللّه ما سكن، وهو له نِعْم السكن. ولنا ما تَحرّك، وبه نتملّك. وعين الأذى؛ في ملك فلان كذا. ولا مالِك إلّا ما لا يُمْلَك؛ وليس إلّا مالِكُ المُلْك. وأمّا مَن قال بمُلْك المُلْك؛ فبنسبةٍ تبعد عن الدَّرْكِ. وقد نطق بها الترمذيّ الحكيم في معرض التعليم. فمالِكُ المُلْك أَصْل، ومُلْك المُلْك فَصْل. وأين الفرع الذي هو الفصل من الأصل؟ وأين الفرض من النفل؟

توحيد الموحِّد اشتراك، وهو عين الإشراك. مَن قال إنّه وحَّدَ فَقَدْ أَلْحَدَ. الأحديّة لا تكون بتوحيد أحد؛ فإنّه ﴿لَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[4]. عجبا في تنزيهه عن الصاحبة والولد، وعنه تولَّد في العالَم ما تولَّد؛ مِن ذي روح وجسم وجَسَد. ثُمّ إنّ ولادة البراهين الصِّحاح، والكلمات الفِصاح؛ عن نكاح عقول وشرائع ما فيه حرج ولا جُناح. وما تولَّد عن نكاح الشُّبَه في العقول والأشباح؛ فهو سِفاح. وهذا الباب مُقْفَل، ولقد رميتُ إليك بالمفتاح؛ وما أَزلتُه من يد الفتّاح؛ فاحذر من القَدَر المُتاح.

(١) [الأحزاب: ٥٦]
(٢) س، هـ: فيمن
(٣) ص ٥٨ب
(٤) [الإخلاص: ٤]

ومِن[1] ذلك: السَّراحُ.. انفِسَاح

-من الباب الرابع عشر ومائة-

لمّا دعا اللهُ الأرواحَ من هياكلها بِمُشاكِلِها؛ حَنَّتْ إلى ذلك الدعاء، وهانتْ عليها مفارقة الوِعاء. فكان لها الانفساح؛ بالسَّراح من أقفاص الأشباح. فمن الناس مَن أفناه[2] النظر في عينها بالمنازل الرفيعة؛ فقال بتجرّدها عن حكم الطبيعة. ومِن الناس مَن وقف مع ما خلقتْ له من الآثار الوضعيّة؛ فقال ببقاء[3] تدبيرها وساعدته الأدلّة الشرعيّة. فوصفها بالنعيم المحسوس، وأثبت لها النظرُ الأوّل صفة السبّوح القدّوس. ومَن قال بالإعادة في الأمرين؛ انقسموا إلى قسمين. وكلُّ قسم قائلٌ فيما ذهب إليه، وعوّل عليه: إنّ فيه السعادة. فمنهم مَن قال في الإعادة: رجوعها[4] إلى النفس الكلّيّة بالكلّيّة. ومنهم مَن قال في الإعادة: إعادتها إلى الأجساد، في يوم المعاد، على رءوس الأشهاد.

والكاملُ مَن قال بالمجموع؛ وأنّ ذلك معنى الرجوع. فهي[5] محبوسةٌ في الصُّوْر؛ الذي هو قَرْنٌ مِن نور. والنور ليس من عالَم الشقاء، وإن شقي بالعرَض فحُكمه السعادةُ والبقاء. فمَن أراد معرفة الانتقال بعد الموت فليعتبر في النوم؛ فإنّه مذهب القوم. وبه يقول سهل بن عبد الله، وكلٌّ عليم أوّاه. فلم يبرح صاحب تدبير، ومالِك إكسير؛ تتنوّع عليه الحالات، ويظهر بالفعل في جميع المقالات. فصُوَرٌ تُخْلَع، وصُوَرٌ تَبدو ثمّ تُرْفَع. ويقظة النائم من نومه؛ مِثل بَعْث الميّت بعد موته[6] لمشاهدة يومِه. فيبعثر ما في القبور؛ ليحصّل ما في الصدور، والأمر بين ورود وصدور، و﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾[7] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾[8] فنفَذ اقتداره في الحشر، وبَدا حُكم عِلْمه في النشر. وأنزل العرش في الفَرش؛ فوسِعه وقد كان ضاق عنه. فأين ذلك الضِّيق من هذه السَّعَة؟

---

(١) ص ٥٩

(٢) الحروف المعجمة مهملة

(٣) ثابتة في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب

(٤) ق: "إن رجوعها" ووضعت علامة الشطب على "إن"

(٥) ص ٥٩ب

(٦) ثابتة في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب

(٧) [العاديات: ١١]

(٨) [المائدة: ١٢٠]

فصار الأمر حكمه حكم الإمّعة؛ فاعتبِر واستبصِر.[١]

*   *   *

ومِن ذلك: اسوداد الوجوه.. من الحقّ المكروه

-من[٢] الباب الخامس عشر ومائة-

تظهر العناية الإلهيّة بالمقرَّب الوجيه ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾[٣] فـ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٤] و﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾ يقال لهم: ﴿أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾[٥] ولم يكن لهم إيمان تَقدَّم إلّا إيمان الذرّ؛ زمان الأخذ من الظهر. فنسي ذلك العقد لَمّا قَدِم العهد، ولولا البيان والإيمان ما أقرّ به الإنسان. وأمّا مَن أَشهده الله حال "خَلَقْتُه بِيَدَيَّ"؛ فهو[٦] يقول في ذلك العهد: "كأنّه الآن في أُذُنَيَّ".

النّميمةُ والغيبةُ وإفشاءُ السرّ وما شاكل؛ هذا كلّه حقّ مكروه، وهو يؤدّي إلى اسوداد الوجوه. لمّا علم الحقّ -تعالى- أنّ كلّ شيء إليه منسوب، وهو لكلّ عالِم بالله محبوب، وأنّ كلّ ما أدركه العَيان، وحَكم عليه بالعبارة اللسان، وأُشير إليه، واعتُمِد عليه؛ فهو محدَث مخلوق، تتوجّه عليه الحقوق، وأنّه -تعالى- ما أبدى إلّا ما عَلِم، وما علِم إلّا ما أعطاه المعلوم في حال ثبوته، من أحواله وصفاته ونعوته؛ ناط به الذمّ والحمد، وأخذ علينا في إنزال كلّ شيء[٧] منزلته الذمّة والعهد؛ فما حَسُنَ وحمد فمِنّا، وما قَبُحَ وذُمَّ فهو ما خرج عنّا؛ فإيّانا نعلم وفينا نتكلّم. ولو كانت نِسبتنا إليه حقًّا؛ ما ذَمّ أحدٌ خَلقا؛ ولو ذمّه لكفر، ولو كان ما استتر.

---

(١) في الهامش: "بلغ قراءة وسماعا على الشيخ المؤلف، أيده الله".
(٢) ص ٦٠
(٣) [آل عمران: ١٠٦]
(٤) [آل عمران: ١٠٧]
(٥) [آل عمران: ١٠٦]
(٦) المقصود به هنا ذو النون المصري إذ ورد في موضع آخر من هذا الكتاب أن هذا القول صدر منه.
(٧) ص ٦٠ب

فهو -تعالى- المعروف بأنّه غير معروف، والموصوف بأنّه ليس بموصوف. ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ. وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[١] العارف مسودّ الوجه في الدنيا والآخرة، ومبيضّ وجه الوجه في النشأة في الحافرة. اسوداد السيادة لما كان عليه من العبادة، وبهذا مَدح -سبحانَه- عبادَه. وجهُ الشيءِ كونُه، وذاتُه وعينُه. ووجهه؛ ما يقابِل به مَن استقبله، ولو كان أملَه.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الاكتفاءِ بالموجود.. في الوجود

-من الباب السادس عشر ومائة-

لمّا دعا اللهُ الأرواحَ من هياكلها بِمُشاكِلها؛ اكتفتْ في الشهود بهذا القدر من الوُجود. والقناعة[٢] مال لا ينفد، وسلطانها لا يبعد. مَن اكتفى اشتفى، ولو كان على شَفا. ما سِوَى الوجود عدم، ولو حكم عليه بالقِدم. إنما وقع الاكتفاء بالموجود؛ لِعلمه بأنّه ما ثمّ سِواه في الوجود. فإنّ الإنسان مجبول على الطمع؛ فلا يقال فيه يوما: إنّه قَنِع، وإنّه يعلم أنّ ثَمّ أمرا يمكن أن يَجُوزَه إليه، ويحصّله لديه؛ وإنما علِم بالحال؛ أنّ ذلك محال؛ فقنِع بما وَجَد، وقال: ما ثمّ إلّا ما شُهِد.

ألا تراه إذا فتح الحقُّ عينَه ببصرِه، وفتَق سمعَه إلى صِدق خَبَرِه؛ يُطْمِعُ ويَطمَع، ويجمع ولا يَقنع؟ ومِن هنا أمره الحقّ أمرا حتما؛ أن يقول: ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا﴾[٣] فمَن قنع جهِل وأساء الأدب؛ فلا يزهد في الطلب؛ فإنّ الله ما أراد منك في هذا الأمر إلّا دوام الافتقار، ووجود الاضطرار ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ. وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾[٤] ولا تقطع المعاملة، وعليك باستعمال المُراسَلة، في طلب المواصَلة؛ مواصلةً لا أمد لانقضائها، ولا رادّ لقضائها. فاليدان مبسوطتان، واليدان مقبوضتان. قبضَتْ ما أعطاها الخلْق، وانبسطَتْ[٥] بما يجود به الحقّ. فلا يقبض الحقُّ من العباد؛

(١) [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]
(٢) ص ٦١
(٣) [طه: ١١٤]
(٤) [الشرح: ٧ ، ٨]
(٥) ص ٦١ب

إلّا بما به عليهم جاد؛ فمنه بدأ الجُود، وإليه يعود. فالمزيد فيما يقبضه العبيد، وما بيد مخلوق سِوَى مخلوق. فيا مَن يطلب القديم: أنت عديم. لا يقبل الحقّ إلّا الحقّ، ولا يهب الخلق إلّا الخلق. فالزم عملَك، وقصِّر أَمَلَك، وقل له -تعالى-: إنما نحن بك ولك؛ خلقتنا لنعبُدك؛ فطلبنا منك أن نَشْهَدَك. فعلى قدر ما سألنا من الشهادة؛ ينقصنا من العِبادة. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾(١) وهو الدالّ والمدلول والدليل.

* * *

ومِن ذلك: المثابرة على الجمع.. لما يقع به النفع

-من الباب السابع عشر ومائة-

ما أَثّر الحِرصُ في القدَر؛ إلّا لكونه مِن القدَر. وكم حريصٍ لم يحصل على طائل؛ لعدم القابل. العطاء عامّ والنفع خاصّ، وتدبَّر قوله: ﴿فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾(٢). عمّ التنادي وما عمَّت الإجابة؛ لمّا لَمْ تقع(٣) هنا الإنابة. الملازمة ملاءمة؛ وهي من حُكْمِ الطبع وإن جهلتْ. مَن قَصُرَت همّته عن طلب المزيد؛ فليس من العبيد. لا تستكثر ما يَهَبُك الحقُّ، ولو وَهَبَك كلَّ ما دخل في الوجود؛ فإنّه قليل بالنظر إلى ما بقي في خزائن الجود. إيّاك والزهد في المواهب؛ فإنّه سوء أدب مع الواهب. فإنّه ما وهبك إلّا ما خلقه لك. وخذه من حيث ما هو مِن وَجْهِه؛ تعثر على كُنْهِه.

---

(١) [النحل: ٩]
(٢) [ص: ٣]
(٣) ص ٦٢

ومِن ذلك: سِرُّ الاعتماد.. في العِباد

-من الباب الثامن عشر ومائة-

لمّا كانت العبوديّة تطلب بذاتها الربوبيّة؛ كان الاعتماد منها عليها حقيقة وخليقة، ولِجهلهم بحكمه، ومعرفتهم بعلمه، وتوفيته لِرزقه في خلقه، وطلبه منهم ما لا يقدرون على أدائه إلّا به مِن واجب حقّه، وعلموا أنّ الوجوب في الحقيقة مضاف إليه، وأنّ الأمور كلّها في يديه؛ اعتمدوا، واعتمادهم منه عليه؛ ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[1] فعلِموا أنّهم كانوا من الذين لا يعلمون. فلو[2] ارتفعت الحاجات، وزالت الفاقات، وانعدمت الشهوات، وذهبت الأغراض والإرادات؛ لَبَطُلتِ الحكمة، وتراكمتِ الظُّلمة، وطُمِسَت الأنوار، وتهتّكت الأستار، ولاحت الأسرار، وَزَالَ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[3] فذهب الاعتبار. وهذا لا يرتفع ولا يندفع؛ فلا بدّ من الاعتماد في العِباد.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الاعتماد.. المعتاد

-من الباب التاسع عشر ومائة-

ما ثَمّ عين تُعاد؛ فأين المعتاد؟ الآثار دارِسَة، والأعين مطموسة، لا بل طامِسة؛ فقالت للشُّبَه، وقوّة الشَّبَه مع فَقْد الأعيان ووجود الأمثال: هذا هو عين الذي كان. فلو قالت: هذا هو عين هذا؛ لعلِمت أنّ هذا ما هو هذا؛ لأنّها أشارت إلى اثنين، ولا يخفى مثل هذا على ذي عينين. ما حجب الرجال إلّا وجود الأمثال. ولهذا نفى الحقُّ المِثليّة عن نفسه؛ تنزيها لقدسه. وكلّ ما تَصَوَّرْتَهُ، أو مثّلتَه، أو[4] تخيّلتَه؛ فهو هالِك، وأنّ الله بخلاف ذلك. هذا عقد الجماعة إلى قيام الساعة. وعندنا هو ذلك؛ فما ثَمّ هالِك.

---

(١) [القصص: ٧٥]
(٢) ص ٦٢ب
(٣) [الرعد: ٨]
(٤) ص ٦٣

ومِن ذلك: سِرُّ المزيد.. في تحميد الوجود

-من الباب الموفي عشرين ومائة-

يا راقد؛ كلّ طالب فاقد. أوامرُ الحقّ مسموعة، مُطاعة إلى قيام الساعة. لكن الأوامر الخفيّة، لا الأوامر الجليّة. فإنّ شرعَه من أمرِه، وما قدره كلُّ سامع حقّ قَدْرِه. فلمّا جهل قدره؛ عصى نهيه وأمره. الحمد تملأ الميزان، وما ملأه سِوَى سابغ النِّعم والإحسان. فعينُ الشكر عينُ النِّعم، ومِن النِّعم دفع النِّقم. كم نعمة لله أخفاها شدَّةُ ظهورها، واستصحاب كُرورِها على المنعَم عليه ومرورِها، ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٍ مُّعۡرِضُونَ﴾[1] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[2] بل لا يشعرون، لا؛ بل لا يشكرون.

الفضل في البَذل، والبَذل في الفضل، وفي الأصل من الفضل. كيف يصحّ المزيد وقد ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾[3] ووفّاه حقّه؟ فلا يتّسع للزائد؛ فلماذا طولب بالشكر والمحامد؟ والخلق[4] لله ليس له؛ فَمَن كبَّره وهلَّله؟ وهذا كلّه مخلوق، وهو على العبد من أوجب الحقوق. فما عمل أحدٌ إلّا ما أُهِّلَ له ممن كبّره أو هلَّله، وما هو إلّا من حيث أنّه مَحَلٌّ لظهوره، وفتيلةٌ لسراجه ونوره.

* * *

ومِن ذلك: وقوف التائِه.. مع التافِه

-من الباب الأحد والعشرين ومائة-

متاع الدنيا قليل، وكلّ من فيها أبناء سبيل، فما مِن قبيل ولا جيل[5] إلّا وهو مملوك للقطمير[6] والنقير[7] والفتيل. فالكلّ تائه، ولهذا قنعوا بالتافِه. فمنهم الشكور والكفور، ومنهم الراغب والزاهد، ومنهم المعترِف والمعانِد الجاحِد. لم يحصل له أَمان الغُرفة؛ إلّا مَن قنع في شربِه بالغَرفة. فمن اغترف

(١) [الأنبياء: ١]
(٢) [الأعراف: ١٨٧]
(٣) [طه: ٥٠]
(٤) ص ٦٣ب
(٥) الجيل: الصنف من الناس
(٦) قطمير: شقّ النواة.
(٧) نقير: قدر ما ينقر الطائر.

نال الدرجات، ومَن شرب ليرتوي عَمَر الدركات. فما ارتوى مَن شَرِب، وروي مَن اغترف غرفة بيده وطرِب. مع أنّ القرآن أقوم قيلا، وهو الحاوي على كلّ شيء أُوتيناه وأهدى سبيلا، وما أوتينا من العلم إلّا قليلا.

لمّا جرى نهر البلوى بين[1] العَدْوَتين الدنيا والقصوى، وكان الاضطرار؛ وقع الابتلاء والاختبار. لمّا كان الظمأ؛ اختُبِر الإنسان بالماء. ومِن الماء جعل الله كلّ شيء حيّ؛ في ظلمة ونور وفَيّ. والحياة نعيم في الحديث والقديم. فمِن أهل العدوة الدنيا مَن لا يموت ولا يحيا، ومِن أهل القُصوى مَن كانت نجاته في الدّعوى. التافِه والعظيم سيّان في النعيم. ليس في الكثرة زيادة إلّا في عالَم الشهادة، وأمّا في عالَم الغيب فما في المساواة فيه ريب. المعنى لا ينقسِم إذا قسم ما قسم. لا يقبل الانقسام إلّا عالَم الأجسام. مَن رضي بالقليل؛ عاش في ظلٍّ ظليل، في خير مستقَرٍّ وأحسن مقيل. وما ثَمّ كثير؛ فكلّ ما في الوجود يسير. هذا وما ثَمّ مَنع، ولا عَمّ النفع. النفع وَقْفٌ على نَيْل الغرض، والغرض قد يكون سببا في وجود المرض. مَن لم يأته غرضُه؛ طال في الدنيا مرضُه. لذلك قال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[2] فالرضا منّا ومنه.

* * *

ومِن ذلك: الرضا بالدُّون هِجاء.. والهِجا جَفا

-من[3] الباب الثاني والعشرين ومائة-

لا يرضى بالحقير إلّا مَن لا يعرف قَبيلا مِن دَبير. اعتناءُ الحقّ بالنَّقِير؛ دليل على أنّه كبير. لا يخفى على ذي عينين أنّ لله عناية بكلّ ما في الكون. إخراج الشيء من العدم إلى الوجود؛ دليل على أنّه في منازل السعود. مَن أعطاه الحقّ صفته؛ فقد منحَه عِلْمَه ومعرفتَه. هِجاءُ الكون ثناء، ومَدْحُه هِجاء.

---

(١) ص ٦٤
(٢) [المائدة: ١١٩]
(٣) ص ٦٤ب

مَن طلب من الحقّ الوفاء؛ فقد ناط به الجفاء؛ وليس برٌّ جاف بلا خلاف. الوفاء مع كَلِمِه؛ مِن شِيَمِه. صفات الحقّ لا تستعار، وعلى الاتّصاف بها المدار. لا تصِل إليه؛ إلّا بالاعتماد عليه. والاعتماد عليه محال؛ لأنّك ما أنت مغاير له بحال. إذا كان الكلّ منه؛ فما معنى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾؟ متعلَّق الرضا القليل؛ فإنّ الإنعام لا يتناهى بالبرهان الواضح والدليل. فلا بدّ من الرضا، بِذا حَكم الدليل وقضى. وبهذا المعنى: رضاه -سبحانه- عنك؛ بما أعطيتَه منك. على أنّك ما أعطيتَه إلّا ما خلَقَه فيك، وهذا القدر يكفيك. وهو يعلم أنّ الاستطاعة فوق ما أعطيتَه، والأمر كما بلوتَه. الدُّون مَا دُون، وما[1] ثَمّ إلّا دون. لا يلتفت العارف لما يخاطبه به الواقف؛ فإنّ الواقفَ محجور عليه؛ بما ينتقل إليه، والمحجورُ خطابُه محصور. والعارف متصرّف في كلِّ وِجْهَة؛ لكونه يشاهد وَجْهَه، ومن عرف الوجه؛ فهو الكامل بكلّ وجْه. لا تنظر الأبصار إلّا إليه، ولا تعتمد البصائر إلّا عليه. فكلّ ما في العلم لديه، وحاضر بين يديه، يُحيط به إحاطة الأفلاك بالأملاك، ويحكم عليه حكم المُلّاك في الأملاك. ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾[2] وما كلّ فريضة تقتضي العول، لا يَنكح الأَمَةَ إلّا من لا يستطيع الطَّوْل. والله وليّ التوفيق، وهو بالفضل حقيق.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ تَيْسير العسير

-من الباب الثالث والعشرين ومائة-

الخلق في الإعسار، وإن كان ذا يسار. فإنّ يَسار الحقّ ما هو عين الخلْق. فمنه أخذ وإيّاه أعطى، ولا يُعرف هذا إلّا بعد كشف الغطاء. الجواد قديم، والجود محدَث؛ فلا تتحدّث. التحدّث بالنِّعم شكر، وليست[3] سواك في الخلْق، وإن كانت بيد الحقّ. لمّا كان بِيَدِه الإيجاد، ومَنَعَ وقتا وجاد؛ قلنا بالعُسر المعتاد. العُسر إفلاس، ولا يكون إلّا لأهل الحاجة من الحيوان والناس. كلّ

(١) ص ٦٥
(٢) [النساء: ١٤٨]
(٣) ص ٦٥ب

متحرّك بالإرادة؛ فهو يطلب خرق العادة، والنبات والجماد لا يقولان بالمعتاد. الحاجة بالحال؛ فلهذا يُستغنى به عن السؤال. لسانُ الحال أفصح، ووزنه أَرجح. لسان الحال لمن عدا أهل المنطق؛ فاظهر بصفتهم ولا تنطِق.

ما حال بينك وبين حقّك؛ إلّا عجلتك بنطقِك. الرزق مقسوم، ومنزَّل بقدَر معلوم. لا يُنقص ولا يُزيد، سؤالُ العبيد. طلب المزيد في الجِبلّة، في كلّ ملّة. كيف لا يظهر بالافتقار مَن حَكم عليه الاضطرار، وبقي الحكم للأقدار؛ فكلّ شيء عنده بمقدار. ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[1] وما جعله يتأخّر إلّا القضاء المقدَّر؛ فهو القاضي بالتأخير في تيسير العسير. إذا قام اليسر بالعسر ظهر عينُ الإعسار؛ وإن لم يقم به فليس إلّا اليسار. ما في العالَم عُسر لو زالت الأغراض، وكلّه يُسر فأين الأمراض؟

لو كانت العلّة[2] في الأزل؛ لكان المعلول لم يَزَل. فلا معلول ولا علّة؛ فقد تظهر الشُّبَه في صوَر الأدلّة. البراهين لا تخطئ في نفس الأمر، وإن أخطأ المبرهِن عليه؛ فذلك راجع إليه. وأمّا البرهان فقويّ السلطان، ولا يُعرف الدليل إلّا بالدليل؛ فما إلى عِلمه من سبيل. مَن علمتَ به معلوما وجهِلتَه؛ فما علِمتَه؛ فإنّك لا تعلم ما علِمتَ به، فانتبه.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الموت الأبيض.. وبناء ما تقوّض

-من الباب الرابع والعشرين ومائة-

مَن قوّض ما طنّب[3]؛ أوجز وما أطنب. الجوع بئس الضجيع، الجوع ممنوع، الجوع حِمًى منيع. لو بقي المتغذّي نفَسا واحدا دون غذاء؛ لم يكن من يقال فيه ماذا، ما هو إلّا انتقال من حال إلى حال. سرُّ الموت كُرُباتُه، وكشفُه حسراتُه. فأبيضُه أَلَمٌ حِسِّيٌّ، وأَحمرُه أَلَمٌ نَفْسِيٌّ، وأَسودُه مرضٌ عقلي، وأخضرُه مثل زهر النبات لما فيه من الشتات، فتفرّق به بين المثلين، ويباعد بين الشكلين؛

(١) [البقرة: ٢٨٠]
(٢) ص ٦٦
(٣) طنب بالمكان: أقام به

فإذا[1] انقلب الألم لذّة؛ استلذّه. الموت للمؤمن تحفة، والنعش له مِحفّة؛ ينقله من العدوة الدنيا إلى العدوة القصوى، حيث لا فتنة ولا بلوى؛ فينزله أحسن منْزَل[2] في أخصب مَنزِل؛ منزل لذّة ونعيم، ويُسقى من عينٍ[3] مزاجها من تسنيم. فهو نهرٌ أعلى، ينزل من العلى إلى عين أدنى[4]. له علوّ الرتبة، كعلوّ الكعبة، وإن كانت في تهامة؛ فالحجّ إليها على شرفها علامة. «أقرب ما يكون العبد من ربّه في حال السجود»؛ وأين النزول من الصعود؟ فعلمنا أنّ نعت السجود بالأعلى أَوْلَى. «مَن مات فقد قامت قيامته» وإن لحقت بالأرض قامتُه. لو بقي الجدار أرضا ما اتّصف بالهَدَم[5]، ولو لم يكن الشيخ شابًّا ما نُعِت بالهِدَم[6]. جُبِل الخلقُ على الحركة؛ فانتقل في الأطوار، وحكَمَتْ عليه بمرورها الأعصار. الزمانُ زَمَانُه، وما بِيَدِه أَمَانه، ومَن يحوي عليهم هم أهل الأمانات، ولهم فيها علامات. فَمن عرف علامتَه؛ أخذ أمانتَه. ولو رامَ أَخْذَ ما ليس له؛ ما أعطاه استعدادُه ولا قَبِلَه. وما مات أحدٌ إلّا بحلول أجلِه، وما قُبِض إلّا دون أَملِه. فليس[7] بخاسرٍ ولا مغبون؛ مَن كان أَمله المنون؛ فإنّ فيه اللقاء الإلهيّ، والبقاء الكِيانيّ.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الموت.. وما فيه من الفَوْت

-من الباب الخامس وعشرين ومائة-

الفَوْت في الموت لكلّ ميْت. الدار الدنيا محلُّ بلوغ الأمل؛ ما لم يَخْتَرِمْه الأجل. هي مزرعة الآخرة فأين الزارع؟ وفيها تكتسب المنافع. الحصاد؛ في القبور، والبَيْدَرُ[8]؛ في الحشر والنشور، والاختزان؛ في الدار الحيوان. ذَبْحُ الموت أعظم حسرة، وذبحه لتنقطع الكرّة. مَن كانت تجارته بائرة؛ فكرّته خاسرة. إذا رُدَّ في الحافرة؛ أين الردّ في الحافرة من قوله: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا

(١) ص ٦٦ب
(٢) "أحسن منزل" يقابلها في الهامش بخط آخر: "أجود مُنزِل" وبجانبها "صح"، وهي كذلك في س
(٣) مكتوب فوقها بخط آخر: "صح" ومقابلها في الهامش: "خمر"
(٤) "إلى عين أدنى" مكتوب بجوارها بخط آخر: "لا من الدنى" ثم مسح كاتبها عبارته بخط مستقيم
(٥) الهَدْم: مصدرُ هدمتُ، والهَدَم (بِالتَّحْرِيكِ): مَا انْهَدَمَ مَنْ جَانِبِ الْحَائِطِ وَالْبِئْرِ
(٦) الهِدْم: الشيخُ الذي قد انحطَم مثل الهِمّ
(٧) ص ٦٧
(٨) البيدر: الموضع الذي يداس فيه الطعام.

تَعۡلَمُونَ ﴾[1] ونبَّه عليها بقوله: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2] فإنّها كانت على غير مثال، وكذا يكون في المآل. عجبا من موت يُذبح، في صورة كبش أملح!. وهو الذبح العظيم[3] الجليل، فِداء ابن إبراهيم الخليل. وذَبْحُه بين الجنّة والنار؛ عبرةٌ في برزخيّته لأهل الاعتبار. هو علامة الخلود[4]، في النحوس والسعود، في هبوط وصعود. وكُلٌّ إلى الله راجع؛ لأنّه الاسم الجامع. في ذَبْحِهِ عَزْلُ مُلْكِه، ونزوله مِن منصّته وفلكه. هذا قد ثبت عَزْلُه، وانتقض غَزْلُه. فما يكون عمله من الأعمال، وقد انتهتْ مدّته بانتهاء الآجال؟ مَن فارق وطنه؛ فقد فارق سَكَنه. لولا القُطّان؛ ما كانت الأوطان.

القَلْبُ بَيْتٌ وإنّ العِلْمَ يَسْـكُنُهُ ... بالعِلْمِ يَحْيا فَلا يَطْلُبْ سِـوَى العِلْمِ
ما ثَمَّ عِلْمٌ يَكُوْنُ الحَقُّ يَمْنَحُهُ ... إلّا الكتـاب لِمَنْ قَـدْ خُصَّ بالفَهْمِ
فِيْـهِ فَتَبْـدُو عُلُوْمٌ كُلُّها عَجَـبٌ ... لِكُلِّ قَلْـبٍ سَـلِيْمٍ حـائِزِ الحُكْمِ
أَو سابِقٍ أو إمامٍ ظَلَّ مُقْتَصِدًا ... يَرْجُو النَّجاةَ فَما يَنْفَكُّ عَنْ وَهْمِ[5]
إنّ النجاةَ لَتَأْتِي القَوْمَ طائعَةً ... وتَـأْتِ قَوْمًـا إذا جاءتْ عَلَى الرّغمِ

إنّ لله رجالا يقودهم بالسلاسل إلى الجنّة ركبانا ورجالا؛ لعناية[6] سبقتْ، وكلمةٍ حقّت وصدقت. ماتت قلوبهم في صدورهم عند صدورهم جهلا، ومع هذا يقال لهم إذا سعدوا: أهلا وسهلا. بلا تعب ولا نصب، ولا جدال ولا شغب. أين هؤلاء ممن ينطلق ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ. لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾[7] أتاهم الرزق من حيث لم يحتسبوا، ودعاهم الحقّ فبادروا فما حُجبوا.

---

(١) [الواقعة: ٦١]
(٢) [الواقعة: ٦٢]
(٣) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٤) ص ٦٧ب
(٥) مكتوب في الهامش بخط آخر: "هم" وبجانبها "صح".
(٦) ص ٦٨
(٧) [المرسلات: ٣٠ ، ٣١]

ومِن ذلك: سِرُّ الفِتن في السرّ والعَلَن

-من الباب السادس والعشرين ومائة-

أين القوّة والناصر ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾.[1] يقول الله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ﴾ ثمّ أقسم بالجمع؛ ﴿ٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ. وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ. إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ. وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾[2]. بُلِيَتْ في القيامة السرائر كما بليت بالجهاد الظواهر؛ ليتميّز الصابر من غير الصابر بالمسبار والسابر.

مِن أعجب ما في البلايا والفتن، وما تنطوي عليه من الرزايا والمحن؛ ما جاء في الكتاب المحكَم: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾[3] وهو العالِم بما يكون منهم، فافهم مَن يعلم، وإذا فهمتَ فاكتم.

فـإذا عَلِمْـتَ فـافْهَمْ وإذا فَـهِـمْـتَ فـاكْـتُمْ
وإذا[4] كَتَمْـتَ فـالزَمْ وتــأخَّــرْ لا تــقَــدَّمْ
فإذا قـدمْـتَ فـاحْذَرْ أن تُرَى في الحَشْرِ تَنْدَمْ

إذا سئلتَ فقل: لا أعلم ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾[5] وما ثَمّ. العالِم في أوقات يتجاهل، وعن الجاهل يتغافل، وعن الانتهاض في المؤاخذة يتكاسل، وفي مثل هذا يقع التفاضل. والله ليس بغافل؛ فإنّه معنا في جميع المحافل. ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ. إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[6] ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾[7].

العلن ما انتشر، والسرّ ما ظهر، وما هو أخفى من السرّ؛ ما لا يُعلم من الأمر، وما هو إلّا العلم بالله، وهذا منزل الحائر الأوّاه. ما تأوَّه حتى تولَّه، وما تولّه حتى تألّه. حار عقلُه، وما أفاده نقلُه. تقابلتِ الأقوال، وتضادّت الصور والأحوال. فآيَةُ تشبيه تقابِلُها آيَةُ تنزيه، وقد يجمع الحكم بهما

(١) [الطارق: ٩]
(٢) [الطارق: ١١ - ١٤]
(٣) [محمد: ٣١]
(٤) ص ٦٨ب
(٥) [المائدة: ١٠٩]
(٦) [التكوير: ٢٦ ، ٢٧]
(٧) [ص: ٨٨]

آيةٌ واحدة؛ لمن أراد الفائدة، مثل قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[1] فهي آيةٌ تحوى على التنزيه والتشبيه، عند كلِّ مقرَّبٍ وجيه، وذي فطنة نبيه. فإن انتهى إلى ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾؛ فقد سقط على الخبير. الفتنة اختبار في البصائر والإبصار، الأمر ما بين محسوس ومعقول[2]، أعطته بالوجود دلائل العقول، وإن شئت ما بين موهوم وهو المتخيّل، وهو أمرٌ ما عليه معوّل.

فالأمْرُ ما بَيْنَ مَوْهُوْمٍ ومَعْقُولِ | كالأَجْرِ ما بَيْنَ مَوْهُوبٍ ومَنْقُولِ
فإنّني لَسْتُ في أَسْمَاء مُنْشِئِهِ | إلّا كَصاحِبِ وَجْهٍ فِيْهِ مَقْبُولِ
وقائِلٍ لَيْسَ في إِدْرَاكِهِ مَلَلٌ | ولا وَحَقِّ الهَوَى ما هُوْ بِمَمْلُولِ

فالبصر للعِبْرة والبصيرة للحَيرة؛ إذ كانت ما تَرى غَيره، لِمَا تحقّقتْ به من الغَيرة، إذا منحت بالشهود، وحصّلت من طريق الوجد الوجود. فإن فاتها هذا المقام؛ فإنّ رؤياها أضغاث أحلام. حِيْلَ بينها وبين المبشّرات؛ فنقول[3] بالفرقان لا بالقرآن في السور والآيات. وهذا القدر كاف؛ إذ هو دواء شاف.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ تنوّع الإرادة.. وحكم العادة

-من الباب السابع والعشرين ومائة-

تنوّعت[4] الإرادة لتنوُّع المراد، وحكم بالعادة في خرق المعتاد. ليس العجب عند[5] العليم إلّا تنوّع إرادة القديم، ربط بمشيئته "لَوْ" وهي تَوْ. إذا تنوّع الواحد فليس بواحد، ولا بدّ من أمر زائد، بل أمور كثيرة، وهذا لمن يفهم شعِيرة، دَقَّت عن الفهم؛ لما ينطوي عليه من العلم. لو شاء الله كذا وما يشاء، ولو شاء لصحّ المشاء. و"لو" حرف امتناع لامتناع؛ فكيف يُسْتطاع ما لا يُسْتطاع؟ إذا صحّ التنوُّع ظهر الجنس، وهذا خلاف ما يقتضيه القدس، وما يعطيه دليل الفعل

(١) [الشورى: ١١]
(٢) ص ٦٩
(٣) الحروف المعجمة مهملة
(٤) ص ٦٩ب
(٥) ق: "من عند" وهناك تصرف في "من" يشير إلى شطبها

في النفس. حقيقة الإرادة؛ ما استقرّ في العادة، وإن جاء خرق المعتاد؛ فهو أيضا للإرادة مراد؛ فلا تنظره من حيث الشخص، وعليك فيه بالبحث والفحص؛ تعثر على الظاهر فيه، لا بل على النصّ.

أهلُ الاعتبار هم أهل الاستبصار، لكن لا بدّ من حكم الأغيار. لولا النهر ما امتازت أحكام العَدْوَتين، ولا حكم بالفرقتين. الأرض واحدة، ما ثَمّ عين زائدة. جاء النهر ففصل، وإن كان لم يقطع فما وصل. لكنّه سَتر حين جرى، وما هذا حديث يُفْتَرَى. بل[1] هو أَبين من الغزالة[2] على مَن ناله. يعرفه أهل الرفع والخفض؛ فإنّه ما استقرّ إلّا على الأرض.

فالأرض من تحته في اتّصال، والعين تشهد حقيقة الانفصال. فلا بدّ من عبور؛ ولهذا قلنا بتنوُّع الأُمور. أعطت جِريةُ الماء الأرضَ حكما لم تكن عليه، وما استند هذا الحكم إلّا إليه. فلو ارتفعت الأنواء، وذهب الماء؛ لزال البَيْن وظهر البين[3] وصدَّق ما حكم به العلمُ العين. فقف مع الإرادة وإن تنوّعَتْ، ولا تبرح من العادة وإن تصدّعَتْ.

* * *

ومِن ذلك: ما ينتجه التجلّي في الأكوان.. في كلّ زمان

-من الباب الثامن والعشرين ومائة-

للتجلّي الإلهيّ في الأكوان؛ أحكامٌ بحسب الأزمان؛ فتنوُّع الأشكال؛ لتنوُّع الأحوال. كَثُرَ الحقُّ بالصوَر، وظهر بالزمان الغِيَر. من أسماء الزمان الدهر؛ فنطقت الغيرةُ بـ«أنّ اللهَ هو الدهر» وما ثَمّ إلّا مَن يُفتقر إليه؛ ولهذا حكمنا بأنّه عينُ العالَم وإن كان لديه. تجلّى في[4] صورة الفلَك فَدار، وفي صورة الشمس فأنار، وفي صورة الليل فأظلم، وفي العالي والسافل فأَنْجَدَ وأَتْهَم. وما تجلّى إلّا إلى عيْنِه، فما أدركتْهُ عينٌ سِوَى كونِه. فأدرك نفسَه بنفسِه، فهو لِعقلِه كما هو لِحِسّه، مع ثبوت

(١) ص ٧٠

(٢) الغزالة: الشمس

(٣) البين الأولى بمعنى الفراق والثانية بمعنى الوصل

(٤) ص ٧٠ب

قُدْسِه.

أعطى الحدثان من الحكم ما لم يثبت في العلم؛ فإنّ دليل العقول قد يخالف ما صحّ عِندها مِن المنقول؛ فالويل العقليُّ إن قَبِلَتْه، والويل الإلهيّ إن لم تَقبلهُ وتَرَكَتْه. ثمّ إنّه لا يقبل إلّا بالإيمان، وإن لم يشـــهد له العيان. فارتفاع الريب، في العلم بالغيب؛ بَراءة من العيب، وما في القلب من الشّـوْب. إيّاك واتّباعَ المتشـــابِه -أيّها الوالِه- فما يتبعه إلّا الزائغ، وما يترك تأويله إلّا العاقل البالغ. فإن جاءه من ربّه ذلك الشـفا؛ فهو المعبّر عنه بالمصطفى. والمصطفون عند أُولِي الألباب؛ ثلاثةٌ بنصّ الكتاب: ﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِـهِۦ﴾ في أبناء جنســه، والثاني ﴿مُّقْتَصِـدٌ﴾ وعليه المعتمد؛ فإنّه حكيم الوقت، بعيد من المقت. والثالث ﴿سَـــابِقُۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1] إلى الخيرات ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَـــانٌ. فَبِأَيِّ [2] ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[3] "ولا بشيـــء من آلائك ربّنا نكذِّب"، وكيف وفي نعمائك نتقلّب؟ فاعلم والزم.[4]

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الإقناع.. وما يقع به من الانتفاع

-من الباب التاسع والعشرين ومائة-

الإقناع ارتفاع، وبه يقع الانتفاع. مَن أقنع هنا خضع، ولا يُقنع في الآخرة إلّا مَن خشع. ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ إلى واهب الكلّ، ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾[5] إلى إلهٍ قاهرٍ عَلِيّ. فلو راقبوه في دنياهم؛ أمنوه في أخراهم. أقنع الأكْياسُ رءوسَهم في الدنيا مع الاتّصاف بالخشوع الذي يناقض القنوع؛ فأعزّهم الله في العقبى، وأورث خشوعهم أبناء الأُولَى. من ارتفع سقط، وهنا وقع الغلط، وجُهِل السَّقط. أَقْنِع رأسك -أيّها الإنسان- وانظر إلى الجنان، والحاكم الرحمن، يصلح بين

---

(١) [فاطر: ٣٢]
(٢) ص ٧١
(٣) [الرحمن: ٧٠ ، ٧١]
(٤) في الهامش: "بلغ قراءة وسماعا على الشيخ المؤلف أيده الله"
(٥) [الشورى: ٤٥]

الإخوان. فـ﴿أَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾(١) فـ«إنّ الله يصلح بين عباده» في يوم إشهاده، على رءوس أشهادِه. فما يَرى الخير إلّا مَن أمِن الضير. قد يكون في الآخرة الإقناعُ للأَعزّة،(٢) ولمن ظهر بأحسن بزّة. وقد يكون للظالم الجائر، الواله الحائر. وبالسمات يفرَّق بين الأشخاص، يوم التنادي ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾(٣).

تعوّذوا بالله من هول ذاك المقام؛ فإنّ فيه تسفيهَ الأحلام. ولو سَفّه العقل من كان يؤمن بالنقل، فالعقل ما عنده سفَه، ولكن تنبّه. في الإنسان حاكم على صورته وهو الهَوَى، ومن أجله وقعت البلوى، وإليه يرجع السفَه، ودع عنك كَلام مَن مَوَّه. العقل عن السفاهة منزَّه، وما هو بغافل حتى يتنبّه. لكنّ العاقل قد يغفُل عن استعمال عقله؛ لاستحكامه في نقله. ومَن حكم عليه هواه؛ مشى في رضاه، والعقل محجوب في بيته إلى وقته. فإذا احتدّ البصر، وانكشف الغطاء، وجاء العطاء؛ استدعى هناك صاحب الهوى عقلَه، وترك نَقلَه. فوعزّة العزيزِ ما نفعه، وتركه لمن صرعه، حاصدًا ما زرعه.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الموت الأحمر.. بالمقام الأخطر

-من الباب الثلاثين ومائة-

ذَبْحُ(٤) النفوس؛ أعظمُ في الألم من الذبح المحسوس. مخالفةُ(٥) الآراء؛ أعظمُ في الشدّة من مقابلة الأعداء. مجانبةُ الأغراض غايةُ الأمراض. مَن فاز بمخالفة النفس سكنَ حظيرةَ القدس. "مَن نهى النفس عن الهوى" كانت جنّته المأوى. لا ينهاها إلّا "مَن خاف مقام ربّه"، وخاف عقوبةَ ذنْبِه. فالتَزَم الوفاء، وتميّز في أهل الصفاء. وقام بما كُلِّف؛ فَقُبِل وما عُنِّف.

ولقد رأيت هذه الليلة في واقعتي ما شيّب سالِفتي، وقد نظمت ما رأيته، وفي هذا الباب

---

(١) [الأنفال: ١]
(٢) ص ٧١ب
(٣) [ص: ٣]
(٤) ص ٧٢
(٥) مكتوب فوقها مباشرة بقلم الأصل من غير إشارة الاستبدال: "اختلاف"

كتبته، وفي النوم قلته:

لا بُدَّ مِن خَوْفٍ ومِنْ شِـــدَّةٍ ... لا بُدَّ مِن جَوْرٍ ومِنْ عَسْـفِ
في حَلَـبٍ مِنْ حَكَمٍ جـائِرٍ ... في حُكْمِهِ يَمْشِي إلى خَلْفِ
يَـنْزِلُ مِـن قَـلْـعَـتِهـا راجِلًا ... مِن غَيْرِ نُسْكٍ لا ولا عَطْفِ
كأنّـهُ الحَـجّـاجُ في حُـكْمِـهِ ... يَحْـكُمُ بالـقَـهْـرِ وبِالـعُـنْـفِ
يَجُوْرُ[1] في الخَلْقِ بـأحكامِـهِ ... يُـفَـرّقُ الإلْـفَ مِـنَ الإلْـفِ
قَـدْ نَزَعَ الرَّحْمَنُ مِن قَلْبِـهِ ... رَحْـمَـتَـهُ وقَـدْرُ ذا يَـكْـفِي
في صُوْرَةِ الحَجّاجِ أَبْصَرْتُهُ ... لا بَلْ هُوَ الحَجّاجُ فاسْـتَكْفِ
بالـواحِـدِ الرَّحْمَـنِ مِنْ شَرّهِ ... ما خابَ مَن باللهِ يَسْـتَكْفي

لكن عسى الله أن يجعل سطوته على أهل العناد مِن أهل الإلحاد. وكانت عليه غفارة حمراء، وهو يتمايل تمايُل سَكْرى. فأرجو لكونه فاضلا؛ أن يكون عادلا؛ فإنّه نزل راجِلا، وبيده عصاه يستعين بها على مَن خالفَ أمر الله -تعالى- وعصاه. جعله الله تأويلا صادقا، ولسان حقّ ناطقا. فتَعَوَّذْنا حين انتبهنا من شرّ ما رأينا، كما أمرَنا ﷺ، وتَفِلنا وتحوّلنا كما علَّم.

* * *

ومِن ذلك: الاضطرار.. افتقار

-من[2] الباب الأحد والثلاثين ومائة-

الاضطرارُ صفةُ المخلوق، فارتفعتْ عنه الحقوق. له الحقّ لا عليه، فلا يلتفت إليه. الالتفات إلى مَن بيده أَزِمّة الأمور، ويعلم ما في الصدور، وبيده مقاليد السماوات والأرض، وميزان الرفع والخفض، فيؤتي المُلْك من يشاء، وينزع المُلك ممن يشاء، فيعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، بيده

(١) ص ٧٢ب
(٢) ص ٧٣

الخير وهو على كلّ شيء قدير، ولم يضف الشرّ إليه وهو الحكيم الخبير، و﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[١]. لا يبدّل القول لديه، فحَكم به عليه.

فلا يعرف المضطرّ؛ إلّا مَن أطعم القانع والمعترّ. اضطرار لا إجبار، والمخلوق جَبْرٌ في اختيار. المخلوق مجبورٌ في اختياره، مختارٌ في حال اضطراره. لولا التردّدُ ما ظهر الاضطرار؛ وإن لم يحكم على صاحبه افتقار. ما كلّ اضطرار يكون معه الافتقار. الافتقار يطلب المستنَد، وما قال بخلافِ ذلك أحد. والمضطرُّ في حكمه؛ مع ما سبق في عِلْمه. فلا يَحْكُمُ حَكَمٍ إذا عدل وما ظلم، إلّا بما علِم، ولا سيما مع ارتفاع التُّهَم.

مَنِ العِلْمُ صِفتُه فالعدل شيمتُه[٢]. فَحُكْمُه[٣] بالعلم؛ حكم المضطرّ في الحكم. ما في الكون إلّا العِلم؛ لكن بقي الفهم. إذا علم الجائر أنّه جائر؛ فليس بجاهل ولا غافل. ما حَكَم إلّا بما وجَد، ولا أمضى إلّا ما شهد، وما بقي إلّا أن يعتقِد؛ أنّه الحكم الإلهيّ أَوْ لا يعتقِد. بهذا تميّزتِ النِّحَل، وافترقَت المِلَل. فمِن ناظرٍ إلى الحكم الإلهيّ في الأصول، ومِن ناظرٍ إلى الحكم الإلهيّ في الشرع المنقول. وكلّ واحد وقف مع دليله، على سواء سبيله، وفرَّق بين عقده وقِيْلِه. فمن قائل بمقيلِه، ومن قائل برحيله. فالناس بين حالٍّ ومرتحِل ومنفصِل، وآخر في انفصاله متّصل.

* * *

ومِن ذلك: السيادة.. عبادة

-من الباب الثاني والثلاثين ومائة-

السيّد خادم؛ فهو في العبادة قائم. ففرَّق بين السادات والعبيد؛ مَن يقول بالمراد والمريد. السيّد أَحقّ باسم العبودة من الغَيْر؛ لأنّ بيده جميع الخير، له النفوذ والقصد، والأمر مِن قَبْل ومِن بَعْد. يحكم[٤] في عبده لِعبْده؛ فهو بحكم عبْده، لو حكم لنفسه لبقي في قُدسه، وأين السيادة مع

(١) [الشورى: ١١]
(٢) ق: "شُبْهَتُه" ومكتوب تحتها بقلم آخر: "شيمته" وفقا لـ هـ، وفي س: سيمته
(٣) ص ٧٣ب
(٤) ص ٧٤

العبادة؟

كُلَّمَا قُلْتُ: سَـيّدي قـالَ لِي: أَنْـتَ مـالِكِي
سَـــدَّ واللهِ كَـوْنُ عَـبْـدِيْ عَـلَيَّ مَســـالِـكِي
ما لَنا عَنْهُ صـــارِفٌ فِي جَمِـيْـعِ المَـدارِكِ
لَسْـتُ فِي عَيْنِهِ وَلا فِـعْـلِهِ بالمُشـــارِكِ
فَـهُـوَ المَـالِكُ الَّذِي لَـيْـسَ يُـدْعَى بالمـالِكِ
وأَنَا الخـادِمُ الَّذِي يَـعْـتَـنِي[1] بالمَـمَـالِكِ
قُلْتُ: يا رَبّ عِصْمَةً مِنْ سَـــبيـلِ المَهـالِكِ
قـال: سَمْعًـا فَـأَنْـتَ عِنْـدِي مِنَ اهْـلِ الأَرائِـكِ
فِي سُرُوْرٍ وغِبْطَـةٍ لا مِنَ اهْـلِ الدَّرانِـكِ[2]

لا تكن مِن الملوك؛ فإنّ المَلِك مملوك، وحصلتْ شمسُه في الدُّلوك، واغترّ السالك بالسلوك؛ لانتظامه في أهل الأقراط والسلوك. مَن ملكت يمينه؛ فقد عرق جبينه. مَن صحّت سيادته؛ صحّ تعبُه، وكَثُر -واللهِ- نَصَبُه. همٌّ لازم، وغمٌّ دائم؛ لأنّه حاكم، لا يحكم في عبده إلّا بحاله؛ فهو الضعيف في شدّة مِحَالِه. لين[3] في عنف، وقوّة في ضعف. لو ترك خدمة عبده انعزل؛ وكان ممن عصى المرتبة فَزَل. فما خدم سيّدٌ سِوَى نفسِه؛ ولو خدم أبناء جنسه.

(١) ق: "باعني" وعليها خط إشارة المسح، ومقابلها في الهامش بخط آخر مع إشارة التصويب: "يعتني".
(٢) الدرانك: البُسُط
(٣) ص ٧٤ب

ومِن ذلك: سِرُّ الدعابة صلابة

-من الباب الثالث والثلاثين ومائة-

إذا مزحتَ فقلِّل، ولا تعلِّل. مَن التزم الحقَّ في مزاحه سعى في فلاحِه. ما أصاب عليّا ﷺ ما أصابه إلّا مِن الدعابة[١]. لذا قال له أبو هريرة، وقد رجم على كعبه بالحصباء وما تأبّى: "لذا أخّروك وما أمّروك". فإن صحّت الرواية؛ ففي هذا كفاية. مازِح العجوزَ وذا النغير ولا تقل إلّا الخير. «ما فعلَ بعيرُك الشارد»[٢]؛ من أحسن مزاح العوائد. فأجابه ذلك الإنسان، فقال: "قيّده -يا رسول الله- الإيمان". وقال: «يا أبا عمير؛ ما فعل النغير»[٣] بِعطف وتبسُّم، وما حجبه المنصب عن التلطّف بالصغير والتهمّم. وقال: «إنّ العُجُزْ لا يدخلن الجنّة»[٤] يعرّفها بما لله عليها من المنّة؛ لِرَدِّه عليها شبابَها، وخَلْعِه -سبحانه- عليها جلبابها[٥].

فإن لم يكن المزاح هكذا؛ وإلّا فهو أذى، والأذى من الكريم محال، ولا سبيل إلى هذا القول بِحال. لولا صلابة الدين؛ ما كان من المازحين؛ لأنّه يذهب بالهيبة والوقار عند المطموسين الأبصار. ألا تنظر إلى ربّ العباد في قصّة هناد، حين أخرجه واستدرجه، إلى أن قال له: «أتهزأ بي وأنت ربّ العالمين»[٦] فأضحكه. وهذا القول كان المقصود من الله به، ولهذا ما أهلكه؛ بل أعطاه وخوّله

---

(١) عن ابن عباس قال: وجدت عمر ذات يوم مكروبا فقال ما أدري ما أصنع في هذا الأمر؟ أقوم فيه وأقعد؟ فقلت هل لك في علي؟ فقال إنه لها لأهل ولكنه رجل فيه دعابة وإني لأراه لو تولى أمركم لحملكم على طريقة من الحق تعرفونها.. [الأحكام السلطانية ١/ ١٦]

(٢) الحديث موجّه من النبي ﷺ إلى خوّات بن جبير: صحابي من الأنصار ومن رواة الحديث ذكر ابن اسحق أنه كان فِيمَنْ رَدّهُ النّبِيّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ، رَدّهُ مِنْ الصّفْرَاءِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ - فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ عُقْبَةَ أَنّ حَجَرًا أَصَابَهُ فِي رِجْلِهِ فَوَرِمَتْ عَلَيْهِ فَرَدّهُ النّبِيّ ﷺ لِذَلِكَ وَهُوَ صَاحِبُ خَوْلَةَ ذَاتِ النّحْيَيْنِ فِي الْجَاهِلِيّةِ وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وَيُرْوَى أَنّ النّبِيّ ﷺ سَأَلَهُ عَنْهَا وَتَبَسّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ قَدْ رَزَقَ اللّهُ خَيْرًا، وَأَعُوذُ بِاَللّهِ مِنْ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ وَيُرْوَى أَنّهُ قَالَ لَهُ مَا فَعَلَ بَعِيرُك الشّارِدُ؟ فَقَالَ قَيّدَهُ الْإِسْلَامُ يَا رَسُولَ اللّهِ وَقِيلَ مَعْنَى قَوْلِهِ بَعِيرُك الشّارِدُ أَنّهُ مَرّ فِي الْجَاهِلِيّةِ بِنِسْوَةٍ أَعْجَبَهُ حُسْنُهُنّ فَسَأَلَهُنّ أَنْ يَفْتِلْنَ لَهُ قَيْدًا لِبَعِيرٍ لَهُ زَعَمَ أَنّهُ شَارِدٌ وَجَلَسَ إلَيْهِنّ بِهَذِهِ الْعِلّةِ فَمَرّ بِهِ النّبِيّ ﷺ وَهُوَ يَتَحَدّثُ إلَيْهِنّ فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَعَنْهُنّ فَلَمّا أَسْلَمَ سَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ الْبَعِيرِ الشّارِدِ وَهُوَ يَتَبَسّمُ لَهُ فَقَالَ خَوّاتٌ: قَيّدَهُ الْإِسْلَامُ يَا رَسُولَ اللّه. (الروض الأنف ٣/١٤٥)

(٣) روى البيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٤٨): حدثني حميد عن أنس قال كان ابن لام سليم يقال له أبو عمير، كان النبي ﷺ ربما يمازحه إذا جاء. فدخل يوما يمازحه فوجده حزينا. فقال: ما لي أرى أبا عمير حزينا فقالوا: يا رسول الله مات نغيره الذي كان يلعب به. فجعل يناديه: يا أبا عمير؛ ما فعل النغير.

(٤) عن عائشة، قالت: دخل النبي ﷺ على عائشة، وعندها عجوز فقال: من هذه ؟ قالت: إحدى خالاتي . قال: أما إنه لا يدخل الجنة العجز، فدخل العجوز من ذلك ما شاء الله . فقال النبي ﷺ: « إنا أنشأناهن إنشاء خلقا آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا، وأول من يكسى إبراهيم خليل الرحمن» . ثم قرأ النبي ﷺ: "إنا أنشأناهن إنشاء" (البعث والنشور للبيهقي ١/٣٥٤)

(٥) ص ٧٥

(٦) ورد هذا الحديث بصيغ عديدة واخترنا منه رواية ابن خزيمة وهي: حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني، والحسين بن عيسى البسطامي، قالا: ثنا يزيد بن هارون، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ، قال:

وملّكَه. فسَرَت هذه الحقيقة في كلّ[1] طريقه، وظهرت في كلّ شيمة وخليقة؛ فعمّت الوجود، وحكمت على الشاهد والمشهود. فلو لم تكن من جملة النِّعم؛ ما صحّ بها النعيم، ولا اتّصف بها النبيّ الكريم، ولا ظهر حكمها في المحدَث والقديم. ولكن -يا أيّها الإنسان- لا تقل بالتطفيف في الميزان، ولا بالخسران؛ بل اعتدِل ولا تنحرِف، وعند مقامك فقِف ولا تنصرِف.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الرخاوة.. غشاوة

-من الباب الرابع والثلاثين ومائة-

إذا[2] استرخت الطبقة الصلبة التي في البصر؛ حصل الضرر. فالرخاوة غِشاوة، كما أنّك لا تفرط في القساوة، واسكن من القرى سَاوَة[3]؛ فإنّ السعادة فيما ساواه، لا فيمن ناواه. ولا تقل: المِثلان ضدّان؛ فإنّ لكلّ مقام مقالا، ولكلّ عِلم رِجالا، ولكلّ مَشرب حالا؛ فإمّا مِلحًا أجاجا، وإمّا عذبا زلالا. الشدّة والرخاء؛ هما في الريح زعزعٌ ورُخاء. فالزعزع عقيم، والرُّخاء كريم. تسعى في صلاح البال، وهي محمودة في المآل، تجري بأمر مَن أمرها رُخاء حيث أصاب، لا يعقبها مصاب. الرخاوة في الدين من الدين، ولهذا امتَنّ عليه أن جعل نبيّه من أهل اللين، فقال: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾[4] وبهذا فضَلَهم. ولو كان فظّا غليظا في فِعله وقوله؛ لانفضّوا من حوله. فهم مع العفو واللين لا يُقْبِلون؛ فكيف مع الشدّة والفظاظة؟ لن يزالوا مدبِرين.

لا تكن حلوا فتُسْتَرط، ولا مرًّا فتُعْقَى[5]؛ فتكون شبيها بالأفعى؛ يُتّقى ضَيْرُها، مع أنّه يُرجى

إن آخر من يدخل الجنة لرجل يمشي على الصراط، فينكب مرة، ويمشي مرة « فذكر الحديث بطوله، وقالا في آخر الخبر:» فيقول ربنا تبارك وتعالى: «ما يصرني منك، أي عبدي، أيرضيك أن أعطيك من الجنة مثل الدنيا ومثلها معها؟» قال: فيقول: أتهزأ بي، وأنت رب العزة قال: ضحك عبد الله حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا تسألوني لم ضحكت؟ قالوا: لم ضحكت؟ قال: لضحك رسول الله ﷺ، ثم قال لنا رسول الله ﷺ: ألا تسألوني لم ضحكت؟ قالوا: لم ضحكت يا رسول الله؟ قال: لضحك الرب تبارك وتعالى، حين قال: أتهزأ بي وأنت رب العزة (التوحيد لابن خزيمة ١/٣٥٦)

(١) ثابتة في الهامش بقلم الأصل

(٢) ص ٧٥ب

(٣) مدينة في بلاد فارس قرب بحر قزوين، تقع بين الري وهمذان، وكانت بقربها بحيرة غاضت عام ميلاد الرسول (ص).

(٤) [آل عمران: ١٥٩]

(٥) ق: "فتقعى" وفي مجمع الأمثال (١/ ٢٩٩) "لا تكن حلوًا فتسترط ولا مرًّا فتعقى" الاستراط، الابتلاع. والإعقاء أن تشتد مرارة الشيء حتى يلفظ لمرارته.

خَيْرُها؛ فإنّها من عقاقير التِرياق الذي يردّ النفس ولو بلغت التراق[1]، ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾[2] ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾[3] فانظر إلى هذا الخير، وما تحوي عليه من الضَّيْر. فما قام خيرُها بِشرّها، ولا ذهب حُلْوها بِمُرّها. بل لكلّ حال مكان وزمان وإخوان، وماضٍ ومستقبلٍ وآن، وإنفاقٍ من إمكان. كالسماع في الحكم؛ عند أُوْلِي الفهم. فيحتاج سماع الألحان إلى مكان وزمان، وإمكان وإخوان؛ فهذه أربعة أركان. فالمكان: ما تشهد فيه اللطف، والإمكان: ما يجود به الكفّ، والإخوان: ما تكون منهم في أمان، والزمان: ما تأمنُ فيه السلطان؛ فأَمَانُك زَمانُك. والله الموفّق، وهذا دعاء المحقِّق؛ فإيّاك وعَجَلةَ المحقحِق[4].

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الإحياء.. في الحيْ، والوفاء في اللَّيْ

-من الباب الخامس والثلاثين ومائة-

الغيثُ غَوْث؛ فيه نشر الرحمة من وليّ النعمة. لا يقنِط من رحمة الله؛ إلّا مَن ضلّ عن الطريق وتاهْ. بالماء حياة الأحياء؛ لما فيه من سِرِّ الإحياء. جعل اللهُ من الماء كلَّ شيء حيّ؛ فكان عرشه على الماء قبل الاستواء؛ ثمّ[5] استوَى عليه، وأضاف ما أحاط به إليه. فهو ﴿بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾[6]؛ من مركّب وبسيط؛ بعلم وجيز وبسيط ووسيط. استوى عليه اسم الرحمن، وعمَّ حكمُه الإنسَ والجانّ. فظاهر ومستور من خلف أَكِلَّة[7] وستور، وعروس تُجْلَى في أرفع مِنَصَّة وأحسن مَجْلَى. ولولا "لولا" ما ظهر الأَوْلَى، ولا نزل: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ. ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ. أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾[8] فَمَن نظر واهتدى، وباع الضلالة بالهدى؛ عجَّل بالفِداء مِن أَجل تحكّم الأعداء.

(١) ص ٧٦
(٢) [القيامة: ٢٧]
(٣) [القيامة: ٢٩]
(٤) الحقحقة: شدة السير
(٥) ص ٧٦ب
(٦) [فصلت: ٥٤]
(٧) أكِلّة جمع إكليل، كِلّة: غشاء من ثوب رقيق
(٨) [القيامة: ٣٤ - ٣٦]

ومِن ذلك: سِرُّ مَن استحيا.. من الأموات والأحياء

-من الباب السادس والثلاثين ومائة-

مَن استحيا؛ أمات وما أَحيا. لا يُحْيي إلّا الحياء؛ فإنّه من صفات الأحياء؛ ولكن لمن كان له حياء. إنّ الله لا يستحيي من الحقّ، وذلك ليس من صفات الخلق. مَن لا يكون إلّا ما يريد؛ لا يستحي من العبيد. فإنِ استحى في حالٍ مّا؛ فَلِطلب الاسمِ المسمَّى. وهو الحيِيُّ كما هو العليُّ. الحياء في الأموات؛ من أعجب السمات. بالحَياءِ قصر(١) الطرْف، وبه استتر المعنى بالحرْف. الحياءُ حَبَسَ المقصورات في الخيام؛ لئلّا تدركهنّ أبصارُ الأنام. ولولا الاسم الغيُور؛ ما اتُّخِذت الأبنية والقصور. لولا التكليف؛ ما ظهر فضل العفيف. القوّة مخصوصة باللطيف؛ فكيف يحجبه الكثيف. لولا قوّة الأرواح؛ ما تحرّكت الأشباح. ولولا حركة الأشباح؛ ما وصلَت إلى آمالها الأرواح؛ فما كلّ سَراح فيه انْفِساح.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الرفيق.. رفيق

-من الباب السابع والثلاثين ومائة-

صحبة الرفيق الأعلى أَوْلَى، ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾(٢). الرفيق بعبده أرفق، وهو عليه أشفق. أَرَقُّ الناسِ أفئدةً اليمنيّون، وهم السادة العلماء الأُمّيّون. اختَار(٣) الرفيق؛ مَن أبان الطريق، وهو بالفضل حقيق؛ خُيِّر فاختار، ورحل عنّا وسار؛ ليلحق بالمتقدِّم السابق، ويلتحق به المتأخِّر اللّاحِق. فلِعلمه بأنّه لا بدّ من الاجتماع؛ اختار الخروج مِن الضِّيق إلى الاتّساع. ألا ترى نِداءه في الظلمات(٤)، ولم يكن من(٥) الأموات؛ وإنما خاف الفوات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾(٦)

---

(١) ص ٧٧

(٢) [الضحى: ٤]

(٣) ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

(٤) المقصود به هنا النبي يونس عليه السلام

(٥) ص ٧٧ب

(٦) [الأنبياء: ٨٧]

كنتَ حيث كنتَ؛ فاستجاب له فنجّاه من الغمّ، وقذفه الحوت مِن بطنِه على ساحل اليَمّ؛ فأنبتَ عليه اليقطين لِنَعْمَتِه، ولنفور الذباب عن حوزته. فهذا الغَزْل الرقيق؛ من إشفاق الرفيق.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الاستحقاق.. يردّ[1] الاسترقاق

-من الباب الثامن والثلاثين ومائة-

الحُرُّ إذا كان من أهل الكرم؛ تسترقّه النِّعم، وعلى مثل هذا عمِل أصحابُ الهمم. الإنسانُ عبدُ الإحسان، لا بل عبد المحسان. مَن تعبّدته العِلل؛ ففي مشيته قَزَل[2]. مَن ذاق طعم العبوديّة؛ تألّم بالحرّيّة. الحرّيّة محال، والعبودة رأس المال، على كلّ حال. الربُّ ربٌّ والعبدُ عبدٌ؛ وإن اشتركا في العهد. لا تقل: "بئس الخطيب" من أجل الضمير؛ فقد جمع بينهما محمد ﷺ وهو السراج المنير؛ فبه اقتدينا فاهتدينا. ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾[3]، ولا سيما إذا ثبت[4] أنّه ما في الوجود إلّا الله. العينُ وإن تكثّرت في الشُّهود؛ فهي[5] أحديّة في الوجود. ضَرْبُ الواحد في الواحد؛ ضربُ الشيء في نفسه؛ فما يعطي غير جنسه. فإن ضربتَه في غير عينه؛ فما يزيد ما أضفته إليه في كونه.

(١) الحرف الأول مهمل في ق، وفي س: برد
(٢) قزل: أسوأ العرج
(٣) [النساء: ٨٠]
(٤) ثابتة في الهامش بقلم آخر
(٥) ص ٧٨

ومِن ذلك: سِرُّ ذِكْرِ الحادِث؛ أَمْنٌ مِن الحوادث

-من الباب التاسع والثلاثين ومائة-

ذِكْرُ[1] المخلوق ما يصحُّ قِدَمُه، ولو ثبت لاستحال عَدمُه. فالحادث لا يخلو عن الحوادث، لو حَلّ بالحادث الذكرُ القديم؛ لَصحّ قولُ أهل التجسيم: القديم لا يَحِلُّ، ولا يكون محَلًّا؛ ولو كان محَلًّا لكان مُحِلًّا لا يوصف بغير وصْفِه، وهل يُعرف المِسْكُ إلّا مِن عَرْفِه؟ أو يَضمّ المعنى سِوَى حَرْفِه. ذِكْرُ القرآن أَمان، ويجب به الإيمان؛ أنّه كلام الرحمن، مع تقطيع حروفه في اللسان، ونَظْم حروفه فيما رقمه باليراع البنان. فحَدَثت الألواح والأقلام؛ وما حدَث الكلام، وحكمت على العقول الأوهام؛ بما عجزت عن إدراكه الأفهام. ولو نيل بالإلهام؛ لكان العالمُ به هو العلّام.

* * *

ومِن[2] ذلك: سِرُّ ذِكْرِ القديم ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾[3]

-من الباب الأربعين ومائة-

الذِّكْرُ القديم ذِكْرُ الحَقّ، وإن حكى ما نطق به الخلْق. كما أنّ ذِكْرَ الحادث ما نطَق به لسان الخلْق، وإن تكلّم بالقرآن الحقّ. مَن وقف مع المعنى؛ ما تَغَنّى. إذا كان الحقّ لسان العبد؛ فالذِّكْر قديم، ومزاجُه بالعَبْدِ مِن تسنيم؛ لأنّه العليُّ الأعلى، والنزول بالعبد أَوْلَى. هو العين الذي يَشرب بها المقرَّب، وبها في كلّ صورة يتقلّب. البارُّ حقيق؛ في شُربِه من الرحيق. فإن كان الرحيق المختوم الذي مزاجه من تسنيم؛ فهو ظهور المحدَث بصفة القديم؛ فبه يتكلّم، وعنه يترجم. فقل ما تشاء؛ وما تشاء إلّا ما يشاء. فله المنّة والطَّول، وبه القوّة والحَوْل. الفريضةُ إذا عالَتْ مالَتْ. لا يَعرف الحقَّ إلّا مَن كان قُواه، ولا يكون قُواه إلّا مَن قوّاه. بالذوق؛ تعرف نِسبة التحتِ إلى الله -تعالى- والفَوْق، مع تنزّهه عن الجهات، وما تقضي به الشبهات.

---

(١) ثابتة في الهامش بقلم الأصل

(٢) ص ٧٨ب

(٣) [المطففين: ٢٧]

ومِن[1] ذلك: سِرُّ الاعتبار.. في الاستبصار من الأبصار

-من الباب الأحد والأربعين ومائة-

لولا الحواسّ ما ثبت القياس، ولولا البصر ما صَدَق مَن اعتبر. الاعتبار جوازٌ من أينٍ إلى أين، وانتقالٌ من عينٍ إلى عين؛ من كونٍ إلى كون، وعدم لا من عدم إلى كون. الاعتبار تعجُّب من الاقتدار. بالفلَك المُدار؛ ظهرت الدهور والأعصار، وبالشمس ظهر الليل والنهار. مِن خفايا الأمور؛ المدُّ والجزر في الأنهار والبحور. أَمِنَ القمرِ مَدُّهُ وجَزْرُه؟ أم من غير ذلك؛ فكيف أَمْرُه؟ هو عبد مأمور مثل سائر الأمور، مَدَّهُ مادُّ الظِّلِّ، ونَزَّله مُنْزِلُ الوَبْل والطَّلِّ. لا شكّ أنّ الأمور معلولة، والكيفيّة من الله مجهولة، والنفوس على طلب العلم به مجبولة. انفردَ بعلم العلل فأصْلُ الأبد من الأزل.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الأفكار.. متعلّق الأغيار

-من الباب الثاني والأربعين ومائة-

حَلَّتْ[2] المَثُلات بأهل التفكّر في المحدَثات، لا بدّ مِن وجهٍ جامع بين الدليل والمدلول في قضايا العقول، وإذا لم يدرَك بالدليل؛ فما إلى معرفته من سبيل. وقد دعانا إلى معرفته، وما دعانا إلّا بصِفَته. فلا بدّ من صفة تتعلّق بها المعرفة. وما ثَمَّ في العقل إلّا صفة تنزيه، وفي النقل ما ثَمَّ إلّا مثل ذلك مع صفة تشبيه. فعلى ما هو المعوَّل: على الآخِر أو الأَوّل؟ الأوّل[3] لا يتبدّل، والآخر[4] في كلّ صورة يتحوّل. فكما أنّه ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[5] كذلك في أيّ صورة رَكَّبْتَه في المعتَقَد؛ فيظهر فيها وما عَتَبَك. فله التجلّي -بالجيم- ولك التحلّي -بالحاء المهملَة- بصفة القديم. فبالأفكار تبدو عيون الأغيار، وبالأذكار تذهب الآثار، وتُطمَس الأنوار.

---

(١) ص ٧٩

(٢) ص ٧٩ب

(٣) ق: "الآخر" وعليها إشارة المسح واستبدلت بـ"الأول" بخط آخر وعليها إشارة التصويب

(٤) ق: "الأول" وعليها إشارة المسح واستبدلت بـ"الآخر" بخط آخر وعليها إشارة التصويب

(٥) [الإنفطار: ٨]

وِمِن ذلك: الفتى.. لا يقول: متى

-من الباب الثالث والأربعين ومائة-

الفتى ابنُ الوقت مخافة المقت. لا يتقيّد بالزمان، كما لا يحصره المكان. لا تصحبْ مَن إذا قلت له: "باسم الله" قال لك[1]: أين تذهب؟ ليس للفتى من الزمان إلّا الآن، لا يتقيّد بما هو عدم؛ بل له الوجود الأدوم[2]. زمان الحال لا ينقال. لا فتى إلّا عليّ؛ لأنّه الوصيّ والوليّ. الفتيانُ رؤساءُ المكانة والإمكان، لهم الحجّة والسلطان، والدليل والبرهان. عليهم قام عِماد الأمر، وهم على قدم حُذَيفة في علم السرّ. لهم التمييز والنقد، وهم أهل الحَلّ والعقد. لا ناقِضَ لما أبرموه، ولا مُبْرِمَ لما نقضوه، ولا مُطنِّبَ لما قوّضوه، ولا مقوِّض لما طنَّبوه. إن أوجزوا أَعجزوا، وإن أَسْهَبُوا أتعبوا. إليهم الاستناد، وعليهم الاعتماد.

* * *

وِمِن ذلك: ما عَتَى.. مَن زعم أنّه فَتَى

-من الباب الرابع والأربعين ومائة-

هو صاحب الفتوح، ما عنده جُموح، سهل الهوى والانقياد، ومع هذا فهو مع مَن زاد؛ بزاد وبغير زاد. الفتى هو الكليم[3]، وأين رتبة كلام الحقّ إيّاه من اتّباعه الخضر بطلب التعليم؟ انظر إلى هذا الإنصاف، وما[4] يختصّ به من الأوصاف. ما تجبَّر ولا عَتَى؛ ولهذا صحّ له اسم الفتى. الفتى مَن لا يزال للعلم طالبا، ومن الجهل هاربا. لولا ما شاهد في الكلام؛ ألسنة الأنام؛ ما كلّم، ولا اتّبع مخلوقا ليتعلّم. هو عرَف ما هنالك؛ فتعشّق بذلك. قال له: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدًا. قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا. وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرًا﴾[5]

(١) ص ٨٠
(٢) ق: "الأقدم" وعليها إشارة المسح واستبدلت بـ"الأدوم" بخط آخر وعليها إشارة التصويب
(٣) هو النبي موسى عليه السلام
(٤) ص ٨٠ب
(٥) [الكهف: ٦٦ - ٦٨]

أي لم تَذُقْ خطاب الحقّ بلساني، ولا رأيته في كياني.

* * *

ومِن ذلك: إدراك الغرر.. من النظر

-من الباب الخامس والأربعين ومائة-

الفراسة رئاسة. ما جار[١] وما ظلم مَن تَفرّس وحكم. يستخرج خفايا الأسرار؛ بما عنده من الأنوار. يعرف الماء في الماء، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. ليس بقائف[٢]؛ بل هو العارف. وليس بعرّاف ولا زاجِر، وإن أتى بالزواجر. يعرف الأُوَلَ من كلّ شيء؛ فيكشف بها كلّ خبء. يغور مَن بَصَرُه النور[٣]، ولا يبور. هو بالإيمان مشروط، وبحكمه مربوط. يمدُّه المؤمنُ بما شاء من أسمائه، عند إنبائه؛ فلا يُبطي ولا يخطي. له النفوذ والمضاء، وله الحكم والقضاء، وله الإمساك إن شاء والإمضاء؛ فإن شاء لم يَقْضِ وإن شاء قضى؛ بما يكون وهو كائن وما قد مضى. نورُه لا يحتاج إلى مَدَد، ولا انقضاء مُدَد، ولا استنصارٍ بأَحَد. سورته من القرآن: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ. ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ. لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ. وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[٤] فِعْلُ سورة الإخلاص؛ ما له مناص.

ومِن ذلك: الخُلُق.. تَحَقُّق لا تَخَلُّق

-من الباب السادس والأربعين ومائة-

مَكارِم الأخلاق أَدلّة على كرم الأَعراق. التصوُّف خُلُق، والمعرفة تحقُّق. الصوفي ربّاني، والعارف وحداني، والعالِم إلهيّ، والواقف طالِب، والحكيم ناصِب. الخُلُق العظيمُ؛ عند الكظيمِ. الغصن إذا حَرَّكَتْه الريح مال، والإناء إذا زاد على وُسْعِه سال. الإناء بما فيه ينضح[٥]، وعلى ظاهره يَرشح؛

---

(١) الحرف الأول مهمل في ق
(٢) قائف: من يقفو، وهنا بمعنى مقلّد
(٣) ص ٨١
(٤) [الإخلاص: ١ - ٤]
(٥) رسمها في ق: ينصح

فلا[١] يفرح الإنسان حتى يرى ما به ينضح. مَن نصح فقد أفصح، ودلّ على المقام الأرجح. «إذا وزنت فأرجح»؛ وإذا «وُلِّيْتَ فأسجح»[٢].

معاويَ إنّنا بَشَرٌ فأَسْجحْ   فَلَســْنا بالجِبالِ ولا الحَدِيْدَا[٣]

السماحة مَلاحة، بها يظهر جمال الإنسان في معاملة الأعيان من الأكوان. مَن صَرّف خُلُقَه مع ربّه؛ فقد علم مَن في قلبُه وقَلْبِه.

* * *

ومِن ذلك: لولا الأعيان.. ما ظهر الغيران

-من الباب السابع والأربعين ومائة-

الغَيُور سريع النُّفور؛ فيخطئ أكثر مما يصيب، وهو -مِن شأنه- في كلّ يوم عصيب. لمّا حاز جميع الأسماء؛ ظهر منه الاعتداء. لا يحتمل المزيد؛ وإن كان من جملة العبيد. يفني ويبيد؛ إذا سمع تشبيه القُرْب الإلهيّ منه بحبل الوريد. مقامه الوحدة؛ وإن طالت المدّة. يَنْفُر من صفات الحقّ؛ لِعلمه بأنّه خلْق. لا يقول بالامتزاج، وإن كان خَلْقُه من نطفة أمشاج. لا يقول بالنتاج[٤]، وهو[٥] النمّام كالزجاج. تميل به الأرواح في هبوبها؛ لِتُدنيه من محبوبها. فيأبى الميل وهي تغلبه؛ فتحكم عليه بما لا يقتضيه منصبُه، ولا يعطيه مذهبُه. فلا يزال لمجاري الأقدار في حال اضطرار، لا اختيار ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[٦] فترى الغيران يحار.

عجبتُ وقد علِم أنّ الحقّ أغْيَرُ منه؛ فكيف لا يأخذ عنه؟! «ومِن غيرته حرّم الفواحش» وهي من الحقائق الدواهش؛ فلا بجمعه بين الشكلين، ولا بقوله في رضاه بأحد الميلين. فرَّق بين النكاح

---

(١) ص ٨١ب
(٢) الإسجاح: حسن العفو والرفق
(٣) من قصيدة للشاعر ابن الزبير الأسدي (ت ٧٥هـ) شاعر من الكوفة، من الشعراء المشهورين بالهجاء. أكرمه مصعب بن الزبير حين ولي الكوفة، وبعد مقتله عمي الشاعر ومات في خلافة عبد الملك بن مروان. وله ديوان شعر.
(٤) توزع النقاط للحرفين في وسط الكلمة لا يعطي وضوحا دقيقا للكلمة في ق فهي: التناج، النتاج، النثاج. وهي في هـ: "بالنتاج"
(٥) ص ٨٢
(٦) [القصص: ٦٨]

والسفاح؛ حتى تتميّز الأرواح، وجعل حكم هذا المفتاح؛ في انضمام الأشباح. والزنا لا بدّ منه، وقد قال لصاحبه استتر به وصُنْه. وهو يعلم به ويراه، وقدَّره وقضى بِهِ ومع ذلك نهاه. وإن استتر عن أبناء جنسه؛ فما استتر عمّن هو أدنى إليه مِن نفَسِه ونفسِه. وهو خالق الحركات المنهيّ[1] وقوعها، وإليه يرجع جميعها. ثمّ يفرح بتوبة عبده منها؛ فكيف لا يُنَزِّه محلَّ عبدِه عنها؟! فلا يخلق إلّا ما يَسُرُّه، وإن كانت المعاصي لا تَضرُّه. كما أنّ الطاعات ما تنفعُه؛ ومع[2] هذا العلم فلا أرى العالم إلّا يفرُّقه ويجمعُه.

* * *

ومِن ذلك: شهود الغير.. لا خير ولا مير

-من الباب الثامن والأربعين ومائة-

ما عنده خيرٌ ولا مير؛ مَن ترك الغير. الغير ما له مستنَد إلّا إليه؛ فلا يزال نصب عينيه. لقد افترى مَن قال: إنّ الله لم يقل: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[3] يا ليت شعري؛ بعدَ نفسه لمن يرى؟ هل يرى إلّا الغير الذي أصله خير. فإنّ الحقَّ أصلُه، ومنه كان فضْلُه. فأوجَدَه على صورته؛ وحباه بسورته. أشدّ ما ظهر من الصدق؛ حكم الخلق على الحقّ. فلا يحكم عليه إلّا بما يعطيه، ولا يقضي فيه إلّا ما يقتضيه فيمضيه. بحكمه يتصرّف، وإليه محبّةً تعرَّف.

أهل الاستبصار يعلمون أنّه ما قام بالخلق افتقار، ولا يتّصف باضطرار ولا باختيار؛ بل هو على ما هو عليه، ويقبل مِن كرمه ما أُضيف إليه. فأبت الأسماء إلّا التصرّف، وأبت الأعيان من الخلق إلّا التظرّف. فمكّنتها من التصريف في أعيانها، وتخيّلتْ أنّها جادتْ عليها بأكوانها[4]. وما علِمت بأنّ الجود كان على نفسها؛ بظهور عقلها وحِسّها. فلولا كرم الخلق؛ ما انفعل للحقّ.

ولمّا كان ذا أصل كريم؛ يحكم فيه الحكيم؛ إيثارا له على ذاته؛ ليظهر فيها حكم صفاته أو سِماته.

---

(١) رسمها في ق وفي س أقرب إلى: "الهني"، والهنء لغة: العطاء الكثير
(٢) ص ٨٢ب
(٣) [العلق: ١٤]
(٤) ص ٨٣

فهو أصل الجود؛ حيث انفعل للوجود؛ حتّى اتّصف بأنّه موجود. فظهر فيه الاقتدار، ووُصِف بالافتقار والاضطرار. فَقبِل هذا الوصف تظرُّفا، وطلب من الحقّ تعرُّفا؛ لمّا رأى حاجة الأسماء إليه، وتعوُّلها عليه. والأمر عند أهل النظر الفكريّ بعكس ما ذكرناه، وما بيّنّاهُ حين سردناه، وليس التحقيق والحقُّ إلّا فيما أشرنا إليه وأردناه. وهذا أَنفَس علم يكون، وهو الذي قيل به للشيء "كن" فكان ويكون به كلُّ مكون.[١]

* * *

ومِن ذلك: ما هي.. أسباب التولّي الإلهي

-من الباب التاسع والأربعين ومائة-

نحن أسبابه وإهابُه، ومِنّا أعداؤه وأحبابُه. فمن خرج مضطرًّا، وكان وجهه مكفهرًّا؛ فهو العدوّ المبين، والذي إذا حدَّث يَمِين[٢]. ومَن خرج طيّب النفس مطيعا؛ حاز الأمر جميعا[٣]؛ فهو البلد الأمين، والمخلوق في أحسن تقويم، الظاهر بصورة القديم. فهذا سبب حصول العالَم في القبضتين، وخلق الدارين، وتعيين النجدين: فـ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٤] وإمّا ساخطا متضجّرا، وإمّا راضيا صبورا.

فتولّى اللهُ العالَم إظهارا لمُلكه، وانخراطا في سِلكه. وتولّاه بأسمائه الحسنى، وأَحلّه منه المحلّ الأسنى، وجعل قربَه منه ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[٥]. هذا غايةُ قُرب الخلق من الحقّ. وجعل قُربَه من العبيد أقربَ من حبل الوريد؛ وهذا غاية قُربِ الحقّ من الخلق. فالأمر بين قُربين، وما جعل الله لرجل في جوفه من قلبين؛ لكنّه جعل لكلِّ قلب وجهين؛ لأنّه خَلق من كلّ زوجين اثنين. فبنى الجمع على الشفع. فلم تكن وِتريّته سِوَى وِتريّة الكثير؛ وبهذا نطق الكتاب المنير.

(١) في الهامش: "بلغ قراءة وسماعا على الشيخ المؤلف أيده الله".
(٢) يمين: يكذب
(٣) ص ٨٣ب
(٤) [الإنسان: ٣]
(٥) [النجم: ٩]

فما شهِد عليه سِواه، وما انتهك أحد من المخلوقين حِماه. ولا ينبغي ذلك؛ فكلّ شيء سِوى وجهه هالك. وما ثمّ سِوى؛ حتى نقول بالسَّوا. العين واحدة، والأحكام ناقصة وزائدة؛ فاطلب على ما أشرتُ إليه؛ تحصل على الفائدة. فهذه أسرار، لا بل هي أنوار، ما عليها غبار، وإن عمِيَتْ عنها الأبصار، وتعالتْ عن مدارك الاعتبار وحكم الأغيار. وإليه[1] الإشارة بـ﴿نِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[2] وأنت الدار، وعليك المدار.

* * *

ومِن ذلك: ولاية البشر.. عين الضرر

-من الباب الخمسين ومائة-

﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾[3] يؤمَن به من كلِّ خيفة. أعطاه التقليد، ومكّنه من الإقليد[4]؛ فتحكّم به في القريب والبعيد. وجعله عين الوجود، وأكرمه بالسجود. فهو الروح المطهّر، والإمام المدبّر. شفَع الواحِدَ عينُه، وحَكَم بالكثرة كونُه؛ وإن كان كلُّ جزء من العالم مثلَه في الدلالة؛ ولكنّه ليس بظلٍّ فلهذا انفرد بالخلافة وتميّز بالرسالة. فشرع ما شرع، واتَّبَع واتُّبِع. فهو واسطة العقد، وحامل الأمانة والعهد. حَكَم فقَهَر؛ حين تحكّم في البشر؛ فظهر النفع والضرر. فأوّل مَن تضرّر هو كما ذكر.

ثمّ إنّه لم يقتصِر حتى آذى الحقَّ وسَبَّه، وأعطاه قلبَه، وعلِم أنّه ربّه فأحبّه. ولمّا حَسده وغبطه؛ أغضبَه وأسخطَه. ثمّ بعد ذلك هداه، وأرضاه واجتباه. فلولا قوّةُ الصورة ما عَتى، ولا لرجوعه إلى الحقّ سُمّي فَتى. فظهر بالجود في إزالة الغرَض، وأزال بزواله المرض، وقام[5] الأمر على ساق، وحصل القمر في اتّساق، ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ. إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾[6].

---

(١) ص ٨٤

(٢) [الرعد: ٢٤]

(٣) [البقرة: ٣٠]

(٤) الإقليد: المفتاح

(٥) ص ٨٤ب

(٦) [القيامة: ٢٩ ، ٣٠]

«إنّ الله يزع بالسلطان؛ ما لا يزع بالقرآن» فإنّ السلطان ناطِقٌ خالِق، والقرآن ناطِق صامِت. فحكمه حكم المائت؛ لا يُخافُ ولا يُرْجَى، ولا يُطْرَد ولا يُزْجَى. وما استند الصِّدِّيقون إليه، ولا عوَّل المؤمنون عليه؛ إلّا لصدق ما لديه. فالقرآن؛ أحقُّ بالتعظيم من السلطان؛ لأنّه الكلام المجيد الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١) لا رادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه. يصدق في نطقه، ويعطي الشيءَ واجبَ حقّه. فهو النور؛ والسلطان قد يجور.

* * *

ومِن ذلك: نُصرة الملَك.. في حركة الفلَك

-من الباب الواحد والخمسين ومائة-

حركاتُ الأفلاك مخاضٌ لِولادة الأملاك. «أَطّتِ السماء وحقّ لها أن تئِط» وغطَّت وحقيق لها أن تغِطّ. ما فيها قيد فتر(٢)، ولا موضع شِبر؛ إلّا وفيه ملَكٌ ساجِد، لربّه(٣) حامد. فهم في الأفلاك كما هي في بطون الأمّهات الأجِنّة؛ ولهذا سُمّوا بالجِنّة. فهم(٤) المسبِّحون في بطون الأُمّهات؛ إلى أن يحيي اللهُ مَن أمات. فعند ذلك تقع لهم الولادة، والخروج إلى عالم الشهادة. وقد أَشبه بعضُهم بعضَ الحيوان مما ليس بإنسان. فولد ورجع إلى بطن أُمّه إلى يومه، وتميَّز بهذا القدر عن قومه؛ كجبريل وغيرِه بما أنزلهم به من خيره وضيره. ولا تلد إلّا عن انشقاق، وذهاب عينٍ بالإنفاق. فتبدَّل الأرض ولا تبدَّل السماء؛ إلّا أنّه ينكشف الغطاء.

---

(١) [فصلت: ٤٢]
(٢) الفِتْر: ما بين طرف السبّابة والإبهام إذا فتحتها.
(٣) ص ٨٥
(٤) هناك تصرف في الرسم في ق بحيث يمكن قراءة الكلمة: أفهم، إنهم

ومِن ذلك: الإخبار.. في الأخبار

-من الباب الثاني والخمسين ومائة-

الإخبار يُعْرِب عن الأسرار، والأخبار تشهد للمؤمن بالإيمان والبهتان، والدليل خبر الهدهد فيما أخبر به سليمان، ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1] فإن شهِد له العيان أو الضرورة من الجنان؛ وقع الإيمان، وإن كذّبه أَلحقَه بالبهتان. فالأخبار مِحَكٌّ ومعيار؛ تشهد[2] لها الآثار الصادقة، والأنوار الشارقة. لو كان مطلَقُ الإيمان يعطي السعادة؛ لكان المؤمن بالباطل في أكبر عبادة. فمن آمن بالباطل أنّه باطل؛ فهو حال غير عاطل. فله السعد الأعمّ، والعلم الوافر الأتمّ. فإنّه لا يلزم من العِلم بشيء؛ الإيمان والعلم بكلّ شيء. ألا تراه قد زاد في ذلك حكما؛ بأمره: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3]. وما زاده إلّا التعلُّق؛ بما هو عليه ذلك المعلوم والتحقُّق.

* * *

ومِن ذلك: خبر الإنسان.. كلام الرحمن

-من الباب الثالث والخمسين ومائة-

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ. عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[4] أين يَنزل من الإنسان: هل في النفس أوفى الجنان؟ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ. عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[5] وهو الفُرقان ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[6] ليجمع له بين ما يثبت على حالٍ واحدة، وبين ما يقبل الزيادة والنقصان[7] ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[8] وهما ما ظهر وما قام على ساق؛ فعليّ[9] حكمتْ بذلك القدمان ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ في البنيان؛ لِمَا لها من الولاية والحكم في الأكوان. فهي السقف المرفوع على الأركان.

(١) [النمل: ٢٧]
(٢) ص ٨٥ب
(٣) [طه: ١١٤]
(٤) [الرحمن: ١ ، ٢]
(٥) [الرحمن: ٣ ، ٤]
(٦) [الرحمن: ٥]
(٧) "ليجمع له... والنقصان" ثابتة في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب
(٨) [الرحمن: ٦]
(٩) رسم الكلمة في ق، س مضطرب، وهو قريب من: فعالى

﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾(1) للنُّقصان والرّجحان ﴿أَلَّا(2) تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ﴾(3): لكم بالرجحان، وعليكم بالنقصان. ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ وهو الاعتدال مثل لسان الميزان والكفّتان ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾(4) وهو الموزون من الأعيان ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ﴾(5) من أجل المشي والمنام ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾(6) لحصول المنافع ودفع الآلام ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ﴾(7) وهو ما يقوت الإنسان والحيوان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(8) أيّها الإنس والجانّ؛ وقد غمركما الإنعام والإحسان ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ. وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾(9) فالإنسان ما تفخّر إلّا بالجانّ، وبما في الجانّ من الضلال كان الصلصال؛ وهو الثناء الذميم، على مَن خُلِق في أحسن تقويم. فيبقى الإنسان على التقديس، ويأخذ صلصاله إبليس. فيرجع أصله إليه، ويحور وبالُه عليه. و"الجِياد على أعراقها تجري"، ونجومها في أفلاكها تسبح وتسري. ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ في ظاهر النشأتين ﴿وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾(10) في باطن الصورتين ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(11) يا هذان.

* * *

ومِن(12) ذلك: المفتاح.. في أخبار الأرواح

-من الباب الرابع والخمسين ومائة-

تنزّلت الأرواح، بتوقيعات السَّراح من الفتّاح، إلى إخوانها من الأرواح، المحبوسة في هذه الأشباح. فمن استعجل تسرَّح بفكره وعقله، ومنهم مَن تسرّح بكشفه لَمّا عمل على ما ثبت عنده

(1) [الرحمن: 7]
(2) ص 86
(3) [الرحمن: 8]
(4) [الرحمن: 9]
(5) [الرحمن: 10]
(6) [الرحمن: 11]
(7) [الرحمن: 12]
(8) [الرحمن: 13]
(9) [الرحمن: 14، 15]
(10) [الرحمن: 17]
(11) [الرحمن: 18]
(12) ص 86ب

في نَقْلِه. وما عدا هذين مِن الثَّقَلين؛ بقي رهين المحبسين؛ حتى يأتي قابض الأرواح بالمفتاح؛ ولهذا انطلقت الألسنة الفِصاح: إنّه من مات استراح.

وهيهات؛ أين الاستراحة؟ وأنّى تُعقل الراحة؟ وهو ينتقل إلى حبس الصُّوْر؛ الذي هو قَرْنٌ من نور. لأنّه نَقّر ظلام الأجسام بالأجساد، وزال عنها -بسرعة التقليب في الصوَر- البقاء على الأمر المعتاد. فلا يزال في الصور حبيسا؛ لأنّه لا يزال رئيسا، مدبِّرا سؤوسا. فإن كان من السعداء؛ أو الورثة والأنبياء من العلماء؛ فلهم السراح التام في عين الأجساد والأجسام؛ مثل ما يراه الإنسانُ في المنام؛ فيرى نفسَه وهو عينٌ واحدة[1]؛ في أمكنة متعدّدة. والعقول تحيل أن يكون الجسم في مكانين؛ فكيف بهذين؟! الخيال قد حكم به؛ فانتبه.

إذا كان المخلوق في قوّته الإمكان؛ فيما أحاله دليل عقل الإنسان؛ فما ظنّك بخالق هذا الخلْق؛ وهو الواحد الحقّ؟ ألا تراه يتجلّى في الصوَر؛ فيُعْرَف ويُنْكَر؛ وهو هو، ليس سِوَاه، والذي يراه يطلب أن يراه. فلو عرف معرفتَه؛ ما طلب رؤيتَه؛ فإنّه لم يشهَد إلّا هو. ولو علِم أنّه هو؛ لم يقل بعد ذلك ما هو. هو ما رأيت، وأنت فيما تمنّيتَ واشتهيت.

* * *

ومِن ذلك: توجيهُ الرُّسل.. لإيضاح السُّبُل

-من الباب الخامس والخمسين ومائة-

جاءت الرسُل بهداية السبُل. وثَمّ سُبُلٌ لا تَظهر إلّا بالجهاد إلى عين الفؤاد. إن كان الجهاد عن رؤية؛ فقد بلغت المنية. فإنّ الله مع المحسنين، كما هو مع المتّقين. وإن رأينا وَجْهَه؛ فله في كلّ شيء وجْهَه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ والمتوقّي يباشر واقِيَه، ﴿وَّٱلَّذِينَ[2] هُم مُّحۡسِنُونَ﴾[3] فهو صاحب العين الباقية. الإحسانُ عيان، وفي منزلٍ كأنّه عيان. وليس إلّا الخيال؛ فتعمَّل في تحصيل

(١) ص ٨٧

(٢) ص ٨٧ب

(٣) [النحل: ١٢٨]

هذه الخِلال. ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[1] فبلَّغَنا أملَنا، وتمّم بمشاهدته عملَنا.

وقسّم -عليه الصلاة والسلام- سبيلَه على ثلاثة أقسام: إحسان، وإيمان، وإسلام. والمعلِّمُ السائل، والمخاطَبُ القائل. فعلَّمه في السرّ؛ ما يقول في الجهر. نزل به على قلبه؛ من عند ربّه. فبدأ بالإسلام، وقرن به عمل الأجسام؛ مِن تلفُّظٍ بشهادتين، وصلاة، وزكاة، وحجّ، وصيام. وثنّى بالإيمان؛ وهو ما يَشهد به الجَنان من التصديق بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشرّه، والبعث الآخر إلى الدار الحيوان. وثلَّث بالإحسان؛ وهو إنزال المعنى الروحانيّ منزلة المحسوس في العَيان. وليس إلّا عالَم الخيال؛ الحاكم بالوجوب والوجود في الممكن والمحال. وفي كلّ ما يحقّقه؛ إذا أجابه يُصدِّقه. والحاضر يتعجّب من تصديقٍ بلا برهان، وذهل عن العلم الضروريّ الذي في الإنسان. وما عَلِمَ الحاضِر مَن[2] السائل، كما لم يعلم ما أتى به من المسائل. فأَعْلَمَ الرسول مَن هو السائل والمسئول، وأنّهم المقصودون بذلك السؤال في صورة الخيال.

* * *

ومِن ذلك: فضلُ البشر.. على سائر الصوَر

-من الباب السادس والخمسين ومائة-

بالصورة علا وفضِل، وبها نزل وسفل؛ إذ جار وما عدل. فحاز المقام الأدنى؛ في الآخرة والأُولَى. فالعالي يقول: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾[3] والأعلى يقال له: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾[4]. العالي يقول: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي. وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾[5] والأعلى تقرّر عليه النعم: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ. وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ. ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾[6]. العالي يدعو: ﴿ٱجۡعَل لِّي

(١) [العنكبوت: ٦٩]
(٢) ص ٨٨
(٣) [طه: ٨٤]
(٤) [الضحى: ٥]
(٥) [طه: ٢٥ ، ٢٦]
(٦) [الشرح: ١ - ٣]

لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[١]، والأعلى يقال له: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾[٢] يعني في المقرّبين.

والأسفل في أسفل سافلين؛ بالطين والماء المهين، وإن تساووا في النشأة العنصريّة بالقرار المكين، والتنقُّل في الأطوار، والانحصار خلف الأسوار؛ بالكلّ[٣] والبعض، والإبرام والنقض، والتقويض والبناء، والقالة بالثناء. فمحمَّد ومذمَّم، ومؤخَّر ومقدَّم.

وما فضَّلَ القديمُ؛ إلّا المخلوقَ في أحسن تقويم. فهو العالِم، لا بل هو العلّام، مصباح الظلام، مُعينُ الأَيّام، الإمام ابن الإمام، المؤتَى جوامع الكلم وجميع الأسماء والكلام[٤]. فأفصح وأبان لَمّا علّمه البيان. ووضع له الميزان؛ فأدخله في الأوزان، وزان وما شان. ولمّا ظهرت للملأ الأعلى طينتُه؛ جُهِلَت قيمتُه، ونظر إلى الأضداد؛ فقال بالفساد، وغاب عن القبضة البيضاء وحميد الثناء؛ بما أُعطي مِن علم الأسماء. ولم يكن الملأ الأعلى سَمِع بالصورة التي أعطته السورة؛ فحمل الخلافة على مَن تقدَّم من القُطّان في تلك الأوطان. فلو علم أنّه خليفة الحقّ؛ لأذعن وسلَّم، وما اعترض ولا نطق. ثمّ ظهر في بنيه ما قاله من المقالة.

* * *

ومِن ذلك: نزول الأملاك.. من الأفلاك.. في الأحلاك

-من الباب السابع والخمسين ومائة-

إنما[٥] جُعِلت النجوم مصابيح؛ لما بيدها من المفاتيح. فكلُّ مصباح مفتاح، ولكلِّ مفتاح اسمٌ إلهيّ فتّاح. إنما تُفتح المغالِق؛ لإظهار ما وراءها من الحقائق. والأنوارُ تُظهر للأبصار ما ستَرَتْه الأحلاك، وهو ما في الأمر من الاشتراك. فلذلك قلنا: إنّ المصباحَ المفتاح. فإذا تنزّلت الأملاك على قلوب النُّسّاك؛ أوحتْ إليها ما أوحتْ، وأمطرتْ أنواؤها بعد ما أصحتْ؛ فمنها ما أمستْ،

(١) [الشعراء: ٨٤]
(٢) [الشرح: ٤]
(٣) ص ٨٨ب
(٤) هناك خط أفقي خفيف فوق الحروف الثلاثة الأولى بحيث يمكن فهم الكلمة بعد ذلك أنها: كلام
(٥) ص ٨٩

ومنها ما أضحكْ.

ولا يجوز المجدَ الشامخ؛ إلّا أصحابُ البرازخ؛ وهم ما بين المساء والصباح، مِن عالم الأجسام والأرواح. فالليل زمان النَّيْل، والنهار زمان جَرِّ الذَّيْل. لا يظهر حكم الخُيَلاء إلّا في الصباح والمساء. حركات محدودة، وأنفاس معددة. وصدور منشرحة مُسَرَّحة، وأبواب مُفَتَّحَة. لا يعرف ما تحوي عليه؛ إلّا القائم بين يديه. فإذا وَهَبه ما لديه؛ عوَّل عليه. فلا يدخله فيه ريب، وكان ممن قيل فيه: إنّه يعلم الغيب. الأملاك أستاذو الأبناء، وهم[1] تلامذة أَوَّلِ الآباء. أين المنزلة من المنزلة؟ فالبنون ما عندهم من العلم؛ إلّا ما نَقل إليهم الملأ الأعلى مما استفاده من أبيهم بقدر الفهم. فالملأ الأعلى وسائط، وبيننا وبين أبينا روابط. فبِضاعتنا رُدَّت إلينا، وبها نزلوا علينا؛ فما في أيدينا؛ سِوَى مال أبينا. وللملأ الأعلى أَجْرُ أداء الأمانة، والتنزُّه عن الخيانة. فإنّهم من أُولِي العصمة، وممن اكتسب من أبينا الرحمة. أين ذلك الانقباض، وفظاظة الاعتراض من هذا اللطف الخفيّ، والإبلاغ مِن المبلِّغ الحَفِيّ؟ والحمد لله المنعِم المفضِل، والشكر للمِحسان المجمِل.

* * *

ومِن ذلك: ترك الأغيار.. من الأغيار

-من الباب الثامن والخمسين ومائة-

التروك وإن كانت عدما فهي نعوت؛ فالزم السكوت. الأمرُ بالشيء نهيٌ عن ضدّه وهو تَرْك، وهذا شِرك. الترك على جهة القربة؛ مِن صفات الأحبّة. في الترك ملك المتروك؛ فأنت من الملوك، وإن كنت المملوك. مَن[2] ترك الغير؛ فقد رأى أنّه غير. وما لغَيْرٍ عين؛ فقد شهد على نفسه بأنّه جاهل بالكون. وإذا ثبت أنّ ثَمّ الجاهل[3]؛ ثبت أنّ الغير حاصل. لا بدّ من حلٍّ وعقد؛ فلا بدّ من ربٍّ وعبْد. فقد ثبت الجمع، وتعيّن الشفع.

لا يترك الأغيار إلّا الأغيار، وأمّا الحقّ فلا يترك الخَلْق. لو تركه؛ مَن كان يحفظه، ويقوم به

(١) ص ٨٩ب
(٢) ص ٩٠
(٣) من الرسم يمكن ملاحظة أن الألف واللام مضافتان

ويلحظه؟ فمن التخلُّق بأسماء الحقّ؛ الاشتغال بالله وبالخلْق. لو تَركتَ الأغيار؛ لتركتَ التكليف الذي وردتْ به الأخبار. ولو تركتَه لكنتَ معاندا، وعاصيا أمر المكلِّف أو جاحدا. ما كُلِّفتَ إلّا ما تقدر على خَلْقه؛ فخلْق الخلْق أوجب الثبوت في حقّه؛ لأنّ الخلْق الإلهيّ اختيار، وخلْق المكلَّف ما كُلِّفَ به اضطرار. وهذا فيه ما فيه، لِناظرٍ يستوفيه.

* * *

ومِن ذلك: النصرة.. شُهرة

-من الباب التاسع والخمسين ومائة-

النصرة عِناد؛ فهي إلحاد. نصرة القويّ محال؛ فانظر في هذه الحال ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾(١) وهو القَوِيّ لَهُ، المتينُ(٢) بكم، وأنتم الأقوياء به في مَذهبكم. ما عندكم متانة(٣)؛ فأنتم أهل أمانة. وإن لم تنصروه يخذلكم؛ وإن خذلكم ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦ﴾(٤)؟ فنُصرتُه من جملة ما أخذه عليكم مِن عهدِه. فيا أهل العهود ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾(٥) ما أمركم بنصره؛ إلّا ولكم اشتراك في أمره.

فَمَن قال: "لا قدرة لي" ويعني الاقتدار؛ فقد ردَّ الأخبار، وكان ممن نكث؛ وأَلْحَقَ تكليف الحقِّ بالعبَث. لَمّا طلب النصرة مِن خلقه، وجعلها مِن واجب حقِّه؛ أثبتَ أنّ له أعداء، وأنّ لديه أولياءَ وأوِدّاء. فأحالنا علينا؛ بما أوجدَه لدينا. فقلنا: مستند هذا التقابل أين؟ فوجدناه في أسماء العين. فما مِن اسم إلّا له حكم. وفي أسمائه التقابل، وما في أسمائه تماثل. لكن فيها خلاف؛ فلا بدّ فيها من الائتلاف.

فالناصِر محاصَرٌ ومحاصِر. فأنت تطلبه بالنصر؛ في عين ما طلبكم فيه من النصر. فتعيّن من

---

(١) [محمد: ٧]
(٢) ص ٩٠ب
(٣) ق: "مهانة" وهناك إشارة حذف وفوق الجزء الأوّل بخط آخر: "متنا" لتقرأ "متانة"
(٤) [آل عمران: ١٦٠]
(٥) [المائدة: ١]

هذا الفرض؛ أنّكم كذرّيّة بعضها من بعض. فما انفرد أحد بالقوّة والاقتدار؛ فانظر نزول الواحد القهّار؛ في "لا حول ولا قوّة إلّا بالله"، وفي طلبه النصرة ثبوت الاشتباه.

* * *

ومِن[1] ذلك: نصرة البشر.. تستدعي الغِيَر

-من الباب الستّين ومائة-

ما أوجدك إلّا لتنصره على مَن خَلَق؛ لمن نظر فيه وتحقَّق. قَبُولُك لاقتداره نُصْرَتُه، وبك ثبتتْ إمْرَتُه. أقوى النصرةِ النصرةُ من المعدوم؛ فإنّ فيها معونةَ الحيِّ القيّوم. مَن انتصر بالعدم؛ أثبت أنّ ما له في القوّة تلك القَدَم. نُصرةُ العبد بالحقِّ أَحقّ؛ لتعلُّقها بموجود؛ فهي أَوفق وأَليَق. إذا قلنا: ﴿ٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2] فقد طلبنا النصرة من موجودٍ هو[3] ربّ العالمين. لكن هنا نكتة؛ لمن كانت له لَفْتَة: مَن نَصرَك بما أحدَثَه؛ فما نصرك إلّا بك وعليك؛ فكلٌّ شيء مستند إليك، وله القوّة والحوْل، ومنه المنّة والطَّوْل. فإذا كُلِّفت فاثبُتْ، وإذا خوطبت -وأنت تعلم بما خوطبت- فاسكت. فقد حار أهلُ الاعتبار؛ في رفع هذه الأستار.

* * *

ومِن ذلك: نُصْرَةُ[4] الملَك.. حركة الفَلَك

-من الباب الواحد والستّين ومائة-

بوجود المدَد المَلَكِيّ، وظهور الأثر الفَلكِيّ؛ كانت النُّصرة، ورجعتْ على الأعداء الكَرَّة. «أَقْدِمْ حَيْزِوم»[5] لنصرة دين الحيّ القيّوم، ولما فيه من تقوية القلوب عند أهل الإيمان بالغُيوب. وما كان عند أهل الغيب إيمانا؛ كان لأهل الشِّرك عِيانا. وذلك الشهود خَذَلَهُم ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) ص ٩١
(٢) [البقرة: ٢٥٠]
(٣) "موجود هو" ثابتة بين السطرين
(٤) ص ٩١ب
(٥) أقدم حيزوم: في الحديث أنه سُمع يوم بدر قائل يقول من السماء "إقدم حيزوم" فذكروا أنه فرس جبريل عليه السلام.

﴿قَتَلَهُمۡۚ﴾[1] قتَلهم بالمَلَك؛ للأمر الذي أوحاه في السماء وأودعه حركةَ الفلَك.

فما انحجب عن المؤمن لإهانتِه، كما أنّه ما كشفه المشركُ لمكانته؛ لكن لِيَثْبُت ارتياعُه، ويتحقّق انصداعُه واندفاعُه. فخذله الله بالكشف، وهو من النصر الإلهيّ الصِّرْف؛ نَصَر به عباده المؤمنين على التعيين. فإنّه أوجبَ -سبحانه- على نفسه نُصرتهم؛ فردّ عليهم لهم كرَّتهم. فانهزموا أجمعين ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2] والمؤمنُ الإلهُ الحقّ، وقد نَصَرَه الخلق.

* * *

ومِن[3] ذلك: أَصْدَقُ المقال.. ما كان بالحال

-من الباب الثاني والستّين ومائة-

أصدقُ المحامِد حمدُ الصفة عند أهل المعرفة. كلّ وصفٍ مُتَّهم؛ ولهذا يحتاج إلى دليل حتى يُعْلَم، ووصفُ الصفة هو العِلم المحكَم؛ فهذا هو حمد الحال على كلّ لسان ومقال. من أثنى على نفسه بالكرم؛ توقّف السامع فيه حتى يتكرّم؛ فإذا كان العطاء ارتفع الغطاء. الأحوال مواهب من الواهب؛ فمَن وهبك ما يستحقُّه عليك؛ فهو عنده أمانةٌ ردّها إليك. ومَن وهَبَك ما لا تستحقّه؛ فقد جار في الهبة. وإن رأيت أنّها عارية لديك؛ فارفع الستر عسى ينكشف لك الأمر. انظر إلى هذا الخِلاف؛ أين طلب الوكالة من الإنفاق بحكم الاستخلاف. هو الآمِر بقوله: ﴿ٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾[4] فأمر، وهو القائل: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾[5] فظهر؛ كما أنّه بالوكالة استتر. فعلى ماذا نعوِّل؛ وماذا نؤمِّل؟

تجاذَبَتْني قوى الأضداد لِمَا قام بينها من العناد، وما حصل في التعب إلّا[6] أهلُ الإيمان من العباد؛ فإنّه أوجب عليهم الإيمان بكلّ ما ورد؛ مما شُهِد وما لم يُشهد؛ فما زلنا في حكم الأحوال؛ في

---

(١) [الأنفال: ١٧]
(٢) [الروم: ٤٧]
(٣) ص ٩٢
(٤) [المزمل: ٩]
(٥) [الحديد: ٧]
(٦) ص ٩٢ب

الآن والمآل. الحال له الوجود الدائم، وهو الحكم الثابت اللازم. وما عدا الحال فهو عدم، وما له في الوجود قَدم.

ومِن ذلك: خبرُ الإنسان.. أخبار الرحمن

-من الباب الثالث والستّين ومائة-

إنّ الله عند لسان كلّ قائل، وهو القائل. فانتبه لقوله: «كنت سمعه الذي يسمع به ولسانه الذي يتكلّم به» وما تكلّم إلّا القائل في الشاهد: وهو الإنسان، وفي الإيمان: "الرحمن". فمن كذّب العيان؛ كان قويَّ الإيمان. ومَن تردَّد في إيمانه؛ تردَّد في عيانه؛ فلا إيمان عنده ولا عِيان؛ فما هو صاحب مكان ولا إمكان. ومَن صدَّق العيان؛ وسلَّم الإيمان؛ كان في أمان. ومَن قال: "إنّ الأمر سيّان، وما هما ضدّان" فهو صاحب كشف أو برهان. اللسان ترجمان الجنان، وكذلك البنان، والكلُّ الإنسان. والجنانُ[1] متّسع الرحمن، وهو له بمنزلة المكان. فما وسع الربَّ؛ إلّا القلب؛ فأنت ترجمان الحقّ إلى جميع الخلق؛ فأين الكذب؟ وما ثَمّ ناطق إلّا الحقّ الخالق؛ نُطق الكتاب نُطقه، وهو خُلقه لا خلقه. هو الذِّكْر المحدَث لمّا حدَث، وقد كان له الوجود، وعين المخاطَب مفقود.

* * *

ومِن ذلك: أخبار الأرواح.. استِرْواح

-من الباب الرابع والستّين ومائة-

الروح واسطة، وهو بين الرسول البَشري والمرْسِل رابطة. يوحي به إليه؛ إذا نزل بالوحي عليه. وقد أُمِر بالأدب معه؛ حتى يجمَعَه؛ لأنّه ما عجِل به حتى كشَفَه، وما نطق به حتى عرَفَه. فقيل له في هذا الأمر: اكتم السرّ؛ حتى لا يعلم الملَك؛ ما جِيء به عليك ولك. فتأدّب؛ وبالأدب يُتقرّب.

---

(١) ص ٩٣

فأهل البساط أدباء، وأهل الأسرار أُمَناء. فمَن قال من الرجال: "اقعد على البساط، وإيّاك والانبساط" فما عنده خبر بما هو الأمر عليه، ولا(1) حضر يوما في بساط الحقِّ بين يديه؛ ليحصِّل ما لديه. البساطُ الإلهيّ له الهيبة بالذات؛ فأين الالتفات؟ ما هو محَلّ الزلّات، ولا حلول الآفات، ولا عنده مَنْعٌ وَهات. إنما هو سكون وخمود، وتحصيل وجود. الأرزاق فيه أذواق، الشهود يميِّز له الحدود، وهو عن نفسه في حالة المفقود. لولا الشاهدُ والمشهود، وحُكم اليوم الموعود؛ ما ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾(2) بـ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ. إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ﴾(3) فأين نضج الجلود؟

ومِن ذلك: الترسُّل.. توسُّل

-من الباب الخامس والستّين ومائة-

من فتح باب المراسلة؛ فقد أراد المواصلة. فمَن أَبَى قُدسَه؛ فلا يلومنّ إلّا نفسَه. كيف يرجع باللائمة على نفسه؛ والمرسل ليس من جنسه؟ والأنس لا يقع إلّا بالجنس. فالسُّوْلُ إنما هو في الأُنس بالرسول لأنّه من جنس المرسَل إليه؛ ولذلك يعتمد عليه، ويشتاق إليه(4) إذا لم يره لديه. إذا كان الرسول حسن الصورة؛ فذلك إشارةٌ إلى المرسَل إليه وتعريفٌ بجمال المكانة والسورة. فحصلت البشرى للرسول وإدراك البغية؛ بنزول جبريل عليه في صورة دحْية. صورة الرسول تنبي عن صورة المرسِل عند مَن أُرسل إليه؛ ولهذا يعلم ذلك إذا حضر الرسول بين يديه. فيعمل بحسب ما يرى، وما هذا حديث يُفْتَرَى. أين صورة مالِك من صورة رضوان؟ وأين النار من الجِنان؟ أين السهل من الحَزْن؟ وأين إمساك الغيث من إرسال المُزْن؟ وأين الفرَح من الحَزَن؟ وشتّان بين القبيح والحسَن. فالعبارة بالحال؛ أفصحُ من المقال. ولكن متى -يا فتى-؟! إذا كان المرسِل حكيما، وكان المرسَل إليه عليما. فما كلّ مرسِلٍ حكيم، ولا كلّ مرسَلٍ إليه عليم.

(1) ص ٩٣ب
(2) [البروج: ٤]
(3) [البروج: ٥ ، ٦]
(4) ص ٩٤

ومِن ذلك: الإبلاغ عن نفْث الروح في الروع

-من الباب السادس والستّين ومائة-

النفثُ في الروع من الروح؛ من وحي القُدّوس السُّبّوح. مِن[1] تلك الحضرة ورودُه، وفيها تعيّن وجودُه. وهو عين الإلهام، ما هو مثل وحي الكلام، ولا وحي الإشارة والعبارة، وما ثَم إلّا مُلْهِم، وهو الخاطر؛ الخاطر من السحاب الماطِر. فلا يعوَّل إلّا على الخاطر الأوّل؛ فإنّه الحقّ المبين، والصادق الذي لا يمين. وبمثل هذا الخاطر يحكم الزاجر. ولهذا يصيب ولا يخطي، ويمضي ما يقول ولا يبطي. إذا استبطأ الزاجر عند السؤال؛ فما هو من أولئك الرجال. حال السؤال حال ما يحكم به المسئول؛ فيكون ما يقول. إن وقع منه التواني إلى الزمن الثاني؛ فَسَدَ حالُه، ولم يصدق مقالُه. وإن صدق فذلك أَمرٌ اتّفَق. والأوفاق ما لها ذلك التحقيق عند العلماء بهذا الطريق. والنفْث لا يكون له مُكْث؛ فحلولُه انتقالُه، وورودُه[2] زواله.[3]

ومِن ذلك: نزول الملَك.. على الملِك

-من الباب السابع والستّين ومائة-

ليس الملِك إلّا مَن خدمه المَلَك. الملَك لا ينزل مُعَلِّما؛ وإنما[4] ينزل مكلِّما؛ فإنّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ. عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[5]. وهو البريء من الاشتراك؛ فقد علِمتَ لِمَ تنزّلت الأملاك. يقول الرسول: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[6]، وما ينزل به الملَك عليّ. ما تعرّض بالذِّكْر لمن يوحي وهو الملِك؛ لأنّه الملِك. والملِك لا يفتقِر؛ ولهذا لا يُحْتَقَر. هو المؤيَّد المنصور، والذي تدور عليه الأمور. فله الظهور، وإن غفل عن طلب ذلك؛ فإنّه المطلوب لأنّه المالِك. تقصده الأسماء كما تقصده الأنباء. فكلّ اسم إلهيّ[7] عليه وافِد، وكلّ خبر كونيٍّ عليه وارِد. فيقف على ما في المُلْكِ من الآثار، ويعلن له بما فيه

---

(١) ص ٩٤ب

(٢) ق: "وورود" والترجيح من هـ، س

(٣) في الهامش: "بلغ سماعا وقراءة ومقابلة على الشيخ المؤلف ﷺ". وتعليق آخر كتبه أحد أصحاب الشيخ وهو: "من هنا إلى آخر المجلد فاتني معظمه مفرّقا غير معلوم. كتبه أحمد العلوي".

(٤) ص ٩٥

(٥) [الرحمن: ١ ، ٢]

(٦) [الأنعام: ٥٠]

(٧) ثابتة في الهامش بقلم الأصل

من الأسرار؛ فهو نور الأنوار، والفلَك المُدار، الذي عليه المَدار، تخلّق بالواحد القهّار، الوارد في الأخبار: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» للمنازعة التي جرت بينهما.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ البنوّة.. بين الصدّيقيّة والنبوّة

-من الباب الثامن والستّين ومائة-

الولد[1] قطعةٌ من الكبد، قد كان ساريا فيه؛ فلهذا كان سِرَّ أبيه. فهو في المنزل الأقرب المعنويّ؛ بين الصدِّيق والنبيّ؛ فهو الوليّ، ما هو صدِّيق ولا نبيّ. دليله في البشر؛ مسألة موسى وخضر، جاء في الآي من السور. فمن علِم ما علِم، وحكم من المقام الذي منه حكم؛ عَلِم صاحب القَدم. قال له الكليم: "علِّمني" وقال له الحبيب: "استغفر لي" انظر إلى هذه التكملة المحمّديّة، وتنبيهها على هذه المنزلة العليّة؛ مع كونه بُعِث عامّة؛ فأكبر الطوام هذه الطامّة.

فمِن هنا يُعلم أنّ الحجاب المنيع، والستر الرفيع؛ قد لا يكون في التشريع. قد فضَّل الرسل بعضهم على بعض، مع الاشتراك فيما شرعوه من السنّة والفرض. فما يكون الفضل إلّا عن أمر زائد، لا يعرفه إلّا الختم، أو الفرد، أو الإمام الواحد. وهو عن غير هؤلاء محجوب؛ مع أنّه لكلّ شخص مطلوب. ومَن خرج عن هؤلاء لا يهتدون بمنارِه، ولا يصطلون بنارِه، ولا يُبصِرون بأنوارِه. بل ينكرونه إذا سمعوه، ولا يحصِّلونه فيما جمَعوه. فإن عُيِّنَ لهم رموا به وجهَ مَن عيَّنه، ويقولون: هذا من تزيين[2] الشيطان الذي زيّنه.

* * *

ومِن ذلك: المحتاج.. مَن خوصم فحَاج

-من الباب التاسع والستّين ومائة-

مَن احتجّ عليك بما سبق؛ فقد حاجَّك بحقّ، ومع هذا فهي حجّة لا تنفع قائلَها، ولا تعصِم

---

(١) ص ٩٥ب
(٢) ص ٩٦

حامِلَها، ومع كونها ما نفعتْ؛ سُمِعتْ، وقيل بها، وإن عدل في الشرع[1] عن مذهبها. فإنّه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[2] ولكنّ أكثر الناس لا يشعرون. فإنّ مثل هذه المسألة تكون إشعارا؛ فلا يأتي الآتي بها جهارا. ولو جهر بها كانت عِلْما، وأبدتْ حُكْما، ونَفَّحَتْ فَهْما، وأورثته في الفؤاد كَلْما؛ يتنصّر[3] جرحه ولا يندمِل، وبه يتأمّل كلّ متأمِّل. ستره مسدل، وبابه مقفل، ومعرَبُه معجَم، وموضَحُه مُبْهَم. دونه تطير البُهَم[4]، وتخرّ[5] القمم؛ لما يؤدّي إليه مِن دَرْسِ الطريق الأَمَم؛ الذي أجمعَ على صحّته الأُمَم. وإن كان الصراط المستقيم، الذي عليه الربُّ الكريم؛ يتضمّن الخير والشرّ، والنفع والضرّ، والفاجر والبرّ ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ[6] رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[7] وهو البرّ الرحيم.

* * *

ومِن ذلك: مَن تغنّى.. استغنى

-من الباب السبعين ومائة-

ليس منّا من لم يكن بالقرآن يتغنّى. مَن حَبّره تحبيرا؛ لقد حاز مقاما كبيرا. نِعم العبد؛ مَن قام به كابن أمّ عبد[8]. أصغى إليه الرسول؛ لمّا وجد عنده السول. فحمده على ذلك وأثنى؛ بما كان به في ليله يتغنّى. فطوبى له مِن عبدٍ متهجِّد، في محرابه لربّه يتعبّد. يتلو كلامَه، ويخاف آثامه، وينادي علّامه، إعدادا لهول يوم القيامة. الحَبْرُ العلّامة؛ مَن جعل الحقَّ أمامه. «كُنَيْفٌ مُلِئ علما» وَحُشِي حِكمةً وحُكما، وغُفِر له بدعوة رسول الله ﷺ مغفرة عزما. أُمِرْنا بأخذ القرآن عنه؛ لمّا عرف الآمِر

(١) "في الشرع" ثابتة في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب
(٢) [الأنبياء: ٢٣]
(٣) التنصّر: معالجة النصر أي استمرار طلب المعالجة
(٤) البُهَم: الفرسان ذوو البأس الشديد
(٥) يقترب رسمها في ق من: "وتحز"، والحروف المعجمة مهملة في س
(٦) ص ٩٦ب
(٧) [هود: ٥٦]
(٨) ابن أمّ عبد: هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود. ثنا أبو إسحق انه سمع أبا عبيدة عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ خرج هو وأبو بكر وعمر وكان أبو بكر دعاهم وخرجوا من منزله إلى المسجد مسجد المدينة و عبد الله قائم يصلى ويقرأ ثم جلس فتشهد فأثنى على الله ما هو أهله أحسن ما يثني رجل ثم صلى على النبي ﷺ ثم ابتهل في الدعاء والنبي ﷺ قائم يستمع فجعل يقول: سل تعطه فقال أبو بكر: من هذا يا رسول الله قال: هذا عبد الله ابن ام عبد، مَن سرّه أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه كما قرأ ابن أم عبد [السنن الكبرى للبيهقي ٢/١٥٣]

مَنزلتَه منه.

فما لنا لا نكون ذلك الشخص؛ حتى يشملنا هذا النصّ. وإن كان قد فُقِد قائله؛ فما فُقِد حامِلُه وقابِلُه. فكلّ شخص من هذه الأمّة؛ إذا كان له مثل تلك الهمّة؛ كان المخاطَب بذلك الحمد؛ فليبذلوا في ذلك الجَهد؛ حتى[1] يفوزوا بهذا الجدّ.

فعليكم بالتعرّض لنفحات جوده؛ ليخصّكم بما خصّ به أهل العناية من عبيده.

* * *

ومِن ذلك: مَن تكلَّف.. ما تصوَّف

-من الباب الأحد والسبعين ومائة-

التكلّف إذا كان من طريق البِنية؛ فلا يؤثّر في البُغية. فإن كان من طريق القلب؛ ففيه استهانة بالربّ. وهو أَوْلَى بالإيثار عند المقرّبين والأبرار؛ في قيام الليل وصيام النهار من الأغيار. فمَن عَبَد الله بالتكلُّف؛ فما هو من أهل التصوّف. التصوّف خُلُق، وغير الصوفي في التخلّق، والعالِم بالله في التحقّق. فله الخُلق من جهة صفاته، وله التحقّق من شهود ذاته.

إذا كان الرسول ﷺ مَن رآه فقد رآه؛ وهو هو ليس سِواه؛ فما ظنّك بربّ العزّة، ومُذِلّ الأعزّة. ومن أسمائه العزيز الكريم الحكيم، وما حاز الصورة إلّا مَن خُلق في أحسن تقويم؛ فأيّ دخول هنا للشيطان الرجيم. فإن تجلّى الشيطان في الصورة؛ صحّت المقالة المذكورة. وهي أنّه عين كلّ[2] موجود؛ إذ كان هو نفس الوجود. فحكمه خارج عن حكم النبيّ للمقام العليّ. وهذا هو القول الذي عليه يُعَوَّل، ودع عنك مَن تأوَّل. المعلوم؛ أنّ رحمته وسعت الموجود والمعدوم.

---

(١) ص ٩٧

(٢) ص ٩٧ب

ومِن ذلك: التلفيق من التحقيق

-من الباب الثاني والسبعين ومائة-

التلفيق ضَمٌّ عين إلى عين؛ لإيجاد صورة في الكون. لولا ما لفّق الأركان؛ ما ظهر المعدن والنبات والحيوان. ثمّ ضمّ الرحمن الحقّ إلى الحيوانيّة النطق؛ فكان منه الإنسان؛ الكامل منه، والناقص الإنسان الحيوان، وهذا من تلفيق الرحمن. فأقامه أمامه، وأعطاه الخلافة والإمامة، وصيّره الحبر والعلّامة. خَصّه بالأسماء، وأنزله إلى الأرض من السماء[1]. وقد كان أنبته[2] من الأرض نباتا، وجعل من نشأته أحياء وأمواتا. فما أحسّ منه فهو الحيُّ، وما لم يحسّ منه فهو الميْت؛ وهذا نعت هذا البيت. عمره بالقوى، وأسكنه العقل والهوى؛ ثمّ[3] قال له: لا تتّبع الهوى؛ فهَوَى ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ. ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[4] وما تركه سُدَى.

فأغاظ الله به الأعداء، وأفرحَ به الملائكة الأَوِدّاء. فتلقى من ربّه الكلمات، وكانت له من أعظم الهبات. فتحقَّقَ بحقائق المحبّة، ورجعَ إلى ما كان عليه من المنزلة والقُربة. وهذا حكمٌ سارٍ في الذرِّيَّة؛ أعطته هذه البَنِيّة. فما ثَمْ؛ إلّا مَن هَمَّ ولَمْ، وإن كان الموجود الأتمْ؛ فاعلم إن كنت تعلم.

* * *

ومِن ذلك: الحكمة.. نعمة

-من الباب الثالث والسبعين ومائة-

"مَن أُوتِي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا" وكان الله به لطيفا خبيرا. لطيفا من حيث أنّه علّمه من حيث لم يعلم؛ فعَلِم وما علِم أنّ الله هو المعلِّم، والحجبُ[5] له في عملِه[6] وتعلُّمِه، وحَجبه عن

(١) "إلى الأرض من السماء" ثابتة في هامش ق بخط آخر، مع إشارة التصويب، وكانت في الأصل: "من الأرض إلى السماء" وفوقها كلمة "صح" وحرف خ

(٢) ق: "أنبت هيكله" واستبدلتا في الهامش بخط آخر: "أنبته"

(٣) ص ٩٨

(٤) [طه: ١٢١ ، ١٢٢]

(٥) س: "وانحجب"

(٦) ه، س: "علمه"

ذلك بقلمه. فظهر له في صورة القلم، وقال: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾[1] فاختبره فكان خبيرا، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا﴾[2]. فمن سأل الحكمة؛ فقد سأل النعمة. ومن أعطي الحكمة؛ فقد أوتي الرحمة.

فإن سَرْمَدَ العذابَ[3] بعد ذلك هذا المالِكُ فما هو ممن عمّتْ وجوده الرحمة؛ ولا كان عند أهل الكشف والوجود من أهل الحكمة. فإن قال بالرجوع إليها، وحكم بذلك عليهم وعليها؛ فذلك الحكيم العليم، المسمّى بالرءوف الرحيم. وهو الشديد العقاب؛ لأنّه لشدّته في ذلك أعقب أهل النار حسن المآب.

* * *

ومِن ذلك: الكيمياء تقدير.. عند الخبير

-من الباب الرابع والسبعين ومائة-

الكمّ؛ تقديرٌ موجودٌ ومتوهَّم. فمن فاز به نال قلب الأعيان، وتحكَّم كما يشاءُ في الأكوان؛ في عالَم الأرواح والأبدان. فهو صاحب الإكسير؛ الذي حاز علم التدبير والتقدير. بِكَلِمَة؛ ينير الأجسام المظلمة. انظر إلى كلمة "كن" في الوجود؛ كيف أُلحقت المعدوم بالموجود؟ ولا تتوجّه هذه الكلمة على الموجود بالعدم؛ فإنّه ليس لها في الردّ إلى العدم قَدَم. لأنّها كلمة وجوديّة، تطلبها الربوبيّة والعبوديّة؛ لحصول الأعيان في الأكوان؛ ولهذا يقال فيمن عدم: قد كان. فالعدم لمن انْعَدَمَ نفسيٌّ، والوجود[4] كرم إلهيّ امتنانيٌّ.

فالذي ذهب إليه بعض أهل الكلام في هذه الأقسام؛ من انعدام العرَض لنفسه لا الأجسام؛ ليكون الخالق خالقا على الدوام. وأمّا أهل الحسبان؛ فقالوا بتجدّد جميع الأعيان في كلّ زمان، وما خَصّوا عينا من عين، ولا كونا من كون. ومَن علم أنّ المتحيّزات كلّها قامت من الأعراض؛ جمع

---

(١) [العلق: ٣]
(٢) [الأحزاب: ٢٧]
(٣) ص ٩٨ب
(٤) ص ٩٩

بين المذاهب والأغراض.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الطلب من الأدب

من الباب الخامس والسبعين ومائة-

لا يتأدّب مع الله حقّ الأدب؛ إلّا مَن تحقّق بالطلب. ما أوجدك إلّا لِتَسأل؛ فأنت الفقير الأذلّ. فتسأله العزّةَ والغنى؛ لتحوز عمومَ الثناء. فكلّ ما يثنى عليك به؛ فهو الثناء المحمود؛ فأنت الذليل الفقير الفقيد، وأنت العزيز الغنيّ الحميد. فما ثمّ هجاءٌ بالنظر إليك، وما هنا جفاءٌ جفاه الحقُّ عليك. فإنّه -تعالى- كما قال عن نفسه: «لستُ بربّ جاف» وهذا القول كاف. ولا يليق بالجناب الإلهيّ من الثناء إلّا مثل العزيز الحميد؛ لا بكلّ ما يُثنى به على[1] العبيد.

فالعبد له عموم الثناء؛ بما يُحمدُ وما يُذَمُّ به من جميع الأسماء. وللحقِ من هذا الثناء الخصوص، بذا وردت النصوص. القالةُ إنّ يد الله مغلولة قالةٌ معلولة. ومن قال: إنّه فقير فهو الكفور. وهذا في العبد ثناء حميد؛ فهو أكمل في الوجود. ثمّ أنّه قد يُذَمّ بما به يُحْمَد؛ على حسب ما يعتقده القائل ويقصِد. كالبخل بالدين والمال، والحرص على طلب الفاني والعلم والعمل الذي يستعذبه في المآل. فتأمّل ما أنعم الله به وتفضّل.

* * *

ومِن ذلك: النَّدَب.. أدَب

-من الباب السادس والسبعين ومائة-

النَّدَب[2] أثر، والأدب في سلوك الأثر. من اتّبع هواه؛ ما بلغ مناه. لا بدّ أن يبلغ ما تمنّاه، ولو اتّبع هواه. فإنّ رحمة الله واسعة، وهي للكلّ جامعة. لا تحكم عليها دار، ولا يختصّ بها قرار من قرار. الموجودات كلّها أبناؤها؛ فكيف يقوَّض بناؤها؛ فما ثمّ إلّا إحسانها وآلاؤها. هي الأُمّ أدرجتْ

(١) ص ٩٩ب
(٢) النَدَب: أثر الجرح

نعْماها في تأديبها[1] أبناها. فعقوبتها أَدبٌ لا يشعر به من الأبناء؛ إلّا العلماء. فكن في أمان لعموم الإيمان؛ فإنّه قد ورد الإيمان بالحقّ كما ورد بالباطل؛ فجيد[2] كلّ مؤمن حالّ غير عاطل.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] فـ﴿ٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[4]. فإنّك إذا تيقّنتَ؛ عَلِمْتَ بمن آمنتَ. فالأدب جماع الخير لاشتقاقه من المأدُبة، وأعظم المتنعّمين بها ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ. أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[5].

* * *

ومِن ذلك: أعزُّ الأحباب.. الأصحاب

-من الباب السابع والسبعين ومائة-

قيل: مَن أحبُّ الناس إليك، وأَعزُّهم لديك؟ قال: أخي إذا كان صاحبي وصديقي، وكان في كلّ ما أنا فيه رفيقي.

صَدِيْقِي مَن يُقاسِمُني هُمُومِيْ ويَرْمِي بالعَداوَةِ مَن رَماني

أصحابُ النبيّ -عليه الصلاة والسلام- فازوا بالمقام العليّ هنا وفي دار السلام. أعلى درجات القُربة؛ التحقّق في الإيمان بالصحبة. لا يبلغ أَحدُنا مُدَّ[6] أحدهم ولا نصيفَه، ولا يصلح أن يكون وصِيْفَه. نحن الإخوان؛ فلنا الأمان. وهم الأصحاب؛ فهم الأحباب. فمن رأى الصحبة عين الاتّباع من أهل الحقائق؛ أَلْحَقَ اللاحق بالسابق. فغاية السابق تعجيل الرؤية؛ لحصول البُغية، ولكن ما لها بالسعادة استقلال فيما أعطاه الدليل، وصحّحه السبيل. وكم شخص رآه وشقي، والذي تمنّاه - بعدم اتّباعه- ما لقي. فما أعطتْه رؤيتُه، وقد فاتته بغيته؟! فما ثمّ إلّا اقتداء، وما يسعدك إلّا الاهتداء. فتعجّل النعيم الصاحب؛ فهو أقرب الأقارب.

(١) ص ١٠٠
(٢) الجيد: العنق، وهنا جيده محلّى، فالعاطل هو الذي لا حليّ عليه
(٣) [الروم: ٤٧]
(٤) [الحجر: ٩٩]
(٥) [البلد: ١٥ ، ١٦]
(٦) ص ١٠٠ب

ومِن ذلك: أعزُّ الأقارب.. المقارب

-من الباب الثامن والسبعين ومائة-

للمقارب الحنان من الرحمن؛ لأنّ المقارب من الأقارب. ما تعلّقنا بهذا السبب؛ إلّا لما أثبته الرحمن من النَّسب. فلمّا جعل -تعالى- بيننا وبينه نَسبا، وأعلَمَنا أنّه التّقوى اتّخذناه سببا. فاتّقيناه[1] به منه؛ كما أخبر ﷺ عنه، فقال: «وأعوذ بك منك» فقلنا له: أخذنا هذا عنك. فهو صاحب الحجّة، والآتي إلينا بالمحجّة، له المحجّة البيضاء والحجّة الغرّاء. أُمّته المتطهّرون، وهم الغرُّ المحجَّلون. تحجيلُهم دَليلُهم، لو كان لغيرهم هذا النعت المخصوص من الطهور؛ ما اختصّت هذه الأمّة المحمديّة بهذا النور. فإنّه قال ﷺ ما تُعرف هذه الأمّة المحمديّة من سائر الأمم إلّا بِه؛ فانتبِه. فوردت الأخبار المنصوصة؛ بطهارة هذه الأعضاء المخصوصة. فأسبغناها طهورا؛ فجعل لنا بذلك غُررا وألبسَها نورا.

فكان لهم بذلك التمييز والتعريف؛ المقامَ الشريف والتشريف. فمَن أسبغَ طهوره؛ تمّم الله له نوره. ومَن ثنّى وثلّث؛ فرح بذلك أكثر من صاحب الواحدة إذا تَحَنَّث. فصاحب الواحدة هو المقارب، وصاحب الاثنين والثلاثة من غير زيادة معدود في الأقارب. وإنما ظهر الرسول ﷺ[2] بجميع الصوَر؛ لِبعثته إلى جميع البشَر. ومنهم الرابح والخاسر المغبون، والعالي في ذلك والدُّون.

* * *

ومِن ذلك: قول العارف: مَن وحَّد أَحد

-من الباب التاسع والسبعين ومائة-

إنما قيل: مَن وحّد ألحد؛ من أجل "مَن" فإنّها تطلب العدد. يؤيّد هذا التعريض كونها قد تأتي للتبعيض. ولا نشكّ أنّه كلمة حقّ، من قول في مقعد صدق. فإنّه مَن وحَّد؛ مال إلى الحقّ وتوحَّد. إذ الملحِد هو المائل في لغة القائل. فإذا أَلحدَ العبدُ ومال؛ بلغ ما أَمله من الآمال. وفي الكلام

(١) ص ١٠١

(٢) ص ١٠١ب

المقبول: "مَن ألحد فقد أخلد" إلّا أنّه لَمّا ألحد فهو لما قَصَد. الإلحاد اللغوي لا بدّ منه، ولا محيص لمخلوق عنه. ألا ترى إلى أصحاب الأعراف لمّا لم يبلغوا في هذا الاتّصاف حدّ الإنصاف؛ كيف وقفوا بين الجنّة والنار؛ فلا هم مع الأشرار، ولا مع المصطفَين الأخيار؛ فكانوا يخلصون إلى دار القرار، أو[1] إلى دار البوار؟ فلولا التلبيس؛ ما حصلوا بين نِعْمَ وبئس ﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[2] للأبرار، وبئس عقبى الدار للفجّار. اعتدلتْ كفّتا ميزانِهم؛ فهذا كان من شأنهم. فلولا ما تفضّل الحقّ عليهم فيما كلّف الخلق به يوم القيامة من السجود إليه؛ ما برحوا عليه. فلمّا سجدوا فيمن سجد؛ رجحتْ كفّة حسناته فسَعِد؛ فانفكَّ من أسر السُّوْر، ولحق بدار السرور.

* * *

ومِن ذلك: مَن أشرك.. مَلَك

-من الباب الثمانين ومائة-

الشرك في الألوهة مذموم، وصاحبه محروم. والشرك في نعت العبيد؛ بين ذميم وحميد، والمتّصِف به بين مرحوم ومحروم. فما ثَمّ اسم لغير الحقّ، عند مَن علم الأمرَ وتحقّق. فأسماء الخلق أسماء الحقّ؛ فما ذا[3] تخلُّق بل هو تحقُّق؟ واللهِ؛ ما افتريتُ عليه، ولا نسبتُ شيئا إليه. ولا وصفتُه بوصف، ولا أدرجتُ معناه في حرف. فهو سمّى نفسه لنا بما سَمّاها؛ فجميع[4] الأسماء إلى ربّك منتهاها. ففرِح وتبشبش، وغضب وما بش، وملَّ وتعجَّب، وذهب مع عبيده كلَّ مذهب. وهو القديم وأنا المحدَث، فما ثَمّ اسم حدَث.

---

(١) ص ١٠٢

(٢) [الرعد: ٢٤]

(٣) فما ذا: فليس ذا.

(٤) ص ١٠٢ب

ومِن ذلك: مَن رَحَل.. حَل

-من الباب الأحد والثمانين ومائة-

عمّ الوجودَ وُجُودُه؛ فمنه وفيه يرحَلُ ويحلُّ عبيده. فرحلةُ مَن يصطفيه؛ إنما هي منه وإليه وفيه. الربُّ الكريم على الصراط المستقيم. فأَثبتَ أمرا هو عليه، وما ثَمّ سِواه فانظر مَن يصل إليه. إنما جعل يده بناصيتك؛ ابتغاءَ عافيتِك. وهذا مِن كرمه، وسابقة قَدَمِه. فما ثَمّ إلّا مستقيم، وعلى منهج قويم؛ لكونه بيد الكريم؛ فلقد فزت بحظّ عظيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾[1] ذَكَّرَه بالحجّة، وأبان له عن المحجّة؛ ليقول: كرَمُك غرَّني، والكريم لا يضرُّني. وهو الغيور على اسمِه، والمبقي في قلب عبدِه رسمَه؛ لِسابق عِلْمِه.

* * *

ومِن ذلك: مَن[2] حَل.. لم يَرحل

-من الباب الثاني والثمانين ومائة-

الحالّ المرتحل؛ مَن يكرّر تلاوة ما أُنزل. فانتهاؤه عينُ ابتدائه، وبهذا حاز جميع أسمائه. فما حلّ إلّا رحل، وما رحل إلّا حلّ. فرحيلُه حُلولُه، وحُلولُه رحِيلُه، والكلُّ سبيلُه. ولا يصحّ ذلك إلّا في الحروف؛ فإنّها ظروف. فمَن تكرَّر له المعنى في تلاوته؛ فما تَلاهُ حقَّ تلاوته، وكان دليلا على جهالتِه. ومَن زادته تِلاوتُه عِلما، وأفادته في كلّ مرّة حكما؛ فهو التالي لمن هو في وجوده له[3] تال. ثُمّ انظر في اعتنائه بعبده حين أَعلمه؛ بأنّه في تلاوته عند مناجاته قَدَّمه؛ فيقول العبد: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾[4] فيقول الله: «حمدني عبدي» فجعل نفسَه لعبده تاليا؛ إذا أقامَ عبدَه لكلامه ﷻ تاليا. وقسم الأمرَ بينه وبَيْنَه؛ ليميّز من كونِه كونَه. فإنّ ثَمّ مَن يقول بأحديّة الكون في العين؛ فلهذا فصل ليتبيّن ويتعيّن.

---

(١) [الإنفطار: ٦]
(٢) ص ١٠٣
(٣) ثابتة في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب
(٤) [الفاتحة: ٢]

ومِن ذلك: ما ينكشفُ من الساق.. عند الفراق

-من[1] الباب الثالث والثمانين ومائة-

كَشْفُ الساق كما يؤذِن بالشِّدّة؛ كذلك يؤذِن بسرعة انقضاء المدّة. مع كلِّ زعزعٍ رُخاء، وعند انتهاء الشدائد يكون الرَّخاء. مَن عزَّ هان، ومَن افتقر استدان. إهانَتُه تركُه زهدا؛ لا بل تَرْكُ طلبِه قصدا. مَن استدان من غيرِ حاجة مهمَّة؛ فهو ناقص الهمّة. مَن حكمتْ عليه معرفتُه؛ فقد تنقصه همّتُه، مع غناه عن القرض، وقد أقامه سبقُ العلمِ مقام الفرض. فدخل تحت حكمه؛ لقوّة سلطان سابق عِلمه، وما ﴿مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾[2] والقرضُ شيء وهو خازنه. فلا بدّ من ظهور[3] أَثره في بشره، جاء ذلك في خبرِه. كشفت الحرب عن ساقها، وعقدت عليها أزرّة أطواقها. فاشتدّ اللِّزام، وكانت نَزَال لمّا عظم القتام[4]، وجاء ربّك ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾[5] والملائكة للفصل والقضاء والنقض والإبرام. وعظُم الخطب واشتدّ الكرْب، وماج الجمع بحكم الصدع ف﴿فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾[6] ثمّ إلى النعيمِ المصير.

* * *

ومِن ذلك: العلم[7] والمعرفة.. بالذات والصفة

-من الباب الرابع والثمانين ومائة-

المعروفُ: الذات، والمعلومُ: الصفات. «مَن عَرَف نفسَه عَرَف ربَّه» ما وَسِع القلبُ ربَّه حتى علِم قلبَه. العلمُ ما عُلِم بالعلامة؛ فالعالِم علّامة. فلا تُعلم ذاتٌ إلّا مقيَّدة وإن أُطلِقتْ، هكذا عُرِفَتِ الأشياءُ وحُقِّقتْ. فالإطلاق تقييد؛ في الأرباب والعبيد. والتحديد لِباس، وفي التحديد الالتباس. فاحذر من اللَّبْس؛ فإنّه من أخفى ما يكون في النفْس. أين علم المزيد، والناس ﴿فِي لَبۡسٍ مِّنۡ

---

(١) ص ١٠٣ب
(٢) [الحجر: ٢١]
(٣) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٤) القتمة: سواد ليس بشديد. وهي متصرّف فيها في ق، وفي الهامش: "القتام" وبجانبها "بيان" أما في هـ، س فهي: "القيام".
(٥) [البقرة: ٢١٠]
(٦) [الشورى: ٧]
(٧) ص ١٠٤

خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾[1]. الخلْقُ مع الأنفاس، وهو فيها في خلْع ولباس، ولا يشعر بذلك إلّا قليل من الناس.

المعرفة أحديّة المَحْتد، والعلم ثنويّ المشهد. العلم يتعلّق بالإله، والمعرفة تتعلّق بالربّ وتنفي الاشتباه. بالمعرفة يزول الاشتراك، وفيها يقع الارتباك. الذات مجهولة؛ فلا تقل فيها علّة ولا معلولة، ولا يصحّ أن تكون لِحَقٍّ[2] محقّقة ولا لشرط مشروطة ولا لدليل مدلولة. وجه الدليل يربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط، وقد خاب مَن اشترط ووقع في الغلط.

* * *

ومِن[3] ذلك: مراتب الأحبّة.. في منزل المحبّة

-من الباب الخامس والثمانين ومائة-

الأحبابُ أرباب، والمحِبُّون خلف الباب. المحِبُّ رَبُّ دعوى؛ فهو صاحب بلوى. لولا دعوى المحبّة ما وقع التكليف، ولولا المحبّة ما طلبنا الجزاء من اللطيف. المحبوب إن شاء وصل وإن شاء هجر؛ فإذا ادَّعى مَحَبّةً مُحِبُّه اختُبِر. فالمحبُّ في الاختبار، والحبيب مُصانٌ من الأغيار؛ ولهذا ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾[4].

للأحبّة مَنزِلٌ في المحبّة؛ فحبيبٌ جنيب، وحبيبٌ قريب. فالمحِبُّ إذا كان ذا جنابة؛ فما هو من القرابة. وإذا لم يكن جَنِيبا؛ كان قريبا. قُرْبُ الحبيب بالاشتراك في الصفة؛ وجنابته في عدم الاشتراك فيها كما أعطت المعرفة. "تقرَّبْ إليّ بما ليس لي"؛ لمّا طلب القربَ الوليّ، والذي ليس له الذلّة والافتقار؛ فهو الغنيّ العزيز الجبّار، والمتكبّر خلف باب الدار. انظر إلى ما أعطاه الاشتراك والدعوى؛ من البلوى. هو في النُّزُوح؛ بالجسم الصوريّ والعقل[5] والروح؛ ولهذا لا يتجلّى لمن

---

(١) [ق: ١٥]
(٢) ق: "للحق" وهناك ما يشير إلى مسح اللام الأولى
(٣) ص ١٠٤ب
(٤) [الأنعام: ١٠٣]
(٥) ثابتة في الهامش بقلم الأصل

هذه[1] صفته؛ إلّا القدّوس السبّوح. فالنزيه العين؛ لا يقول بالاشتراك في الكون.

* * *

ومِن ذلك: إيضاح السبيل.. في إلحاق محمد بالخليل

-من الباب السادس والثمانين ومائة-

"اللهمّ صلّ على محمد كما صلّيت على إبراهيم في العالمين" لمن هو في هذه الحال من الأبرار ومن المقرَّبين. أين هذه العلامة من قوله: «أنا سيّد الناس يوم القيامة»؟ وأنّه يفتح باب الشفاعة دون الجماعة للجماعة. ومن الجماعة: الخليل؛ بذلك المقام المحمود الجليل. كان لآدم السجود، ولمحمد المقام المحمود بمحضر الشهود. يا ليت شعري؛ هل تقوم الخلّة؛ بكون رسالة محمد التي تعمّ كلّ ملّة، وبما أوتي من جوامع مناهج الأدلّة. ولا ينال الخُلّة إلى مَن سَدَّ الخَلّة؛ محمد صاحب الوسيلة في جنّته، وما نالها إلّا بدعاء أُمّته. وأين أمّته منه في الفضيلة؛ ومع هذا بدعائهم نال الوسيلة؟ والمدعوُّ له أَرفع من الداعِ؛ فلتكن لما أورده من الصلاة على محمد كالصلاة على إبراهيم الحافظ الواعي. ونحن المؤمنون العالمون[2] بسيادته، وخصوصيّة عبادته. وأين المقام المحمود من مقام السجود؟ سجد المقرَّبون والأبرار؛ لبناءٍ قائم من التراب والأحجار. فالمجد الطريف والتليد؛ فيمن اختصّ بالمقام الحميد.

* * *

ومِن ذلك: الشوق والاشتياق.. للعشّاق

-من الباب السابع والثمانين ومائة-

الشوق يسكن باللقاء، والاشتياق يهيج بالالتقاء. لا يعرف الاشتياق إلّا العشّاق. من سكن باللقاء قَلَقُه؛ فما هو عاشق عند أرباب الحقائق. مَن قام بثيابه الحريق كيف يسكن؟ وهل مثل هذا يتمكّن؟ للنار التهابٌ وملكة، فلا بدّ من الحركة. والحركة قلق؛ فمن سكن ما عشق. كيف

---

(١) ص ١٠٥

(٢) ص ١٠٥ب

يصحّ السكون؟ وهل في العشق كمون؟ هو كلّه ظهور، ومقامه نُشور. العاشق ما هو بحكمه؛ وإنما هو تحت حكم سلطان عشقه، ولا بِحُكْمِ مَن أَحبَّه؛ هكذا تقتضي المحبّة. فما أَحبَّ محبٌّ إلّا نفسَه، وما عشِق عاشقٌ إلّا معناه أو حِسَّه. لذلك العشّاق يتألّمون[1] بالفراق، ويطلبون لذّة التلاق. فهم في حظوظ نفوسهم يسعَون، وهم في العشّاق الأعلَون. فإنّهم العلماء بالأمور، وبالذي خبّأه الحقّ خلف الستور.

فلا مِنّة لِمُحِبٍّ على محبوبه؛ فإنّه مع مطلوبه. وما له مطلوب، ولا عنده محبوب ومرغوب؛ سِوَى ما تَقَرُّ به عينُه، ويبتهج به كونُه. ولو أراد[2] المحبّ ما يريده المحبوب من الهجر؛ هلَك بين الإرادة والأمر، وما صحّ دعواه في المحبّة، ولا كان من الأحبّة؛ ففكِّر تعثِر.

* * *

ومِن ذلك: الاحترام.. والاحتشام

-من الباب الثامن والثمانين ومائة-

لا تقعُ منفعةٌ من غير محترَم فاحترِم، ولا تنفعُ هبةٌ إلّا من محتَشَم عندك فاحتشِم. فمن قام بالخدمة، وطرَح الحرمةَ والحِشمةَ؛ فقد خاب وما نجح، وخسر وما رَبح. الخادم؛ في الإذلال، لا في الإدلال. ما للخادم وللدلال، وما له وللسؤال؟ إن لم يكن الخادم كالميّت بين يدي الغاسل؛ لم يَخْلُ من مخدومه بطائل. إذا[3] دخل الخادم على مخدومه واعترض؛ ففي قلبه مرض ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾[4] وهم لا يشعرون ولا يعلمون. مَن رمى حُرْمَتَه قلبُك؛ فما هو ربُّك؛ فجَنِّبْ خِدمتَه وصُحبتَه؛ حتى تجد حُرمتَه. فإذا وجدتها فارجع إليه، كذا أجمع أهلُ الله فيما عوّلوا عليه. ذكر ذلك القشيري في رسالته؛ في احترام الشيخ ومواصلته. بالحرمة تُنال الرغائب في جميع المذاهب. مَن حَسَّن ظنّه بحجر؛ انتفع به في مذهبه.

---

(١) ص ١٠٦
(٢) ق: "أراه" وصححت مباشرة إلى "أراد"
(٣) ص ١٠٦ب
(٤) [البقرة: ١٠]

ومِن ذلك: الإيقاع.. لِلسَّمَاع

-من الباب التاسع والثمانين ومائة-

الإيقاع أوزان، والله وضع الميزان. الوجود كلّه موزون؛ فلا تكن المحرومَ المغبون. ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1] وهو عين الوزن المفهوم. له الاسم الحكيم؛ في الحديث والقديم. فالميزان حاكم، وبه ظهرت المقاسِم، ومِن جملتها الإيقاع للسماع. فلهذا هي حركة السامع فلَكيّة؛ إذا كانت صادقةً عن فناءٍ مَلَكيّة. فإن[2] كانتْ نفسيّة؛ فليست بِقُدْسيّة. وعلامتها الإشارة بالأكمام، والمشي إلى خلفٍ وإلى قُدّام، والتمايل من جانب إلى جانب، والتصرّف بين راجع وذاهب. ومَن هذه حاله؛ فما سمع ولا أَثَّر فيه الموقع بما وقع. فمثلُ هذا أجمع الشيوخُ على حِرمانه بين إخوانه. فمن ادّعى سماع الإيقاع في الأسماع وما له وجود؛ فهو من أهل الحجاب، والمحجوب مطرود. هل ظهر عن "كُن" إلّا الوجود؟ وهذا سارٍ في كلّ موجود. ولذلك قرن الإعدام بالمشيئة؛ فلا تَبِعْ بالنَّسِيئة.

ومِن ذلك: ما هو السماع.. الذي عليه الإجماع

-من الباب التسعين ومائة-

السماع الذي عليه الإجماع؛ ما كان عن الإيقاع الإلهيّ والقول الربّانيّ. فلا ينحصر في النغمات المعهودة في العُرف؛ فإنّ ذلك الجهل الصرف. الكون كلّه سماع، ولكن عند صاحب الأسماع. مَن قام به الطرَش؛ لم يفرح يوما بالدهَش. ولا كان عنه كون، ولا ظهر منه عين. "ما[3] أشبه الليلة بالبارحة" عند صاحب السماع بالقلب والجارحة. أنت الليلة وهو البارحة؛ فأين مَن له لِفَقْدِ مثل هذا نفْسٌ نائحة؟ فعذَّبها عدم النِّسَب، وشغَلَها بتقييد اللهو والطرب عن هذا النَّسَب؛ فإنّ النسب هو القربى في الإلهيّين والربّانيّين.

---

(١) [الحجر: ٢١]
(٢) ص ١٠٧
(٣) ص ١٠٧ب

فالسماع المطلق؛ لمن تحقّق بالحقّ. فإنّه ما خَصَّ بـ"كن" كونا من كون، ولا توجّهتْ على عينٍ دون عين. فالكلُّ قد سمع بما قد صدع. فمن قيّد السماع بالأوزان[1]، والتلحينات المقسّمة بالميزان؛ فهو صاحب جزء، لا صاحب كُلٍّ، وهو على مولاه كَلٌّ. مولاه أَوّل زاهد فيه؛ ولهذا لا يصطفيه. كيف يقيِّد المطلَق؛ مَن ادّعى أنّه بالحقّ تحقَّق؟ مَن سَرَى في الوجود تقييده؛ صحَّ إيمانه وعِلمه وكشفه وتجريده وتوحيده.

* * *

ومِن ذلك: كرامة الله بأوليائه.. في أسمائه

-من الباب الأحد والتسعين ومائة-

مَن تصرّف في أسمائه؛ كان من أوليائه. الأسماء بحكم العبيد؛ ولهذا صحّ التخلُّق بها في الوجود، لا بل التحقّق المقصود[2]. مَن فَكَّ المعمَّى؛ لم ينظر الأسماء من حيث دلالتها على المسمّى. فإنّ ذلك لا يَتخلّق به؛ بل يَتحقّق به المنتبِه. للأسماء دلالتان، ولها تعلّقان: التعلّق الواحد دلالتها على المسمّى الواحد؛ الذي تجتمع فيه الأسماء كلّها من غير أمر زائد. والدلالة المطلوبة؛ ما تتميّز به الأسماء من المعاني، كما تميّزتْ بالألفاظ والمباني. فالمباني: كالعالم والعليم والعلّام، والألفاظ مثل هذا وكالخالق والقادر في الأحكام.

فانظر في هذه الأقسام؛ فإذا عِلمتَها فأنت الإمام، المقدَّم على جميع الأنام والملائكة الكرام. هذا عِلم أبيك؛ فاجعله قوتك؛ فإنّه لن يفوتك. فكلُّ كرامة لا تتّصل بالقيامة؛ فما هي كرامة، واحذر من الاستدراج في المزاج.

---

(١) مكتوب فوقها بخط آخر: "المعلمة"

(٢) ص ١٠٨

ومِن ذلك: ما للأنام.. من الإكرام

-من الباب الثاني والتسعين ومائة-

الإكرامُ الإلهيّ في الأنام: الرؤيةُ، والمشاهدةُ، والكلام. الرؤيةُ هي المُنْيَة. والمشاهدةُ رؤيةُ الشاهِد؛ وهي ترجع إلى العقائد. فهي تُعْرَف وتُنْكَر، والرؤيةُ لا يدخلها إنكارٌ فتُبصَر[1]. والكلامُ: ما أثَّر، ولا يدخله انقسام. فإذا دخله الانقسام؛ فهو القول، وفيه المنّة الإلهيّة والطَّوْل. القرآن كلّه: "قال الله"، وما فيه: "تكلّم الله". وإن كان قد ورد فيه ذِكْرُ الكلام، ولكن تشريفا لموسى عليه السلام. ولو جاء بالكلام ما كفَر به أحد؛ لأنّه من الكلْم فيؤثّر فيمن أنكره وجحد. ألا ترى إلى قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[2] (كيف) سلَك به نهجا قويما؟ فأثَّر فيه كلامُه، وظهرتْ عليه أحكامُه. فإذا أثّرَ القول؛ فما هو لذاته؛ بل هو من الامتنان الإلهيّ والطَّوْل. ففرِّق بين القول والكلام؛ تكن من أهل الجلال والإكرام، كما تفرِّق بين الوحي والإلهام، وبين ما يأتي في اليقظة والمنام.

* * *

ومِن ذلك: مَن رأى السعادة.. في العادة

-من الباب الثالث والتسعين ومائة-

حِكمة العادة في عالم الشهادة؛ إثبات الإعادة؛ فإنّ الإيمان بها يعطي السعادة. العادة عَوْدُ الحقّ إلى الخلق. وإن اختلفت الصوَر؛ ففيه إثبات الغِيَر. فلا تجريح؛ فإنّه العلم الصحيح. لا تكرار في الوجود؛ وإن[3] خفي في الشهود؛ فذلك لوجود الأمثال[4]، ولا يعرفه إلّا الرجال[5]. لو تكرّر لضاق النطاق، ولم يصحّ الاسم "الواسع" بالاتّفاق. وبطل كون الممكنات لا تتناهى، ولم يثبت ما كان به تَباهى. مَن قال بالرجعة بعد ما طلَّق فما طلَّق، وكان صاحب شبهة فيما يظنّ أنّه به تحقَّق، وإن لم يكن كذلك فهو أخرق. وكلامنا مع العاقل، العارف بهذه المعاقل؛ فإنّه عن العلم بمثل ما

(١) ص ١٠٨ب
(٢) [النساء: ١٦٤]
(٣) ص ١٠٩
(٤) ق: "المثل" وعليها إشارة المسح، وبجانبها بخط آخر: "الأمثال"
(٥) ق: "الرجل" وعليها إشارة المسح، وبجانبها بخط آخر: "الرجال"

ذكرناه ليس بغافل.

الطلاقُ الرجْعِيّ رحمةٌ بالجاهل الغبيّ. ولو قلنا في الرجال بالرجعة في الطلاق؛ خرقنا في ذلك ما جاء به أهل الله من الاتّفاق. فإنّه نكاح جديد؛ ولذلك يحتاج إلى شهود، أو ما يقوم مقام الشهود؛ من حركة لا تصحّ إلّا من مالِك غير مطلِّق، وكذا هو عند كلّ محقِّق. فمذهب أهل الأسرار: لا تكرار، مع ثبوت العادة، والإيمان بالإعادة. ولكن كما شرحناه، وبيّنّاه للناظر وأوضحناه، وبه عند كلّ ذي أُذُن أَفصحناه[1]. فإذا علِمتَ؛ فتصرّف في العبارات كيف شئتَ. فما يَعلمُ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[2] إلّا مَن علِم ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3]. فمن[4] آمن ببعض وكفر ببعض؛ فهو الكافر حقّا، والجاهل الظالم نفسَه صدقا.

* * *

ومِن ذلك: الإعجاز.. في الصدق والإيجاز

-من الباب الرابع والتسعين ومائة-

أُرِيْتُ في الواقعة الجامعة؛ حقيقةَ الإعجاز في النطق بالصدق. فاصدُق في نطقِك تكن المعجِز؛ فأسْهِب بعد ذلك أو أوجِز. فإنّ الغاية في الإعجاز؛ المبالغة في الإسهاب والإيجاز. فما ﴿مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾[5]؛ وإن تولّدتْ عنها وقامتْ لها مقام بِنتها. فقد يكون في الشاهد: الولدُ أعظم في القدر من الوالد. وأمّا في الغائب؛ فهو غير صائب؛ إلّا في موضع واحد؛ وهو ما تولّد عندك من معرفتك بربّك، عند معرفتك بنفسك؛ وإن كان ليس من جنسك. فذلك العلم لهذا العلم كالولد، وهو أعظم قدرا من الوالد عند كلّ أحد. وما سِوَى هذا وأمثاله في الغائب؛ فليس بصائب.

(١) "وبه عند... أفصحناه" ثابتة في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب
(٢) [الأعراف: ٢٩]
(٣) [الواقعة: ٦١]
(٤) ص ١٠٩ب
(٥) [الزخرف: ٤٨]

فلا تقِسْ الغائب على الشاهد في[1] كلّ موطن فإنّه مذهبٌ فاسِد. يرحم الله أبا حنيفة، ووقاه من كلّ خيفة؛ حيث لم ير الحكم على الغائب، وهو عندي مِن أَسَدِّ المذاهب، وأحوط من جميع الجوانب.

* * *

ومِن ذلك: رتبة وحي المنام من الكلام

-من الباب الخامس والتسعين ومائة-

النبوءة؛ في المبشِّرات مخبوءة. فمن لا مبشِّرة له؛ لا نبوّة له، وإن لم تكن نبوّة مكمّلة، وإن كانت بالمقام الرفيع؛ وهو التشريع. ولكن إذا تحقّق الرائي لديه[2] مَن يوحي بذلك إليه؛ حينئذ يعوّل عليه. فإن أوحى به الرسول؛ فله أن يقتصر بذلك على نفسه ويقول. فإن تحقّق عند السامع حَقّه[3]، وثبت عنده صِدْقَه؛ تعيّن في ذلك اتّباعه، وحرم عليه نزاعه. فإن كان ناسخا لحكمٍ ثبت بخبر الواحد؛ فالأخذ به معيّن عند الواجد، وبقي النظر والتكملة في المقلِّدِ له. فإن كانت العدالة على السَّواء؛ فصاحب الرؤيا أَوْلَى بمحجّة الاهتداء. فحُكْمُ وحي المنام بشرائطه حُكْمُ اليقظان؛ بالدليل[4] النقلي والبرهان، وهو بمنزلة الصاحب[5] في السماع، والتابع إيّاه بمنزلة الأتباع. فإن كان الموحي بذلك الحقُّ -تعالى- أو الملَك إليه؛ فتناوُلُه بحسب الصورة التي نزل بها عليه. ولا يتّخذ ذلك شرعا يتعبّده، وإن كان يحمَدُه. وهذه فائدة، سُرُجها متوقِّدة من شجرة مباركة، مِن تشاجر الأسماء، ويكفيك هذا الإيماء. فاعمل بحَسَبِه، واعلم قدر منصِبه.[6]

---

(١) ص ١١٠

(٢) ثابتة في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب

(٣) ثابتة في الهامش بقلم الأصل

(٤) ص ١١٠ب

(٥) الصاحب: الصحابي

(٦) في الهامش: "بلغ سماعا وقراءة ومقابلة على الشيخ المولف، ﷺ".

ومِن ذلك: نَظْمُ السلوك في مسامرة الملوك

-من الباب السادس والتسعين ومائة-

الذي يختاره المَلِك لمسامرته ويصطفيه، يسامره بالاسم الذي يتجلّى له المَلِك فيه؛ فهو بحكم تحلّيه في تجلّيه. فيتنوّع السمَر كما تتنوّع في العقود الدُّرَر، وعلى هذه الصورة يكون الخبر والحديثُ؛ فتارة في القديم، وتارة في الحديث. فإذا كان السمر في تدبير المُلْك؛ كان بحكمِه وتحت سلطان اسْمِه. فيُتَخيَّل في المَلِك أنّه مخدوم؛ وهو متصرَّف فيه[1] وهو بما يحتاج الرعايا إليه[2] عليه محكوم. وإن لم يكن كذلك؛ فليس بمَلِك ولا مالِك. وقد يكون السَّمر في شأن المنازِع، وتعيين المدافِع، وما يصرّفه في مُلْكِه في صبيحة ليلته من المضارِّ والمنافع؛ فاختصاص المسامرة بالاسم الضارّ والاسم النافع. فما له حديث إلّا في الحدوث. لا يصحّ من النديم؛ الحديث في القديم. ولهذا قال في كلامه -تعالى-: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[3] مع عِلمنا بِقِدَمِه، وهو عينُ كَلِمِه. فكثَّره ووحَّدَه، وقَسمه وأَفْرَدَه، وأنزله وأَحْدَثَه، وناجى به المسامِر وحدَّثه. فمِن المسامرين المستغفرون، ومنهم التائبون الحامدون، الراكعون الساجدون. فلا يزالون في هذا رغبة في المثوبة والأجر؛ حتى ينصدع الفجر. ولذا يبكِّر بالصبح ويغلِّس في أوّل ما يتنفّس.

* * *

ومِن ذلك: المسافر.. منافر

-من الباب السابع والتسعين ومائة-

«السفر قطعة من العذاب»؛ لما يتضمّنه من فراق الأحباب؛ فالمسافر[4] منافر. في سفر الأكوان؛ النزوح عن الأوطان. الرحمن ينزل كلّ ليلة من عرشه إلى سمائه بجميع أسمائه، وفي القيامة

(١) "وهو متصرف فيه" ثابتة في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب

(٢) ص ١١١

(٣) [الأنبياء: ٢]

(٤) ص ١١١ب

ينزل بعرشِه إلى فرشِه. وقد قيل في السفر: للمسافر خمس فوائد(١):

تَفَرُّجِ هَمٍّ واكْتِسابِ مَعِيْشَةٍ   وعِلْمٍ وآدابٍ وصُحْبَةِ ماجِدِ

لا "هَمّ" إلّا همّ الوحيد؛ لما هو عليه من التفريد. ففي وجود الخلق مؤانسة الحقّ. "واكتساب المعيشة"؛ ما يأتي إليه به الأرسال من أعمال العمّال. "وعِلْمٍ" في سِرّ قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾(٢) فافهم. "وآداب" ما يأتون به من جميع الخير طلبا لحسن المآب. "وصحبة ماجد" مثل الداعي، والسائل، والمستغفِر، والتائب، وهو القاصد. فصحّ ما نظمه الشاعر في السفر للمسافر. فالسفر صفة الحقّ، ولا يطلق إلّا على الخلق. فهو في الحقّ نزول، وفي الخلق عروج ورحيل.

* * *

ومِن ذلك: الثلاثة نَفَر.. في السَّفَر

-من(٣) الباب الثامن والتسعين ومائة-

الحقّ والمَلَك والغمام؛ اثنان اللهُ ثالثهما والسلام. فالركبُ المحفوظ بعين الله ملحوظ. «الواحد شيطان» لبعده عن الجماعة، «والاثنان شيطانان» لعدم الناصر وتوقّع ما تقوم به الشناعة، «والثلاثة نفر»؛ وهم أهل الأمان غالبا في السفر. التثليث من أجل المحدِّث والمحدَّث والحديث. ما كفر القائل بالثلاثة، وإنما كفر بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾(٤) فلو قال: "ثالث اثنين" لأصاب الحقَّ وأزال المَيْن. «ما ظنّك باثنين الله ثالثهما» يريد أنّ الله ﷻ حافظهما. يعني في الغار في زمان هجرة الدار. من أصعب أحوال الإنسان؛ فراق الأوطان. فَمَن كان وطنه العدم في القِدم؛ كانت غربته الوجود، وإن حصل له فيه الشهود. فهو يحنُّ إلى وطنه، ويغيب عند شهود سكنِه. والفناء حالٌ من أحوال العدم؛ عند مَن فَهِم الأمورَ وعَلِم. فما يطلب أهل الله الشهود؛ إلّا لأجل الفناء عن الوجود. وأمّا بعض العبيد؛ فَلِمَا فيه من الجود. كما أنّ مَنزِل الحقّ التوحيد؛ فيفنيهم(٥) عند

---

(١) هذا البيت منسوب للإمام علي بن أبي طالب، وكذلك للإمام الشافعي.
(٢) [محمد: ٣١]
(٣) ص ١١٢
(٤) [المائدة: ٧٣]
(٥) ص ١١٢ب

الشهود لحصول التفريد، والله على ما نقول شهيد. وقد قال أهل اللسان: إنّه الآن على ما عليه كان، نعني من التنزيه ونفي التشبيه.

* * *

ومِن ذلك: الحالّ؛ ما حلّ وحال

-من الباب التاسع والتسعين ومائة-

الحالّ ما حال؛ فالوجود كلّه حالّ. لا يصحّ الثبات على شأن واحد؛ لما تطلبه المحدَثات من الزوائد. فالأمر شئون؛ فلا يزال يقول لكلّ شيء "كن" فيكون. ثمّ إنّه عندما يكون يستحيل؛ فتظهر وفي وطنها تَقيل(١). ما لها قوّة على فراق السكن، ولا النزوح عن الوطن. فترجع إلى العدم في الزمن الثاني من غير توانٍ. فهو يخلق، وهي تنفُق. الوجود كلّه تعب؛ ولذا قال له: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ. وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾(٢) فما فرغ إلّا اشتغل، ولا انقضى عمل إلّا استعمل، وكان في العدم صاحب راحة؛ لأنّه في موطن الاستراحة.

إذا كان الرحمن كلّ يوم في شأن؛ فما ظنّك بالأكوان(٣). ما قال بأنّ العدم هو الشرّ؛ إلّا مَن جهِل الأمر. إنما ذلك العدم الذي ما فيه عين، ولا يجوز على المتّصف به كون؛ وليس إلّا المحال؛ فذلك العدم هو الشرّ المحض على كلّ حال. وأمّا العدم الذي يتضمّن الأعيان؛ فذلك عدم الإمكان. فهي أعيان تَشهد وتُشهد. فهي الشاهد والمشهود؛ في حال العدم والوجود. فإلى الأحوال هو المآل، وإليه حَنّ الإنسان ومال، ومن هنا يثبت شرف الذوق والحال.

---

(١) تقيل: من القيلولة
(٢) [الشرح: ٧ ، ٨]
(٣) ص ١١٣

ومِن ذلك: مقام المنزلة.. في البسملة

-من الباب الموفي مائتين-

المكانة أمانة؛ فلا تجرحها بالخيانة. فإنّ الله أمر بأدائها إلى أهلها. فقبولها عَرْض، وأداؤها فرْض. وما يَقبلُها إلّا مَن جَهِلها، والقابل لها بطريق الجبر مضطر؛ فعذره مقبول، وليس بالظلوم الجهول. والقابل لها بالاختيار؛ مُدْخِلٌ نفسَه تحت حكم الاضطرار. فيعود مملوكا وقد كان مالكا، وكان ناجيا فعاد هالكا. قال رسول الله ﷺ في الإمامة: «إنّها ندامة يوم[1] القيامة» وذلك الأمير المختار، لا مَن أَخَذَها بحكم الاضطرار. فمن أُعطيَها أُعِين عليها، ومَن طلبَها وكَلَهُ الله إليها. وإن كانت منزلتها رفيعة؛ فُحُجُبها منيعة. فإن وُلِّيتَ فاستقِل، ولا تشتغل. فإن جُبِرت ولا بدّ فاحفظ العهد، وأَوْف بالعقد. فالعالِم برتبتها[2] إذا وَلِيَها حذِر؛ لأنّ مقامها خطِر. فإيّاك وإيّاها، وتحفّظ من منتهاها.

* * *

ومِن ذلك: المكانة.. أمانة

-من الباب الواحد ومائتين-

إنما يصحَبُ صاحبَها المَلل، ويقوم به الكسل؛ لما فيها من مراعاة الحقوق، وهو أمر يصعب على المخلوق. فاعتزل عن صحبة ما يورث المَلل. والملل سببه الجهالة بالخلق الجديد ولذّة المزيد[3]. فالملول جهول، وفيه أقول:

أُوْصِيْكَ أُوْصِيْكَ لا تَصْحَبْ أَخا مَلَلِ ولا تَقُلْ إنّهُ مِنْ نَعْتِ ذِي الأَزَلِ

لأَنّ ذلِكَ أَمْـرٌ لَـيْـسَ يَـعْـرِفُـهُ إلّا الذي لَمْ يَقُلْ في الحَقِّ بالعِلَلِ

وأنّ[4] ذلِكَ أَمْرٌ لَـيْـسَ يَجْـهَـلُهُ إلّا الذي قال خَلْقُ الخَلْقِ بالحِيَلِ

إنّ المَلالَةَ لا تُعْطِيْـكَ صُـوْرَتَها إلّا الملامَ فَكُنْ مِنْها عَلَى وَجَلِ

---

(١) ص ١١٣ب

(٢) ثابتة في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب

(٣) أضيف في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب: "فيما تخيّل صحبه الملل"

(٤) ص ١١٤

فَمَا يَمَلُّ جَوادٌ مِنْ جَدَى[1] أَبَدًا إنّ الكَرِيْمَ عَلَى الإنعامِ ذُو حِيَلِ
إن كان واجِدُ مَالٍ فَهْوَ يَبْذِلُهُ ومَا أَرَى لَكَ فِي الإفلاسِ مِنْ مَلَلِ
لَيْسَ المَلالَةُ في النُّعْمَى إذا وَرَدَتْ إنّ المَلالَةَ في الإفلاسِ تَظْهَرُ لِيْ
فَكُلُّ جُوْدٍ فَإفلاسٌ يُحَقِّقُهُ فَقْدُ الجَوادِ لَهُ فانْظُرْهُ في مَهَلِ
لَوْ أَنّ يُعْطِيْكَ ما تَحتاجُ راحَتهُ إِلَيْهِ لاتَّصَفَ المَعْلُومُ بالبُخُلِ
إنّ الكريمَ الذي يُعْطِيْكَ حاجَتَهُ وَذَا مَقالٌ أَنا مِنْهُ عَلَى خَجَلِ
الحَقُّ مُرٌّ ولا يَحْلُوْ لِذائِقِهِ إلّا إذا كان ذا حُكْمٍ عَلَى الدُّوَلِ

* * *

ومِن[2] ذلك: الشطحُ من الفتح

-من الباب الثاني ومائتين-

مَن شطح عن فناء[3] شطح، وهذا من أعظم المنح. إلّا أنّه يلتَبِس على السامع؛ فلا يعرف الجامع من غير الجامع. ولهذا الالتباس؛ جعَله نقصًا بعضُ الناس؛ من باب سدّ الذريعة لما فيها بالنظر إلى المخلوق من الألفاظ الشنيعة، التي لا تجيزها لهم الشريعة. فَمَن تقوّى في هذا الفتح، وعَلِمَ من نفسه أنّه ليس بشاطح؛ لم يظهر عليه شيء من الشطح. فلا يظهر الشطح من صاحب هذا الوصف؛ إلّا إذا كان في حاله ضعف؛ إلّا إن تبيّن ذلك عند الواصل والسالك. ألا ترى إلى ما قال صاحب القوّة والتمكين في إنفاذ الأمر: «أنا سيّد ولدِ آدم ولا فخر» فانظر إلى أدبه في تجلّيه؛ كيف تأدّب مع أبيه؟ وما ذكر غير إخوته؛ فالأديب مَن أَخذ بأُسْوَته. فإنّ ربّه أدّبه. ومَن أدّبه الحقّ؛ أنزل الناسَ منازلهم لما تحقّق.

---

(١) جدى: نفع
(٢) ص ١١٤ب
(٣) استبدلت "عن فناء" في الهامش وبخط آخر مع إشارة التصويب: "بحق"

ومِن ذلك: الطالع.. ضليع لا ظالع[1]

-من الباب الثالث ومائتين-

الظالع[2] يتأخَّر؛ لأنّه تعثَّر. والضليع تقدَّم ليكون في الصف المقدَّم. ألا ترى المسمّى بالأوّل؛ كيف رغب في الصفّ الأوّل. وحكم فيه بالاقتراع؛ لما فيه من الاعتلاء والارتفاع. فالظالع يدافع المنازع. فهو عَلَم في رأسه نار؛ لما يأتي به من الأخبار.

فيستفهمه مَن ورد عليه؛ لينظر فيما أتى به إليه. كان طالعُ موسى الجبل، وطالعُ الخليل النور الذي أَفل. فأعقَب ذلك الأفول الحقّ؛ كما أعقب اندكاكَ الجبل الصعق. فما أصعقَ الكليم؛ إلّا الذي دَكَّ الجبلَ العظيم. فما أفاق الكليمُ من صعقتِه؛ إلّا لما بقي عليه من أداء نبوّته. وإن كان الإنسان أقوى من الأجبال، ولا سيما إذا كان من الأبدال. وقد صحّ ذلك بالخبر النبويّ عن الله العليّ. ولكن قد ثبت عنه في الكتاب المكنون؛ أنّ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3] فدخل تحت هذا المقال؛ ما في الأرض من الجبال. فسلِّم تَسْلَم، وافهم الأمر واكتم.

* * *

ومِن ذلك: الإياب.. ذَهاب

-من الباب الرابع ومائتين-

الذَّهابُ[4] إليه؛ إحالةٌ منه عليه. مَن أَمْرُك في يديه؛ فأنت لديه. ما برِحنا منه؛ حتى نسأل عنه. هو المشهود في كلِّ عين، والشاهد من كلِّ كون. فهو الشاهد والمشهود؛ لأنّه عين الوجود. فَمَن عرفه؛ سمّاه وما وصَفَه. ما ورد خبرٌ بالصفات؛ لما فيها من الآفات. ألا ترى إلى مَن جعله

---

(١) الظالع: من يغمز في مشيه
(٢) ص ١١٥
(٣) [غافر: ٥٧]
(٤) ص ١١٥ب

موصوفا؛ كيف يقول، إن لم يكن كذلك كان مؤوفا[1]. وما علِم أنّ الذات إذا قام كمَالُها على الوصف؛ فإنّه حكم عليها بالنقص الخالص الصرْف. مَن لم يكن كمَالُه لذاته؛ افتقر بالدليل في الكمال إلى صفاته. وصفاته ما هي عينه؛ فقد جهل القائل أنّ الصفة كونُه. ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ. إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2] ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾[3] وقد أذهبهم بما وقع بهم من الالتباس.

* * *

ومِن ذلك: التنفيس.. تقديس

-من الباب الخامس ومائتين-

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ. وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[4] إنّه للرحمن الناصر؛ الذي ليس في نصره بقاصر. الناصر المؤتمن[5]، الآتي من قبل اليمن. نصر بالصَّبا لما فيها من الميل والحنان؛ وهو النفَس الذي في الإنسان. لذلك ورد في الأخبار؛ أنّه كناية عن الأنصار. في الهبوب إلى المحبوب؛ تنفّس المكروب. ما ثَمّ إلّا تنفيس، لذلك هو تقديس. وإن كان يتضمّن الكُرب؛ فإنّه من جملة القُرب. والحقيقة تعطي ذلكَ لاختلاف الأغراض، وما في القلوب من الأمراض.

"مصائب قوم عند قوم فوائد[6]" فكلّ ما زاد عليه فهو من الزوائد. لا يعرف الزائد إلّا الواحد، وأمّا واحد الكثرة فلا يعرف بالزائد؛ لأنّ عين كثرته واحد.

* * *

ومِن ذلك: الأسرار.. في الإصرار

-من الباب السادس ومائتين-

الإصرار الإقامة، والأسرار مكتّمة إلى يوم القيامة. لولا حضور الأغيار؛ ما كانت الأسرار.

---

(١) مؤوف: من الآفة؛ أصابته آفة فهو مؤوف
(٢) [التكوير: ٢٦ ، ٢٧]
(٣) [النساء: ١٣٣]
(٤) [التكوير: ١٧ ، ١٨]
(٥) ص ١١٦
(٦) من قصيدة للمتنبي وفيها: بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

السِّرُّ ما بينك وبينه، وما هو أخفى ما يستُر عنك عينَه. فلا يَعلم الأخفى إلّا الله الواحد، والسرُّ يعلمه الزائد. وما زاد فهو إعلان، وزال عن درجة الكتمان. لا تودِعْ سِرًّا[1] إلّا مَن كان مُصِرًّا؛ فإنّه يقيم على الودّ، ويفي بالعهد، ويصدُق في الوعد، ويستوي عنده القَبْلُ والبَعْد؛ لأنّه في الآن، وهو حقيقة الزمان. مِن أعجب ما يعتقده أهل التوحيد؛ وَصْفُه بالقريب البعيد. قريب ممّن! بعيدٌ عمّن! هو أقرب من حبل الوريد إلى جميع العبيد. ومع هذا يقال للإنسان: هل امتلأتَ؟ فيقول: "هل من مزيد". مَن جهنّم طبيعتُه؛ عِصْمَتُهُ شريعتُه.

* * *

ومِن ذلك: الاتّصال.. ليس من مقامات الرجال

-من الباب السابع ومائتين-

كُلُّ اتِّصــالٍ مُعْلِمٌ بانْفِصــالْ — ولَيْسَ هَذا من مَقامِ الرجالْ
ما شَـــفَعَ الواحد إلّا الذي — أَثْبَـتَ بالأَغيـارِ عَيْنَ الكَمَـالْ
مَنْ لَمْ يَكُنْ في ذاتِـهِ كامِلًا — فَمَا لَهُ عَنْ نَقْصِـــهِ مِن زَوالْ
وكُلُّ مَن يَكْمُـلُ مِن غَيْرِهِ — فَذاتُهُ تُشــْـبِهُ ذاتَ الظِّلالْ
يَفْتَقِرُ[2] الظِّـلُّ إلى نُوْرِهِ — وجِسْمِهِ الأَكْثَفِ في كُلِّ حالْ
وأَيْنَ عَيْنُ الجِسْـمِ حتى يَرَى — عَيْنِي لَهُ ظِلًّا وهَـذا مُحـالْ
فـاعتَبِروا مـا قُلْتُـهُ إنّني — ما قُلْتُهُ إلّا لِضَرْبِ المِثالْ
ما كُلُّ عِلْمٍ عِنْدَ أَهْلِ الحِجَى — يُدْرَى بِهِ يَدْخُلُ تَحْتَ المَقالْ

إنما يتّصل الأجنبي، وما يقول به إلّا الغبي. نفى الكتاب المنزل المِثليّة، وإنما الأعمال بالنيّة. فانظر إذا ما وَرَد؛ أيَّ شيء قَصَد.

---

(١) ص ١١٦ب
(٢) ص ١١٧

ومِن ذلك: التفصيل في الإجمال.. جمال

-من الباب الثامن ومائتين-

مَن فَصَل بينك وبينَه؛ أثبتَ عينَك وعينَه. ألا تراه -تعالى- قد أثبت عينَك، وفصَل كونَك، بقوله إن كنت تنتبه: «كنتُ سمعَه الذي يسمع به» فأثبتَك بإعادة الضمير إليك؛ لِيدلّ عليك. وما قال بالاتّحاد[1]؛ إلّا أهل الإلحاد. وأمّا القائلون بالحلول؛ فهم من أهل التفصيل. فإنّهم أثبتوا حالّا ومحلّا، وعيّنوا حراما وحِلّا. فَمَن فَصَل فنِعْمَ ما فعل، ومَن وَصَل فقد شهِد على نفسه أنّه فَصَل. لأنّ الشيءَ لا يصل نفسه بنفسه، إلّا إذا كان الشيءُ أشياء، وكان ذا أجزاء. وإنما الواحد؛ كيف يصحّ فيه انقسام وما ثَمّ على عينه أمر زائد؟ فالفصل لأهل الوصل.

* * *

ومِن ذلك: مَن راضَه.. فقد أغاضَه

-من الباب التاسع ومائتين-

يَا أَرْضُ مَاءَكِ ابْلَعِي وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي؛ فغِيْضَ الماء وارتفعت الأنواء، وقضي الأمر وظهر في النجاةِ السِّرّ. واستوتْ سفينة نوح؛ عندما أقلعت السماء وشَرَقَتْ يوح[2] على جوديّ الجود؛ لتتمّ كلمة الوجود؛ بِوالِدٍ ومولود إلى اليوم الموعود. فإنّه لو انقطع الأصل؛ لانقطع النسل. التواصل سبّب التناسل. فإن كان عن نكاح؛ فهو مع المطهَّرين من الأرواح. وإن كان عن سِفاح؛ فهو ممن قصد بإيجاده الصلاح. وإن كان الكلّ عباده؛ في عالم الغيب والشهادة. فـ[3]﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾[4] وإن لم نفقه تسبيحه. فإنّي مؤمنٌ بأنّ كلّ عين مسبّح بحمده في كلّ كَوْن.

---

(١) ص ١١٧ب

(٢) يوح: الشمس

(٣) ص ١١٨

(٤) [النور: ٤١]

ومِن ذلك: التحلية.. صفة أهل الألوية

-من الباب العاشر ومائتين-

التخلّقُ بمكارم الأخلاق دليلٌ على كرم الأعراق. التحلية طواعِية. ما تحلّى؛ مَن أَدبَرَ وتَولّى. مَن خُصَّ بالتجلّي؛ فهو دليل على صحّة التحلّي. المشاركةُ في الصِّفات دليلٌ على تباين الذوات. بالشرك عُرِف المَلِكُ والمُلْك، زال الإفْك، بالشرك. التوحيد في الإله، من حيث ما هو إله، لا من حيث الأسماء؛ فإنّها للعَبيد والإماء. بها يكون التحقُّق، وهي المراد بالتخلُّق. قد قال في الكتاب الحكيم عن رسوله الكريم؛ إنّه ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[1] وقال -سبحانه- عن نفسه بكلامه القديم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[2] فقد عرّفَنا؛ بأنّه وَصَف نفسَه بما وَصَفنا. فلولا صحّةُ القبول منّا؛ ما أَخبر بذلك عنّا. وخبرُه صِدْق، وقولُه حقّ. فبمثل هذا الإشراك؛ كان الإملاك. وما من ذرّة في الكون؛ إلّا ولها نصيب من هذه العين.

* * *

ومِن ذلك: المِنَصّة.. لمن عرف ما نَصّه

-من الباب الأحد عشر ومائتين-

الخَلْق[3] مجلى الحقّ. فإذا نظرتَ؛ فاعلم مَن تنظر؛ كما علمتَ مَن يَنظر. فإن نظرتَ في كونه بِعينه؛ فاحذر مِن بَيْنِه. وإن نظرتَ بغير عينِه؛ فقد فُزْتَ بِعَظيم بَيْنِه؛ فَبَيْنُهُ فَصْلُهُ ووَصْلُه. ولهذا دلّ عليه عينُه. على هذا وقع الاصطلاح عند الشُّرّاح. فهو من الأضداد؛ كالجَوْن في البياض والسواد، وكالقُرْء في الطهر والحيض المعتاد، المنصّات للأعراس والملوك؛ فهي للتفرقة بين المالك والمملوك؛ نظم السلوك في السلوك، والتعب والراحة في الدلوك، الميلُ؛ في الجَوْر والعدل.

---

(١) [التوبة: ١٢٨]

(٢) [الحديد: ٩]

(٣) ص ١١٨ب

ومِن ذلك: الانفراد.. لأهل الوداد

-من الباب الثاني عشر ومائتين-

الخُلوة بالمحبوب هو المطلوب. والانفراد معه غايةُ الدعَة، والخروج من الضِّيق إلى السعة. لا يفرح بهذا الانفراد إلّا أهل المحبّة والوداد. ما هو منفرِد؛ مَن هو بحبيبه متّحِد.

رُوْحُهُ رُوْحِي ورُوْحِي رُوْحُهُ   إن يَشَأ شِئْتُ وإن شِئْتُ يَشا[1]

توحّدت الإرادة بين الأحباب، وإن تعدّدت الأعيانُ فإلى واحِدٍ[2] المآب. الأمر عند أهل التحقيق؛ في صادِقٍ وصِدِّيق. الصادقان[3] يفترقان؛ لأنّهما مِثلان، والمِثلان ضِدّان. والضدُّ مُدافع؛ فلا تُنازِع. دخلتُ على بعض الشيوخ، من أهل العناية والرسوخ، بمدينه فاس؛ فأفادني هذه المسألة، وقال: "احذر من الالتباس".

* * *

ومِن ذلك: ليس من المِلّة.. مَن قال بالعِلّة

-من الباب الثالث عشر ومائتين-

الحقُّ عند أهل المِلّة؛ لا يصحّ أن يكون لنا عِلّة. لأنّه قد "كان" ولا "أنا"؛ فلماذا تتعَنّى؟ مَن كان عِلّة؛ لم يفارق معلولَه؛ كما لا يفارق الدليل مدلولَه. لو فارقه ما كان دليلا، ولا كان الآخرُ عليلا. الشفاءُ من أحكام العِلل في الأزل. ما قال بالعلّة إلّا مَن جَهِل ما تعطيه الأدلّة. الأمرُ المحكَم المربوط؛ في معرفة الشرط والمشروط، عليه اعتمد أهل التحقيق في هذا الطريق. القول بالعلّة معلول بِواضِح الدليل. أحكام الحقّ في عباده لا تُعلَّل، وهو المقصود بالهمم والمؤمَّل. لو صحّ أن يؤمِّلَ مؤمِّلٌ سِواه؛ ما ثبت أنّه الإله. وقد ثبتَ أنّه إله؛ فلا يؤمَّل سِواه. كما أنّه ﷻ قد أَمَّلَ مِن عباده ما أَمَّل. فهو يريد الآخرة الآجِلة، ونحن نريد الدنيا العاجلة.

(١) هذا البيت للحسين بن منصور الحلاج
(٢) هي في الهامش بخط آخر مع إشارة التصويب: "حكم واحد"
(٣) ص ١١٩

ومِن[1] ذلك: مَن أُغِيظ انزعج.. ومَن خوصم احتجّ

-من الباب الرابع عشر ومائتين-

ما ظهر الشتاء والقَيْظ؛ إلّا بنفَس جهنّم مِن الغيْظ. أَكَل بعضُها بعضا؛ فأقرضها الله فينا قرضا. فأصاب المؤمن هنا من حرورها وزمهريرها؛ ما يحول في القيامة بينه وبين سعيرها. فجازت مَن أَقرضها في الدنيا؛ بالخمود عنه عند جَوازه على الصراط إلى محَلِّ السرور والاغتباط. نارُها لا يقاوِمُ نورَ المؤمن، وهو الشاهد العدل المهيمن. حاجَّ آدم موسى، وهو داءٌ لا يُوسَى. الرجوع إلى القضاء والقدر؛ منازعةُ البشر. الأدباءُ الأعلام يُثبتون القضايا والأحكام، ويعتقدون القضاء، ويحاسِبون أنفسهم بما مضى، ويخافون من الآتي؛ أن يكون ممن لا يُواتي؛ فيطلبون الصون، ويسألون من الله العون.

* * *

ومِن ذلك: المشاهَدة.. مُكابَدة

-من الباب الخامس عشر ومائتين-

المشاهدة رؤيةُ الشاهد، لا أَمرٌ زائد؛ فارتفعت الفائدة عن أهل المشاهدة. فعليك بطلب الرؤية في كلّ معتقَد، كما ينبغي لك أن تكون مؤمِنا بكلّ ما ورد. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ[2] عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾[3] فإنّ له الأمرَ مِن بَعْدُ ومِن قَبْل. فالمُشاهِد لا يزال في الدنيا يكابِد، فإذا حصل في الآخرة بين يديه؛ رَدَّ ما جاء به إليه. فأنكره في تجلّيه، وجهِله في تدلّيه. وتعّوذ به منه؛ وهو لا يشعر أنّه يأخذ عنه. عصمَنا الله من هذه الجهالة، وجعلَنا ممن عرف شئونه وأحوالَه؛ فميَّز تحوُّلَه؛ حين جَهِلَه مَن جَهِلَه.

---

(١) ص ١١٩ب

(٢) ص ١٢٠

(٣) [النساء: ١٣٦]

ومِن ذلك: المكاشَفة.. مواصَفة

-من الباب السادس عشر ومائتين-

مَن كشف عرف، ومَن اتّصف وقف. الشهود تقليد، والكشف عِلمٌ صرف. مَن اعتقد شَهِد معتقَده، ومَن علِم عَرَف مصدره وموردَه. ليس الصدور والورود مِن صفة أهل الشهود، هو مخصوص من العلماء؛ من الرسل والأنبياء والأولياء. لولا الكشفُ ما عَلِمَ الوليّ مقام المشرّع النبيّ، مع عدم الذوق؛ لتخصيص النبيّ بالفَوق. لا يلزم من الإيمان القول بالجهة؛ فلا يلزم الشَّبَه. الجهةُ ما وردَتْ، والفوقيّةُ الإلهيّة قد ثبتتْ. كشفُ ما نزل بالخلق بيد الحقّ. فاللهُ[1] الكاشِف، وأنت المكاشِف. له -تعالى- العمل، ولكَ التعمُّل؛ فاحذر أن تعمل في غير معمل، وأن تطمع في غير مطمع؛ وكن ممن عرف فجمع.

* * *

ومِن ذلك: اللوائح.. مَنائح

-من الباب السابع عشر ومائتين-

مَن لاحت له بارقةٌ مِن مطالِبه؛ فقد أبصر بنورها جميعَ مذاهِبه. فهو يعلم كيف يتصرّف وبمن تعرَّف؛ فإن شاء تصرَّف، وإن شاء لم يتصرّف. على أنّ أهل التصوّف هم أرباب التشوّف، فهم يطمعون في كلّ مطمع، وينزعون فيه كلَّ منزع. هم أهل المِنح، وهم أهل الطُّرَف والآداب والمُلَح. أَثنى رسول الله ﷺ على أصحاب المَنِيحَة، وجعلَها من أفضل مديحة؛ لما فيها من الخير، والرحمة والشفقة على الغير. ولا سيما إن كان من أهل الفاقة والاحتياج، ومَن تعبّدَتْه الحواج. اللوائح كشوف من المعروف، مَنَح مَن شاء من عباده؛ ما شاءه من إرفادِه. هي مِن أسنى الهبات، وهي واهبةٌ ما[2] ستره الجهلُ من العلوم النافعة مَن خاف البَيات.

---

(١) ص ١٢٠ب

(٢) ق: "من" وأثبت فوقها بقلم الأصل: "ما".

ومِن[1] ذلك: التلوين.. تمكين

-من الباب الثامن عشر ومائتين-

التلوين شأن المحدَثات، وتنوُّعهم في صوَر الكائنات؛ هي آثار الحقّ في عالم الخلق. التلوين خلْق جديد؛ فلا يزال في مزيد. التلوين دليل واضح على التمكين. نزل في سورة الرحمن أنّه ﷻ كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْن. والشئون لا تنحصِر؛ فلا تقتصِر، واليوم مقداره النفَس؛ فراقِب الصبح إذا تنفَّس بما تنفّس، واحذر من الليل إذا عسعس؛ فإنّه فيه أَبلس مَن أَبلس. في الثلث الآخر من الليل البركة؛ لوجود الحركة. الحركة تكوين فهي تلوين، ومع السكون لا يكون "كن فيكون". له ما سكن في الليل والنهار، وما أحسنه في الاعتبار؛ لأنّ ما تحرَّك فيه مشاركةُ الأغيار. الدّعوى حركة؛ فهي هَلَكة. والسكون سَلْب؛ فهو قرْبٌ وقَلْب. ولا تلوين إلّا بالحركات؛ فلهذا يحوي على جميع البركات. لا تُصْغِ إلى قول مَن قال وفصّل:

كُلّ يَوْمٍ تَتَلَوَّنْ   غَيْرَ هَذا بِكَ أَجْمَلْ

مَن تخلَّق فقد تحقَّق.

* * *

ومِن ذلك: الغَيْرة.. حَيْرة

-من الباب التاسع عشر ومائتين-

مَن[2] غار حار. الغَيرة ضَيْق، وصاحبها متَّصِفٌ بالاشتياق والشوْق. مَن فَهِم من الفَوْق الجهة؛ فهو صاحب شُبُهَة. الشوقُ يسكنُ باللِّقاء، والاشتياقُ يَهيج بالالتقاء. الغَيرة به منوطة، وعَن غيره مسقوطة. مَن لم يعرف أَنّ ثَمّ غيره؛ لم يتَّصِفْ بالغَيرة، ولا جعل الغَيْرةَ حَيرة. كيف يغار مَن يحار؟! لا تثبتُ قدمٌ لصاحب الحيرة مع إيمانه بالغَيرة. بالغَيْرَة تثبتُ الحدود، وبها وقع التحجير في الوجود. مَن غار على الله؛ فهو جاهل بالله؛ فهو الغيور الذي لا يُغار عليه؛ فإنّ الحصرَ عليه محالٌ ولا

---

(١) ص ١٢١

(٢) ص ١٢١ب

يثبت لديه. مَن غار عليه فقدْ حَدَّه، ومَن حَدَّهُ جعل عينَهُ ضِدَّه أَو نِدَّه. مِن غيرته حرّم الفواحش؛ فسلِّم ولا تناقِش.

* * *

ومِن ذلك: الحرّ حُرٌّ وإن مسَّه الضُّرّ.. والعبدُ عبدٌ ولو مشى على الدرّ

-من الباب العشرين ومائتين-

ما في الوجود حُرٌّ دون تقييد؛ فالكلّ عبيد(١). مَن تقيَّد بطلب الحقوق؛ فهو مخلوق، ولكن بوجهٍ مخصوص دلّت عليه النصوص. «إنّ الله لا يملّ حتى تملّوا» فارحلوا(٢) إن شئتم أو فَحُلُّوا. قيَّدَ نفسه في عقدكم، فقال: ﴿أَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾(٣) وفي هذا إشارة تُفسدها العبارة. العبوديّة فينا حقيقة، والحرّيّة فينا لا تعطيها الطريقة. أين الحرّيّة مع الطلب؟ فالمحروم مَن حُرِم الأدب. الذي قيل فيه إنّه حرّ؛ ما غضِب حتى مسَّه الضُّرّ. مَن اتّصف بالتأذّي؛ فحكمه حكم المتغذّي.

مَن كان المدحُ أَحَبَّ إليه؛ فقد عرَّفَنا ما هو عليه. توسّط النهرَ مَن قال: «إنّ الله هو الدهر». ليس في أَمان، ولا من أهل الإيمان؛ مَن اعتقد أنّ الدهر -الذي ذكره الشرع- هو الزمان.

* * *

ومِن ذلك: تلطيف الكثيف

-من الباب الأحد والعشرين ومائتين-(٤)

مَن تلطّف التحق، وانتقل من رتبة الباطل إلى رتبة الحقّ بالحقّ. لولا الكثيفُ والنور ما وُجِد الظل؛ وقد وُجِدَ فتعيّنَ المِثل. عن المِثل انتفَتْ المماثَلة؛ فانظر مَن الذي ماثَله. النور من الصفات،

---

(١) ق: هناك خط إشارة المسح فوق: "دون... عبيد" ليستبدلها في الهامش بخط آخر بـ"ولا الواحد البر" وبجانبها "صح" وفقا لما جاء في س، إلّا أنه عاد وكتب "صح" فوق ما كان أشار إلى مسحه في المتن، ووضع خطّا فوق الإضافة الجديدة.

(٢) ص ١٢٢

(٣) [البقرة: ٤٠]

(٤)هذه الإشارة مكتوبة بخط آخر، وهكذا جميع الإشارات اللاحقة

والظلّ على صورة الذات. ولا يكون المِثل في الظلِّ إلّا بالشكلِ. مَن نظر إلى ظِلّه؛ عرف أنّ حكمَه في الحركةِ[١] والسكونِ مِن أَصلِه؛ فتحرّك بحركته، لا بتحريكه؛ لأنّه لا يقبل التحريك في سلوكه. إن تعدّدت الأنوار؛ تعدّدتِ الظِّلال فكثُرَت الأغيار. فلكلِّ نورٍ ظلٌّ من الجسم الواحد، هكذا نراه في الشاهد. كلّما كثُفَ الجسم تحقّق الظلّ، وأَصْل كلّ وابل الطلّ. كلّما قرب النور من الجسم الكثيف عظم الظلّ؛ فلم يتحقّق المِثل، وكلّما بَعُدَ صَغُرَ فَحُقِر.

* * *

ومِن ذلك: فتحُ الأبواب.. لأهل الحجاب

-من الباب الثاني والعشرين ومائتين-

العمى[٢] حجاب؛ فأيّة فائدة في فتح الباب. إنما تفتح الأبواب؛ إذا كانت عينَ الحجاب، حينئذ ينفعُ فتحُها، ويتنفّسُ صبحُها. ولا فاتح إلّا الله؛ فلا تعتمد في فتحها على سِواه. متعلّق الخوف بما خلف الباب، والباب سببٌ من جملة الأسباب. قد يُفتح الباب بالعذاب، وقد يُفتح ببركة سماويّة يحصل بها الاستعذاب. والباب واحد، ما ثَمّ أمر زائد. ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ. لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾[٣] لا عَمَى؛ إلّا عَمَى القلوب التي في[٤] الصدور، ولكن في الصدور، وأمّا الورود فشاهدٌ ومشهود ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾[٥]. ما جار القائل في قوله وما اعتدى: "كما نحن اليوم كذلك نكون غدا" هذا قول العارف الزاهد[٦]، المسمّى بعبد الفرد، لا بعبد الواحد.

(١) ص ١٢٢ب
(٢) رسمها في ق: العِمى
(٣) [الحجر: ١٤ ، ١٥]
(٤) ص ١٢٣
(٥) [الإسراء: ٧٢]
(٦) أضيف في هامش ق: "موافقٌ قول الإله الواحد" وبجانبها "صح" وحرف خ، وهو كذلك مثبت في س.

ومِن ذلك: الإمامة.. علامة

-من الباب الثالث والعشرين ومائتين-

الإمامة علامة، وهي برزخٌ بين العطب والسلامة. فَمَن عدل غنم، ومَن جار ما سَلِم. مَن أقسط نجا، ومَن قسط كان على رجا. صاحب البيعة؛ في نعمة المنعة؛ فلا يوصَل إليه، ولا يُقدر عليه. فهو المنصور، والواقف على السور. فإذا عُزِل سُئِل، وإذا سُئِل نُصِر أو خُذِل، وما دام في سلطانه؛ فلا سبيل إلى خذلانه. فالقائم بالحقّ؛ إذا نطَق صدَق. والقائم بالسيف، وإن عدَل، فهو صاحب حيف. لأنّ الأصل معلول؛ فصاحبه مخذول. لا يقوم بالسيف المسلول إلّا الرسول؛ فلا تفرح بالترَّهات، وهيهات هيهات[١]. الأصلُ الفاسد يُحْرِم الفوائد. المقتصد يستبد. والظالم حاكم، والسابق لاحِق. يفوز بالسبق لأنّه سَبق. ومَن سَعِد لم يبعَد.

* * *

ومِن ذلك: الطلول الدوارس.. رسوم الأوانس

-من الباب الرابع والعشرين ومائتين-

عَفَت الديار، وطُمِست الآثار؛ برحيل الأحباب إلى حسن المآب. آثَرَ الحبائب جوار الواهب. وتخلَّف العاشق يكابد المضائق، بِقطْع العلائق وطرْح العوائق. فما ينفكّ من عائق إلّا يظهر لعينه عائق؛ ما دام في محلِّ الأنفاس، ومحبس الالتباس. فإذا دعاه الجليل إلى الرحيل؛ جاء سَراحُه، واتَّقَد مصباحُه. فظهر له الحجاب المستور بهذا النور؛ فلَحِق بالأحباب، وقيل له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[٢]. فاز بمطلوبه مَن اتّصل بمحبوبه، ولقد نجا مَن إلى الله التجأ؛ فعمِرَت الديار بسكانها، ولَحِقَ بالوجوب عينُ إمكانها؛ فبقي محِبٌّ ومحبوب، وزال طالِبٌ ومطلوب.

---

(١) ص ١٢٣ب
(٢) [ص: ٣٩]

ومن ذلك: القابض.. عارِض

-من الباب الخامس والعشرين ومائتين-

ما خرج عن المِلك شيءٌ حتى يحكم فيه القبْض، وإنما يقال ذلك بالفرض. السماوات والأرض جميعا قَرْضَتُه[1]، ومَن فيهما، وهما بالدليل[2] الواضح قبضتُه. فما تتصرّف فيه الأفعال؛ بماضٍ ومستقبلٍ وحال؛ بل هو القابض، لا بالحكم العارض. ما خرج شيء عنه؛ فالكلُّ به وإليه ومنه. الطيُّ لَيٌّ، و«مَطْلُ الغنيّ ظلم»، والاستناد إليه غُنْم. لا يقال: مَطَل؛ فيمن كان أداؤه إلى أَجَل، ولو كان أغنى الناس، وهنا وقع الالتباس. الحقُّ له الغنى، ومَن أقرضه بلغ المنى. ودَعِ اللجاج؛ فما هو محتاج. أنت من جملة خزائنه؛ فما خرج الشيء عن مَعادنه. فما أعطى إلّا مِن خزانتِه؛ لما أعطته حقيقة مكانتِه. وحصلتَ أنتَ على الأجر؛ إن فهمتَ الأمر.

* * *

ومِن ذلك: الباسِط.. قاسِط

-من الباب السادس والعشرين ومائتين-

المقْسِط والقاسِط استويا في العُدول؛ على ما تعطيه الأصول. فإنّ كلّ واحد منهما مائل؛ فهو عادل. ولذا سمّي القاسط جائرا، ولم يكن للعادل مغايرا. فالصفة واحدة؛ فكيف حُرِم الفائدة؟ بَانَ الصبح لذي عينين؛ لمّا هداه النجدين، وأُقيم المكلَّف في الوسَط؛ فمنهم من أقسط، ومنهم مَن قسَط. فالمقسِط أَخذ ذاتَ اليمين؛ فارتفع إلى عِلّيّين، والقاسط أَخذ ذاتَ الشمال؛ فنزل إلى سِجّين. فما عدل بكلّ واحد سِوى طريقِه، وطريقُه ما خرج عن[3] حكم تحقيقِه. فالطريق ساقَهُ وقَادَه؛ إمّا إلى شقاء وإمّا إلى سعادة. فاعرف الطريق، واختر[4] الرفيق؛ تَنْجُ من عذاب الحريق.

---

(١) الفرضة: المشرعة، المرفأ.
(٢) ص ١٢٤
(٣) ص ١٢٤ب
(٤) ق: واختارَ. س: وتخير

ومِن ذلك: الفَناء.. في الفِناء

-من الباب السابع والعشرين ومائتين-

أكرَمُ العرب أَنْتَنُهُم عذِرة -إذا كان له ما يجود به- وإلّا كانت المعذرة. ما يَكْثُر الورّاد؛ إلّا على أرباب الأرفاد الأجواد. البخيلُ بابُه مغلَق، والجوادُ جودُه مطلَق. إذا فني الكريم عن جودِه، في حال جوده، فهو الدليل على صحّة وجده ووجوده. لا تقل في الجواد: إنّه بَخِل؛ إذا مَنَع مَن سَأل. مَنْعُ الجواد الناصح عَطاء، وكَشْفُ الجاهِل بالأمر غِطاء. فإنّ الجوادَ العالِمَ؛ عطاؤه نعمة، ومَنْعُه لِحِكْمة. فلا يُتَّهم رَبُّ الكَرَم. كيف يُتَّهم الفاني أنّه بخيل بالفاني؟! وهو إذا آمن باللقاء؛ فما جعل أُعطيتَه إلّا في خزانة البقاء. مَن نقل مالَه من خزانته إلى خزانته؛ كيف يُقال بعلوّ منزلته في الجود ومكانتِه. فما خَزن؛ مَن مالَه اختزن. فلا كريم إلّا القديم.

* * *

ومِن ذلك: الباقي.. يُلاقي

-من الباب الثامن والعشرين ومائتين-

عظُمَتْ بالكرَم مكانَتي، وما خرج شيء مِن خزانتي. لو لم يكن إلّا[١] الثناء، فما ثمّ بيع ولا[٢] شراء. لا يقال في التاجر إلّا بارٌّ وفاجر. ولا يوصَف بالكرَم؛ فما في الوجود إلّا تاجر لمن فهم. ما شيء أحبّ إلى الله من أن يُمْدَح، وما يُمدح إلّا بما منح؛ فما جاد الكريم إلّا على ذاته؛ بما يحمده من صفاته، وانتفع الغَيْرُ بالعِوَض؛ بحكم العَرَض. وإن سعى الكريم في إيصال الراحة للمعطَى ونفعِه؛ فلِجهله بعطائه ومنعِه. فمَن كَرُم وجاد، وتخيّل أنّ له فضلا على العِباد؛ فما جاد. فإنّ الإحسان؛ تُبطله المِنّة مع طلب الامتنان. والمَنّةُ أذى؛ فاعْلم ذا.[٣]

---

(١) ص ١٢٥

(٢) ق: كتب فوقها حرف حـ، وفوق السطر: "إلا" وفوقه حرف حـ. والعبارة في س: "فما ثم إلّا بيع وشراء"

(٣) في الهامش: "بلغ سماعا وقراءة ومقابلة على الشيخ المؤلف أيده الله"

ومِن ذلك: الجامِع.. واسِع

-من الباب التاسع والعشرين ومائتين-

لو لم يكن في الجامع اتّساع؛ ما كان جامعا بالإجماع. قلبُ المؤمن جامعٌ للواسع؛ فغاية اتّساعه على مقداره، واتّساعُه على قدر أنواره. فتجول الأبصار على قدر ما تكشف له الأنوار، ويكون السرور على قدر ما يحصل لك من الكشف بذلك النور. ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[1] فقد عمّ الرفع والخفض. فصاحِبُ البصر الحديد يُدرِك به ما يُريد. ولهذا إرادةُ المحدَثِ قاصرة، ودائرته ضيّقة متقاصرة. ألا تراه أَلْبَسَه على ما قلناه في الخبر: «فيها[2] ما لا عين رأت ولا أذن سمعَتْ ولا خطر على قلب بشر» وهي جنّة محصورة، والأمور فيها مقصورة. فكيف بمن لا يأخذه حَصر، ولا يسعُه قصر؟ كيف ينضبط شأنه، أو يُحَدُّ مكانه؟ مَن مكانُه عَيْنُه؛ جُهِلَ ولو عُرِفَ كَوْنُه.

* * *

ومِن ذلك: الطارِق.. مُفارِق

-من الباب الثلاثين ومائتين-

الطارق هو الآتي ليلا، يبتغي نَيْلا. الصائدُ نهارا وليلا تَفَاؤلًا باسمها؛ ليجمع بينهما؛ فيقطع النهار صياما، والليل قياما. فما قصدَهما بالذِّكْر دون سائر الطير؛ إلّا لما يكون فيهما من الخير. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ. قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[3] ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾[4] ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾[5] تحصلوا على جزيل النَّيْل. النهار معاشٌ، والليل رياشٌ؛ فليكن قُوْتُك في معاشك: الله، وريَاشُك: زينة الله. كذا قال سهل[6]، وهو للسيادة أهل. قيل له: ما القوت؟ قال: اللهْ. قيل له: إنما سألناك عن الغذاء! قال: اللهْ. قيل له: الذي تقوم به هذه البِنْيَة! قال: مالكم ولها! دع الدار إلى بانيها؛ إن

(١) [النور: ٣٥]
(٢) ص ١٢٥ب
(٣) [المزمل: ١ ، ٢]
(٤) [المزمل: ٧]
(٥) [البقرة: ١٨٧]
(٦) سهل بن عبد الله التستري

شاء عَمَرَها، وإن شاء خَرَّبها، وما تقوم إلّا بالله. فالعارف يقول في[1] هذا الغذاء: ألغِ ذاء.

* * *

ومِن ذلك: الحكيم.. له التحكيم

-من الباب الأحد والثلاثين ومائتين-

(الحكيم) يَعلم ما تعطيه المواطن في الظواهر والبواطن؛ لأنّه الثابت القاطن. يعطي كلّ ذي حقّ حقّه؛ اقتداء بربّه؛ الذي ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾[2]. فالعارف بسرِّه وقلبه؛ مَن تأسّى بربّه. العدل مِن شيمه، والقبول والإقبال من كرمه. لا يتعدّى الحكيم ما رتّبه القديم العليم. مَن عرف الحكم تحَكَّم، ومَن يعرف الحكم حَكَم. هو القاضي وإن لم يَلِ، وهو النبيّ وإن دُعِي بالوليّ. إشارةُ الوليّ في اللفظ: "لي"، ومن كان له؛ فقد بلغ أمله. فما حكم به الوليّ في الخلق؛ أمضاه الحقّ. وإن رَدّه الحاكِم الجائر؛ فقد رَدَّ كلامَ الواحد القاهر. فلا تلتفت إلى ردِّه؛ فإنّه مِن صدق وَعْدِه. وهو لا يخلف الميعاد؛ فلا بدّ من ردِّ أهل الإلحاد. العقدُ الصحيح: إنّ كلّ ما سِوَى الله ريح. كان بعض مشائخنا يقول من باب الإشارة ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾[3]: "الريح تهبّ ولا تثبت؛ فاثبت".

* * *

ومِن ذلك: الفوائد.. في الزوائد

-من الباب الثاني والثلاثين ومائتين-

﴿قُل[4] رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا﴾[5] تزدد حُكما: مِن عِلم يرجع إليه؛ فتوكّل في تحصيله عليه. إنما سمّيتْ بالزوائد؛ لأنّه ما زاد على الواحد فهو زائد، وكلُّ زائد واحد. فما زاد عليه سِوى نفسه؛ فقل بالشخص، لا بنوعه وجنسه. فإن راعيتَ أحديّة الكثرة؛ فقد نبّهناك على ذلك غير مرّة. زوائدُ

(١) ص ١٢٦
(٢) [طه: ٥٠]
(٣) [ص: ٣٦]
(٤) ص ١٢٦ب
(٥) [طه: ١١٤]

الحروف عشرة كالمقولات الجامعة بين العلل والمعلولات، (وقد) أودعناها باب النفَس -بفتح الفاء- من هذا الكتاب، بين إيجاز وإسهاب. وحروف الزوائد: "أَسْلَمَني وتاه" فانظر ما أحسن هذا الجمع بالله. ما أحسن ما جمع، ولقد قال فصدع. تاه المعروف والعارف؛ فأين المعارف؟ تاه المعروف، من التيه، وتَيْه العارف حَيرته فيه. أسلم العارف لنفسه؛ فأراد أن يلحقه بجنسه. فلمّا تحقّق؛ علِم أنّه ما يلحق. فأسلمه بأن قال: «لا أحصي ثناء عليك» فهذه بضاعتك رَدَدْناها إليك.

* * *

ومِن ذلك: الإرادة.. مستفادة

-من الباب الثالث والثلاثين ومائتين-

الإرادةُ صفة اختصاص؛ فلها المباص والمناص[1]. ولهذا وصف نفسه بالمقدِّم والمؤخِّر، وتسمّى بالأوّل والآخِر. وقد[2] «كان ولا شيء معه» فهو السابق، وهو الذي يصلّي علينا فهو اللاحق. فالمنحة الإلهيّة والإفادة؛ لا تكون إلّا لأهل الإرادة. والقائل في حدّ الإرادة بِترك ما عليه العادة جَهْلٌ مِن قائله؛ فإنّه ما ثَمّ عادة؛ لأنّها من الإعادة، وما في الوجود إعادة. من أغاليط النفس؛ القولُ برجوع الشمس، وما رجعتْ ولا نزلتْ ولا ارتفعتْ. هي في فلكها سابحة، غادية رائحة. غُدُوُّها ورواحها حكمُ البصر، وما يعطيه في الكرّة النظر. قرأ ابن مسعود: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لَا مُسۡتَقَرَّ لَهَا﴾[3] وقرأ غيرُه: ﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ وكلّ ذلك صحيح لمن تأمّل. فيا أيّها الطالب تأمّل!.

لَـهَـا قَـرارٌ، مَـا لَـهـا	يا لَيْتَ شِعْرِي ما لَها
لَا شَـــكَّ أَنّ رَبَّـنـا	بِـذَلِكُمْ أَوْحَى لَـهـا
لَـوْ عَـرَفُـوا مَـقَـرَّهـا	مـا زُلْزِلُوا زِلْزالَـهـا
أَخْرَجَتِ الشَّـــمْسُ لَنا	مِن أَرْضِـــها أَثْقالَها

(١) البوص: التقدم، والنوص: التأخر
(٢) ص ١٢٧
(٣) [يس: ٣٨]

مِن كُلِّ نَوْرٍ[1] حَسَـــنٍ جَـرَّتْ بِـهِ أَذْيالَـهـا
تَـيهًـا وعُجْـبًـا ولِذا قَدْ قِيْلَ أَيْضًـا ما لَها
مـا قـال شَخْصٌ مَـا لَهـا حتى رأَى مَقـالَـهـا
فَيـا[2] لَهـا مِنْ قـالَةٍ قَـدْ قـالَها مَنْ قـالَها
رأَيْـتُ فِـيهـا هَـدْيَهـا كَمَا رأَتْ ضَـــلالَـهـا
ضَـــلالُـهـا حَـيْرَتُـهـا فَلا تَقُولوا مـا لَهـا

* * *

ومِن ذلك: المراد.. منقاد

-من الباب الرابع والثلاثين ومائتين-

مَن كان سهل القياد؛ خيف عليه الفساد، وأَمِن مِن العِناد، وما وثق به السيّد ولا العِباد. كلُّ مَن أَخذ بزمامه قاده؛ إمّا إلى شقاوة أو سعادة. فمَن طَرْفُه طموح؛ فهو الليّن الجموح. ما يَسعد المنقاد إلّا بالاتّفاق؛ فما الانقياد من مكارم الأخلاق. وإنما قيل في المراد: "منقاد" في طريق العارفين والعُبّاد. لأنّ قائدهم الحقّ، وهو القائد المشفق. فهانت عليه التكاليف، وتصرّف بالتذاذٍ في جميع التصاريف. فسلَك الطريق بلذّة مستلذّة. فالمراد منقاد؛ لما به يُراد. فمِن أغاليط القوم؛ ما رفعوه عن المراد من اللَّوْم؛ حيث كان سهل الانقياد فألحقوه بالأجواد. فَحَكِّمِ العلم تغنم وتسلم.

---

(١) أثبت مقابلها في الهامش بقلم الأصل معناها: "زهر"
(٢) ص ١٢٧ب

ومِن ذلك: المريد.. مَن يجد في القرآن ما يريد

-من الباب الخامس والثلاثين ومائتين-

كان شيخنا أبو مدين يقول: "المريد من يجد في القرآن كلّ ما يريد" ولقد[1] صدق في قوله الشيخ العارف؛ لأنّ اللهَ يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[2] فقد حوى جميع المعارف، وأحاط بما في العلم الإلهيّ من المواقف. وإن لم تتناهى؛ فقد أحاط علما بها وبأنّها لا تتناهى. فاسترسل عليها عِلْمه، وأظهرها على التتالي حُكْمه؛ إلى غير أمد، بل لأبد الأبد. فالمُريدُ المكين؛ مَن يقول لما يريد: "كن" فيكون. فَمَن لم يكن له هذا المقام؛ فما هو مريدٌ والسلام. مَن كانت إرادته قاصِرة، وهِمّتُه متقاصِرة؛ لا يتميّز عن سائر العبيد؛ فهذا معنى المريد. فإن احتجبتَ بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[3] فما أصبتَ. الغلام مَن ينتقل من مقام إلى مقام، ذلك حكم الدار، وأين دار البوار من دار القرار؟

* * *

ومِن ذلك: مَن أهمّه.. نفوذ الهمّة

-من الباب السادس والثلاثين ومائتين-

صاحِبُ الهمّة لا تنفذ له همّة؛ لأنّ هَمّه فيما أَهَمّه. هو بحكم الدار؛ فلا يزال يبحث عن الآثار، ويتلقّى الركبان، ويسأل عمّا كان. ويعرف أنّ لنفوذ الهمّة دارا تختصّ بها، وهنا يُعتصم بحبلها وسببها. إذا كانت الهمّة عالية؛ لا يظهر لها أَثَرٌ في الفانية؛ فإنّها تفنى بفَنائها، وترحَلُ عن فِنائها. وتعلَّقتْ[4] بالباقية، وتعمّلتْ الأسباب الواقية. فمشهوده اللَّمّة، وفيها يصرف حكم الهمّة. فلا يزال يسعى في نجاته، ويرقى في كلِّ نفَسٍ في درجاته؛ إلى أن ينتهي في الرقيّ إلى الواحد العليّ. وليس بعد الواحد بما يعطيه الطريق الأَمَم؛ إلّا الثاني أو العدم. والعدم محال، والثاني ضلال. فما بقي الشاهد إلّا

---

(١) ص ١٢٨

(٢) [الأنعام: ٣٨]

(٣) [القصص: ٥٦]

(٤) ص ١٢٨ب

الواحد؛ فعليه اعتكِف، وعنه لا تنصرف.

* * *

ومِن ذلك: الاغتراب.. تَباب[1]

-من الباب السابع والثلاثين ومائتين-

الغربةُ مفتاحُ الكُرَب، ولولاها ما كانت القُرَب. القريب هو الغريب وهو الحبيب، ولا يقال في الحبيب إنّه غريب. هو للمحِبِّ عَيْنُه وذاتُه، وأسماؤه وصفاتُه. لا نظر له إليه؛ فإنّه ليس شيئا زائدا عليه. ما هو عنه بمعزِل، وما هو له بمنزِل. قيل لقيس ليلى: من أنت؟ قال: ليلى! قيل له: مَن ليلى؟ قال: ليلى! فما ظهر له عين في هذا البَين. فما بقي اغتراب؛ فإنّه في تباب؛ فُقِدَ عينُه، وزال كونُه. العُشّاق لا يتّصفون بالشوق والاشتياق. الشوقُ إلى غائب، وما ثَمّ غائب. مَن كان الحقُّ سمعَه كيف يطلبُه؟ ومَن كان لسانَه كيف[2] يَعتبُه؟ فأين تذهبون؛ وما ثَمّ أين؛ عند مَن تحقّق بالعين.

* * *

ومِن ذلك: الشاكِر.. ماكِر

-من الباب الثامن والثلاثين ومائتين-

كيف يُمْدَح بالشكر مَن شُكْرُه عينُ المكْر. مَن أَوصَل حقًّا إلى مستحقّه؛ فقد أدّى إليه واجبَ حَقِّه. فعلى ما وقع الشكر، ولا فضل؛ لعدم البذل؟ فلو صحّ البذل؛ لثبت الفضل. ولو ثبت الفضل؛ لتعيّن الشكر. ولو تعيّن الشكر؛ لزال المكر. فلا بذل، فلا فضل. فمن شَكر مَكر. لِذا قرن اللهُ الزيادة بالشكر؛ لما فيها من المكر. فناط به الزيادة، وخاطب بذلك عبادَه، فقال: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾[3] وما قال: "لأنقصنّكم" فالشكر للمزيد؛ في حقّ

(١) تباب: خسران
(٢) ص ١٢٩
(٣) [إبراهيم: ٧]

الحقّ والعبيد. فإذا شَكر الحَقُّ زاد العبدُ في عمله، وإذا شَكر العبدُ زاده الحقُّ فوق أملِه؛ يقول الله يخاطب عبادَه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾[1] وهي جزاء الشكر؛ فلا تأمن المكر.

* * *

ومِن ذلك: الغرام.. اصطلام

-من الباب التاسع والثلاثين ومائتين-

نارُ[2] المحبّة لا تخمد، ودمعُها لا تنفد، وقلقُه لا يَبْعُد[3]، وحُرَقُه لا تبعَد[4]. في التراب ينام، وإن كان صاحبَ اصطلام؛ فإنّ الغرام رغام. الذلّة بالمحِبِّ صاحبِ الغرام مَنوطة، والمسكنة به مشروطة، ونفسه أبدا مقبوضة غير مبسوطة، وعقده براحات الأماني أنشُوطة. يسرع إليها الانحلال، وهي -وإن كانت مقيمة- في زوال. فهي كالظلّ إذا فاء، وكالقاصِر المشِيئة إذا شاء. الاصطلام نارٌ لها اضطرام، تُشْعِلها الأهواء؛ إلّا أنّه تطفئها بتواليها الأنواء. فتُلحِقها بالرغام؛ فلذلك حكمنا بالاصطلام على المنعوت بين المحبّين بالغرام.

* * *

ومِن ذلك: الراغِب.. طالب

-من الباب الأربعين ومائتين-

كم بين الرغبة عنه والرغبة فيه؛ عبدٌ مصطفى وعبدٌ لا يصطفيه. عناية أزليّة بسعادة أبديّة. وخذلان سبق، وكلّ ذلك حقّ. «أحقّ ما قال العبد: وكلُّنا لك عبد»؛ فجمع بين المطرود والمجتبَى، ومَن أطاع ومَن أَبى. في عبوديّة القصاص، لا في عبودة الاختصاص؛ عبْدٌ يصلح الله بينه وبين خصمه فيسعِده، وعبْدٌ يأمر به إلى النار بعدلِه[5] وحكمه فيبعِده؛ مع القول بعدم الاستحقاق

(١) [يونس: ٢٦]
(٢) ص ١٢٩ب
(٣) الحروف المعجمة مهملة
(٤) الحروف المعجمة مهملة
(٥) ص ١٣٠

ومفارقة الوفاق، وكلاهما عاصيان وما هما سيّان! يا ليت شعري؛ لِمَ كان ذلك: عاصٍ ناجٍ، وعاصٍ هالك؟! عبدان لمالِك واحد، وما ثَمَّ أمر زائد. إن كان لعمارة الدار؛ فلماذا يخرج بالشفاعة، ولا يبقى مع الجماعة؟ ما ذاك إلّا لما قيل في بعض الأشعار[1]:

ماءٌ ونار ما الْتقَيا إلّا لأَمْرٍ كُبّار

* * *

ومِن ذلك: قول العَلّام: «لا رهبانيّة في الإسلام»

-من الباب الأحد والأربعين ومائتين-

الراهبُ يُترك بحكم الحقّ وما انقطع إليه، ولم يكفّره بل سلَّم له ما هو عليه. ما ذاك إلّا لانفراده، وانتزاحِه عن عِباده. فأنبأنا هذا الدليل الواضح؛ أنّ التكليف شُرِع للمصالح. فلو دخل مع الجماعة في العمل؛ لأَلْحَقَه في الحكم بمن أُسِر وقُتِل. فلا تتعرّضوا لأصحاب الصوامع؛ فإنّ نفوسَهم سَوامِع. تَرَى أَعْيُنَهُمْ عند السمع، تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ[2]. ما لهم عِلم بما هم عليه الناس من الالتباس. تجنّبوا الحيف، وتدَرّعوا بالخوف، وتركوا[3] نَجْدًا واستوطنوا الخيف. لمعرفتهم بضعفهم وعدم قوّتهم؛ فاختاروا السهل من الأرض، وقالوا: هذا هو الفرْض. فإنّ الحقّ؛ أَمَرَ في الدين بالرفق. فَمَن رفق بنفسه؛ فقد وفّاها ما عيّنَ الحقُّ لها، وما جار عليها وما خذَلَها. فَمَن رهب؛ سلِم وما عطب.

---

(١) القائل هو الأعمى التطيلي (٤٨٥-٥٢٥هـ) شاعر أندلسي نشأ في أشبيلية، له ديوان شعر، والبيت من قصيدة مطلعها:
دمعٌ مسفوحٌ وضلوع حرار

(٢) [المائدة: ٨٣]

(٣) ص ١٣٠ب

ومِن ذلك: التوصُّل.. توسُّل

-من الباب الثاني والأربعين ومائتين-

الفضيلة؛ عند مَن ابتغى إلى الله الوسيلة. في التعمُّل -وإن لم يعمل- تحصيل ما لديه، مع كونه ما وصل إليه. ما تحصل نتيجة العمل لمن لم يعمل؛ إلّا لمن اجتهد ولم يكسل. وأمّا مع الكسل؛ فما وصل ولا توصّل. ابذل المجهود، وما عليك أن لا تتّصف بالوجود. أنت الواجِد وإن لم تعرف عند الذائق المنصِف. لمّا لم يعمل جَهِل الميزان؛ فجَهِل ما وجده لعدم معرفة الأوزان. وما عَلِم ما حَصّلَ له بَذْلُ المجهود من الوجود. فهو عِلم ذوق، لا يؤكل إلّا من فوق. ولو أُكل من تحت رجله؛ لوزنه من العمل بمثله؛ فعلِم قدره، وعرفَ أمرَه. فالتعمُّل من إقامة الكتب، وبه تحصل الرتب.

* * *

ومِن ذلك: الوَجْدُ.. فَقْد

-من الباب الثالث والأربعين ومائتين-

الوَجْدُ(١) فجأةُ فتحِ الباب؛ فإن كان عن تواجد فهو حجاب. مَن لم يَجُدْ لم يَجِدْ، لا بل مَن لم يَجِد لم يَجُد. دليلُ الكرم البذْل، وبرهانُ العدل إعطاءُ الفضل؛ وهو الأتم عند أصحاب الهمم. فما أعطى الله؛ إلّا الفضل الذي قال فيه: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾(٢). ولهذه الآثار؛ استحال عليه الإيثار. فعَطاءُ الله كلُّه فَضْل، وهو أَعلى البَذْل. مَن آثر على نفسه؛ فهو الخاسر وإن نجا؛ فإنّه تَرَك الأَوْلَى عندما وقع إليه الالتجاء. لو كان مؤمنا؛ لعلم أنّه قد باع نفسَه من الله، والمبيوع لمن اشتراه. وحَقُّ الله أَحقّ من حقّ الخَلْق؛ لكنّ الدّعوى أوقعته في هذه البلوى؛ فسمّي مُؤثِرا، ومُيِّزَ مُؤَثِّرا. «والجار أَحَقُّ بِصَقَبه»، والصدقة مضاعفة في رَحِمِه ونَسَبِه.

---

(١) ص ١٣١
(٢) [الجمعة: ١٠]

ومِن ذلك: مَن شَهِد.. وُجِد

-من الباب الرابع والأربعين ومائتين-

ما حصل على الوجود إلّا مَن زَهِد في الموجود. مَن رأى للكون عينا مستقلّة؛ فهو صاحبُ عِلّة، وليس بصاحب نِحْلَة. ما قال بالعِلل إلّا القائل بأنّ العالَم لم يَزل؛ فأنّى للعالَم بالقِدَم، وما له في الوجوب النفسيّ الوجوديّ قَدَم؟ إنما له الرتبة الثانية، وهي الباقية الفانية. لو ثبت للعالَم[1] القِدَم لاستحال عليه العَدَم. والعَدَم ممكن؛ بل واقع عند العالِم الجامِع. لكنّ أكثر العبيد ﴿فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2] فما عَرف تجدُّد الأعيان؛ إلّا أهل الحسبان. وأثبت ذلك الأشعري في العرَض، وتخيّل الفيلسوف فيه أنّه صاحب مرَض؛ فجهَّله بسواد الزنجيّ وصُفرة الذهب، وذهبَ به مثل هذا المذهب.

* * *

ومِن ذلك: مَن عنت.. فقد وقّت

-من الباب الخامس والأربعين ومائتين-

الوقت سيف، ومنه الخوف كلّ الخوف. زمانُك حالُك، وفي إقامتِك ارتحالُك.

فَسَيْرُكَ يا هَذا كَسَيْرِ سَفِيْنَةٍ بِقَوْمٍ قُعُوْدٍ والقِلاعُ تَطِيْرُ

المسافرُ بمركبه؛ جاهلٌ بمذهبه. رحله[3] ريح بالمكان الفسيح، رأسه في الماء ورجلاه في الهواء. فمشيُه مقلوب وهو المطلوب. لولا قلبه ما مَشى، ولولا قلبه ما وشى، ما وشى إلّا لراحة قلبه، وما علِم ما احتقبَه من ذنبه. لو كتم العبدُ سِرًّا ما قيل له: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾[4]، ولا[5] جئت شيئا نكرا، ولا أقام لذلك عذرا. حتى قال: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[6] فلو ترك

---

(١) ص ١٣١ب
(٢) [ق: ١٥]
(٣) رسمها في ق قريب من: رجله
(٤) [الكهف: ٧١]
(٥) ص ١٣٢
(٦) [الكهف: ٨٢]

السِّرَّ مخزونا؛ ما كان الكليم مفتونا. ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾(١) عن ذوق؛ مع شدّة الشوق.

* * *

ومِن ذلك: لا تَهَبْ.. لا(٢) تُغْلَبْ

-من الباب السادس والأربعين ومائتين-

مَن هابَك غلبْتَه، ومَن استضعفَك قوّيتَه. الهيبة خيبة، ولا تكون إلّا مع الغَيْبة. الظهور للحضور. ما طاب مَن هاب، ومَن هاب لم يلتذّ بوصال الأحباب، بل هو في عذاب. جمعُه كفَرْقِه، وحَقُّه في حُقِّه. لا تَهاب؛ خوفا من الذهاب. لو كان للمهابة حكمٌ ما تجلّى، ولا رِيْءَ عبدٌ بأسمائه تحلّى، ولا قيل في عبدٍ: إنّه بربّه تخلّى، ولا دنا ولا تدلّى، ولا نزل إلى قوله: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ﴾(٣). ما ثَمّ سِوى عينِك؛ فلا تكن جاهلا بكونِك. ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾(٤) فقد أَلْحَقَ الخلقَ بالحقّ. قال: أين هذا التعالي، وما ثَمّ أعلى من الله المتعالي؟ فالنزول عُلوٌّ، والبُعد دُنوٌّ.

* * *

ومِن ذلك: الأنس.. في اليأس

-من الباب السابع والأربعين ومائتين-

العذابُ(٥) الحاضر تعلُّقُ الخاطر. مَن يئس استراح، وخرج من القيد وراح. الأُنسُ بالمُشاكل والمُشاكل مماثِل، والمِثْل ضِدّ والضِّدّيّة بُعْد. والأُنْس بالقُرْب؛ فما ثَمّ أُنس. ليس في الأُنس خير؛ لما فيه من إثبات الغَير. مَن أَنِس بنفسه؛ فقد جعلها أجنبيّة، وهذا غاية النفس الأبيّة. ومَن تَغرّب عن نفسه؛ جُهِل في جنسه، واستوحش في أُنسه. الأُنس بالإنس لا يكون إلّا لمغبون، والكتاب

(١) [الأعراف: ١٥٥]
(٢) مكتوب فوقها في ق بخط آخر: "ما" وهي كذلك في س
(٣) [النجم: ٢٩]
(٤) [النساء: ١٧١]
(٥) ص ١٣٢ب

المكنون ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾[1] وما ثَمّ إلّا الجِنّة، وهم منّا في أَجِنّة. فهم أهل الكمون وعَمانا لهم كالبطون ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[2] بأبيكم ﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ﴾[3] ببنيكم؛ فأين التزكية مع هذه التحلية[4]؟

* * *

ومِن ذلك: مَن جلّ.. مُلّ

-من الباب الثامن والأربعين ومائتين-

الاستبلال[5] لا يَرِد إلّا على الاعتلال، ومن قال بالحلول فهو معلول. وهو مرض لا دواء لدائه، ولا طبيب يسعى في شفائه. مريض الكون إذا بُلَّ أُعِلّ؛ فإنّ الحدوث له لازمٌ وبه قائم؛ فمرضه دائم. لا يزال على فراشِه مُلْقى[6]، ومِن سهام نوائب زمانه غير مُوَقًّى؛ فلا يزال غرضا ماثِلا، وهدفا مائلا. فهو الصحيح العليل، والكثيب المهيل. عِلّتُه صحيحة، وأَلْسُنُ عباراتها بالحال عنها فصيحة. فإن كان الحقُّ قُوَاه؛ فقد بَرِئ مِن عِلّته وقَوّاه؛ فإنّ الحقَّ سمعُه فانجبر صَدْعُه، وإنّه بصرُه فقد نفذ نظرُه، وإنّه لسانُه فقد فُهِم بيانُه، وإنّه رِجلُه فقد استقام مَيْله، وإنّه يَدُه فما يطلب مَن يعضُده. فمن عرف هذه النِّحل؛ فقد بَرِئ من جميع العلل. فالله شفاؤه، وهو داؤُه. فالمتكبِّر مقصوم، ومَن كان الحقّ صفته فهو معصوم.

* * *

ومِن ذلك: مَن تجمَّل.. استُعْمِل

-من الباب التاسع والأربعين ومائتين-

المتجمِّل مؤتَمَن؛ ولهذا يُغْتَبن. يُظْهِر الجمال؛ وإن كان كاسِف البال. التجمُّل مُرُوَّة، ولا يكون

(١) [الواقعة: ٧٩]
(٢) [النجم: ٣٢]
(٣) [النجم: ٣٢]
(٤) هـ: التخلية
(٥) الاستبلال: بلّ فلان من مرضه واستبلّ: برأ
(٦) ص ١٣٣

إلّا من أهل الفتوّة. مَن أَلْحَقَ البنوّة بالنبوّة؛ فقد ضاعف الله سُمُوَّه. الغلوّ زيادة في الواجب في أصحّ المذاهب. الهيبة من آثار الجَمال على كلّ حال. الجَمال محبوب؛ وهو[1] أعزّ مصحوب. مَن صحِبه الجمال؛ لم يزل في اعتلال. من زاد شهودُه في غُلَّتِه؛ زاد في عِلَّتِه. «إنّ الله جميل يحبّ الجمال» ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[2] وإنما ضرب الله -تعالى- لنفسه الأمثال؛ لأنّه يعلم ونحن لا نعلم. ومَن أعلمه الله فليكتم؛ لئلّا يجرأ فيأثم، فاستعذ بالله من المغرم والمأثم؛ كما استعاذ به مَن ثَمّ.

* * *

ومِن ذلك: ما مال.. مَن اتّصف بالكمال

-من الباب الخمسين ومائتين-

الكمال في البرزخ، وهو المقام الأشمخ. لو مال؛ ما اتّصف بالاعتدال. ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[3] ومن البغي ما هو طغيان. مَن بَغَى طغى. مَن بُغِي عليه لينصرنّه الله ولو بعد حين؛ فـ﴿ٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[4] فإذا أتاك جاء النصر؛ فترمي الباغي ﴿بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ. كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾[5] فتخرج من المكان الأضيق إلى المنزل الأفيح، والشذى الأعطر الأفوح. فعطَّر النادي ذلك الشذا، وقال المنادي: من ذا؟ فقال: هذا الذي بُغِي عليه؛ قد نزل الحقُّ إليه. فأكرمه بنزوله، وشَرف محلّه بحلوله. فوَسِعه[6] وقد ضاق عنه المتّسع، وكان الفضاء الأوسع. فعلِمنا مِن خفيّ حكمته؛ أنّ قلبَ المؤمن أوسعُ من رحمته، مع أنّه من الأشياء التي وسِعَتْه، ومن الأمور التي جمعَتْه؛ فما وَسِعَه إلّا بها، وكماله بسَببِها.

---

(١) ص ١٣٣ب
(٢) [النحل: ٧٤]
(٣) [الرحمن: ١٩ ، ٢٠]
(٤) [الحجر: ٩٩]
(٥) [المرسلات: ٣٢ ، ٣٣]
(٦) ص ١٣٤

ومِن ذلك: مَن طاب.. غاب

-من الباب الأحد والخمسين ومائتين-

مَن سمع طاب، ومَن طاب غاب، والغائب آيب؛ فإنّه في أوبتِه إلى ربّه ذاهب. فإنّه تركه في الأهل خليفة، شفقة عليهم وحذَرًا[1] وخيفة. وما خاف عليهم إلّا منه؛ لأنّه ما يصدر شيء إلّا عنه. إذا كان السيّد راعي الغنم؛ فما جار وما ظلم. وما ينال منها إلّا ما يقوته، وقُوْتُه ما يفوتُه. قُوْتُهُ آثارُ أسمائه في عباده، وبها عمارة بلاده؛ فحراثةٌ وزراعة، وتجارةٌ وبضاعة. لذلك وُصِف باليدين، وأظهر في الكون النجدين. فالواحدة بائعة، والأخرى مبتاعة، إلى قيام الساعة. ولكلٍّ يد طريق، هذا هو التحقيق. فإنّ حكم المشتري؛ ما هو حكم البائع، وهذا ما لا شكّ فيه من غير مانِع ولا منازِع. آيبون تائبون، وهو[2] التوّاب وإليه المآب.

* * *

ومِن ذلك: مَن حَضَر.. نظر

-من الباب الثاني والخمسين ومائتين--

الحضور أين؛ وما ثَمّ سِوى عين. عينٌ لا يحصرها ظرف، ولا يسعُها حرف. نزل لها بذاتها عليها، وما يخرجُ منها وينزل يعرجُ إليها. وهذه عبارات تطلب الأينيّة، وتثبت البينيّة، وهذا هو بعينه اعتقادُ الثنويّة. وأنت تقول: الأمر واحد، وقد كذّبك الشاهد. فالعروج والنزول يطلب الطريق، وليس هذا في الإلهيّات منهج التحقيق. وقد ورد؛ فلا بدّ من معرفة ما قصد. فإنّ القول الإلهيّ حَقّ، وكلامه صدق. ولا بدّ من أُذن واعية لهذه الداعية. وما خاطب بها إلّا الحاضر؛ فهو الناظر. فإن كان السامِعُ غيرَ القائل؛ فلا بدّ أن يصيب ويخطي، وإن كان عينَ القائل؛ فصوابُه يسرع ولا يبطي. بل كلامُه عينُ جوابه؛ فهو المتكلّم السامع في أحبابه.

---

(١) ثابتة في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب

(٢) ص ١٣٤ب

ومِن ذلك: مَن فَكَّر.. سَكِر

-من الباب الثالث والخمسين ومائتين-

الفِكرة[١] سَكْرة؛ إلّا أنّ شرابها ممزوج، وخلْقُها مخدوج، وليس الخداج إلّا من المزاج. وهذا شراب الأبرار، ومعاطاة الفجّار. ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[٢] وتفجيرهم إيّاها عينُ المزاج لمن كان بما قلته خبيرا. فلو جرَتْ من غير تفجير، من كونه على كلّ شيء قدير؛ لكان شراب المقرَّبين، الآتي من تسنيم؛ على البار المنعَّم بالتنعيم. فبين المقرَّب والبار ما بين الأعين والآثار. الآثار تدلّ، والعين تشهد ولا تملّ. الباب قد فتح، والواهب قد منح، والأمر قد شرح؛ فظهرت خفايا الأمور في شرح الصدور. انشرحت معانيها؛ وهي ما حصّل الحقّ فيها؛ فلاحت المخبّآت عند رفع الكلل، وهي ما ظهر في العالَم من النِّحل، في الاعتقادات والمِلل؛ فانظر واستر.

* * *

ومِن ذلك: مَن نحَا.. صحا

-من الباب الرابع والخمسين ومائتين-

لا يزهد في فكرته؛ إلّا مَن صحا مِن سكرته. ما كلُّ شراب مسكِر، ولا كلّ قول منكر، وما كلّ مزاج يسكر، ولا كلّ سامع ينكر. الإنكار من ضيق العَطِن[٣]؛ فكن اللبيب الفطِن. وسَعْ[٤] كلَّ شيء علما، وضَعْ لكلّ نازلة حُكما. فإنّ الله كذا شَرَعْ؛ فاتّبِع فقد أصاب مَن اتّبَع. مَن تأسّى بالحقّ أصاب، على أنّه مصاب؛ حيث رآه غيرا، واعتقد شرّا وخيرا؛ فتلا فرقانا، لا قرآنا. فَمَن قرأ استبرأ، ومَن تلا الفرقان؛ فهو صاحب نظر في برهان. فلا بدّ من الحَيرة؛ لأنّه أثبت غيره؛ ومن هنا اتّصف مَن اتّصف بالغيرة. ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[٥] يخاطب مؤمنا وإيمانا. ما أيَّه

---

(١) ص ١٣٥

(٢) [الإنسان: ٦]

(٣) العطن: المربض، تقول: فلان واسع العطن: إذا كان رحب الذراع

(٤) ص ١٣٥ب

(٥) [الأنفال: ٢٩]

إلّا بالمؤمن والناس والمؤتَيْن[١]، ما أيَّهَ بأصحاب العين.

انتهى السفر الرابع والثلاثون يتلوه في الخامس والثلاثين؛ ومن ذلك: من جاء من فوق فهو صاحب ذوق.[٢]

(١) المؤتين: الذين أوتوا الكتاب

(٢) أثبت السماعان التاليان، وأولهما أسفل المتن، وثانيهما في الهامش كما يلي:

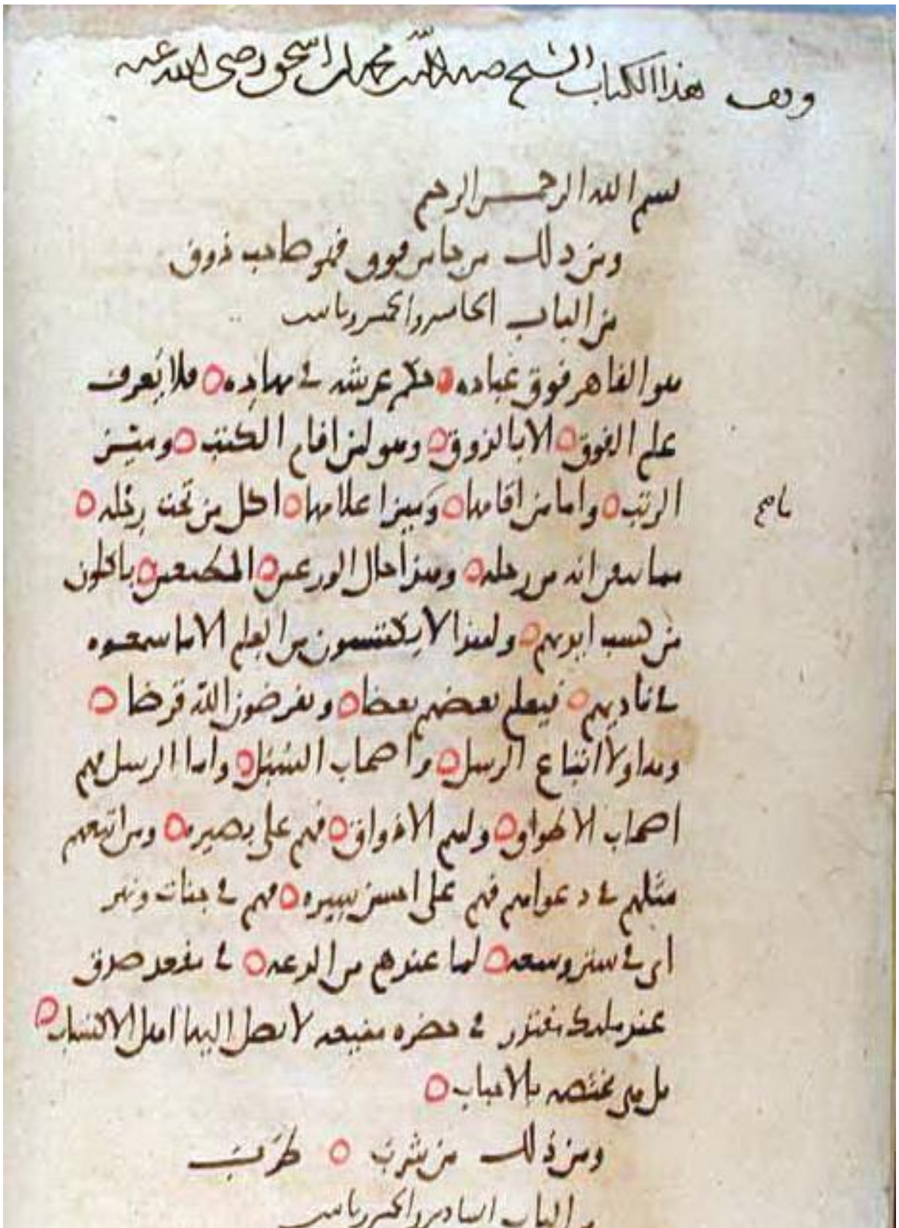
١- "سمع جميع هذا السفر، وهو الرابع والثلاثون من الفتح المكي على منشيه الشيخ الإمام العالم المحقّق محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن العربي الطائي الحاتمي رضي الله عنه جماعة، منهم: ولد الشيخ المسمى سعد الدين محمد، والشريف كمال الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد العلوي، وكاتب الثبت محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق الأنصاري، وذلك بقراءة الفقيه العالم تاج الدين عباس بن عمر بن يحيى بن سرور الأنصاري، في مجالس عدة آخرها صبيحة يوم الثلاثاء رابع وعشرين ذي القعدة سنة ستّ وثلاثين وستمائة بمنزل الشيخ بدمشق. والحمد لله". يليه ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٣٨

٢- تلا ذلك في الهامش بقلم الشيخ صدر الدين القونوي بعد وفاة الشيخ الأكبر: "عورضت هذه المجلدة بالنسخة الأولى، وصحّح كل منهما بالأخرى، وذلك بحلب المحروسة بقراءة محمد بن إسحق بن محمد خادم الشيخ رضي الله عنه. وسمع بالقراءة المذكورة بحضور المولى الإمام شمس الدين إسماعيل (بن سودكين) أيّده الله هذه المجلدة: الأخ العزيز مجد الدين أبو بكر بن بندار التبريزي، (.....) في سنة أربعين وستمائة. والحمد لله".

المحتويات

السفر الخامس والثلاثون من الفتوح المكّيّ[1]

(١) العنوان ص ١ب، يلي العنوان: "إنشاء سيدنا ومولانا شيخ الإسلام، صفوة الأنام، إمام الأمة، قدوة الأئمة، سلطان المحققين، محيي الملة والدين، أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي ﷺ وأرضاه به". تلى ذلك بخط الشيخ الأكبر: "رواية مالك هذه المجلدة محمد إسحق القونوي" يلي ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٥٥، ثم طابع دمغة برقم ١٨٧٩، وإشارة إلى عدد صفحات السفر: ٢٨٥ صحيفة. يلي ذلك في رأس الصفحة الثانية على جانبيها: "وقف هذا الكتاب الشيخ صدر الدين محمد بن إسحق ﷺ على الزاوية المبنية عند قبره وشرط أن لا يخرج منها أصلا ورأسا".


وقف هذا الكتاب الشيخ صدر الدين محمد بن اسحق رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن ذلك من جاز فوق فهو صاحب ذوق

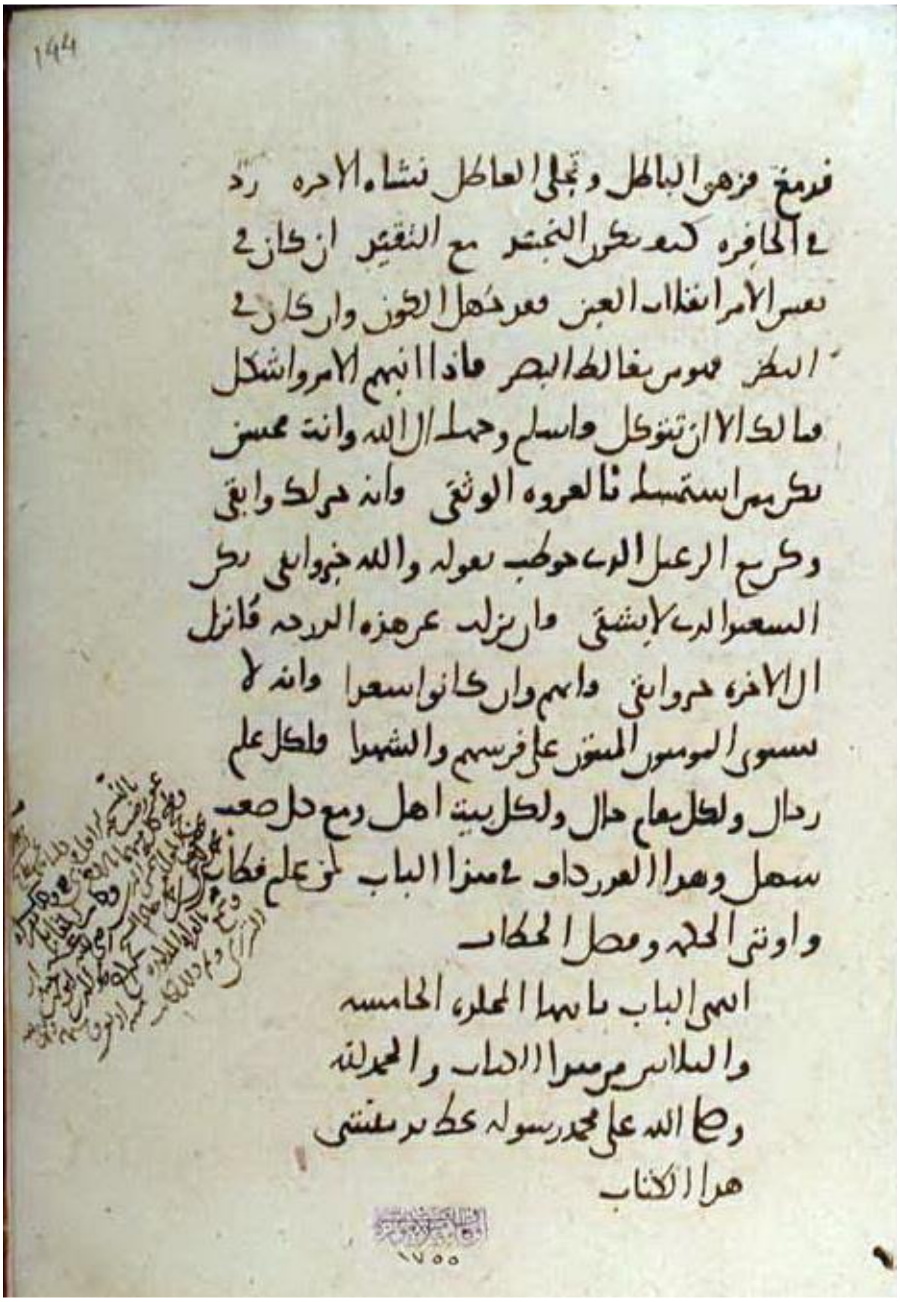
من الباب الخامس والخمسين و[illegible]

هو القاهر فوق عباده ○ حكم عرشه في بلاده ○ فلا يعرف
علم الفوق ○ الا بالذوق ○ ومنزلته امام الكتب ○ ومنبر
الرتب ○ واما من اقامها ○ وبينا علامها ○ اجل من تحت رجله ○
مما سعى اليه من رحله ○ ومن احال الورع من المكتسب ○ بالكون
من كسب ابويهم ○ ولهذا لا يكتسبون من العلم الا ما سمعوه
في ناديهم ○ فيعلم بعضهم بعضا ○ ويقرضون الله قرضا ○
وهذا لاتباع الرسل ○ واصحاب السبل ○ واما الرسل فهم
اصحاب الاهواء ○ ولهم الاذواق ○ فهم على بصيرة ○ ومن اتبعهم
مثلهم في دعواهم فهم على احسن سيره ○ فهم في جنات ونهر
اي في سعة وسعة ○ لما عندهم من الرحمة ○ في مقعد صدق
عند مليك مقتدر ○ في حضرة مشيحة لا يصل اليها اهل الاكتساب ○
الا من عنته بالاحباب ○

ومن ذلك من شرب ○ طرب

من الباب السادس والخمسين و[illegible]

الصفحة الثانية من مخطوط قونية


١٩٧

فرمع وزهق الباطل وتجلى العاطل نشاه الاخره رد
في الحافره كنعم يكون التجسد مع التقيد ان كان في
نفس الامر انفكاك العين عن شغل الكون وان كان في
النظر فموس يغالط البصر فاذا انبهم الامر واشكل
فما لك الا ان تتوكل واسلم وجهك الى الله وانت محسن
فكن ممن استمسك بالعروه الوثقى وانه حولك وابقى
وكن مع الرجل الذي هو طيب بقوله والله خير وابقى فكن
السعيد الذي لا يشقى وان نزلك عن هذه الدرجه فانزل
الى الاخره خير وابقى وانهم وان كانوا سعدا وانه لا
يستوي المومنون المنفقون على فرسهم والشهدا ولكل علم
رجال ولكل مقام حال ولكل بيت اهل وفوق كل صعب
سهل وهذا القدر كاف في هذا الباب لمن علم فطاب
واوتي الحكمه وفصل الخطاب
انتهى الباب التاسع الخامسه
والثلاثين من هذا الكتاب والحمد لله
وصلى الله على محمد رسوله خاتم من نسخ
هذا الكتاب

١٧٥٥

الصفحة الأخيرة من مخطوط قونية

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

ومِن ذلك: من جاء من فوق.. فهو صاحب ذوق

-من الباب الخامس والخمسين ومائتين-

هو القاهر فوق عباده، حكم عرشه في مهادِه. فلا يُعرف علم الفوق إلّا بالذوق، وهو لمن أقام الكُتب، وميَّز الرتب. وأمّا مَن أقامها، وما[٢] ميّز أعلامها؛ أكل من تحت رِجْله؛ مما تيقّن أنّه من رجله[٣]. وهذا حال الورعين المطيعين يأكلون من كسب أيديهم؛ ولهذا لا يكتسبون من العلم إلّا ما سمعوه في ناديهم؛ فيعلم بعضهم بعضا، ويقرضون الله قرضا. وهؤلاء أتباع الرُّسُل، وأصحاب السُّبُل.

وأمّا الرسل فهم أصحاب الأطواق، ولهم الأذواق. فهم على بصيرة، ومن اتّبعهم مثلهم في دعواهم فهم على أحسن سِيرة. فهم ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[٤] أي في ستر وسعة؛ لما عندهم من الدعة ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[٥] في حضرة منيعة لا يصل إليها أهل الاكتساب؛ بل هي مختصّة بالأحباب.

* * *

ومِن ذلك: مَن شَرِبَ.. طرَبَ

-من الباب السادس والخمسين ومائتين-

لا[٦] يطرب الشارب إلّا إذا شرب خمرا، وإذا شرب خمرا فقد جاء شيئا إمرا؛ لأنّه يخامِر العقول؛ فيحول بينها وبين الأفكار؛ فيجعل العواقب في الأخبار؛ فيبدي الأسرار برفع الأستار. فحرّمت في الدنيا؛ لِعظيم شأنها، وقوّة سلطانها. وهي لذّة للشاربين حيث كانت، ولهذا عزَّت وما

(١) البسملة ص ٢
(٢) ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
(٣) ويمكن قراءتها في ق: "رحله" والترجيح من هـ، س
(٤) [القمر: ٥٤]
(٥) [القمر: ٥٥]
(٦) ص ٢ب

هانت. في الدنيا محرَّمة، وفي الآخرة مكرَّمة. هي أَلَذّ أنهار الجنان، ولها مقام الإحسان. عطاؤها أجزل العطاء، ولهذا يقول(١) مَن أصابه حكمها وما أخطا:

فإذا سَكِرْتُ فإنّني رَبُّ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيْر

وهو صادق. وإذا فارقه حكمها، وعفا عنه رسمُها، يقول أيضا ويصدُق، وقال الحقَّ:

وإذا صَحَوْتُ فإنّني رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبَعِيْر

وهذا المقام أعلى لأنّه ربّ الحيوان، فتفطّن لهذا الميزان.

* * *

ومِن ذلك: مَن ارتوى.. غَوى

-من الباب السابع والخمسين ومائتين-

مَن ارتوى غوى، ومَن غَوى هوى. ألا تراه أُهْبِط(٢)، وفي يديه سقط، فاستدرك الغلط حين هبط. فتلقى من ربّه ما(٣) تلقّاه من الكلمات فتاب؛ ففاز بحسن المآب. لأنّه ما يقصد انتهاك الحرمة، ولا الخروج من النور إلى الظلمة. مخالفة العارف تُحْفة، ولو ساقت إليه حَتفه؛ فصاحبُ التُّحَف من الآمنين في الغُرَف. فإنّ من شرف العلم أن يعطي العالِم كلّ مرتبة ما لها من الحكم. ومِن عِلم السرّ؛ أن لا يقطع العالِمُ به على ربّه ﷻ بأمرْ. فإن قَطَع وحَكَم؛ فقد جَهِل وظَلَم. ومع أنّه ما عُصِي إلّا بِعلمه، ولا خولف إلّا بحكمِه؛ لا يقول ذلك العاصي وإن اعتقده، وكان ممن اطّلع عليه وشهِدَه، وكذلك حكم مَن أطاعَه إلى قيام الساعَة.

فالعلماء هم الحكام والحكماء؛ لا يتعدّون بالسلعة قيمتَها، ولا بكلّ نشأة شِيمَتَها. لولا ذلك الارتواء؛ ما كانت الأنبياء، ولا فُرِّق في الأحكام بين الأعداء والأولياء، ولا عُرفت المراتب، ولا شُرِعت المذاهب، ولا كانت التكاليف، ولا حكمت التصاريف، ولا كان أجلٌ مسمّى، ولا تميّز البصير

(١) ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
(٢) أهبط: إشارة إلى آدم عليه السلام حين أهبط من الجنة
(٣) ص ٣

من الأعمى.

* * *

ومِن ذلك: مَن لم يَرْتَوِ مِن مائه.. لم يكن من أنبيائه

-من(١) الباب الثامن والخمسين ومائتين-

مَن شرِب من الماء؛ حيي حياة العلماء، ومَن شَرِب اللَّبَن؛ تميّز في رجال اليمن(٢)، ومَن شَرِب العسل المصفّى؛ كان في وحيه ممن وَفَّى، ومَن شَرِب الخمر؛ لم يكتم الأمر. الخمر للسَّماح، واللَّبَن للإفصاح، والماء لحياة الأرواح، والعسل عِلم أصحاب الجُناح؛ فهو العلم(٣) الصُّرَاح. ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾(٤) وحقّقوا مَذْهَبَهُم ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾(٥) وواضعٌ في المعارج سُبلا؛ فلها النقض والمَشَاء. لو شَرِب الخمر ضَلَّت الأُمّة وغَوَتْ؛ بإظهار ما عليه حَوَتْ، والدنيا دار حجاب؛ فلا بدّ مِن غلْق الباب، ولا بدّ من(٦) الحُجّاب؛ وهم الرسل أُولُو الألباب. فبعثة الرُّسُل لتعيين السُّبُل، وإقامة الخلفاء في الأرض مِن الفَرْض؛ ليشوّقوا النفوس المحجوبة بما وصفوه وما شرعوه من الأمور المطلوبة.

* * *

ومِن ذلك: مَن مُحِي رَسْمه.. زال اسْمُه

-من الباب التاسع والخمسين ومائتين-

صُنِعَت(٧) الترياقات لرفع ضرر السموم، وسكنت الأهواء لبقاء السَّمُوم(٨)، وعُيّنت الأحكام لبقاء الرسوم. فهي عصمة للأرواح إلى أن توفّي تدبير هذه الأشباح. فإذا فرغ قَبُولُها، وحصل لها

---

(١) ص ٣ب
(٢) مكتوب فوقها "صح" وفي الهامش بخط آخر: "اللسن" مع "صح" وحرف خ
(٣) مكتوب فوقها "صح" وبجانبها بخط آخر: "الوحي" وحرف خ
(٤) [البقرة: ٦٠]
(٥) [فاطر: ١]
(٦) "بدّ من" ثابت في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب
(٧) ص ٤
(٨) مكتوب فوقها "صح" وفي الهامش بخط آخر: "الرسوم" و"صح"

من رسولها سُؤْلُها، وانقضى زمان التدبير، وانكسر وعاء الإكسير، ووقع الاشتياق إلى لقاء الغُيَّاب ومشاهدة الأحباب؛ جاء الموتُ بما فيه مِن تَلافيه؛ فأَخلى البلد، وفرَّق بين الروح والجسد، ورَدَّ كلَّ شيءٍ إلى أَصله، وجمع بينه وبين أقاربه وأَهْلِه؛ فألْحق الجسم مع أَتْرابِه بِتُرابه، وعرج بالروح المشبَّه في الإضاءة بِيُوح[1]؛ فأَلحقه بالروح المضاف إليه، ونزل به عليه. وتلك حضرة قُدْسِه، ومجلس أُنْسِه. فقبله وقبّله، وبادر إليه عند قدومه واستقبله. فالسعيد أعطاه أمله، والشقيّ تركه وخذله.

* * *

ومِن ذلك: مَن أُعْطِي الثبات.. أَمِنَ البَيات

-من الباب الستّين ومائتين-

مَن لم يخف البيات أصبح في الأموات. يا أيّها الأصفياء؛ ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[2] لا[3] تلقوا إليهم بالمودّة، وأعطوا لكلِّ ذي عَهْدٍ منهم عَهْدَه. أُثبتْ على دينِك، واحذر منهم أن يؤثِّروا في يقينك. مَن دان بالصليب؛ لَحِق بأهل القليب. لا تشرك بالله أحدا، واتّخذ التوحيد سندا. ما للحريد فديد[4] لعدم السامع من الوجود. كيف له بالصوت، وقد اتّصف بالموت؟ يُنسب إلى الميّت الكلام؛ كنسبته إلى النّيام؛ يقول ويقال له، وما يسمع المتيقّظ[5] إلى جنبه زَجَله. وتحصل الفوائد، ويمشي حكمه في الغائب والشواهد، بهذا جرت العوائد. ولا صوتٌ يُسمع، ولا حروف تؤلَّف وتُجمع، وقد أَصمّ المنادي آذان أهل النِّدي[6] في النادي. فالثابتُ الجنان مَن آمن بما يكذّبه العِيان.

---

(١) أثبت في الهامش بخط آخر مع علامة التصويب: "أعظم من" مع مسح حرف ب من "بيوح" لتقرأ: "يوح". ويوح هي الشمس
(٢) [الممتحنة: ١]
(٣) ص ٤ب
(٤) أثبت في الهامش معنى كلمتي الحريد: المنفرد، الفديد: الصوت
(٥) أثبت في الهامش: اليقظان
(٦) النِّدي جمع أندية

ومِن ذلك: الستر.. في الوتر

-من الباب الأحد والستّين ومائتين-

العقلُ معقول بمن عقله فهو سِتْر؛ لأنّه لا يقدر على السراح قِيد فِتْر. هو رابط مربوط بالكون، والهوى في السَّراح يشاهد العين. الهوى يُضلُّ مَن اتّبعه عن سبيل الله، لا عن الله؛ لأنّه من جملة الملكوت فهو بِيَدِ الله، ولو[1] لم يكن الأمر هكذا؛ لَلَحِقَ به الأذى. لولا طلبه السيّد بالسِّتر؛ ما تقيّد بالوِتر، وهو في الوجود: عينُ كلّ موجود. ألا ترى إلى صاحب الشرع؛ كيف تعدّى بوتره الواحد إلى ثلاث وخمس وسبع، وأكثر من ذلك ليُعلم أنه يريد أحدية الكثرة و[2]الجمع؟ ألا ترى إلى الحقّ يشفع الأوتار، ويوتر الأشفاع بإجماع؟

للهوى السَّراح والسَّماح، وله لكلّ باب مغلق[3] مفتاح، وهو الذي يتولّى فتحه فتَسمّى بالفتّاح. سلطانه في الدنيا والآخرة؛ ولكن ظهوره في الحافرة؛ فما هي لأهل السعادة كَرّة خاسرة، ولا تجارة بائرة، ﴿لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾[4] وليست الشهوة سِوى الهَوى، ومَن هَوِيَ فقد هَوَى، لهذا قيل في العاشق: ما عليه من سبيل؛ وإن ضلّ عن السبيل.

* * *

ومِن ذلك: المقام الأجلى.. في المجلى

-من الباب الثاني والستّين ومائتين-

في المجلى تذهب العقول والألباب، وهو للأولياء العارفين الأحباب.

وحَقِّ الهَوَى إنّ الهَوَى سَبَبُ الهَوَى ولَوْلا الهَوَى في القَلْبِ ما عُبِدَ الهَوَى

---

(١) ص ٥

(٢) "الواحد إلى... الكثرة و"كانت في أصل ق: "من الواحدة إلى" وهناك خط فوقها إشارة المسح والاستبدال في الهامش. وهي كذلك في س

(٣) ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب

(٤) [فصلت: ٣١]

وما[1] ثَمّ غَيْرُه، فالأمر أَمرُه. العقل محتاج إليه، وخَدِيم بين يديه. له التصريف، والاستقامة والتحريف. عمّ حكمُه لَمّا عَظُم عِلمه، فضِّل عليه العقل؛ بالنظر الفكريّ والنقل. ما حجبه عن القلوب إلّا اسْمُه، وما ثَمّ إلّا قضاؤه وحُكمه.

مـا سُمِّيَ العَقْـلُ إلّا مِنْ تَعَقُّلِهِ ... ولا الهَوَى بالهَوَى إلّا مِنَ اللَّدَدِ[2]
إنّ الهَوَى صِـــفَةٌ والحَقُّ يعْلمُها ... يَضلّ عَنْ مَنْهَجِ التَّشْرَيْعِ في حَيَدِ
هُـوَ الإرادَةُ لا أَكْنِيْ فَـتَـجْـهَـله ... لَولاهُ ما رُمِيَ الشـيطانُ بالحَسَـدِ
والعَقْلُ يَنزِلُ عَن هَـذا المَقام فَمَا ... لَهُ بِـهِ قَـدَمٌ فـانْظُرْهُ يا سـَـنَـدِي
لَهُ النُّفُوذُ ولا يَـدْرِي بِـهِ أَحَـدٌ ... لَهُ التَّحَكّمُ في الأرواح والجَسَـــــدِ
هُوَ الذي خافَتِ الأَلْبَابُ سَطْوَتَهُ ... هُوَ الأَمِيْنُ الذي قَـدْ خُصَّ بالبَلَدِ

* * *

ومِن[3] ذلك: مَن مُحِقَ هِلالُه.. صَحّ نَوالُه

-من الباب الثالث والستّين ومائتين-

ليس لأهل الجنان عقل يُعرف؛ إنما هو هوى وشهوة يتصرّف. العقلُ في أهل النار مَقِيلُه، وبه يكثر حزن الساكن بها وعَوِيْلُه؛ لَمّا ساء سبيله. العقل من صفات الخلْق؛ ولهذا لم يتّصف به الحقّ. ولولا ما حصرَ الشرعُ في الدنيا تَصرُّفَ الشهوة؛ ما كان للعقل جَلْوَة. فما عَرف حقيقة العقل غيرُ سَهْل[4]؛ فعيَّن ما لَه من الأهل، قيّد المكلَّف بالتكليف عن التصريف. فإذا ارتفع التحجير؛ بقي البشير وزال النذير، وتأخَّر العقلُ لِتأخُّر النقل. إذا محق الهلال؛ فاءت الظّلال، وفي محاقه عينُ كماله في حضرة إقباله، كما كان كمالُه في إبداره لإدْبارِه. فالأمرُ بين الحقّ والخلق مناصفة، والوثيقة التي بيننا وبينه وثيقة مواصفة. فما له فليس لنا، وما ليس له فهو لنا.

---

(١) ص ٥ب
(٢) التلدد: التلفت يمينا وشمالا تحيرا. واللدد: شدة الخصومة.
(٣) ص ٦
(٤) هو الإمام سهل بن عبد الله التستري

ومِن ذلك: مَن بَدَر.. فقد أَبْدَر

-من الباب الرابع والستّين ومائتين-

الإبدارُ ثلاثُ ليال، ولهذا كفر مَن قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[1] من الضُّلّال؛ فإنّه[2] ما ثَمّ على الأحديّة زائد، وكذلك الإبدار واحد. واحتجب بالاثنين في رأي العين، كما حجبنا اللهُ عن معرفته باليدين، وما أشبَه ذلك مما وردتْ به الشرائع من غير ريبٍ ولا مَين. فبَدار بَدار إلى ليلة الإبدار، وهي ليلة السرار[3]. ذلك هو الإبدار النافع، والنور الساطع؛ حيث لم تغيّره الأركان، بما تعطيه من البخار والدخان. فإنّ حالة البدر، في ليلة أربع عشرة من الشهر؛ معرَّض للآفات، ولهذا هو زمان الكسوفات. فهو المؤُوف بالكسوف. وقد يَحْجُب في سراره مَن أَنارَه، ومَنَحَه أنوارَه؛ خدمة تتقدَّم بين يديه؛ حتّى لا تصِل عينٌ إليه؛ تقديسا له وتنزيها، وتشريفا للخادم الذي أَهّله لهذه الرتبة وتنويها.

* * *

ومِن ذلك: المسامرة.. محاضَرة

-من الباب الخامس والستّين ومائتين-

رَعْيُ النجوم؛ مسامرةُ الحيّ القيّوم؛ بما يعطيه من العلوم. ما أحسن السَّمَر، في ليالي القُمْر[4]، على الكثبان العَفر[5]، مع كلّ ذي رداء غَمْر[6]، ليس بِنِكْسٍ[7] ولا غُمْر[8]، ولا يبيتُ لأحد على غِمْر[9]. كانت المسامرة في المشاورة؛ بما يظهر في النهار من الآثار لاستعداد الكون، وما هي عليه

(١) [المائدة: ٧٣]
(٢) ص ٦ب
(٣) سرار الشهر: آخر ليلة منه مشتق من قولهم استسر القمر: أي خفي ليلة السرار
(٤) الليالي القُمْر: الليالي المضيئة
(٥) كثبان عَفر: العفرة: بياض تعلوه حمرة
(٦) غَمر: رجل غَمر الرداء: كثير المعروف.
(٧) نِكس: النكس: الرجل الضعيف
(٨) غُمر: غير مجرّب
(٩) غِمر: الغِمر: الحقد والغل

من العطاء العين. ألا(١) ترى إلى الحقّ؛ نزولُه سُرَى(٢) إلى السماء التي تلي الوَرَى؟ فيسامرهم بالسؤال والنَّوال، ويسامرونه بالأذكار والاستغفار وسَنِيِّ الأعمال. فيقول ويقولون، ويَسمع ويَسمعون؛ فيجيب ويجيبون. فلا يزال على هذا الأمر إلى أن ينصدع الفجر؛ فينقضي السَّمَر، ويظهر عند الصباح ما قرّر من الخَبَر بالأثَر.

* * *

ومِن ذلك: بَرْقٌ لَمَعَ.. وسَطَع

-من الباب السادس والستّين ومائتين-

البارقة اللموع؛ في النزوع. مَن نزع إليه؛ سطعتْ أنواره عليه. الصحيح من المذهب: أنّ بَرْقَهُ خُلَّب؛ ولهذا قال عبد الله: لا يعرف الله إلّا الله. عِلْمُنا به أنّه لا يُعلم؛ فالزم الأدب وافهم. إيّاك والنظر، وغلطات الفِكَر. لا تتعدّ(٣) بالعقل حدّه، وقِفْ عنده؛ تَفُزْ بالعلم الذي لا يحصل في القلب(٤) منه شيء، وبالظلّ الذي ما له فَيْء. إذا حمي الجوُّ كثُرت البُروق، وتَوالى الخفوق، ولا رعد يسبِّح بحمده، ولا غيث ينزل مِن بعده. إنما هي لوامع تسطع، تنزل ثمّ تُرفع؛ لحكمة جلّاها مَن تولّاها.

﴿وَٱلشَّمۡسِ(٥) وَضُحَىٰهَا﴾(٦) لمّا أنارها وما محاها ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾(٧) بما ابتلاها ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾(٨) في مَجْلاها ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾(٩) فأَسَرَّها وما أَفشاها ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾(١٠) بما عَناها ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾(١١) لمّا أَدار رحاها ﴿وَنَفۡسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾(١٢) بما ألهمها من فجورها

(١) ص ٧
(٢) السُّرَى: سير الليل
(٣) ق: لا تتعدى
(٤) "في القلب" ثابت في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب
(٥) ص ٧ب
(٦) [الشمس: ١]
(٧) [الشمس: ٢]
(٨) [الشمس: ٣]
(٩) [الشمس: ٤]
(١٠) [الشمس: ٥]
(١١) [الشمس: ٦]
(١٢) [الشمس: ٧]

وتقواها، وبهذه النسبة إليها قَوّاها.

* * *

ومِن ذلك: ما هجم مَن عُصِم

-من الباب السابع والستّين ومائتين-

الهجوم إقدام، ولا يكون من عَلّام. المخدوم؛ له الهجوم. والخادم؛ محكوم عليه وحاكم. فجَآتُ الحقّ لا يطيقها الخلق؛ فلماذا وردتْ من العليم الحكيم، وقد سمّيت بالبوادِه والهجوم؟ فلولا ما ثمّ حامِل لها؛ ما سَوّاها الحقُّ ولا عَدَّلَها. إذا جاءته بغتة؛ يتخيّل أنّها فَلْتة؛ فيعطيها منه لَفْتة، ثمّ يُعرض عنها بعد ما أخذ ما جاءته به منها. ما هو أعرض؛ بل هي عَبَرت حين خَطَرت. ما كان ذهابها؛ حتى أمطر سحابُها؛ فامتلأت الإضاء[1]، وزالت السحب وانجلت البيضاء. فحَدّثَتِ الأرضُ أَخبارَها، ورَفعت[2] أستارَها، وباحت بأسرارها، وزهَتْ أزهارُها بأنوارِها. فلولا ما كان الزَّهْر في الزُّهْر[3]، والنوار[4] في الأنوار؛ ما ظهر شيءٌ مما وقعت عليه الأبصار.

* * *

ومِن ذلك: مَن قُرّب.. أُشْرِب

-من الباب الثامن والستّين ومائتين-

العاشقُ المحِبّ مَن أُشرب في قلبه الحُبّ. عِشقُ العِشق هو الحبُّ الصدق. يقول العاشقُ المجنون[5] لمعشوقه على التعيين: "إليكِ عنّي، وتباعدي منّي؛ فإنّ حبَّكِ شغلني عنك، وأنت منّي وأنا منك". فوقف مع الألطف، وزهِد في الأكثف؛ لأنّه عرف ما كشف؛ فوقف وما انحرف. مَن شهد مُلْك المُلْك؛ عَرَف مَن حصل في المِلْك. مَن طلبتَ منه الثبات فقد قيّدتَه؛ لا بل قد تعبّدتَه.

---

(١) الإضاء: الغدران
(٢) ص ٨
(٣) الزُّهر: النيّرة
(٤) النوار: جمعها النور
(٥) المجنون: يشير إلى قيس ليلى

إلّا أن يكون الثبات على التلوين؛ فذلك التمكين، ووافقتَ ما أنزله في سورة الرحمن: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[1] والشئون ألوان. أقربُ ما اتّصف به الحقّ في العبيد؛ كونُه أَقرب من حبل الوريد. فهو أقرب إليك من نفسِك؛ مع أنّه ليس من جنسك. وإن كان في حبْسِك[2]؛ فقد قيّد نفسه، وضيّق حَبْسَه.

* * *

ومِن[3] ذلك: ما كُلُّ مَن بَعُدَ.. بَعِد

-من الباب التاسع والستّين ومائتين-

البُعْدُ بالحدود عِلْمُ الشهود، وهو أسنى العلوم، وأعظم إحاطة بالمعلوم. فلا تتخيّل أنّ كلَّ بُعْدٍ هلاك؛ كما تخيّله بعض النُّسّاك. ليس الهلاكُ إلّا في القُرْب؛ ولهذا يفنيك، وانظر ما قلته لك في تجلّيك. التحليةُ حجاب؛ وهي أعظم القُرَب عند الأحباب. تخلّى ولا تتحلّى.

لَمّـا دَنا إِلَـيْـهِ تَـدَلَّى ... فَكانَ قَابَ قَوْسٍ أَو أَدْنَى
والشَّـفْعُ فِيْهِ ما جاء إلّا ... لِلْعُرْفِ إِذْ تَضَـمَّنَ مَعْنَى
أَلَا تَراهُ قـالَ: أَو أَدْنَى ... لِذاكَ قُـلْـتُـهُ فَـتـأَنَّى
مَنْ غَشَّـنا فَمَا هُوَ مِنّا ... فـالأَمْرُ كُلُّـهُ لَيْسَ مِنّـا
فَنَحْنُ لَيْسَ نَحْنُ وكُنّـا ... بِذاكَ أَخْبَرَ الحَقُّ عَنّا[4]
رَبُّ السَّـماعِ مَن يَتَغَنّى ... بِـقَـوْلِهِ إِذا يَـتَـغَـنّى
ذَاكَ السَّماعِ يُصْغِي إِلَيْهِ ... مَنْ جَـاءهُ الَّذِي يَتَمَنّى

(١) [الرحمن: ٢٩]
(٢) كتب مقابلها في الهامش بقلم الأصل: "وسعني قلب عبدي"
(٣) ص ٨ب
(٤) أثبت مقابلها في الهامش بقلم الأصل: "قوله: وما رميت إذ رميت"

ومِن ذلك: سَدُّ الذريعة.. من أحكام الشريعة

-من الباب السبعين ومائتين-

مَن قال بسدّ الذرائع في الشرائع؛ ترَك الأعلى، ورأى ذلك الترك[١] أَوْلَى. فما هو للشارع مُنازِع؛ ولكن لمّا فَهِم المراد؛ جنح إلى الاقتصاد؛ فإنّه عَلِم أنّ الله بالمرصاد. والمخلوق ضعيف؛ ولولا المصالح ما شرع التكليف. فخذ منه ما استطعت، ولا يلزمك العمل بكلّ ما جَمَعت؛ فإنّ الله ما كلّف نفسا إلّا ما آتاها، وجعل لها بعد عسرٍ يُسرا حين تولّاها، وشرع في أحكامه المباح، وجعله سببا للنفوس في السَّراح، والاستروح إلى الانفساح.

ما قال في الدين برفع الحرَج؛ إلّا رحمة بالأعْرَج، وعلى منهج الرسول ﷺ دَرَجْ. «دِينُ الله يُسْر»؛ فما يمازجه عُسْر. بُعث بالحنيفيّة السمحاء، والسنّة الفيحاء. فمَن ضَيَّق على هذه الأمّة؛ حُشر يوم القيامة مع أهل الظلمة.

* * *

ومِن ذلك: الحقيقة.. في كلّ طريقة

-من الباب الأحد والسبعين ومائتين-

في الكلام القديم والقرآن الحكيم: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[٢] جاء به الرءوف الرحيم، الخبير بما هناك العليم. فمع[٣] الحقّ مَشَى مَن مَشَى، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ﴾[٤]. فالسعادة كاملة، والرحمة شاملة. فإنّ أهل الاستقامة في الاستقامة؛ هم أهل السلامة في القيامة. وأمّا الماشي في الاستقامة بغير استقامة؛ فهو المنحاز عن دار الكرامة، والكلُّ في دار المقامة. ﴿إِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾[٥]، وكيف لا[٦] يرجع إليه وهو فعله؟ ما

---

(١) ص ٩

(٢) [هود: ٥٦]

(٣) ص ٩ب

(٤) [الإنسان: ٣٠]

(٥) [هود: ١٢٣]

(٦) ثابتة في الهامش بقلم الأصل مع كلمة "صح"، وهي ثابتة في س

العجب إلّا كيف قيل: يَرجِع إليه مَن هو لديه، ولم يزل في يديه! ستورٌ مسدَلَة، وأبواب مقفَلَة، وأمور مبهَمة، وعبارات مُبْهِمَة[1]، هي شُبُهات من أكثر الجهات.

* * *

ومِن ذلك: ما كلُّ سحاب خَطَر.. أَمْطَر

-من الباب الثاني والسبعين ومائتين-

ما قصَّر الجَهَام[2] حين آثر؛ فالتحق بأهل المآثِر. ما جاد إلّا على رَحِمِه؛ بما أعطاه من كَرَمِه. بخارها عاد عليها، وتحلَّل شوقا فنزل إليها. الأمطارُ دموعُ العشّاق، مِن شدّة الأشواق، لأَلَم الفراق. فلمّا تلاقى أَضْحَكَ بأزهاره؛ جزاء بُكاءِ وابِلِ مِدْرارِه. فأمات وأحيا مَن أضحك وأبكى. نفعت الشكوى، ومقاساةُ[3] البلوى. ثمّ إنّه أظهر من الثمر ما هو أنفع من الزَّهَر؛ فحسَّن الهيئة، وأقام النشأة، وكان التغذِّي، وزال التأذِّي، وبدا كلُّ أمر مَريج، ووقع النكاح بين كلّ زوج بهيج. فَتَوَّجَ الآكام، وأَزَّر الأَهضام[4]؛ فالشكر لله على هذا الإنعام.

* * *

ومِن ذلك: مَن ورد.. تَعبّد

-من الباب الثالث والسبعين ومائتين-

من جاء إليك؛ فقد أوجب القيام بحقّه عليك. فإنّه ضيف نازل؛ فإمّا قاطن وإمّا راحل. وعلى كلّ حال فلا بدّ من النظر في حقّه وأمرِه، على حدّ ميزانه في الوجود وقدرِه. ولا شكّ أنّ المؤمن قد جعله الله له سكنا، واتّخذ قلبَه وطنا؛ فوفَد عليه، ونزل إليه. فوسِعه وما؛ حين ضاق عنه الأرض والسماء، وجعله سَميَّه، واتّخذه وليَّه، ونعتَه بالإيمان؛ وهو صفة الرحمن، وأنبأه بما يكون وما كان. فتعيَّن على المؤمن القيام بفرضه؛ لمّا حَلَّ بأرضه. فاجعله ممن تلقّى كريما، خبيرا بقدره عليما،

(١) أثبت في الهامش بخط آخر: "موهمة" وبجانبها "صح" وحرف خ
(٢) الجهام: من لا يكاد يملك شيئا
(٣) ص ١٠
(٤) أهضام: مفردها هِضمة وهي المطمئن من الأرض

وأنبّهك(١) بشيمة أهل الفضائل؛ إنّ الكرامة على قدر المنزَل عليه، لا على قدر النازل. وفي العموم؛ على قدر النازل، لا على قدر المنزَل عليه؛ فإنّه لا يعرف ما عند النازل، ويعرف ما لديه. ولا يحجبنك قول من قال: "أنزلوا الناس منازلهم" لمّا كنت بهم ولهم. فلو عاملَنا الحقُّ بهذه المعاملة؛ لم يصحّ بيننا وبينه مواصَلة.

* * *

ومِن ذلك: الوارد.. شاهد

-من الباب الرابع والسبعين ومائتين-

إنما شهد الوارد لشهود ما لديك؛ حين وَرَد عليك. فيما شَهِدَ شَهِد، وهو مسموع القول؛ فقابِله بالفضل، وكثرة البذل، وجزيل النَّيْل والطَّوْل. فإنّه لسان صدق في الأوّلين والآخرين، وهو عند السامعين من أصدق القائلين. فيقلَّد حين يَشهَد؛ فإن شَهد عند الحقّ؛ فما يتمكن له أن يَشهد إلّا بحقّ، وأُقعِد في مقعد صدق؛ لأنّه يَعلم منه أنّه يَعلم؛ فلا يتمكّن له أن يحيد في شهادته عن عِلمه أو يكتم. إن كان عامِرُ قلبِك عِلْمُك بربّك؛ فهو يتلقّاه، ويبادر إليه حين يلقاه، ومنه وَرَد، وعليه وَفَد. فما(٢) عليك لوم في ذلك اليوم، «الصدقة تقع في يد الرحمن» والسائلُ الإنسان.

* * *

ومِن ذلك: مَن تنفّس استراح.. كالصباح

-من الباب الخامس والسبعين ومائتين-

النفسُ وإن كانت لها المنزلةُ الرفيعة؛ فهي مقيَّدة بين الروح الكلّ والطبيعة. ولذا كان المزاج ذا أمشاج؛ فما لها سَراح ولا انفساح. فإذا نُسب إليها الانفساح والمجال؛ فما هو إلّا حصولها في حضرة الخيال. فتنقلب في الصوَر؛ كما يُدركها البصر، فيما يعطيه النظر. مثل ما تتنوّع الخواطر

(١) ص ١٠ب
(٢) ص ١١

عليه في هذه الدار؛ مع كونه تحت إحاطة هذه الأسوار. فأنّى للنفوس بالسَّراح، ومنتهى أعمالها إلى الضراح[1]؟ فلا تتعدّى في الانتهاء سدرةَ المنتهى. فهي بحيث عملها، لا بحيث أملها، إلى يوم البعث، عند ذلك تعلم ما حصل لها في الروع من النفث؛ عِلم شهود ووجود؛ فإنّ الأمر هناك مشهود. فما وقع به هنا الإيمان؛ حصّله هناك عن العِيان، ويجد الفَرق بين الأمرين؛ فإنّ الصباح لا يخفى على ذي عينين؛ فإنّه يميّز البَين من البَين.

ولَكِنْ[2] لِلْعَيـانِ لَطِيْفُ مَعْنَى　　　　لِذا سَأَلَ الْمُعايَنَةَ الكَلِيْمُ

* * *

ومِن ذلك: إشراق يُوح[3].. هو الروح

-من الباب السادس والسبعين ومائتين-

في الشكل المثلّث يُعرف مَن ثَلّث. وبما يحدث مِن رَمْيِ الشمسِ شعاعَها على الجسم الصقيل؛ يقع التمثيل. فلا شيء أشبه بالروح مما أعطته يُوح. هذا أَثَرُ خلْقٍ في خلْق؛ فما ظنّك بأثر الحقّ. ما حصّل الإنسانُ الكامل الإمامة؛ حتى كان علّامة، وأُعطِي العلامة، وكان الحقُّ أمامه. ولا يكون مِثْلَه؛ حتى يكون وجها كلَّه. فكلّه أَمَام؛ فهو الإمام؛ لا خَلْفَ يَحُدُّه؛ فقد انعدم ضِدُّه. فحيث ما تولّوا فثمّ وجهُ الله، صفة الحليم الأوّاه. ما سمّي بالخليل؛ إلّا بسلوكه سَواء السبيل، ولا قال في تمثيله: «المرء على دين خليله» إلّا لصورته، وقيامه في سُورته.

---

(١) الضراح: القبر
(٢) ص ١١ب
(٣) يوح: الشمس

ومِن ذلك: مراتب اليقين.. تبين في التلقين

-من الباب السابع والسبعين ومائتين-

لليقين مراتب في جميع المذاهب. فمن أُقيم في عِلمه؛ كان تحت سلطان حكمه، ومَن أُقيم في عينِه؛ أُتِيَ عليه مِن بَيْنِه، ومَن[١] أقيم في حقّه؛ فقد تميّز في خلقه. ولكلّ حقّ حقيقة أعطته الطريقة. فحقيقةُ الحقّ الشهود؛ فالحقُّ هو الإيمان في الوجود؛ فما كان غيبا صار عينا، وما فُرِض مقدَّرا عاد كونا. والحقُّ حقٌّ فلا بدّ له من حقيقة، والخلقُ حقٌّ فلا بدّ له من[٢] دقيقة. فحقيقةُ حقّ الحقّ أنتَ، ودقيقةُ حقِّ الخلق مَن عنه بِنْتَ. فالعالَم بين تنزيهٍ وتشبيه، والحقُّ بين تشبيهٍ وتنزيه، والبراءة في سورة براءة، والتنزيه في سورة الشورى؛ ولهذا شُرِع للإمام أن يجعل ما يريد إنفاذه في مُلْكه بين أصحابه شُورَى. خلافةُ عثمان كانت عن المشورة؛ فلذا وقعت تلك الصورة. فلو كانت عن تَوْلِيَةِ الماضي؛ ما وقع التقاضي، ولا حكمتْ فيه الأغراض؛ بما قام بها من الأمراض.

* * *

ومِن ذلك: خطابُ.. الأئمّة والأقطاب

-من الباب الثامن والسبعين ومائتين-

لا بدّ للسالك، حيث كان من المَسَالك، من الربّ الإله المالك، إذا تميّز في الممالك. فإن أبِقَ بالشرود، وتخيّل أنّه غايةُ الوجود؛ فما هو الوالي؛ لهذا التغالي. فانحطّ من أحسن تقويم، ونزل[٣] عن المقام الكريم؛ إلى أسفل سافلين، مع النازلين. فعندما نظر إلى عِلِّيّين؛ عرف رتبة العالين؛ فندم على ما فرّط، وتُرجى له العودة ما لم يَقنط. فإن قنط عند الأسف؛ فقد هلَك وتَلَف. الهبوط والصَّعود[٤]؛ للمتردّدين بين النزول والصُّعود ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ إلى قلبك ﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ

(١) ص ١٢

(٢) أضيف في الهامش بخط آخر، مع إشارة التصويب: "حقيقة وهي"

(٣) ص ١٢ب

(٤) الصَّعود: الطريق صاعدا، وهي بعكس الهَبوط

أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[1] وقد رفعك مكانا عليّا. فاسكن؛ فإنّك صاحبُ "كن".

* * *

ومِن ذلك: مِن عظيم السُّرى.. تنفح العِيس في البُرى

-من الباب التاسع والسبعين ومائتين-

مَن درى ما في السُّرَى من جزيل المنح؛ تمنّى أنّه لم يصبح. سؤال إلهيّ امتنانيّ، من عليّ رفيع الدرجات، إلى المتقلّبين في الدركات؛ فإنّ "الجنّة حُفّت بالمكاره وحُفّت النار بالشهوات". فكلّ واحدة حُفّت بالأخرى، جاءت بذلك الرسل تترى؛ فانبهم الأمر، وخفي السرّ.

رأى بعض أهل "الحديثَة"[2] وقد أوصل إلى نجم الدين بن شاي الموصلي حديثَه؛ أنّ معروف الكرخي في وسط النار، وما علم أنّه يتنعّم فيها نعيم الأبرار. فهالَه ذلك، وتخيّل فيه أنّه هالك؛ مع ما عنده[3] من تعظيمه بين القوم، وتنزيهه عمّا يستحقّ من اللوم. فمكان "معروفٍ" عينُ الجنّة، والنارُ التي رآها المكاشف عليه كالجُنَّة؛ وهي المجاهَدات التي كان عليها في حياته؛ فإنّ المَكاره من نعوت العارف وصفاته. فهو الخاشع في الأُولَى، والمحروم هو الخاشع في الأخرى. فتُستعار الصفات، وتنقلب الآفات. فربما سَمِع، وسُرِّي عنه بما به وعليه اطّلع.

* * *

ومِن ذلك: التنزيه.. تمويه

-من الباب الثمانين ومائتين-

إنّ الوُجُوْدَ لَأَكْوَانٌ وأَشْـــبــاهُ   فَلَا إِلَهَ لَنــا فِي الكَوْنِ إِلَّا هُوْ
جَـلَّ الإلهُ فَمــا يَحْظَى بِـهِ أَحَـدٌ   فَلَمْ يَقُـلْ عَـارِفٌ بِرَبِّـهِ مـا هُوْ

(١) [مريم: ٦٤]
(٢) حديثة الموصل (موضع)
(٣) ص ١٣

لله قَوْمٌ إذا حَفُّوا بِحَضْـــــــرَتِهِ يَبْغُوْنَ وُصْـــلَتَهُمْ بِـذَاتِـهِ تاهُوْ
قَـدْ مَوَّهَ القَوْمُ بِالتَّنْزِيْـهِ وَهْوَ هُمُ في كُلِّ حـالٍ فَعَيْنُ القَوْمِ عَيْنـاهُ
واللهِ[1]؛ ما وَلَدَ الرَّحْمَنُ مِنْ وَلَدٍ وَمـا لَهُ والِدٌ مـا ثَمَّ إلّا هُـوْ
وكُلُّ ما في وُجُوْدِ الكَوْنِ مِنْ وَلَدٍ ووَالِدٍ هُوَ في تَحْقِيْقِنـا مَـا هُوْ
دَلِيْلُنـا ما رَمَى بِالرَّمْـلِ حَيْنَ رَمَى محمدٌ وَهْوَ قَوْلِيْ مَا هُوْ إلّا هُوْ
فـالحمـد للهِ لا أَبْغِيْ بِـهِ بَـدَلًا لأنَّهُ لَيْسَ في الأَكْوانِ إلّا هُوْ[2]

* * *

ومِن ذلك: الهَوَى.. أَهْوَى

-من الباب الأحد والثمانين ومائتين-

لولا الهوى.. ما هَوَى، مَن هَوَى به كان الابتلاء؛

فإمّا إلى نزول وإمّا إلى اعتلاء،

وإمّا إلى نجاة وإمّا إلى شقاء

ليس العجب ممّن عرف، وإنما العجب ممن وقف، أو ناداه الحقُّ فتوقّف!. ما أَيَّهَ بأحَد إلّا ورد، ولا ورد إلّا مُنِح، ولا منح إلّا ليبتلى فيُفتضح. وذلك أنّه ادّعى المكلَّف ما ليس له، وفصل ما كان له أن يوصِله[3]؛ كلَّفه الحقّ ما كلَّفه، وعرَّفه ما[4] عرَّفَه. ولا يغنيه بعد تَقْرِير البَلوى؛ تَبَرُّؤُه من الدّعوى؛ ما قَوِيت أَمراسُه، وبقيت عليه أنفاسُه.

فإذا جاء الأجلُ المسمّى، وفُكّ المعمَّى وأبصر الأعمى؛ جاء التعريف، وزال التكليف، وبقي التصريف، وانتقل في صورة مثاليّة إلى حضرة خياليّة؛ أَبْصَر فيها ما قدَّم؛ فإمّا أن يَفْرَح أو يَهْتَم،

---

(١) ص ١٣ب
(٢) في الهامش: "بلغ قراءة وسماعا وعرضا على الشيخ المؤلف أيده الله".
(٣) أثبت في الهامش بخط آخر مع إشارة التصويب: أن يصِله
(٤) ص ١٤

وكان ما كان؛ فلا بدّ أن يَنْدَم. وكيف لا يندم، والجدار قد تهدّم، وقَتل الغلامَ صاحِبُ السكينة والرتبة المكينة[١]؛ لمّا خَرق السفينة. نَدِمَ الواحدُ كيف لم يبذل الاستطاعة، ونَدِمَ الآخرُ على تفريطه ومفارقة الجماعة. فأهواه في الهاوية ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ. نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾[٢] ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ. وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ. يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ. مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ. هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾[٣].

وأمّا الذي لم يبذل الاستطاعة، ولكنّه مع الجماعة ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ. إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾[٤] قال الرقيب، وهو القول العجيب: ﴿هُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ. قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ﴾[٥] فإذا النداء من سميع الدعاء: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾[٦] يعني أيّام الصوم، وهو مذهب القوم.

* * *

ومِن[٧] ذلك: فَكُّ المعمّى.. والأجل المسمّى

-من الباب الثاني والثمانين ومائتين-

مَن فرّق بين الفاتح والناصر والظهير؛ فقد عرف حقائق مراتب الأمور. الناصر بما قذفه مِن رغبة في قلبه، وبالدَّبور والصَّبا[٨] على مَن تمرّد وأبى، والظهير معين، والفاتح يبين. فإذا استُعين أعان؛ فهو المستعان. وإذا فتح أوضح، وأعطى جزيل المنح. الفاتح صاحب الرحمة ومُسبِغ النعمة، والناصر قاذِف، في قلب العارف؛ ما شاء من العوارف، في المعارف. والظهير خبير، بمن هو له نصير. فإذا شاهد الوفود، وتعمّر الوجود، وتحقّق العابد والمعبود، وتبيّن المسوَّد والمسود؛ طلب

(١) المكينة: يشير إلى الخضر عليه السلام في قصته مع موسى عليه السلام الواردة في سورة الكهف.
(٢) [القارعة: ١٠ ، ١١]
(٣) [الحاقة: ٢٥ - ٢٩]
(٤) [الحاقة: ١٩ ، ٢٠]
(٥) [الحاقة: ٢١ - ٢٣]
(٦) [الحاقة: ٢٤]
(٧) ص ١٤ب
(٨) الدبور والصبا: الدبور: ريح تهب من ناحية المغرب، والصبا تقابلها من ناحية المشرق.

الستر بالتنزيه؛ فأسدل الحجب بالتشبيه. فعنه كان الصدور بما قرّر في الصدور، وإليه كان الورود في طلب المزيد.

* * *

ومِن ذلك: عبادةُ الوثن.. قَمَن[١]

-من الباب الثالث والثمانين ومائتين-

حقيق على الخلق أن لا يعبدوا إلّا ما اعتقدوه من الحقّ. فما عُبِد إلّا مخلوق؛ ولهذا توجّهت عليه الحقوق. ﴿أَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ[٢] بِعَهۡدِكُمۡ﴾[٣] فالكلُّ من عندكم، والدليل "الله أكبر" إلى تحوُّله في الصوَر. فلولا تحقّق العلامة في يوم القيامة؛ ما عرف أحد عَلّامَه. فيوم النشور هو المعروف المنكور. كلُّ معتقِدٍ مخالِفٌ مَن خالفه، وموافِقٌ مَن واققَه[٤]؛ فما ثَمّ إلّا عابد وثن، وهو الحافظ له والمؤتمن. فانظر ما أعجب هذا الأمر، وما أوضح هذا السرّ. كيف عاد المحفوظ حافظا، وأضحى لِمُعتقَدِ غيره لافِظا؛ وهو هو لا غيرُه، وقد جُهِل أمره. فوقع التبرّي، وحصل التعرّي، وتجرَّد اللابس، وعُتِب السائس؛ فهو الفقير البائس.

* * *

ومِن ذلك: حوض مورود.. ومقام محمود

-من الباب الرابع والثمانين ومائتين-

العلوم محصورة في الإجمال، غير متناهية التفصيل عند الرجال. وما عند الله مجمَل؛ فالكلّ مفصَّل. وما ثَمّ كلّ؛ فعلى التفصيل التوكّل. الشاربون يقسِّمون المشروب فيتعدّد، وهو واحد فما هو من العدد. الأواني مغاني المعاني؛ فالحروف ظروف، وهو المعروف. حرفٌ جاء لمعنى؛ فثبت

---

(١) قمن: خليق وجدير.
(٢) ص ١٥
(٣) [البقرة: ٤٠]
(٤) س، هـ: وافقه

أنّه مغنى. قالَه[1] صاحب العربيّة، الخائض في[2] المسائل النحويّة. وفصل بينها وبين حروف الهجاء، وجعلها أدواتٌ لما هي عليه من الالتجاء؛ فتجمع بين الأحداث والأعيان الظاهرة في الأكوان.

* * *

ومِن ذلك: قَهْر الأيتام.. أخلاق اللئام

-من الباب الخامس والثمانين ومائتين-

الجدار مائل؛ فلا تقهر اليتيم، ولا تنهر السائل. فإنّه إن وقع الجدار؛ ظهر كنز الأيتام الصغار؛ فتحكمت فيه يد الأغيار، وبقي الأيتام الصغار من الفقر في ذلّة وصَغار. لا تُباح الأسرار إلّا للأمناء الكبار، القادرين على الاكتساب، والرافعين للحجاب، أهل الاستقلال بجمع الأموال، ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾[3] اتّسعَ لهم المجال. فإذا جمع فأوعَى، وأعطى فما وعى، ودعا وما أجاب الداعي وإن سَمع الدعاء.

وفكّر في نفسه أنّه ما ألحق المال حين اكتنزه برمسِه، وما بكى في يومه لما فاته في أمسِه؛ إلّا لفقر حكم عليه، مع الكثر[4] الذي في يديه. فعلِم أنّ الغِنى ما هو كثرة العرَض؛ وإنما هو في النفس لمن فهِم الغرَض. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾[5]، والنشأة هي عينُها؛ ولهذا قيل: ﴿فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾[6]. وهو قولهم بإخبار الحقّ المبين وقول الله: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي[7] مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[8].

(١) هناك نقطة فوق الهاء وربما كان المراد فيها: قالَة
(٢) ص ١٥ب
(٣) [الأعراف: ٤٦]
(٤) س: الكنز
(٥) [الأنفال: ٦٧]
(٦) [النازعات: ١٠]
(٧) ص ١٦
(٨) [الواقعة: ٦١ ، ٦٢]

ومِن ذلك: التآلُف.. من التصرّف

-من الباب السادس والثمانين ومائتين-

هِيَ الأُلْـفَـةُ الَّـتِيْ أُلْفَـةُ العَبْـدِ بِالإِلَهِ
وبِهـا كَـوْنُ قُـوَّتِيْ مَـا لَها غَيْرُ وُجْهَتِي
حِكْمَـةَ الحَقِّ حِكْمَتِيْ فانْظُرُوا فِيَّ تُبْصِرُوا
فَتُكَـذِّبْـكَ نَشْــأَتِيْ لَا تَـقُـلْ بِاتِّحـادِنا
فَهْوَ بِالشَّرْعِ قِبْلَتِيْ أَنا إِنْ كُنْتُ بَيْتَهُ

التآلُف وِصال، ولا يكون إلّا بالتناسب في جميع المذاهب. وقد أَحضرَنا لديه، وجمعَنا في الصلاة عليه. فأُكَلِّمُه به وبي؛ فيردّ عليّ بي. فأقول: ليس هذا مذهبي. فيقول: ما ثمّ إلّا ما سمعت، فلا يغرّنّك كونك جُمِعْت. ثمّ قال: ارحل، ولا تكن ممن أقام وَحَل؛ فإنّه ما ثَمّ إقامة، لا هنا ولا في القيامة.

* * *

ومِن ذلك: الاعتبار.. لأُولي الأبصار

-من الباب السابع والثمانين ومائتين-

الجَنَفُ والحَيْف، في الكمِّ والكيف، إلّا لمن سكن الخيف. مَن[1] سكن خيف مِنى؛ بلغ المُنى. لا تسكن إلّا السهل؛ إن أردتَ أن تكون من الأهل. لا تدخل بين الله وبين عباده، ولا تَسعَ عنده في خراب بلاده. هم على كلّ حال عبادُه، وقلوبهم بلادُه. ما وَسِعه سِواها، وما حوته ولا حواها. ولكن نُكَتٌ تُسمع، وعلوم مفترقه تُجْمَع. قل كما قال العبد الصالح، صاحبُ العقل الراجح: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2] انظر في هذا الأدب النبويّ؛

(١) ص ١٦ب
(٢) [المائدة: ١١٨]

أين هو مما نسب إليه من النعت البنويّ؟ ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[1] حتى أكون من الكاذبين. هو عينُ روح الله وكلمته، ونفخ روحه وابن أَمَته. ما بينه وبين ربّه سِوَى النَّسب العام، الموجود لأهل الخصوص من الأنام؛ وهو التّقوى، لا أمر زائد في غير واحد.

* * *

ومِن ذلك: ما لي.. والوالي

-من الباب الثامن والثمانين ومائتين-[2]

لا تقل ما لي وللوالي؛ إذا دُعيت إليه لا تُبال. هو الحكم الفاصل، المنصف العادل. فإن خِفت من الإنصاف؛ فعليك بالاعتراف، وطلب العفو من الخصم في مجلس الحكم؛ فإنّه[3] ألّد الخصام؛ فاستعِن بالعاصم يا عصام. فيكون الحاكم بينكما واسطةُ خير، وواقية ضَير. فقد ورد عن الرسول مالك الإمامة: «إنّ الله يصلح بين عباده يوم القيامة» ولهذا قلنا: ما شرع الله الشرائع إلّا للمصالح والمنافع. مَن سعى في الصلح بين الكفر والإيمان؛ فهو ساعٍ بين العصاة والرحمن، لا سيما إن وقع النزاع في العقائد، وانتهوا في ذلك إلى إثبات الزائد؛ المسمّى شريكا، والمتَّخَذ مليكا. فإن أُرِيت أنّ الشريك ما هو ثَمّ، وأنّ أمره عدَم، وفرّقتَ بين ما يستحقّه الحدوث والقِدم؛ كنتَ من أهل الكرم والهِمم.

* * *

ومِن ذلك: الضِّيق.. في التحقيق

-من الباب التاسع والثمانين ومائتين-

أعظمُ الاتّصال؛ دخول الظلال في الظلال. إذا كثرت الأنوار وتعدّدتْ؛ طلب كلّ نور ظِلّا فتمدّدتْ، وهذا مِن خفيّ الأسرار، أعنى امتداد الظلال عن كثرة الأنوار. لهذا اختلفت الأسماء،

(١) [البقرة: ٦٧]
(٢) من هنا بدأ خطأ آخر في الترقيم حيث رجح هذا لمقابلة الباب السابع والثمانين ومائتين، واستمر بعد ذلك في التسلسل وفقه
(٣) ص ١٧

وكان لكلّ اسمٍ مسمّى؛ مع أحديّة العين والكون. وهو الذي دعا مَن دعا إلى القول بالشريك في التمليك ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ[1] فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[2] وهو المقام الأسنى. فقد أتى بالاسمين، وأتى بـ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾[3] مع اختلاف المعنى في الأسماء الحسنى. فأثبت ونفى، وأمرض وشفى؛ فمِنّا مَن سَلِم، ومِنّا من هو على شَفا. فمن لزِم الحقّ؛ فقد لزم الصبر، ولا يكون هذا إلّا لمن عرف الأمر، الكلّ في عين التلف؛ مَن جَهِل ومَن عَرف، وما نجا إلّا مَن وقف. فالناجي مَن سمع ولم يتكلّم، وأجاب إلى ما دعي إليه؛ فذلك الذي لا يندم.

* * *

ومِن ذلك: مَن زار الصامِت.. زاره الصامت[4]

-من الباب التسعين ومائتين-

وعظَنا الصامت؛ فما أصغينا إليه، وتحبَّبَ إلينا الصامت؛ فاعتكفنا عليه. فمَلِكُ أزمّة القلوب، وأعمانا عن إدراك الغيوب. ووعظَنا الناطق بما نطق به من الحقائق؛ فآمنّا به، وعرجنا عن مذهبه. فسمعنا وعصينا، وأَمَرْنا ونهينا؛ كأنّا ولاة الأمر، وأرباب الرداء الغَمْر، ونسِينا أَمرَه إيّانا ونهيَه، ورُشْدَ السامع وَغيَّه؛ فَحُجِبنا بحبِّ التقدّم والرئاسة عن تمشية[5] ما تقتضيها السياسة. فإذا جاء الموت، وتيقنّا بالفَوت؛ طلبنا حسنَ المآب بالمتاب. فلم تُقبل توبة، ولا غُفِرت حوبة، ومُتنا على ما كنّا عليه، وحُشِرنا على ما عليه متنا، كما نصبح على ما عليه بِتْنا. "تركتُ فيكم واعِظَيْن: صامت وناطق. فالصامت الموت، والناطق القرآن" هكذا قال صاحب الحقِّ الترجمان.

(١) ص ١٧ب
(٢) [الإسراء: ١١٠]
(٣) [النحل: ٥١]
(٤) ق: الضامت
(٥) ص ١٨

ومِن ذلك: النقص والرجحان.. في الميزان

-من الباب الأحد والتسعين ومائتين-

اغتنم حياةً لست فيها بهالِك، ودارا أنت فيها مالِك. ميزانُك فيها موضوع، وكلامُك مسموع، وأُذنك واعية، ومواعظك داعية، وأنفاسُك باقية، وأعمالك الخيرات واقية. فنَوِّر بيتَك المظلِم، وأَوضِح سِرَّك المبهَم؛ ما دامت أركانُ بيتك غير واهية، قبل أن تحصل في الهاوية. إن تفرَّقَتْ همومُك؛ أعرَض عنك قيّومُك. وإن وَهَنَت قُواك؛ أمدّك به وقَوَّاك، وأَعلمَك أنّه ما جنى عليك سِواك. فلا[1] تغفل عن نفسك؛ فقد أَطلع لك بارقةً من شمسِك، وقد جعل النهار معاشا، والأعمال رياشا. فعليك بالاشتغال، والتزيُّن بأحسن الأعمال، واحذر من زينة الدنيا والشيطان، وعليك بزينة الله المنصوص عليها في القرآن.

* * *

ومِن ذلك: أَطلَق الغارة.. مَن أثاره

-من الباب الثاني والتسعين ومائتين-

ظهر في الإنسان الضدّان؛ ففيه الأولياء، كما فيه الأعداء. فلا تزال السياسات تُسَنّ، والغارات تُشَنّ. فَهُم بين قتيل وأسير، وحسن مآب وبئس مصير. كشفتِ الحرب فيه عن ساقِها، وظهرت الفتن في جميع آفاقها. فآفاتٌ تَرِد، ورزايا تُعَد. تصرُّفاته محدودة، وأنفاسه عليه معدودة. عليه رقيب عتيد، وسائق وشهيد. لم يزل مذ خلقَه الله في التوكيل، وشرع له أن يقول: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[2] لينقلب "بنعمة من الله ورضوان" إلى دار الحيوان، "لم يمسسه سوء" ولا بؤس، ويلقاه عند وروده عليه[3] السبّوح القدّوس، ويتلقّاه عمله بوجه طلْق غير عَبوس. فأَتَمّ تنزيهه وتطهيره، وأعاد عليه تعزيره وتوقيره؛ فهو يجني ثمرة عملِه في رياض أمَلِه.

---

(١) ص ١٨ب
(٢) [آل عمران: ١٧٣]
(٣) ص ١٩

ومِن ذلك: الدليل.. في حركة الثقيل

-من الباب الثالث والتسعين ومائتين-

الأمر دليل[1] من أجل حركة الثقيل. لا يتحرّك إلّا عن أمر مهمّ، وخطبٍ مُلِمّ. كزلزلة الساعة المذهلة عن الرضاعة؛ مع الحبّ المفرط في الولد، ولا يلوي أحد على أحد. وقد ذهب بعض الأوائل؛ أنّ العالَم أبدا نازل، يطلب بنزوله مَن أوجده حين وحَّده. والحقُّ لا يُنتهى إليه؛ فمِن أوّل حركة كان ينبغي أن يعتكف عليه. لأنّه جَلَّ أن تقطع إليه المسافات المحقَّقة؛ فكيف المتوهّمة؟! رسوم معلَّمة، وأسرار مكتّمة، بيوت مظلِمَة، وألسنةٌ غير مفْهِمَة. لأنّ الخيال يخيّل[2] العلم به والمقال؛ فأين تذهبون، أو ما ذا تطلبون؟ يقول العارف لأبي يزيد: "الذي تطلُبه تركتَه ببسطام"؛ فدلّه على المقام. فإنّ[3] العبدَ يُسارُ به في حال إقامتِه؛ إمّا إلى دار إهانتِه، وإمّا إلى دار كرامتِه.

* * *

ومِن ذلك: عدم الكون.. في ظهور العين

-من الباب الرابع والتسعين ومائتين-

شَقّتِ الكافُ غزالةَ السماء، وذلك بعد صلاة العِشاء، وأنا في حال فناء. وما نقَص جِرمها، والكاف ما رَبَا جِسمُها. فقلتُ: صدَق مَن سقط على الخبير، في إيراد الكبير على الصغير؛ من غير أن يوسِّع الضيّق، أو يضيِّق الواسع. وهذا المقام الذي هو للأضداد جامع؛ نصَّ عليه ذو النون. فوافقتُه؛ وإن لم أكن قبل هذا عقِلتُه. فشكرتُ الله على شهوده، وما منحه العبد من العلم بوجوده. فهو العينُ الطالعة في كاف الكون، لذلك قلنا في أعيان الممكِنات: إنّها مظاهر الأسماء الإلهيّات. ولِثبوت الكاف في حال الطلوع؛ قلنا بثبوت أعيان المحدَثات. فلولا التوجّهات ما ظهرت الكائنات، ما ألذّها من مسألة عند مَن شَهِدها ووجَدَها.

(١) رسمها يقترب من: "جليل" وهي كذلك في س، هـ
(٢) س: يحيل
(٣) ص ١٩ب

ومِن[1] ذلك: ما شاهد قدر المنزِلة.. إلّا مَن أرسلَه

-من الباب الخامس والتسعين ومائتين-

العبد محلُّ التحلّي، والليل زمان التجلّي. وما ثَمّ إلّا هيكلك؛ فهو ليله المظلم؛ فنوّره يجلّيه، وصيّره الرداء المعْلمَ تحلّيه[2]. ولمّا نزل إلى فرشِه، والملائكة حافّون من حول عرشِه؛ سجد له القلب إلى الأبد، وما رفع رأسَه بعد ما سجد. لذلك جعل السجود قُرْبة، وخصّ به مَن أَحبَّه. والمتكبّرُ ساجدٌ وإن تكبَّر، كما هو واحدٌ وإن تكثَّر. فإنّ رتبتَه تعطيه، فلا تُحجب بما تراه من تعاطيه. تلك أغاليط النفوس، والحجاب المحسوس.

فلمّا انفجر عمود صبح الروح، وهو رسول يُوح؛ أزال التُّهَم، ونَفَّر الظُّلَم، وتجلّى الكيف والكمّ. وكم تجلّى له من مثل هذا وهو لا يَعْلَم؛ لمّا جَبُنَت السريرة، وأعمى الله البصيرة؛ جهِلت الصورة، وضَرب الحقُّ سورَهُ على السورة. فلمّا وقع الالتباس؛ تفاضل الناس.

* * *

ومِن[3] ذلك: الحِكم.. في اللوح والقلم

-من الباب السادس والتسعين ومائتين-

طلب اللوحُ مِن عِلّته مَن يُشفيه؛ فشفاه القلم بما أودعه فيه؛ فهو ميدان العلوم، ومَحَلّ الرسوم. العلوم فيه مفصّلة، وقد كانت في القلم مجمَلة. وما فصَّلها القلم، ولا كان ممن علم؛ وإنما اليمين حرّكَتْه لتفصيل المجمَل، وفتح الباب المقفل. فليس من نعوت الكمال أن يكون في علم الله إجمال، والإجمال في المعاني محال، ومحَلُّ الإجمال الألفاظُ والأقوال. فإذا جَعل قولَ عبدِه قولَه؛ اتّصف عند ذلك بالإجمال، وكان من نعوت الكمال. فلكلِّ مقام مقال، ولكلّ علم رجال. فكمالُ العارف عِلْمُه بتفصيل المعارف. ومَن أجمل فما هو من الكُمَّل؛ إلّا أن يقصد ذلك لقرينة حال؛ فله في ذلك مجال. فهو

(١) ص ٢٠
(٢) صحّفت ويمكن قراءتها في ق: "بتحلّيه" وهي كذلك في س
(٣) ص ٢٠ب

مفصَّلٌ عنده في حال إجماله، وهو عين كماله.

*　*　*

ومِن ذلك: عِلْم النبيّ.. الأميّ

-من الباب ...-

رسولُ[(١)] الوارثِ النبيُّ، ورسولُ النبيّ الروحُ الملَكيُّ، ولأهل الاختصاص الوحيُ الإلهيّ من الوجه الخاص، وهو في العموم؛ لكن لا تبلغه الفهوم. فما مِن شخص إلّا والحقُّ يخاطبه به منه، ويُحَدِّث به عنه؛ فيقول: "خطر لي كذا" ولا يدري من أين؛ لجهله بالعين. وما فاز أهلُ الله إلّا بشهوده، لا بوجوده. العِلْمُ كلّه واحد، وإن اختلفت المآخِذ وتنوّعت المقاصد. عَلَّمَ الحقُّ مَن شاء من عباده من لدنه علما، وآتاه رحمة من عنده فأعطته الرحمة حُكما. فتوسّط الثَّبَج، وتحكّم في المُهَج. فأنكر عليه التابع؛ فحلّ ما ربَط، وأزال ما اشترط. فجهل منصبه، ولم يعرف نسَبه. نعم عَلِمَ ما به حُبِي؛ لكن نُسِّي فنسي[(٢)].

فمنازلُ الأفراد؛ في خرق المعتاد. فأمورهم خارجة عن أحكام الرسل، وحائدة عمّا شرعوه من السُّبُل، وهم في السُّبُل، كالخضر وموسى الكليم، وقول هود عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(٣)].

*　*　*

ومِن[(٤)] ذلك: غلق[(٥)] الصدور.. في الصدور

-من الباب الثامن والتسعين ومائتين-

لولا الصدور؛ ما عمِيت القلوب التي في الصدور. ويحقّ لها أن تعمَى؛ لأنّها مأمورة بفكّ

(١) ص ٢١
(٢) "نسِّي فنسي" أثبتت في الهامش بقلم الأصل، وكانت في المتن: "نسِي كما نسي"
(٣) [هود: ٥٦]
(٤) ص ٢١ب
(٥) الحروف المعجمة مهملة في ق

المعمّى، وقيّدت بالأجل المسمّى. وكانت في حضرةٍ سارحة، والأمور عندها واضحة، أعطاها ذلك الورود.. على الوجود. فقال لها الحقّ: بِضاعتك رددتُ إليك، وما نزلت بك إلّا عليك، هذه مِنحك التي أعطيتنيها، وعلومك التي خوّلتنيها. فما أعماك سِواك، وأنا المنزّه عن هذا وذاك. أنا الغنيّ عن عينِك، وأنت الفقير إليّ في كونك. فلمّا صدرتَ عنّي بكونك، ولم تشهدني في عينك؛ عَمِيْتَ في صدورك عمّن أوجدَك، ولو أَشهدك. فإنّ شهود الحقّ لا ينضبط، مع أنّه مع العالَم مرتبط. وهذه المسألة من أغمض المسائل على السائل؛ لا بظهوره في كوني، ولا بِغناه عن عيني، فعلى ما نُعَوِّلُ فيه.

* * *

ومِن ذلك: يُدي الأسرارَ.. صدر النهار

-من الباب التاسع والتسعين ومائتين-

صدورُ[1] المجالس حيثُ كان الرؤساء، والرئيسُ الكبيرُ مَن تَحْكُمُ بأحوالها عليه الجُلَساء. فهو، وإن كان معدنَ النفوس، الرئيسُ المرءوس. ألا ترى إلى الحقّ ما له تصرُّف إلّا في شئون الخلق؛ فيؤتي المُلك من يشاء، وينزع المُلك ممن يشاء، ويُعِزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء. فَيُتخيّل أنّ المشيئةَ هنا ضميرُها الرحمن، وما ضميرُها إلّا "مَن" وهو عينُ الأكوان. لأنّا قد قرّرنا فيما مضى؛ أنّ الذي كانوا عليه في ثبوتهم هو عين القضاء. فالكونُ أعطاه العزلَ والولاية، والعزَّ والذلَّ والرشدَ والغواية؛ فحكم عليه بما أعطاه؛ فما قسط ولا جار؛ فإنّه نعم الحاكم والجار. للحاكم التقاضي، والحكم الماضي في الخصم؛ للخصم، لا للقاضي. فالخصمُ في التحقيق عينُ القاضي، فافهم.

(١) ص ٢٢

ومِن ذلك: النَّيْل.. لأهل الليل

-من الباب الثلاث مائة-

ما ظهرتْ قدرةُ الحيّ القيّوم؛ إلّا في إنشاء الجسوم. وما ثَمّ إلّا رسْم؛ فما ثَمّ إلّا جسْم. لكن الأجسام مختلفة النظام؛ فمنها الأرواح اللطائف، ومنها الأشباح الكثائف. وما[1] عدا الحقّ الذي هو المنهاج؛ فهو امتزاج وأمشاج. والصفاتُ والأعراضُ تَوابع لهذا الجسم الجامع؛ فإنّه مَرْكَب، والمَرْكَب مُرَكَّب. ومن أراد العلم بصورة الحال؛ فليحقِّق علم الخيال. فبه ظهرت القدرة، وهو الذي أنار بدرَه. فلا ينقلب إلّا في الصور، ولا يظهر إلّا في مقام البشر. ولست أعني بالبشر الأناسِي؛ فإنّي كنت أشهد على نفسي بإفلاسي. وأنا عالِم زماني؛ لِعِلمي بالأواني. فما ثَمّ إلّا وِعاء وآنية مِلاء. فتدبّر تتبصّر.

* * *

ومِن ذلك: الهمس.. في مراعاة الشمس

-من الباب الحادي وثلاث مائة-

﴿خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[2] لمّا ﴿دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا﴾[3] ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾[4] فـ﴿إِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ المبين ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[5] فإنّه ما جاء بالكلام إلّا للإفهام. فإذا خالج السامعُ القارئَ في قراءته؛ فقد شهد من الفهم ببراءته، وأساء الأدب؛ واسخط اللهَ فغضب. ومن غضِب اللهُ عليه فقد عطب. يقول ﷺ: «أيّكم خالَجَنِيها» و«ما لي أنازَع القرآن» وأيُّ[6] برهان أعظم من هذا البرهان. الرسول حاز الآداب، وجاء بالكتاب، وخاطب أُولي الألباب، وما خصّ أعداءً من أحباب؛ بل عمّ الخطاب؛ فمنّا من أصاب، ومنّا

(١) ص ٢٢ب
(٢) [طه: ١٠٨]
(٣) [الفجر: ٢١]
(٤) [الواقعة: ٥]
(٥) [الأعراف: ٢٠٤]
(٦) ص ٢٣

المصاب. كلّ مَن علم ما لم يعلم؛ فهو ملهَم. فالوحي شامل، ينزل على الناقص والكامل، أَيسرُهُ اللمّة، وما همّ به مما أهمّه.

* * *

ومِن ذلك: الجنين في كَبَد.. إلى أن يُولَد

-من الباب الثاني وثلاث مائة-

الجنين في ظلمة غمِّه؛ ما دام في بطن أُمِّه. يتحكّم فيه مَن طعن في أبيه[١]؛ خدمَه، وأقامه حَرَمَه؛ ليجبر بذلك صدع ما وقع منه، فيعفو مَن بُغي عليه عنه. ومع أنّه في المقام الأوسع؛ فما أودع فيه سِوَى أربع؛ لأنّه مُرَكّب من أربع. فأودعه الرزق والأجل، والرتبة والعمل. كلّ قسم لواحدٍ من أخلاطه، أقامه لفسطاطه.

فلمّا علمَ الجنينُ أنّه محلّ كلّ زوج بهيج، وأنّه في أمر مريج؛ أراد الخروجَ بطلب الصعود والعروج. فأخرجه على الفطرة التي كان عليها أَوّلَ مرّةٍ، مِن قَبْلِ أن يُقذف في الرحم لمّا عُصِم ورُحِم. فجعل له[٢] عينين، ولسانا وشفتين، وهداه النجدين، وعرف لِمَا خُلِق، وانتهض تابعا مَن تقدّم فلحِق؛ فـ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ فله منزل السرور ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٣] فله سوء المصير والثبور.

* * *

ومِن ذلك: القسَم.. بالأُم

-من الباب الثالث وثلاث مائة-

لولا أنّ الشرف عمّ، وإليه ترجع الأمر؛ ما أَقسمَ الحقُّ بالوجود والعدم. فأقسَمَ ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ. وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾[٤]؛ إظهارًا لعلوّ مرتبة المقسَم به ولكن لا تشعرون. فالأشقياء سُعداء، وإن كانوا

---

(١) المقصود بهم هنا الملائكة الذين طعنوا في آدم عليه السلام حين أخبرهم الحق عز وجل أنه جاعل في الأرض خليفة..
(٢) ص ٢٣ب
(٣) [الإنسان: ٣]
(٤) [الحاقة: ٣٨ ، ٣٩]

بُعداء. فهو البعيد القريب، والجنيب الحبيب. فالشقيّ شقيّ في بطن أُمّه؛ لما هو عليه من غمّه. والسعيد سعيد في بطن أُمّه؛ لما خصّه به مِن عِلمه. فلقد رأيتُ من شَمَّتَ أُمَّه وهو في بطنها حين عطَسَت وحمدت، فعندما سمعتْ ذلك التشميت من جوفها سُرَّت فسجدتْ. فهذا واحد ممن خصّه الله بعلمه في بطن أُمّه. فمن احتجّ بقوله: ﴿أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[1] فذلك مثل مَن رُدَّ إلى أرذل العمر ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ﴾[2]. وما يلزم العالِمَ حضورُه دائمًا مع علمه؛ فهكذا حال الجنين إذا خرج من بطن أُمّه.

* * *

ومِن[3] ذلك: استعارة الصفات.. وأين هي آفات

-من الباب الرابع وثلاث مائة-

لا يقتحم المكارِه إلّا الشجاع الفارِه، ولا يعرف منزلتَها إلّا مَن جنى ثمرتها. ما عند العارف ما يكره فلا تموّه. الحقُّ ﴿لَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[4] وهذا عين الغفر. في إسبال الستور الجهلُ بالأمور. الأبصار تخرُق الأستار، ولهذا شُرِع الاعتبار ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[5] والستر مُسْدَل، والباب مقفَل، والعطاء مُسْبَل. فما نَفَع حجاب، ولا مَنَع باب. بصرُ الاعتبار؛ لا يقف له شيء من الأستار. تظنّ أنّك في حجاب عن أعين الأحباب؛ لما ترى من الأستار والحجّاب؛ وأنت منظور إليك، محاط بما في يديك. فالزمْ شأنك، واحفظ عليك لسانك.

* * *

ومِن ذلك: تنزيه الأسماء.. من غير تعرُّض للمسمّى

-من الباب الخامس وثلاث مائة-

تجلّى العظيم في الركوع لأنّه برزخ الجميع، وتجلّى العليُّ في السجود لما يعطيه من التمييز والحدود.

---

(١) [النحل: ٧٨]
(٢) [الحج: ٥]
(٣) ص ٢٤
(٤) [الزمر: ٧]
(٥) [آل عمران: ١٣]

ما هو العليُّ[1] وإنما هو الأعلى، والأمر مفاضلة والمفاضلة أَوْلَى؛ أعطتْ ذلك الصورة الحاكمة والنشأة القائمة. بالأسماء تعدّدت النِّعم؛ لأنّها حضرة الكرم. إذا كان الحقُّ يصلّي فَمن المتجلّي. «قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي» لِعهده وعهدي؛ فما يقول إلّا قُلْتُ، ولا يسأل إلّا أَجبتُ. العبدُ قِبلة الحقّ، والحقّ في قِبلة العبد. الصلاة حكم واحد؛ في الغائب والشاهد. الصوم له والصلاة مقسومة، والحجُّ أذكاره المعلومة. يأخذ الصدقة فيربّيها؛ رحمةً بمن ولدها لقيامه فيها؛ فإنّ "قلبَ كلِّ إنسان حيث جعل مالَه"؛ فإذا نظر إليه فلا يقلّ ماله. فَمن نظر إلى صدقته؛ نظر إلى ربّه بحقيقته؛ فهو للعارف العابد شهادة في كلّ عبادة.

* * *

ومِن ذلك: الآتي ليلا.. يبتغي نَيْلا

-من الباب السادس وثلاث مائة-

«أهل القرآن هم أهل الله وخاصّته» من عباده. اختصّهم بكلامه لمناجاته؛ حتى لا ينطقون إلّا بما نطق؛ فلا يتكلّمون إلّا بحقّ. قديم ظهَر بصورة محدَث لمّا حدث؛ فلا يأتيهم -تعالى-[2] إلّا في الثلث الباقي من الليل؛ ليمنحهم جزيل العطايا فيما يخصُّهم به من النَّيل. وقد نهى أن يأتي المسافرُ أهلَه ليلا، وأن يَجُرّ للكرم إن فعله على ذلك ذَيْلا. فطلبنا في ذلك على الحكمة الغريبة، فعَرَض بامتشاط الشعثة واستحداد المغيبة، وأعرض عمّا تسبق إليه الأوهام الحديثة من الأفعال الخبيثة. ومَن فهِم ذلك من النفوس الأفاضل، المنزَّهين عن الرذائل، قال: ابتغاء الستر، وإبقاء لجميل الذِّكْر. ولذلك نطق رسوله ﷺ فأَمر: «مَن بُلي منكم بهذه القاذورة فليستتر».

---

(١) ص ٢٤ب

(٢) ص ٢٥

ومِن ذلك: الوجود.. في الشاهد والمشهود

-من الباب السابع وثلاث مائة-

لا يعرف الوجود إلّا أهل الشهود. العين تُثبت العين، العجب كلّ العجب عند أهل العلم والأدب: رؤيةُ الحقِ في القِدَم أعيانًا أحوالُهم العَدَم، يميّزهم بأعيانهم في تلك الحال؛ لا تفصيل حدود، بل تفصيل رؤية الموجود. فإذا أبرزهم إلى وجودهم؛ تميّزوا في الأعيان بحدودهم. انظر وحقّق؛ وحقِق ما أُنبّهك عليه واسْبُرْ. أَوجد[1] الله في عالم الدنيا؛ الكشف والرؤيا، فيرى الأمور التي لا وجود لها في عينها قبل كونها، ويَرى الساعةَ في مجلاها، ويرى الحقَّ يحكم فيها بين عباده حين جلّاها. وما ثَمّ ساعةٌ وُجدت، ولا حالة مما رآها شُهِدت، فتوجد بعد ذلك في مَرآها كما رآها. فإن تفطّنْتَ فقد رميتُ بك على الطريق، وهذا منهج التحقيق. فاسْلُك عليه، وكن مُطْرِقا بين يديه.

* * *

ومِن ذلك: الخروج عن الطباق.. بالأطباق

-من الباب الثامن وثلاث مائة-

الأحوال التي عليها الخلق هي عينُ شئون الحقّ، ومِن أحوالهم أعيانُهم، فمِن شئونهم أكوانُهم. فما لك لا تؤمن بما ترى، وتعلم أنّ الله يرى. يراك في حال عدمك، وثبوت قدمِك. أنت لنفسك، وهو لنفسه، ما أنت معه كبدره مع شمسِه. وأنت معه كذلك، نبَّه عليه بقوله -تعالى-: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ﴾[2] ففكِّر فيما قال لك؛ تعرِف مَن هلَك؛ هل هلَك من البدر إلّا نُورُه لا عينُه، وبقيتْ ذاتُه وكونُه، وموقع الشبهة في قوله: ﴿إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ فقد كان ذا نور فأظلم، واستترت[3] الأشياء حين أعتم، فقال مع عِلمه بالخبر: ﴿خَسَفَ ٱلۡقَمَرُ﴾[4] وعينُ القمر هو الظاهر في الكسوفين،

(١) ص ٢٥ب

(٢) [القصص: ٨٨]

(٣) ص ٢٦

(٤) [القيامة: ٨]

والمتجلِّي في الوجودَين. فالعبدُ الظاهرُ، وهو المظاهِر.

⋆ ⋆ ⋆

ومِن ذلك: عِلْم الرتب.. بالكتب

-من الباب التاسع وثلاث مائة-

لكلّ ملِك حجاب، ولكلّ منزل باب، ولكلّ أجل كتاب. وما ثَمّ إلّا مَن له أَجَل، فاسأل الله أن يعرّفك بالأمر ولا تعجل. فإنّ الله يجيبك ما لم تقل: لم يُجِبْ، فاعمل كما يجِب، إذا دعاك فأجِبْ، وإذا سقاك فطِبْ. فإنّه ما يدعوك إلّا ليسقيك، ولا يفنيك إلّا ليبقيك. ما الأمر الهائل الذي لا يتحقَّق؛ إلّا بقاء الخلق عند رؤية الحقّ. على الخبير سقطْتَ، وعند ابن بَجْدَتِها[1] حططْتَ. لهذا أخبرَنا أنّه كان سمعَنا وبصرَنا، وما عرفنا ذلك إلّا بعد ما قرّبَنا؛ فتحبّبنا إليه بما شرع فأَحبَّنا. فما رآه سِواه، فلذلك لا تفنى عينٌ تراه. بالكتب عُرفت الرتب؛ كتاب في الحبس، وكتاب في حظيرة القدس. لحكم الديوان أوان، ولله قوم لا يُذكرون.

⋆ ⋆ ⋆

ومِن[2] ذلك: علم الإنشاء.. ومساواة الأجزاء

-من الباب العاشر وثلاث مائة-

قال لي بعض الفقراء، وما أنصفني: إنّ بعض الرجال قيل له في المعرفة، فقال: أمّا أنا فعرفته، وما بقي إلّا أن يعرفني. وعَسُر هذا الكلام على أكثر أهل الأفهام، من السادات الأعلام. وأراد منّي الجواب، وفتْح هذه الأبواب. فلم أفتح له لذلك بابا، ولا رفعتُ له حجابا، وما علِم أنّ لكلّ معتِقدٍ ربًّا، في قلبه أوجده فاعتقده، وهم أصحاب العلامة يوم القيامة. فما اعتقدوا إلّا ما نحتوا؛ ولذلك لمّا تجلّى لهم في غير تلك الصورة بُهِتوا. فهم عرفوا ما اعتقدوه، والذي اعتبدوه ما عرفهم؛ لأنّهم أوجدوه. والأمر الجامع؛ أنّ المصنوع لا يعرف الصانع. الدار لا تعرف مَن بناها، ولا مَن عدلها

(١) ابن بجدتها: العالم بالشيء المتقِن.
(٢) ص ٢٦ب

وسوّاها، فاعلم ذلك.

* * *

ومِن ذلك: السُّبُل.. بأيدي الرُّسُل

-من الباب الحادي عشر وثلاث مائة-

السبل المشروعة؛ الحِكَم فيها مجموعة. فمَن احترمها وأقامها؛ أعطته ما فيها، وأتحفته بمعانيها. فكان علّامة[١] الزمان، مجهولا في الأكوان، معلوما للواحد الرحمن. على أنّ الرُّسُل لمّا طرّقت السُّبل، وسَهّلَت حَزْنَها، وذَلّلت صَعْبها، وأزالت غَمَّها وحُزْنَها؛ أَخبرتْ أنّ «دين الله يُسر»؛ فلا تجعلوه في عسر. فما كلَّف الله نفسا إلّا ما آتاها، وما شرع لها إلّا ما واتاها. فإنّه العالم بالمصالح والمنافع، والدواء الناجع. فمَن استعمل ما شرع؛ اندفع عنه الضرّ وانتفع. فذهب الله بالشرائع كلّ مذهب؛ لمن عرف كيف يذهب. فما مِن قالَة؛ إلّا وللشرع فيها مقالة: إمّا بتقريرٍ أو إزالة. فما فرَّط في الكتاب من شيء حين أنزله، ولا كتم رسولٌ ما به الحقّ ﷻ أرسلَه.

* * *

ومِن ذلك: مَن بادر مِن الخلق.. إلى تعظيم صفة الحقّ

-من الباب الثاني عشر وثلاث مائة-

صفات الحقِّ في الخلق منتشرة، ولا تعرفها إلّا الرسل والورثة البررة. ولمّا عَرَفْتُها اجتمعتُ، وبمعرفتها انْتُفِع بنا وانتفعتُ. فأرى من الشخص ما لا يراه مِن نفسه، وإن كنتُ من جنسه؛ فما أنا من جنسه. ما يعلم الإنسان ما أُخفي له فيه من قرّة أعين، وهو أوضح ما يراه وأبين. ولكن[٢] لجهله بما هو؛ لا يعلم أنّه هو؛ فينكره إذا رآه، ويحمله مَحملا ما هو له حين يراه. وللحقِّ مكر في خلقه خفيّ؛ إلّا لمن هو به حفيّ. فمِن عِلم الخبير؛ تأديب الصغير بالكبير. فأدّب الأمّة بتأديب رسولها؛ لتبلغ باستعمال ذلك الأدب إلى تحصيل سُؤلها. فيخاطَب الرسولُ، والمرادُ مَن أُرسل

---

(١) ص ٢٧

(٢) ص ٢٧ب

إليه؛ فابحثْ عليه.

* * *

ومِن ذلك: مَن سعِد بالجزاء السوائي؛ ما بَعِد

-من الباب الثالث عشر وثلاث مائة-

يوم الدين يوم الدنيا والآخرة؛ فلا اختصاص له بيوم عند القوم. أقام لهم الحقُّ في ذلك دليلا لمّا جَهِلوا: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾[1] فأَخبر أنّه جزاء؛ ما هو ابتِداء. بما ابتليت البريئة، وهي بريئة. وهذه مسألة صعبة المرتقى، لا تُنال إلّا بالإلقاء، اختلفتْ فيها طائفتان كبيرتان؛ فمنعَت واحدة ما أجازته أخرى، والرُّسل بما اختلفت فيه تَترى، ولا تَحَقَّق واحدٌ ما جاء به الرسول، ولا يسلك فيه سواء السبيل؛ بل يَنْصُر ما قام في غَرَضِه، وهو[2] عين مرضه. إلّا الطبقة العليا؛ فإنّهم عِلموا الأمور في الدنيا، فلم يتعدّوا بالأمر رتبتَه، وأنزلوه منزلتَه. فما رأوا في الدنيا أمرا مؤلما؛ إلّا كان جزاءً، ما كان ابتداءً.

* * *

ومِن ذلك: نزاع الملأ الأعلى.. في الأَوْلَى

-من الباب الرابع عشر وثلاث مائة-

تختلف المقاصد والمقصود واحد. فالطبيب يقصد نَفْع المريض بما يؤلمه؛ فيرتِّب له الأمر المؤلِم ويُحْكِمُه. فإذا تألّم طبيبٌ بريءٌ عند نفسِه من غير شيء جناه؛ فيسأل الحقّ عن ذلك فيقول: جزاء بما قدّمتْ يداه. فيقول: ما قصدتُ إلّا نفعَه بما أمرته به من استعمال الأدوية المؤلمة. يقال له: وكذلك ما قصدنا بالجزاء المؤلم إلّا نفعَك بما لك من الأجر في ذلك؛ فالأمور عند الله محكمَة. ألستَ قد آلمتَه؛ فخذ جزاء ما فعلتَه. والقصد القصد؛ فلا سبيل إلى الردّ. لمّا نبّهتِ الشريعة باختصام الملأ الأعلى علِمنا أنّه مِن عالَم الطبيعة. فإن أردت أن ترفعه عنها، وتنزله منزلتها منها؛ فقل: "الاختلاف

---

(١) [الروم: ٤١]
(٢) ص ٢٨

الأسماء"، وهذا أوضح ما يكون من الإيماء.

* * *

ومِن ذلك: تتابُع الرسل.. وإنشاء المِثَل

-من[1] الباب الخامس عشر وثلاث مائة-

الآجالُ المحدودةُ جعلت الرسل تترى، بالتكاليف والبُشرى. فلولا انتهاء الأجل؛ لاكتفى بواحدٍ في الشاهد. وما اختلفت السبل من الرسل؛ إلّا لاختلاف الدول؛ ولهذا ظهر في الوجود النِّحَل والمِلَل. فمنها ما هي عن روح مَلَكِيّ، ومنها ما هي عن دور فَلَكِيّ؛ حكم به الطالع؛ فظهر به المبتدع الشارع. ولا يقصد المصالح؛ إلّا ذو عقل راجح. فاعتبرَها الحقُّ؛ فأكرم مَن رعاها، وألحقها بالشريعة التي استرعاها. فساوتها في الجزاء لمن قام بها؛ دلالة على مساواتها في مذهبها، فقال ﷺ: «مَن سنّ سنّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها» فلمّا سَنّتِ الرسل أن نَسُنّ، فما سَنّ إلّا مؤتَمَن؛ فما نسخ الشرع إلّا الشرع فاسمع.

* * *

ومِن ذلك: إهمال الإنسان.. دون الحيوان

-من الباب السادس عشر وثلاث مائة-

ما أُهمل من أَهمل من الأناسيّ إلّا لجهله بمنزلته، وتصرُّفِه في غير مرتبته. فلو أعطى نفسَه حقَّها؛ كما أعطاها رَبُّها خلْقَها؛ لكان إمامَ العالمين، ولذلك لمّا قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قَالَ[2] له: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3] فالمعاني إذا كانت مبْهَمة؛ كالطرق المظلِمة؛ لا يعرف الماشي فيها في أيّ مهواة يهوي، ومع هذا يسير ولا يلوي. فإذا سقط؛ عند ذلك يعلم أنّه فرّط. والسيّد الإمام، العارف العلّام، يقول: الإمام الإمام، وفي يده سِراجُه، وفي رأسه تاجُه، يشهد له الحقّ بالخلافة، والأمن من كلّ عاهة وآفة، والله المعافي وهو الشافي.

(١) ص ٢٨ب
(٢) ص ٢٩
(٣) [البقرة: ١٢٤]

ومِن ذلك: اطّلاع الرسول.. على ما أتى به جبريل

-من الباب السابع عشر وثلاث مائة -

الاطّلاع على الغيوب؛ من شأن أصحاب الأحوال والقلوب. وأمّا صاحب اللبّ والمقام؛ فهو الأمر الذي لا يرام، والشخص الذي لا يضام. فله الثبوت فلا يتحوّل، والصوَر التي لا تتبدّل. فصاحب المقام أديب بأدب ربّه، متفرّج في تنوّعات خواطره في قلبه؛ فإن ضاق محلُّه عن حملِه، وأرادت النفس أن تعرفَ أنّها من أهله، وهي الشديدة المِحال؛ ظهرتْ في صورة الحال. وقد يكون ذلك عن أمر إلهيّ، لِسِرّ كيانيّ، يريد الحقّ إمضاءه في وجوده؛ ليتحقَّق بعض رجال الله بشهوده. وأعظم تحف المَلِك؛ الاطّلاع على ما يأتي به المَلَك، هكذا[1] هو عند الجماعة، وبضاعتنا غيرُ هذه البضاعة. والكشف الأتمّ؛ ما تشهده من وراء هذا الجسم المظلِم؛ فإنّ المَلَك تكون صورتُه رسالتُه ما لم يتجسّد؛ فإن تجسَّدَ انبَهَم الأمر على مَن يَشهد.

* * *

ومِن ذلك: مَن هاله.. الحصول في الهالة

-من الباب ...-

في الهالة حصر النيّرين لذي عينين، وعنها حدثتْ، وبأشعّتها وُجِدتْ؛ فما حصرهما غيرهما. كدودة القزّ، وصاحب دولة العزّ؛ هو مِن عزّه في حِمَى، فاستوى في إدراكه البصير والأعمى؛ لأنّه لا يتجلّى فيُرى. ولو تجلّى لمنع من الوصول إليه المقام الأحمى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[2] فعمرت الأشعّةُ الرفع والخفض؛ فحدثت الهالة في انتهاء الخلاء، وفي داخل الهالة كان وجود الملأ. فهو من حيث الهالة؛ المحيط، وهو معنا أينما كنّا في مركّب وبسيط. فما خرجنا عنه، وكلّ ما في السماوات وما في الأرض خلَقَه جميعا منه. فانظر ما أحكم هذه الأمور، ورُدَّ الأَعجاز على الصدور،

(١) ص ٢٩ب
(٢) [النور: ٣٥]

واتلُ قوله -تعالى-: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾[1].

* * *

ومِن[2] ذلك: مَن بُلِي بالأشدّ.. في تحرّي الأسدِّ

-من الباب ...-

أصدقُ القول ما جاء في الكتب المنزلة، والصحف المطهّرة المرسَلة. ومع تنزيهها الذي لا يبلغه تنزيه؛ نزلتْ إلى التشبيه الذي لا يماثله تشبيه. فنزلتْ آياته بلسان رسوله، وبلّغ رسوله بلسان قومه، وما ذكر صورة ما جاء به المَلَك، وهل هو أمر ثالث ليس مثلها أو هو مشترَك. وعلى كلّ حال؛ فالمسألة فيها إشكال. لأنّ العبارات لَحْنُنا، والكلام لله ليس لنا. فما هو المنزل؟ والمعاني لا تنزل. إن كانت العبارات؛ فما هو القول الإلهيّ؟ وإن كان القول؛ فما هو اللفظ الكيانيّ؟ وهو اللفظ بلا ريب؛ فأين الشهادة والغيب؟ إن كان دليلا؛ فكيف هو أقوم قليلا؟ وما ثَمّ قيل؛ إلّا هذا القيل[3]. وهو معلوم عند علماء الرسوم، فتحقَّق ولا تنطق.

* * *

ومِن ذلك: العصمة في الإلقاء.. باللقاء

-من الباب...-

هو الحافظ بالحرس، فهو الملحوظ في العسس. لأنّ الحليم الأوّاه؛ لا يَعلم حافظا سِواه. لكن يعطيه الأدب؛ أن[4] لا يُظْهِر من النَّسب؛ سِوَى نَسب التّقوى، وفيه رائحة الحراسة والحفظ الأقوى. فقد صرَّح وإن لم يَتكلّم، وقد أَبهم فيما أعلم، وما أَوْهَم. ولمّا أقام العصمة مقام الحرس؛ لم يجنح إلى العسس، وطالما كان يقول: «من يحرسنا الليلة؟» مع علمه بأنّ المقدور كائن، والحارِس ليس بمانعٍ ما قُدِّر ولا صائن. لكن طلب المعبود؛ بذْلَ المجهود، وهو يفعل ما يشاء، وهذا من

(١) [الشورى: ٥٣]
(٢) ص ٣٠
(٣) ق: "القبيل" وعليها "صح" وفي الهامش بقلم آخر: "القيل" وعليها "صح".
(٤) ص ٣٠ب

الأمور التي شاء. وما يشاء إلّا ما علِم، وما علِم إلّا ما أعطاه الذي هو ثَم.

* * *

ومِن ذلك: كيف للخلق.. يرَدٍّ دعوة الحقّ

-من الباب ...-

صورته رَدَّتْ عليه، وبضاعته رُدَّتْ إليه. ما أشبه ذلك بالصدَى؛ إذا ظهر بدا؛ فتخيّل الصيّت أنّه غيره، وما هو إلّا عينُه وأمرُه. وما هو الصدى في كلّ مكان؛ كذلك ما هذا الإدراك لكلّ إنسان؛ بل ذلك عن استعدادٍ خاص، غيره منه في مَناص، وإن كان من أهل المَباص[1]. الحقّ وإن كان واحدا؛ فالاعتقادات تُنَوِّعه، وتُفرِّقه وتُجمِّعه، وتُصوِّره وتُصنِّعه، وهو في نفسه لا يتبدّل، وفي عينِه لا[2] يتحوّل. ولكن هكذا يبصره بالعضو الباصِر، في هذه المناظر. فيحصره الأين، ويحدُّه الانقلاب من عين إلى عين. فلا يحار فيه إلّا النبيه، ولا يتفطّن إلى هذا التنبيه إلّا مَن جمع بين التنزيه والتشبيه. وأمّا مَن نَزّه فـ"قَط"، أو مَن شَبّه فـ"سقط"؛ فهو صاحب غلط. وهو كصورة خيال بين العقل والحسّ، وما للخيال محلّ إلّا النفس؛ فإنّها البرزخ الجامع للفجور والتقوى المانع.

* * *

ومِن ذلك: الذاهب.. في جميع المذاهب

-من الباب ...-

مَن ذهب في كلّ مذهب؛ لم يُبال في أيّ طريق يُنْهَب. مَن شرد عن كناسه[3]؛ فقد تعرّى عن لِباسه. ومَن فارق خِيْسَه[4] فقد عرّض بنفسه النفيسة؛ أن تتحكم فيها النفوس الخسيسة.

(١) البوص: التقدم، والنوص: التأخر. وفي المَثل: البوص بالنوص: أي النجاة بالفرار
(٢) ص ٣١
(٣) كناسه: مخبئة، مقرّه
(٤) خيسه: مربضه

الأسد لا يبرح من أَجمتِه[1] لعلوِّ همّتِه. قد تعشّق بمقام تقديسِه بتعريسه في خِيْسِه، تتردّد إليه أوباش السِّباع، وهم أهل الدفاع والنزاع. ألا ترى إلى المتناظرين في مجلس المَلِك يتنازعون في الكلام، وَمُقَدَّم الجماعة الذي هو الإمام، ساكت في مقامه، وهم[2] يتفقّهون بنزاعهم في عين كلامه. فإن تكلّم بكلمة فهي الفصل؛ لأنّه الأصل. فإن نازعه الحديثَ أحدُ القوم؛ أساء الأدب؛ فاستوجب الأدب.

* * *

ومِن ذلك: تَواتُر النقَلة.. وتَضاعُف الحَمَلة

-من الباب...-

إذا اجتمع أهل النِّحَل والمِلَل، وجاء الحقّ في الظُّلَل؛ للقضاء الفصل؛ وليس إلّا ردّ الفرع إلى الأصل؛ هنالك تظهر العلل، وما يُحمدُ وما يُذَمُّ من الجدل، وأرباب الدولة مصطفُّون، والوزَعة حافّون.

كَأَنَّمَا الطَّيْرُ مِنْهُمْ فَوْقَ أَرْؤُسِهِمْ   لا خَوْفَ ظُلْمٍ ولَكِنْ خَوْفَ إِجْلالِ

هم أهل الهيبة لا الغَيبة، وأصحاب الوجود لا الخيبة، وتَطَّايرُ الكتب؛ فتتميّز الرتب؛ فمنهم الآخذ بيمينه لقوّة يقينِه، ومنهم الآخذ بشماله لإهماله، ومنهم الآخِذ من وراء ظهره لجهله بأمره؛ لأنّهم حين أتاهم به الرسول نبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنا قليلا في الدنيا؛ فبئس ما يشترون في الأخرى، ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ[3] بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[4] باعوا العالي بالدون، وابتاعوا الحقير بالعظيم؛ فهم المغبونون.

---

(١) أجمته: حصنه

(٢) ص ٣١ب

(٣) ص ٣٢

(٤) [البقرة: ١٠٢]

ومِن ذلك: علم ما كتب.. وكيف رتّب

-من الباب ...-

الكتابة للعليم، والترتيب للحكيم. ما رَتَّبَتِ الحكمة حتى حَقَّقَتْ عِلْمَه. فلمّا عِلمت علمَه في خلقه؛ رتّبته على وِفْقِه. ومَن وقف مع هذا النظر الأوّل؛ حار في: افعل ولا تفعل. وإن كان الأمر والنهي من جملة ما أعطته الحكمة فعلِم؛ فلا يرى له أثرا فيما سبق من الحكم الذي حكم. وهذا هو السرّ المبهَم، الذي لا يُعلم؛ ولو قدَّرنا أنّه عُلِم؛ كُتِم. أين الاضطرار من الاختيار؟ وأين الاقتصار من الاقتدار؟ وأين التدبير من نفوذ الأقدار؟ ماءٌ ونار، ما التقيا إلّا لأمر كُبّار. عَلَمٌ في رأسه نار، يعرفه المقرَّبون ويجهله الأبرار. لو انجلى الغبار؛ لعرف الإنسان هل تحته فرس أو حمار.

* * *

ومِن ذلك: مُلْك المُلْك.. في المِلْك

-من الباب ...-

«خادم القوم سيّدهم» فهم الملوك. ولولا الأسماءُ؛ ما كان السيّد[1] المملوك. وإذا كانت الأسماء لها الحكم؛ فقد ارتفع الظِّلم؛ المسمّى بحكم اسمه؛ فانتبه؛ فإنّه يجيب إذا دعي به. فانظر ما أعجب مرتبة الاسم، وما أعطى من الأثر في الرسم. لا يجيب الحقُّ إلّا مَن دعاه، ولا يدعى إلّا بأسمائه؛ وهي عِلم أوليائه وأنبيائه. السيّد يَستخدم العبدَ بمقاله، والعبد يَستخدم السيّدَ بحاله، ولسانُ الحال أفصحُ من لسان المقال. لأنّ الأحكام التي تتضمّنها الأقوال؛ إنما تُعرف بقرائن الأحوال. فإنّ الاصطلاح قد لا يكون له في كلّ باب مفتاح؛ ولا سيما النصوص، وبهذا العِلم يتميّز العموم من الخصوص. فللّه رجال كالعرائس على الكراسي يأكلون من حيث لا يعلمون.

---

(١) ص ٣٢ب

وِمن ذلك: مقاومةُ الخلقِ.. الحقَّ

-من الباب ...-

المقاومة تكون بالمحمود؛ فيحمدون، وتكون بالمذموم؛ فيذمّون. فقومٌ يقاومونه بالصبر، وإن قالوا: "مسّنا الضرّ" وقوم يقاومونه بالرضا، والتسليم لما به قضى. والسعيد من العبيد؛ مَن كان مع الله في كلّ مُقام[1] كما يريد. فإن[2] أراد منه النزاع؛ نازع، وإن أراد منه المدافعة؛ دافَع. فهو بحيث يُراد منه، لا بحيث ما يصدر عنه. أَجْرَأَتْهم عليه الأحوال، وما جاءت به في رسالاتها الأرسال. لولا الفرحُ الإلهيّ؛ ما تاه التائب، ولولا التبشبش الربّانيّ؛ لَزِم المسجد، وما كان يتّصف بالآتي والذاهب. الفاعل منفعِل؛ ولكن للمنفَعِل.

* * *

وِمن ذلك: الإطلاق تقييد.. في السيّد والمسود

-من الباب ...-

ما دام الروح في الجسد؛ فهو ميّتٌ في قبره رقد. فمنهم النائم نومة العروس، ومنهم النائم نوم المحبوس، وكلٌّ واحد من هذين مقيَّد؛ مع أنّ أحدهما مخذولٌ والآخر مؤيَّد. فإذا جيء به في موته إلى حشرِه، وبُعْثِر ما في قبره؛ عاد إلى أصله، ووصل ما كان مِن فَصْلِه. ولذلك قال مَن تَعيّنَتْ كرامته، وثبتَتْ رسالتُه؛ عندما دَلَّتْ عليه علامتُه: «من مات فقد قامت قيامته» وهذه قيامة صغرى.

وسأُحدِثُ لك من القيامة الكبرى ذِكْرا؛ وذلك إذا زُوّجت النفوس بأبدانها؛ لكونها ما[3] زال عنها بالموت حُكم إمكانها، وكان الطلاق رجعيّا، والحكم حكما شرعيّا؛ فتلك القيامة الكبرى الآخرة؛ فهي كالردِّ في الحافِرة، وما هي في الحكم كالحافرة، ومَن توهّم ذلك قال: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ

(١) "في كلّ مقام" ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب
(٢) ص ٣٣
(٣) ص ٣٣ب

خَاسِرَةٌ﴾[1] إنما أَشْبَهَتْهَا في عدم المِثل، ولكن ما زالت عن الشكل.

* * *

ومِن ذلك: فتنة المال والولد.. في كلِّ أحد

-من الباب ...-

لولا إمالةُ المال؛ ما تميَّز الرجال. ولولا أنّ الولد قطعة الكبد؛ ما علِم أنّه من سكان البلد. ما خلقه الله في كبَد؛ إلّا ليشفق عليه كلُّ أحد. فَمَن أشفق؛ فقد وافق ما ندب إليه الحقّ. ومَن لم يقل بالوِفاق؛ عَدِم الإشفاق. وما يلزم من ثبوت العِلّة؛ ظهور سلطانها في كلّ ملّة. فإنّه ما خلَقنا إلّا لعبادته، ومنّا مَن خذله اللهُ فلم يقل بسيادته، ومنّا مَن لم يُفرده بالسيادة، ولا أخلص له العبادة؛ مع ثبوت العلّة، وما أَثبتتها كلّ نِحْلة. فليست المحن بعينٍ زائدة على الفتن؛ هي عينها وكونُها. فالاستكثار من المال؛ هو الداء العضال. مَن وقف مع إلحاق المتمنّي بالمتصدّق[2] الغنيّ؛ عرف الأمر؛ فلم يطلب الكثر.

* * *

ومِن ذلك: المنافق.. موافق

-من الباب ...-

إنما وافق المنافق؛ لما تعطيه الحقائق. هو ذو وجهين؛ لمّا رأى الأمر اثنين، وخلق من كلّ شيء زوجين. والعالَم على الصورة فأين تذهبون أين؟ لم يقف على العين إلّا ذو عينين، الواقف بين النجدين. إذا أنصف الناظر الخبير؛ بالنظر في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3]؛ تحقّق عند ذلك وتبيّن ما أخفي له في هذه الآية من قرّة عين؛ فجمع بين التنزيه والتشبيه؛ وهو مقام المقرَّب الوجيه. فالسُّوق نَفاق؛ فما أصاب إلّا أهل النفاق.

---

(١) [النازعات: ١٢]

(٢) ص ٣٤

(٣) [الشورى: ١١]

يَوْمًا يَمَانٍ إذا أَبْصَرْتُ ذا يَمَنٍ وإنْ لَقِيتُ معَدِّيًا فَعَدْنانِيْ[1]

﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾[2] مع اختلاف العقائد. وهذه كثرة الواحد، فما جمعه إلّا الإمّعة، فلا يكون إمّعة؛ إلّا صاحب هذه السعة.

* * *

ومِن ذلك: إجابة النداء.. في الصباح والمساء

-من[3] الباب ...-

لمّا أراد الحقّ من عباده المناجاة في مساجد الجماعات؛ أَمر بإعلان الأذان؛ لأصحاب السمع والآذان. فمن لم تكن له أذن واعية؛ ما سمع؛ وإن سمع داعيه. هنالك يظهر الاعتناء بمن اعتنى به؛ ممن لم يعتَن. فمن أجاب الداعي؛ فهو صاحب السمع الواعي. وما للأحديّة في النداء أثر، ولا في شجرتها ثمر. "فالله أكبر" مفاضَلة، و"لا إله إلّا الله" مفاصلة، و"الرسالة" مفاصلة عن مواصلة، و"الحيعلتان" مقابلة[4]، والنداء يؤذِن بالبُعد، والأذان دليل على عدم عموم الرشد؛ فإنّ رعاة الأوقات عارفون بالميقات. فما شرع الأذان إلّا لمن شغلته الأكوان، وما ثَمّ إلّا مشتغل؛ لأنّه بالأصالة منفعِل.

* * *

ومِن ذلك: التجارة.. محلّ الربح والخسارة

-من الباب ...-

تجار الأسفار؛ أهل تمحيص واختبار، ومِن أجلهم شرَع الصلاة في الأسفار. وتجار الإقامة؛ لهم الدعة والكرامة. هم تلامذة المسافرين؛ فيما يتعرّفون منهم، ويأخذونه عنهم. فمن ربحت تجارته فهو

---

(١) هذا البيت للشاعر عمران السدوسي (ت ٨٤هـ) من قصيدها مطلعها:
يا رَوحُ كَم مِن أَخي مَثوىً نَزَلتُ بِهِ قَد ظَنَّ ظَنَّكَ مِن لَخمٍ وَغَسّانِ

(٢) [الحديد: ٤]

(٣) ص ٣٤ب

(٤) "والرسالة.. مقابلة" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

المهتدي، ومَن[1] خَسِرت تجارته وبارت فهو المعتدي. مَن كان سفره إليه؛ كان نزوله عليه؛ فلا يحيط أحدٌ علما بما حصل من الأرباح لديه. المجاهد تاجر، وقد ينصر اللهُ دينَه بالرجل الفاجر. فهو كالعُدّة، ما هو في الفضل كمن أَعدّه. العُدد لا تنعم بالأرباح؛ وإنما هي للمستعدِّين كالمفتاح؛ به يُتوصّل إلى فتح الباب، وهو حَظُّه من الاكتساب. رَخْتُ[2] المجاهد مساعِد. وأمّا التاجر المقيم؛ فهو الذي لا يرِيم. قد لَزِمَ الدكّان، وقال[3] بالمكان. وما تيسّر مما كان من الإمكان، وبالاستكانة حصّل المكانة.

* * *

ومِن ذلك: عند الامتحان.. يُعَزّ المرء أو يهان

-من الباب ...-

وإذا ما خَلَا الجَبانُ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ والنِّزالا[4]

إذا اجتمعتِ الأقران؛ كان الامتحان، هنالك يتقدّم الشجاع، ويتأخّر الجبان. فالمتقدِّم يُكْرم والمتأخِّر يُهان. إلّا من انحاز إلى فئة أو كان متحرِّفا لقتال؛ فإنّه[5] من أبطال الرجال، ومن أهل المكر المشروع والاحتيال. و«الحرب خدعة»، وإن أساء في الحال السُّمعة. فإنّ العاقبة تسفر عن مراده؛ بما قصده في جهاده. وعلى قدر دعوى الإيمان؛ يكون الامتحان. فالمؤمن ما هو في أمان؛ إلّا في الدار الحيوان. وأمّا في هذه الدار؛ فهو في محلّ الاختبار؛ فإمّا إلى دار القرار، وإمّا إلى دار البوار. ما هي منزل الشقاء دار القرار.

(١) ص ٣٥

(٢) رَخْت: فارسية وهي القعود من الإبل

(٣) قال: من المقيل

(٤) هذا البيت للمتنبي (٣٠٣-٣٥٤هـ) من قصيدة مطلعها:

ذي المَعالي فَليَعلَوَن مَن تَعالى هَكَذا هَكَذا وَإِلّا فَلا لا

(٥) ص ٣٥ب

ومِن ذلك: الإيثار.. ليس من صفات علماء الأسرار

-من الباب ...-

ما هو لك؛ فما تقدِر على دَفْعِه، وما ليس لك؛ فما لك استطاعة على مَنْعِه. فأين الإيثار؛ والأمر أمانة؛ فأَدِّها إلى أهلها قبل أن تُسْلَبها وتوصف بالخيانة. فأعطها عن رضا قلبك؛ تفز برضاء ربّك. فهؤلاء هم الأحياء(1)؛ وإن ماتوا.

لله قَـوْمٌ وُجُـوْدُ الحَـقِّ عَـيْـنُهُـمُ ... هُمُ الأَحِبّاءُ إنْ عاشُـوا وإن ماتُوا

هُمُ(2) الأَعِـزّاءُ لا يـدرونَ أَنَّهُـمُ ... هُمُ ولا مَـا هُمُ إلَّا إذا مـاتُـوا

للهِ دَرَّهُمُ مِنْ سـادَةٍ سَـلَفُوا ... وخَلَّفُونَا عَلَى الآثارِ إذْ مـاتُوا

لا يأْخُذُ القَوْمَ نَوْمٌ لا ولا سِـنَةٌ ... ولا يَؤُدُهُمُ حِفْظٌ ولَوْ مـاتُوا

رَأَيْتَهُمْ وسَـوادُ اللَّيْـلِ يَسْـتُرُهُمْ ... عَنِ العُيُونِ قِيـامًا كُلَّمَـا مـاتُوا

فَكَيْفَ بِالشَّمْسِ لَوْ أَبْدَتْ مَحاسِنَهُمْ ... أَقْسَـمْتَ باللهِ أَنَّ القَوْمَ ما ماتوا

وكُنْـتَ تَصـدقُ أَنَّ اللهَ أَخْبَرَنا ... عِنْ مِثْلِهِمْ أَنَّهُمْ واللهِ مـا مـاتوا

أَحْيـاءُ لَمْ يَعْرِفُوا مَوْتًا ومَـا قُتِلُوا ... فِي مَعْرَكٍ وذَوُوا رِزْقٍ وقَدْ ماتوا

فَلَوْ تَرَاهُمْ سُـكارَى فِي مَحـارِبِهِمْ ... لَقُلْـتَ إِنَّهُمُ الأَحْيـا وإنْ مـاتوا

اللهُ كَـرَّمَـهُـمْ اللهُ شَرَّفَـهُـمْ ... اللهُ يُحْـيِـيْـهُـمْ بِـهِ إذا مـاتـوا

لَقَـدْ(3) رَأَيْتَهُمُ كَشْـفًا وقَـدْ بُعِثُوا ... مِنْ بَعْدِ ما قُبِرُوا مِنْ بَعْدِ ما ماتوا

(1) يمكن قراءتها في ق كذلك: "الأحباء" نظرا لإهمال الحروف المعجمة، والترجيح من هـ، س
(2) ص ٣٦
(3) ص ٣٦ب

ومِن ذلك: تجلّي الحقّ في كلّ آية.. للعارفين من أهل الولاية

-من الباب ...-

ظهور الحقّ في كلّ صورة؛ دليلٌ على علوّ السورة، وبرهانٌ على عموم الصورة؛ عند مَن عرف سورَه. ما تميّز الرجال إلّا بالأحوال في الأعمال. مَن قام برجله قَزَل[(١)]؛ فعن سعادته قد انعزل. "السابق بالخيرات" هو الساعي، وهو صاحب السمع الواعي. وأمّا "المقتصد"؛ فهو ما زاد على زادِه على قدر اجتهاده. وأمّا "الظالم"؛ فهو المحكوم عليه، ما هو الحاكم. والكتاب قد شمل الجميع، وإن كان فيهم الأرفع والرفيع. فالكلّ وارِث؛ فإنّه حارث. وأصحاب السهام متفاضِلون؛ فمنهم المقِلُّون، ومنهم المكثِرون. ومن قال: إنّ الفرائض قد تعول؛ فما عنده خبر بما يقول. فإنّه مَن عمِل بموجب القول؛ لم يقل بالعَول.

* * *

ومِن ذلك: الاستخلاف.. خلاف

-من[(٢)] الباب ...-

القول بالنيابة؛ مما سبقت به الكتابة. لولا الكتاب ما كان النوّاب. ليس العجب ممن ساء سبيلا؛ مع كونه أقام على ذلك دليلا؛ وإنما العجب ممن اتّخذ مستخلِفه وكيلا. فلولا الأمر الربّانيّ؛ لَرَدّه الأدب الكيانيّ. ما أجهل الناس بمواطن الأدب، وهو الذي أدّاهم إلى العطَب. الحكم للمَواطن؛ في الظاهر والباطن. فقد يكون ترك الأدب أدبا، والقول بترك السبب سببا. الأسباب موضوعة بالوضع الإلهيّ؛ فما لها مِن رافع، ومن قال بِرفعها؛ فإنّ عذاب ربّه به واقع؛ لأنّه لدعواه في رفعه يُبتلى، وبالابتلاء تحصل له الدرجات العُلى. ولا يقدر على رفع الابتلاء؛ لأنّه مخاطَب بالعمل المشروع والاقتداء؛ فقد قال بالسبب في رفع السبب.

---

(١) قزل: أسوأُ العرج

(٢) ص ٣٧

ومِن ذلك: القلوبُ مساقِط أنوار علوم الأسرار

-من الباب ...-

الوقائع للأولياء، والوحي للأنبياء؛ وقد يكون المثل للرسل وغير الرسل. الملائكة لا تزال تنزل بالتنزيل على[1] قلوب أهل الجمع والتفصيل؛ ولكن لا تشرّع إلّا لنبيّ أو رسول. مضى زمن الرسالة والنبوّة، وبقي الوحي فتوّة. فإن ورد بحكم متصوَّر؛ فإنما هو إخبارٌ بشرع قد تقرّر. فليعوِّل الوليُّ عليه، وليستند في العمل به إليه. وإن وَهَنَتْ روايته في الظاهر؛ فهو الصحيح، وإن ورد ضعف الصحيح في الظاهر؛ فالعمل ممن ورد عليه به عملٌ في ريح، ويجني العامل به ممن ليست له هذه المنزلة خيره، ويسعد الله به غيره. فلا تكن ممن شقي بعد ما لقي.

ومِن ذلك: الإنسان.. مخلوق على صورة الرحمن

-من الباب ...-

إنما يرحم الله من عباده الرحماء فـ«ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمن» وهي الصورة التي خُلِق عليها الإنسان. فَمَن وَصَلَها وُصِل؛ وهو عين وَصْلِها، ومَن قطَعَها قُطِع؛ وهو عين فَصْلِها. فالرحمن لها فاصِل، والإنسان لها واصِل. فإنّ الشجنة قطعة؛ فانظر في هذه المحنة. أين[2] التخلّق بأخلاق الله عند المتعطّش الأوّاه؟ فَمَن قطَعَها تخلَّق، ومَن وَصَلها عمِل بما شرعه الحقّ.

فاقطعْها عنك تكن متخلِّقا، وَصِلْها به تكن متحقِّقا. فإنّه كذا فعل، وبهذا؛ الوحيُ علينا نزل. فإن لم تتخلَّق بها على هذا الحدّ؛ فما وفّيتَ بالعقد. فكما هي شجنة منه؛ هي شجنة منك. فخذ ما قطع عنه؛ ليأخذ ما قطعتَ عنك. هذا هو السِّحر الحلال؛ لا ما تقوله ربّاتُ الحِجال. هم في الأجنّة ما ولدوا، وفي الأكنّة ما شهدوا.

---

(١) ص ٣٧ب
(٢) ص ٣٨

ومِن ذلك: السرار.. يشفع الإبدار

-من الباب ...-

الهلال وِتْريّ المحتد، شفعيّ المشهد. والقمر بالنصّ؛ له الصورة والمقدار بالزيادة والنقص. لأنّه وإن لم يرجع على معراجه؛ فهو على منهاجه. فما مِن دَوْر إلّا وهو حَوْر لا كَوْر[1]، والسرار يشفع الإبدار من غير الوجه الذي تدركه الأبصار. فيسمه الحقّ سمة المحق. مَن كان ذا وجهين؛ فبذاته صيَّر نفسه اثنين. فهو البرزخ لنفسه؛ كالميّت في رمسِه: ميّت عند السميع[2] البصير، حيٌّ عند منكَر ونكير. هو المتكلِّم الصامت؛ كما هو الحيُّ المائت. فما أنار إلّا أظلم، وما أسفر إلّا أعتم. صورةُ الحقّ مع خلقه؛ طلوعُ الشمس في البدر مِن أُفقه.

* * *

ومِن ذلك: تكرار الرؤية.. لحصول المُنْيَة

-من الباب ...-

لمّا انسحبت الحدود على الأمثال؛ قيل بتكرُّر الأشكال، وهي مسألة فيها إشكال: هل هذا الأمر المدرَك بالبصر في الزمن الثاني المتصوَّر؛ هل هو ذلك العين المقرَّر، ما برح، أو زال ثمّ عاد فتكرّر؟ أو هذا مثل الماضي حدَث فتصوّر؟ فإن كان مِثل رجوع الشمس؛ فما فيه لَبْس؛ فإنّ الشمس لا مستقرّ لها عند مَن علِمها وما جهِلها، ولها مستقرّ يَراه عينُ المؤمن في الإيمان بالخبر، ولها بهتة؛ ولهذا تطلع من المغرب بغتة؛ مع كونها ما سكنت عن حركتها، ولكن حِيل بينها وبين بركتها. فلم ينفع بطلوعها إيمان ولا عمل، ولحِقَ أهل الاجتهاد بأهل الكسل. فترى[3] ربّك مرارا، ولا تعقِل تكرارا، وذهبت المُثُل باندِراس السُّبل.

---

(١) حَوْر لا كَوْر: نقصان لا زيادة
(٢) ص ٣٨ب
(٣) ص ٣٩

وِمن ذلك: الأرض مهادٌ موضوع.. والسماء سقفٌ مرفوع

-من الباب ...-

لولا الأنوار ما طلب الاستظلال، ولا ظهرت من الكثائف الظِّلال. فهو نكاح موجود، وعرس مشهود، وكتاب معقود ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾(١) فلا بدّ من فُرش في عُرش. فهي المهاد الموضوع، وأنت السقف المرفوع، بينكما عمد قائم، عليه اعتماد السبع الشداد؛ لكنّه عن البصر محجوب؛ فهو ملحق بالغيوب. ألم تسمع قولَ مَن أوجد عينها؛ فأقامها ﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾(٢) فما نفى العمَد؛ لكن ما يراه كلُّ أحد. فلا بدّ لها من ماسِك؛ وما هو إلّا المالك. فَمَن أزالها بذهابه؛ فهو عمَدها المستور في إهابه؛ وليس إلّا الإنسان الكامل، وهو الأمر الشامل؛ الذي إذا قال: "اللهْ"؛ ناب بذلك القول عن جميع الأفواه؛ فهو(٣) المنظور إليه، والمعوَّل عليه.

* * *

وِمن ذلك: ركن الرياح.. مسرح ذوات الجناح

-من الباب ...-

إنّ الريح كان عند الله وجيها، فالله يزجي السحاب، والعينُ تشهد أنّ الريح يزجيها.

إنّ السحابَ التي الرحمنُ يُزْجِيْها العَيْنُ تَشْهَدُ أَنَّ الرِّيْحَ تُزْجِيْها

فَمن النائب؟ فهو الصاحب. فاجعل النائب مَن أردت؛ إن شئت من غاب، وإن شئت مَن وجدت(٤). بالريح كان النصر والدمار؛ فاختلفت الآثار، والعين واحدة؛ صالحة وفاسدة. تطفي السراج، وتشعل النار؛ والهبوب واحد، من عين واحد، واختلفت الآثار ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾(٥) ما ذاك إلّا لاختلاف استعداد المحلّ، ومَن عرف ذلك عرف اختلاف المِلل

---

(١) [المائدة: ١]

(٢) [الرعد: ٢]

(٣) ص ٣٩ب

(٤) "إن شئت من غاب... وجدت" أشير فوقها بخط عرضي وبجانبه "صح" وأثبت مقابلها في الهامش بقلم آخر: "إن شئت من علمت وإن شئت من شهدت" وبجانبها كلمة "صح" وهذه العبارة الأخيرة هي الثابتة في س.

(٥) [النور: ٤٤]

في النِّحَل؛ فلكلّ ملّة نحلة ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾[1] فأنزل نفسه منزلة الأهواء؛ فأَمدّ النار بالاشتعال والسراج بالانطفاء. لتنظر في حقائق الأشياء؛ فمن[2] نظر في حقائقها عاش عيشة السعداء. فكن من الأمناء؛ فلا تُذِع شيئًا من هذه الأسرار الإلهيّة إلّا لأهلها[3] بطريق الإيماء؛ فإنّ الله أقدر على ظهورها؛ ولكن حجبها بنورها.

* * *

ومِن ذلك: عِلم المركّب والبسيط.. في المحاط والمحيط

-من الباب ...-

أحاط بكلّ شيء علما؛ عند مَن رزقه الله فَهْما. فلا تَعُمّ الإحاطة كلّ شيء؛ إلّا إذا كانت معنى، وهذا القول انقُلوه عنّا. فإن زالت عن هذه المنزلة؛ فقد زالت تلك التكملة. فهي إحاطة فيما أحاطت به، وهذا الأمر مشتبه. لا يحيط البسيط بالمركّب؛ لأنّ البسيط لا يتركّب.

إنّ البَسِيْطَ إلى البَسِيْطِ بَسِيْطُ   فَهْوَ الْمُحاطُ ولَوْ تَرَاهُ يُحِيْطُ

هو المحاط؛ لأنّ القلب وَسِعَه، وهو المحيط لاستوائه، وهو الإمّعة؛ لكن مَنعت الحقيقة أن يُقال مثال هذا المقال. فكلّ شيء لا يخرج عن حقيقته، ولا يعدل[4] به العالم عن طريقته. ما في الوجود إلّا التركيب، هكذا شهده أهل الفطنة والتهذيب: ما عقلتَ ذاتا إلّا لعينها، وما عقلتها لعينها إلّا من حيث كونها. فإنّها لذاتها إله[5]؛ فلا بدّ مِن "على مَن" لِيثبت سِواه، والسِّوى يطلب زيادة حكم على العين؛ فلا بدّ من التركيب[6] في الكون؛ لمعقوليّة الاثنين، وتحقّق الشيئين، وهذا لا يخفى على ذي عينين.

---

(١) [الإسراء: ٢٠]
(٢) ص ٤٠
(٣) ثابتة بالجوار بقلم آخر، مع إشارة التصويب
(٤) ص ٤٠ب
(٥) "ما عقلت... إله" كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "ما عقلت الذات لعينها، وما عقلت إلّا لعينها، فإنها بذاتها إله" وكتب فوقها حرف خ
(٦) رسمها بين التركب والتركيب

وِمن ذلك: علم التحجير.. في الأدب مع السراج المنير

-من الباب ...-

إذا كانت السُّوَر تُمْلى، والآيات تُتلى؛ فاستمع، وأنصت لعلّك تُرحم بالفهم فترتجع، فاعلم؛ فالرجوع أنّك تَعلم. فإن خالَجْتَه فيها؛ حُرِّمت عليك معانيها. فالزَم بيتك، وجهّز مَيْتَك، وفكّر في موتِك، واخفض من صوتك؛ فإنّ البررة الكرام لا يحبّون رفع الصوت بالكَلام. لأنّ الجهر ظهور، وهم أهل ستر وغيب مع أنّهم نور. فهل خفاؤهم لشدّة ظهورهم؟! أو هو لِسَدْل ستورهم؟!.

أَخْبِرُوْنِيْ[1] أَخْبِرُوْنِيْ حَقِّقُوا وإلَى عَيْنِ طَرِيْقِي طَرِّقُوا

فإذا كُنْتُمْ كَمَا قُلْتُ لَكُمْ فاعْلَمُوا أَنَّكُمُ لَمْ تمرقُوا

ثُمَّ حُزْتُمْ قَصَبَ السَّبْقِ لَكُمْ وكَذَا السابِقُ مَنْ لا يُسْبَقُ

ذكر الله كشف الغطاء عن البصر؛ فما هو ذلك الغطاء؟ الذي إذا زال جاء مثل هذا العَطاء. القرين صاحِب في الشاهد والغائب؛ فَمَن عرف قدر صاحبه فقد قام بواجبه. والقرين عند أهل المعرفة؛ لا بدّ أن يكون على صفة. فاعتبِرها في صحبته، وحَذار من غدرته. وقد يغدر الصاحب في بعض المذاهب. رسولُ الله ﷺ قَبِلَ من الذي أتى إليه مسلما إسلامه وصحبته، وما قَبِل غَدرته ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2] لمن سَمِع القول فاتّبع أحسنه.

* * *

وِمن ذلك: مَن افتُتِح.. بالمِنَح

-من[3] الباب ...-

المنحةُ مردودة إلّا منحة الحقّ؛ فإنّه ما ثَمّ على مَن تُرَدّ؛ لأنّه ما يشبه الخلْق. لا يَقبل المنافع،

(١) ص ٤١

(٢) [الأحزاب: ٢١]

(٣) ص ٤١ب

وهو النافع. فتْح الغيوب على ضروب؛ فالكلُّ في كلّ زمان ونفَس في مزيد، لكن بعض العالَم ﴿فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[1]. المبايعة تشهد بالمنازعة؛ فإنّ مبناها على السمع والطاعة، وموافقة الجماعة، «ومَن شذَّ شذَّ إلى النار»؛ بذا جاءت الأخبار. مَن عرف قدر الإمام؛ لم يقع فيه -وإن جار- بملام. اتركه ومَن استخلفه؛ فإن أَمَّنَه أمَّنَه، وإن خوَّفَه خوَّفَه. مَن عرف قدر السلطان لم يعصِه؛ وإن عصى الله فيه لم يستقصِه. انظره مجبورا مسيَّرا، لا تنظره مختارا مخيَّرا. واسترِح عليه، واستنِد إليه؛ فهو الظلّ؛ مَن أوى إليه لم يلحقه ذُلّ.

ومِن ذلك: علم الأسرار.. في الأنهار والبحار

-من الباب ...-

علمُ الاستنباط لأهل البساط، علمُ الأحوال لمن شهِد الأهوال، العلم السهل لمن كان من الأهل، علمُ[2] الإنتاج لأصحاب المعراج، وعلمُ الأسماء والرسوم لمن جمع هذه العلوم؛ وقد انحصر أصحابها في السبعة من العدد؛ وهم الأبدال عند كلّ أحد. فمنهم المنفرِد بعلم واحد واحد، ومنهم الجامع من غير أمر زائد، ومنهم الجامع بين اثنين لذي عينين، ومنهم الفائز بالثلاث؛ وهو صاحب الميراث، الحائز جميع المال؛ فله الكمال. وما ورّث اللهُ إلّا الكتاب لذوي الألباب؛ فهم ورثة النبيّ، لا ورثة الوليّ؛ فإنّه لا يورَث إلّا الميْت، الراحل عن البيت، والحقّ لا يفارق؛ فتدبّر هذه الحقائق.

* * *

ومِن ذلك: في الكثبان.. تسامر الخلّان

-من الباب ...-

أصحاب الجُدُر ما لهم هذا السمر، هذا السمر لأصحاب السَّمُر. الغيوب وإن انكشفت؛ للقبائل والشعوب. فإنّ القبائل لهم فيها الباع المتّسع الطائل، وأمّا الشعوب فريحهم دون ريح القبائل

(١) [ق: ١٥]
(٢) ص ٤٢

في الهبوب. لا تبلغ الأعاجم -مع اعتلائها في سمائها- مبلغ الأعراب، دليلنا الخيول العِراب[1]. الإعجام إبهام، والإعراب إبانة الكلام. ما[2] منع المعارض إلّا من العربي، لا من الأعجمي. اختصّ الإعجاز بالقرآن، وإن كانت الكتب المنزّلة كلام الرحمن؛ لكن البيان والشرف والامتنان، والمجد العظيم الشأن؛ إنما ظهر في اللسان عند البيان.

* * *

ومِن ذلك: المنزلة الرفيعة.. في التزام الشريعة

-من الباب ...-

لا تتّبع إلّا ما نزل به الروح عليك، وجاء به المَلَك أو الإلقاء إليك. وإن كنت وليّا؛ فإنّك وارثٌ نبيّا؛ فما يجيء إلى تركيبك؛ إلّا بحظّك من الوِرث ونصيبك. فانظر ما سهمُك، وما هو قِسمك؛ فلذلك علمك. فلا تشرِّع حكما، وقل: ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا﴾[3].

ثمّ اعلم -أيّها الوليّ الأكرم- أنّك، وإن ورثت علما موسويّا، أو عيسويّا، أو غيرهما ممن كان من الرجال بينهما؛ فإنما ورثت علما محمديّا. ساويتَ به ذلك النبيّ؛ لعموم رسالة محمد الحائز المقام[4] المحمود العليّ. إليه ترجع عواقب الثناء؛ فهو صاحب جوامع الكلم المسمّاة بتلك الأسماء. فلآدم الأسماء، ولمحمد الاسم والمسمّى. والجامع لهما؛ لا شكّ أنّه صاحب المقام الأسمى، وحجاب العزّة الأحمى.

* * *

ومِن[5] ذلك: علم الانتكاس والانعكاس.. في النور والنحاس

-من الباب ...-

الكواكب الثوابت بيوتٌ مظلمة وكذلك السيّارة، وما عادت نجوما نيّرات إلّا بأنوار مستعارة،

(١) المعرب من الخيل: الذي ليس فيه عرق هجين (عربي أصيل)
(٢) ص ٤٢ب
(٣) [طه: ١١٤]
(٤) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٥) ص ٤٣

وتكفيك إن كنت عاقلا هذه الإشارة. ألا ترى إلى ما نَجَم من ذوات الأذناب في ركن النار لِرجم الأشرار؛ ولم تزل نجوما، وما كانت رُجوما؛ حتى جاء صاحب البعث(١) العام إلى جميع الأنام من الإنس والجان، ولهذا قال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾(٢). فلو ابتغى الريح(٣) باستراقه رَشَدا؛ ما وجد له شهابًا رصدا. فحيل بينه وبين السمع؛ لما نواه من عدم النفع؛ فصاروا جُهَلاء، وقد كانوا علماء. فإذا طُمِست النجوم؛ عُلِم -عند ذلك- ما فات الناسَ من العلوم. فإذا انفطرت السماء، ويحقّ لها أن تنفطر؛ انكدرت النجوم؛ بما ترميهم به من الشرر.

* * *

ومِن ذلك: منزلة مَن وهَب.. الفضة والذهب

-من الباب ...-

لا يخفى على ذي عينين؛ الفرقُ بين الذهب واللُّجَين(٤). أين الإنسانُ الحيوان من الإنسانِ المخلوق على صورة الرحمن؟ هو(٥) النسخة الكاملة، والمدينة الفاضلة. الذهبُ لا ظلّ له؛ فـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾(٦). والفضّة على نصيب من الذلّ؛ لما فيها من الظِلّ، وما لِظِلّها فَيْءٌ. فالنور الخالص للعين، والممتزج لِلُّجَيْن. الذهب نور على نور، واللجين فار التنّور. وليس سِوَى تنفُّس الصباح، وتنسُّم فالق الإصباح. إن كان الحقّ فما خلقه إلّا بشمسه. وإن كان الشمس فالحقّ على عزّته في قُدْسِه، ومِن قُدسه أن يكون فالقا؛ كما كان لأرضه وسماواته فاتقا. فالرتق لها من ذاتها، والفتق عرَض لها مِن صفاتها. إذ لو لم يكن لها قبول الفَتق؛ ما حكم به الفاتق على الرتق. والفاتق؛ الفالق بلسان الحقائق.

---

(١) الحروف المعجمة مهملة

(٢) [الرحمن: ٣١]

(٣) حرف الباء مهمل، ولذلك يمكن قراءة الكلمة: الريح

(٤) اللجين: الفضة

(٥) ص ٤٣ب

(٦) [الشورى: ١١]

وِمن ذلك: مَن فَصل.. ما وَصل

-من الباب ...-

حكمة التفصـــيل؛ لظهور وجه الدليل؛ إذ في جِبِلَّةِ كلِّ مِلَّة طلب الأدلَّة. لأنّهم لم يكونوا؛ ثمّ كانوا، ووجدوا في نفوسـهم افتقارا خضـعوا له واسـتكانوا؛ فقالوا: "مَن" أو "إلى مَن" لا بدّ على أعياننا من زائد، ولا بدّ أن يكون له حكم الواحد[١]. وإن اتّصف بالكثرة وطريق النسـب؛ فهي غير مؤثّرة في ذات هذا النســــب. فهو الواحد الكثير؛ لأنّه الحيّ العليم القدير. ومع أنّه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[٢] فهو ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ فحكم على نفسـه بحكم الجماعة، وإن كان العقل يحكم فيه بالشـناعة.

فالرجوع أَوْلَى إلى قوله، ولا يصرفنك عنه صارف استشـناعِه وهَوْلِه. فإنّه لو أثّر في نزاهته وقُدسه؛ ما نَسب ذلك إلى نفسه. فالذي هو عندنا تشبيه، هو عند الله تنزيه: من نزول وفرح واستواء، وكينونة في سماء، وعرش وعَماء.

* * *

وِمن ذلك: المشاورة.. محاورة

-من الباب ...-

المشاورة وإن دلّت على عدم الاستقلال بجودة النظر؛ فهي من جودة النظر. وإن نبّهتْ على ضعف الرأي؛ فهي من الرأي. عَرْضُ الإنسان ما يريد فعله على الآراء؛ دليل على عقله التامّ ليقف على تخالُف الأهواء. فيعلم مع أحديّة مطلوبه؛ أنّه وإن تفرّد؛ فله وجوه تتعدّد. وأيّ شيء أدلّ على أحديّة الحقّ؛ من مشاورة الخلق؟ لا يطّلع على[٣] مراتب العقول؛ إلّا أصحاب المشاورة، ولا سيما في المسامرة؛ فإنّها أجمع لِلْهَمِّ والذِّكْر، وأقدحُ لزناد الفِكْر. ومن هنا تعرف ما يحصل لأهل

(١) ص ٤٤
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) ص ٤٤ب

الليل من جزيل النَّيْل؛ في نزول الحقّ من عرشه إلى سمائه في الثلث الباقي من الليل؛ تهمُّما بعباده من أوليائه؛ لِيَهَبَهُمْ من آلائه ونِعمه ما يقتضيه عموم جوده وكرمه.

*　　*　　*

ومِن ذلك: المؤمن.. مَن لا يفضح الكاذب ويصدّق المؤمن

-من الباب ...-

الكذب وجود؛ فإنّه عن شهود، محلّه النفس؛ وإن لم يكن من مدرَكات الحِسّ. وعلى الحقيقة فإنّه محسوس في مقام التقديس. والحِسّ أشرف من العقل؛ لما فيه من الإطلاق؛ فله السَّراح بالاستحقاق، وإنّه المحيط بما تعطيه الأوهام؛ وإن أحالته الأحلام. فالعقول قاصرة عن نسبة الوجود إلى هذه الأعيان المتخيّلة الحاصرة. وما سمّي الصدق إلّا لصلابته في تَنَوُّرِه؛ لأنّه ينكِر ويغالط نفسَه فيما نواه صاحبه من طريق وهمِه وخياله في تصوُّره. فلا يقدر على جحد ما أدرك، ويقضي عليه، في حال وجوده بالعدم[1]، فما أعظمه من مهلك. فهذه مسألة ضلّ بها كثير، واهتدى بها كثير، وما ضلّ به إلّا الفاسقون؛ ولكنّ أكثر الناس لا يشعرون.

*　　*　　*

ومِن ذلك: الجمرات.. جماعات

-من الباب ...-

الجمرة قد تكون جماعة الأموات، والزمرة لا تكون إلّا جماعة لها أصوات. ما حصل المُنى في جمرات مِنى؛ إلّا لكونها حازت مقام التحصيب؛ فأفادت أهل النظر والتهذيب. فكبَّرَ عند كلّ رَمْيَة؛ لمّا رآه بلا مِرْيَة. فما حصب إلّا مَن له وجود؛ وإن لم تدركه أَعْيُن الشهود. لكن أدركوه بالإيمان؛ فقام لهم مقام العيان. وأدركه الجاهلُ ومَن ورثه بعينه، في عين كونه. فكانت أسماءٌ إلهيّة أذهبتْ أسماء، وأنباءٌ مسموعة أعدمت أنباء. اشتركت جمرات مِنى وجمرات الزمان في التثليث

(١) ص ٤٥

والتسبيع؛ لاجتماعهما في المقام الرفيع. فالجمرة الدنيا؛ لأصحاب النَّسب الإلهيّ دينا ودنيا. وأهل الجمرة الوسطى؛ للمحافظين[١] على الصلاة الوسطى. وجمرة العقبة؛ لها الانفراد والتقدُّم[٢] بالمرتبة.

* * *

ومِن ذلك: الجواد.. ذو جُوَّاد

-من الباب ...-

لا تقل: وصلت؛ فما ثمّ نهاية، ولا: لم تَصِل؛ فإنّه عماية. «ليس وراء الله مرمى» وهنالك يستوي البصير والأعمى. الناظر إليه ينتهي ويقف، وصاحب الكشف فيه يكشف ويعترف. لا يشكو الجُوَّاد إلّا الجَواد؛ فإنّ الجود يخلي الخزائن لما تطلبه الكوائن. والمحدَث في الدنيا محصور، وبالمشيئة الإلهيّة مقهور. فعلى قدر ما يعطى يَهَبْ، وإن قيل له: "اذهب" ذهب. لا تخلى المخازن؛ مادامت المعادن. والمعادن عمّاله، والعاملون أصحاب أجر وعُمَاله؛ فإمّا همّة وإمّا مال، ما هنالك آمال. هذه أحوال الرجال؛ أهل الاتّصال في الانفصال، وأهل الانفصال في الاتّصال.

* * *

ومِن ذلك: تسوية الصفوف.. مألوف

-من الباب ...-

تسويةُ الصفوف من تمام الصلاة، والإمداد بالمألوف من[٣] كمال الصلات. فلا يناجيه إلّا راجيه، ولا يهابُه إلّا إهابه[٤]. أنت إهابه ما لم تُدْبَغ؛ فإذا دُبِغْتَ فأنت الرسول المبلِّغ؛ إمّا رسول وراثة بتحصيلك ميراثه، وإمّا رسول مستقلٌّ جاءه بيانه، وليس هذا زمانه. فإنّ باب التشريع قد ضاع مفتاحُه، وقُيِّد سَراحُه. فصباحه لا ينبلج، وبابه لا ينفرج، وإن خوطب به الكامل الجامع الشامل؛ فهو تعريفٌ بما ثبتْ، وإعلامٌ بما عنه سكتْ. عليك بالصفوف الأُوَل؛ فمِنها تشاهِد الأزل.

---

(١) ق: "للحافظين" والترجيح من هـ، س
(٢) ص ٤٥ب
(٣) ص ٤٦
(٤) إهاب: جلد

وإيّاك أن تتأخّر؛ فتؤخَّر. وأنت ذو وَرَاء؛ فما ترى. ولا يشهد المحيط؛ إلّا البسيط. فإن كنت وجهًا كلّك؛ فأنتَ أنتَ، فَصَلِّ حيث شئتَ.

* * *

ومِن[1] ذلك: تعشير القرآن.. في الجنان[2]

-من الباب ...-

هذا لسان كما جاء أخذناه، وأوردناه كما سمعناه:

قال الآتي المواتي: إذا خاطبك الحقُّ بلسانٍ لا تعرفه؛ فقف، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3].

وقال: الفُرقان نتيجة العامل بالقرآن[4] العظيم، وتختلف نتائج القرآن باختلاف نعوته[5]. فالقرآن المطلَق يعطي ما لا يعطيه القرآن المقيّد، وقد قيّد الله قرآنه بالعظمة والمجد والكرم.

وقال: إذا خوطِبتَ بالرسالة فقف؛ حتى تعلم عمّن أنت رسول -فإنّ الرسالة والنبوّة قد انقطعتْ بوجود رسالة رسول الله ﷺ- وبِمَ[6] أنت رسول؟ ولمن أُرسلت؟ وما حظّك منها؟

* * *

ومِن ذلك: رسالة الأرواح.. في الأرواح

-من الباب ...-

قال: رسالة الأرواح لا تزال دائمة؛ فإنّ بيدها مفاتيح نفحات الجود الإلهيّ. فمن تعرّض لتلك النفحات؛ أعطته مفاتيحَها؛ فنال منها على قدر تعرُّضه.

وقال: إذا تعرّضتَ إلى الله؛ تعرَّض إليه تعرُّضك لجود مطلَق، وإيّاك أن تُبَخِّلَهُ؛ فإنّ جميع

---

(١) كتب قبلها في وسط السطر بقلم الأصل كأنه عنوان: "فصل" وهناك إشارة شطب فوق حرف الصاد
(٢) الحروف المعجمة مهملة
(٣) [طه: ١١٤]
(٤) ص ٤٦ب
(٥) رسمها يقترب من: نعوتية
(٦) ق، س، هـ: وبما

الممكنات في يديه، وهي لا تتناهى، وأنت لا تطلب إلّا متناهيا(١).

وقال: لا تعجب من نعت الجواد بالعطاء؛ وإنما العجب ممن نَعَته بالإمساك.

وقال: ما خلق الله أعجب من الدنيا؛ فمن اعتبرها رأى الأمر على ما هو عليه.

وقال: كلّ ما في الدنيا عجب، وأعجبُ ما فيها وَصْفُ الحقّ بما(٢) لا يليق به؛ وما أطلق الألسنة عليه بذلك إلّا هو، كما أطلق ألسنةً أخرى بتنزيهه عن ذلك، وضَرَبَ الناسَ بعضهم ببعض إلى يوم كشف الغطاء.

* * *

ومِن ذلك: الغرامة.. شهامة(٣)

-من الباب ...-

إذا يُخَصُّ الّذِي يُوْحَى إِلَيْـهِ بِمَـا ... أَتَى بِهِ الوَحْيُ مِنْ عِلْمٍ ومِنْ خَبَرِ

مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَـةٍ مِنْـهُ بِـذاكَ وَلا ... يَدْرِيْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ سائِرِ البَشَرِ

فَـلا يُـعَـرِّفْـهُ ولْـيَـلْـزَمْ شَرائِـطَـهُ ... بِالاتِّباعِ الذي قَدْ جاءَ فِي الأَثَرِ

هَـذا هُوَ الأَدَبُ الُمخْتـارُ جَـاءَ بِـهِ ... رَسُـوْلُ رَبّكَ فِي الآياتِ والسُّـوَرِ

فِي مِثْلِ "طَهَ" وفِي مِثْلِ "القِيامَةِ" لا ... تَعْدِلْ بِهِ أَدَبًا إِن كُنْتَ ذا نَظَرِ

هَـذِيْ وَصِــيَّتُنـا فَـالْزَمْ طَرِيْقَتَهـا ... فإِنَّمَا أَنْتَ فِي الدُّنْيا عَلَى سَـــفَرِ

وقال(٤): أنت مأمور بأن تعمل شكرا، والشكر صفته، والزيادة مقرونة بالشكر منه إليك بالنصّ، وفيه تنبيه بما يطلبه منك من الزيادة فيما شكرك عليه. فإيّاك أن تغفل عن هذا القدْر، وكن مع الله كما أنت مع نفسك.

---

(١) ق: متناه
(٢) ص ٤٧
(٣) جميع حروف العنوان المعجمة مهملة
(٤) ص ٤٧ب

وِمن ذلك: الأعراب.. سادات الأحزاب

-من الباب ...-

قال: الأحزابُ شعوبٌ وقبائل. فكن من أهل القبائل، فإنّهم أكرمُ أحزاب، ونبيُّكَ عربيّ.

وقال: لا تُجَمْجِمْ[1]؛ فَيُجَمْجَم عليك، كما قال ﷺ: «لا تُوكِ فَيُوكَى عليك» يأمر بالجود. وقال: «إيّاكم وخضراء الدِّمَن وهي الجارية الحسناء في المنبت السوء»؛ فإنّ الله يقول: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾[2] وهو ما يزيّنه الشيطان من الأعمال، وإن كان لها وجهٌ إلى الحقّ؛ فالمَعْدِن خبيثٌ. جاء إبليس إلى عيسى عليه السلام فقال له: "قل لا إله إلّا الله" فهذه كلمة حقّ من معدن خبيث. فقال له عيسى عليه السلام: يا ملعون؛ أقولها، لا لقولك وأمرِك. فما قال "لا إله إلّا الله" التي أمره بها إبليس. فهذه جارية حسناء في منبت سُوْء.

* * *

وِمن[3] ذلك: علم الظاهر والتأويل.. في الحديث والتنزيل

-من الباب ...-

قال: ما عصى آدمُ إلّا بالتأويل، وما عصى إبليسُ إلّا بالأخذ بالظاهر؛ فما كلّ قياس يصيب، ولا كلّ ظاهر يخطئ.

وقال: إن قِسْتَ تعدّيتَ الحدود، وإن وقفتَ مع الظاهر فاتَكَ علمٌ كبير. فقف مع الظاهر في التكليف، وقِسْ فيما عداه؛ تحصل على علم كبير، وفائدةٍ عظمى، وتخفِّف عن هذه الأمّة. فإنّ ذلك -أعني التخفيف عنها- مقصودُ نبيّها ﷺ فيها.

وقال: الظاهرُ مُظاهِر[4]؛ فتلزمه الكفّارة قبل الوطء.

---

(١) جَمْجَم الرجل: إذا لم يبيّن كلامه
(٢) [الأنعام: ١١٢]
(٣) ص ٤٨
(٤) ق: "متظاهر" وهناك إشارة خفيفة في إصلاحها

وقال: لو أَخذوا بالظاهر في كتابهم؛ ما نبذوه وراء ظهورهم. فما أضرّ بهم إلّا التأويل؛ فاحذر من غائلته.

وقال: الخطبُ عظيم، والأمر مشكِل، والمكلَّف مخاطَبٌ بألسنة مختلفة، مع البيان الشافي. ولكنّ العيب والسقم؛ من الفهم السقيم.

* * *

ومِن ذلك: مَن أُوتِي جوامع الكلم.. فقد أُعطي الحُكم

-من الباب ...-

وقال: إذا أيَّهَ اللهُ بأحد في كتابه؛ فكن أنت ذلك المؤيَّه به؛ فإن أَخْبَرَ فافهم واعتبر. فإنّه ما أيَّهَ بك إلّا لما سمعت، وإن أمرك أو[1] نهاك فامتثل، وما ثمّ قِسم رابع؛ إنما هو خبر، أو أمر، أو نهي.

وقال: أَنْزِله في خطابه إيّاك؛ منزلة الأُمّ من الشفقة؛ فتلقّى منه بالقبول ما يورده عليك؛ فإنّه ما خاطبك إلّا لينفعك.

وقال: لا تجعل زِمامك إلّا بيد ربّك؛ فإنّ له كما قال: يَدَيْن. فكما أنّه قد أخبرك أنّ يده بناصيتك اضطرارا؛ فاجعل زِمامَك بيده اختيارا؛ فتجني ثمرة الاختيار والاضطرار؛ بجمعك بين اليدين، وعَلِمَ الله! لقد أبلغت لك في النصيحة والذِّكْرى.

* * *

ومِن ذلك: من أهل الكتاب.. مَن هو أسعد من ذوي الأحساب

-من الباب ...-

قال: نَسَبُ الله التّقوى؛ فمن اتّقاه فقد صحّح نَسبه، وهو عبد الله حقّا. وإيّاك والنَّسب

(١) ص ٤٨ب

الطينيّ؛ فإنّه غير معتبَر. وما أحسن ما قال علي بن أبي طالب القيرواني[1]:

ما الفَضْلُ إلّا لأَهْلِ العِلْمِ إنّهُمُ ... عَلَى الهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلّاءُ

وقال: قَدْرُك عند الله موازنٌ لِقَدْرِه عندك، وأنت أعرف بنفسك مع ربّك.

وقال: لا مفاضلة في كلام الله، من حيث ما هو كلامه. فالكتب كلّها من إلٍّ واحد، والقرآن جامع؛ فقد أغنى، وأنت منه[2] على يقين، ولست من غيره على يقين؛ لما دخله من التبديل والتحريف.

* * *

ومِن ذلك: المحو والإثبات.. في علم الأبيات

-من الباب ...-

قال: احفظ على بيوت الله وأشرفها بيتا؛ قلب المؤمن؛ فإنّه بيت الحقّ.

وقال: قَوِّ أساس بيتك، وشيّد أركانه. أساسُه التوحيد، وأركانُه أربعة: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ. وجُدراته ما بين الأركان؛ وهي نوافل الخيرات. ولا تجعل له سقفا؛ فيحول بينك وبين السماء؛ فتحرَم الرؤية، لا تُكِنَّ نفسَك فيه بالسقف؛ فإنّ الغيث إذا نزل لا يصل إليك منه شيء؛ وهو رحمة الله رَحِم به عبادَه.

وقال: لا تسكن من البيوت إلّا أضعفها؛ فإنّ الخراب يسرع إليها؛ فتبقى في حفظ الله، لا في حفظ البيت. فإنّه مَن لا بيت له؛ أَحفظُ على رَحْلِه، ممن له بيت فيه رحلُه.

وقال: الأمور إذا تناقضتْ -وهي متناقضة بلا شكّ- فاعمد إلى أقربها إلى الحقّ؛ فاعتمد عليه. وأقربها إلى الحقّ؛ مَن يسرع إليه الذَّهاب والزوال؛ فيبقى الحقّ الذي هو المطلوب.

---

(١) انظر تعليقنا عليه في الباب ٣٨٦

(٢) ص ٤٩

ومِن ذلك: أخبار الأنبياء.. مسامرة الأولياء

-من[1] الباب ...-

قال: إذ ولا بدّ من الحديث؛ فلا تتحدّث إلّا بنعمة ربّك. وأعظم النِّعم ما أُعْطِيَت الأنبياءُ والرسل؛ فبِنِعَمِهم تَحَدَّثْ.

وقال: الوليُّ اللهُ؛ فلا تجالس غيرَه، ولا تتحدَّث إلّا معه؛ فإنّه يسمع عبادَه. فاسْمعِ اللهَ؛ فإنّك إن أسمعتَ غيرَه؛ فقد أسأتَ الأدب معه. ألا ترى إلى الإنسان؛ إذا أقبل على كلامه جليسُه، فأَسمعَ غيرَه؛ أخجله. وإذا أخجله لم يأمن غائلتَه، وأهون غائلتِه؛ أن يقطع به في الموضع الذي يحتاج إليه فيه.

وقال: مجالسةُ الرسل بالاتّباع، ومجالسةُ الحقّ بالإصغاء إلى ما يقول؛ فإنّه المتكلّم الذي لا يجوز عليه السكوت؛ فكن سامعا، لا متكلّما.

* * *

ومِن ذلك: مَن تَوقّى الضرر.. ليس من البشر

-من الباب ...-

قال: البشرُ كلُّ مَن[2] باشر، وما ثَمَّ إلّا مَن باشر؛ فما ثَمَّ إلّا بشر، وما ثَمّ إلّا مَن توقّى الضرر. مما روينا أنّ جبريل وميكائيل -عليهما السلام- بَكَيا. فأوحى الله إليهما: «ما شأنكما تبكيان؟ فقالا: لا نأمن مكرَك! قال: كذلك فكونا؛ لا تأمنا مكري».

وقال: كلّ ما سِوَى الله معلول، والمعلول مريض؛ فملازمة الطبيب فرضٌ لازم.

وقال: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾[3] لتقرأه[4] حيث هو؛ فاجعل كتابك في علّيّين. فإن

(١) ص ٤٩ب
(٢) هناك تصحيف في الكلمة فتقرأ: "من" و "ما"
(٣) [الجاثية: ٢٨]
(٤) ص ٥٠

جعلته في سجّين؛ فاختمه بالتوحيد.

وقال: اتّخِذِ اللهَ وقاية؛ بأن تكون له هنا وقاية. فإنّك إن اتّقى بك في الدنيا؛ اتّقيتَ به في الأخرى.

وقال: يا وليّ؛ ما خلق اللهُ أكمل من الإنسان؛ فلا ترض[1] بالدون، واطلب معالي الأمور. وما ثَمّ أعلى من العلم بالله؛ فلا تشغل نفسك بغير البحث فيه، والأخذ منه. وميّزه في الخلق بترك العلامة؛ فإنّها[2] علامة.

* * *

ومِن ذلك: منازل الأنبياء -عليهم السلام-.. من ظُلل الغمام

-من الباب ...-

قال: لا تغفل عن مشاهدة الغمام؛ فإنّه مُذَكِّرٌ كلَّ مؤمنٍ بربّه.

وقال: إذا كان الحقّ على قدر العلماء به؛ فاعتمِد على الحقّ الذي جاءت الرسل بنعته. وإيّاك والفكر فيه؛ فإنّه مَزَلّة قدم، قف عند ظاهر ما جاءت به من غير تأويل؛ فإنّ الرسل ما تنطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[3] علّمهم شديد القوى.

وقال: «الخلق عيال الله» وأكرمُ العيال عند ربّ البيت؛ صاحبةُ البيت؛ وليس إلّا الرسل ومَن ورثهم على مدرجتهم. فالورثة كالسراري لربّ البيت. فهنّ، وإن كنّ سراري، فقد اشتركن مع الحرائر في الأسرّة والأسرار، والإماءُ إلى الأصل أقرب.

---

(١) ق: لا ترضى

(٢) كتب بين السطرين: "نه" إشارة إلى أن الكلمة: "فإنه"

(٣) [النجم: ٤]

ومِن(١) ذلك: ما بين الشبهة والبرهان.. من الفُرقان

-من الباب ...-

قال: إيّاك أن تنخدع؛ فإنّ الشُّبَه ما تظهر إلّا بصور البراهين، وهي أقرب إلى الأفهام بالأوهام من الأدلّة.

وقال: احذر من القرآن؛ إلّا أن تقرأه فرقانا؛ فإنّ الله ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ أي يحيّرهم ﴿وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾ أي يرزقهم الفهم فيه؛ بما هو عليه من البيان ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾(٢) وهم الذين خرجوا عن حدوده ورسومه.

وقال: أنت أنت، وهو هو. فاحذر أن تقول كما قال العاشق(٣):

أَنَا مَنْ أَهْوَى ومَنْ أَهْوَى أَنَا

فهل قدَر على أن يردّ العين واحدة؟ واللهِ؛ ما استطاع؛ فإنّ الجهلَ لا يُستطاع. فأتى بذِكْرِهِ وذِكْرِ مَن يَهوى؛ ففرَّق. واعتقِد الفُرقان؛ تكن من أهل البرهان، لا بل من أهل الكشف والعيان. قد علمتَ أنّ ثمّ غِطاء يُكشف، وقد آمنت به؛ فلا تغالط نفسك، بأن تقول: أنا هو، أو هو أنا.

* * *

ومِن ذلك: توالي الأنوار.. على قلوب الأحرار

-من الباب ...-

أوّلُ نورٍ ظهر الكوكبُ، ثمّ تنكّب، وتلاه القمر فما أثّر. فلمّا بدتِ الشمس(٤)؛ أزالت ما في النفس. وكانت هذه الأنوارُ عينَ الدليل في حقّ إبراهيم الخليل عليه السلام.

---

(١) ص ٥٠ب

(٢) [البقرة: ٢٦]

(٣) هو الحسين بن منصور الحلاج (٢٤٤-٣٠٩هـ)، والبيت هو:

أَنا مَن أَهوى وَمَن أَهوى أَنا   نَحنُ روحانِ حَلَلنا بَدَنا

(٤) ص ٥١

مَــنْ نَــظَــرَ الحَــقُّ إلى سِرِّهِ		أَنالَهُ الـعِـزَّ عَـلَى غَـيْرِهِ
فَلْيَشْـــكُرِ اللهَ عَلَى قَـدْرِ مَـا		أَعْطـاهُ رَبُّ الخَيْرِ مِنْ خَيْرِهِ
إذا دَعـاهُ الحَـقُّ مِـنْ كَـوْنِـهِ		أَقْبَـلَ نَحْوَ الحَقِّ مِنْ فَوْرِهِ
لَا يَـتَـأَنَّى، وَلْـيَـقِـفْ عـارِفًـا		بِقَـدْرِهِ المَعْلُومِ فِيْ طوْرِهِ
إِلَهُ إِبْـراهِـيْمَ أَعْـطَـى الذِي		أَرادَ إِبْـراهِـيْمُ فِي صَـــوْرِهِ
أَطْـيـارَهُ فَـنَـالَ مَـطْـلُـوبَـهُ		بِمَـا أَتَى الإِنْبـاءُ فِي طَيْرِهِ
فَنُـوْرُ مـا فِي الـرُّوْحِ مِـنْ نُـوْرِهِ		ونَوْرُ ما فِيْ الجِسْـمِ مِنْ نَوْرِهِ
إنْ خَصَّـــكَ اللهُ بِهِ فاسـْـتَعِذْ		مِنْ حَوْرِهِ القاضِيْ عَلَى كَوْرِهِ
مَنْ[1] قال: لا ضَـــيْرَ؛ لِمَا قَدْ رَأَى		مِنِ انْقِلابِ الأَمْرِ فِي ضَـــيْرِهِ
مــا فَـلَكٌ دارَ عَـلَى قُـطْـبِـهِ		إِلَّا أَتَى بِالكَوْنِ[2] فِي دَوْرِهِ
للهِ مِــنْ قــاضٍ ومِــنْ عــادِلٍ		قَـدْ أَمِنَ الأَقْوامُ مِنْ جَوْرِهِ
وفَضْـــــلُهُ عَمَّ وَلا صـــــارِفٌ		فِي كَوْرِهِ الأَعْلَى وفِي حَوْرِهِ

* * *

ومِن ذلك: ما يعطي البقاء.. في دار السعادة والشقاء

-من الباب ...-

قال: مَن تلا المحامِد، ولم يكن عينَ ما يتلوه منها؛ فليس بِتَالٍ. وكذلك مَن تَلا المَذامّ، وكان عينَ ما يتلوه؛ فليس بِتَالٍ؛ فما نزل القرآن إلّا للبيان.

وقال: كن أنت المخاطَب في خطاب الحقِّ؛ بسمعك، لا بسمع الحقّ؛ فإنّه لا يأمر نفسَه، ولا ينهاها.

وقال: لا تحزن على ما يفوتك من جنّة الميراث؛ فإنّه ما فيها تقصير؛ وإنما ينبغي لك أن تحزن

(١) ص ٥١ب
(٢) رسمها في ق يقترب من: بالكور

على ما يفوتُك من جنّة الأعمال.

وقال: لا تعتمد إلّا على جنّة الاختصاص؛ فإنّها مثل التوفيق للأعمال الصالحة في هذه الدار[١]؛ لا تُنال إلّا بالعناية، لا بالاكتساب.

وقال: «كُلْ مما يليك»؛ إذا كان الطعام واحدا. فإن اختلف؛ فكُلْ من حيث شئت؛ وذلك أنّ العقائد مختلفة، والمطلوب بها واحد. فإن نظرتَ إليهم من حيث أحديّة المطلوب؛ فاثبتْ على ما عندك، وهو الأكل مما يليك. وإن نظرتَ إليهم من حيث هم؛ فكُلْ من حيث شئت؛ فإنّك مصيب.

* * *

ومِن ذلك: سجود القلب والجسد.. هل ينقطع، أو هو إلى الأبد؟

قال: ما عرفنا نَقْص سهل[٢] إلّا مِن سجود قلبه، وما أخبر أنّه رآه ساجدا؛ فرآه على ما كان عليه. وإنما أخبره أنّه يسجد؛ ولا سجود إلّا من قيام أو جلوس، ولا قيام للكون؛ فإنّ القيّوميّة لله.

وقال: لكلّ اسم إلهيّ تجلّ؛ فلا بدّ أن يسجد له القلب. فلا يزال يتقلّب من سجود إلى سجود؛ وبهذا سمّي قلب العارف: قلبا. بخلاف قلوب العامّة؛ لاختلاف تقلّباتها فيما يخطر لها من أحوال الدنيا، وتلك بعينها هي عند العارف أسماءٌ إلهيّة. فانظر إلى ما بين المنزلتين؛ كيف يرتقي هذا بعين ما ينحطُّ به هذا! ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾[٣].

وقال: ما وقع ما وقع؛ إلّا مِن تَعَشُّق كلّ نفس بما هي عليه، ولذلك قال: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ[٤]﴾[٥] فلو تبيّن لكلّ حزب مآله وما له؛ لَفرح مَن ينبغي له أن يفرح، وحزن من ينبغي

(١) ص ٥٢
(٢) المقصود: الولي العارف سهل التستري.
(٣) [الحج: ١١]
(٤) ص ٥٢ب
(٥) [المؤمنون: ٥٣]

له أن يحزن.

وقال: لو خرجوا من العمرة إلى ما كانوا عليه أوّل مَرّة في قولهم: ﴿بَلَىٰ﴾[1] لَسعدوا.

* * *

ومِن ذلك: التقسيم.. في الكلام الحادث والقديم

-من الباب ...-

قال: كلام الحادث محدَث، وكلام الله له الحدوث والقِدَم؛ فله عموم الصفة؛ فإنّ له الإحاطة، ولنا التقييد.

وقال: لا يضاف الحدوث إلى كلام الله؛ إلّا إذا كتبه الحادث، أو تلاه. ولا يضاف القِدَم إلى كلام الحادث؛ إلّا إذا تكلّم به الله عند مَن أسمعه كلامَه؛ كموسى ﷺ ومَن شاء الله من عباده في الدنيا والآخرة، وأهل السعادة. وأهلُ الشقاء يقول الله لأهل جهنّم في جهنّم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[2].

وقال: مَن سمع كلام الله من الله؛ استفاد. ومَن سمعه من المحدَث؛ ربما عاند، وربما قَبِل؛ بحسب ما يوفَّق له.

وقال: العجب كلّ العجب من قذف الحقّ على الباطلِ، والباطلُ عدم؛ فما وقع على شيء؛ فلِمَن دمغ بقذفِه، ولا عين[3] له في الوجود؟ ولو كان له وجودٌ لكان حقّاً؟ فهذا من أعجب ما سمعته الآذان من أصحاب القلوب!

---

(١) [الأعراف: ١٧٢]
(٢) [المؤمنون: ١٠٨]
(٣) ص ٥٣

ومِن ذلك: ما يعطي خطاب الجود والسماحة.. من الراحة

-من الباب ...-

قال: إن كان العماء كالعرش؛ فالخطاب[1] باقٍ من السائل الذي سأل رسول الله ﷺ: «أين كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق؟ فقال ﷺ: كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء» فإن قصدَ السائل بالخلْق كلَّ ما سِوَى الله؛ فما هو العماء. وهذه مسألة خفيّة جدّا.

وقال: بالاستواء صحّ نزوله -تعالى- كلّ ليلة إلى السماء، ومع هذا فهو مع عباده أينما كانوا. ولمّا علم أنّ بعض عباده يقولون في مثل هذا: "بِعلمه"؛ أَعْلَم في هذه الآية ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[2] ليغلب على ظنّ السامع أنّه ليس على ما تأوّلوه. فإنّا لا نشكّ أنّه يحيط بنا علما؛ أينما كنّا. وكيف لا يَعلم ذلك؛ وهو خَلَقنا، وخَلَق الأينيّة التي نحن فيها، وكذلك لو قال في تمامها: "على كلّ شيء شهيد".

وقال: لكلّ اسم من الأسماء الحسنى وجوهٌ[3] في التجلّيات[4] لا تتناهى، وإن تناهت الأعمار في الدنيا؛ فلا نهاية لها في الآخرة.

* * *

ومِن ذلك: سِرُّ الانخناث.. إلحاق الذُكور[5] بالإناث

-من الباب ...-

قال: الخنثى إذا كُمل نَكَح ونُكِح؛ فولد وأولد؛ فحاز الشهوتين. فمَن أنزله منزلة البرزخ؛ أعطاه الكمال. ومَن وقف مع عدم تمكنه من الانخناث؛ أعطاه النقص عن درجة الكامل. فهو بحسب ما يَعتبره مَن ينظر فيه، والمعتبِر بحسب ما يقام فيه.

(١) كتب في الهامش بقلم آخر: "فالسؤال" وبجانبها حرف خ
(٢) [الشورى: ١٢]
(٣) ص ٥٣ب
(٤) "في التجليّات" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٥) كتب فوقها "صح" ومقابلها في الهامش بقلم الأصل: "الذكران" وفوقها "صح"

وقال: «المترجّلات من النساء كالمتخنّثين من الرجال». فإن خُلقوا على ذلك؛ فهم بحسب ما خُلقوا عليه، وما ذمّ إلّا التعمّل؛ فاحذر منه.

وقال: «كملت مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون». فقد أثبت الكمال للنساء كما أثبته للرجال ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾[1] فما هو هذا الكمال؟ إن كان الانفعال فحِدَّه إلى عيسى عليه السلام.

وقال: لآدم على النساء درجة، ولمريم على عيسى درجة، لا على الرجال؛ فالدرجة لم تزل باقية، وبها حاز الرجل الثلث[2] الثاني؛ فكان له الثلثان؛ فلو وقعت المساواة؛ لكانا في المال على السَّواء.

وقال: تعجّب زكريا مما تعجّبت منه مريم وسارة؛ فلحق الرجال بالنساء. وثَمّ ما هو أعجب: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[3] في مقابلة امرأتين.

* * *

ومِن ذلك: مَن وعظه النَّوْم.. من القَوْم

-من الباب ...-

قال: مَن أراد أن يعرف حاله بعد الموت؛ فلينظر في حاله إذا هو نام، وبعد النوم؛ فالحضرة واحدة. وإنما ضرب الله لنا ذلك مَثلا، وكذلك ضرب اليقظة من النوم كالبعث من الموت لقوم يعقلون.

وقال: الدنيا والآخرة أختان، وقد نهى الله عن الجمع بين الأختين، والجمع يجوز بين الضرّتين. فما هما ضُرَّتان؛ لكن لمّا كان في الإحسان إلى إحدى الأختين بالنكاح[4] إضرار بالأخرى؛ لذلك قيل فيهما: ضرّتان، فتنبّه.

(١) [البقرة: ٢٢٨]
(٢) ص ٥٤
(٣) [التحريم: ٤]
(٤) ثابتة في الهامش بقلم الأصل

وقال: سفينتُك مركبُك؛ فاخرقه بالمجاهدة. وغلامُك هواك؛ فاقتله بِسَيف المخالفة. وجدارك[1] عقلُك، لا بل الأمر المعتاد في العموم؛ فأقِمه تستتر به كنز المعارف الإلهيّة عقلا وشرعا حتى يبلغ الكتابُ أجله. فإذا بلغ عقلُك وشرعُك فيك أشدّهما، وتوخّيا ما يكون به المنفعة في حقّهما، وما أريد بالشرع إلّا الإيمان؛ فإنّ العقل والإيمان نور على نور.

* * *

ومِن ذلك: ما يحصل صاحب الرحلة.. عن كلّ نحلة

-من الباب ...-

قال: الرحلة من الأكوان إلى الله -تعالى- جهلٌ به -تعالى-. فلو رأى وجهَ الحقّ في كلّ شيء؛ لعرف قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[2] وقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[3] وقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[4] على الاعتبارين في قوله: ﴿مِنْهَاجًا﴾.

وقال: الظلمة دليل على علم الغيب، والنور دليل على علم الشهادة. فالليل لباس؛ فأنت الليل. والنهار للحركة؛ فهو لِلحقّ لِشئونه. الحركة حياة وهي حقّيّة، والسكون موت فهو خلْقيٌّ، ومع هذا فله ما سكن بالوجهين من السكون والثبات، ولك ما تحرّك بالوجهين "مِن" و"إلى" ولا[5] اعتبار لليل ولا لنهار؛ فله ما فيها من حكم الإيجاد، ولك ما فيها من الانتفاع. والنوم راحة بدنيّة، ومكاشفاتٌ غيبيّة عينيّة.

وقال: إرداف النِّعم وتواليها؛ إرفاد الحقّ ومنحُه لعباده. فمن اتّقى الله فيها سعِد، ومن لم يتّق الله فيها شقي.

وقال: مواهب الحقّ لا تحجير عليها؛ فلا تقل: لم نُعْطَ؛ فإنّ الحقّ يقول: لَم تأخذ. الدليل ما

(١) ص ٥٤ب
(٢) [البقرة: ١٤٨]
(٣) [البقرة: ١١٥]
(٤) [المائدة: ٤٨]
(٥) ص ٥٥

ورد من التكليف؛ قيل لك: لا تفعل، فعلت. قيل لك: افعل، لم تفعل، هكذا الأمر.

* * *

ومِن ذلك: الفرق.. في الوحي بين التحت والفوق

-من الباب ...-

قال: إذا قام المكلَّف بما خاطبه به رسوله، من حيث ما بلّغه عن ربّه، لا من حيث ما سَنّ له؛ فما دخلَ له مما أتحفه الحقّ به من المعرفة به في ميزان قيامه؛ فذلك العلم المكتسب. وما خرج عن ميزانه، ولا يقبله ميزان عمله؛ فذلك علم الوهب الإلهيّ. فالعِلم الكسبيُّ نصرُ الله، والوهبيُّ فتحُه. فإذا جاء نصرُ الله والفتح عَلِمَ أنّه قد قام بحقّ ما كُلِّف، وإذا انقادت إليه قواه الحسّيّة والعقليّة، فمشت[1] معه على طريقه، الذي هو صراط الله لا صراط الربّ؛ فليشكر اللهَ على ما خوّله به وحباه.

وقال: خفي عن الناس طاعةُ إبليس بلعنة الله إيّاه، كما خفي عنهم موافقة الملَك ربّه في خلافة آدم؛ بثناء الله عليهم ورضاه عنهم.

* * *

ومِن ذلك: المنع.. في الصدع

-من الباب ...-

قال: حَفِظ اللهُ ذِكْره بالحفَظة من البشر، وبالصحف المكرّمة التي بأيدي السفرة الكرام البررة. فالحقُّ في قلبه، وكلامه في صدره.

وقال: خزائنُ الله صدورُ المقرّبين، وأبوابُ تلك الخزائن ألسنتُهم. فإذا نطقوا أغنوا السامعين؛ إن كانت أعين أفهامهم غير مطموسة.

وقال: إذا تميّز العارف بالإضافة إلى معروفه؛ لُقِّن الحجّةَ -فإنّ الحجّة البالغة لله- وعُصِم من

(١) ص ٥٥ب

الخطأ في القول والعمل.

وقال: الهبة العظمى؛ ما أعطاك الله من الرحمة في قلبك بعباده؛ فخفضت لهم الجناح، وأَلَنْتَ لهم القول. يقول بيهس[1] في رجزه:

إِلْبَسْ لِكُلِّ حالَةٍ لَبُوسَها إمّا نَعِيمها وإمّا بؤسَها

وقال: إنما كانت الحجّة البالغة لله؛ لأنّ العلم يطابق المعلوم، فافهم.

* * *

ومِن[2] ذلك: ما هو المقام الجليل.. الذي صحّ للخليل

-من الباب ...-

قال: المحدَث في القديم، ما هو القديم في المحدَث ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾[3] وورد في الخبر: «لو كنت متّخذا خليلا لاتّخذت أبا بكر خليلا، لكنّ صاحبكم خليل الله» فانظر إلى ما تحت هذا من المعنى اللطيف. قال بعضهم:

وتَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوْحِ مِنّي وبِذا سُمّيَ الخَلِيْلُ خَليلا

وقال: ما ثَمّ إلّا أسماؤه، وليست سِواه، وما هي دلائل عليه؛ بل هي عينه، وقد تخلّلها المتخلّق الكامل؛ فهو الخليل.

وقال: اللهُ الصاحبُ، وأنت الخليل.

وقال: نال محمد ﷺ الخُلّة والوسيلة بدعاء أُمَّتِه، ولذلك أمرهم بالصلاة عليه كما صلّى على إبراهيم، وأمرهم أن يسألوا له الوسيلة، وجعل الجزاءَ الشفاعةَ.

وقال: كلّ خليل صاحِب، وما كلّ صاحبٍ خليل.

---

(١) بيهس بن هلال الفزاري، الملقب بالنعامة لطول رجله، وكان شاعرا مجيدا من شعراء الجاهلية، وإليه تنسب عدد من الأمثال الشهيرة منها "مُكره أخاك لا بطل". ورسم الاسم في ق، ه: "كهمس" وفي س: "كهمش"
(٢) ص ٥٦
(٣) [النساء: ١٢٥]

وقال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدُكم من يخالل» أي على عادته وخُلقه. وأنت خليل الحقّ؛ فهو على ما أنت عليه، لهذا وصف نفسه بما أنت عليه؛ من الفرح، والتبشبش، والتعجّب، والضحك، وجميع(١) ما ورد عنه مما هو لك.

* * *

ومِن ذلك: الكلام بعد الموت.. هل هو بحرف وصوت؟

-من الباب ...-

قال: الكلام بعد الموت بحسب الصورة التي ترى نفسَك فيها. فإن اقتضت الحرف والصوت؛ كان الكلام كذلك، وإن اقتضت الصوت بلا حرف؛ كان، وإن اقتضت الإشارة والنظرة أو ما كان؛ فهو ذلك، وإن اقتضت الذات أن تكون عين الكلام؛ كان؛ فإنّ جميع ذلك كلّه تقتضيه تلك الحضرة، وإن رأيتَ نفسك في صورة إنسان؛ حزت جميع المراتب في الكلام؛ فإنّه العامّ الجامع أحكام الصور.

وقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(٢) يعني بالنظر العقليّ. فالكلّ ناطقٌ، وتقع العين على ناطقٍ وصامت. فالمؤمنُ يدرك ذلك إيمانا، وصاحبُ الكشف يدرك الكيفيّة، والكشفُ منحةٌ من الله يمنحها مَن شاء مِن عباده.

وقال: كلُّ نُطْقٍ في الوجود تسبيحٌ، وإن انطلق عليه اسم الذمّ، وبِعلم هذا فَضِلْنا غيرنا بحمد الله.

---

(١) ص ٥٦ب

(٢) [الإسراء: ٤٤]

ومِن[1] ذلك: ما يختصّ بالدنيا.. من أحكام الرؤيا

-من الباب ...-

قال: إنما قال النبيّ ﷺ: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» لما في الموت من لقاء الله. ألا ترى إلى قوله في المحتضر: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[2] ولم يقل: "عقلك" فكلّ ما أنت فيه في الدنيا؛ إنما هو رؤيا. فمن عَبَرها في الدنيا؛ كان بمنزلة من رأى في الرؤيا أنّه استيقظ وهو في حال نومه كما هو؛ فعبَرها.

وقال: مَن وقف على حكمة تقلُّب الأمور في باطنه عَلِمَ أنّه نائم في يقظته العرفيّة.

وقال: الأمر في غاية الإشكال؛ لأنّا خُلقنا في هذه الدنيا نيامًا؛ فما ندري لليقظة طعما إلّا ما يهبُّ علينا من روائح ذلك في حال نومنا، الذي هو شبيهٌ بحال موتنا. إلّا أنّ في النوم العلاقة باقية بتدبير هذا الهيكل، وبالموت لا علاقة، ولا بدّ أن يختلف الحكم في صورةٍ مّا أو في صُوَر.

* * *

ومِن ذلك: ما حال أهل الانتباه.. في صراط الربّ وصراط الله

-من[3] الباب ...-

قال: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾[4]، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[5]، ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾[6] وقال: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[7] وقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾[8] وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾[9] وقال: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[10] وقال: ﴿قُلْ

(١) ص ٥٧
(٢) [ق: ٢٢]
(٣) ص ٥٧ب
(٤) [الشورى: ٥٣]
(٥) [هود: ٥٦]
(٦) [الأنعام: ١٢٦]
(٧) [العنكبوت: ٦٩]
(٨) [النحل: ١٢٥]
(٩) [الأنعام: ١٥٣]
(١٠) [الشورى: ٥٣]

هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾[1].

وقال: ما يدعو إلى الله على بصيرة إلّا مَن كان على بيّنة من ربّه، والشاهد الذي يتلوه منه؛ ما يوافقه على ذلك من النفوس التي كشف الله لها عن ذلك.

وقال: ما ثَمّ إلّا اختلاف، ولا يكون إلّا هكذا. وإذا سمعتَ أنّ ثَمّ أهل جمع؛ فليس إلّا مَن جمع مع الحقّ، على ما في العالم من الخلاف؛ لأنّ الأسماء الإلهيّة مختلفة، وما[2] ظهر العالم إلّا بصورتها؛ فأين الجمع؟

وقال: العين واحدة؛ فالحكم واحد.

* * *

ومِن ذلك: هل في القِدَم.. قَدَم

-من الباب ...-

قال: مَن سبقتْ له العناية عند الله؛ ثبت العالَم عنده على ما هو عليه، لا يتبدّل في تبدُّله، وتحوُّله من حال إلى حال، ومن صورة بصورة، والعالِمُ بذلك قليل.

وقال: الدنيا والآخرة سَوَاء[3] في الحكم إلى أجل مسمّى فيما اجتمعا فيه.

وقال: لا يظهر خصوص الآخرة التي تمتاز به عن الدنيا فيكون آخرة ما فيها حكم دنيا؛ إلّا إذا انقضى أجلها المسمّى، وعمّت الرحمة، وشملت النعمة؛ عند ذلك تكون مفارقة الدنيا، وذلك هو الموت الصحيح الموجبُ الراحةَ، وهو النوم الذي لا يقظة بعده؛ فإنّ الله جعل النوم سُباتا، أي راحة. فكلّ ما تراه في عين الآخرة الخالصة؛ فهو رؤيا، وهنالك يعلم الإنسانُ العارفُ اتّصافَ الحقّ بالحيّ القيّوم. وأنت المائت النَّؤوم، ولك البقاء فيما أنت فيه، كما أنّ له البقاء فيما هو فيه.

وقال: مَن عرف حالَ العالَم ومآلَه، وتصرّفاته وأحكامه، مِن هنا؛ فقد عرف، وذلك هو المسمّى

(١) [يوسف: ١٠٨]
(٢) كانت في ق: "وما ثمّ" ومسحت: "ثم"
(٣) ص ٥٨

بالعارف العالِم الحكيم، فاجهد أن تكون أنت ذلك الرجل.

* * *

ومِن ذلك: الاستقصاء.. هل يمكن فيه الإحصاء

-من الباب ...-

قال: إذا رأيت مَن يتبرّأ من نفسِه فلا تطمع فيه؛ فإنّه منك أشدّ تبرُّؤا[1]، فافهم.

وقال: ما ثَمّ ثقة بشيء؛ لِجَهْلِنا بما في علم الله فينا، فيا لها من مصيبة.

وقال: ما ثَمّ إلّا الإيمان فلا تعدل عنه، وإيّاك والتأويل فيما[2] أنت به مؤمن؛ فإنّك ما تظفر منه بطائل ما لم يكشف لك عينا.

وقال: اجعل أساسَ أمرك كلّه على الإيمان والتّقوى حتى تبين لك الأمور؛ فاعمل بحسب ما بان لك، وسر معها إلى ما يدعوك إليه.

وقال: اجعل زِمامك بيد الهادي، ولا تتلكّأ؛ فيسلّط عليك الحادي؛ فتشقى شقاء الأبد.

وقال: مَن كانت داره الجنان في الدنيا خِيْفَ عليه، وبالعكس.

* * *

ومِن ذلك: التحديد.. بين أهل الشرك والتوحيد

-من الباب ...-

قال: مِن نعم الله؛ كونُه جعل الفطرة في الوجود، لا في التوحيد. فلذلك كان المآل إلى الرحمة؛ لأنّ الأمر دَوْر؛ فانعطفَ آخِرُ الدائرة على أوّلها، والتحق به؛ فكان له حكمه، وما كان إلّا الوجود.

(١) رسمها في ق: تبريا
(٢) ص ٥٨ب

وقال: "سبقت الرحمةُ الغضبَ"؛ لأنّه بها كان الابتداء، والغضب عرَض، والعرَض زائل.

وقال: التوحيد في المرتبة، والمرتبة كثرة؛ فالتوحيد توحيد الكثرة. لولا ما هو الأمر كذا؛ ما اختلفت معاني الأسماء. أين مدلول القهّار من مدلول الغفّار؟ وأين دلالة المعِزّ من دلالة المذِلّ؟ هيهات؛ فُزْنا، وخسر من كان في[1] هذه الدنيا أعمى. لا عِلم إلّا في الكشف؛ فإن لم تكن من أهله؛ فلا أَقَلّ من الإيمان.

وقال: المحسوس محسوس؛ فلا تعدل به عن طريقه؛ فتجهل. والمعقول كذلك معقول؛ فمَن أَلحق المحسوس بالمعقول فقد ضلّ ضلالا مبينا.

* * *

ومِن ذلك: الفاصل.. بين الحالي[2] والعاطل[3]

-من الباب ...-

قال[4]: لله سور بين الجنّة والنار ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾[5]، وعليه ﴿رِجَالٌ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾[6] وهو الأعراف؛ فيعرفون ما هم فيه، وما هم.

وقال: أخفى الله رحمتَه في ذلك السور، أي في باطنه، وجعل العذاب في ظاهره؛ لاقتضاء الموطن والزمان والحال. وأهل الجنّة مغموسون في الرحمة، ولا بدّ من الكشف؛ فتظهر رحمة باطن السور؛ فتعمّ. فهنالك لا يبقى شقيٌّ إلّا سعِد، ولا متألّم إلّا التذّ. ومن الناس من تكون لذّتُه عينَ انتزاح ألمِه، وهو الأشقى، وهو في نفسه في نعيم، ما يرى أنّ أحدا أنعم منه، كما قد كان يرى أنّه لا أحد أشدّ عذابا منه. وسببُ ذلك شغلُ كلِّ إنسان، أو كلِّ شيء بنفسه.

(١) ص ٥٩
(٢) س: الخالي
(٣) الحال: من الحَلْي، حَلَيتُ فأنا حال. والعاطل: إذا لم يكن عليها حَلْي ولم تلبس الزينة [لسان العرب]
(٤) ق: وقال
(٥) [الحديد: ١٣]
(٦) [الأعراف: ٤٦]

وقال: أرجى آية في كتاب الله في حقّ أهل[1] الشقاء، في إسبال النعيم عليهم وشمول الرحمة، قوله: ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾[2] وهذا جزاء المجرمين على التعيين.

* * *

ومِن ذلك: الأفضل والفاضل.. والناقص والكامل

-من الباب ...-

قال: مَن وقف على الحقائق كشفا وتعريفا إلهيّا فهو الكامل الأكمل، ومَن نزل عن هذه المرتبة فهو الكامل، وماعدا هذين فإمّا مؤمن، أو صاحب نظر عقليّ، لا دخول لهما في الكمال، فكيف في الأكمليّة، فاعلم.

وقال: لا تتّكل على دليل أنّه يوصِلك إلى غيره، غايتُه أن يوصلك إلى نفسه، وذلك هو الدليل، فلا تطمع إلّا أن يكون دليلك الكشف؛ فإنّه يريك نفسَه وغيره، وهذا لأفراد الرجال.

وقال: إذا قرأتَ: ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ﴾ فإن انقطع نَفَسك على الجلالة الثانية كان، وإلّا فاقصد ذلك ثمّ ابتدئ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتِهِۦ﴾[3].

* * *

ومِن ذلك: الوجود.. في الوفاء بالعهود

-من الباب ...-

قال[4]: الوفاء من العبد بالعهد جفاء، وإن كان محمودا؛ لما فيه من رائحة الدّعوى.

وقال: احذر أن تفي ليفي إليك: أوفِ أنت بعهدك، واتركه يفعل ما يريد.

---

(١) ص ٥٩ب

(٢) [الأعراف: ٤٠]

(٣) [الأنعام: ١٢٤]، "رسالاته" وفقا لقراءة ورش، وهي في قراءة حفص: رسالته.

(٤) ص ٦٠

وقال: مَن وفى بعهده ليفي له الحقّ بعهده؛ لم يزده على ميزانه شيئا، وهو قوله: ﴿أَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾[1] وليس سِوَى دخول الجنّة. ورد في الحديث: «كان له عند الله عهدا أن يدخله الجنّة» لم يقل غير ذلك ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾ ولم يطلب الموازنة، ولا ذكر هنا أنّه يفي له بعهده، وإنما قال: ﴿فَسَنُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾[2] وما عظّمه الحقّ فلا أعظم منه، فاعمل على وفائك بعهدك من غير مزيد.

وقال: الوفاء يتضمّن استقصاء الحقوق، ويتضمّن الزيادة. وهي من جانب العبد نوافل الخيرات، والحقوق هي الفرائض. فالوفاء من الله لعبده بهذه المثابة؛ وفاء وجوب، واستحقاق، وزيادة لزيادة، وزيادة لا لزيادة، وهي الزيادة المذكورة في القرآن.

* * *

ومِن ذلك: استناد الكلّ إلى الواحد.. وما هو بأمرٍ زائد

-من الباب ...-

قال: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾[3] فما ثَمّ إلّا عينُه؛ فَمَن السعيد والشقيّ؟

وقال: إنّ الحقّ وصف نفسه بالرضا والغضب، فما ثَمّ إلّا راحة وتعب، ومنهم[4] شقيٌّ بالغضب والغضبُ زائل، وسعيدٌ بالرضا والرضا دائم.

وقال: مَن فهم الأمور هانت عليه الشدائد؛ فإنّ الشيء أرحم بنفسه من غيره به.

وقال: ألا ترى إلى المنتقم لا ينتقم من عدوِّ ليؤلم عدوَّه؛ إنما ينتقم منه دواء لنفسه، يستعمله ليريح نفسه.

---

(١) [البقرة: ٤٠]
(٢) [الفتح: ١٠]، "فسنوتيه" وفقا لقراءة ورش، وفي قراءة حفص: فسيؤتيه.
(٣) [هود: ١٢٣]
(٤) ص ٦٠ب

كَذِي العُرِّ يُكْوَى غيرُه وهو راتِعُ(١)

كذا هو الأمر فافهم واعقل. ألا ترى المنتقم إذا سكن غضبه بالانتقام عفا، وإن فرّط في المنتقَم منه الأمر بالقتل ندم، إلّا أن يكون في حدّ من حدود الله؛ فإنّه تطهير.

* * *

ومِن ذلك: الإبرام والنقض.. في البعض من البعض

-من الباب ...-

قال: لولا ما أنت منه ما كنى بك عنه، قال -تعالى- في عيسى: ﴿وَرُوحٌ مِّنۡهُۖ﴾(٢) وما في الوجود شيء إلّا منه. قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مِّنۡهُۚ﴾(٣).

وقال: مَن أنزلك منزلته فقد أباح لك التصرّف في رتبته، فاظهُر بصفته، ولا تكن كأبي يزيد يُغشى عليك في أوّل قدم. كن محلّا تكن للخلافة أهلا ما دمت في الدنيا، فإذا انتقلتَ إلى العقبى فأنت بالخيار.

وقال: اجهد أن(٤) لا تفارق حياتَك؛ فإنّك إن فارقتها ما تدري هل ترجع إليها أو لمثلها، وأنت قد أَلِفْتَها، وصحبةُ مَن تَعلَم أَوْلَى من الغريب.

وقال: العصمة والاعتصام ضربان: اعتصامٌ بالله، واعتصامٌ بحبل الله. فإن كنت من أهل الحبل فأنت من أهل السبب، وإن اعتصمت بالله كنت من أهل الله؛ فإنّ لله من عباده أهلا وخاصّة.

وقال: حُكم أهل الله؛ ما تميّزوا به مِن تجلّيهم لخلق الله بصورة الحقّ، ومَن لم يكن له هذا؛

---

(١) ورد هذا في بيت من الشعر للنابغة الذبياني (ت ١٨هـ) والبيت هو:

لَكَلَّفتَني ذَنبَ اِمرِئٍ وَتَرَكتَهُ   كَذي العُرِّ يُكوى غَيرُهُ وَهوَ راتِعُ

والعُرُّ، بالضم: قروح مثل القُوَباء تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل منها مثلُ الماء الأَصفر، فتُكْوَى الصِّحاحُ لئلّا تُعْدِيها المِراضُ؛ تقول منه: عُرَّت الإِبلُ، فهي مَعْرُورة. [لسان العرب]

(٢) [النساء: ١٧١]

(٣) [الجاثية: ١٣]

(٤) ص ٦١

فليس من الأهل، وهم أصحاب العُرُش، وخاصّة الله هم المقرَّبون. وإن لم يكن لهم هذا التجلّي؛ فالأهل أقرب من الخاصّة.

* * *

ومِن ذلك: إحياء الموات.. بالنبات

-من الباب ...-

قال: الحيوان لا يتغذّى إلّا بالنبات؛ فحياته حياته. ولذلك إذا فقد الغذاء اضطرب.

وقال: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾(١) فما تغذَّى إلّا بالمُشاكِل والملائم.

وقال: "مَن ثَبت نَبت" مَثَلٌ سائر.

وقال: الموتُ الأصلُ؛ ولهذا كان الفناء من أحوال أهل طريق الله؛ ليعرفوه ذوقا. فَهُم في البقاء مع الله في حالِ فناء عنهم.

وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾(٢) وما خرج إلّا من الحجَر، وما جاد به الحجَر إلّا بعد الضرب(٣) بالعصا، والعصا نبات، وبالماء يحيي الأموات؛ فأين درجة الحيوان من درجة النبات؟

فـانْظُرْ إلى حَجَرٍ(٤) فَـاضَ عَلَى شَجَرٍ ... وانْظُرْ إِلَى مَـائِعٍ مِنْ نَفْسِ أَحْجَـارِ
بِهِ الحَيَاةُ وَمَا تخشى إزالته ... وانْظُرْ إِلَى ضارِبٍ مِنْ خَلْفِ أَسْتارِ

وقال: الآجال محدودة، فالأيّام معدودة.

وقال: النفوس مقهورة، والأنفاس محصورة.

---

(١) [نوح: ١٧]
(٢) [الأنبياء: ٣٠]
(٣) ص ٦١ب
(٤) أثبت فوقها بقلم آخر: موجد

وقال: وجهُ الله أنت؛ فأنت القِبلة حيث كنت؛ فلا تتوجّه إلّا إليك. ما يظهر الخليفة إلّا بصورة مَن استخلفه؛ وأنت الخليفة في الأرض، وهو الخليفة في الأهل.

* * *

ومِن ذلك: الحضرة الجامعة.. للأمور النافعة

-من الباب ...-

قال: مَن سمّى الحقَّ ذَكَرَه، ومَن شكره حمده، ومَن أثنى عليه رحِمَه، ومَن سلّم إليه أمرَه مجّده، ومَن استند إليه قَبِله، ومَن دعاه أجابه؛ فكن مع الله كما هو معك.

وقال: أنت المؤمن فأنت مرآته، لذلك أنت الجامع لظهور صورته بك له.

وقال: إذا ناجَيْتَ ربَّك[1] فلا تناجِه إلّا بكلامه، واحذر أن تخترع كلاما من عندك فتناجيه به؛ فإنّه لا يسمعه منك، ولا تسمع له إجابة؛ فتحفّظ فإنّ ذلك مَزَلّةُ قَدم.

وقال: كن تاليا لا تكن مقدَّما؛ فإنْ قدَّمَك الحقُّ تقدَّم كالمسابق والمصلِّي. يقول النبيّ ﷺ في الإمامة: «إن أُعْطِيْتَها أُعِنْتَ عليها، وإن سألتها وُكِّلْتَ إليها؛ فلا تسأل الإمارة؛ فإنّها يوم القيامة حسرة وندامة».

* * *

ومِن ذلك: اجتماع النازل والراقي.. وما بينهما عند التلاقي

-من الباب ...-

قال: عليك بالمنازَلات؛ فإنّك مأمور بالقصد إليه، وهو مُنْعِم بالنزول، فانظر في أيّ حضرة أو منزلة يكون اللقاء، فكن بحسبها.

وقال: لا ينزل عليك إلّا على الطريق الذي تعرج إليه، ولولا ذلك لم تلتق.

---

(١) ص ٦٢

وقال: انظر بأيّ صفة عرجتَ إليه؛ تجدها بعينها عين ما نزل بها إليك، وليس إلّا المناسَبة، ولولا ما هو الأمر هكذا؛ ما كان اللقاء.

وقال: لا تعامل الله بالإمكان، ولكن عامله بالمناسِب؛ فإنّه ما ينزل إليك إلّا به. فإن قلت: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾(١) فما أراد إلّا المناسِب؛ فأنت صاحب الآية.

* * *

ومِن(٢) ذلك: اللؤلؤ المنثور.. من خلف الستور

-من الباب ...-

قال: مَن أراد التكوين فليقل: "بسم الله" وإن كتبه فليكتبه بالألف.

وقال: الأدب مع الله أن لا تشارك فيما أنت فيه مشارك.

وقال: ما هو إلّا أنت أو هو، ما أنت وهو؛ فما ثَمّ مشاركة.

وقال: أنت له مقابل؛ فإنّك عبد وهو سيّد.

وقال: عامله بك لا تعامله به؛ فإذا عاملته بك عامَلَك به؛ فأغناك. وما أقول: عمّن، ولذلك لا يشقى أحد بعد السعادة.

وقال: احمد الله على كلّ حال؛ يدخل في حمدك حال السرّاء والضرّاء، وما ثَمّ إلّا هاتان الحالتان.

وقال: الزم الاسم المركّب من اسمين؛ فإنّ له مقاما(٣) عظيما، وهو قولك: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾(٤) خاصّة، ما له اسم مركّب غيره؛ فله الأحديّة، هو كبعلبك، ورام هرمز، مَن ذكره بهذا الاسم لا

---

(١) [البروج: ١٦]
(٢) ص ٦٢ب
(٣) كانت في ق: "حقا" وصححت مباشرة، وهي كذلك "مقاما" في س
(٤) [الفاتحة: ١]

يشقى أبدا.

* * *

ومِن ذلك: مَن لم يُرفَع به رأس.. من الناس

-من الباب ...-

قال: ما احتقر اللهُ مَن خَلَقه حين خَلَقه. فانظره بالعين الذي نظر[1] إليه الحقّ حين أوجده؛ فإنّه ما أوجده إلّا ليسبِّحه بحمده.

وقال: العبد يخلق في نفسه ما يعتقده؛ فيعظِّمه ولا يحتقره. فما يخلق اللهُ أَوْلَى بالتعظيم. وهذه نكتة عجيبة لمن تدبّرها، تحتها إعلام بالعلم بالله إن علمتَ.

وقال: المفوِّضُ إلى الله أمرَه؛ مُقَوِّضٌ ما بناه الحقّ؛ إلّا أن يجعل تفويضه مما بناه الحقّ فيه؛ فلا يكون عند ذلك مقوِّضا.

وقال: خطابُ الله بضمير المواجهة تحديدٌ، وبضمير الغائب تحديدٌ، ولا بدّ منهما.

* * *

ومِن ذلك: القُرب المفْرط.. من المفرِّط

-من الباب ...-

قال: إذا سألتَ فاسأل أن يبيِّن لك الطريق إليه، لا بل إلى سعادتك؛ فإنّه ما ثَمّ طريق إلّا إليه؛ سواء شقي السالك أو سعِد.

وقال: ما أجهل مَن نزَّه الحقّ أن يكون شريعةً لكلِّ وارد، هذا شؤم النظر الفكريّ؛ وهل ثَمّ طريق لا يكون هو عينه وغايته وبدؤه؟!.

---

(١) ص ٦٣

وقال: لولا نورُ الإيمان؛ ما علمتَ ما يعطيه العيان؛ فلا أقوى من المؤمن جأشا[1].

وقال: إلى الحَيرة هو الانتهاء، وما بيد العالِم بالله من العلم بالله سِواها. ما أحسن الإشارة في[2] كون الله ما ختم القرآن العظيم، الذي هو الفاتحة، إلّا بأهل الحَيرة، وهو قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ والضلالةُ الحَيرةُ، ثمّ شرع عقيبها "آمين" أي أُمَّنَا بما سألناك فيه، فإنّ ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[3] نعتٌ للذين ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ وهو نعت تنزيه. ومَن علم أنّ الغاية هي الحَيرة؛ فما حار؛ بل هو على نور من ربّه في ذلك.

رِجْعَـةُ المـانِحِ فِي مِنْحَتِـهِ	هِيَ بُرْهانٌ عَلَى خِسـَّـتِهِ
هُوَ كالْكَلْبِ، كَذَا شَـبَّهَهُ	مَنْ حَباهُ اللهُ مِنْ رَحْمَتِـهِ
بالَّذِيْ فِيْها مِنَ اللِّيْنِ ومِنْ	كَـرَمِ اللهِ ومِـنْ رَأْفَـتِـهِ
فـازَ بِالخَيْرِ عُبَيْدٌ مَنَحَتْ	كَفُّـهُ المَعْرُوفَ مِنْ نِعْمَتِـهِ
وَوَقَـاهُ اللهُ شُحًّا جُبِلَـتْ	نَفْسُــهُ فِيْهِ لَدَى نَشْــأَتِهِ
وهُـوَ الْمُفْلِحُ بِالنَّصِّ كَمَا	جاءَ فِي التَّنْزِيْلِ فِي حِكْمَتِهِ

* * *

ومِن ذلك: ما تواضع عن رِفعة.. إلّا صاحب منعة

-من الباب ...-

قال: العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين؛ فلا يتواضع إلّا مؤمن؛ فإنّ له الرفعة الإلهيّة بالإيمان. تواضُعُ "المؤمن" نزولُ الحقّ إلى السماء الدنيا.

وقال: العارفُ لا يعرف التواضع؛ لأنّه عبدٌ.

---

(١) س وربما ق: "حاشا"، هـ: "حاسا"

(٢) ص ٦٣ب

(٣) [الفاتحة: ٧]

وقال[1]: انظر بعقلك في سجود الملائكة لآدم، فما صرفتْ وجوهها إلى التحت إلّا وهو فيه؛ لتشاهده في رتبته مشاهدةَ عين.

وقال: ما كانت خلافة الإنسان إلّا في الأرض؛ لأنّها موطنه، وأصله، ومنها خُلِق وهي الذلول.

وقال: دعا اللهُ العالمَ كلّه إلى معرفته، وهم قيام؛ فإنّ الله أقامهم بين يديه حين خلقهم؛ فأسجدهم؛ فعرفوه في سجودهم، فلم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها أبدا، وما عاين مِن هذا السجود سهل[2] إلّا سجود القلب.

وقال: ما عرف الرسول ﷺ طعم التواضع إلّا صبيحة ليلة إسرائه؛ لأنّه نزل من أدنى من قاب قوسين إلى مَن أكْذَبه؛ فاحتمله وعفا عنه.

* * *

ومِن ذلك: مَن خفي أمرُه.. جُهِل قدرُه

-من الباب ...-

قال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[3] فيما كيّف به نفسَه، مما ذكره في كتابه وعلى لسان رسوله من صفاته.

وقال: ما ثَمّ حجابٌ ولا ستر؛ فما أخفاه إلّا ظهوره.

وقال: لو وقفت النفوس مع ما ظهر؛ لعرفت الأمر على ما هو عليه. لكن طلبتْ أمرا غاب عنها؛ فكان طلبُها عينَ حجابها. فما قدرتْ ما ظهر حقَّ قدره؛ لشغلها[4] بما تخيّلت أنّه بَطُن عنها.

(١) ص ٦٤
(٢) هو سهل بن عبد الله التستري
(٣) [الأنعام: ٩١]
(٤) ص ٦٤ب

وقال: ما بَطُن شيءٌ وإنما عَدَمُ العلمِ أَبطنَه؛ فما في حقّ الحقّ شيء بَطُن عنه. فخاطبنا -تعالى- بأنّه الظاهر والباطن والأوّل والآخِر، أي الذي تطلبه في الباطن هو الظاهر؛ فلا تتعب.

* * *

ومِن ذلك: ما في التوقيعات الجوامع.. من المنافع

-من الباب ...-

قال: ما تخرج التوقيعات الإلهيّة إلى العالَم إلّا بحسب ما التمسوه من الحقّ، والمقاصد مختلفة، هذا إذا كانت التوقيعات عن سؤال، وهي كلُّ آية نزلت عن سؤال وسبب.

وقال: كلُّ سورة أو آية نزلتْ من عند الله؛ فهي توقيع إلهيّ: إمّا بعلمٍ بالله، أو بحكمٍ، أو بخبر، أو بدلالة على الله. فما نزل من ذلك ابتداءً فابتلاءٌ، وما نزل عن سؤالٍ فاعتناءٌ وابتلاءٌ.

وقال: ما خرج توقيع عن سؤال؛ إلّا لإقامة حجّة على السائل.

وقال: الشرعُ الواجب الذي لا مندوحة عنه؛ ما وقّعه الحقّ ابتداء، ودونه ما وقَّعه عن سؤال؛ بقولٍ أو حال.

وقال: الوجودُ الديوانُ، ويمينُ الحقِ الكاتبة الموقّعةُ. فكلّ خبر إلهيّ جاء به رسولٌ من عند الله؛ فهو توقيع[1]؛ فاعمل بحسب الوقت فيه؛ فإنّ الأمرَ ناسخ ومنسوخ.

* * *

ومِن ذلك: ما تعطيه الحضرة.. في النظرة

-من الباب ...-

قال: الحضرةُ في عُرف القوم: الذات، والصفات، والأفعال.

---

(١) ص ٦٥

وقال: النظرة الإلهيّة في الخلق؛ ما هو عليه الخلق من التصريف؛ فإنّ العالَم مُسَيَّر، لا مخيَّر.

وقال: نظرُ الحقِّ في عباده إلى رُتَبِهم، لا إلى أعيانهم، لهذا نزلت الشرائع على الأحوال، والمخاطَبون أصحابُها.

وقال: العالِم بإنزال الشرائع يعرف ما خاطب الحقُّ منه في نظره إليه، وهو قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[١] فالأحوال تطلب الأحكام المنزَّلة في الدنيا.

* * *

ومِن ذلك: مَن خَيَّرك.. حَيَّرك

-من الباب ...-

قال: ما دعا الملأ الأعلى إلى الخصام إلّا التخيير في الكفّارات، والتخييرُ حَيرة؛ فإنّه يطلب الأرجح أو الأيسر، ولا يُعرف ذلك إلّا[٢] بالدليل ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[٣]، ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[٤].

وقال: إذا خيّرك الحقّ في أمور؛ فانظر إلى ما قدَّم منها بالذِّكْر؛ فاعمل به؛ فإنّه ما قدّمه حتى تهمَّم به وبك؛ فكأنّه نبّهك على الأخذ به. ما تزول الحَيرة عن التخيير؛ إلّا بالأخذ بالمتقدِّم. تلا رسول الله ﷺ حين أراد السعي في حجّة الوداع: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[٥] ثمّ قال: «أبدأ بما بدأ الله به» فبدأ بالصفا، وهذا عين ما أمرتك به لإزالة حَيرة التخيير ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٦].

---

(١) [يونس: ٦١]
(٢) ص ٦٥ب
(٣) [البقرة: ١٩٦]
(٤) [المائدة: ٨٩]
(٥) [البقرة: ١٥٨]
(٦) [الأحزاب: ٢١]، وفي الهامش: "بلغ مقابلة على الشيخ ؓ".

ومِن ذلك: المعارِفُ.. في العوارفِ

-من الباب ...-

قال: عطايا الحقِ كلّها عند العارف؛ إنما هي معارف بالله؛ جهِلها غير العارف، وعرفها العارف.

وقال: ما عرفها العارف دون غيره؛ إلّا لكونه أخذها من يد الله؛ لمّا سمع الله يقول: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[١].

وقال: عوارفُ الحقِّ مِنَنُهُ ونِعَمُه على عباده. فما أَطلعك منها على شيء؛ إلّا لِيردّك[٢] ذلك الشيء منك إليه. فهو دعاء الحقّ في[٣] معروفه؛ لما رأى عندك من الغفلة عنه؛ فتحبّبَ إليك بالنِّعم.

وقال: عطايا الحقِّ كلُّها نِعَم، إلّا أنّ النِّعَمَ في العموم موافقةُ الغرَض.

* * *

ومِن ذلك: إثبات الحُكْم.. من غير عِلم

-من الباب ...-

قال: ثبت بالشرع المطهَّر حكم الحاكم بالشاهد واليمين، وقد تكون اليمينُ فاجرةً والشهادةُ زورًا، فلا عِلْم مع ثبوت الحكم.

وقال: الحاكم مصيب للحكم؛ فهو صاحب علم؛ لأنّ الله ما حكم إلّا بما علِم، وهو الذي شرع له أن يحكم. فمَا غلب على ظنّه؛ فهو عنده غلبةُ ظنّ، وعند الله علمٌ.

وقال: الحاكم مَن ولّاه اللهُ الحكمَ من غير طلب. ومَن أخذه عن طلب؛ فما هو حاكم الله، وهو مسئول.

---

(١) [الفتح: ١٠]

(٢) ص ٦٦

(٣) ق: "على" وكتب فوقها مباشرة بقلم الأصل: "في"

وقال: قال النبيّ ﷺ: «إنّا لا نولّي أمرنا هذا مَن طَلَبَه» بمثل[1] هذا ثبتتْ خلافته، والخلافة أمر زائد على الرسالة؛ فإنّ الرسالةَ تبليغٌ، والخلافةَ حكمٌ بقهر.

وقال: توليةُ الوالي بعد موته نيابةٌ، ما هي ولاية. ومَن ولّاه الناس فهي ولاية الحقّ[2]، وهو الخليفة الإلهي. فكن عتيقيًا أو عثمانيًا، ولا تكن عُمَريًا[3] إلّا[4] فيما فعل؛ فإنّه ترك الأمر شورى.

* * *

ومِن ذلك: التساوي.. في المناوي

-من الباب ...-

قال: مَن ناواك فهو عند نفسه قد ساواك، وقد لا يكون له هذا المقام.

وقال: إذا ابتلاك الحقُّ بِضُرٍّ؛ فاسأله رفعه عنك، ولا تقاومه بالصبر عليه. وما سَمّاك صابرا؛ إلّا لكونك حبستَ نفسك عن سؤال غير الحقّ في كشف الضرّ الذي أنزله بك.

وقال: ما قصّ عليك أمر أيّوب عليه السلام إلّا لتهتدي بهداه. إذا كان الرسول سيّد البشر يقال له: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[5] فما ظنّك بالتابع.

وقال: جاع بعض العارفين؛ فبكى. فقيل له في ذلك. فقال: "إنما جوّعني لأبكي"، هذا هو العارف.

---

(١) الحروف المعجمة مهملة في ق، ولذلك يمكن قراءتها: "فمثل" والترجيح من هـ، س

(٢) ص ٦٦ب

(٣) "عتيقيا، عثمانيا، عمريا" نسبة إلى الخلفاء الراشدين أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب، والإشارة هنا إلى طريقة تولي كلٍّ منهم أمر المسلمين.

(٤) هـ: - "إلا"، وهي ثابتة بين السطرين في ق بقلم آخر

(٥) [الأنعام: ٩٠]

ومِن ذلك: مَن أنصف[1].. لم يتّصف

-من الباب ...-

قال: المحقِّق لا صفة له؛ لأنّ الكلَّ لله. فلا تقل: "إنّ الحقّ وصف[2] نفسه بما هو لنا مما لا يجوز عليه" فهذا سوء أدب، وتكذيب الحقّ فيما وصف به نفسه. بل هو عند العارف الأديب صاحبُ تلك الصفة من غير تكييف؛ فالكلّ صفات الحقّ. وإن اتّصف بها الخلق؛ فهي مستعارة، ما هو فيها بطريق الاستحقاق عند المحجوب (بالطريق) التي لا تجوز على الحقّ، وما عرف المسكين أنّ الذي لا يجوز على الحقّ إنما ذلك؛ النسبة التي نسبتها بها إلى الخلق، لا عين الصفة.

وقال: ما ثَمّ صفة إلّا إلهيّة، وهي للمخلوق مُعارة، كما أنّه معار في الوجود.

وقال: نحن عندنا ودائعُ الله أودَعَنا إيّانا؛ فمتى ما طلب ودائعَه رجعنا إليه؛ إذ نحن عين الودائع. فافهم مَن أَودع، ومن استودع، وما الوديعة.

* * *

ومِن ذلك: مَن لا يُقلّه مكان.. لا يقيّده زمان

-من الباب ...-

قال: كلُّ مَن شأنُه الحصر فالظروف تحويه، وإن جهِل.

وقال: أين قوله ﷺ: «إنّ لله تسعة وتسعين اسما» وذكرها[3]، من قوله: «أو استأثرتَ به في علم غيبك»، «ولا أُحصي[4] ثناءً عليك» وما الثناء عليه إلّا بأسمائه. فمن حيث ما هي دلائل عليه؛ فهو محصور لكلّ اسمٍ اسمٍ؛ فإنّه يدلّ عليه، وعلى المعنى الذي جاء له.

(١) الحرف الثاني مهمل، ولذا يمكن أن تقرأ: اتصف

(٢) ص ٦٧

(٣) ثابتة تحت السطر

(٤) ص ٦٧ب

وقال: كما لا يلزم من الفَوق إثباتُ الجهة، كذلك لا يلزم من الاستواء إثباتُ المكان.

وقال: العارف كما لا يزيد في الرقم لا يزيد في اللفظ؛ بل يقف عندما قيل من غير زيادة، وهي العبادة.

* * *

ومِن ذلك: الإنسان.. رداء الرحمن

-من الباب ...-

قال: ما تردَّى الحَقُّ برداءٍ أحسن من الإنسان، ولا أكمل؛ لأنّه خلقه على صورته، وجعله خليفة عنه في أرضِه، ثمّ شرع له أن يستخلفه على أهلِه.

وقال: لولا أنّ الحقّ أعطاه الاستقلال بالخلافة؛ ما قال له عن نفسه -تعالى- آمرًا: ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا﴾[1] ولا قال له ﷺ: «أنت الخليفة في الأهل والصاحب في السفر» وهو ﷺ القائل: «إنّ الله أدّبني فأحسن أدبي».

وقال: «الرداء للتجمُّل» فله الجمال؛ فلا أجمل من الإنسان إذا كان عالما بربّه.

وقال[2]: العالَمُ عند الجماعة هو إنسان كبيرٌ في المعنى والجِرْم، يقول تعالى: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[3]؛ فلذلك قلنا: "في المعنى" وصدَق، وما نفى العلم عن الكلّ؛ وإنما نفاه عن الأكثر. والإنسان الكامل من العالَم، وهو له كالروح لجسم الحيوان، (وهو) الإنسان الصغير. وسمّي صغيرا؛ لأنّه انفعل عن الكبير. وهو مختصره؛ لأنّ كلّ ما في العالَم فيه. فهو وإن صغُر جِرْمُه؛ ففيه كلّ ما في العالَم.

---

(١) [المزمل: ٩]
(٢) ص ٦٨
(٣) [غافر: ٥٧]

ومِن ذلك: مَزَلّة الأقدام.. في بعض أحكام العقول والأحلام

-من الباب ...-

قال: العارف مَن عبد الله من حيث ما شرع، لا من حيث ما عقل من طريق النظر.

وقال: العقلُ قيَّد موجِدَه، والشرعُ والكشفُ أرسلَه؛ وهو الحقّ.

وقال: للهوى في العقل حكمٌ خفيٌّ لا يَشعر به إلّا أهلُ الكشف والوجود.

وقال: أثرُ الأوهام في النفوس البشريّة أَظهرُ وأقوى مِن أثرِ العقول إلّا مَن شاء الله.

وقال: مِن رحمة الله بنا أنّه رفع عنّا المؤاخذة بالنسيان، والخطأ، وما[1] نحدّث به أنفسنا. فلو أَخَذَنا بما ذَكَرنا؛ لَهلِك الناس.

وقال: ما سمّيت العقول عقولا؛ إلّا لقصورها على مَن عَقَلَتْه، مِن العِقال. فالسعيد مَن عَقَله الشرع، لا مَن عَقَله غير الشرع.

* * *

ومِن ذلك: من أحبّ اللقاء.. اختار الفناء على البقاء

-من الباب ...-

قال: مَن أحبّ الموت أحبّ لقاء الله؛ فإنّ أحدَنا لا يرى الله حتى يموت، بهذا جاء الخبر الصادق.

وقال: من مات في حياته الدنيا؛ فهو السعيدُ الخاصّ.

وقال: لقاءُ الحقّ على الشهود فَناءٌ.

وقال: انظر إلى حكمة الشارع في حديث الدجّال في قوله: «فإنّ أحدكم لا يرى ربّه حتى يموت»

---

(١) ص ٦٨ب

يعني هذا الموت المعهود الذي يعرفه الناس، وهو خروج الروح من جسم الحيوان؛ فيزول عنه التكليف. وقد عرَّفنا أنّا نرى ربّنا يوم القيامة إذا بُعِثنا، فما رأيناه إلّا بعد موتنا عن هذه الحياة الدنيا. وهذا من جوامع الكلِم الذي أعطاه الله. وإنما نبّهنا على هذا لئلّا يقول القائل: لا نرى الحقّ إلّا بعد مفارقة هذا الهيكل. ما أراد ذلك الشارع، وإنما أراد نفي الرؤية في الحياة الدنيا خاصّة؛ فنرى[1] الحقّ بعد الموت كما قال الشارع.

وقال: إنما كان اللقاء كفاحا لتحقُّق التقابل؛ لأنّه السيّد، ونحن العبيد؛ فنراه مقابلة من غير تحديد ولا تشبيه؛ لأنّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[2] كما نرى الصفات من غير تحديد، فافهم.

* * *

ومِن ذلك: أين رحمة الرحماء.. من رحمة الاعتناء؟

-من الباب ...-

قال: رحمةُ الرحماء: جزاء؛ فهي على صورة ما رَحموا، وقدرِها، ومرتبتِها؛ جزاء وفاقا.

وقال: رحمةُ الاعتناء: ما رحم به الرحماءُ مَن رَحِموه.

وقال: رحمةُ الاعتناء؛ فيما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقال: رحمةُ الاعتناء؛ الزيادة على الحسنى.

وقال: رحمةُ الرحماء؛ رحمةُ الأسماء؛ فإنّ الرحماء بحكم الأسماء الإلهيّة رحموا، وهي التي حكمت عليهم. وإنما «يرحم الله من عباده الرحماء»؛ لعلمه بأنّ رحمتَهم بمن رحموه حُكْمُ أسمائه -تعالى-، فما جازاهم إلّا على قدر الاسم الذي رحموا به.

---

(١) ص ٦٩

(٢) [الشورى: ١١]

ومِن ذلك: ما معنى قوله -تعالى-: ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾[1]

-من[2] الباب ...-

قال: لا يكون قربٌ أقرب من القوسين إلّا مَن كان قُرْبُه قرب حبل الوريد منه، وهو القرب العام. ومَن عرف هذا القرب؛ كان من المقرَّبين، وعرف سرّ الحقّ في وجوده وموجوداته على التنزيه.

وقال: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ. فَرَوۡحٌ﴾[3] لما هو عليه من الراحة؛ حيث رآه عين كلِّ شيء ﴿وَرَيۡحَانٌ﴾ لمّا رآه عين الرزق الذي يحيا بتناوله، كما قال سهل[4] وقد سئل عن القوت، فقال: "الله"، ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ أي ستر ينعم به وحده لمّا علم أنّ كلَّ أحد حاله من الله -تعالى- مثل هذا المشهد. وهؤلاء هم الذين هم ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ. فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقۡتَدِرِۭ﴾[5] لأنّهم كلّ ما همّوا به انفعلَ لهم.

وقال: قوله: ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ يعني أدنى مما تمنّاه العبد أو يتمنّاه. وهذا أبلغ في المعنى في قوله: ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾.

وقال: إذا قرأتَ القرآن فاجتمع عليه؛ فإنّه قرآن. وإذا قرأته من كونه فرقانا؛ فكن بحسب الآية التي أنت فيها في جميع قراءتك.

وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[6] فإنّ القرآن جمع، والجمعيّة تدعوه للحضور؛ فهي معينة له، بخلاف الفُرقان. فالقرآن يحضره، والفُرقان يطرده.

---

(١) [النجم: ٩]
(٢) ص ٦٩ب
(٣) [الواقعة: ٨٨ ، ٨٩]
(٤) هو سهل بن عبد الله التستري
(٥) [القمر: ٥٤ ، ٥٥]
(٦) [النحل: ٩٨]

ومِن[1] ذلك: مركب الأعمال.. براق العمّال

-من الباب ...-

قال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[2] والموجودات كلّها كلمات الله: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾[3]، ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ إلى ما انتهت إليه همّته، وما تعطيه حقيقة العمل الرافع له، ورفعةُ الله لا تُدرَك ولا تُعرَف؛ فلا حَدّ لها، فاعلم. يقال يوم القيامة لصاحب القرآن: «اقرأ وارْقَ؛ فإنّ منزلك عند آخر آية تقرأ» فدرجات الجنّة -على هذا- على عدد آي القرآن.

وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾[4] فهو العامل؛ فإلى أين يصعد العمّال؟

وقال: العارف مَن عمل في غير معمل؛ فهو يبذل المجهود، وهو على بيّنة من ربّه: أنّ الله هو العامل لما هو العبد له عامل. ولولا ذلك ما كان التكليف؛ فلا بدّ من نِسبة في العمل للعبد. فالنِّسبة إلى الخلق، والعمل للحقّ. فهو تشريف العبد، أعني إضافة العمل إليه، سَواء شعر بذلك العبدُ، أو لم يشعر.

* * *

ومِن ذلك: استفهامُ[5] العالِمِ.. العالِمَ

-من الباب ...-

قال: إنما استفهم العالِم ليميّز[6] به مَن في قلبه ريب، ممن ليس في قلبه ريب؛ فيُعلم العالِم من غير العالِم لإقامة الحجّة.

---

(١) ص ٧٠

(٢) [فاطر: ١٠]

(٣) [هود: ١٢٣]

(٤) [الصافات: ٩٦]

(٥) ص ٧٠ب

(٦) مكتوب فوقها بين السطرين بخط آخر: "ليحيّر"

وقال: ما اختبر اللهُ العالِمَ إلّا ليعلم ما هو به عالِم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾[1] هذا ذاك من وجهٍ، فهذا مؤمنٌ كُلّف أن يؤمن بما هو به مؤمن.

وقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾[2] استفهامٌ لا إنكار، مقام رسول الله ﷺ يعطي ما ذهبنا إليه.

وقال: ما أثنى على من أثنى عليه إلّا لجهله بالمراتب، وعلمه أيضا بها، ولكن ما يَعلم ما له منها إلّا بتعريف من الله.

وقال: من الاستفهام ما يكون إيهاما، وهو استفهام العالِم عمّا هو به عالِم.

وقال: مَن استفهمك؛ فقد شهد لك بالعلم بما استفهمك عنه.

وقال: قد يقع الاستفهام من العالِم لإقامة الحجّة في الجواب، فيقول له: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ﴾[3] ومن هنا أيضا كانت الحجّة البالغة لله على عبده.

* * *

ومِن ذلك: الذِّكْرى.. بُشْرى

-من[4] الباب ...-

قال: الذِّكْرى بشرى المذكِّر بالوراثة، وهي في حقّ المعتنى به بشرى بالقبول، وفي حقّ غير المعتنى به بشرى بالحرمان. أهلُ العناية ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ﴾[5] وأهل الحرمان: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[6] لأنّ كلّ واحد أثّر في بِشرته ما بُشِّر به، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم

(١) [النساء: ١٣٦]
(٢) [التوبة: ٤٣]
(٣) [المائدة: ١١٦]
(٤) ص ٧١
(٥) [التوبة: ٢١]
(٦) [آل عمران: ٢١]

بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا﴾[1].

وقال: البشرى للبشَر؛ فإنّه ما يُكلَّم إلّا من وراء حجاب ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾[2].

وقال: ما عرف مقدار البشَر إلّا من عرف معنى ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[3].

وقال: مَن خلق برفع الوسائط مع المباشرة؛ فلم يكن ذلك إلّا في البرزخ. وأمّا في الطرفين؛ فَلا. فإنّ الطرف الحسّي يحيله العقل، والطرف العقلي لا يشهده الحسّ.

وقال: البشرى مختصّة بالمؤمن، وهو يبشّر الكافر، والكافر لا حظّ له في البشرى الإلهيّة برفع الوسائط.

* * *

ومِن ذلك: من غار.. أغار

-من الباب ...-

قال: من غيرة الله حرّم الفواحش؛ فجعلها له حراما محرّما[4]. فتخيّل مَن لا علم له أنّ ذلك إهانة، وهو تعظيم؛ إذ هو من شعائر الله وحرماته، والله يقول: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾[5]، ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾[6].

وقال: قول النبيّ ﷺ: «إنّ سعدا لغيورٌ، وأنا أغيَرُ من سعد، والله أغيَرُ منّي، ومن غيرته حرّم الفواحش» فجعل الفواحش حراما محرَّما، كما حرَّم مكة. وغيرها.

(١) [النحل: ٥٨]
(٢) [الشورى: ٥١]
(٣) [ص: ٧٥]
(٤) ص ٧١ب
(٥) [الحج: ٣٠]
(٦) [الحج: ٣٢]

وقال: حرَّم رسول الله ﷺ التفكّر في ذاتِ الله، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾(١)؛ فالتحريم دليل على التعظيم.

وقال: ما أمرك الله إلّا بما هو خيرٌ لك، وهو عند الله عظيم. وما نهاك إلّا عمّا(٢) هو تَرْكُه خيرٌ لك؛ لعظيم حرمته عنده. مآل الناس في الآخرة إلى رفع التحجير ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ. وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ﴾(٣) يعني هناك ﴿فَتَرۡضَىٰٓ﴾.

* * *

ومِن ذلك: أهونُ العقاب.. ضربُ الرقاب

-من الباب ...-

قال: المقصود من ضرب الرقاب إزالة الحياة الدنيا. فبأيّ شيء زالت؛ فهو ذاك.

وقال: المقصود من ضرب الرقاب ظهورُ(٤) الحياة التي أخذ الله بأبصارنا عنها. فبأيّ شيء حصل فهو ذاك، وإن كانت الحياة الدنيا ما ذهبت. وليس يعرف ذلك إلّا أهل الكشف والوجود؛ فإنّ الميّت له خوار.

وقال: لا يصحّ ضرب الرقاب حتى تُمْلَك. فَمن ضربها بغير مِلك؛ اسْتُقِيد منه، ومُلِكَتْ رقبته فيه؛ يملكها وليُّ الدم. فقد عُتق في الدنيا، وهو رقيق في الأخرى.

وقال: أنت حرٌّ؛ فلا تردّ نفسك مملوكا لمثلِك، وحقُّ النفس أعظم عليك من حقّ مثلِك.

---

(١) [آل عمران: ٢٨]
(٢) ق: "بما" وصححت مباشرة
(٣) [الضحى: ٤ ، ٥]
(٤) ص ٧٢

وِمِن ذلك: العدم.. ما هو ثَمَّ، فافهم

-من الباب ...-

قال: ما ثَمّ إلّا الله والممكنات. فالله موجود، والممكنات ثابتة؛ فما ثَمَّ عدم.

وقال: لولا أنّ الأعيانَ مشهودةٌ للحقّ؛ ما كان وُجود ما وُجِد منها بأَوْلَى من عدمه ووجود غيره، وما شهد إلّا ما هو ثمْ.

وقال: ليس شيء أَدخل في حكم النفي من المحال، ومع هذا فثمَّ حضرة تقرّره وتصوّره وتشكّله، وما يقبل التصوير والتشكيل إلّا ما هو ثمّ؛ فالمحال ثمّ.

وقال: العدم المطلق ما لا تُعقل فيه صورة، وما هو ثمّ. فإنّه[1] ما ثمّ إلّا ثلاثة: واجب، ومحال، وممكن. ووجوب، وإحالة، وإمكان. وكلّ ذلك معقول، وكلُّ معقول مقيَّد، وكلّ مقيّد مميّز، وكلّ مميّز مفصول عمّن عنه تميّز. فما ثمّ معدوم لا يتميّز؛ فما ثمّ عدم.

وقال: الأحوال عند المتكلّمين؛ لا موجودة ولا معدومة. معلوم أنّه ما ثمّ إلّا محَلٌّ وحالٌّ؛ أي ما ثمّ إلّا من يقبل اللون مَثلا، واللونُ فما (=ما) هو المتلوِّن. وما ثمّ إلّا من يقبل الحياة، والحياة فما هي[2] الحيّ. وما ثمّ إلّا من يقبل الحركة، والحركة فما هي[3] المتحرّك.[4]

* * *

وِمِن ذلك: ما يجمع الظهر والبطن، والحدّ والمطّلع

-من الباب ...-

قال: ما من شيء إلّا له ظاهر وباطن، وحدّ ومطّلع. فالظاهر منه: ما أعطتك صورته. والباطن: ما أعطاك ما يمسك عليه الصورة. والحدّ: ما يميّزه عن غيره. والمطّلع منه: ما يعطيك

(١) ص ٧٢ب
(٢) س، ه: هو
(٣) س، ه، ق: "هو" وعدلت مباشرة بقلم الأصل: "هي"
(٤) في هامش ق: "بلغ العرض والسماع على الشيخ ﷺ"

الوصول إليه إذا كنت تكشف به. وكلّ ما لا تكشف به؛ فما وصلتَ إلى مطّلَعه.

وقال: لا فرق بين هذه الأمور الأربعة لكلّ شيء، وبين الأربعة الأسماء الإلهيّة الجامعة؛ الاسم الظاهر: وهو ما أعطاه الدليل، والباطن: وهو ما أعطاه الشرع من[1] العلم بالله، والأوّل: بالوجود، والآخِر: بالعلم ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2] فالضمير يعود على الضمير الأوّل، في ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ فالأمر من غيب إلى غيب، وضمير "هو الأوّل" يعود على ﴿هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3] وذلك الضمير يعود على الله، وهو الاسم، والاسم يطلب المسمّى. فللّه الأوّل ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآخِر، وهو الأوّل الظاهر، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الباطن، فاعلم.

* * *

ومِن ذلك: سواء السبيل.. في طلب الحقّ بالدليل

-من الباب ...-

قال: لا سبيل إلى العلم بالله بدليل نظريّ، ولا يوصَل إلى العلم بالله إلّا بتعريف الله؛ فالعلم بالله تقليد.

وقال: الكشف أعظم في الحيرة من برهان العقل عليه، بخلاف التعريف.

وقال: هو النور؛ فله إحراق ما سِواه. فلا يُكشف أي لا يدرَك بالكشف -قيل لرسول الله ﷺ: «هل رأيت ربّك؟» قال: «نور أَنَّى أراه»- وبالبرهان. فلا يُعلم إلّا وجودُه؛ ففي أيّ صورة يتجلّى حتى يُرى؟

وقال: وَعَد قوما برؤيته، وذكر عن قوم أنّهم محجوبون. فما هو محجوب؛ هو مرئيٌّ للجميع؛ لكنّه لا يُعْلَم.

(١) ص ٧٣
(٢) [الحديد: ٣]
(٣) [الحديد: ٢]

وقال(١): بالعقل يُعْلَم ولا يُرَى، وبالكشف يُرَى ولا يُعلم، وهل ثَمّ حالة أو مقام يجمع بين الرؤية والعلم؟

وقال: رؤيتُه مثلُ كلامه، لا يكلِّم اللهُ بشرا ﴿إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾(٢) فهو الحجاب، وهو الرسول، وهو الوحي.

* * *

ومِن ذلك: رؤية الأهوال.. في الأحوال

-من الباب ...-

قال صاحب "محاسن المجالس": الأعمال للجزاء، والأحوال للكرامات، والهمم للوصول. وليس الكرامات سِوَى خرق العوائد في العموم، وهي في الخصوص عوائد؛ فلذلك تهول عند العامّة.

وقال: العاقلُ يهوله المعتاد وغير المعتاد، ولذلك قال في المعتاد: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٣).

وقال: مَن نظر إلى(٤) الأمور كلّها؛ معتادها وغير معتادها بعين الحقّ؛ ما هاله ما يرى، ولا ما بدا، مع تعظيمه عنده؛ فإنّه من شعائر الله ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾(٥).

وقال: كلُّ ما في الكون آية عليه، ولا يحصل في اليد منه شيء.

---

(١) ص ٧٣ب
(٢) [الشورى: ٥١]
(٣) [الرعد: ٤]
(٤) كتب فوقها بقلم الأصل: "في"
(٥) [الحج: ٣٢]

ومِن ذلك: لا تُضاهِ[1].. النور الإلهّي

-من الباب ...-

قال: الحقُّ لا يُضاهَى لأنّه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[2] ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾[3] فأين المضاهي.

وقال: صفات التشبيه مضاهاة مشروعة؛ فما أنت ضاهيت.

وقال: العقل ينافي المضاهاة، والشرع يثبت وينفي، والإيمان بما جاء به الشرع هو السعادة. فلا يتعدّى العاقلُ ما شرع الله.

وقال: العاقل مَن هجر عقله، واتّبع شرعَه بعقلِه من كونه مؤمنا.

وقال: أكملُ العقول عقلٌ ساوى إيمانَه. وهو عزيز.

وقال: لو تصرّف العقل ما كان عقلا؛ فالتصريف للعلم، لا للعقل.

وقال:

لِلْعقْـلِ لُـبٌّ ولِلأَلْبـابِ أَحْلامُ ... ولِلنُّهَى فِي وُجُوْدِ الكَوْنِ أَحْكامُ
تَمْضِي اللَّيالِي مَعَ الأَنْفاسِ فِي عَمَهٍ ... لِلْخَوْضِ[4] فِيْـهِ وأَيّامٌ وأَعْوامُ
ومَـا لَنـا مِنْـهُ مِنْ عِلْمٍ ومَعْرِفَـةٍ ... إلّا القُصُـــورُ وإِقْـدامٌ وإِيْهـامُ
العِلْمُ باللهِ نَفْيُ العِلْمِ عَنْـكَ بِـهِ ... فَكُلُّ مَـا نَحْنُ فِيْـهِ فَهْوَ أَوْهـامُ

وقال[5]: العاقل مَن قال لعقله: اعقِلْ أنّه لا يَعْقِل. فمتى عقِلتَ جَهِلْت.

---

(١) ص ٧٤ب، وفي ق: لا تضاهي (أما ص ٧٤ فبيضاء، ومكتوب فيها بقلم أحمر: ملغية)
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) [النساء: ١٧١]
(٤) الحرف الأخير مهمل في ق
(٥) ص ٧٥

ومِن ذلك: منازل الأدباء.. من السماء والعرش والعماء

-من الباب ...-

قال: العالم الأديب يُنزل الحقّ حيث أَنزل نفسه، لا يزيد عليه. ولكن لا بدّ أن يعرف الزمان؛ فإنّ زمان استوائه على العرش؛ ما هو زمان نزوله إلى السماء، ولا زمان كينونته في العماء.

وقال: الحُكم الذي يَصحبُ الحقَّ ولا يحكم عليه زمان خاص: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾[1] فهو في العرش مع الحافّين به، وفي تلك الحالة هو في النزول مع أرواح العروج والنزول، وفي تلك الحال هو في السماء يخاطِب أهل الليل، وفي تلك الحال هو في الأرض. أَيُّ موجود غير الله يوصف بهذه الصفات؟ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾[2].

* * *

ومِن ذلك: إلحاق الأصاغر.. بالأكابر

-من الباب ...-

قال: قالت[3] ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ﴾ فأعادت الضمير من "إليه" على الخبير. فـ﴿قَالُواْ﴾ لما عندهم من أحكام المَواطن: ﴿كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي[4] ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾[5] وإن كان حقّا. وما كان قد قرع أسماعهم: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[6] والمُسْمِعُ محمد ﷺ حَقٌّ في صورة محمّديّة. ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ لمّا حصَره المهد. وانظر إلى ما أعطت قوّة إشارتها إلى الحقّ في قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾ هو عين قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ﴾[7] خاصّة ﴿ءَاتَىٰنِيَ

---

(١) [الحديد: ٤]
(٢) [الزمر: ٦]
(٣) أضيفت بقلم آخر، وبجانبها حرف خ
(٤) ص ٧٥ب
(٥) [مريم: ٢٩]
(٦) [التوبة: ٦]
(٧) [المائدة: ١١٦]

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ضمٌّ حقّ إلى خلق، حرفٌ جاء لمعنى ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[1] فإنّ المخبِرَ الحقُّ ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ زيادة صورة عيسويّة في الحقّ ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ في المهد وغيره ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ فصلّيت ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾[2] ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ الاسم القدّوس ﴿مَا دُمۡتُ حَيًّا﴾[3] حياة الأبد ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾[4] «مَن عرف نفسه عرف ربّه» فتدبّر هذه الإشارات، وانظر إلى ما وراء هذه الستارات.

* * *

ومِن ذلك: مَن ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[5].. ما هُوَ ميتٌ ولا حيٌّ.. مِن كلِّ مَن له فيٌّ

-من الباب ...-

قال: مَن خلق الموت والحياة لا يُنعت بهما، فقد كان وَلَا هُمَا، فهو الحيُّ[6] ما هو ذو حياة، فافهم.

وقال: له الأسماء، ما له الصفات؛ فهو المعروف بالاسم[7] لا بالصفة، ولذلك ما ورد بالصفة كتاب ولا سنّة[8]، وورد قرآنا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾[9] وورد: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[10] فتنزّه عن الصفة، لا عن الاسم، ورد في السنّة: «إنّ لله تسعة وتسعين اسما».

وقال: لله الرجوع؛ فإنّه التوّاب. وإليه الرجوع؛ لأنّ التوبة إلى الله ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ

(١) [مريم: ٣٠]
(٢) [الأحزاب: ٤٣]
(٣) [مريم: ٣١]
(٤) [مريم: ٣٢]
(٥) [الشورى: ١١]
(٦) "فهو الحيّ" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب.
(٧) ص ٧٦
(٨) "ولا سنّة" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب.
(٩) [الأعراف: ١٨٠]
(١٠) [الصافات: ١٨٠]

ﭐلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[1] ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾[2].

وقال: لا ترجع إليه حتى يرجع إليك؛ لأنّه الأوّل. فإذا رجعت إليه؛ رجع عليك رجوعا ثانيا؛ فهو الآخِر. فهو الأوّل والآخِر ظهَر وبطن ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾[3].

* * *

ومِن ذلك: التشحِير.. في التشمير

-من الباب ...-

قال: التشحير يزيل ما في الذهب من تُراب المعدن في الشحيرة. ذلك عين الابتلاء؛ يزيل ما يضاف إلى القديم من صفات الحدوث، وما في الحادث من صفات القِدَم.

وقال: هو المعدن وأنت الذهب؛ فأنت المخلّص منه، وفيه تكوّنتَ، وهو الذي يمدّك، وبعد انفصالك عنه أوجد غيرَك مِثلك؛ لا يزال الأمر هكذا.

وقال: أنت المعدن وهو الذي يخلّص منك بـ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[4] وأنت[5] لك أمثال.

وقال: تشحير الطبيعة من حيث نفْس الإنسان رياضة، ومن حيث هيكله مجاهدة. فبالرياضة تهذّبت أخلاقُه، وسهل انقياده، وبالمجاهدة قلّ فضوله؛ فظهر له ما فيه من الأصول والفروع. فعلم بالمجاهدة مَنْ هو، ولمن هو، وهذه هي السبل ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[6].

---

(١) [النور: ٣١]
(٢) [هود: ١٢٣]
(٣) [التوبة: ١١٨]
(٤) [الشورى: ١١]
(٥) ص ٧٦ب
(٦) [العنكبوت: ٦٩]

ومِن ذلك: مَن هرب.. إلى السِّلم من الحرب

-من الباب ...-

قال: مَن علم أنّ الهداية إلى سُبُل الله في الجهاد؛ هرب من السلم إلى الحرب؛ فإنّ الله أمره بالطلب.

وقال: لا يجنح إلى السلم إلّا مَن كان مشهوده ضعفُه، أو من كانت العين مشهودَه.

وقال: الأسماءُ لها الحكم؛ فأيُّ اسم حكم لك أو عليك؛ فأنت له. وهو اسم من أسماء الله -تعالى-؛ فهو ربُّك. ولذلك كثرت الإضافات؛ فقيل: عبد الله، عبد الرحيم، عبد الرحمن، عبد الكافي، عبد الباقي، عبد الكبير، بلغت الأسماء ما بلغت. وكذلك الكنايات قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾[١]، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾[٢]، ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[٣] وهو الواقي؛ فهو نون الوقاية، وهو ضمير الياء؛ فهذه إضافة الشيء إلى نفسه.

* * *

ومِن[٤] ذلك: الحُجّاب.. حِجاب

-من الباب ...-

قال: حَجَبَةُ المَلِك حجابه؛ ليرى بمن تتعلّق أبصار الرعايا: هل بالحجَبة؟ أو تُعدّيها بطلب رؤية المَلِك؟ فالحجبة ابتلاء من الله.

وقال: الرسلُ حجبةٌ، وهم يدعون إلى الله، لا إلى أنفسهم.

وقال: الملائكة حجبة بين الله وبين الرسل، بَعُد إسنادنا، والمقصود من الرواية: علوّ الإسناد، وكلّما قلَّ عَلا، وقد عرَّفَنا بذلك فقال: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ فزال المَلَك ﴿أَ أَنَا۠ وَمَنِ

(١) [الحجر: ٤٢]
(٢) [الكهف: ٦٥]
(٣) [طه: ١٤]
(٤) ص ٧٧

ٱتَّبَعَنِي﴾[1] فزال الرسول. قال أبو يزيد[2]: حدّثني قلبي عن ربّي. فعنه أَخذ. هذا نصّ الكتاب - أيّها المنكِر.

وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾[3] وَحْيًا: بما يلقي اللهُ برفع الوسائط، ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾: ما يُكلّمك به في صورة التجلّي حيث كان ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ من جنسك وغير جنسك.

* * *

ومِن ذلك: ما يجب على المخلوق.. من أداء الحقوق

-من الباب ...-

قال: تتنوّع الحقوق لتنوّع المخلوقات؛ عند العامّة.

وقال: تتنوّع الحقوق لتنوّع الأسماء الإلهيّة؛ عند الخاصّة من عباد الله.

وقال[4]: تختلف الأحكام لاختلاف الأسماء. سمكُ البحر حلال؛ فإذا قلتَ في سمكةٍ منها: خنزير البحر؛ حَرُمت. هذا حكم الاسم. سئل مالك عن خنزير البحر، فقال: حرام. قيل له: فإنّه سمك. قال: أنتم سمّيتموه خنزيرا.

وقال: الميتة حرام؛ مادام اسم الواجد ينسحب عليك. فإذا زال، وقيل: هذا مضطرّ؛ حلّت لك. فانظر بأيّ اسم سمّاك به الحقّ؛ فأنت لذلك الاسم. فأنت لك؛ لأنّك الواجد. وأنت المضطرّ؛ فما خرجتَ عنك؛ فحكمك فيك منك. فإذا كنت ولا بدّ في حكم الأسماء؛ فكن في حكم الأسماء الإلهيّة؛ يكن لك الشرف.

---

(١) [يوسف: ١٠٨]
(٢) أبو يزيد البسطامي
(٣) [الشورى: ٥١]
(٤) ص ٧٧ب

ومِن ذلك: كَرَم الكَرَم.. لأصحاب الهمم

-من الباب ...-

قال: مَن تكرّم على العفو والصفح بالوجود؛ فعفا وصفح، والعفو والصفح كرم؛ فالعفو كَرَم الكَرَم.

وقال: مسيء المسيء، ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾(١) والمُسيءُ مَن أتى بما يسوء، وإن كان جزاء. إلّا أنّ هذا الاسم مقصور على الخلق دون الحقّ؛ أدبًا أدَّبَنا به الحقّ.

وقال: الإحسانُ لله؛ فهو المحسن المحسان. وإن عاقب؛ فهو المحسن في حقّ العقوبة؛ لأنّه أوجدها؛ فأحسن إليها في إيجادها. فما في(٢) العالم إلّا إحسان. فأنت المحسن فيما ظهر عنك، وإن كان وجوده عن الحقّ.

وقال: إذا كان الحقُّ يدَك؛ فقد أوجدَ بك. كما تقول: أوجد بقدرته، وخصّص بإرادته ومشيئته. فأنت أَوْلَى أن تكون آلتَه؛ فإنّه الصانع. وهذا هو المشهود؛ ما تُشهد الأفعال الإلهيّة إلّا منّا؛ أعني العالَم.

* * *

ومِن ذلك: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ﴾(٣).. وَمَا عِنْدَ اللهِ لا يبعَد

-من الباب ...-

قال: الكلّ عند الله؛ فله البقاء، في العدمِ كان أو الوجود.

وقال: هو يأخذ الصدقات؛ فما نفد من عندك إلّا بأخذه منك. لو لم يأخذه؛ ما نفد منك. فما ثَمّ إلّا أنت وهو. فإمّا عندك، وإمّا عنده. وأنت عنده؛ فما عندك عنده. فما أخذ منك شيئا؛ فما

(١) [الشورى: ٤٠]
(٢) ص ٧٨
(٣) [النحل: ٩٦]

نفد عنك.

وقال: ما في يمينك ما هو في شمالك؛ فنفد عن شمالك. وأنت أنت ذو اليمين والشمال، ما شمالُك ولا يمينُك غيرك. فصدق: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ﴾ فإنّ الشمال ما تَعرف من بعض الناس ما تتصدّق به اليمين. ورد في الخبر في الرجل الذي هو أقوى من الريح؛ أنّه الذي «يتصدّق بيمينه فيخفيها عن شماله»؛ ففرّق بين[1] اليمين والشمال، والذات واحدة.

* * *

ومِن ذلك: من أسنى الذخائر.. تعظيم الشعائر

-من الباب ...-

قال: الشعائر ما دقّ وخفي من الدلائل. وأخفاها وأدقّها في الدلالة الآيات المعتادة؛ فهي المشهودة المفقودة، والمعلومة المجهولة. فانظر ما أعجب هذا!.

وقال: ما يقوم بحقّ العظيم إلّا مَن عظّمه باستمرار الصحبة، لا مَن عظّمه عند ما فجئه؛ ذلك تعظيم الجاهل.

وقال: الرؤية حجاب؛ لما يسقط بها من تعظيم المرئي عند الرائي.

وقال: مَن عاين الخلق الجديد؛ لم يزل معظِّما للشعائر الإلهيّة. ومَن عاين تنوّع التجلّي في كلّ تجلّ؛ لم يزل معظِّما لله أبدا؛ لأنّه اختلف عليه الأمر في عين واحدة.

وقال: لمّا كان الحكم للأحوال؛ لذلك مَن شاهدها لم يزل معظّما؛ فإنّها تتجدّد عنده في كلّ لحظة؛ فهو في ابتداء أبدًا.

---

(١) ص ٧٨ب

ومِن ذلك: الإسلام والإيمان.. مقدّمتا الإحسان

-من الباب ...-

قال[1]: الإيمان له التقدّم والإسلام تالٍ: وإلّا لم يُقبل. فهذا شفع قد ظهر، والختام للوتر؛ فأوتَره الإحسان. فأوّل الأفراد الثلاثة.

وقال: حضرة الفرد: الذات، والصفات، والأفعال. وأريد بالصفات الأسماء؛ فهذه ثلاثة.

وقال: الإيمان تصديق؛ فلا يكون إلّا عن مشاهدة الخبَر في التخيُّل؛ فلا بدّ من الإحسان. والإسلام انقياد، والانقياد لا يكون إلّا لمن علم أنّ يد الحقّ بناصيته؛ فانقاد طوعا. فإن لم يحسّ - أي يشعر- انقاد كرها. والإحسان أن تراه؛ فإنّه يراك.

وقال:

مـا جَزا مَنْ رآكَ إلّا تَرَاهُ　　　وَهُوَ الحَقُّ لَيْسَ ثَمَّ سِـــوَاهُ

فَهُوَ الرَّائي إذْ رأَيْتَ، كَمَا هُو　　　مَن رَأَيْنا، فَهُوَ ومَا هُوَ ما هُوْ

* * *

ومِن ذلك: الضنائن.. خواتن[2]

-من الباب ...-

قال: نفوس العارفين حورٌ مقصورات؛ في خيام كنَفِه ضنائنُ مصانون في العوائد، يُعرفون ويُنكرون.

وقال: عنهم تكون الانفعالات[3] الإلهيّة في الأكوان؛ فهي لهم كالولادة لأهل الرجل. ورد في الخبر: «بهم تُنصرون» فولدوا النَّصْر «وبهم تُمطرون» فولدوا الغيث «وبهم تُرزقون» فولدوا

---

(١) ص ٧٩

(٢) الختن: زوج فتاة القوم ومن كان من قِبَله من رجل وامرأة كلهم أختان لهذه المرأة.

(٣) ص ٧٩ب

الرزق. فسمّ عبد النصير، وعبد المغيث، وعبد الرزّاق، وهكذا ما بقي.

وقال: الكدُّ على العائلة، والسعي على الأهل. وأوجبُه نفسُك، ثمّ زوجُك، ثمّ ولدُك، ثمّ خادمُك. هذا عين قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1] فلنفسِه: لما يسبّح بحمده، وخلقِه: لعبادته، وفي شأن أهله: لما تمسّ حاجتهم إليه، ولما تولّد عنهم: لذلك[2] بعينه. فتدبّر ما أنعم الله ﷻ به عليك.

* * *

ومِن ذلك: إثباتُ العلّة.. نحلة

-من الباب ...-

قال: العلّة، وإن اقتضت المعلول لذاتها، فلها التقدّم بالرتبة. وإن ساوقها المعلول في الوجود؛ فما ساوقها في الوجوب الذاتي النفسيّ. فإذا عقلتَ هذا؛ فلا تبال؛ إلّا أن يمنعك الأدب.

وقال: ما هرب مَن هرب إلى[3] القول بالشرط؛ إلّا (من) الخوف من مساوقة الوجود، وما علم أنّ الموجود له حكم الوجود؛ سواء تأخّر أو تقدّم. بخلاف الوجوب النفسيّ؛ فإنّه له، وليس لك. فكان الله فيه ولا شيء معه فيه، ولا يكون بخلاف الوجود. فلو قلت: «كان الله ولا شيء» لم يقل: "الآن وهو ولا شيء" لوجود الأشياء. وفي الوجوب الذاتي تقول في كلّ حال: "كان الله ولا شيء، وهو الآن ولا شيء" فقد علمت الفارق؛ فقل شرطا أو علّة؛ إلّا أن تُمنع شرعا.

---

(١) [الرحمن: ٢٩]
(٢) ق: "كذلك" وصححها فوقها مباشرة: "لذلك"
(٣) ص ٨٠

ومِن ذلك: حبّ الجزاء.. عن حبّ الاعتناء

-من الباب ...-

قال: حبُّ المخلوق خالقَه محصور بين حبِّ الله الذي أوجب له أن يحبّه وحبِّ جزاء محبّته؛ فهو محفوظ عليه وجوده.

وقال: علامةُ المحبّة اتّباعُ المحبوب فيما أمر ونهى، في المنشط والمكره، والسرّاء والضرّاء.

وقال: دليلُ المحبّ: "الحمد لله المنعِم المفضِل" ودليلُ المحبوب: "الحمد لله على كلّ حال". كان رسول الله ﷺ[1] يقول في السرّاء: «الحمد لله المنعِم المفضِل» ويقول في الضرّاء: «الحمد لله على كلّ حال» هذا هو الثابت عنه، ذكره مسلم في الصحيح.

وقال: حبُّ الاعتناء بالجزاف؛ عطاءٌ بغير حساب ولا هنداز، وحبُّ الجزاء بالميزان: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾[2].

وقال: الحبّ خلوص الولاء؛ فهو للأولياء من العموم والخصوص.

وقال: حبّ الاعتناء منه، وحبّ الجزاء عنه. فإنّ حبّ الجزاء عرفناه بالتعريف، وحبّ الاعتناء عرفناه بالوجود والتصريف.

* * *

ومِن ذلك: قد تُحرِّك النعمة.. أصحابَ الظلمة

-من الباب ...-

قال: إنما سكن أصحاب الظُّلَم ولم يتحرّكوا؛ لأنّهم لا يرون حيث يضعون أقدامهم؛ فيخافون من مهواة يَقَعُون فيها؛ فسكونهم اضطرار.

وقال: إذا تحرّك أهل الظُّلَم؛ فلجسيم النعمة؛ فإنّهم ما يحرّكهم إلّا عظيم ما أردفهم الله به من

(١) ص ٨٠ب
(٢) [الأنعام: ١٦٠]

نِعَمِه؛ حتى أغفلتهم عن شهود ظُلْمَتِهم.

وقال: هل تعرف من[1] هم أصحاب الظُّلَم؟ الناظرون في العلم بالله بالدليل النظريّ، والمهواةُ الشبهةُ. فما يحرّكهم مع هذا إلّا نعمةُ الإيمان. فانتقلوا إلى التقليد؛ فتحرّكوا بنور الشرع المطهَّر؛ فأبصروا محجّة بيضاء ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾[2] و﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ فيها ﴿دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[3].

* * *

ومِن ذلك: عموم الخطاب.. لمن طاب

-من الباب ...-

قال: ليس في خطاب الله خصوص؛ بل دعوته تعمّ. فإنّ المدعوَّ واحد، كما هو الداعي واحد.

وقال: إذا دعا بالأسماء كَثُر الدعاة، فكثُر المدعوّون[4]، كثرةَ الأعضاء من الإنسان الواحد. يقول رسول الله ﷺ: «إنّ لنفسك عليك حقّا، ولعينك عليك حقّا؛ فصم وافطر، وقم ونَم» وكذا جميع قواك الظاهرة والباطنة.

فأنت الكثير وأنت الواحد، وكذلك الداعي بعينه وأسمائه، فافهم.

وقال: أنت نسخة منه، وبك كنى عنه؛ فقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾. وقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾[5] فالسيفُ آلةٌ لك، وأنت[6] والسيفُ آلةٌ له.

وقال: ما أجهل بالله مَن يقول إنّ الله لا يخلق بكذا. فالله -تعالى- يقول في نبيّه إنّه "رميت"، إلّا أنّه نفى الرمي عنه، وأثبته، فقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فالرميُ وقع منه ﷺ بقول الله وإيصاله إلى أعين الكفار، حتى ما بقيتْ عينٌ لمشرك حاضر؛ إلّا وقع من التراب في

---

(١) ص ٨١
(٢) [طه: ١٠٧]
(٣) [طه: ٧٧]
(٤) رسمها في ق: المدعَون
(٥) [الأنفال: ١٧]
(٦) ص ٨١ب

عينه؛ فهذا ليس للمخلوق. فالعجب من بعض الناس أنّه يَكفر بما هو (به) مؤمن.

* * *

ومِن ذلك: التسبيح.. تجريح

-من الباب ...-

قال: المنزَّه لا ينزَّه؛ فإنّه إن نُزِّه فقد نُزِّه عن التنزيه؛ فإنّه ما له نعتٌ إلّا هو؛ فيُشبَّه. فالتسبيح تجريح؛ فسبِّحه على الحكاية؛ فإنّه سبَّح نفسَه، وعلى ما أراد بذلك؛ فهو تسبيح الأدباء العارفين به -سبحانَه-.

وقال: عدمُ العدم وجود، وكذلك تنزيه المنزّه عمّا هو به موصوف.

وقال: أهلُ التسبيح إذا أُشهد أحدهم مَن سبَّحه؛ قال: "سبحاني" فما سبَّح إلّا نفسَه.

وقال: تسبيحه، في زَعْمِهِ، رَبَّه يفضحه الشهود؛ فاستعجَلَ بالتعريف[1] في هذه الدار، فقال: "سبحاني" فأَنكر عليه مَن هو على حالته التي كُشِف له عنها.

وقال: إن طلب منك الدليل؛ فقل: «إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثمّ أردّها عليكم».

* * *

ومِن ذلك: التحميد.. تقييد

-من الباب ...-

قال: كلامُك محصور؛ فإنّك محاط بك. فإذا أَثنيتَ؛ فقد قَيَّدت بثنائك مَن أثنيت[2] عليه وحصرتَه. وله الإطلاق؛ فأطلقه من ثنائك، مع بقاء الثناء عليه، لا بدّ من ذلك، وقل كما قال رسول الله ﷺ: «لا أُحصي ثناء عليك» بعد بذل المجهود «أنت كما أثنيت على نفسك» يقول رسول الله ﷺ في الصحيح في حديث الشفاعة: «فأحمده بمحامد لا أعلمها الآن» يعطيها الموطن،

---

(١) ص ٨٢

(٢) ق: انثنيت

إن فهمت.

وقال: كلمات الله لا تنفد؛ فالثناء عليه منه لا يقف عند نهاية.

وقال: يختلف الثناء على الله -تعالى- لاختلاف حال المثني. فإنّ حال السَّرّاء ما هو حال الضرّاء، فاختلف الثناء على الله -تعالى- فيقول في وقت: «الحمد لله المنعِم المفضِل» وفي وقت: «الحمد لله على[1] كلّ حال» وفي وقت: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾[2] وفي وقت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾[3] وفي وقت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾[4] وفي وقت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾[5] وفي وقت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾[6]، وفي وقت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[7]، وفي وقت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[8]، وفي وقت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[9]، وفي وقت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[10]، وفي وقت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[11].

* * *

ومِن ذلك: التأويل.. لأهل التهليل

-من الباب ...-

قال: لمّا تنوّعتْ مَواطن التهليل ظهر حكم التأويل. فلكلّ تهليلٍ حالٌ، ولسانٌ، ورجالٌ، ومقامٌ.

(١) ص ٨٢ب
(٢) [الأعراف: ٤٣]
(٣) [فاطر: ٣٤]
(٤) [الزمر: ٧٤]
(٥) [الإسراء: ١١١]
(٦) [الكهف: ١]
(٧) [الأنعام: ١]
(٨) [فاطر: ١]
(٩) [النمل: ٥٩]
(١٠) [النمل: ٩٣]
(١١) [الفاتحة: ٢]

وقال: التهليل قولك: لا إله إلّا الله، فنفيتَ وأثبتّ.

وقال: إن نظرتَ وتحقّقت ما نفيت؛ فما هو إلّا عين ما أثبتّ. ولولا أنّ الله يجازي بالقصد؛ ما عظم جزاء التهليل.

وقال: دليل ما ذهبنا إليه قوله: ﴿وَقَضَىٰ[1] رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[2] فانظر هل عبدوا شيئا إلّا بعد ما نسبوا إليه الألوهة؟! فما عبدوا إلّا الله، لا تلك الأعيان. الحجّة قوله: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْۚ﴾[3] وهو العلم كلّه، ولم يقل: "انسبوهم" فإنّه لو قال لهم: انسبوهم؛ لنسبوهم إليه بلا شكّ.

* * *

ومِن ذلك: "الله أكبر" ممن؟ أو عمّن؟

-من الباب ...-

قال: لولا ما خَلَق من خلق على صورته، ما قال: "الله أكبر" لما في هذه الكلمة من المفاضلة. فما جاء "أكبر" إلّا من كونه الأصل؛ فعليه حذا الإنسان الكامل.

وقال: ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ ؛ لمّا نسوا صورتهم، فهم الحيوان[4]؛ فصحّت المفاضلة، وليس إلّا أنّ السماوات والأرض هما الأصل في وجود الهيكل الإنساني ونفسِه الناطقة. فالسماوات ما علا، والأرض ما سفل؛ فهو منفعل عنهما، والفاعل أكبر من المنفعل، وما أراد الجِرْم لقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[5].

وقال: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[6] فإنّ حوّاء خُلقت من آدم، وآدم خُلق من الأرض. فكما

(١) ص ٨٣
(٢) [الإسراء: ٢٣]
(٣) [الرعد: ٣٣]
(٤) "فهم الحيوان" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب.
(٥) [غافر: ٥٧]
(٦) [البقرة: ٢٢٨]

أنّ له درجة على حوّاء؛ للأرض عليه درجة. فهو الأُمّ لحوّاء، وهو[1] ابنٌ للأرض، والأرض له أُمّ: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾[2] ﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا﴾[3] لذلك تضغطه عندما يُدفن فيها؛ مثل عناق الأمّ وضمّها ولدَها؛ إذا قدم عليها من سَفَر؛ فهو ضَمُّ محبّةٍ ﴿وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾[4] وهو البعث.

* * *

ومِن ذلك: ما هو لك.. ما يُتملّك

-من الباب ...-

قال: ما هو لك هو يطلبك؛ فلا تتعب. فإن طلبته؛ تعبتَ، ومَلِكَك.

وقال: ما هو لك ما[5] هو لك؛ وإنما هو لمن جاء من عنده.

وقال: الله لك، والله لا يُملَك.

وقال: ما أَشَدَّ حيلة الإنسان! ما اقتنع في العلم بالله بما أخبره الله بما هو عليه في نفسه؛ فنظر، وتأوّل، عسى يخرج عن المِلْك، بما يملكه في اعتقاده، مما أوجده بنظره؛ ليكون هو المالك. فإنّه مَن مَلِكَهُ مملوكه فما مَلِكَهُ إلّا نفسُه؛ لأنّه صنعه وخلقه؛ فأحبّه، والمحبوب مالك؛ فلذلك أقرّ بالملك صاحبُ النظر لمن اعتقده. فهو المالك المملوك، والخالق المخلوق فافهم.

* * *

ومِن[6] ذلك: من المكرمات.. تعظيم الحرمات

-من الباب ...-

قال: لمّا عظم الحُرَمُ عند بعولتهنّ؛ صانوهنّ وغاروا عليهنّ، وهو خير له. فإنّ صحّةَ النَّسب

---

(١) ص ٨٣ب
(٢) [طه: ٥٥]
(٣) [القصص: ١٣]
(٤) [طه: ٥٥]
(٥) شرح "ما" في الهامش بقلم الأصل: "ما الأولى بمعنى الذي والثانية نافية"
(٦) ص ٨٤

تصون الأهلَ عن الرِّيَب؛ فلا يدخله ريبٌ فيما ولد على فراشه «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

وقال: جعل الله الأرض فراشا، ومنها خلق آدم على صورته، وقد ورد أنّ «الولد سِرُّ أبيه».

وقال: لولا هذه الحكمة المطلوبة؛ لاكتفى بالمهاد، ولم يذكر الفراش.

وقال: ما خلق الله الألفاظ حين عيّنها بالذِّكْرِ سُدَى؛ فإنّ ذلك حرف جاء لمعنى، وهو ما قلنا ولا يقتصر(١). وقال فيها: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾(٢) فأَوْلَدها تَوْأَمَيْن، ولذلك جاء: ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾(٣) حين ربت، وهو الحمل، وألقت(٤) الماء. فنسب الإنبات إليه وإلى الأرض، فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾(٥) مصدر نبت، فما قال: "إنباتا". ونسب الولد لوالده؛ فإنّ له عليه ولادة؛ بوضعِه في الرحم. وينسب إلى الأمّ؛ لأنّ لها عليه ولادة؛ بخروجه من بطنها. فانظر(٦) إلى ما أعطاه الفراش. وجعل الله بينه وبين خلقه نَسبا، ولم يكن سِوَى التّقوى، من الوقاية. وَرَدَ: «اليوم أضع نَسبكم وأرفع نَسبي. أين المتّقون؟ ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾(٧).

* * *

ومِن ذلك: مَن اعتُنِي به صغيرا.. وضُيِّع كبيرا

-من الباب ...-

قال: يحيى آتاه الحكم صبيّا، ولم يجعل له من قبل سميّا، وسَلَّط عليه الجبّارَ عدوَّه؛ فقتله -وما حماه الله منه، ولا نصرَه- باقتراح بغيٍّ على باغ.

---

(١) الحروف المعجمة جميعها مهملة، والرسم يقترب من: نفيض
(٢) [ق: ٧]
(٣) [الحج: ٥]
(٤) حرف القاف مهمل ويمكن لذلك قراءة الكلمة: ألفتْ بمعنى وجدتْ
(٥) [نوح: ١٧]
(٦) ص ٨٤ب
(٧) [الحجرات: ١٣]

وقال: أراد بقاءه حيّا؛ فقتله شهيدا؛ فأبقى حياته عليه. فما مات مَن قتله أعداءُ الله في سبيل الله. فجمع لهم بين الحياتين ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾(١)، ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾(٢). وإن كان الموت أشرف؛ فإنّه صفة الأشرف: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(٣) فالأكابر لا يتميّزون بخرق العوائد؛ فهم مع الناس عموما في جميع أحوالهم بظواهرهم.

وقال: الاعتناء بالصغير رحمة به؛ لِضعفه. فإذا كبر؛ وُكِّل إلى نفسه. فإن بقي في(٤) كِبَره على أصله من الضعف؛ صَحِبته الرحمة. وإن تكبَّر عن أصله، وادّعى القوّة المجعولة فيه بعد ضعفه؛ أضاعه الله في كِبَره؛ بِرَدِّ الضعف إليه؛ فاستقذره وليُّه، وتمنّى مفارقته، وفي ضعف صغره كان يشتهي حياتَه، ويرغب في تقبيله، ولا يستقذره.

* * *

ومِن ذلك: لا تضيع الأجور.. عند أهل الدثور

-من الباب ...-

قال: يُجْبِرُ الحاكمُ صاحبَ الوفْرِ على إعطاء ما تعيّن عليه من الحقّ لغيره. ألا ترى إلى مَن جحد شيئا من الزكاة، ثمّ عَثَر عليه المصدّق؛ أخذ منه ما جحدَ وشَطْرَ مالِهِ عقوبة له.

وقال: يبلغ المتمنّي بتمنّيه مبلغَ صاحب المال فيما يفعل فيه من الخير، من غير كدٍّ، ولا نصب، ولا سؤال، ولا حساب، وهم في الأجر على السواء، مع ما يزيد عليه من أجر الفقر والحسرة، وإنّ الله لا يضيع أجرَ من أحسن عملا، وتمنّيه مِن عملِه.

وقال: ما يراد المال للاكتناز، وإنما خلقه الله للإنفاق. فمن اكتنزه، ولم يعطِ حقَّ الله منه الذي

(١) [البقرة: ١٥٤]
(٢) [آل عمران: ١٦٩]
(٣) [الزمر: ٣٠]
(٤) ص ٨٥

عيّنه له؛ حُمِي عليه في[1] نار جهنّم، فيكوى به جبينُه -فإنّه أوّل ما يقابِل منه السائل؛ فيتغيّر منه إذا رآه مقبلا إليه-. ﴿وَجُنُوبُهُمْ﴾[2]: ثمّ يعطيه جانبه إعراضا عنه؛ كأنّه ما رآه ثَمّ. ﴿وَظُهُورُهُمْ﴾: ثُمّ يولّيه ظهرَه حتى لا يقابله بالسؤال. فصار بالكيّ عينَ المكان الذي اختزنه فيه؛ فهو خزانته، وما ثَمّ رابع لما ذكرناه.

* * *

ومِن ذلك: قطب الرحى يديرها.. مَن هو أميرها

-من الباب ...-

قال: ما تدور الرحى إلّا على قطبِها، وقطبُها فيها، فهو عينها الثابت الذي لا يقبل الحركة والانتقال في حال الدور.

وقال: بالأمر تدور، ولولا القطب ما دارتْ؛ فهو الأمير. وما القطب غيرها؛ فالآمِرُ الأمرُ والمأمورُ.

وقال: القطبُ يُعلم بالقوّة ولا يُشهد، ويُشهد ولا يَتميّز عند من يَشهده؛ مع عِلمه أنّه يَشهده في الجملة المشهودة. هكذا العلم بالله: عليه تدور رحى الوجود؛ فهو يُعلم ولا يُشهد، ويُشهد ولا يُمَيَّز.

وقال: مَن لم يعرف الله بمثل هذه المعرفة؛ فما عرفه. فما عرفه أحدٌ في شهوده، ولا شهده أحدٌ في العلم به.

---

(١) ص ٨٥ب

(٢) [التوبة: ٣٥]

وِمِن ذلك: مَن أبى.. أن يكون من النقباء

-من[1] الباب ...-

قال: النقيبُ مَن استخرج كنزَ المعرفة بالله من نفسه لمّا سمع قوله ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾[2] وقوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[3] وقول رسول الله ﷺ: «مَن عرف نفسَه عرف ربَّه».

وقال: مَن أبى أن يكون له مِثل هذه المعرفة؛ لم يكن من النقباء.

وقال: لمّا علم أنّ بين الدليل والمدلول وجها رابطا؛ زهد في العلم بالله، من حيث نظره في الدليل، وليس سِوَى نفسه، وكان ممن عرف نفسه بالله. وقد ذهب إلى ذلك جماعة من أصحاب النظر، مثل أبي حامد، ولكن لنا في ذلك طريقة غير طريقتهم. فإنّ الذي ذهبوا إليه في ذلك لا يصحّ، والذي ذهبنا إليه يصحّ؛ وهو أن نأخذ العلم به إيمانا، ثمّ نعمل عليه حتى يكون الحقُّ جميعَ قُوانا؛ فنعلمه به؛ فنعلم عند ذلك نفوسنا به، وبعد علمنا به. وهذه طريقة أهل الله في تقدُّم العلم بالله.

* * *

وِمِن ذلك: من المحال.. أن يعمّ الحال

-من الباب ...-

قال: الأمزجة مختلفة، والنفوس تابعة للمزاج، والنفوس هي القابلة[4] للواردات، والواردات تَرِد بالأحوال، فمن المحال أن يعمَّ حالٌ واحد؛ بل لكلِّ واردٍ حالٌ يخصّه. ولهذا عينُ ما يُسكر الواحدَ؛ يُصحي الآخرَ، وما عَمّ سُكْرٌ ولا صحو.

---

(١) ص ٨٦

(٢) [فصلت: ٥٣]

(٣) [الذاريات: ٢١]

(٤) ص ٨٦ب

وقال: الحال من حيث عموم الاسم يعمّ، وهي أحوال تميّز بآثارها في النفوس، تُدرَك عقلا وحِسّا.

وقال: الغضب الإلهيّ والرضا من الأحوال، فما ثَمّ إلّا من اتّصف بالحال؛ مغضوبا عليه كان أو مرضيّا عنه. ويقال في المحدَث: إنّه دخل تحت حكم الحال، ويلزم الأدب في ذلك الجناب.

وقال: لسانُ الحال أنزلَ: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ ولسانُ الحقيقة (أنزلَ): ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1].

* * *

ومِن ذلك: التفويض.. تعريض

-من الباب ...-

قال: لا شكّ ولا خفاء أنّ مَن ألقى زِمامه بيدك، وفوّض أمرَه إليك وإن لم يتكلّم؛ فقد خاطبك بأفصح الألسنة أن تسلُك به طريقَ الصلاح والأصلح؛ لما جُبِلَتْ عليه النفوس من دفع المضارّ وجلب المنافع.

وقال: قد ثبت في الخبر أنّه «ليس شيء أحبّ إلى الله من أن يُمدحَ» وهو لا يتضرّر بالذمّ، وأنت تتضرَّر لأنّك تألم ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[2].

وقال[3]: لولا ما امتلأ إناء العبد؛ ما فاض. وإنما ضاق عنه؛ فألقى كِلَّهُ[4] على غيره؛ فسمّي هذا تفويضا.

وقال: الرجل من أعطي التحكيم ووسِعه، ومع هذا ترك التصريف إلى الحقّ فيه وفي ملكه؛ ومثل هذا لا يكون مفوِّضا.

---

(١) [ق: ٢٩]
(٢) [النساء: ١٠٤]
(٣) ص ٨٧
(٤) الكِلُّ، الكَلُّ: العيال والثقل

ومِن ذلك: المعروف.. الأقربون أَوْلَى بالمعروف

-من الباب ...-

قال: الأقربون إلى الله أَوْلَى بالمعروف، وهو الحقّ؛ لِصحّة النَّسب وقُربه، وهو المعروف في كلّ عقد. وإن اختلفت العقائد جملة؛ فالمقصود بها واحد، وهو قابل لكلّ ما رَبَطْتَه به، وعقدتَ عليه فيه، وفيه يتجلَّى لك يوم القيامة، وهي العلامة التي بينك وبينه.

وقال: ما العجب ممن عرفه، وإنما العجب في ذلك الموطن ممن أنكره.

وقال: صاحبُ العَقد لا يعرفه إلّا بما عقده خاصّة، فقيل لهم: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[1] والعالِم لا عقد له؛ فما له ما يوفّي به. فله من الأعين بعدد ما للحقّ في التجلّي من الصوَر، وهي لا تتناهى؛ فأعينُ العارفين غير متناهية. فتحدث الأعين بحدوث الصوَر، أو تحدث الصوَر بحدوث الأعين.

* * *

ومِن ذلك: القبول[2] إقبال.. عند الرجال

-من الباب ...-

قال: مَن قَبِل ما جئتَ به إليه؛ فذلك عينُ إقباله عليك. فلا تقف مع قبول الوجه؛ فإنّ إقبال الوجه يفنيك ويعدمك، وإقبال القبول يبقيك ويفرحك.

وقال: مَن لم يفهم ما قلته فلينظر في حديث السبحات: «لو كشفها لأحرقتْ سبحات الوجه ما أدركه بصر الخلق من الخلق» فإنّ بصرَ الحقّ يدرَك الآن، ولا حرق. والمحبوب يكون الحقُّ بصرَه؛ فيدرِك به، لا ببصر الحقّ. فإنَّ بصر الحقّ يدرِك الحقّ، والحقُّ في بصر الخلق لا يدرِك الحقَّ، ولكن يدرَك به الخلق!. والسبحات هي المحرِقة، وما هي إلّا سبحات العين عند النظر.

---

(١) [المائدة: ١]

(٢) ص ٨٧ب

فإنّه لولا النور ما ثبتت الرؤية ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[١] فذاتُه بصرُه.

وقال: الأمر نِسب، ولولا النِّسب ما كانت العلاقة والنَّسب.

* * *

ومِن ذلك: حسن القول.. من الطَّوْل

-من الباب ...-

قال: أحسن القول ما تشابه من الكلام؛ فاشترك فيه الحادث والقديم[٢]. فالله الرءوف الرحيم، والنبيّ ﷺ بالمؤمنين رءوف رحيم.

وقال: لولا التشابه ما عقلنا من كلام الله شيئا، ولا وقفنا منه على معنى.

وقال: المحكم في المتشابِه التشابُه؛ فمن تأوّله فقد أزاله عن الاشتراك، وهو مشترَك؛ فقد زاغ من تأوَّله عن طريق الحقّ.

وقال: علامةُ مَن عَلِمَ أحسنَ القولِ الاتّباعُ لما دلّ عليه ذلك القولُ؛ فيقابل الطَّوْل بالطَّوْل ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾[٣].

وقال: حُسْنُ القول ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[٤] ويقف بك على المعاني الغامضة فيوضّحها لك.

* * *

ومِن ذلك: الإنصاف.. في عبادة الإله المضاف

-من الباب ...-

قال: إذا أضاف الحقُّ نفسَه إلى شيء من خلقه؛ فانظر إلى عبادةِ ما أضاف نفسَه إليه؛ فقم

(١) [النور: ٣٥]
(٢) ص ٨٨
(٣) [الرحمن: ٦٠]
(٤) [الأحقاف: ٣٠]

بها أنت؛ فإنّك النسخة الجامعة؛ وما عرّفك الحقّ بهذه الإضافة الخاصة إلّا لهذا.

وقال: مثالُ الإله المضاف: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ﴾[1]، ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ﴾[2]، ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾[3]، ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[4]، ﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ﴾[5]، ﴿رَبُّ[6] ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾[7] فعطف، وما أظهر الإضافة كما فعل في غير ذلك ما فعله سدى. فـ﴿ٱعۡبُدۡ رَبَّكَ﴾ على ما قلته لك في كلّ إضافة ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[8]. إذا أتاك اليقينُ؛ انجلى لك الأمرُ، وعرفت شرف الإضافة. ما عبدَ أحدٌ الإلهَ المطلق عن الإضافة؛ فإنّه الإله المجهول.

* * *

ومِن ذلك: السُّبحات.. لأرباب اللمحات

-من الباب ...-

قال: لا دليل أَدلّ من الشيء على نفسه. فمن لم يثبت عند ظهوره له؛ فالقصور منه، وهو قد وفّى. مَن كان حقيقتُه العجزُ وعجز فقد وفّى؛ فالوفاء من الطرفين.

وقال: لمح البصر كالبرق: يضرب فيظهر، ويظهر ويزول؛ فلو بقي أَهلَك.

وقال: إنما تُحرِق سبحات الوجه الدعاوى أنّك أنت، فلا يبقى إلّا هو؛ فإنّه ما ثَمّ إلّا هو؛ فهو إبانة، لا إحراق.

وقال: وجهُ الشيء حقيقتُه و﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾[9] فالشيء هنا ما يعرض لهذه الذات. فإن كان للعارض وجهٌ فما يهلك في نفسه، وإنما يهلك بنسبته إلى ما عرض له. فالضمير

(١) [البقرة: ١٦٣]
(٢) [طه: ٥٠]
(٣) [الشعراء: ٢٨]
(٤) [الرعد: ١٦]
(٥) [الشعراء: ٢٦]
(٦) ص ٨٨ب
(٧) [الرحمن: ١٧]
(٨) [الحجر: ٩٩]
(٩) [القصص: ٨٨]

الذي[1] في "وجهه" يعود على الشيء، ويعود على الحقّ. فأنت بحسب ما تقام فيه؛ فإنّك صاحب وقت.

* * *

ومِن ذلك: المصطفى.. مَن جُنِيَ عليه فعفا

-من الباب ...-

قال: للنفس حقٌّ؛ فإذا جُنِيَ عليها وعَفَوْتَ؛ فأنت الظالم المصطفى، وهو الأوّل من الثلاثة؛ لم يأخذ لها حقَّها ممن ظلمها، وعاد أجرها على الله.

وقال: إذا دَرَس الذنبُ؛ فقد عفا أثرُه؛ فلم يبق له عين ولا أثر، ولا سيما والغفور والرحيم[2] والعفوّ يطلبونه.

وقال: المصطفى هو المختار، ولكن ممن؟ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[3] وما ثمّ حُثالَة[4] ولا كناسة[5]. النفوس نفائس؛ فيختار الأَنْفَس، ويبقي النفِيس.

وقال: المصطفَون هم الذين ورثوا الكتاب، وهو القرآن المحفوظ من التحريف والزيادة؛ فلو حُفِظت سائر الكتب لورّثت. فمن كوشف منها على ما ثبت أنّه إلهيّ؛ وَرِثَهُ وحَكَمَ به على بصيرة.

وقال: الورث لا يكون إلّا بعد الموت، فالكتاب محمّديّ، فإنّ «العلماءَ ورثةُ الأنبياء» والكتاب هو الموروث، والشيء الذي مات[6] هو صاحِبه، وقد مشى إلى الله.

وقال: مَن ظَلَمَ ما حَكَم، ومَن اقتصد ما اعتضد وقنع واكتفى، ومَن سبق حاز الأمرَ وظفر؛

---

(١) ص ٨٩

(٢) ق، س، هـ: الرحيم

(٣) [القصص: ٦٨]

(٤) الحثالة: الرديء من كل شيء، حثالة الناس: أراذلهم

(٥) الكناسة: القمامة، مُلْقى القمام

(٦) ص ٨٩ب

فكن من شئت من هؤلاء.

* * *

ومِن ذلك: صفات الأودّاء.. التبرّي من الأعداء

-من الباب ...-

قال: إذا تبرّأ العارف ممن صحّت عداوته لله؛ فليحذر من تبرّيه؛ فإنّه ما تبرّأ إلّا من اسم إلهيّ يجب عليه تعظيمُه.

وقال: إن تبرّأ بتبرُّؤ الله استراح؛ فيكون اللهُ المتبرئ، لا هو. كما يَلعنُ بلعنة الله، ويغضب بغضب الله، ويرضى برضاء الله، وهو في هذا كلّه؛ لا صفة له من نفسه. قال أبو يزيد البسطامي: "لا صفة لي". لا تصحّ البراءة من الأعداء إلّا لله ولرسله -عليهم السلام-. ومَن كوشف على الخواتم. ومَن سِواهم فما لهم التبرّي؛ وإنما لهم أن لا يتّخذوهم أولياء يلقون إليهم بالمودّة، لا غير.

وقال: لو تبرّأ الله من عدوّه؛ ما رزقه، ولا أنعم عليه، ولا نظر إليه، وقد أخبر أنّهم آكلون من شجرة الزقوم ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ. فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ(١). فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾[2] وهم العِطاش. فلو تبرّأ منه الله؛ ما كان للعدوّ وجود؛ لأنّه غير حافظ عليه وجودَه. ومتى لم يحفظ عليه وجوده؛ هلَك، وذهب عينُه. وهو ﷻ القائل إنّه بـ﴿كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾[3] وقال: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾[4].

---

(١) ص ٩٠

(٢) [الواقعة: ٥٣ - ٥٥]

(٣) [هود: ٥٧]

(٤) [البقرة: ٢٥٥]

ومِن ذلك: التقاعس.. عن التنافس

-من الباب ...-

قال: أصحاب الهمم يتنافسون في السباق إلى أسماء الكرم والجود الإلهيّ؛ ليقوموا بها؛ فيُدعون بها.

وقال: لا يكون التنافس إلّا في النفائس، ولا نفائس إلّا الأنفُس، ولا أنفَس من الأنفُس إلّا الأنفاس.

وقال: من تقاعس عن التنافس فيما ينبغي أن يتنافس فيه؛ فهو كسلان مهين، لا همّة له ولا نفس.

وقال: ليس الطِّيْب إلّا أنفاس الأحبّة، لولا أعرافهم ما فاح المسك لِمُسْتَنشق، وما وَقْعُ التنافس بين أهله في المسابقة إلّا مهبُّ أرواح هذه الأعراف.

وقال: ما يعرف مقدار الأنفاس وطيبها، وما تعطي من المعارف الإلهيّة؛ إلّا البهائم. ألا تراها تَشُمُّ كلّ شيء، ويَشُمُّ بعضها[1] بعضا عند اللقاء، ولا تمرّ بشيء إلّا تميل برءوسها إليه فتشمّه؟!.

* * *

ومِن ذلك: متى يثبت الخلق.. في مشاهدة الحقّ

-من الباب ...-

قال: لا يثبت الخلق عند المشاهدة وقت التجلّي؛ إلّا إذا كان الحقُّ بصرَه. والحقُّ نورٌ، والإدراك لا يكون إلّا بالنور.

وقال: إذا رأيت العارف قد ثبت عند التجلّي، ولم يصعق، ولا فني، ولا اندكّ جبل هيكله؛

---

(١) ص ٩٠ب

فتعلم أنّه حَقٌّ. وله علامة؛ وهي أنّه إذا كان هذا حاله؛ لا يراه خلق إلّا صعق؛ إلّا أن يكون مثله.

وقال: إذا رأيتَ من يُغشى عليه في حاله، ويتغيّر عن هيئته التي كان عليها، أو يُصعق، أو يصيح، أو يضطرب، أو يفنى، فتعلم أنّه خَلْق ما عنده من الحقّ شَمَّة. فإن كان صادق الحركة؛ فغايته أن يكون جبلَ موسى؛ إن كان في مقام الأوتاد، وإمّا موسويّ الورث؛ إن كان ناظرا عن أمر إلهيّ لطلبٍ شوقيّ.

* * *

ومِن ذلك: معارج الأنفاس.. للإيناس

-من الباب ...-

قال[1]: للأنفاس الإلهيّة معارجُ تعرج عليها إلى المكروبين من عباد الله، تأتيهم من تحت أرجلهم؛ لأنّهم طالبون لها؛ فهي من أكسابهم؛ فلهذا كانت من تحت أرجلهم، وهي من الروابع[2] السفليّة الطالبة العلوّ، ولهذا تعرج.

وقال: «الحبل الذي لو دُلِّي لهبط على الله» قاله رسول الله ﷺ منه تعرج هذه الأنفاس تطلبنا.

وقال: الأنفاسُ العُلويّة تعرجُ إليها الأرواح البشريّة؛ فتخترق السماوات العلى، إلى السدرة المنتهى، إلى النور الأجلى، إلى المورد الأحلى، إلى الموقف الأسنى، إلى المكانة الزلفى، إلى الجنّة المأوى، إلى المستوى الأعلى، إلى العقل الأسمى، إلى حجاب العزّة الأحمى، إلى الأسماء الحسنى بالمقام الأبهى والمحلّ الأزهى، إلى أن دنا من قاب قوسين أو أدنى؛ فهنالك يبلغ المنى.

---

(١) ص ٩١

(٢) الحروف المعجمة مهملة، ولذلك يمكن أن تكون: الروائع

ومِن ذلك: الأجور.. بور

-من الباب ...-

قال: مَن علم أنّ العالَم يتجدّد في كلّ زمان فرد أو مقدارُه من أوّله إلى آخره في عين واحدة؛ يعقِلُ ما مضى، وما أتى. وهي لا موجودة، فتنعدم؛ فإنّها ما هي واجبة الوجود، ولا معدومة فتوجد[١]، فهي تبع في الوجود لما تقع عليه العين أو يدلّ عليه العقل- عَلِمَ أنّ الأجور تبور. لكنّ هذه العين ما لها هذا العلم في كلّ عين؛ بل هي في أكثر الأعين ﴿فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾[٢].

وقال: كلّ عمل للعبد أجرُهُ فيه على الله؛ لا يبور. فإنّ الله هو ليس غيره؛ ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾[٣].

* * *

ومِن ذلك: كشف المعرفة.. في ترك الصفة

-من الباب ...-

قال: ما ثَمّ إلّا عينٌ واحدة، لها نِسب مختلفة، تسمّى عند قوم: أسماء، وعند قوم: نعوتٌ وصفاتٌ وأحوالٌ. فمَن قال بوجودها؛ فما ذاق للعلم طعما، ومن نفى أحكامها في هذه العين؛ فكذلك، وسواء كان المسمّى بها حادثا أو غير حادث. بل هي في غير الحادث أشدُّ إحالة منها في الحادث.

وقال: لا يقال بترك الصفة؛ فإنّه ما هي ثَمّ فنتركها. إلّا أن تريد حكمَها؛ فتفرده لله؛ فيكون الحقُّ عينَ ما يُنسب إلى الخلق من الصفات، ويتميّز الخاصّ من العباد من غير الخاصّ بالعلم بذلك؛ فيعلم مَن يسمع بالحقّ أنّ الحقَّ هو السمع والسميع، وهو من المتكلّم: المكلّم والكلام؛ فمنه[٤] وإليه؛ فأين أنت؟ ومَن أنت؟

---

(١) ص ٩١ب
(٢) [ق: ١٥]
(٣) [يوسف: ٧٥]
(٤) ص ٩٢

وقال: إذا كان الأمر على ما قرّرناه؛ فالجاهل به مَن هو؟ ما نرى إلّا أمرا آخر قد بدا؛ أوقع الحيرة إن ثبت، فهو أيضا العالِم ما هو الحقّ كما قلنا.

* * *

ومِن ذلك: من لا يَفْهَم.. لا يُفْهِم

-من الباب ...-

قال: الإفهام لا يقع إلّا بعد العلم، و(بعد) القدرة على التوصيل، و(بعد) العلم بالقابل من غير القابل. والعلم لا يكون إلّا بعد الإعلام والتعلّم. وقد عَلِم العارفُ مَن يُعلِم ومن يتعلّم؛ فقد علِم أنّه ما هو الذي فَهِم. فعلم أنّه لا يُفهِم مع ثبوت أنّ زيدا أَعلمَ عمرا أمرًا مّا، فعلِمَه عمرو. فإن كان له اقتدار على التوصيل إلى غيره؛ أَفهمَ غيرَه، وإلّا فلا؛ فلا يلزم من حصول العلم الإفهام.

وقال: لهذا قلنا: إنّ الأمر بينك وبينه. فمنه الاقتدار، ومنك القبول، وبالأمرين ظهر ما ظهر. فالأمر توليد؛ فما ثَمّ إلّا والد وولد.

* * *

ومِن ذلك: الأَوْلَى.. طرحُ لَوْ ولَوْلا

قال[1]: أداة "لو" امتناع لامتناع، فهي دليل عدمٍ لِعدم. فإذا أدخلت عليها "لا" وهو أداة نفي؛ عاد الأمر امتناع لوجود؛ وهذا من أعجب ما يُسمع. فإنّ الأَوْلَى أن يكون الحكمُ في الامتناع والعدم أبلغ؛ لكون الداخل أداة نفي، والنفي عدم. فأعطى الوجود، وأزال عن أداة "لو" وجها واحدا من أحكامها، وهو قولهم: لامتناع.

وقال: ما العجب في دخول هذه الأدوات على المحدَثات، وإنما العجب في دخولها في كلام الله، ونفوذ حكمها ودلالتها في الله، هذا هو العجب العجاب.

---

(١) ص ٩٢ب

وقال: قد ثبتتْ نِسبة الكلام إلى الله، وقد ثبت أنّ الذي سمعناه في تركيب هذه الحروف؛ هذا التركيب الخاص، والنِّسبة الخاصة؛ أنّه كلام الله. فقد حصل فيه هذه الأدوات، فجرى عليه حكمها. فهل ذلك من جمتنا؟ أو ما هو الأمر إلّا كذلك؟

* * *

ومِن ذلك: أسمائي.. ستور بهائي

-من الباب ...-

لولا الأسماءُ ما خفنا، ولا رجونا، ولا هبنا، ولا عبدنا، ولا سمعنا، ولا أطعنا، ولا خوطبنا، ولا خاطبنا المسمّى. ولولا الأحكام[1] التي لها، وهي الآثار، ما عُلِمَت الأسماء. فهي ستور البهاء والجمال على المسمّى.

وقال: أحكامُ الأسماء جَمَّل الأسماءَ وكساها البهاء، والأسماءُ جمّلت المسمّى وكسته البهاء. وبنا تعيّنت الأسماء؛ فنحن كسوناه صورة البهاء. وفيه ظهرت الأسماء؛ فبه قام البهاء؛ فإنّه المسمّى.

وقال: ما اختلفت أسماء الأسماء إلّا لاختلاف معانيها، ولولا ذلك ما تميّزتْ لنا؛ فهي عنده واحدة وعندنا كثير.

* * *

ومِن ذلك: أعينُ العارفين.. إلى علّيّين

-من الباب ...-

قال: لا تكون الأعينُ ناظرة إلّا إلى موضع كتابها. فمن كان كتابُه في علّيّين؛ فنظره إلى علّيّين. ومن كان كتابه في سجّين؛ فعينه مصروفة إلى سجّين. فالكتاب يقيّده بالخاصّيّة.

(١) ص ٩٣

وقال: إنما شرع اللهُ قراءةَ الكتب في الدار الآخرة؛ ليعلم العبد المصطفى قدر ما أنعم الله عليه به. والهالك ليعذر من نفسه؛ فيعلم أنّه جنى على نفسه.

وقال: لولا شهادة المرء على نفسه بما شهدت به جلوده وجوارحه؛ ما ثبت كتاب، ولا كان حكم. فالاعتراف شهادة المعترف على نفسه فيما فيه هلاكه.

وقال: النفوس من ذاتها تدفع ما يضرّها، وتسعى في تحصيل ما ينفعها، فكيف[1] شهِدتْ بما فيه هلاكها حين اعترفتْ؟!.

وقال: ما عُذِّبَ مَن اعترف؛ فإنّ الكرم لا يقتضيه، والجوارح رعيّة، ما هي الوالي، فشكَتْ بالوالي.

* * *

ومِن ذلك: الانتهاء.. إلى سدرة المنتهى

-من الباب ...-

قال: السدرةُ المنتهى عُروقُها دون السماء، وأصلها في السماء، وفروعها عِلّيّون؛ فتنتهي إليها أعمال العباد الصالحة والطالحة. فإذا مات الإنسان، وقُبضتْ روحه؛ قُرِنَتْ بعملها حيث انتهى عمله من السدرة. فالذي لا تُفتح له[2] أبواب السماء؛ عمله في عروق هذه السدرة. والذين تفتح لهم أبواب السماء؛ عملهم في موضع ثمر هذه السدرة. ولهذا لا يجوع السعيد ولا يَعْرَى؛ للورق والثمر اللذين في الفروع. والشقيّ يجوع ويعرى؛ لعدم الثمر والورق في العروق. وعدمُ الورق عِلمٌ مُدْرَجٌ في مِثال.

---

(١) ص ٩٣ب

(٢) ق: لهم

ومِن ذلك: عوارف آناء الليل في أطراف النهار

قال: الصباحُ والمساء أطرافُ النهار. فالمساء ابتداء الليل، والصباح انتهاء الليل، والنهارُ ما بين الانتهاء والابتداء، والليل[(١)] ما بين الابتداء والانتهاء، والعوارف الإلهيّة هي ما يعطي الحقُّ في تجلّيه لعباده. فأمرنا بالتسبيح آناء الليل وأطراف النهار، وما تعرَّض لِذِكْرِ النهار في هذا الحكم؛ لأنّه قال: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾[(٢)] أي فراغا. فالنهار لك، والليل وأطراف النهار له. فإذا كنت له في الليل وأطرافِ النهار؛ كان لك هو في النهار. فعطايا الليل وأطراف النهار جزاء التسبيح، وعطايا النهار جزاءُ الاشتغال والفراغ إلى الحقّ في آناء الليل وأطراف النهار. فما ثَمّ من الله للعبد إلّا جزاء، والابتداء للعبد. فإنّ النفس إذا أكلت مِن كسبِها لها إدلال، كما أنّ لها انكسارا[(٣)] في الهبة. فلهذا كان الجزاء عامّا؛ لأنّه على الصورة، ولا انكسار ينبغي لها.

* * *

ومِن ذلك: الدعاء.. من الوعاء

قال: لا يكون الوِعاءُ وعاءً حتى يكون فيه ما يعي عليه، وإذا امتلأ لا يكون فيه غير ما امتلأ به. فلهذا يدعو الإنسان؛ فإنّه ملآن بما يدعو به. فإذا دعا؛ فرَّغ آنِيَتَه؛ فملأها الله بما أجابه به مما دعاه فيه وزيادة. فما شرع الدعاء إلّا لتفريغ المحلّ ممّا ملأه الحقّ به، ولهذا ما ثمّ إلّا من يدعو ويبتهِل.

وقال: انظر إلى الكأس إذا كان ملآنَ بالماء[(٤)]، ثمّ فرّغتَه، أو فرّغتَ منه ما فرّغت؛ ما يخرج منه شيءٌ في حين خروجه إلّا عَمَرَ موضعَه الهواءُ؛ فهذه بشرى بسرعة إجابة الله مَن دعاه.

---

(١) ص ٩٤

(٢) [المزمل: ٧]

(٣) ق: انكسار

(٤) ص ٩٤ب

ومِن ذلك: آدابُ الحقِّ ما نزلت به الشرائع

قال: لمّا كان الأمر العظيم يُجْهَلُ قدرُه ولا يُعْلَم، ويَعِزُّ الوصول إليه؛ تنزّلت الشرائع بآداب التوصيل؛ فقبِلها أولو الألباب. لأنّ الشريعةَ لُبُّ العقل، والحقيقة لُبُّ الشريعة؛ فهي كالدهن في اللبّ الذي يحفظه القشر. فاللبُّ يحفظ الدهن، والقشر يحفظ اللبّ. كذلك العقلُ يحفظ الشريعةَ، والشريعةُ تحفظ الحقيقةَ. فمن ادَّعى شرعا بغير عقل لم تصحّ دعواه؛ فإنّ الله ما كلّف إلّا مَن استحكم عقلُه، ما كلّف مجنونا، ولا صبيّا، ولا مَن خَرِف مِن الكِبَر. ومَن ادّعى حقيقة من غير شريعة؛ فدعواه لا تصحّ. ولهذا قال الجنيد: "علمنا هذا" -يعني الحقائق التي يجيء بها أهل الله- "مقيَّدٌ بالكتاب والسنّة". أي أنّها لا تحصل إلّا لمن عمل بكتاب الله وسنّة رسوله، وذلك هو الشريعة.

وقال: «إنّ الله أدّبني فحسّن أدبي»، وما هو إلّا ما شرع له. فمن تشرّع تأدّب، ومَن تأدّب وصَل.

* * *

ومِن[1] ذلك: عينُ القلب.. في القلب

قال: خلق اللهُ الإنسانَ مقلوب النشأة؛ فآخِرته في باطنه، ودنياه في ظاهره، وظاهره مقيَّد بالصورة؛ فقيّده الله بالشرع. فكما لا يتبدّل لا يتبدّل، وهو في باطنه يتنوّع ويتقلّب بخواطره في أيّ صورة خطر له، كما يكون عليه في نشأة الآخرة. فباطنه في الدنيا صورة ظاهره في النشأة الآخرة، وظاهره في الدنيا باطنه في النشأة الآخرة، لهذا جاء: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[2] فالآخرة مقلوب نشأة الدنيا، والدنيا مقلوب نشأة الآخرة، والإنسان هو الإنسان عينُه. فاجهد أن تكون خواطرك هنا محمودةً شرعا؛ فتجمل صورتك في الآخرة، وبالعكس.

---

(١) ص ٩٥
(٢) [الأعراف: ٢٩]

ومِن ذلك: مراتب الحقّ.. عند الخلق

قال: إذا أراد العبد أن يعلم مرتبته عند ربّه ومنزلته وقدره؛ فلينظر في نفسِه قَدْرَ ربّه عنده ورتبته ومنزلته، وما يعامله به في حياته الدنيا من طاعة ومعصية، وموافقة ومخالفة، وطلب علم وتَرْك، فعلى ذلك الحدّ منزلته عند ربّه. فميزانك[1] بيدك؛ فإن شئت أرجح الميزان، وإن شئت أَخسِره؛ لا تَلُم إلّا نفسك.

وقال: إذا كان عملك عن أثر إلهيّ مشروع؛ خرجتَ عن هوى نفسك، ولو وافقتَ الهوى، وتكون ممن نهى النفس عن الهوى. وهنا نكتة ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2] والجنّة ستر، والإيواء ستر. فإنّ النهي عن الهوى لا يكون إلّا من أديب، أو من مستور عنه الحقُّ في الأشياء. فإنّه لو كان صاحبَ كشف؛ لكان هواه ما ارتضاه الله، وأراد إمضاءه. فلا ينهى النفسَ عن الهوى مَن هذه صفته.

* * *

ومن ذلك: اتّساع فَضاء.. الفَضاء

قال: كلّ ما هو العالم فيه فضاء؛ فلا شيء أوسع من فضاء الفضاء، وبقي عين ما ظهر فيه الفضاء؛ هل هو من حكم الفضاء أم لا؟ فَمَن جهِل الأعيان الثابتة؛ لم يجعل العين التي ظهرتْ فيها أحكام الفضاء من أحكام الفضاء. ومَن علِم أنّ أعيان الموجودات لها ثبوت في حال عدمها، وتميّز بجميع ما هي عليه؛ جعل حكم الفضاء على تلك الأعيان؛ فجرى عليها بالإيجاد؛ فأوجدَها. فكما جرى حُكْمُ الفضاء[3] على كلّ ما في الوجود من الأعيان بما هي عليه من التصريفِ، كذلك جرى حكم الفضاء على الأعيان الثابتة بما ظهر من وجودها.

---

(١) ص ٩٥ب
(٢) [النازعات: ٤١]
(٣) ص ٩٦

ومِن ذلك: مَن تعبّد الخلق.. فقد برئ منه الحقّ

قال: ما أحسن الخبر النبويّ في إشارته بقوله ﷺ: «العبد مَن لا عبد له» ففَهِم منه المحجوب أنّه مَن لا عبد له قام بأمور نفسه؛ فهو عبد نفسِه. وما مقصود الحقّ في ذلك؛ إلّا أنّ العبد مَن ليس له وجهٌ إلى ربوبيّةٍ وسيادةٍ أصلا، فإذا ملك العبد أمرا مّا؛ فله سيادة على ما مَلَك. فالعبد على الحقيقة مَن لا مِلْك له؛ لأنّ المملوكَ ذليلٌ تحت تصرُّف المالِك، ولا يقدر على دفع تصرُّفه فيه، ولا يكون هذا إلّا بمِلْك الرقبة. فإن مَلِك التصريف دون الرقبة؛ فهو مالك التصريفَ، لا مالِك الرقبة. كالذي يستأجر أجيرا على فعل يفعله؛ فعبْدهُ التصرُّف، لا المتصرَّف؛ وهو المسمّى أجيرا. فالأجير خادم أجرته، فهو خادم نفسه. وذلك العبد؛ فإنّه لا عبد له؛ فما له سيادة على أحد. والعارف عبد الله، وإن ملكه التصريف، ولا بدّ من ذلك؛ فما له سيادة؛ فإنّ الرُّقْبَى لله، والعُمْرى[1] للعبدِ.

* * *

ومِن[2] ذلك: الرؤية حجاب.. وهي الباب

قال: ليس للمعرفة بابٌ إلّا الرؤية؛ فإنّه لا شيء أوضح منها؛ إلّا أنّها حجاب على قدر المرئيّ، وذلك لسبب، وهو الشبه. فإنّ الرائي، أيّ راءٍ كان، ما يرى في المرئيّ إلّا صورته، حقّا كان أو خَلقا. فلا يعرف قدر المرئيّ إلّا إن عرف ما رأى، وإنّ الذي سمّاه مرئيّا؛ إنما هو مَرئِيٌّ فيه ما هو مَرْئِيٌّ، والمرئيّ صورتُه؛ فما طرأ عليه غريبٌ يستعدّ للعمل معه بقدره. إلّا أنّ ثمّ نكتة؛ وهي أنّ المحَلَّ الذي رأى صورتَه فيه كسى[3] تلك الصورة المرئيّة حالا لم يكن لها، إذ لم يكن لها المجلى، فلا بدّ أن يعامل ما رأى بما ينبغي لهذا الحكم، فتحقّق.

(١) الرقبى أصلها من المراقبة والعمرى أصلها من العمر، وهما ما يجعل لك طول عمرك لتنتفع به، وقد أبطله النبي (ص).
(٢) ص ٩٦ب
(٣) ق: "كست" وفي س: "أكسب"

ومِن ذلك: لا يرى السكينة.. إلّا مَن حقّق تمكينه

قال: كلُّ مدرَك بقوّة من القوى الظاهرة والباطنة التي في الإنسان؛ فإنّه يُتَخَيّل؛ وإذا تخيّله سكنَ إليه. فلا يقع السكون إلّا لمتخيَّلٍ مِن متخيِّلٍ؛ وجميع العقائد كلّها تحت هذا الحكم. في الخبر الصحيح: «اعبد الله كأنّك تراه[1]» فلهذا كانت عقائد، والعقائدُ محلُّها الخيال، وإن قام الدليل على أنّ الذي اعتقده ليس بداخل، ولا خارج، ولا يشبه شيئا من المحدَثات. فإنّه لا يَسلم من الخيال أن يضبط أمرا؛ لأنّ نشأة الإنسان تعطي ذلك، والحكم تابع لذات الحاكم؛ بقبول ما يعطيه المحكوم عليه، وليس المحكوم عليه هنا إلّا المتخيَّل؛ وهو المعتَقَد. فانظر ما أخفى وأقوى سريان الخيال في الإنسان! فما سلِم عاقل[2] من خيال ولا وَهْم؛ وكيف يسلَم ولا خروج للعقل عن هذه الإنسانيّة؟ فلو انعدمت انعدم هذا الحكم؛ فهو يوجَدُ ما وُجِدَتْ.

* * *

ومِن ذلك: قوّة اللطيف.. وضعف الكثيف

قال: لا شيء ألطف من الخواطر والأوهام، وهي الحاكمة على الكثائف؛ لضعف الكثيف، وقوّة سلطان اللطيف. الدليل لنا صُفْرَةُ الوجل، وحمرةُ الخجل، والتغيّر بالخوف، والمخوف مِن حلوله ما له عينٌ وجوديّة. وقد أحدث الخوفُ في جسم الخائف حركةَ الهرب، وطلب الستر والمدافعة، وما وقع شيء إلّا عين الخوف، وهو لطيف. فإذا[3] حلّ به؛ ما يخاف منه؛ فلا بدّ من قوّة سلطان الخوف عليه، وإن كان لطيفا، وهو أحد أمرين: إمّا الرضا والصبر، أو السخط والضجر، والأثر سكون أو قلق؛ فقد أثّر.

---

(١) ص ٩٧
(٢) ق: "إنسان" وفوقها إشارة غير واضحة ومقابلها في الهامش بقلم الأصل: "عاقل"
(٣) ص ٩٧ب

ومِن ذلك: قرب العبد الثاني.. في المثاني

قال: القرب من الحقّ قربان: قربٌ حقيقيّ؛ وهو ارتباط الربّ بالمربوب، وارتباط العبادة بالسِّيادة، والحادِث بالسبب الذي أحدثه. والقرب الثاني: القرب بالطاعة لأمر المكلِّف، والدخول تحت حكمه. فالأوّل قرب ذاتيٌّ، يعمّ جميع الموجودات. والثاني قرب اعتناء وكرامة. فالقرب الأوّل؛ قرب رَحِم ونَسَب، لو أراد الدافع أن يدفعه لم يستطع؛ لأنّه لذاته هو قرب. وقرب الاختصاص؛ قرب المكانة من السلطان. فيؤتي المُلْك من يشاء، وينزع المُلْك ممن يشاء، ويعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، فله ذلك.

فلو قيل له: لا تكن سيّدا لعبدك، أو لا تكن عبدا لسيّدك؛ لكان خُلْفًا من الكلام. ولو قيل له: أَطِع سيّدك، أو لا تطع سيّدك؛ لم[1] يكن ذلك خُلْفًا من الكلام. وإن قيل له: إن شئت أطِع سيّدك، وإن شئت لا تطعه؛ رَدَّتْه الحقائق؛ فإنّ العبد لا مشيئة له مع مشيئة سيّده.

* * *

- ومن ذلك: السبت.. في السبت

قال: يقول الله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ وهي الطاعات التي أمر الله بها عبادَه ﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[2]، كما قال: ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾[3] ولمّا كانت المسارعة إلى الخيرات، وفي الخيرات؛ تتضمّن المشقّة والتعب؛ لأنّ سرعة السير تشقّ؛ أعقبَ اللهُ هذه المشقّة رحمة: إمّا في باطن الإنسان، وهو الذي رزقه الله الالتذاذ بالطاعات؛ فتصرّفه المحبّة؛ فلا يحسّ بالمشقّة، ولا بالتعب في رضا المحبوب. وإن كان بناءُ هذا الهيكل يضعف عن بعض التكاليف؛ فإنّ الحبَّ يهوِّنه ويسهِّله. وإمّا في الآخرة؛ فلا بدّ من الراحة. والسبتُ الراحةُ، والسبتُ سيرٌ سريعٌ في اللسان، وللراحة[4] سُمّي يوم السبت سبتا. وما عامله بما ينبغي له إلّا أهل هذه البلاد، وفي المغرب أهل سبتة لا غير.

(١) ص ٩٨
(٢) [المؤمنون: ٦١]
(٣) [فاطر: ٣٢]
(٤) ص ٩٨ب

ومِن ذلك: مَن بُهتَ.. فقد بُخِتَ

قال: لا يكون البهت أبدا إلّا لمن عجز، ومَن عجز فقد وقف على حقيقته، ومَن وقف على حقيقته علِم ما ثَمّ؛ فشرُف محلُّه بالعلم؛ فإنّه ما يتصرّف إلّا بالعلم، ومَن صرّفه العِلم؛ فقد سعِد لِشَبهه بالأصل؛ وهو التخلّق.

وقال: قال الله لنمرود بلسان إبراهيم الخليل ﷺ: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ في المسألة الأُولَى. وهو الآن بالبهت ليس بكافر؛ لأنّه علِم الحقَّ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] أي لا يبيّن لهم في حال سترهم وحجابهم. فإنّ الإبانةَ بالعلم ترفعُ ستور الجهل بذلك المعلوم، وإذا ارتفع الستر كان تجلّي الأمر على ما هو عليه. فأعطي العلمَ؛ فبُهت الذي ستر عنه الأمر قبل تجلّيه؛ فآمن به في نفسه، ولا بدّ؛ وإن لم يتلفّظ به. وكيف يتلفّظ به، وقد غاب عن الإحساس بعين ما هو به محِسٌّ.

* * *

ومِن[2] ذلك: بيتُ النور.. القلبُ المعمور

قال: ليس لقلب المؤمن، التّقيّ، النقيّ، الورِع، عامرٌ إلّا الله، والله هو النور؛ لأنّه ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3]. ثُمّ مثّل القلب بالمشكاة فيها مصباح، وهو النور، نور العلم بالله. وما بقي من الكلام؛ فإنما هو من تمام كمال النور، الذي وقع به التشبيه، ما هو من التشبيه؛ فلا تغلط؛ فتَخَطَّ الطريق إلى ما أبان الحقُّ عنه في هذه الآية. فالعارف يقف في التلاوة على ﴿مِصْبَاحٌ﴾، ثمّ يقول: ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ فحديثه مع المصباح، لا مَعَ النور الإلهيّ الذي هو الحقّ الذي وسِعه القلب المشبَّه بالمشكاة، والمِشكاةُ: الكوّةُ.

---

(١) [البقرة: ٢٥٨]
(٢) ص ٩٩
(٣) [النور: ٣٥]

ومِن ذلك: الحُصُن المنيعةُ.. علومُ الشريعةِ

قال: مَن علِم حكمة وضع الشرائع والنواميس في العالَم؛ رَعاها حقَّ رعايتها؛ فحافَظ عليها، ولزم العلم بها. هذا لما يتعلّق بها من منافع الدنيا، وحِفظ الدماء[١] والأنساب والأموال[٢]، وحصول الأمان في النفوس؛ بوجود القائمين بها والعاملين. هذا حظُّ الكافّة منها. وأمّا المؤمنون بها، إذا كانت النواميس إلهيّة، جاءت بها رُسل الله من عند الله، فزادوا فيها صِدق ما يتعلّق بالآخرة من ثوابٍ وصفاتٍ، وما يتعلّق بها للعامل عليها المخلص فيها؛ من الكشف والاطّلاع، والتعريفات الإلهيّة، والمخاطَبات الروحانيّة، ومناسبة ما يُلحِق العالَم العنصريّ بالملأ الأعلى في التقديس والتطهير. فلا سلاح ولا حصن أحمى من العمل بالمشروع، كان المشروع ما كان. وإذ ولا بدَّ مِن حفظ الناموس؛ فعليك بملازمة الشرع المطهّر النبويّ الإلهيّ.

* * *

ومِن ذلك: ما ظهر إلّا أنت.. حيث كنت

قال: إذا لم يكن لك مَن أنت له، إلّا بما يقبله وتكون عليه، لا بما هو عليه؛ فأنت الذي[٣] ظهرتَ لك، وما أعطاك منه شيئا، فما أفادك إلّا أن عرّفك: أنّ ما أنت عليه هو أنت. وإذا كان الأمر هكذا؛ فما عرفتَ سِواك. هذا حالك مع مَن استندتَ إليه، ورأيتَ أنّ له أثرا فيك. فكيف[٤] بك إذا لم تستند إلّا إليك، ولا أعاد عليك ما أنت فيه إلّا أنت. فأنت بكلّ وجهٍ، وعلى كلّ حال، معه أو معك، معك. فلا تلومنّ إلّا نفسك إذا رأيت ما لا تستحسنه[٥]، واشكره على كلِّ حال؛ فإنّه أفادك العلم بك؛ فيما أعطاك، وكشفه لك منك. فلهذا يُشكر، ولا يجوز أن يُكْفَر.

(١) ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
(٢) ص ٩٩ب
(٣) الكلمة مصحفة في ق وهي بين "الذي" و "للذي"
(٤) ص ١٠٠
(٥) س وربما ق: يستحسنه

ومِن ذلك: الكتابة.. لأصحاب النيابة

قال: ما كتب الله على نفسه ما كتب؛ إلّا لمن قام بحقّ النيابة عنه فيما استنابه فيه. وليس إلّا المتّقين، وهم الذين جعلوا الله وقاية لهم منه، ومن كلّ شيء يكون منه. كما جعلهم الله وقاية بينه وبين ما ذمّه من الأمور؛ مما هو خلْق الله؛ فينسب ذلك إلى الآلة التي وقع بها الفعل. فلمّا وقاهُ وقاه؛ فصحّ له ما كتب له على نفسه.

وقال: ما عدا هؤلاء فهم أهل المِنن؛ فنالوا أغراضهم على الاستيفاء. ثمّ إنّ الله امتنّ عليهم بعد ذلك بالمغفرة والرحمة التي عمّ حكمُها.

وقال: لله قومٌ من نوّابه ﴿كَتَبَ﴾ الله في ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَـٰنَ﴾ فما كذّبوا شيئا مما له وجود في الكون ووجدوا له مصرفا، وإن كان الذي جاء[1] به قصَدَ الكذب، وأخبر في زعمه أنّه عدم؛ فله وجود عند هؤلاء، ولذلك قال: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ﴾[2] فهذا الروح المؤيّد به؛ إذا توجّه على معدوم أوجدَه، وعلى معدّل مسوّى نفخَ فيه روحا.

* * *

ومِن ذلك: يا معلِّم الحقّ.. أنت الكتاب الذي سبق

قال: للأعيان الثابتة في حال عدمها أحكامٌ ثابتة، مهما ظهر عينُ تلك العين في الوجود تَبِعَهُ الحكمُ في الظهور، وعلى هذا تعلَّق عِلم الحقّ به. فما للعلم سَبْقٌ ولا للكتاب؛ وإنما السبق لما أنبأناك به. فالشيء حكم على نفسه -أعني المعلوم- ما حكم غيرُه عليه. فلا فضل لشيء على شيء، وإنما يظهر لك ما بطن فيك عنك؛ ولا لوم. فالحقّ له الغنى على الإطلاق؛ فلا افتقار. إذ لو افتقر إليه؛ لحكم عليه الافتقار بإعطاء ما افتقر فيه إليه؛ فيدخل تحت وجوب الافتقار، أو تحت مشيئة الاختيار. ولا دخول له في هذا، ولا في هذا؛ فهو الغنيّ عن العالمين إن أنصفت.

---

(١) ص ١٠٠ب
(٢) [المجادلة: ٢٢]

ومِن ذلك: الجوهر النفيس.. في التقديس

قال(١): التقديس الذاتيّ يطلب التبرّي من تنزيه المنزِّهين؛ فإنّهم ما نزَّهوا حتى تخيّلوا وتوهّموا، وما ثمّ متخيَّل ولا متوهَّم يتعلّق به، أو يجوز أن يتعلّق به؛ فَيُنَزَّه عنه. بل هو القدّوس لذاته؛ فهو الجوهر، أي الأصل النفيس؛ الذي لا ينافَس في صفاته. فإنّ الذي هو له؛ ما هو لك. وإنّ الذي لك لك؛ ما هو له. فأنت لك بما أنت، وهو له بما هو. والحقائق لا تنقلب ولا تتبدّل. فما تخلَّق متخلِّق بأخلاق غيره؛ وإنما أخلاقه ظهرت عليه لأعين الناظرين. ولا تحقَّق متحقِّق بحدود غيره؛ فإنّ الحدَّ لا يكون لغير محدود، ولا سيما الحدود الذاتيّة. فما ثَمَّ إلّا جوهر نفيس، وليس العجب إلّا في كونه جوهرا، والأصول لا تدلّ عليها إلّا الفروع؛ لأنّها غيبٌ. وما ثَمَّ فرع لهذه الأصول؛ فكلّ ما ظهر فهو جوهر؛ فهو أصل في نفسه، لا فرع له إلّا عين علمِك به، لا غير.

* * *

ومِن ذلك: قوله ﷻ.. ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ﴾(٢)

قال: كانت النفس الناطقة في نفْس النفَس الذي وقع به النفخ؛ فكانت عينَ النفَس المنفوخ في هذه الصورة العنصريّة. وهي صورةٌ نشأتْ من أرضٍ ذلول؛ فَذَلّت بِذِلّةِ أصلها(٣)؛ لكون مزاجها أثّر فيها. فكان الابنُ أَذلَّ من أُمّه؛ لأنّه في خدمتها، ومسخَّر لها، ومأمور بمراعاتها. والأَعزُّ الحقُّ خالقُها، فأقسم ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ﴾ ليعزَّه بولايةٍ أحسن من هذه المدينة، وهي النشأة الآخرة؛ طاهرة مطهّرة، مساعدة له على ما يريد منها من التنوّع في الصوَر، والتجلّي في أيّ صورة شاء، كما هو في نفسه، ولهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٤) وغير المؤمن ما له هذه المنزلة.

---

(١) ص ١٠١

(٢) [المنافقون: ٨]

(٣) ص ١٠١ب

(٤) [المنافقون: ٨]

وِمن ذلك: مَن أسّس بنيانَه.. قوّى أركانه

قال: مَن أَوثَق قواعد بنيانه، وأقام جداره، وعدل زوايا أركانه؛ فما هي منفرجة ولا حادّة؛ بل معتدلة متوسّطة، كما قال: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾[1] أمِن من الهدْم والسقوط، وهذا هو بيت الإيمان. فما اعتبر أرض البيت في البيت؛ لأنّه ليس من صنعة البيت، واعتبر السقف؛ لحاجة البيت إليه، وهو الذي وقع عليه النظر أوّلا. فقام البيت على خمسة[2]: سقف، وأربعة جُدُر، وهو قوله: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلّا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت من استطاع إليه سبيلا» والساكنُ: المؤمِنُ، وحَشَمُهُ وخَوَلُهُ: مكارمُ[3] الأخلاق، ونوافل الخيرات. فمكارمُ الأخلاق زينةُ هذا البيت، ونقشُه. وعَمَرَتُه، وسَدَنَتُه، وحَشَمُه، وخَوَلُه: نوافل الخيرات، وما أوجبه المؤمن على نفسه.

* * *

وِمن ذلك: الحجّة.. في المحجّة

قال: العلم يقتضي العمل، فمن ادّعاه من غير عمل به؛ فدعواه كاذبة. ومعناه دقيق جدّا؛ من أجل مخالفة المتعدِّين حدودَ الله؛ من المؤمنين العلماء بالله العارفين به. فربما يقال: لو كانوا عالمين ما خالفوا، وهم عالمون -بلا شكّ- بأنّ الله حَدَّ لهم حدودا معيّنة. فَعِلْمُهم بذلك دعاهم إلى أن لا يزيدوا فيها، ولا ينقصوا منها؛ فقد عملوا بعلمهم. وما هم عالمون بمؤاخذة الله مَن عصاه على التعيين؛ فما عصى إلّا من ليس بعالم بالمؤاخذة. ألا تراه لا يقصد بالمعصية انتهاك الحرمة؛ لِعلمه بما ينبغي لذلك الجناب من التعظيم؟ فما خالف عالِمٌ عِلمَه قط؛ فالعلماء تحت تسخير علمهم.

* * *

وِمن ذلك: النذرُ واجب.. في جميع المذاهب

قال: ما قرّر اللهُ وأوجبه على العبد مما أوجبه العبد على نفسِه، وهو[4] النذر، إلّا لتحقُّق

---

(١) [الإنفطار: ٧]
(٢) ق: خمس
(٣) ص ١٠٢
(٤) ص ١٠٢ب

عبدِه أنّه خلقه على صورته، وقد أوجب على نفسه، وذكر -وهو الصادق- أنّه يوفي به لمن أوجبه له. فأوجبَ عليك الوفاء؛ بما أوجبتَه على نفسك؛ فإنّ «المؤمن يحبُّ لأخيه ما يحبّ لنفسه» والمؤمن يحبّ لنفسه أنّه لا يؤذَى؛ فيحبّ لأخيه المؤمن أنّه لا يؤذَى، وإذا أحبّ ذلك؛ دفع عنه الأذى ما استطاع. والمؤمن لا يتأذّى بالمعصية؛ لأنّه أتاها عن شهوة والتذاذ بها، وإنما يتأذّى بالعقوبة عليها في الدار الآخرة. فدفع عن المؤمن الحَقُّ ذلك الأذى في الأخرى، كما دفع عن نفسه الأذى في الأخرى، فقال: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾[1]. وأمّا في الدنيا فيعرّض نفسه للأذى؛ فأوذي بما قيل فيه. فأذى المؤمن (هو) بما نُصِب له من إقامة الحدود على المعاصي وَزْنًا بوزن.

* * *

ومِن ذلك: السلامة من الآفات.. في الإضافات

قال: أصعبُ العلم بالله إثباتُ الإطلاق في العلم به، من كونه إلهًا. وأمّا من كونه ذاتا، أو من حيث نفسه؛ فالإطلاق في حقّه عبارة عن العجز عن معرفته؛ فلا يُعْلَم، ولا يُجْهَل؛ ولكن[2] يُعْجَز. وأمّا من كونه إلها؛ فالأسماء الحسنى تقيّده، والمرتبة تقيّده. ومعنى تقيّده: طلبُ المألوه له بما يستحقّه من التنزيه، والتنزيه تقييد، والعلم به من كونه إلها يثبتُ شرعا وعقلا. فللعقل فيه التنزيه خاصّة؛ فيقيّده به. وللشرع فيه التنزيه والتشبيه. فالشرع أقرب إلى الإطلاق في الله من العقل. والعارف ينظر في الإضافات؛ فيحكم فيه بحسب ما أضيف إليه.

* * *

ومِن ذلك: مَن رأى الحقّ.. فقد رأى نفسه

قال: مَن أراد أن يرى الحقّ؛ فَلْيَرَ نفسَه. فكما أنّه «مَن عَرَف نفسَه عَرَف ربَّه»؛ فكذلك مَن رأى نفسه فقد رأى ربّه، أو مَن رأى ربّه فقد رأى نفسه. فعند العارفين أنّ الشرعَ أَغلقَ في هذا القول بابَ العلم بالله؛ لِعلمه بأنّه لا يصل أحد إلى معرفة نفسه؛ فإنّ النفس لا تُعقل مجرَّدة عن

(١) [الزمر: ٥٣]
(٢) ص ١٠٣

علاقتها بهيكلٍ تُدَبِّره؛ منوَّرا كان أو مظلِما. فلا تُعقل إلّا كونها مدبِّرة ماهيّتها، ما تُعقل ولا تُشهد مجرَّدة عن هذه العلاقة. وكذلك الله لا يُعقل إلّا إلها، غير إله لا يُعقل. فلا يُمكن في العلم به تجريُده عن العالَم المربوب، وإذا لم يُعقل مجرَّدا عن العالَم؛ فلم[1] تُعقل ذاتُه، ولا شُهِدت من حيث هي[2]. فأشبه العِلمُ به العِلمَ بالنفس، والجامعُ عدمُ التجريد. وتخلّص حقيقة ذاته من العلاقة التي بين الله وبين العالَم، والعلاقة التي بين نفسك وبين بدنها. وكلّ مَن قال بتجريد النفس عن تدبير هيكلٍ مّا؛ فما عنده خبر بماهيّة النفس.

* * *

ومِن ذلك: المجيب سامع.. والسامع طائع

قال: كما أنّ أعيانَ الممكنات القائمة بأنفسها؛ ثابتةٌ في حال عدمها، كذلك ما يقوم بها من القوى، وتتّصف به مما هي معدومة ثابتة في حال عدمها في أعيان مَن قامت به قيام ثبوت، كما يكون في الوجود إذا وُجِدت على السَّواء. فلولا ما سمع الممكن في حال عدمه: "كن" من الحقّ؛ لمّا أراد الحقُّ تكوينَه؛ ما كان، ولكان قول الحقّ في قوله: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾[3] لا يصدق. ولا سبيل إلى القول بحدوث "كن" عند الحقّ؛ فهو إدراك خاصٌّ من الممكن الذي يريد الحقُّ إيجادَه للواجب الوجود؛ فيُظهِر عينَه؛ فيكون ما أدرك منه الممكن -تعالى- هو عين "كن" فانصبغ بالوجود؛ فكان. والتخصيص أثبتَ[4] الإرادةَ، والتوجّهَ الخاص، وهو حكم عقليّ لا يتعدّى النظر، فتحقّق.

* * *

ومِن ذلك: لباس الباطن الغذاء.. ولباس الظاهر ما يدفع به الأذى

قال: المخلوق يلزمه الأذى لفقره، وهو لذاته ينبعث لدفع الآلام عن نفسه. فالجوع ألَمٌ يدفعه بالطعام، والعطش ألَمٌ يدفعه بالشرب، والحرُّ والبرد ألَمٌ يدفعها باللباس، وسائر الآلام يدفعها

---

(١) ص ١٠٣ب

(٢) رسمها في ق: هيه

(٣) [النحل: ٤٠]

(٤) ص ١٠٤

بالأدوية التي جعلها الله لدفع الآلام. وما عدا الدافع -إمّا زينة، أو اتّباع شهوة، ولها أَلَمٌ في النفس- فلا يندفع إلّا بتناول المشتهَى، وذلك سائغ من النفس في كلِّ ما تشتهيه؛ فوقتا يدفع الألم عند الإحساس به، ووقتا يستعدُّ له قبل نزوله، وعلى الجملة ما تَستعمل النفس شيئا من ذاتها إلّا لدفع أَلَم؛ وهذا الفُرقان بين الحقّ والخلق. فلو لم يكن الإيجاد للحقّ لذاته؛ لكان حكمه في الإيجاد مثل هذا الحكم في دفع الألم عن نفسه بالإيجاد. فإنّ الإرادة منه كالشهوة منّا، وبتناول المشتهَى تندفع، وهو في كلّ يوم في شأن؛ فتحقّق.

* * *

ومِن[1] ذلك: ﴿مَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾[2]

قال: كما تكون اليوم كذلك تكون غدا؛ فاجهد أن تكون هنا ممن أبصر الأمور على ما هي عليه. دليلك على ذلك؛ أنّ الذي خلقه الله أعمى، وهو المسمّى بالأكمه، إذا نامَ لا يرى في النوم كما لا يرى في اليقظة، والأعمى إذا نام أعمى استيقظ أعمى، والنوم موتٌ أصغر؛ فهو عين الموت، من حيث أنّ الحضرة التي ينتقل إليها النائم هي بعينها التي ينتقل إليها الميّتُ سَواء. واليقظة بعد النوم، كالبعث بعد الموت. ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ أي أشدُّ عَمًى. وهذه أخوف آية عند العارف. إلّا أنّ ثَمّ شيئا أنبّهك عليه، وهو أنّه لو كان هنا أعمى، ومات أعمى؛ لكان في الآخرة أعمى. ولكن لا يكون أحدٌ هنا أعمى قبل الانتقال، ولو بنفَس واحد. ولكن الذي خُلِق أعمى؛ لا مَن عمي بعد أن أبصر؛ فإنّ الغطاء لا بدّ أن ينكشف؛ فيبصر. فما يموت الميّت إلّا بصيرا، وعالما بما إليه يصير؛ فيحشر[3] على ذلك، فافهم.

(١) ص ١٠٤ب
(٢) [الإسراء: ٧٢]
(٣) ص ١٠٥

ومِن ذلك: أُمر فامتثل.. ونُهي فعَدل

قال: العبد طائع في جميع حركاته وسكناته؛ فإنّه قابِلٌ كلَّ ما يوجده الحقّ فيه من التكوين، من حركة وسكون في الظاهر والباطن. فالذي يُخْلَق فيه، إذا أُمِر بالتكوين فيه، امتثل أمرَ ربّه. وإذا أراد أمرا مّا، ونُهي عنه؛ عدل عن إرادته إلى ما كُوِّن فيه. فإن كوِّن فيه؛ ما يكون حكمُه المخالفة لما أمره الشارع أو نهاه عنه؛ نُسِبت إليه المخالفةُ في عين الموافقة. وهي نكتة غريبة لا يُشعر بها؛ فإنّ قبول المخالفة موافقة. ومَن كان هذا مشهده؛ لا يشقى لا في الدنيا ولا في الآخرة. فلا أَطوع من الخلق لأوامر الحقّ، أي لقبول ما أمر الحقُّ بتكوينه فيه، ولكن لا يشعرون. وليست الأوامر التي أوجبنا طاعتها إلّا الأوامر الإلهيّة، لا الأوامر الواردة على ألسنة الرسل. فإنّ الآمِرَ من الخلق طائعٌ فيما أَمَر؛ لأنّه لو لم يؤمَر بأن يأمُر؛ ما أَمَر. فلو أنّ الذي أمره يسمع المأمور بذلك الأمر أمرَه دونه؛ لامتثَل. فإنّ أمرَ الله لا يُعْصَى إذا[1] ورد بغير الوسائط.

* * *

ومِن ذلك: مَن أيقن بالخروج.. لم يطلب العروج

قال: إذ ولا بدّ من الرجوع إليه؛ فاعلم أنّك عِنْده من أوّل قَدم، وهو أوّل نفَس؛ فلا تتعب بطلب العروج إليه؛ وما هو إلّا خروجك عن إرادتك[2]؛ لا تشهدها؛ فإنّه معك أينما كنت، فلا تقع عينك إلّا عليه. لكن بقي عليك أن تعرفَه؛ إذ لو مَيَّزتَه وعرفتَه؛ لم تطلب العروج إليه؛ فإنّك لم تفقِدَه. فإذا رأيتَ مَن يطلبه؛ فإنما يطلب سعادتَه في طريقه، وسعادتُه دفعُ الآلام عنه، ليس غير ذلك، كان حيث كان. فالجاهل كلّ الجاهل؛ مَن طلب الحاصل. فما أحدٌ أجهلُ ممن طلب الله. لو كنتَ مؤمنا بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾[3] وبقوله: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾[4] لعرفتَ أنّ أحدا ما طلب اللهَ، وإنما طلب سعادتَه؛ حتى يفوز من المكروه.

(١) ص ١٠٥ب
(٢) أثبت مقابلها في الهامش بقلم آخر: "ذاتك" وبجانبها "صح" وحرف خ، وهي كذلك في س
(٣) [الحديد: ٤]
(٤) [البقرة: ١١٥]

ومِن ذلك: ذوق العذاب للأحباب.. بعض[1] ورثة أهل الكتاب

عَذُبَ[2] العَذابُ بِرُؤْيَةِ الأَحْبابِ إِذْ كانَت اعْيُنُهُمْ تُشاهِدُ مَا بِي
لَيْسَ العَذابُ سِـــوَى فِراق أَحِبَّتِي إِنَّ اللَّذَاذَةَ رُؤْيَـةُ الأَحْبـابِ

قال: مِن ورثة الكتاب "الظالم لنفسه" بما يجهدها عليه؛ فهو يظلم نفسَه فيما لها من الحقّ لنفسه؛ فهو في الوقت صاحبُ عذاب وألَمٍ لا يريد دفعَه عنه؛ لأنّه استعذبه، وهان عليه حملُه في جنب ما يطلبه؛ فإنّه يطلب سعادتَه. فإنّ الكتابَ ضَمُّ معنى إلى معنى، والمعاني لا تقبل الضمّ إلى المعاني؛ حتى تودَع في الحروف والكلمات. فإذا حَوَتْها الكلمات والحروف؛ قَبِلَتْ ضَمَّ بعضِها إلى بعض؛ فانضمّتْ بحكم التبع لانضمام الحروف، وانضمام الحروف تسمّى: كتابة. ولولا ضَمُّ الزوجين ما كان النكاح، والنكاح كتابة[3]. فالعالم كلّه كتاب مسطور؛ لأنّه منضودٌ قد ضُمّ بعضه إلى بعض؛ فهو مع الآناتِ في كلِّ حال يلد. فما ثمّ إلّا بروز أعيان على الدوام، ولا يوجِد موجِدٌ شيئا؛ إلّا حتى يحبّ إيجاده. فكلّ ما في الوجود محبوب؛ فما ثَمّ إلّا أحباب.

* * *

ومِن[4] ذلك: من الجهل.. الاستتار من الأهل

قال:

إِنَّ الجَهُوْلَ مِنَ اهْلِ اللهِ يَسْتَتِرُ واللهُ يَعْلَمُ مـا يَـأْتِي ومَـا يَـذَرُ
والأَهْلُ تَعْرِفُ ما الرَّحْمَنُ يَفْعَلُهُ أَوْ بَعْضَـــهُ فـاحْذَرُوْهُ إِنّهُ خَطِرُ
لَوْ كانَ لِيْ أَمَـلٌ فِي غَيْرِ فَـاعِلِهِ مـا كانَ يَنْفَعُنِي التَّخْوِيْفُ والحَـذَرُ
لَكِنْ لَنـا أَمَـلٌ فِيْـهِ ومَعْتَقَـدٌ ولَيْسَ يَلْحَقُنِي فِي عِلْمِنا[5] بَشَـــرُ

(١) حروفها المعجمة مهملة
(٢) ص ١٠٦
(٣) أثبت في هامش ق بقلم آخر إضافة هي: "يكنى عنه بنكاح" وبجانبها "صح" وإشارة الإدخال تبين أنها بعد كلمة "مسطور" وأثبتناها هنا وفقا لما جاء في س
(٤) ص ١٠٦ب
(٥) أثبت فوقها بقلم آخر: "علمه" وبجانبها "صح"

بِــهِ يُــوَحِّــدُنِي بِــهِ أُوَحِّــدُهُ   لِذاكَ يَبْدُو، إذا يَبْدُو، ويَســْـتَتِرُ

يقول ﷻ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[1] وقد صحّ أنّ بين الله وبين العالم نَسَبًا؛ فوجب على كلّ عاقل أن يطلب على نَسَبِهِ؛ لتصحّ الأهليّة وتثبت من أجل الميراث، وهو قد قال: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾[2] وقد بيّنّا أنّ بالكتابة توجَد المعاني؛ لِضَمِّ الحروف أعيانَها[3] بالدلالة عليها. فقد أعطى العالَم الإيجادَ؛ فهو يوجِد بعضه بعضا إيجادَ الآلات بِيد الصانع. ألا ترى إلى الصانع بالآلة؛ لا يصنع ما لم تكن الآلة، وأنّ الآلة لا أثر لها في المصنوع؛ ما لم يحرّكها الصانع؛ فتوقَّف عليها توقُّفها عليه، فلا يقول: "كن" حتى يريد؛ فهي إشارة.

* * *

ومِن ذلك: الشأن.. في الشأن

الشَّأْنُ مَا نَحْنُ فِيْهِ وَهْوَ يَخْلُقُهُ   ولَيْسَ يَخْلُقُ شَيْئًا لَيْسَ يَعْلَمُهُ
بِـذا أَتانا كِتـابُ اللهِ يُعْلِمُنـا   فَمَنْ تَفَكَّرَ فِيْــهِ فَهْوَ يَفْهَمُــهُ
خَصَّ الإلهُ بِهِ مَنْ شــاءَهُ فَإذا   يَبْدُو لَهُ سِرُّهُ فِي الحالِ يُحْكِمُهُ

الذي جاء في كتاب الله قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ﴾[4] قال: "الشأنُ" في قوله: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ﴾[5] وليس إلّا الفعل، وهو ما يوجده في كلّ يوم من أصغر الأيّام، وهو الزمان الفرد الذي لا ينقسم. والفعل؛ إذا لم يكن الفاعل يفعل بالذات –أي تنفعل عنه[6] الأشياء لذاته- وإلّا فلا بدّ له عند إيجاد المفعول عنه مِن هيئةٍ يكون عليها؛ هي عينُ الفعل. ولا يلزم إذا كان فاعلا لذاته صدورُ العالَم عنه دفعة واحدة؛ فإنّ الممكنات لا تتناهى، وما لا يتناهى لا يدخل في الوجود إلّا على الترتيب. فهو ممتنع لنفسه، وما هو ممتنع لنفسه لا يتّصف الفاعل فيه على الترتيب

---

(١) [العلق: ١٤]
(٢) [فاطر: ٣٢]
(٣) ص ١٠٧
(٤) [الملك: ١٤]
(٥) [الرحمن: ٢٩]
(٦) ص ١٠٧ب

بالقصور عن إبرازه كلّه؛ إذ لا كلّ له؛ فإنّه محالٌ لذاته. والحقائق لا تتبدّل. والممكن لعينه أعطى الترتيب الواقع، وأعطاه الحقّ الوجود لذاته؛ فما هو إلّا وقوع عين الممكن على نور التجلّي؛ فيرى نفسه وما انبسط عليه ذلك النور؛ فيسمّى وجودا. ولا حكم للنظر العقلي في هذا، نَعَم له الحكم في بعض ما ذكرناه، والتسليم من العاقل في بعض. فالحقّ في شئونه بالذات يفعل، والترتيب لها.

* * *

ومِن ذلك: في الاكتساب.. غلقُ الباب

الاكْتِســـــابُ مَغالِقُ الأَبْوابِ	فِيْمَا نُؤَمِّلُهُ مِنَ الاَكْسَـــــابِ
إنْ صَحَّ لِي كَسْبٌ يَصِحُّ بِأَنَّنِي	مِنْ أَهْلِهِ فَتَصِـحُّ لِي أَنْســابِي
فَـأَنا[1] وإيّاهُ بِحُـكْمِ وُجُـوْدِهِ	شَهِدَتْ بِذَلِكَ عِنْدَهُ أَحْسابِي
إنّي شَـــهِيْـدٌ عـالِمٌ بِـأُمُورِنا	لَسْـنا عَنِ الأَبْصـارِ بالغُيَّابِ
اللهُ يَعْلَمُ أَنّـهُ عِنْـدِي بِمَـا	قَدْ قالَهُ فِي العِلْمِ حَشْـوُ إِهابِي
لَمّـا عَلِمْـتُ جَلالَهُ وجَمَـالَهُ	أُعْلِمْـتُ أَنَّ الأَمْرَ لَمْعُ سَرَابِ

قال: الاكتساب تعمُّل في الكسب، والموجِد مكتسِب؛ لأنّه قد وُصِف بما اكتسب؛ فقد كان عن هذا الوصف غير موصوف به؛ إذ لم يكن ذلك المكتسب. ولذلك ورد: «كان الله ولا شيء معه» ولم يَرِد عن المخبِر عن الله ما ذكره علماءُ الرسوم وأدرجوه في هذا الخبر، وهو قولهم: "وهو الآن على ما عليه كان" فإنّه تكذيب للخبر. فإنّه "الآن" بالخبر الإلهيّ؛ كلّ يوم في شأن. وقد كان ولا أيّام ولا شئون، تلك الأيّام. فكيف يصحّ قولهم: "وهو الآن على ما عليه كان" وهو القائل: ﴿إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾[2] وأنت المؤمن بهذا القول؛ فلا بهذا ولا بذاك.

---

(١) ص ١٠٨
(٢) [النحل: ٤٠]

ومِن[1] ذلك: لا يُخْشَى.. إلّا مَن يَخَشى

إنّ الإلَهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشــــاهُ   مِنْ كُلِّ مَخْلُوْقٍ لَنا نَغْشـــاهُ
فإذا خَشِيْتَ اللهَ كُنْتَ مُوَفَّقًا   وكَذاكَ إذْ تَخْشَى الذِي يَخْشَاهُ
مَنْ كانَ يَخْشَى ـ اللهَ قامَ بِأَمْرِهِ   وبِنَهْيِـهِ عَقْـدًا إذا مَـاشـــاهُ
اللهُ يَحْفَظُ سِرَّ عَبْـدٍ مُوْقِنٍ   فـإذا تَيَـقَّنَ أَنَّـهُ أَفْشـــاهُ
أَبْـدَى لَهُ مِـنْـهُ لِذَلِكَ غَيْرَةً   عِنْدَ السُّرَى تُفْنِيهِ فِي مَسْرَاهُ

قال: لا تقع الخشية إلّا ممن يقبل أثر ما يَخشى منه. فهو عنده بالذوق علم ذلك، وفي ذاته طلب التأثير لما عنده من دعوى الربوبيّة؛ لكونه خُلق على الصورة. فلا بدّ أن يُخْشى أيضا هو؛ لما يطلبه من التأثير في غيره[2]؛ كما يخشى ممن يؤثّر فيه. والعارف قد يقام في حال لا يَخْشى، ولا سبيل أن يقام في حال لا يُخشى؛ لأنّ ذلك ليس له. نعم[3] قد يكون في نفسه شاهدا لحاله، يقول: إنّه لو شوهِدَتْ منه ما يخشاه أحد، وذلك ليس بصحيح؛ إنما يكون هذا ممن يجهل ذاته، وما تُعطيه.

ما رأى الصيدُ إنسانا إلّا فرَّ منه ويخشاه، وإن لم يقم بنفس ذلك الإنسان صيدُ ذلك الهارب منه، وقد لا يراه، ويكون ظهرُه إليه. فليس في وسع المخلوق أنّه لا يُخشى، وقد يكون في وسعه أنّه لا يَخشى، ولكن لا على الدوام؛ إلّا أن يُغْفَل عن ذلك، لا غير.

* * *

ومِن ذلك: المقيت.. يطلب التوقيت

اللهُ عَـيَّنَ أَقْـواتًا وقَـدَّرَهـا   فَهُوَ المُقِيْتُ وبِاسْمِ الدَّهْرِ يَحْجُبُهُ
فَالعَقْلُ يَسْـــتُرُهُ والنَّفْسُ تُظْهِرُهُ   والرُّوْحُ يَكْتُمُـهُ والحِسُّ يَرْقُبُـهُ

(١) ص ١٠٨ب
(٢) ق: "لغيره" وكتب فوق اللام بقلم الأصل: في
(٣) ص ١٠٩

والنُّوْرُ يُحْرِقُهُ والسِّـــتْرُ[1] يَكْنُفُهُ والشَّـــوْقُ يُتْلِفُهُ وُجْدًا ويُذْهِبُهُ
والوجْدُ يَقْدَحُ زَنْدَ الحُبِّ فِي كَبِدٍ حَرّاءَ والِهَـةٍ والرِّيْحُ تُلْهِبُـهُ

قال: ترتيبُ الإيجاد يؤذِن بالتوقيت، ولا يتولّى ذلك إلّا الاسم المقيت[2]؛ لأنّه القائل: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[3] وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾[4].

وقال: ﴿وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾[5] وهو الثابت الواقع، ولا حكم لأداة "لو" فإنّ كلمة "لو" لو زُرِعَت ما نبتَ عنها شيء، ويخسر البذر. فمتى سمعتَ "لو" حيث سمعتَها؛ فلا تنظر إلى ما تحتها؛ فإنّ ما تحتها ما يوجَد. فلا تخفْ منها، ولا من دلالتها، وليكن مشهودُك الواقع خاصّة؛ فإنّه ما رأيتُ أعظم أثرا من أثر المعدوم في نفوس العالَم، وسبب ذلك الإمكان. فيخاف الإنسان أمرا مّا، وذلك الأمر معدومٌ ما وُجِد، وقد أثّر فيه الخوفَ وما يتبعه. هذا أثرُ المعدوم؛ فكيف أثر الموجود؟

* * *

ومِن ذلك: الحبيب.. قريب

قال: الحبيب قريب من الحُبّ؛ لأنّه الذي يتعلّق به، لا من المحبّ. فالحبُّ لا يجول المسافات البعيدة النائيّة، ولا التنويهات الشريفة التي لا ترتفع أحكامها عن قرب الحبّ من الحبيب. والمحبّ قد يكون له القرب من الحبيب، وقد لا يكون. فالحُبّ قريب من المحبّ لقيامه به، وقريب من المحبوب لتعلُّقه به؛ فإنّه لا تعلّق له بغير محبوبه؛ فقد انفرد إليه، والمحبّ تبع للحُبّ لقيامه به. والحبيب[6] ليس بتابع لحبِّ المحبّ، وإن تعلّق به؛ بل هو مع ما يقوم به. فإن قام به حبّ المحبّ؛ أحبّه، فعاد المحبّ حبيبا. فصحّ الطلب من الطرفين، ولا عائق؛ إلّا إن كان من خارج، أو من

---

(١) التاء مهمل
(٢) ص ١٠٩ب
(٣) [الحجر: ٢١]
(٤) [القمر: ٤٩]
(٥) [الشورى: ٢٧]
(٦) ص ١١٠

محال؛ أي لا تعطي الحقائق الاتّصال. فمَن عرف الحبَّ عرفَ كيف يحبّ. كان شيخنا يطلب شهوة الحبّ، لا الحبّ. وذلك أنّ شهوة الحبّ: قُرْبُ الحبيب من المحبّ.

* * *

ومِن ذلك: ليس من الخير.. حبّ الغير

قال: ما أحبّ المحبّ في غيره إلّا نفسَه؛ فما أحبّ الغير. ولا يصحّ حبّ الغير أبدا؛ لأنّ حبّ الغير ما فيه خير. فإذا كان فيه خير يعود على المحبّ؛ فنفسَه أحبّ؛ لأنّه أحبّ إعادة ذلك الخير عليه. ثمّ لتعلم أنّ ذلك الغير من حقيقته أن يكون له وجود، ما هو عين هذا الآخر، والمحبوب أبدا لا يكون إلّا معدوما؛ إمّا في موجود، أو لا في موجود. فإنّ الموجودَ محالٌ أن يُحَبّ لذاته، وإنما يُحَبّ لأمر عدميّ، ذلك الأمر العدميّ هو المحبوب منه أن يكون. والعدم ليس بغيرٍ للمحبّ، ولا يزال هذا المعدوم المحبوب منوطا بالمحبّ؛ لقيام حبّه به، وتعلّقه بذلك المحبوب. فلا يزال متّصلا به وَصْلَ خيال حتى يقع في الحسّ، هذا شأنه في المخلوق، وفي الحقّ الإيجاد.

* * *

ومِن[1] ذلك: مَن بلغ الغاية في الاتّساع ضاق

قال: لا أوسع من الخلاء؛ إذ الاتّساع لا يوصَف به إلّا الخلاء. فإذا امتلأ الخلاء؛ ضاق بلا شكّ؛ فإنّ الممكنات لا نهاية لها، وقد ضاق الخلاء عنها؛ لأنّه امتلأ؛ فضاق المتّسع؛ فجعل الله فيما أوجد من الملأ في الخلاء الاستحالات؛ فلا يزال يخلع صورة؛ فيلحقها بالثبوت والعَدَم، ويوجِد صورة من العدم في هذا الملأ. فلا يزال التكوين والتغيير فيه أبدا؛ بالاستحالات في الدنيا والآخرة، بل في الوجود كلّه. وهذه هي الشئون التي الحقُّ فيها في كلّ يوم من أيّام الدنيا والآخرة، بل من أيّام الوجود. فما ضاق عن الاستحالات؛ فإنّه تفريغ وإشغال. فهو بعمارة الخلاء قد ضاق، وبالتفريغ والإشغال فيه ما ضاق. فلا يزال الخلاء ممتليا على الدوام؛ لا يُعقل فيه خلو ليس فيه ملأ.

---

(١) ص ١١٠ب

ومِن ذلك: لا غاية.. في الغاية

قال: لو كانت في الغاية غاية؛ ما كانت غاية. والعالَمُ غايتُه في طلب الحقّ، والحقُّ غايتُه الخلق؛ لأنّ غايتَه المرتبة، وليست سِوى كونه إلها؛ فهو يطلب المألوه بالذات ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ[1] كُلُّهُۥ﴾[2]. فهو الغاية، ومنه بدأ الأمر كلّه. ولذلك جاء بالرجوع؛ لأنّه لا يمكن أن يكون رجوع إلّا من خروجٍ تقدَّم. والموجودات كلّها المحدَثات، ما خرجت إلى الوجود إلّا عن الله؛ فلهذا ترجع أحكامها إليه، ولم تزل عنده. وإنما سُمّيت راجعة؛ لما طرأ للخلق من رؤية الأسباب التي هي حجب على أعين الناظرين. فلا يزالون ينظرون ويخترقون الأسباب، من سبب إلى سبب، حتى يبلغوا إلى السبب الأوّل؛ وهو الحقّ. فهذا معنى الرجوع.

* * *

ومِن ذلك: من جاء شيئا إمرا.. أحدث له القرينُ ذِكْرا

قال: كلّ أمر يقع التعجّب منه؛ فإنّ صاحبه الذي أوجده للتعجّب، ما أوجده بهذه الحالة؛ إلّا ليحدث منه ذِكْرا لهذا الذي تعجَّب منه. فلا تستعجل؛ فإنّه لابدّ أن يخبره موجده بحديثه؛ إلّا أنّ الإنسان خُلق عجولا. ففي طبعه الحركة والانتقال؛ لأنّها أصله؛ فإنّ خروجه من العدم إلى الوجود نقله؛ فهو في أصل نشأته ووجوده متحرّك. فلهذا قال: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[3]، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾[4] ولو رام غير العجلة؛ ما استطاع.

وما في العالم أمرٌ لا يُتعجّب منه، فالوجود كلّه عجب، فلا بدّ أن يحدث الله منه ذِكْرا للمتعجّبين. فالعارفون أحدثَ اللهُ لهم ذِكْرا منه في هذه الدار؛ فعرفوا لما خُلِقوا له، ولما[5] خُلق لهم. والعامّة تعرف حقائق هذه الأمور في الآخرة. فلا بدّ من العلم؛ وهو إحداث الذِّكْر.

---

(١) ص ١١١
(٢) [هود: ١٢٣]
(٣) [الأنبياء: ٣٧]
(٤) [الإسراء: ١١]
(٥) ص ١١١ب

ومِن ذلك: الركون.. لا يكون إلّا لمغبون

لا تَـرْكَـنَنَّ إلَى غَـيْرِ الإلَهِ فَـمَـا   يَرْكَنْ إلَى غَيْرِهِ إلَّا الذِي جَهِلَهْ
سـُـبْحـانَـهُ وتَعـالَى أَنْ يُقِرَّ لَهُ   فِي مُلْكِهِ بِشَرِيْـكٍ غَيْرُ مَنْ خَذَلَهْ
مَنْ قـالَ إنَّ لَهُ نِـدًّا وَصـــاحِبَةً   فَرَبُّهُ بِحُســامِ الجَهْلِ قَـدْ قَتَلَهْ
واللهِ ما طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلا غَرَبَتْ   عَلَى مُحِبٍّ لَهُ إلَّا وقَدَ وَصَــلَهْ
بِمَـا يُرِيْـدُ ومَـا يَبْغِيْـهِ مِنْ مِنَحٍ   إلَّا حَبـاهُ بِهـا فِي تُحْفَـةٍ وَصِــلَهْ
سـُـبْحانَهُ وتَعالَى أَنْ يُحِيْطَ بِـهِ   نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ البَطَلَةْ

لا تركن إلى غير رُكن؛ فتخيب. انظر في القرآن بما أنزل على محمد ﷺ[(١)] لا تنظر فيه بما أنزل على العَرَبِ؛ فتخيب عن إدراك معانيه. فإنّه نزل بلسان رسول الله ﷺ ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[(٢)] ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾[(٣)] جبريل عليه السلام على قلب محمد ﷺ فكان به من المنذِرين، أي المعلمين. فإذا تكلّمتَ في القرآن بما هو به محمد ﷺ متكلِّم؛ نزلتَ عن ذلك الفهم إلى فهم السامع من النبيّ ﷺ فإنّ الخطابَ على قدر السامع، لا على قدر المتكلِّم. وليس سمعُ النبيّ ﷺ وفهْمُه فيه فَهْمَ السامع من أُمّتِه فيه إذا تلاه عليه. وهذه نكتة ما سمعتها قبل هذا عن أحدٍ قَبْلي، وهي غريبة، وفيها غموض.

* * *

ومِن ذلك: مَن لم يتكبّر على خَلْقِه.. فقد أدّى واجبَ حَقِّه

لَيْسَ التَّكَبُّرُ والإهْمَـالُ مِنْ خُلُقِي[(٤)]   بَلِ التَّوَاضُعُ والإمْهَالُ مِنْ شِيَمِي
إنِّي عَبَـدْتُ الذِي أَجْنِي ويَغْفِرُ لِي   وَهْوَ المُهَيْمِنُ رَبُّ الصَّفْحِ والكَرَمِ

---

(١) ص ١١٢
(٢) [النحل: ١٠٣]
(٣) [الشعراء: ١٩٣]
(٤) ق: "شيمي" وأثبت فوقها بقلم آخر: "خلقي" وبجانبها "صح" وحرف خ. وهي كذلك "خلقي" في س.

قال(1): لا يتكبّر على الأمثال إلّا مَن جهِل أنّهم أمثال. فكما لا يتكبَّر الشيء على نفسه، كذلك لا يتكبّر على مِثله. ومَن لم يتكبّر على خلق الله؛ فقد أعطاهم حقّهم الذي وجب لهم عليه، كما أعطاه الله خلقَه الذي لم يكن إلّا به. وإلّا فما هو هو؛ فإنّ الإنسان إذا لم يكن هو الحيوان الناطق، وإلّا فليس بإنسان. فهذا ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾(2)، وأوجب عليك أنت الحقوق. فما في العالَم إلّا مَن له حقّ عليك، تؤدّيه إليه إذا طلبه منك. وما لم يطلبه بحاله أو بلسانه؛ لم يتعيّن عليك. فلا بدّ من الأوقات فيه، كما هو في الإيجاد والآجال إذا جاء الوقت. قال -تعالى-: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾(3) وقال -تعالى- في شأن القيامة: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾(4) فحينئذ يعطيها خلقَها. كذلك إذا حان أجَلُ أداء الحقّ؛ تعيّن عليك الأداء. فإن أنت لم تفعل؛ فأنت ظالم. ولا يتعيّن أداء حقٍّ إلّا مع قدرة المؤدّي على أدائه، وذلك وقته.

ومِن ذلك: المقصود.. رؤية التقصير مع بَذْل المجهود

ما(5)كان مَقْصُودِي مِنَ التَّقْصِيْرِ	إلّا الَّذِي أَدْرَكْتُ فِي التَّشْمِيْرِ
حتّى يَرانِي العاذِلُونَ قَدِ اعْتَنَى	مَنْ قُمْتُ فِيْهِ بِنَفْثِهِ المَصْدُوْرِ
وأَرَى الذِي قَيَّدْتُهُ بِصَحِيْفَتِي	مِنْ عِلْمِهِ المَشْرُوحِ فِي المَسْطُوْرِ
إِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَهُ وَفَهِمْتُهُ	فَهْمًا كَمَا جَلّاهُ فِي المَزْبُوْرِ
وأَتَى بِهِ ضَوْءُ الصَّباحِ ولَيْلُهُ	فِي وَقْتِهِ المَعْرُوفِ بالدَّيْجُوْرِ
إِنِّي حَصَرْتُ وُجُوْدَهُ ويَحِقُّ لِيْ	حَصْرُ الأُمُورِ لِعِلْمِيَ المَحْصُورِ

قال: الأمانيّ غرور؛ فلا تمنّ على الله الأمانيّ، وأنت تسلك على غير طريق تحصيلها. فإنّ الله يقول: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾(6) فجعل الطريقَ التّقوى لحصول هذا الفُرقان الذي

---

(1) ص ١١٢ب
(2) [طه: ٥٠]
(3) [الأعراف: ٣٤]
(4) [الأعراف: ١٨٧]
(5) ص ١١٣
(6) [الأنفال: ٢٩]

أنزله على عبده ليكون به للعالمين نذيرا، أي معلّما لهم. ألا تراه لمّا أراد أن[1] يُعْرَف؛ أوجدَ العالَم، وتعرّف إليهم؛ فعرفوه على قَدْرِهم، ما أبقاهم في العدم. ورد خبرٌ إلهيّ، قال تعالى: «كنت كنزا لم أُعرف فخلقت الخلق وتعرّفت إليهم فعرفوني»، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[2]. فلا بدّ لكلّ طالبِ أمرٍ أن يَسْلُكَ في طريق تحصيله؛ لأنّ الطريق له ذاتيٌّ؛ فلا يحصل إلّا به، ولكنّ أكثر الناس لا يشعرون.

* * *

ومِن ذلك: حاز جنّة المأوى.. مَن نهى النفس عن الهوى

إذا نَهَيْتَ النَّفْسَ عَنْ هَواها ... كانَتْ لَها جَنَّاتُهُ مَأْوَاها
بِها حَباها اللهُ إذْ حَباها ... وكانَ في فِرْدَوْسِهِ مَثْواها
أَقْسَمْتُ بِالشَّمْسِ التي أَجْرَاها ... قَسَمًا وبِالبَدْرِ إذا[3] تَلاها
ولَيْلِهِ المُظْلِمِ إذْ يَغْشاها ... وبِالنَّهارِ حِيْنَ ما جَلَّاها
وحِكْمَةِ اللهِ التي أَخْفاها ... عَنِ[4] العُيُونِ حِيْنَما أَبْدَاها
وبِالسَّماواتِ ومَنْ بَناها ... وفَوْقَ أَرْضٍ فَرْشِهِ عَلّاها
لَتَبْلُغنَّ اليَوْمَ مُنْتَهاها ... حَتّى تَرَاها بَلَغَتْ مُناها
حِيْنَ رَأَتْ ما قَدَّمَتْ يَدَاها ... مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مِنْهُ قَدْ أَتَاها
يا طُعْمَةً قَدْ بَلَغَتْ أَنَاها ... ما كانَ أَحْلاها ومَا أَشْهَاها

قال: نَهْيُ النفس عن الهوى؛ أن يكون هواها لا تأتِهِ من حيث ما هو هواها، بل (من حيث ما) هو إرادة الحقّ، وأنت لا تدري. فإذا نهى النفس عن الهوى، من حيث أنّه مذموم، لا من حيث ما أشرنا إليه؛ فإنّ الله قد ستر عنه العِلمَ الصحيح في ذلك. فعبّر عنه بجنّة المأوى، أي

---

(١) ص ١١٣ب
(٢) [الزخرف: ٨٧]
(٣) كتب فوقها "صح" وأثبت مقابلها في الهامش بقلم الأصل: "الذي" وفوقها "صح"
(٤) ص ١١٤

الستر الذي أوى إلى ظلّه. فهو، وإن كان مدحا، فمن حيث أنّه علّق الذمَّ بالهوى. فلو عرف أنّه ما دفع[1] الهوى إلّا بالهوى، وأنّ الهوى ما هو غير عين الإرادة، وكلُّ مرادٍ إذا حصل لمن أراده؛ فهو ملذوذٌ للنفس[2]؛ فكلّ إرادة فهي هوى؛ لأنّ الهوى تستلذّه النفوس، وما لا لذّة لها فيه؛ فليس بهواها. وما سُمّي هوى؛ إلّا لسقوطه في النفس، وليس سقوطه إلّا منك في إرادة ربّه. فلا أعلى من الهوى؛ لأنّه يردّك إلى الحقّ؛ فلا تشهد غيره في التذاذه بذلك. إلّا أنّ الخلق حجبوا عن هذا الإدراك؛ فهم مع الإرادة فيهم، ويسمّونها: "هوى" وليست بِهوى. والهوى للعارفين، والإرادة للعامّة، والذمّ لهم في الهوى؛ فهم له عاملون.

* * *

ومِن ذلك: الحقُّ للباطل مزهِق.. والنظر إليه مصعِق

قَـذْفُكَ[3] بالحَقِّ عَلَى باطِلٍ — يَـدْمَغُـهُ فَهْوَ بِـهِ زاهِقُ
وإنّـمَـا يَـعْـرِفُ مـا قُـلْـتُـهُ — مَنْ هُوَ فِي أَحْوالِهِ صادِقُ
فَهْوَ ظَلُومٌ والهَوَى مُهْلِكٌ — وغَيْرُهُ مُقْتَصِـدٌ سـابِقُ
يَسْـبِقُـهُ فَكُلُّ مَنْ جـاءَهُ — فـإنّـهُ فِي إِثْـرِهِ لاحِـقُ
فـإنْ[4] أَقُـلْ هَـادٍ أَنا عـارِفٌ — وإنْ أَقُلْ حَادٍ أَنا سـائِقُ
مِنْ حَيْـثُ عَيْنِي فـأَنا ناظِرٌ — ومِنْ لِسـانِي فأَنا ناطِقُ
أَحْـوالُـنـا تُخْـبِرُ عَـنْ سِرِّنا — بِـأَنَّهُ فِي ذاتِـهِ عاشِـقُ

قال: لا تغالط نفسَك؛ حقّ وخلق لا يجتمعان؛ فانظر مشهودَك: إن كان حقّا؛ فما تنظره إلّا بعينه؛ فإنّك لا تدركه بغيره؛ فما ثَمّ خلْق في حقّك، وفي وقتك؛ إذا كان وقتك الحقّ. وإن كان خلْقا؛ فما تنظر إليه إلّا بعين الخلْق، والحكم تابع للنظر، ولا يحكم النظر إلّا بما يعطيه المنظور من

(١) ق: "رفع" وكتب فوقها بقلم الأصل: "صح" وفي الهامش "دفع"
(٢) ص ١١٤ب
(٣) أثبت بجانبها بقلم الأصل: أتقذف
(٤) ص ١١٥

ذاته. فمن المحال أن يكون المنظور إليه قائمًا؛ فيدركه قاعدا، أو على لونٍ مّا إن كان من المتلوِّنات؛ فيدركه على غير اللون الذي هو عليه ذلك المنظور، وهذا سائغ في كلّ قوّة. موضعُ الطعم إذا غلبتْ عليه[1] المِرّة الصفراء؛ قال في العسل إذا ذاقه: "إنّه مُرٌّ" والعسل ما باشر موضع الطعم، وإنما باشرته المِرّة الصفراء؛ فصدَق في المرارة، وكذَب في نسبة المرارة إلى العسل، فاعلم ذلك.

* * *

ومِن[2] ذلك: مَن أجاب أُجيب.. فلِمَ لا يستجيب

لمّا أَجَبْتُ دُعاةَ الحَقِ كُنْتُ لَهُمْ ... مُـؤَيِّـدًا وبِـهِـمْ أَيَّـدْتُهُـمْ فـإذا

أَقُوْلُ إنّهُـمُ عَـيْـنِي ومُـعْـتَـقَـدِي ... كَمَا أَقُوْلُ إذا مـا كُنْـتُ مُنتبـذا

الحَقُّ يُجْهَـلُ أَوْ يُعْزَى لِكُلِّ هَوَى ... وَلَوْ يَرَى الحِسُّ أَنّ الحَقَّ قَدْ نُبِذا

هيهـاتَ لَيْسَ لَهُ حَـدٌّ فَنُـدْرِكُـهُ ... بِـهِ فـإِنَّ لَهُ حُكْمًـا عَلَيَّ بِـذا

بِذَا حَكَمْتُ ومَا فِي الحُكْمِ مِنْ عَجَبٍ ... فَكُلُّ حُكْمٍ تَرَاهُ فَهْوَ فِيْـهِ كَـذا

فَـلا يُحِيْـطُ بِـهِ عِلْمٌ ومَـعْـرِفَـةٌ ... ولا يُنـاطُ بِـهِ مِنْ جانِبَيْـهِ أَذَى

قال: لا تُعامَل إلّا بما عاملتَ؛ فعمَلك يعود عليك. استجب لله ولرسوله إذا دعاك لما يحييك؛ فإنّه إذا دعاك فأجبته؛ يجبك إذا دعوته. قال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي[3] فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِي إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي﴾[4]، فإنّي دعوتهم على ألسنة أنبيائي. وكما أنّه ﷻ يعطي جزاءً؛ يطلب من عبده الجزاء المكوَّن[5] لمّا دعاه الحقّ إلى التكوين، أجاب؛ فكان. فَدُعاه خالقَه إلى ما تقوم به ذاتُه، ويبقي عليه عينه. فأجابه الحقُّ بالإمداد؛ فكان جزاء، ولو شاء أعدمه؛ لكنّه أجاب؛ فأجابه الحقّ؛ فكان ذلك تنبيها من الحقّ لنا وتعليما. فإيّاك والغفلة

(١) من س، ه فقط
(٢) ص ١١٥ب
(٣) ص ١١٦
(٤) [البقرة: ١٨٦]
(٥) ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

عن ملاحظة هذه الأشياء التي نصبها الحقُّ لِتُشهَد؛ فلا تُعاملها إلّا بما نَصبها الحقّ له. فأصلُ الإجابة في العالم مِن هناك، وهو أصلٌ قويٌّ. ولذلك ما دعا اللهَ أحدٌ إلّا وأجابه، إلّا أنّ الأمور مرهونة بأوقاتها لمن يعلم ذلك. فلا تَسْتَبْطِ الإجابة؛ فإنّها في الطريق، وفي بعض الطرُق بُعْدٌ، وهو التأجيل.

* * *

ومِن ذلك: طيب الأعراق.. يدلّ على مكارم الأخلاق

قَدْ قِيْلَ فِي مَثَلٍ أَجْرَاهُ قائِلُهُ: "إنّ الجِيادَ عَلَى أَعْرَاقِها تَجْرِي"

فَمَنْ تَقُومُ بِهِ أَخْلاقُ سَيِّدِهِ يُجْرِي الجَمِيْلَ وغَيْرَ الخَيْرِ ما يُجْرِي

هَذا[1] الذِي قُلْتُهُ التَّوْحِيْدُ جاءَ بِهِ يَوْمَ الخَمِيسِ إِلَيْنا لَيْلَةَ القَدْرِ

أَقامَ عِنْدِي بِلا كَدٍّ ولا نَصَبٍ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ حَتّى مَطْلَعِ الفَجْرِ

قال: إذا كانت الأعراق -التي هي الأصول- طيّبة بالصلاحيّة والقوّة؛ كان الثمر في الفروع طيّبا بالوجود والفعل. فالثمر من الأصول تَستمدّ؛ فإنّها من ذاتها لا تستبد. والأصلُ الحقُّ في وجود العالَم، وهو الطيّب؛ فما في الوجود إلّا طيّب؛ فإنّ كلّ ما في الوجود إنما هو أخلاق الحقّ، أي ثمرات أسمائه. وأسماء الحقّ للحقّ؛ كالفروع والأغصان للشجرة. ولذلك تختلف الأغصان، من التشاجر، ويدخل بعضها على بعض تداخلَ الأسماء الإلهيّة في الحكم في العالَم، كما قال: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾[2] فأيّ عين لم تر في العالَم طيّبا في أمر مّا منه؛ فما ذلك إلّا لغيبة الحقّ عن شهودها في تلك النظرة.

(١) ص ١١٦ب
(٢) [الإسراء: ٢٠]

ومِن ذلك: ذِكْر الجُنُوب.. قَرِيبٌ مِن الغيوب

مَنْ[1] يَذْكُرُ اللهَ قَدْ يَرْجُو مُذَكِّرهُ ... مِنَ القِيامِ يَكُونُ الذِّكْرُ أو جُنُبِ
أو القُعُوْدِ فَإِنَّ اللهَ يَذْكُرُهُ ... فِي كُلِّ حالٍ بِلا كَدٍّ وَلا نَصَبِ
هَذِي الحَياةُ التي يُرْجَى النَّعِيمُ بِها ... فِي حالِ جَدٍّ يكونُ الذِّكْرُ أو لَعِبِ
إنّ الذي يَذْكُرُ الرَّحْمَن جاءَ بما ... يَكونُ فِيْهِ جِلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ
فاللهُ يَعْصِمُ قَلْبِي مِنْ غَوائِلِهِ ... فَإِنّها قَدْ تُؤَدِّيْنا إِلَى العَطَبِ

قال: الذاكرون ثلاثة: ذاكرٌ قائم؛ وهو الذي له مشاهدة قيّوميّة الحقّ؛ فيراه قائمًا على كلّ نفس بما كسبت، فلا يشهده إلّا هكذا في ذِكْرِه. وذاكرٌ قاعدٌ؛ وهو الذي يشهد من الحقّ استواءه على العرش. وإنما قلنا ذلك؛ لأنّ العالَمَ مرآةُ الحقّ، والحقّ مرآةُ الرجل الكامل، وينعكس النظر في المرائي؛ فيظهر في المرآة ما هو في المرآة الأخرى، ولا يعرف ذلك إلّا مَن رأى ذلك. فيرى الحقُّ في الخلق قيّوميّته؛ بكونه قائمًا عليه بما[2] كسب، والحقُّ مرآة للخلق، وقد رأى الحقُّ نفسَه في خلقِه؛ فرأى الخلقُ في مرآة الحقِّ صورة ما تجلّى من الحقّ في مرآة الخلق؛ فأدركوا الحقَّ في الحقِّ بوساطة مرآة الخلقِ. فإن شهد الحقُّ أيّ صفة شهد منه؛ شهِد العبدُ تلك الصورة عينها، على حدّ ما قلناه. وإنما كان الجُنُوب يُقرِّب الغيوب؛ لأنّها حالة النائم أو المريض، وهو قريب من حضرة الخيال؛ وهي محلُّ الغيوب.

* * *

ومِن ذلك: الاكتفاء.. من الوفاء

مَنِ اكْتَفَى قَدْ وَفَى بِمَا يَقُوْمُ بِهِ ... ومَا يَقُومُ لَهُ فالاكْتِفاءُ وَفَا
مَنْ ظَنَّ أَنَّ طَرِيْقَ الحَقِّ أَهْوِيَةٌ ... جاءَتْ بِهِ سُبْلُهُ فالذِّكْرُ مِنْهُ جَفَا

---

(١) ص ١١٧
(٢) ص ١١٧ب

قال: لا يكون الاكتفاء من الوفاء؛ إلّا مع الموجود الحاضر صاحب الوقت؛ فيكتفي به صاحبه في وقته، ولا يحتاج إلى طلب الزائد؛ فإنّه لا بدّ منه. هو يأتيك من غير طلب؛ لأنّه من المحال الإقامة على أمرٍ واحد زمانين. وإنما قال الحقّ -تعالى- لنبيّه ﷺ آمرًا: ﴿قُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1] ينبّه وإيّانا على أنّ ثَمّ أمرًا آخر[2] زائدا على ما هو الحاصل في الوقت؛ لِنَتَهَمَّمَ لقدومه، وليظهر من العبد الافتقار إلى الله بالدعاء في طلب الزيادة. فَمَن علم أنّه لا بدّ من تحصيل الزائد، وتأهّب لقدومه؛ فلا حاجة في هذا الموطن إلى الدعاء في تحصيله. إلّا أنّ الزائد غيرُ معيَّن عندك؛ فإذا عيّنه الدعاءُ، والحقّ يجيب؛ فقد تعيَّن عندك ما تدعوه فيه، وهو الذي أَمر اللهُ به نبيّه ﷺ أن يزيده، بطلبه علما به في كلّ ما يعطيه، وهو وجه الحقّ في كلّ شيء.

* * *

ومِن ذلك: الاستغفار.. في الأسحار

أَسْتَغْفِرُ اللهَ بِاللهِ الذِي سَجَدَتْ ... لَهُ الجِباهُ بآصـــالٍ وأَسْحَارِ

فَقَـالَ لِيْ قـائـلٌ مِنْهُمْ بِـأَنَّ لَهُمْ ... سِرًّا يُهَيِّمُهُمْ فِي نَغْمَةِ القَارِي

قال: السَّحَرُ موضع الشبهة؛ ما هو ظلمةٌ محضةٌ فيكون الجهل، ولا هو نورٌ محضٌ فيكون العلم، ولكنّه سدفة؛ وهو اختلاط الضوء والظلمة؛ فلمّا كان الاختلاطُ وقع التشابه[3]. ولهذا نُهينا عن اتّباع المتشابِه، وذكر أنّه ما يتّبعه إلّا مَن في قلبه زَيْغٌ؛ أي ميل عن الحقّ الصراح؛ فإنّ التخليص هو المطلوب. فلذلك شرع الاستغفار في الأسحار، أي طلب من الله التستّر عن الميل إلى المتشابه، بشرط أن لا تعرف أنّه متشابه. فإن علمتَ أنّه متشابه، ولم تتعدَّ به حدّه، ولا أخرجتَه بميلك إليه؛ ونظرك فيه عن التّشابُه؛ فلا حرج عليك. وإنما الخوف والحذر أن تلحقه بأحد الطرفين، وما ذلك حقيقته؛ وإنما حقيقته أن يكون له وجهان: وَجْهٌ إلى كلّ طرف؛ وَجْهٌ إلى الحِلِّ، ووجهٌ إلى الحرمة، ويتعذّر الفصل بين الوجهين، وتخليصه إلى أحد الطرفين. فهو عند

(١) [طه: ١١٤]
(٢) ص ١١٨
(٣) ص ١١٨ب

العارف من المحكم بهذا الوجه؛ لتميّزه عن كلّ واحد من الطرفين. فإذا اتّبعته اتّباعَ من لا يزيله عن حقيقته؛ فما ثَمّ زيغ.

* * *

ومِن ذلك: عنايةُ العبادة.. موافَقَةُ الأمرِ الإرادة

إِنْ وَافَقَ الأَمْرُ الإِرادَةَ لَمْ يَزَلْ مَعْبُودُهُ فِي عَيْنِهِ مَشْـــهُودا

فَــإِذا[١] تَجَلَّى نُوْرُهُ لِعِبــادِهِ مِنْ فَوْرِهِمْ خَرُّوا لَدَيْهِ سُجُودَا

قال: الأمرُ الإلهيّ لا يخالِف الإرادة الإلهيّة؛ فإنّها داخلة في حدِّه وحقيقته. وإنما وقع الالتباسُ من تسميتهم صيغة الأمر -وليست بأمرٍ[٢]- أمرًا، والصيغة مرادة بلا شكّ. فأوامر الحقّ إذا وردت على ألسنة المبلِّغين؛ فهي صيغ الأوامر، لا الأوامر فَتُعْصَى. وقد يأمر الآمِر بما لا يريد وقوع المأمور به؛ فما عصى أحدٌ قطّ أَمرَ الله. وبهذا علِمنا أنّ النهي الذي خوطب به آدمُ عن قُرْب الشجرة؛ إنما كان بصيغة[٣] لغة الملَك الذي أوحى إليه به أو الصورة، فقيل: ﴿عَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾[٤].

* * *

ومِن ذلك: لا يعوِّلُ عليه.. إلّا الفارُّ منه إليه

مَنْ كُنْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ فَرَرْتُ مِنْـهُ إِلَيْـهِ

وَلَمْ أَجِـدْ مِنْـهُ بُـدًّا لِذَا اتَّكَلْـتُ عَلَيْـهِ

قال: الفرّارون هم بحســـب ما فرّوا إليه. فما أوجبَ عليهم الفرارَ ما فرّوا منه، وإنما أوجبه ما فرّوا إليه. إذ لو عرفوا أنّه ما ثَمّ مَن يُفَرُّ إليه؛ لسَـــكَنوا وما فَرُّوا. فإذا[٥] أردت أن تعرف في فرارك؛ هل أنت موسويّ أو محمّديّ؛ فانظر في ابتداء الغاية، وهو حرف "مِن" وفي انتهاء الغاية

---

(١) ص ١١٩

(٢) "صيغة.. بأمر" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

(٣) رسمها في ق: بصغة، والترجيح من س، ه

(٤) [طه: ١٢١]

(٥) ص ١١٩ب

وهو حرف "إلى" فالنبيّ محمد ﷺ يقول: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾[1] وقال في تعوّذه: «وأعوذ بك» فهذا أمره ودعاؤه. وقال (تعالى) عن موسى معرّفا إيّانا: ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ﴾[2] ويقال للمحمّديّ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِي﴾[3] فالحكم عند المحمّديّ لانتهاء الغاية، وعند الموسويّ لابتداء الغاية. وعلى الحقيقة فالغاية هي متصوَّرة عنده في الابتداء؛ فهي المحرِّكة؛ لأنّ الأمور إنما هي بِغاياتها، ولها وُجِدَتْ.

قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[4] فاعتبر الغاية، وإن تأخّرتْ في الوجود. مثل طالب الاستظلال بالسقف؛ فحرّكته الغاية إلى ابتدائها؛ فما وقعت العبادة إلّا بعد الخلْق. فالغاية هي التي أبرزتهم إلى الوجود؛ فهي المبتدأ، وإن تأخّرتْ في الوجود؛ فما تأخّرتْ بالأثر؛ فإنّ الحكمَ والأثرَ لها. ولذلك قلنا: إنّ الأثرَ أبدا في الموجود إنما هو للمعدوم، والغاية معدومة؛ ولهذا يصحُّ من الطالب طلبَها؛ لأنّ الموجود غير مُراد؛ فالغاية[5] المعدومة هي التي أثّرت الإيجاد، أي هي سبب في أن أَوْجَد الحقّ ما أوجده، مما لم يكن له وجود عينيّ قبل هذا الأثر السببيّ. ويسمّونه بعض العلماء العلّة، وبعضهم يسمّيه الحكمة. وبعد أن عُرِف المعنى فلا مشاحّة في الإطلاق.

* * *

ومِن ذلك: الجهر والهمس.. لفظ النفْس

الأَمْرُ فِي العَقْلِ وفِي النَّفْسِ ... مُقَرَّرٌ فِي الجَهْرِ والهَمْسِ
فَكُلُّ ما يَشْهَدُهُ ناظِرِي ... أُدْرِكُهُ بِالعَقْلِ والحِسِّ
وأَشْهَدُ المَعْنَى الذِي ساقَهُ ... ولَسْتُ مِنْ ذَلِكَ فِي لَبْسِ

قال: إنما سُمّي الكلام؛ لما له من الأثر في النفس، من الكَلْم، الذي هو الجَرْحُ في الحسّ. وسمّي أيضا باللفظ؛ لأنّ اللفظ "الرمي"؛ فَرَمَتِ النفسُ ما كان عندها مغيّبا بالعبارةِ إلى أسماع السامعين،

(١) [الذاريات: ٥٠]
(٢) [الشعراء: ٢١]
(٣) [آل عمران: ١٧٥]، "وخافوني" هنا وفقا لقراءة أبي عمرو بن العلاء
(٤) [الذاريات: ٥٦]
(٥) ص ١٢٠

من غير أن يتعلّق به من المتكلّم بذلك غَيرةٌ. فإن غار عليه؛ لم يجهر به وهَمَسَه؛ فلا[1] يسمعه إلّا مَن قصده بالإسماع خاصّة. وإنما وقف الغَيرة على الشيء؛ لمّا علِم من بعض السامعين، أو مَن كان، عدم احترام ما وقعتْ من أجله الغَيرة. فلو عمّ الاحترام من كلِّ شخص في كلّ موجودٍ موجودٍ؛ لكان الأمرُ جهرا كلّه. وأيضا رحمة بالخلق؛ لأنّهم إذا أخفي عنهم؛ لم يلزمهم احترام ما لم يسمعوا؛ فلم يعاقَبوا.

* * *

ومِن ذلك: الوجود.. في السجود

إذا وَافَتْ حَقائِقُنا اتَّحَدْنا وفُزْنا بِالعِنـايَـةِ بِالوُجُودِ

وحُزْنا كُلَّ مَكْرُمَةٍ تَبَدَّتْ إلَيْنا مِنْهُ فِي حالِ السُّجُودِ

قال: إنما تَطلب الوجوهُ بالسجود رؤيةَ ربّها؛ لأنّ الوجوهَ مكانُ الأعين، والأعين محلُّ الأبصار. فطلبه في سجوده؛ ليراه من حيث حقيقته؛ فإنّ التحت للعبد؛ لأنّه السفل. فربما تخيّل العبدُ تنزيهَ الحقّ عن التحت أن يكون له نسبة إليه؛ فشرع له السجود، وجعل له فيه القربة. ثمّ[2] نبّهه الشرع على ذلك بحديث الهبوط، وهو أنّا روينا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لو دلّيتم بحبل لهبط على الله» وهي إشارة بديعة في الاعتصام بحبل الله أنّه يوصلنا إلى الله، ولهذا قال ابن عطاء[3] لمّا غاص رِجْلُ الجمل في الأرض: جلَّ الله. فقال الجمل: جلَّ الله. لأنّ رِجل الجمل سجد بالغوص في الأرض يطلب ربَّه، فإنّ كلّ أحد إنما يطلب ربّه من حقيقته، ومن حيث هو.

ونِسبة التحت والفوق إليه -سبحانه- على السواء، لا تحدُّه الجهات، ولا تحصره. يقول تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ وهم أُمّة موسى ﴿وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ وهم أُمّة عيسى ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ وهم أهل القرآن، وجميع كلّ مَن أنزلت عليه صحيفة ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ يريد استواءه على العرش

(١) ص ١٢٠ب
(٢) ص ١٢١
(٣) سبق تعريفه في السفر ٢٧

والسماء، بل كلّ ما علاه ﴿وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِم﴾[1] وهو الذي طلبه رِجْلُ الجمل بِغَوصه. وبقوله ﷺ: «لو دلّيتم بحبل لهبط على الله» مع أنّه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[2] فالنِّسب إليه على السَّواء، وما كان عند ابن عطاء خبرٌ بذلك. فكان الجملُ أستاذَ ابن عطاء في هذه المسألة.

فللّه الفوقُ والتحتُ، كما له الأمر من قبل ومن[3] بَعْدُ. فله نِسب مسافات الأمكنة، كما أنّ له نِسب مسافات الأزمنة. وما ثَمّ أسرع حركة من البصر في الحواسّ؛ زمانُ لَمْحِ البصرِ زمانُ تعلُّقِه بالكواكب الثابتة فما فوقها. وبينهما من البُعد في المسافة[4] ما لا يُقطع في آلاف من السنين المعلومة عندنا بحركة الأرجل.

* * *

ومِن ذلك: الجزاء يشهد بالعدل وترك الفضل

إذا أَنْتَ ساوَيْتَ العَدالَةَ بِالجورِ وفَضَّلْتَ أَمْرَ الفَضْلِ فِيْنا عَلَى العَدْلِ
تَيَقَّنْتَ أَنّ الأَمْرَ بِالحَقّ قائِمٌ وأَنّ لِسانَ الحَقّ فِي قُبَّةِ الفَضْلِ

قال: لا يدخل الفضل في الجزاء، وبهذا كان فضلا. فعطاءُ الله كلُّه فضل؛ لأنّ التوفيق منه فضل، والعمل له، وهو العامل. فالحاصل عن العمل بالموازنة، وإن كان جزاء، فهو فضل بالأصالة. فالجزاء موازنة العمل؛ فهو للعمل، لا للعامل، ولا للعامل به. فإنّ العامل هو الحقّ، وما يعود عليه مما أعطاه ما وُجِد له ذلك العطاء، والعمل لا يقبل بذاته[5] ذلك العطاء لنفسه، ولا بدّ له من قابل. وأعطاه العمل لمن ظهر به، وهو العبد الذي كان محلّا لظهور هذا العمل الإلهيّ فيه، فهو أيضا محلٌّ للعطاء الإلهيّ؛ لأنّه يلتذّ به، أو يألم إن كان عقوبة. فقد علمتَ الجزاء، والمجازِي، والمجازَى، والسلام.

---

(١) [المائدة: ٦٦]
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) ص ١٢١ب
(٤) ق، هـ: المساحة
(٥) ص ١٢٢

وِمن ذلك: كرم الأصول.. يدلّ على عدم الفضول

كَرَمُ الأَصْلِ دَلِيْلٌ واضِحٌ   فِي بَقاءِ الكَوْنِ مِنْ مُوْجِدِهِ
فـإذا عَيَّنَـهُ مُوجِـدُهُ   كانَ بِالتَّعْيِينِ مِنْ مَشْـهَدِهِ

قال: العاقلُ العالِمُ مَن لا شغل له إلّا بما يعنيه، وما ثَمّ إلّا ما يعني إذا أُضيف العمل إلى الله. فإذا أضيف إلى المخلوق؛ فلا يخلو إمّا أن يُعتبر فيه التكليف المشروع، أو لا يُعتبر. فإن لم يُعتبر؛ فما اشتغل أحد إلّا بما يعنيه، أي بما له به عناية؛ لأنّه اشتغل بما له فيه غرض من تحصيل أو دفع. وإذا اعتبرتَ التكليف، وخرج الاشتغال من المكلَّف عمّا رَسم له الوقت وطلبه منه؛ فقد اشتغل بما لا يعنيه، أي[1] بما ليس له به عناية شرعيّة. ولذلك ورد: «مِن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» والإسلام حكم شرعيٌّ. ولم يقل: "من حسن فعل المرء تركه ما لا يعنيه" فإنّه ما ترك إلّا ما يعنيه تَرْكُه، ولا فعل إلّا ما يعنيه فِعْله.

* * *

وِمن ذلك: لا يُرتضى.. إلّا أهل الرضا

إنّ الرَّضِيَّ الذِي يَرْضَى بِنَقْلَتِهِ   فِي كُلِّ حالٍ إِلَى ما فِيْهِ مَرْضَاتُهْ
فـإِنْ تَعَـدَّى وَلَمْ يَثْبُـتْ بِمَنْزِلِهِ   فَذاكَ مَنْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ أَقْوَاتُهْ

قال: الرضا ممن كان؛ لا يكون إلّا بالقليل، لمن يعلم أنّ ثمّ ما هو أكثر من الحاصل في الوقت. ولا بدّ من الرضا من الطرفين؛ لأنّ الباقي لا يتناهى؛ فلا سبيل إلى نَيْلِه، ولا إلى دخوله في الوجود. فلو حصلتَ ما عسى أن تحصل؛ لا بدّ من الرضا. فـ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾[2] بما أعطوه من بذل المجهود وغير بذل المجهود، ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ بما أعطاهم مما يقتضي الوجود[3] أكثر من ذلك.

لكنّ العلم والحكمة غالبة، ولذلك ﴿يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ[4] بَصِيرٞ﴾[5]. وإن

(١) ص ١٢٢ب
(٢) [المائدة: ١١٩]
(٣) كتب فوقها: "صح"، أثبت فوقها بقلم آخر: "الجود" مع إشارة التصويب، وحرف خ، وهي كذلك في س
(٤) ص ١٢٣
(٥) [الشورى: ٢٧]

ارتفع التكليف في الآخرة؛ فما ارتفع ما ينبغي، فما انبغى إلّا ما حصل. فالناس في الآخرة مع ربّهم في عبادةٍ ذاتيّة، وهم في الدنيا في عبادةٍ مشروعة؛ إلَّا مَن اختصّه الله من عباده؛ فأعطاه في الدنيا حال الآخرة، كرابعة العدويّة.

* * *

ومِن ذلك: مَن جَهِل المحدَث.. جَهِل المحدِث

جَهْلُنا باللهِ ما قامَ بِنَا دُونَ أَنْ نَعْرِفَ ما نَحْمِلُهُ
فإذا عَرَّفَنا الحَقُّ بِهِ عِنْـدَهُ نَعْرِفُ مـا نَجْهَلُهُ

قال: قال ﷺ: «مَن عَرَف نفسَه عَرَف ربَّه» فمن عجز عن معرفة نفسه؛ عجز عن معرفة ربّه. وقد تكون المعرفةُ بالشيء العجز عن المعرفة به؛ فيَعرف العارفُ؛ أنّ هذا المطلوب لا يُعْرَف. والغرض من المعرفة بالشيء أن يُمَيَّز من غيره؛ فقد مُيِّز، وتميَّز مَن لا يُعرف بكونه لا يُعرف ممن يُعرف؛ فحصل المقصود.

وما بقي الشأن إلّا في الأمرين، إذا كان العجز[1] (هو) عن معرفتها (معًا)؛ فبأيّ شيء يتميّز كلٌّ واحد من الآخر: عجزُنا عن معرفة نفوسنا، وعجزُنا عن معرفة ربّنا؛ فما الفارق بين العجزين؟ أو هل نفسُك عينُ ربّك كما ورد في الخبر: «كنتُ سمعَه وبصرَه» وذكر جميع قواه؟ فقد وقع الالتباس، وما لك فارق إلّا الافتقار: فيقوم معك ما طلبه منك، والافتقار جعلك أن تطلب منه. فلم يبق إلّا التعريف الإلهيّ بالفارق إن كان من الممكنات.

* * *

ومِن ذلك: المكْرُ.. نُكْر

إنّ الإلهَ لَخَيْرُ المـاكِرِيْنَ بِنَـا ثُمَّ اعْتِقادِي بِأَنَّ المكْرَ كانَ لَنَا
فَلَوْ شَعَرْتُ بِهِ ما كانَ يَمْكُرُ بِي فَمِنْ جَهَـالَتِنَـا أَتَى عَلَيْنـا بِنَـا

(١) ص ١٢٣ب

قال: رائحة المكر في قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾[1] وما أنكر إلّا ما شرع له الإنكار فيه، ولكن غاب عن تزكية اللهِ هذا الذي جاء بما أنكره عليه صاحِبُه. فهو في الظاهر طعنٌ في المزكَّى؛ إلى أن يتذكّر الناسي، وينتبه الغافل، ويتعلّم الجاهل. تمشي أمور، وتذهب علوم، وتفوت أسرار. وأيُّ مكر أشدُّ من النكر، وما[2] ثمّ فاعل إلّا الله؛ فعلى من تُنْكِر؟ فلو أنكرت بالله -كما تزعم- ما اعتذرتَ، ولا استغفرتَ، ولا طلبتَ الإقالة. فإنّه مَن تكلّم بالله؛ لم يُخْطِ[3] طريق الصواب؛ بل هو ممن أُوتي الحكمة وفصل الخطاب.

* * *

ومِن ذلك: التَّرائي.. في المَرائي[4]

إنّ المِراةَ تُرِيْنـا مـا يَقُومُ بِنَـا ... مِنَ التَّغَيُّرِ فِيْمَا تَحْمِلُ الصُّوَرُ
لَقَدْ تَحَيَّرْتُ فِيْمَا قَدْ خُلِقْتُ لَهُ ... ومَا لَنَا مَنْزِلٌ لَكِنْ لَنَا سُــوَرُ

قال: تحفّظ[5] في رؤية صور التجلّي في صوَر الموجودات، فإنّ الله ما ضرب لك المثل في الدنيا -بتجلّي الصور في المرآة من الناظر، وبتجلّي ما في المِرآة في مرآة غيرها، قلّت أو كثرت- سُدًى. فاعرف إذا رأيت صورةً في مِرآة؛ هل هي صورةٌ من مرآة أخرى، أم هي صورةٌ لا من مرآة؟ ثمّ انظر في المرائي، واعتدالها، والأقوم منها، وانظر إلى مرآة وجودك؛ فإن كانت أعدل المرائي، ولا تكن، فإنّ الأنبياء -عليهم السلام- أعدلُ مَرَاءٍ منك. ثمّ لتعلم أنّ الأنبياء قد فضُل بَعْضُهُم بعضا[6]، فلا بدّ أن تكون مرائيهم متفاضلة، وأفضلُ المرائي، وأعدلُها، وأقومها، مرآة محمد ﷺ فتجلّي الحقّ فيها أكملُ من كلّ تجلٍّ يكون.

---

(١) [الكهف: ٧٤]
(٢) ص ١٢٤
(٣) ق: يخطي
(٤) رسمها في ق: المَرَاءِ
(٥) الحروف المعجمة مهملة، ولذلك يمكن أن تكون: يحفظ
(٦) ص ١٢٤ب

فاجهد أن تنظر إلى الحقّ المتجلّي في مرآة محمد ﷺ لينطبع في مرآتك؛ فترى الحقّ في صورة محمديّة، برؤية محمديّة. ولا تراه في صورتك؛ كما قال الرجل للذي قال: رأيت الله فأغناني عن رؤية أبي يزيد[1]. فقال له الرجل: لأن ترى أبا يزيد مرّةً خيرٌ لك من أن ترى اللهَ ألف مرّة. فلمّا رآه ذلك المستغني مات. فقيل لأبي يزيد خَبَرُه، فقال أبو يزيد: كان الحقّ يتجلّى له على قدره، فلمّا رآنا؛ تجلّى الحقُّ له على قدرنا؛ فلم يطِق، فمات مِن حينِه. والحكاية مشهورة وذلك عينُ ما أشرنا إليه.

* * *

ومِن ذلك: الزَّهْرَة.. لأهل النظرة[2]

ما زَهْرَةُ الأَرْضِ سِوَى فِتْنَةٍ　　تَعُمُّ أَهْلَ الأَرْضِ أَحْكامُهَا
وإِنَّ مَنْ يُـدْرِكُهَـا فِتْنَـةً　　فَـذَلِكَ المُـدْرِكُ، عَلَّامُهَـا

قال: ما تنعّمت الأبصار في أحسن من زهر الروض ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا[3] عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾[4]. وأحسنُ زينةٍ عليها رجالُ الله؛ فاجعلهم متنزَّهك حتى تكون منهم. فما دمتَ أرضا؛ فأنت محلّ زينة أزهار النُّوّار[5]. وهي دلالات على الثمر، الذي هو المقصود من ذلك؛ لأنّ به تسري الحياة؛ فهو القوت الحسّي الحيواني.

فإن كنت سماءً، مع بقاء أرضيّتك عليك في مقامها، وذلك هو الكمال؛ فإنّ مِن رجال الله مَن يفنى عنها لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[6]. فالعارفُ انتقل مِن ظهرها إلى بطنِها؛ فما فني عنها؛ بل تحقّق بها، كذلك فلتكن. فإذا كنت سماءً؛ فأنت محلُّ زينة زهر الأنوار؛ أنوار الكواكب، وهي

---

(١) أبو يزيد البسطامي.
(٢) ق: "النضرة" والترجيح من هـ، س
(٣) ص ١٢٥
(٤) [الكهف: ٧]
(٥) تنوير الشجرة: إزهارها، النوار: نَوْر الشجر
(٦) [الرحمن: ٢٦]

تدلّ على الحياة المعنويّة العِلميّة.

⋆ ⋆ ⋆

ومِن ذلك: قد تكون الفتنة.. جُنّة

يَسْـتَتِرُ المَحْفُوظُ فِي فِتْنَتِهْ سُـتْرَةَ مَنْ يُحْفَظُ مِنْ جُنَّتِهْ
فَيَتَّقِيْ مِنْها سِـــهامَ العِدَا كَـذَلِكَ العـارِفُ فِي جَنَّتِـهْ

قال: لا شكّ أنّ الفتنةَ جُنّة؛ فإنّها سترٌ في وقتها عن الأمر الذي تؤول إليه ذاتُك. فإنّك منظور إليك من جانب الحقّ[1] بعين الحقّ في حال الفتنة ما يكون منك، ولا تُمْتَحن وتُخْتَبر؛ حتى تُمَكَّن من نفسك، وتجعل قواك لك، وتسدل[2] الحجاب بينك وبين ما هي الأمور عليه؛ حتى ترى[3] ما يستخرج[4] منك هذه الفتنة.

فإذا أراد الرجلُ التخلّص من هذه الورطة؛ فلينظر إلى الأصل الذي كان عليه قبل الفتنة، وقد أحالك اللهُ عليه إن تفطّنتَ بقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾[5] فانظر إلى حالك مع الله، إذ لم تكن شيئا وجوديّا، ما كنتَ عليه مع الحقّ؟ فلتكن مع الله في شيئيّةِ وجودِك؛ على ذلك الحكم، لا تَزِد على ذلك شيئا إلّا ما اقتضاه الخطاب؛ فقف عنده.

⋆ ⋆ ⋆

ومِن ذلك: مَن خان الخيانة.. خان الأمانة

يا أَيُّها المَحْجُوبُ فِي عِزَّتِهْ لا تَنْظُرِ الخائِنَ مِن بِزَّتِهْ
فإِنَّ مَكْرَ السِّرِّ فِي خَلْقِها خِيـانَةٌ مِنْـهُ عَلَى عِزَّتِـهْ

(١) ص ١٢٥ب
(٢) الحرف الأول مهمل
(٣) الحروف المعجمة مهملة
(٤) الحرف الأول مهمل
(٥)(٥) [مريم: ٦٧]

قال: هذه نكتةٌ أَغفلَها أهلُ الله، أهلُ النقد والتمييز؛ فكيف[1] مَن ليس له هذا المقام من أهل الله؟ وهو أنّك لا تخون الخيانة إلّا بأداء الأمانة؛ فأنت خائن من حيث تظنّ أنّك لست بخائن؛ في أدائك الأمانة إلى أهلها. فإنّ الخيانة تطلب حكمَها، وحكمُها نافذ في كلّ أحد.

فإنّ الإنسانَ حاملُ أمانة بلا شكّ، بنصّ القرآن، فإن أدّاها؛ فقد خان الخيانة، وإن لم يؤدّها؛ فقد خان الأمانة. والخيانةُ أمانة؛ فأدِّها إلى أهلها، وتجرَّدْ عنها إن كان لها أهل وجوديّ. فإن لم يكن لها أهل؛ فما هي أمانة.

واعلم أنّ التخلّص من هذا الأمر لا يكون؛ إلّا حتى يكون مشهودك أنّك الحقّ، إذا كان الحقُّ سمعَك وقُواك؛ فما ثَمّ أمانةٌ تؤدَّى؛ لأنّك أنت الكلّ؛ فما ثَمّ خيانةٌ؛ فما خُنْتَ، ولا أدّيت.

* * *

ومِن ذلك: الحنَف.. جَنَف[2]

مَن مالَ عَنْ حَقِّهِ فَالفَضْلُ شِيْمَتُهُ ... ومَنْ يَمِيْلُ إِلَيْنا نَحْنُ قِيْمَتُهُ

فـانْظُرْ إِلَيْـهِ إذا مَـالَ الرِّكَابُ بِـهِ ... تَلْقاهُ حَيّا عَلَى خَوْفٍ كَرِيْمَتهُ

قال: تختلف الأحكامُ باختلاف الألفاظ التي وقع عليها التواطي بين المخاطَبين، وإن كان المعنى واحدا؛ فالمصـرَف ليس بواحد. فالجَورُ الميلُ، والعدلُ ميلٌ. فالميلُ إلى الباطل جَوْرٌ، والميلُ إلى الحقّ عدلٌ، وكلاهما مَيْلٌ. وكذلك الدين الحنيفيّ مَيْلٌ إلى الحقّ، والجَنَف مَيْل إلى عدم الحقّ. فمن حيث أنهما مَيْل؛ هما سَواء، وما فرَّق بينهما إلّا الطريق؛ ولذلك ذكر الله نجدين. ولمّا كان كلُّ واحد منهما مَيْلا، ورأى أنّ الجَور مَيْل إلى الشيطان، وكذلك القسط، والزيغ، والجَنف، وكلّ مَيْل إلى الشيطان، وعلِم أنّ الباطلَ هو العدمُ، وهو يقابل الوجود؛ فما للحقّ منازِع إلّا الباطل؛ مَنعت الغَيرة تقريرَ ذلك، فحكمتْ، وقالت في الكلّ: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ

(١) ص ١٢٦
(٢) الجنف: الميل والجور

كُلُّهُۥ﴾[1] فنَسَبَ المَيْلَ إلى الباطلِ إليه، وأخذه من الباطل؛ فصار حقّا.

* * *

ومِن ذلك: في غروب الشمس.. موتُ النفْس

غُرُوْبُ الشَّمْسِ مَوْتُ النَّفْسِ فَانْظُرْ   إِلَى نُوْرٍ قَدُ ادْرِجَ فِي التُّرَابِ
وَذاكَ الـرُّوْحُ رُوْحُ اللهُ فِـيْـنـا   وعِنْدَ النَّفْخِ يَأْخُذُ فِي الإِيابِ
إِلَى[2] الأَجَـلِ الذِي مِنْـهُ تَعَـدَّى   فَيُسْرِعُ بالإِيابِ إِلَى الذّهابِ

قال: النفسُ كالشمس؛ شَرَقَتْ من الروح المضاف إلى الله بالنفخ، وغَرَبَتْ في هذه النشأة، فأظلم الجوّ؛ فقيل: جاء الليل، وأدبر النهار. فالنفْسُ موتُها (هو) كونُها في هذه النشأة، وحياةُ هذه النشأة بوجودها فيها، ولا بدّ لهذه الشمس أن تطلع من مغربها، فذلك يوم ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾[3] لأنّ زمان التكليف ذهبَ وانقضى في حقّها. فطلوع الشمس من مغربها؛ هو حياة النفس[4]، وموت هذه النشأة. ولهذا ينقطع عمل الإنسان بالموت؛ لأنّ الخطاب ما وقع إلّا على الجملة. ففي موتِها حياتُها، وفي حياتِها موتُها؛ فتداخلَ أمرُها لأنّها على صورة موجِدها.

أين الكبيرُ من المتكبّر؟ وأين العليُّ من المتعالي؟ وهو هو. فإن حكمتْ عليه المواطن؛ فهو محكوم عليه، وفيه ما فيه.

(١) [هود: ١٢٣]
(٢) ص ١٢٧
(٣) [الأنعام: ١٥٨]
(٤) رسمها في ق يقترب من: للنفس

ومِن ذلك: زينة الدنيا.. رؤيا

إنّما[١] النـاسُ نِيَـامٌ فِي الدُّنَا　　　فـإذا مَـاتُوا يَقُومُونَ بِنَـا[٢]

والذِي تَشْـــهَـدُهُ أَعْيُنُنَـا　　　هُوَ رُؤْيَا ظَهَرَتْ فِي نَوْمِنَا

قال: الإنسان في الدنيا في رؤيا، ولذلك أُمِر بالاعتبار؛ فإنّ الرؤيا قد تعبر في المنام، و«الناس نيام، وإذا ماتوا انتبهوا» فإذا كان، بلسان الصادقِ، الحِسُّ خيالا والمحسوس متخيَّلا؛ فبماذا تقع الثقة، وأنت القائل، والقاطع العاقل العالِم؛ بأنّك في حال اليقظة صاحبُ حِسٍّ ومحسوس، وإذا نِمْتَ صاحبُ خيالٍ وتخيُّل، والذي أخذتَ عنه طريقَ سعادتك جعَلَك نائمًا في الحال الذي تعتقد أنّك فيه صاحبُ يقظة وانتباه. وإذا كنت في رؤيا في يقظتِك في الدنيا؛ فكلُّ ما أنت فيه هو أمرٌ متخيَّل، مطلوب لغيره، ما هو في نفسه على ما تراه. فاليَقَظَةُ والحِسُّ الصحيح الذي لا خيال فيه (إنما هو) في النشأة الآخرة. ولا تقل، إذا تحقّقتَ هذا، إنّ خوارق العادات خيالات في أعين الناظرين، اعلم أنّ الأمر في نفسه كما[٣] تراه العين؛ فإنّه لا باطن لما تشهده العين؛ بل هو هو، فافهم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾[٤].

* * *

ومِن ذلك: ليس على الأعرج.. من حرج

إذا شِـئْتَ تَعْرِفَ أَسْرَارَ مَنْ　　　بَقِيْ والَّذِي قَبْلَهُ قَـدْ دَرَجْ

عَلَيْـكَ بِمَـا جاءَ فِي وَحْيِـهِ　　　فَلَيْسَ عَلَى أَعْرَجٍ مِنْ حَرَجْ

ولَيْسَ المُرَادُ سِـــوَى آفَـةٍ　　　تَقُومُ بِـهِ مـا يُرِيْـدُ العَرَجْ

قال: المؤوف[٥] لا حرج عليه، والعالم كلّه مؤوف؛ فلا حرج عليه لمن فتح الله عين بصيرته. ولهذا قلنا: مآلُ العالم إلى الرحمة؛ وإن سكنوا النار، وكانوا من أهلها ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا

---

(١) ص ١٢٧ب
(٢) أثبت فوقها بقلم الأصل: هنا
(٣) ص ١٢٨
(٤) [النحل: ٩]
(٥) المؤوف: من به آفة

عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٌ﴾(١) وما ثَمّ إلّا هؤلاء، فما ثَمّ إلّا مؤوف. فقد رفع الله الحرج بالحرج العاثِرِ فيه؛ فإنّه ما ثَمّ سِواه، ولا أنت. والمريضُ (هو) المائلُ إليه؛ لأنّه ما ثَمّ وجودٌ يُمال إليه إلّا هو. والأعمى(٢) (هو الأعمى) عن غيره، لا عنه؛ لأنّه لا يتمكّن العمى عنه، وما ثَمّ إلّا هو. وقد ارتفع الحرج عمّن هذه صفته، وما ارتفع الحرج إلّا بما هم فيه من الحرج؛ لأنّ كلَّ واحد ممن سمّيناه متضرِّر بحاله يطلب الانفكاك عنه؛ فهو طالب محال من وجهٍ. فالعالَم كلّه أعمَى، أعرجٌ، مريضٌ.

* * *

ومِن ذلك: المِثل.. في الظلّ

المِثْلُ فِي الظِّلِّ والأَنْوارُ تُظْهِرُهُ   بِمَـا تُـقَـابِلُهُ بِـهِ تُـنَـوِّرُهُ
تَعُمُّـهُ فـإذا أَتَتْـهُ عَنْ جُنُـبٍ   تَنْفِيْهِ وَقْتًا وفِي وَقْتٍ تُصَوِّرُهُ

قال: ظِلُّ الأشخاص أَشكالُها؛ فهي أمثالها، وهي ساجدةٌ بسجود أشخاصها. ولولا النورُ الذي هو بإزاء الأشخاص؛ ما ظهرت الظلال. فما يظهر ظِلٌّ عن شخصٍ بنور؛ حتى يكون النور محصورا في جهةٍ من الشخص، ويكون الشخص في جهةٍ منه مفروضة؛ فيظهر الظلُّ. وإنما أظهر اللهُ الظِّلالَ عن أشخاصها بالأنوار المحصورة ضَرْبَ مِثال لأنوار(٣) العقائد المحصورة.

فإلَهُ كلّ معتقِد محصورٌ في دليله؛ فأراد الحقُّ منك أن تكون معه، كظلِّك معك من عدم الاعتراض عليه، فيما يُجريه عليك، والتسليم والتفويض إليه فيما يتصرّف فيك به، وينبّهك، أيضا بذلك، أنّ حركتَك عينُ تحريكه، وأنّ سكونَكَ كذلك. ما الظلُّ يحرّكُ الشخصَ، كذلك فلتكن مع الله؛ فإنّ الأمر كما شاهدتَه؛ فهو المؤثِّر فيك. هذا عينُ الدليل لمن كشف الأمرَ، وعَلِمَهُ ذوقا.

(١) [النور: ٦١]
(٢) ص ١٢٨ب
(٣) ص ١٢٩

ومِن ذلك: مَن ألحق الشيء بطَوْرِه.. فقد قدره حقَّ قدرِه

إنَّ الحَكِيْمَ الَّذِي الأَكْوانُ تَخْدُمُهُ	لأَنَّهُ نَزَّلَ الأَشْـيَا مَنازِلَها
يَبْدُو إِلَى كُلِّ ذِيْ عَيْنٍ بِصُوْرَتِهِ	وَلا يَقُوْلُ بِأَنَّ الحَقَّ نَازَلَها

قال: لا تخرجِ شيئا عن حقيقته؛ فإنّه لا يخرج. وإن أردتَ هذا؛ اتّصفتَ بالجهل، وعدم المعرفة.

وقال: كلُّ مَن أنزلتَه منزلتَه؛ فقد قَدَرته حقَّ قدرِه، وما بعد ذلك مرمى لرامٍ.

وقال: إن كان للشيء جنسٌ؛ فاحكم عليه بحكم جنسه. وإن[1] كان نوعا؛ فاحكم عليه بما فيه من حكم جنسه، وبما فيه مما انفصل عنه بنوعيّته؛ فهو ذو حكمين. وإن كان شخصا؛ فاحكم عليه بما فيه من حكم جنسه، وبما فيه من حكم نوعه، واحكم عليه بحقيقة شخصيّته؛ فهو ذو أحكام ثلاثة. فكلّما قرب الأمر من الأحديّة؛ كثرت الأحكام عليه. الحقُّ واحدٌ، وأسماؤه لا تُحْصَى كثرة؛ فلو كان كثيرا؛ لانقسمت الأسماء الذاتيّة بينهم، الجنس كثيرٌ، حكمه واحد.

ومن ذلك: الشرك الخفيّ.. والجليّ

إنَّ[2] الشَّرِيــكَ لَمَوْجُودٌ إذا نَظَرَا	مَنْ قَلَّدَ العَقْلَ فِي التَّعْيِيْنِ والخَبَرا
أَتَى بِـهِ حـاكِمٌ فِي كُلِّ نازِلَةٍ	مِنَ النَّوازِلِ، قَـلَّ الأَمْرُ أَوْ كَثُرَا

* * *

الشِّرْكُ مِنْهُ جَلِيٌّ لا خَفَاءَ بِهِ	والشِّرْكُ مِنْهُ خَفِيٌّ أَنْتَ تَعْلَمُهُ
يَخْفَى فَيُظْهِرُهُ مَنْ كانَ يَحْكُمُهُ	يَبْدُو فَيَسْـتُرُهُ مَنْ كانَ يَكتمُهُ

قال: الشركُ الجليُّ عملُ الصانع بالآلة، والشركُ الخفيُّ الاعتمادُ على الآلة، فيما لا يُعمل إلّا

---

(١) ص ١٢٩ب
(٢) هذا النص مضاف بقلم الأصل بعد كتابة الصفحة، وكتب بجانب العنوان وعلى يسار نص الصفحة

بالآلة. فما ثَمّ إلّا مشرك؛ فإنّه ما ثَمّ إلّا عالِم. وكلُّ شرك يقتضيه العلم، ويطلبه الحقّ؛ فهو حقّ؛ فليس المقصود إلّا العلم. فـ﴿مَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم[1] بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[2] فكثَّر العلماء بالله، وأبقى طائفةً من المؤمنين؛ هم في الشرك، ولا يعلمون أنّهم فيه. فلذلك لم ينسبهم إلى الشرك؛ لعدم علمهم بما هم فيه من الشرك وهم لا يشعرون. وهذا من المكر الإلهيّ الخفيّ في العالَم، وهو قوله: ﴿وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[3].

وقال: ليس المراد بالشرك هنا أن تجعل مع الله إلها آخر؛ ذلك هو الجهل المحض؛ فإنّه ما ثَمّ إله آخر؛ بل هو إله واحد عند المشرِك، وغير المشرك.

* * *

ومِن ذلك: الصرفُ عن الآيات.. أعظمُ الآفات

العَجْزُ صَرْفٌ عَنِ الآياتِ فِي النَّظَرِ كالمُعْجِزاتِ التِي فِي الآيِ والسُّوَرِ
فانْظُرْ إِلَيْها عَسَـــى تَدْرِي حَقِيْقَتَهَا فإِنَّمَا النَّاسُ فِي الدُّنْيا عَلَى خَطَرِ

قال: كن من الذين صَرَفوا أنفسهم عن الآيات، لا تكن من الذين صُرِفوا عنها. فإنّ الذين صُرِفوا عنها؛ حُجِبوا بنفوسهم؛ فنَسَبُوا إليها ما ليس لها؛ فعَمُوا عن الآيات؛ فحلّت بهم الآفات؛ فحلّت بهم المَثُلات. والذي انصرف بنفسه عن الآيات؛ لِعلمه بأنّ الدليل يُضادّ المدلول[4]، وما هرب إلّا مِن الضدّ والمقابل. فالناظر في الدليل ما زال فيه؛ فهو هاربٌ مما هو فيه حاصِل.

فعوَّل أهلُ الكشف والوجود، ونظروا إلى المدلول؛ لا من كونه مدلولا، إلّا من كونه مشهودا. فنظروا إلى الأشياء، وهي تتكوّن عنه بأمره، لا بل[5] بذاته بأمره. فالأمر ما قَرَنه مع الوجود الذاتيّ؛ إلّا لمن لا شهود له كشفا، ولا سلِم له نظرُه من المزج؛ فجاء بالأمر، والأمرُ كلامُه، وكلامُه ذاتُه.

(١) ص ١٣٠
(٢) [يوسف: ١٠٦]
(٣) [النمل: ٥٠]
(٤) ص ١٣٠ب
(٥) مضافة في الهامش بقلم الأصل

ومِن ذلك: مَن تَوَقّى.. تَرَقّى

نُوْنُ الوِقايَةِ تَحْمِي فِعْلَها أَبَدًا مِنَ التَّغَيُّرِ والآفاتِ والضَّرَرِ
فَلا تُغَيِّرُهُ وَلا تُقَلْقِلُهُ عَنْ صُوْرَةٍ هُوَ فِيْها آخِرُ العُمُرِ

قال: لمّا كانت الوقايات تَحُول بين مَن تَوَقّى بها، وبين ما يُتَوَقَّى منه؛ أعطته الترقِّي والنزاهة عن التأثُّر، وعن حكم التأثير فيه؛ فترقَّى إلى صفة الغِنى عن العالمين، لا إلى غير ذلك. فإنّ الاشتراك قد وقع بيننا في التأثير في بعض المواطن في قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِي﴾[1] فإعطاؤه عن سؤال أثَر وتأثير[2]. وفي الغنى عن العالمين؛ لا يكون هذا. فإن ارتقى هذا الغنيّ المتوقّي، إلى الغنى عن الغنى؛ فلا يكون ذلك إلّا حتّى يكون الحقُّ عينَ ما يُنسب إليه من الصفات، ومِن صفاته الغِنى عن كذا. فهو غنيّ عن العالمين، لا غنيّ عن نفسه؛ فعلى هذا الحدّ يكون الترقّي.[3]

* * *

ومِن ذلك: عَظُمتْ فضائحُه.. مَن شهِدت عليه جوارِحُه

الشَّخْصُ مَقْصُورٌ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ عَنْهُ يُخْفِيْهِ
يُبْدِيْهِ وَقْتًا ثُمَّ يُخْفِيْهِ عَنْهُ وَهَذَا القَدْرُ يَكْفِيْهِ

قال: أخسرُ الأخسرين شاهدٌ يشهد على نفسه، كما أنّ أسعدَ السعداء مَن شهد لنفسه؛ فهو في الطرفين مقدَّمٌ في السعادة والشقاء، ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾[4] فهم الذين أَشقوا أنفسَهم بشهادتهم. وأمّا مَن شهِدت عليه جوارحه؛ فما تعظُم فضيحتُه من حيث شهادة جوارحه عليه؛ وإنما تعظم فضيحته من حيث جهلِه بالذبّ عن نفسه، في حال الشهادة؛ فإنّه ما سُمّي ذلك النطق شهادة إلّا تَجَوُّزًا، لأنّ الجوارحَ تشهد بالفعلِ[5] ما تَشهد بالحكم؛ فإنّها ما تفرّق

(١) [البقرة: ١٨٦]
(٢) ص ١٣١
(٣) في الهامش: "بلغ سماعا"
(٤) [الأنعام: ١٣٠]
(٥) ص ١٣١ب

بين الطاعة المشروعة، والمعصية. فإنّها مطيعة بالذات، لا عن أمر. فبقي الحكم لله -تعالى- فيأخذه ابتداء من غير نطق الجوارح، وهنا يتميّز العالِم مِن غيره.

* * *

ومِن ذلك: بلوغ الأُمْنِيّة.. في الرحمة الخفيّة

بُلُوْغُ مـا يَتَمَنَّى العَبْـدُ لَيْسَ لَهُ   وإِنَّمَا هُوَ للهِ الذِي خَلَقَهْ
ومَنْ يَكُونُ بِهَذَا الوَصْفِ فَهْوَ فَتًى   يَزِيْدُ قَدْرًا عَلَى أَمْثالِهِ طَبَقَهْ

قال: أَلَذُّ ما يجده الإنسان؛ ما لا يشارَكُ فيه. ولذلك نَسب مَن نَسب من الحكماء الابتهاجَ بالكمال لله؛ لعدم المشارِك له في ذلك الكمال. فلا لذّة أعظمُ من عدم المشاركة في الأمر، والانفراد به، حتى يكون ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ﴾[1]؛ وهذه هي الرحمة الخفيّة. وإنما سُمّيت خفيّة لعدم المشاركة؛ فإنّه ما يعرفها إلّا صاحبها، والذي ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾[2]. وعِلْمُ الله بها معك لا يمنعها من الخفاء؛ لأنّ الخفاءَ إنما هو عن الأكوان، لا عن الله؛ فـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا[3] فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[4]. الشيء لا يخفى عنه عينُه، وهذا هو العجب: أنّ الإنسان لا يعرف نفسَه. كيف لا يعرف العارف نفسَه، وقد عرفَ أنّها لا تُعرف؟!.

* * *

ومِن ذلك: العالِم الذي يَخشى.. هو الليل إذا يَغشى

صِفَةُ الخَشْيَةِ نَعْتُ العُلَمَا   وَهُمُ عِـنْـدَ الإِلَهِ الحُـكَمَـا
والذِي يَجْهَلُ ما جِئْتُ بِهِ   فِي الَّذِي قَدْ قُلْتُهُ فِي العُلَمَا
لَمْ يَزَلْ إِمَّعَـةً لَا يَهْتَـدِي   مَعَ هَـذَا مَعَ هَـذَا فِي عَمَى

(١) [الشورى: ١١]
(٢) [طه: ٧]
(٣) ص ١٣٢
(٤) [آل عمران: ٥]

قال: الغشيانُ نكاحٌ، وهو ستر؛ فهو سِرٌّ ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾[1] غطّاها بذاته، وسَتَرَتْهُ بنفسها[2]؛ فكان لها لباسا، وكانت له لباسا ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[3] فالعالِم مَن انسحبَ عِلْمه على كلّ شيء؛ فغَشّاه؛ فلم يخرج عن علمه شيء من الأُمّهات؛ فلَبِسه كلُّ شيء؛ فهو ثوب كلّ شيء. متى يكون ذلك؟ إذا كان قلبُه بيتَ الحقّ. فإذا لَبِسه الحقُّ بِكَوْنِه في[4] قلبه، ولَبِسه العبد بكونه جميع قواه، والحقُّ هو الجامع، وعِلْمه ليس غيرِ الحقّ؛ فقد علِم كلَّ شيء، وإذا علِمه فقد غشِيَه، وإذا غشِيَه فقد لبسه، وإذا لبسه انفعل عنه ما ينفعل، ويصير ذلك المنفعِلُ أَهْلًا له أيضا يغشاه.

* * *

ومِن ذلك: الردّةُ عن الدين.. شيمة الملحِدين

صاحِبُ الرِّدَّةِ لَا تَحْسِبُهُ ... عـالِمًـا بِالأَمْرِ فِيْمَـا قَـدْ عَلِمْ
بَلْ هُوَ الجَاهِلُ حَقًّا ولِذَا ... كُلُّ ما يَسْـــمَعُ مِنْ قَوْلٍ حَكَمْ
أَنَّهُ يَصْـــدُقُ فِيْمَا قالَهُ ... والَّذِي يَعْقِـلُ[5] هَـذَا لا جَرَمْ

قال: الدِّيْنُ الجزاءُ؛ فلا يميل عن الجزاء إلى العمل على العبودة، وتكون عبادته لذات الحقّ كما هي عبادته في الآخرة؛ كان عند الناس ملحِدا، وعند ربّه موحِّدا؛ فإنّه سلِم من البواعث المعلولة في عبادة ربّه؛ فهذا هو الإلحاد المحمود، وما سُمّي إلحادا؛ إلّا لما فيه من المَيْل عَن العَمل عَلَى الآمِر. إلّا[6] أنّه لا بدّ أن يكون مَن هذه حالته في عبادته؛ أن يشهد ويسمع أمرَ الحقّ بتكوين الأعمال فيه، التي شُرِعَتْ له أن يعملها؛ فيراها تتكوّن فيه عن أمر الله، على الموافقة لما شرع اللهُ من الأمر والنهي، ويسمع أمرَ الحقّ بالتكوّن. فإن لم تكن هذه صفته؛ فما هو ذلك الرجل الذي بوَّبنا عليه: أنّ الردّة عن الدِّين شيمة الملحدين. فبهذا يعرف نفسَه صاحبُ هذا المقام؛ فلا يأخذه

(١) [الأعراف: ١٨٩]
(٢) أثبت بقلم آخر فوقها: "في نفسها" ومعها حرف خ
(٣) [البقرة: ١٨٧]
(٤) ص ١٣٢ب
(٥) الحروف المعجمة مهملة في ق. وفي س: يفعل. والترجيح من هـ
(٦) ص ١٣٣

بالقوّة.

* * *

ومِن ذلك: اقتحمَ العقبة.. مَن أفرَدَ نفسَه بالمرتبة

لا تَقْتَحِمْ شِدَّةً فالأَمْرُ أَيْسَرُ مِنْ ظَنٍّ تَظُنُّ فَإِنَّ الحَقَّ يَسَّرَهُ
إنَّ الوُجُودَ مَعَ الإنسانِ خَيَّرَهُ وبَعْدَ تَخْيِيْرِهِ فِي الأَمْرِ حَيَّرَهُ
أَماتَهُ اللهُ حَتْفًا ثُمَّ أَقْبَرَهُ وبَعْدَ هَذَا إذا ما شاءَ أَنْشَرَهُ

قال: مَن قال: ﴿إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ﴾(١) فما جهِل إلّا بقوله: ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ ما جهِل بقوله: ﴿إِنِّيٓ إِلَٰهٞ﴾ وحدَه، ولكن بالمجموع؛ فإنّه أثبت الغَير(٢) بقوله: ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ فإنّ العبدَ إذا نطق بالحقّ، وكان الحقُّ نطقه، فهو القائل: ﴿إِنِّيٓ إِلَٰهٞ﴾ لا العبد، فلا يحتاج أن يقول: ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ في نطقه بالحقِّ. فإنّ العبد لا يكون ربًّا، ولا سيما في مثل هذا الذوق، فلا رائحة فيه جملة واحدة. ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾(٣) فقولُهم: ﴿ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ ونعتوه بالبُنوّة، ولو قالوا: "ابن الله" كان ذلك كلّه خطأً، وكانوا كافرين. فلو قالوا: الله والمسيح أيًّا ما تدعو، كما قال في الرحمن، لم يُفردوه بالمرتبة، ولا أشركوه ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾(٤).

* * *

ومِن ذلك: من ادّعى إلى غير أبيه.. أو انتمى إلى غير مواليه

إنَّ الدَّعِيَّ زَنِيْمٌ حَيْثُ مَا كانَا وَهْوَ العَزِيْزُ بِهِ فِيْهِ وإِنْ هَانا
اللهُ جَمَّلَهُ، اللهُ عَدَّلَهُ اللهُ سَوَّاهُ دُوْنَ الخَلْقِ إِنْسانا
قَدْ أَظْهَرَ اللهُ فِيْهِ عِزَّ قُدْرَتِهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ الذِي كانا

---

(١) [الأنبياء: ٢٩]
(٢) ص ١٣٣ب
(٣) [المائدة: ١٧]
(٤) [النساء: ١٧١]

لَوْ[1] كانَ لِيْ أَمَلٌ فِي غَيْرِ ما خُلِقَتْ   نَفْسِي لَهُ لَمْ أَكُنْ فِي الخَلْقِ مِحْسانا

قال: جاء في الخبر النبويّ: «مَن ادّعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه؛ فعليه لعنة الله» أي له البُعد، وما له سيّد[2] إلّا الله. ولذلك "نهى رسول الله ﷺ أن يقول أحدنا: عبدي أو أَمَتي. وليقل: غلامي وجاريتي". كما "نهى أن نقول لمن له سيادة علينا: ربّنا" فانظر إلى هذه الغَيرة الإلهيّة، وما تعطيه الحقائق. وكذلك من ادّعى إلى غير أبيه ملعون، أي قد بَعُدَ عن الأصل الذي تولّد عنه. إلّا أنّه لا يقال: ابنٌ؛ إلّا لبنوّة الصلب، وإن جازت بنوّة التَّبَنِّي، ولكن قول الله أَوْلَى في قوله: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[3] ولا نشكّ أنّ الغَيرة حكمت أن يقال: «الولد للفراش» ما لم ينفِه صاحب الفراش.

فبنوّة التبنّي بالاصطفاء والمرتبة، ولفظة الابن هي المنهيُّ عنها؛ إلّا أنّه وردتْ رائحةٌ في التبنّي في قوله: ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾[4] بل أداة إضراب ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ وهنا في المصطفى إشكال[5]! مَن هو المصطفَى؟ فقد يحتمل أن يريد محلّ الولد؛ ليظهر فيه الولد بالتوجُّه الإلهيّ في الصورة البشريّة في عين الرائي، كجبريل حين تمثّل لمريم بشرا سويّا، فقالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾[6]، وهنا سِرٌّ، أيضا، فابحث عليه. فقال لها جبريل: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ جئتك ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾[7] لمّا أحصنتْ فرجَها، نفخ فيها روحا من أمره؛ فينسب إليه. فـ﴿قَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ... قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾[8]. وقد يريد بالاصطفاء التبنّي، والله أعلم ما أراد من ذلك؛ هل المجموع؟ أو أحد الأمرين؟

---

(١) ص ١٣٤

(٢) الحرف المعجم مهمل في ق

(٣) [الأحزاب: ٥]

(٤) [الزمر: ٤]

(٥) ص ١٣٤ب

(٦) [مريم: ١٨]

(٧) [مريم: ١٩]

(٨) [التوبة: ٣٠]

ومن ذلك: لا يشقى.. مَن استمسك بالعروة الوثقى

مُسْـتَمْسِـكٌ[1] بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى   هُوَ الإِمامُ السيِّدُ الأَتْقَى

أَخْبَرَ عَنْـهُ الرُّوْحُ فِي وَحْيِـهِ   بِأَنَّهُ المَسْـعُودُ لا يَشْـقَى

قال: العروةُ دائرةٌ، لها قُطران بالفرض، يفصلها خَطٌّ متوهَّمٌ. فالعروةُ الوثقى أنت وهو من حيث قطريْها. فالوجود منقسم بينك وبينه؛ لأنّه مقسوم بين ربٍّ وعبد. فالقديمُ الربُّ، والحادثُ العبدُ، والوجودُ أمرٌ جامع لنا «قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي» فهذه عروة لها انفصام[2] من وجهٍ؛ فإنّه لا بدّ أن ينحلَّ نظامُ التكليف؛ فترتفع هذه الصلاة المنشأة على هذه الهيئة، وتبقى صلاة النشأة الذاتيّة التي رَبَطَتْكَ به -تعالى- في حال عدمك ووجودك. فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها؛ فاستمسِك بها. فلا تفرده دونك، ولا تشفعه بك؛ بل أنت أنت، وهو هو.

* * *

ومن ذلك: الزكاة.. في الذَّكاة

إنَّ الزَّكاةَ نُمُوٌّ حَيْـثُ مـا كانَـتْ   مِثْلُ الذَّكاةِ التِي عَزَّتْ وَمَا هانَتْ

فِي كُلِّ حالٍ مِنَ الأَحْوالِ تُبْصِرُها   قَدْ زَيَّنَتْ عاطِلًا مِنْهَا وَما شـانَتْ

قال: الزكاة ربو، مِن زكا يزكو، إذا رَبَا. والرِّبَا محرَّم، والزكاة رِبا[3]. والذكاة فيما يكون عنه بالتناول الرُّبُوّ في المتناوَل. والميتة حرام؛ لأنّها ما ذُكِيتْ؛ فهي مع المذكّى؛ كالرِّبا مع الزكاة. فالجامعُ الأقربُ بين الزكاة والذكاة التطهيرُ؛ لأنّ الزكاةَ طهارةُ بعض الأموال، والذكاة طهارة بعض الحيوان. والجامعُ الأبعد بينهما؛ ما فيهما من الربو والزيادة لمن تناوَل ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[4] أي جعلها تربو وتزكو، وما تربو حتى يكون الحَقُّ قُوْتَها؛ كما قال سهل بن عبد الله: "القوتُ اللهُ" حين قيل له:

---

(١) يبدو أن هذين البيتين وهما بقلم الأصل كتبا بعد أن أنجز الشيخ كتابة هذا السفر، ولم يكتبا في السياق بل في هامش الصفحة، ويسري هذا على كل النصوص الشعرية الواردة في بقية السفر عدا النص الثالث من الأخير.

(٢) ص ١٣٥

(٣) "والزكاة ربا" مضافة في الهامش بخط آخر، وبجانبها حرف خ

(٤) [الشمس: ٩]

ما القوت؟ فلمّا قيل له: سألناك عن قوت الأشباح! فقال[١]: "ما لكم ولها، دعوا الدِّيار لِبانيها؛ إن شاء عَمَرها، وإن شاء خرَبها" وقد ورد أنّ الإيمان يربو في قلب المؤمن إذا مدح، والمؤمن لا يربو إلّا بالمؤمن؛ فإنّ «المؤمنَ للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا» فإنّ الحائط لا يعظُم ويقوم؛ إلّا بضمّ اللِّبْن بعضها إلى بعض في البنيان، كذلك المؤمن يعظم بالمؤمن، والمؤمن من أسمائه تعالى.

* * *

ومن ذلك: الخوض في الآية.. عَمَاية

الخَوْضُ فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنَ الوُجُودِ عَمَايَهْ
إلّا إذا كُنْتَ فِيْهِ ذَا عِزَّةٍ وعِنَايَهْ

قال: إذا كنت أنت الآية عينها؛ فأنت أقربُ شيء إلى مَن[٢] أنت دليل عليه. فإذا خُضْتَ في الآية؛ فأنت دالٌّ، لا دليل؛ فزلْتَ عن كونك آية؛ فبعدتَ عن المقصود؛ فحجبتَ؛ فصرت في عماية. فلا تخضْ فيك، وانظر في ذاتك على الكشف حتى ترى بمن هي مرتبطة؛ فذلك الذي ارتبطتْ به هو مدلولُها. وهي آية عليه للأجنبيّ الخائض فيك، ما أنت آية لك؛ وإن كنت آية لك. يقول -تعالى-: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ إشارةٌ حسنة، ونصيحةٌ شافية ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[٣] فأضاف الآيات[٤] إليه؛ فإن خضتَ فيها تعدّيتَ عنك إلى الجانب الآخر. والشأن في أن تكون أنت وهو: أنت له، وهو لك؛ لا أن يكون هو لـ"هو"؛ فلماذا أوجَدَك؟ ولا أن تكون أنت لِأَنت، فاعلم.

(١) ص ١٣٥ب
(٢) "شيء إلى من أنت" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٣) [الأنعام: ٦٨]
(٤) ص ١٣٦

ومن ذلك: السكون تحت القضاء.. قد لا يكون عن الرِّضا

إنّ الذِي يَسْكُنُ تَحْتَ القَضَا　　فـإِنَّـهُ عَلامَـةٌ فِي الرِّضَــــا
قَدْ وَسِـــعَ الكُلَّ جَمَالًا فَمَا　　يُعْرِضُ عَنْهُ السِّرُّ لَوْ أَعْرَضَا

قال: ما كلّ مَن سكن تحت قضاء الله؛ يكون راضيا بما قضى عليه. قد يكون الساكن مجبورا مقهورا؛ إمّا لغفلة(١)، وإمّا لأمر من خارج؛ فإذا رُفِع عنه القهر زال ما كان يدّعيه من الرضا. فأخفى اللهُ كذِب الكاذِب بالقهر في التشبيه بالصادق؛ فيُرى كلُّ واحد من الشخصين قد رضي: فالواحد رضي طوعا، والآخر رضي كرها: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾(٢) ولست أعني بالسماء هذه المشهودة المعلومة؛ فهي إشارةٌ إلى الرفع، والأرض (إشارة) إلى الخفض. فأهل السماء يسجدون كَرْها، وأهل الأرض يسجدون طوعا؛ بسبب الأهليّة. فقد يكون في السماء مَن هو مِن أهل الأرض؛ فيسجد طَوْعا(٣)، وقد يكون في الأرض مَن هو مِن أهل السماء؛ فيسجد كَرْها؛ وهو علم ذوق. فالساجد يعرف بأيّ صفة سجد؛ فهو(٤) أهلٌ لما تعطيه تلك الصفة.

وقال: العبد مأمور بالرضى بالقضاء، لا بكلّ مقضِيٍّ به، فاعلم ذلك؛ فإنّه دقيقٌ.

* * *

ومن ذلك: لم يزِل في تضليل.. من عصى الله والرسول

لَمْ يَزَلْ فِي ضَـلالَةٍ وَعَمًى　　مَنْ عَصَى رَبَّهُ مِنَ العُلَمَا
فانْظُرُوا فِي الّذِي أَفُوْهُ بِهِ　　تَجِدُوْهُ قالَتْ بِهِ الحُكَمَا

قال: لم يزل في حيرة مَن عصى الله والرسول، وما ثَمّ إلّا واحدٌ، والرسول حجاب. وقد علمتَ أنّه لا ينطق عن الهوى، بل هو لسان حقٍّ ظاهر في صورة خلق. فإن رفعه ذمّه الله، وإن تركه

---

(١) الحروف المعجمة مهملة في ق
(٢) [الرعد: ١٥]
(٣) "فيسجد طوعا" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
(٤) ص ١٣٦ب

تركه على مضض؛ فأعطاه الله دواء مزيلا لهذه العلّة وهو قوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1] ثمّ زاده في الدواء بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[2] فلمّا أفرد الأمر في عين الجمع بُلَّ[3] العليلُ من دائه، ولذلك قال الخليل: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِي﴾[4] فإنّ العبد لا بدّ له من خواطر تقتضيها نشأته وبنيته؛ فمنها ما توجب له مرضا فيحتاج إلى دواء، ومنها ما لا مرض فيه وهو الخاطر السليم.

* * *

ومن ذلك: طِيب الحياةِ.. للجُناةِ

لذّةُ الوَقْـتِ لِلَّذِي يَجْنِي ثَمَرَ القُرْبِ عِنْـدَما يَجْنِي
فإذا قال: كَيْفَ؟ قُلْتُ لَهُ لَوْ دَرَى العالِمُ الَّذِي أَعْنِي
هامَ وُجْدًا بِهِ فَكَيْفَ أَنَا وَلِهَـذَا سَـــتَرْتُـهُ مِنّي
فإذا مَا تَحَوَّلَ فِي خَلَدِي سِرُّهُ عَنْـهُ حـالَتِي يَكْنِي
أَيُّها السـامِعُونَ فِيْهِ خُذُوا كُلَّ مـا جَـاكُمْ بِـهِ عَنّي

قال[5] الشاعر:

أَحْلَى مِنَ الأَمْنِ عِنْدَ الخائِفِ الوَجِلِ

لأنّ الوارد الذي يعطي الأمن الذي يرِدُ على الخائف؛ يكون الخائفُ أعظمَ التذاذا به ممن استصحبه الأمنُ؛ وذلك لتجدُّد الأمن عليه عقيب الخوف، فجاء على النقيض مما كان يأمُله وينتظره من وقوع الأمر المخوف منه؛ فوجد الالتذاذ الذي لا يكون ألذّ منه. فلو فتح اللهُ عينَ بصيرته، ورأى تجدُّد نشأته في كلّ نفَس مع جواز عدم التجدُّد واللحوق بالعدم؛ لكان في لذّة دائمة. لكن

---

(١) [النساء: ٨٠]
(٢) [الفتح: ١٠]
(٣) بلّ: صحّ
(٤) [الشعراء: ٨٠]
(٥) ص ١٣٧

ما كلُّ أحد يعطى هذه الرتبة، بل الإنسان كما قال تعالى: ﴿فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[1] وهو في مفهوم العموم النشأةُ الآخرة؛ فالجاني هو الذي ينتظر العقوبة. فإن كان مؤمِنا فإنّه ينتظر: إمّا العقوبة من الله على ما جنى، أو العفو والمغفرة. فإذا جاءته المغفرة؛ وَجَد لها من اللذّة ما لا يقدر قدرها إلّا مَن ذاقها.

* * *

ومن ذلك: ولايةُ النور حبور.. وولاية الظلمة تبور

مَنْ كانَ فِي النُّوْرِ كانَ النُّورُ يَصْحَبُهُ وظُلْمَةُ الجَهْلِ تُرْدِيهِ وتَسْحَبُهُ
فَكُنْ بِهِ لا تَكُنْ فإِنَّهُ سَنَدٌ أَقْوَى ومَنْ جاءَهُ فِي الحِيْنِ يُذْهِبُهُ

قال: بولاية النور يكون الظهور؛ فتبدو له عيون الأشياء؛ فتفرّق همومَه وغمومَه. فله في كلِّ منظور إليه تَنَزُّهٌ[2] وعِلْمٌ وفتحٌ لا يكون في الآخر. فتقترن به لذّة وسرور، على قدر ما كان له من التعطُّش لطلب ما رآه. إن كان معلوما عنده قبل ذلك بالقوّة أو على قدر رتبة ذلك المنظور في الحسن والطعم. وبولاية الظلمة يهلِك في حقّه كلُّ ما سترته الظلمة، واجتمع عليه همّه. فإنّه لا يتمكن له أن يكون مِن نفسه في ظلمة؛ فتقِلُّ لَذّاتُهُ. فإن فتح له فيه بِسِرِّ الغيب، وعظيم مرتبته على الشهادة؛ كان سروره بالظلمة أتمّ.

* * *

ومن ذلك: التلَف.. قد يكون في الخلَف

إِذا مَضَى عَنْكَ شَيْءٌ لا تُرِدْ خَلَفًا مِنْهُ فإِنَّ هَلاكَ الأَجْرِ فِي الخَلَفِ
وقُلْ لَهُ بِالذِي تَحْوِيْهِ مِنْ عَجَبٍ إِنَّ المَقامَ الذِي أَرْجُوهُ فِي التَّلَفِ

قال: مَن أَعطى مؤدّيا أمانةً، فأخلف الله عليه مثل ما أعطى؛ فقد زاد في حجبه؛ فقد زاد في نَصَبِه. فإنّه ما يعطيه الله شيئا إلّا ويأمره بحفظه، وتقوى الله فيه، ولا سيما في دار التكليف. وإنما

(١) [ق: ١٥]
(٢) ص ١٣٧ب

قيّدناه بهذا القيد لقوله -تعالى- لسليمان الطَّيِّلاً: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾[1] مع كونه عن سؤالٍ بقوله: ﴿هَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾[2] يريد المجموع.

لأنّه ورد أنّ أصحاب الجدّ محبوسون؛ لأنّهم خرجوا عن أُصولهم؛ فإنّ أصلهم الفقر. فما[3] أثنى[4] عليهم إلّا بالذلّة والافتقار؛ لأنّهم لو لم يفتقروا لما أعطاهم الحقّ ما حجبهم به، وأتعبهم فيه، وأمرهم بأداء ما يجب عليهم فيه من حقّه، وحقِّ مَن له فيه استحقاق؛ كالزكاة وغيرها. فما وقفوا مع الأصل، وهو فقرُهم، بل قالوا لمّا فرض الله عليهم الزكاة في أموالهم: "هذه أُخَيَّةُ الجزية" وأين قولهم: ﴿لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ. فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾[5] وقالوا ما ذكرناه ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾[6] فلو ثبتوا على ما أعطاهم الحقّ، ولم يطلبوا الزيادة؛ لم يعطهم الحقّ سِوَى ما يبقي عليهم الخلْق الذي أعطاهم حين ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾[7] فيحفظ عليه خلْقه دائمًا. فإيّاك والافتقار؛ فما حجب الأغنياءَ سِوَاه؛ لافتقارهم إلى الزيادة فيما في أيديهم، وما اقتنعوا.

* * *

ومن ذلك: مقت.. الوقت

المَقْتُ بِالوَقْتِ مَقْرُونٌ فَإِنْ فاتا ... فَلْتَحْمُدِ اللهَ شُكْرًا عِنْدَما فَاتا

واعْلَمْ بِأَنَّ لَهُ حَقًّا عَلَيْكَ إذا ... فُتَّ الذِي كانَ قَبْلَ المَقْتِ قَدْ مَاتا

قال: إذا عاملَ صاحبُ الوقت وقتَه بما يجب له، وأدّى حقّه؛ سَلِمَ من المقت فيه. فإذا علّق همَّه في وقته بما خَرَج عن[8] وقته؛ فهو في وقته صاحبُ مَقت؛ لشغله بالمعدوم عن الموجود.

(١) [ص: ٣٩]
(٢) [ص: ٣٥]
(٣) ص ١٣٨
(٤) مكتوب فوقها: أتى
(٥) [التوبة: ٧٥ ، ٧٦]
(٦) [التوبة: ٧٧]
(٧) [طه: ٥٠]
(٨) ص ١٣٨ب

والأدبُ لا يكون إلّا مع الحاضر؛ حتى أنّ الغائب إذا تُؤُدِّب معه؛ لا يُتأدّب معه من حيث هو غائبٌ، وإنما يُتأدّب مع اسمه إذا ذُكِر، وإذا ذُكِر الغائب؛ فقد حضر اسمه في لفظ الذّاكِر له. فما وقع الأدب إلّا مع حاضِر؛ فإنّ المذكورَ جليسُ الذاكر إيّاه بالذِّكْر. فلا تشغل نفسك بما خرج عن وقتِك؛ فتكون ممن مَقَتَهُ الوقت، ومَن مقته الوقتُ فذلك مقتُ الله، فاحذر.

* * *

ومن ذلك: الفَرَح.. تَرَح

ما فَرْحَةٌ تَعْقُبُها تَرْحَةٌ　　　يَفْرَحُ مَنْ يَعْقِلُها هَكَذا

بِها فإِنَّ اللهَ أَخْبَرَنا　　　صِدْقًا بِمَا يَعْقُبُها مِنْ أَذَى

قال: إذا عَلِمَ مِن فَرَحٍ خاصٍّ، مِن شأن النفوسِ أن تفرح به، أنّ الله لا يحبّ الفرِح بذلك الفرَح، وذكر قولَه -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾(١) فعلمنا أنّه فَرِحَ بأمر معيَّن؛ فعاد فرحُه بذلك تَرَحًا؛ فحزن لفرحه على قدر فرحه. فإن كان عظيما؛ عَظُمَ حُزْنُه، وإن كان دون ذلك؛ كان الحزن والتَّرح بحسَبه.

ثمّ إنّ الله أمر عباده أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته، لا بما يجمعه من المال؛ فإنّه يتركه بالموتِ في(٢) الدنيا، ولا يقدِّمه. فأمَرَك بالفرح بالفضل، والفضلُ (هو) ما زاد على ذلك، لكنّه أيضا مَن خَلَق الفضلَ، فأعطى الفضلَ خلْقَه؛ ولم يكن له ظهور إلّا فيك. فاحمد الله حيث جعلَك محَلّا لفضله ورحمته، فافرح لأمره إيّاك بالفرح؛ تجني ثمرة أداء الواجِب في الفرَح.

* * *

ومن ذلك: أشدّ الأمراض.. الإعراض

يُمْرِضُني الحَقُّ إذا أَعْرَضا　　　يا لَيْتَ مَنْ أَمْرَضَنِي مَرَّضَا

وَلَيْتَهُ يَأْتِي إِلَيَّ بِمَا　　　يَعْقُبُنِي إِتْيانُهُ مِنْ رِضَا

---

(١) [القصص: ٧٦]
(٢) ص ١٣٩

قال: ما يصحّ الإعراض على الإطلاق؛ فإنّه ما ثَمّ إلى أين؟ وإنما يصحّ الإعراض المقيّد، ومنه المذموم، وهو أشدُّ مرض يقوم بالقلوب.

وقال: الإعراض عن الآيات التي نَصَبها الحقُّ دلائلَ عليه دليلٌ على عدم الإنصاف واتّباع الهوى المُرْدِي[(١)]، وهو علّة لا يبرأ منها صاحبها بعد استحكامها؛ حتى يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب. فعند ذلك يريد استعمال الدواء؛ فلا ينفع؛ كالتوبة عند طلوع الشمس من مغربها ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[(٢)] أو الإيمان عند حلول البأس، وعند الاحتضار والتيقُّن بالمفارقة.

وقال[(٣)]: الإعراض عن الله لا يُتصوّر، وكذلك الإعراض عن الخلق مطلَقا لا يُتصوّر؛ فما هو الفارق؟

* * *

ومن ذلك: مِن محمود الأغراض.. الإعراضُ

إذا قامَتِ الأَغْراضُ بِالنَّفْسِ[(٤)] إِنَّهُ ... لَتَعْقُبُها الأَمْرَاضُ إِنْ كانَ ذا نَفَسْ
وكُلُّ كَرِيْمٍ لَمْ يَنَلْهَا فإِنَّهُ ... تَحُلُّ بِهِ الآلامُ مِنْ حَضْرَةِ القُدُسْ
وإنَّ لَهَا فِي عالَمِ الخَلْقِ صَدْمَةً ... إِذَا هِيَ حَلَّتْ فِي المُلُوكِ وفِي العَسَسْ[(٥)]

قال: أَعرِضْ عن من تولّى عن ذِكْر الله، فهو قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[(٦)] لأنّ المتولّي عن ذِكْر الله مُعْرِضٌ؛ فأظهِرْ له صِفَتَه في إعراضك عنه؛ لعلّه ينتبه. فإنّه يأنف من إعراضك عنه؛ لما هو عليه في نفسه من العزّة. فإنّ إعراضَك عنه إذلالٌ في حقّه، وعدم مبالاة به. وما خالفَك إلّا لتقاومه، لا لتعرض عنه.

---

(١) ق: "المرضي" وفوقها إشارة مسح، وفي الهامش بقلم الأصل: "المردي" وبجانبها "صح"، وهي كذلك "المردي" في س، ه
(٢) [الأنعام: ١٥٨]
(٣) ص ١٣٩ب
(٤) أثبت فوقها بقلم الأصل في ق: بالعبد
(٥) العسس: الطواف بالليل، والمقصود: الجنود.
(٦) [الأعراف: ١٩٩]

فإنّ المعرِضَ بالتولّي؛ إذا تَبِعْتَه؛ زاده اتّباعُك نفورا، وعدم التفات. فإذا أعرضتَ عنه، وولّيته ظهرَك، كما ولّاك ظهرَه، لم يحسّ بأقدامٍ خلفَه؛ تهدَّى في مشيتِه، وأَخَذَ نفَسه، وارتأى مع نفسِه فيما أعرض عنه، والتفتَ وما رآك خلفَه؛ فصار يحقّق النظرَ فيك. وأنت ذو نور؛ فلا بدّ أن يلوح له مِن نورك ما يؤدّيه ويدعوه إلى التثبّت في أمرك، وفيما جئتَ به؛ فلعلّه أن يكون من[١] المهتدين. فهذا الإعراض صنعة[٢] في الدعاء إلى الله.

* * *

ومن ذلك: ذِكْرُ الذِّكْر.. أَمْنٌ مِن المكْر

أَلَا إنّ ذِكْرَ الذِّكْرِ أَمْنٌ مِنَ المكْرِ ... إذا كانَ ذَاكَ الذِّكْرُ مِنّي عَلَى ذِكْرِ

فَقُلْ لِلَّذِي قالَ الدَّلِيْلُ بِفَضْـــلِهِ ... أَلَا إنّ ذِكْرَ الذِّكْرِ أَمْنٌ مِنَ المكْرِ

قال: ذِكْرُ الذِّكْر مثلُ حَمْدِ الحمد، وحمدُ الحمد أصدقُ المحامد، بلا شكٍّ، وأوفاها. كذلك ذِكْرُ الذِّكْر أنفعُ الأذكار وأصدقُه شهادة للذاكر. فإنّ الذِّكْر إذا ذكرك؛ فإنّه لا يذكرك إلّا مِن مقامِه، ومقامُه عزيز، وأنت في تلك الحالة ذِكْرُه؛ فيكون كما هو الحقّ إذا سمّيناه: مُلْك المُلْك؛ فهذا وراثتك من هذا الاسم الإلهيّ.

وقال: إذا تجسَّدتْ الصفاتُ، وظهرتْ لها أعيانٌ في الصور؛ كان الذِّكْرُ أجملَها صورةً، وأعلاها مرتبة؛ فإنّه لا شيء أعلى من الذِّكْر. وسبب ذلك أنّه ما بأيدينا من الحقّ إلّا الذِّكْر، ولذلك قال: «أنا جليسُ مَن ذكرني» فقد صيَّر ذاتَه ذِكْرَه.

* * *

ومن ذلك: ما تعدّى.. من إذا شهد صفة الحقّ تَصَدّى

أَلَا إنّ نَعْتَ الحَقِّ يَظْهرُ فِي الخَلْقِ ... وَقَدْ حُزْتُ فِيْمَا قُلْتُهُ قَصَبَ السَّبْقِ

إذا كانَ حالُ العَبْدِ هَذَا فإنّهُ ... يَجُودُ بِمَا يُفْنِى عَلَيَّ وَلَا يُبْقِي

---

(١) ص ١٤٠

(٢) حروفها المعجمة مهملة في ق، وهي في س: "صنعه" والترجيح من هـ

قال: العارفُ مَن ينظر المَحالَّ من حيث ظهورها بصفات الحقِّ؛ فيعظِّم الصفةَ حيثما ظهرت. إلّا إن تخيّل المَحَلُّ أنّ التعظيم[1] له؛ فيجب على العالِم إذا كان حكيما أن لا يُظهِر تعظيم الصفة؛ لما يطرأ على المحلِّ من الأمر الذي يؤدّي إلى هلاكه. فإن فَعلَ ذلك وجب عليه العتبُ إن لم يحقّ عليه العذاب.

فالإنسان إمّا أن يُلحِقَ المَحَلَّ بالصفة، أو يُلحِقَ الصفة بالمَحَلِّ. فإن أَلحق المَحَلَّ بالصفة؛ عظَّمَ المحلَّ بوجهٍ في وقت، ومَقَتَه بمقتِ الله في وقتٍ؛ كالمتكبّرين والجبّارين الذي ذمّهم الله. وإن ألحق الصفةَ بالمَحَلِّ؛ لم يقدر قدرَها، ولم ينزلها منزلتها؛ فكان من الجاهلين. فإذا كان مشهودُه الصفة؛ فلا يبالي أَلْحَق المحلَّ بها، أو ألحقها بالمحلّ؛ فإنّ التعظيم منه لها مصاحب. وينظر في المحلّ بحسب الوقت، وحُكم الشرع فيه، والموطن؛ كأبي دجانه وأمثاله.

* * *

ومن ذلك: مَن وقف مع الدليل.. حُرِم المدلول

إنَّ الأَدِلّةَ أَسْتارٌ وَقَدْ سُدِلَتْ ... مِنْ غَيْرَةِ الحَقِّ إسْبالًا عَلَى الحُرَمِ

فَمَنْ يَطُوفُ بِها تُغْنِيْهِ حالَتُهُ ... عَنِ الطَّوافِ بِبَيْتِ اللهِ فِي الحَرَمِ

قال: مَن وقف عند شيء؛ كان له. فَقِفْ مع الحقّ؛ تكن للحقّ بلا خَلْق. وإيّاك أن تقف مع الحقّ من كونه دليلا على نفسِه؛ فإنّك، إن وقفتَ معه على هذا الحدّ، حُرِمْتَهُ؛ لأنّ الدليل والمدلول لا يجتمعان أبدا. فإنّ الناظرَ في الشيء في[2] كونه كذا؛ إنما هو ناظر إلى الحُكم، لا إلى الشيء من حيث عينه؛ فيُحرم عينَ ذلك الشيء. ولا تنظر إليه من حيث ما هو مشهود لك؛ فتراه من حيث حُكْمِ أنّه مشهود؛ فما تراه. ولا من حيث أنت تشهده بك أو به؛ كلّ ذلك حجاب على عينِ شهودِك إيّاه، في عين شهودك. فقف مع الحقّ لعينه خاصّة؛ فإنّك تحوز بذلك أعلى رتبة في العلم به.

---

(١) ص ١٤٠ب

(٢) ص ١٤١

ومِن ذلك: مَن علم أنّ عملَه يُرَى.. لَمْ يَعْبُدِ الوَرَى

أَخْلِصْ[1] لِرَبِّكَ ما تُبْدِيْهِ مِنْ عَمَلٍ   وكُنْ عَلَى وَجَلٍ مِنْ ذَلِكَ العَمَلِ
واعْلَمْ بِـأَنَّـكَ مَسْـئولٌ[2] ومُرْتَهَنٌ   بِمَا أَتَيْتَ بِهِ واحْذَرْ مِنَ الخَجَلِ

قال: لا بدّ أن يوقفك الحقُّ، ويشخِّص لك أعمالَك كلّها، وهو قد أمرك بالعمل؛ فيرى هل عملتَ بما أمرك به من الأعمال؟ وقد أَمرَتْكَ نفسُك بعملٍ، وأمرك الخلق بعمل؛ فتأتي ولك ثلاثة أنواع من العمل، ترفع إليك خزائنها. فما كان لله فهو لله مخَلَّص؛ فتزول إضافته إليك، وكذلك ما كان للناس، ولا يبقى لك إلّا ما كان لك.

فيقال لك: هل خلعتَ على هذه الأعمال كلّها حُكم الحقّ عليها، فجريْتَ فيها بحكم الحقّ حتى تكون مؤمنا؟ أو كنتَ في وقت عملك تشهد أنّك آلةٌ يعمل بها خالِقُك كلَّ عمل ظهر منك؟ أو ما تعدّيت[3] بالعمل غير ذات العمل، لمّا أمرك به مَن أمرك، كان مَن كان؟ فأنت عند ذلك بحسب ما يكون الأمرُ في نفسه، والرسول حاضر معك، وكلُّ مَن أمرك حاضر عند ذلك. فإنّه في وقتِ أمره إيّاك بالعمل؛ قد تعبَّدك، وأنت لمن تعبَّدك في كلّ عمل. فتكون في الزمن الواحد في أحوال مختلفة؛ فتكون الرائي المحجوب، المعذَّب المنعَّم؛ كما يجمع الحقّ بين الأضداد.

* * *

ومِن ذلك: عمل بِعِلْمه.. مَن استغفر في ظلمه

أَسْتَغْفِر اللهَ مِنْ ظُلْمِي ومِنْ زَلَلِي   فَـإِنَّنِي مِنْهُمَـا -واللهِ- فِي خَجَـلِ
إِنِّي عَجِلْـتُ إِلَى رَبِّي لأُرْضِـيَـهُ   مِنْ قَوْلِهِ: "خُلِقَ الإنسانُ مِنْ عَجَلِ"

قال: الظالم ظالمان: ظالم لنفسِه، وظالم نفسَه. فالظالم نفسه طلب منه الاستغفار، مع أنّه يغفر له وإن لم يستغفر. وإنما أمره الحقُّ بالاستغفار؛ ليقيمه -إذا جنى ثمرة ذلك- في مقام الإدلال؛ لما له في ذلك من الكسب. فإنّ الذي يأخذ من جهة الهبة؛ قصيرُ اليد، والذي يأخذ من كسبِه؛ طويلُ

(١) ق: القصائد الشعرية هنا وفي بقية السفر –عدا الثالث من الأخير- مكتوبة بقلم آخر نسخي جميل.
(٢) ق: هي أقرب إلى مسرور
(٣) ص ١٤١ب

اليد؛ فإنّه طالبُ حقٍّ ومستحقّه. فالرجل مَن أخذ من كسبه في حال ذلّة ويد قصيرة ما دام في الحياة الدنيا. فإنّه لا ينفذ في ظلمة الكسب إلى الوهب؛ إلّا بنور ساطع قويٍّ من المعرفة الصحيحة التي لا علّة فيها، ولا تأثير للأكوان[1]. وإن غولط؛ فيتغالط إذا كان أديبا؛ لأنّه لا يغالَط إلّا والموطن يعطيه. فيجرى مع الحقّ فيما أجراه فيه، والحقّ يعلم ما هو فيه.

* * *

ومِن ذلك: ما أحاط.. مَن شاهَد البساط

كُلُّ مَنْ شاهَدَ البِساطَ تَرَاهُ ذَا ضَلَالٍ وحَيْرَةٍ فِي البِساطِ

فإِذَا مَا سَأَلْتَهُ قَالَ صِدْقًا إِنّمَا كانَ ذَلِكُمْ فِي انْبِساطِي

قال: أهلُ البساط لا يتعدّى طرْفُهم مَن هم في بساطه. غير أنّ البُسُط كثيرة: بساط عمل، وبساط علم، وبساط تجلٍّ، وبساط مراقبة. فإن كنتَ في العمل؛ فـ"ما"، وإن كنت في العلم؛ فـ"بمن"، وإن كنت في التجلّي؛ فـ"مَن"، وإن كنت في المراقبة؛ فـ"لمن"، وهكذا في كلّ بساط تكون.

فيقال لك في العمل: ما قصدتَ؟ وفي العِلم: مَن هو معلومك؟ وفي التجلّي: مَن تراه؟ وفي المراقبة: لمن راقبتَ؟ فأنت بحسب جوابك عن هذه الأَسْوِلة[2]؛ فأنت محصور بالخطاب، محصور بالجواب؛ فما تشاهِد سِوَى الحال الخاصّ بك ما دمتَ في البساط. فإن أجبتَ بما يقتضيه الحال كنتَ حكيما حكما، وإن أجبت بالحقّ، لا بك؛ فكنت على قدر اعتقادك في الحقّ؛ ما هو؟ وإن أجبت بنفسك؛ أجبتَ إجابة عبد، والمراتب متفاضلة.

---

(١) ص ١٤٢

(٢) الأسولة: جمع سؤال وفق ابن جني كما جاء في تاج العروس، أي الأسئلة

ومِن ذلك: عِلْمُ الاختصاص.. بالختم الخاصّ

إِنِّي لَمِنْ أَصْــلِ أَجْوادٍ خَضَــارِمَةٍ[1] مِنَ البَهالِيْلِ أَهْلِ الجُوْدِ والرِّفَدِ
ما مِنْهُمُ أَحَدٌ يَسْــــعَى لِمَفَسَــــدَةٍ وَلَا يُرَى جُودُهُ يَجْرِي إِلَى أَمَدِ

قال: الختمُ الخاصّ هو المحمّديّ؛ ختمَ اللهُ به ولاية الأولياء المحمّديّين، أي الذي وَرِث[2] محمدا ﷺ وعلامته في نفسه: أن يعلم قدر ما ورث كلّ وليّ محمّديّ من محمد ﷺ؛ فيكون هو الجامعُ عِلْمَ كلِّ وليّ محمّديّ لله -تعالى-، وإذا لم يعلم هذا؛ فليس بختم. ألا ترى إلى النبيّ ﷺ لمّا ختم (الله) به النبيّين[3] أُوتي جوامع الكلم، واندرجت الشرائع كلّها في شرعه؛ اندراجَ أنوارِ الكواكب في نور الشمس. فيعلم قطعا أنّ الكواكب قد ألقتْ شعاعاتها على الأرض، وتَمْنَعُ[4] الشمسُ أن تميّزَ ذلك؛ فجعل النور للشمس خاصّة.

* * *

ومِن ذلك: المدى الشاسع.. مانع

إِذَا بَلَغَ المَدَى الشَّاسِعْ رِجالٌ ما لَهُمْ مانِعْ
تَـراهُمْ فِي مَـحــارِبِهِـمْ "عُبَيْد حالُهُ جامِعْ"
لِمَــا يَلْقــاهُ مِنْ أَلَـمِ البُعْـدِ عَنْهُمُ قــاطِعْ

قال: لمّا خلق اللهُ الإنسانَ عجولا، وخَلق فيه الطلب، ولم يحصل له مطلوبُه في أوّل قدم؛ بَعُدَ عليه المَدى لعجلته؛ فيقف مع طول المدى؛ فيمتنع من حصول الفائدة؛ فإنّ الله لا يُنالُ بالطلب. فالعارف يطلب سعادته، ما يطلب اللهَ؛ فإنّ الحاصلَ لا يُبتغى؛ فإنّ الله يَجِلُّ أن يُطلب بمسافات الأقدام، وبمشاقّات[5] الأعمال، وبالأفكار. فكما أنّه لا يتحيّز؛ كذلك لا يتميّز. فهو معلوم لنا؛ أنّه في كلّ شيء عينُ كلّ شيء. ومجهول التمييز؛ لما نشهده من اختلاف الصوَر. فما تقول في صورةٍ:

---

(١) خضارمة: الخِضْرِم: الجواد الكثير العطية، مشبّه بالبحر الخضرم، أي كثير الماء. وكانت في ق: "ذوي حسب" وكتب فوقها بذات القلم: "خضارمة".
(٢) "الذي ورث" كانت في الأصل: "الذين ورثوا" وكتب الشيخ فوقها ما يشير إلى تعديلها إلى: "الذي ورث".
(٣) ص ١٤٢ب
(٤) رسمها في ق أقرب إلى: ومنع
(٥) ق، س: وبمسافات

"هو هذا" إلّا وتحجبك عنها صورة، هو عينُها، تقول فيها: "هو هذا" وتغيب عنك هويّتُه؛ بمغيب الصورة الذاهبة؛ فلا تدري على ما تعتمد. كالمتحيّر بالنظر الفكريّ؛ لا يدري ما يعتقد، سَواء؛ كلّما لاح دليل له؛ لاحت له شبهة فيه، فلا يسلَم له دليلٌ من شبهةٍ أبدا؛ لأنّه أعظم دليل، ونحن شُبْهَتُه.

* * *

ومِن ذلك: منزلة الإمام.. في الأنام

مُنـازَلَةُ الإمـامِ مَعَ الأَنامِ مُؤَدِّيَةٌ إِلَى قَتْلِ الغُلامِ

فَقُلْ لِلْمُنْكِرِيْنَ صَحِيْحَ قَوْلِي لَقَدْ أَغْفَلْتُمُ طَرْحَ اللِّثَامِ

قال: المالك مملوك بلا شكٍّ؛ فإنّ ملْكَه يملكه بما يحتاج إليه. فإنّ المُلك فقير إلى أشياء لا بدّ منها، لا تحصل له إلّا مِن مالكه؛ فيقيّد به مالِكَه؛ فيكون مملوكا له إن أراد أن يكون ملِكا، وإلّا[1] فهو معزول؛ تعزله المرتبة. لا يمكن أن يكون أحد من المالكين أعظم من الحقّ، وهو كلّ يوم في شأن، وقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾[2] وما ثَمّ إلّا سماء وأرض. فالسماء تمور، والأرض تذهب؛ فهذا تفرُّغُ الحقِّ لنا[3]، وذلك لما هو مالك. ولو لم يحفظنا؛ ما حفظ مُلكه عليه، وزال عنه حكم اسم المَلِك.

* * *

ومِن ذلك: الفَرْق بين المسيح.. والمسيح

عَجَبًا لِعِيْسَى كَيْفَ ماتَ وطَالَمَا قَدْ كانَ يَنْشُرُنا مِنَ الأَجْداثِ

مـا ذاكَ إِلّا كَـوْنُـهُ مُـتَـبَرِّيًا مِمَّا رَمَتْهُ بِهِ يَدُ الأَحْداثِ

قال: عيسى عليه السلام هو المسيح، و(كذلك) كلُّ مَن مسح أرضه بالمشي فيها والسياحة في نواحيها ليرى أثارَ ربِّه فيما يراه منها، وهو قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[4] بأقدامهم وأفكارهم.

---

(١) ص ١٤٣

(٢) [الرحمن: ٣١]

(٣) "فهذا تفرّغ الحق لنا" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

(٤) [الروم: ٩]

والأرض أيضا نظرُهم في عبوديّتهم؛ فإنّها تقبل المساحة بما فيها من التفصيل؛ غير أنّه في كلّ فصل منها وصل حقٍّ. فللّه في كلّ فصلٍ عينٌ.

والمسيحُ أيضا مَن مُسِحت عينُه التي يرى بها نفسَه، وتبقى عليه عينُه الذي يرى بها ربَّه. فإذا لم يَر إلّا الله يقول: "أنا الله" ويصدُق؛ فإنّ عينه التي يرى بها نفسَه ذهبتْ، وهو بالنشأة دجّال تكذّبه النشأة؛ فهو الدجّال الصادق. فجمع بين الصدق والكذب؛ فصدق من حيث ما شاهد، وكذب من حيث ما فاته. فلو عَلِم أنّ عينَه ممسوحةً لَعَلِم ما فاته، وادّعى الحقّ بالحقّ. ولكن جرى الأمر هكذا. فعيسى أحيا الموتى الذين ما له تعمُّل في موتهم؛ فهو أَتمّ؛ لأنّه لا يحيي إلّا مَن أمات؛ فعلِم من أين تؤكل الكتِف. والدجّال أحيا الميّت الذي قتله خاصّة.

* * *

ومِن ذلك: سما.. مَن علِم أسماء الأسماء

إذا[1] كانَـتِ الأَسْمَـاءُ مِنّـا تَـدُلُّنـا ... عَـلَى مـا بِـهِ سَمَّى الإِلَهُ وُجُـوْدَهُ

فَمَا[2] عِنْدَنا غَيْرَ الأَســـامِيْ مُحَقَّقٌ ... فَنَحْنُ وإِنْ كُنَّـا بِوْجْـهٍ عَبِيْـدَهُ

حَقِيْقَـةُ مَنْ سَمَّى بِنَـا نَفْسَـــهُ لَنَـا ... فَمَنْ يَـدْرِ ما قُلْناهُ حازَ شُـــهُوْدَهُ

وَفَيْنـا لَهُ بِالعَهْـدِ لَمَّـا تَحَقَّقَـتْ ... نُفُوسٌ لَنَـا تَرْعَى لَدَيْنـا عُهُوْدَهُ

وَقَعْـتُ عَلَى مـا كُنْـتُ مِنْـهُ أَخَـافُـهُ ... وقَدْ كُنْتُ قَبْلَ اليَوْمِ أَخْشَى شُرُوْدَهُ

فَمَا بِيَدِي مِنْهُ سِـــوَى الحِيْبَةِ[3] التِي ... مَـلأْتُ بِهـا كَفِّيْ فحَقَّـقَ جُـوْدَهُ

فَـمَـا مِـثْـلُهُ شَيْءٌ فَـنَزَّهَ كَـوْنَـهُ ... عَنِ المِثْلِ فاحْفَظْ وَعْدَهُ وَوَعِيْدَهُ

* * *

ومِن ذلك: علمُ الأسرار.. والأنوار

مَنْ شاءَ يَلْقَى الرّوْحَ فِي الأَنْوارِ ... فَلْيَتَّخِذْ مَرْقًى إِلَى الأَسْرَارِ

(١) هذا النص ثابت في المتن بقلم الشيخ الأكبر، ولا تسري عليه الملاحظات الخاصة بالنصوص الشعرية الواردة في نهاية هذا السفر
(٢) ص ١٤٣ب
(٣) الحيبة: المسكنة والحاجة. ورسم الكلمة يسمح بقراءتها كذلك: الجُنْبة وهي بمعنى البُعد، الجيبة وهي بمعنى الجواب

وَلْيَتَّكِلْ فِيْـهِ عَلَى مَعْلُوْمِـهِ   فَحِجابُهُ القَيُّومُ بِالأَبْصـــارِ

قال: الأنوارُ شهادةٌ، والحقُّ نورٌ؛ ولهذا يُشهد ويُرى. والأسرارُ غيبٌ؛ فلها "الهُو"، فلا يظهر "الهُو" أبدا. فالحقّ من حيث "الهو" لا يُشهَد، وهويّته حقيقته. ومن حيث تجلّيه في الصور؛ يُشهد ويُرى، ولا يُرى إلّا في رتبة الرائي؛ وهو ما يعطيه استعداده. واستعداده على نوعين: استعدادٌ ذاتيّ، وبه تكون الرؤية العامّة، واستعداد عارض؛ وهو ما اكتسبه من العلم بالله، وتحلّت به نفسُه من نظره العقليّ. فيكون التجلّي تابعا لهذا الاستعداد الخاص، وفيه يقع التفاضل.

* * *

ومِن ذلك: دين الأنبياء واحد، ما ثَمَّ أمر زائد، وإن اختلفت الشرائع؛ فثمّ أمر جامع

الدِّيْنُ عِنْدَ الأَنْبِياءِ وَحِيْدُ   ومُقامُهُ بَيْنَ الأَنامِ شَـــدِيْدُ

فإذا الرِّجالُ تَفَطَّنُوا لِرَحِيْلِهِ   عَنْهُمْ وقامَ لَهُمْ بِذاكَ شَــهِيْدُ

جـاءُوا إِلَيْـهِ مُهْطِعِيْنَ لَعَلَّهُ   يَوْمًا بِقَصْــدِهِمُ إِلَيْهِ يَعُوْدُ[١]

قال: هو إقامة الدين، وأن لا نتفرّق فيه. ما خلق الله حلالا أبغض إليه من الطلاق، وهو بيد مَن أخذ بالسّاق؛ فلماذا نقصد إلى البغيض، مع هذا التعريض؟ نكاحٌ عُقِد، وعرسٌ شُهِد، وابتناءٌ ببكر صهباء[٢] في لَجّة عمياء. نفوس زُوِّجت بأبدانها[٣]، ولم يكن ناكحها[٤] غيرُ أعيانها. ثمّ إنّه مع التكدّر والانتقاص لات حين مناص. ثمّ مع هذا يدعو ويجاب ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[٥].

وأعجب من ذلك؛ جبال سُيِّرت ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[٦] وسماء فتِّحت ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾[٧]. ذات حبك وبروج، وأرواح لها فيها نزول وعروج، وما لها من فروج؛ فأين الولوج، وأين الخروج؟

---

(١) رسمها في ق: يعودوا
(٢) الصَّهَب والصهبة: لون حمرة في الظاهر وفي الباطن سواد، وقيل الذي يخالط بياضه حمرة. والصهباء اسم من أسماء الخمر.
(٣) ص ١٤٤
(٤) مكتوب فوقها بقلم آخر، مع إشارة التصويب وحرف خ: "منكحها"
(٥) [ص: ٥]
(٦) [النبأ: ٢٠]
(٧) [النبأ: ١٩]

وأين النزول، وأين العروج؟ هذا موضع الاعتبار ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[١].

والله؛ إنّ أمرا نحن فيه لمريج، وإنّ زوجا زوّجنا به لبهيج؛ سقفٌ مرفوع، ومهادٌ موضوع، ووتد مفروق، ووتد مجموع؛ ظلمة ونور، وبيت معمور، وبحر مسجور، ومياه تغور، ومراجِل تفور. فار التنّور، فاتّضحت الأمور؛ نجوم مشرقة، ورجوم محرقة؛ شهب ثواقب، وشهب ذوات ذوائب؛ كلّما نجمَتْ ذهبتْ، يا ليت شعري؛ ما الذي أنارها؟ وما الذي أوجبَ سرارها؟ وأخواتها ثوابت لا تزول، في طلوع وأفول. ليلٌ عسعسَ فظهرت كواكبه، وصباحٌ تنفّسَ فضحه راكبه. جوارٍ خنّس في مجاريها، وظباء كُنّس لتحفظ ما فيها. ليل ونهار، أنجاد وأغوار، إبدار وسرار.

يا أهل الأفكار؛ أَقسم نجيُّكم قَسَمَا، لا لغو فيه ولا ثُنيا[٢]؛ أنّ الذي جاء بهذا كلّه لصادق؛ يؤمن به، لا؛ بل يعلمه الظالم لنفسه، والمقتصِد، والسابق. شخص من الجنس أُيّد بروح القدس. قيل له: بَلِّغْ فبلَّغ، وذَكِّرْ فأبلَغ، وقذَف بالحقّ على الباطل فدَمَغ[٣]؛ فزهق الباطل، وتجلّى العاطل، نشأة الآخرة رَدٌّ في الحافرة. كيف يكون التجسُّد مع التقيُّد؟ إن كان في نفس الأمر انقلاب العين؛ فقد جهل الكون، وإن كان في النظر؛ فهو من مَغالط البصر.

فإذا انبهم الأمر وأَشكل؛ فما لك إلّا أن تتوكّل. فأسلِمِ وجهك إلى الله وأنت محسن؛ تكن ممن ﴿ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾[٤] فإنّه خير لك وأبقى. وكن مع الرعيل الذي خوطب بقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾[٥] تكن السعيد الذي لا يشقى. فإن نزلتَ عن هذه الدرجة؛ فانزل إلى: ﴿ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾[٦] فإنّهم وإن كانوا سعداء؛ فإنّه لا يستوي المؤمنون الميّتون على فُرِشهم والشهداء. فلكلّ علم رجال، ولكلّ مقام حال، ولكلّ بيت أهل، ومع كلّ صعب سهل. وهذا القدر كافٍ في هذا الباب لمن علِم فطاب، وأُوتي الحكمة وفصل الخطاب.

---

(١) [الحشر: ٢]
(٢) ثُنيا: استثناء
(٣) ص ١٤٤ب
(٤) [البقرة: ٢٥٦]
(٥) [طه: ٧٣]
(٦) [الأعلى: ١٧]

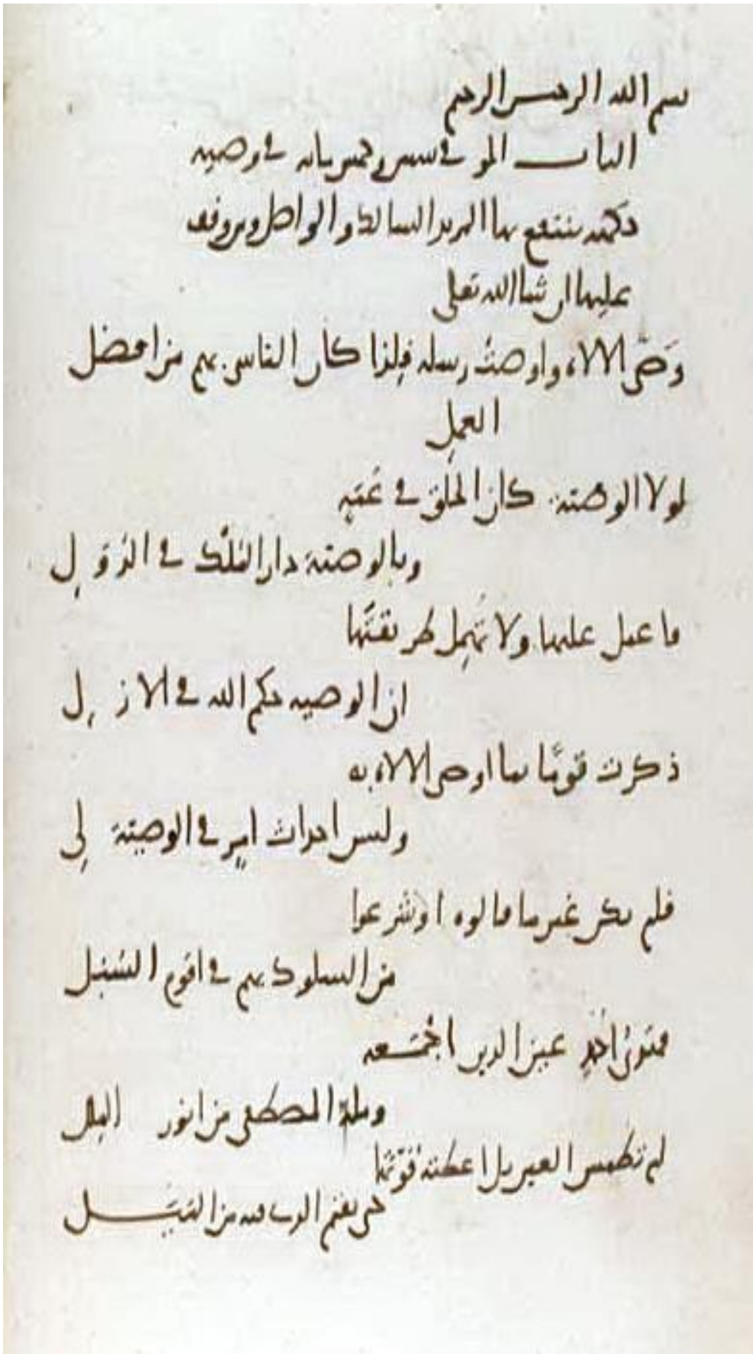
انتهى الباب بانتهاء المجلدة الخامسة والثلاثين من هذا الكتاب، والحمد لله وصلّى الله على محمد رسوله، بخطّ يد منشئ هذا الكتاب.[1]

(١) أسفل المتن ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٥٥، وفي الهامش بقلم الشيخ صدر الدين القونوي بعد وفاة الشيخ الأكبر: "عورضت بالنسخة الأولى، وكلتاهما بخط الشيخ، وصحّح كل منهما بالأخرى، وذلك بحضور المولى شمس الدين (إسماعيل بن سودكين) وكاتب المقابلة بقراءة محمد بن إسحق بن محمد خادم الشيخ ﵁. وسمع بالقراءة المذكورة الأخ مجد الدين أبو بكر بن بندار التبريزي، وتم ذلك بحلب سنة أربعين وستمائة. والحمد لله".

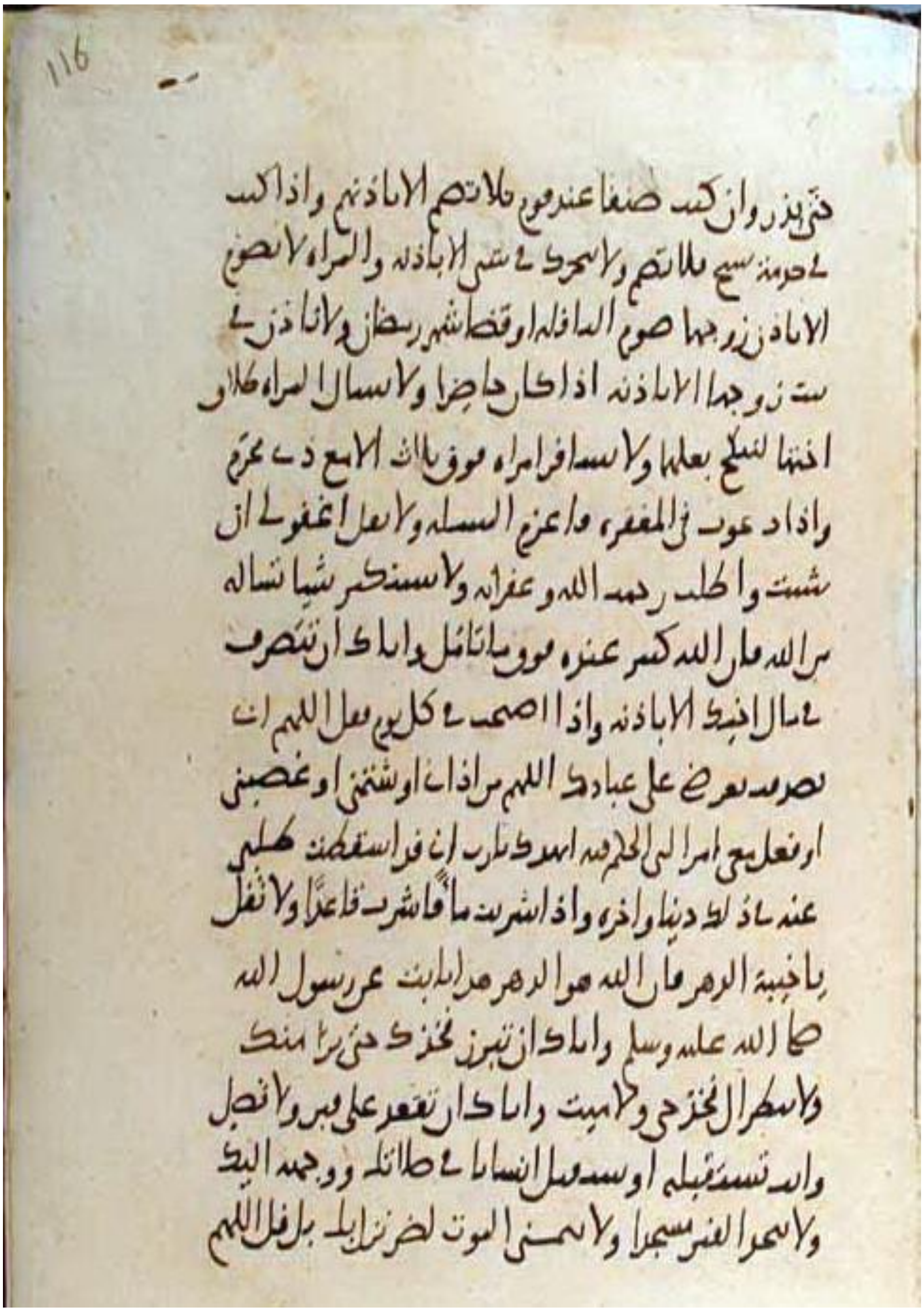
المحتويات

السفر السادس والثلاثون من الفتوح المكّيّ[(١)]

(١) العنوان ص ١ب، يلي العنوان بقلم الشيخ الأكبر: "إنشاء الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي" "رواية مالك هذه المجلدة محمد بن إسحق القونوي عنه" يلي ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٦٣، ثم طابع دمغة برقم ١٧٦٣، وإشارة إلى عدد صفحات السفر: ٢٣١ صحيفة. وفي صفحة الغلاف الداخلية طابع دمغة برقم ١٨٨٠


بسم الله الرحمن الرحيم
الباب الموفي ستين وخمسمائة في وصية
ذكرها ينتفع بها المريد السالك والواصل ومن وقف
عليها إن شاء الله تعالى
وصى الإله وأوصت رسله فلذا كان التأسي بهم من أفضل
العمل
لولا الوصية كان الخلق في عمه
وبالوصية دار الملك في الدول
فاعمل عليها ولا تهمل طريقتها
إن الوصية حكم الله في الأزل
ذكرت قوما بما أوصى الإله به
وليس إحداث أمر في الوصية لي
فلم يكن غير ما قالوه أو شرعوا
من السلوك بهم في أقوم السبل
مثل الذي عين الدين أجمعه
وملة المصطفى من أنور الملل
لم تكمل العين لا عطته قوتها
حتى يعم الذي منه من السبل

الصفحة الثانية من مخطوط قونية



116

حتى يبرز وان كنت ضيفا عند قوم فلا تصم الا باذنهم واذا كنت
في حرمة سيد فلا تصم ولا تسجد في شيء الا باذنه والمراة لا تصوم
الا باذن زوجها صوم النافلة او قضا شهر رمضان ولا تاذن في
بيت زوجها الا باذنه اذا كان حاضرا ولا تسال المراة طلاق
اختها لتنكح بعلها ولا تسافر امراة فوق ثلث الا مع ذي محرم
واذا دعوت في المغفرة فاعزم المسئلة ولا تقل اغفر لي ان
شئت واطلب رحمة الله وغفرانه ولا تستكثر شيئا تساله
من الله فان الله كثير عنده فوق ما تامل واياك ان تتصرف
في مال اخيك الا باذنه واذا اصبحت في كل يوم فقل اللهم ان
نصرتك نعرض على عبادك اللهم من اذاني او شتمني او غصبني
او فعل معي امرا الى الحلم فهو اهدي لك يا رب ان في استطعت فهل لي
عندك لك دنيا واخرة واذا شربت ماء فاشرب قاعدا ولا تقل
يا خيبة الدهر فان الله هو الدهر هو ابانت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم واياك ان تبرز فخذك حتى يرا منك
ولا تنظر الى المحرم ولا تبيت واياك ان تقعد على قبر ولا تصل
واليه تستقبله او تستقبل انسانا في صلاتك وتوجه اليك
ولا تمر بالقبر مسجدا ولا تتمنى الموت لضر نزل بك بل قل اللهم

الصفحة قبل الأخيرة من مخطوط قونية

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

الباب الموفي ستّين وخمسمائة

في وصيّة حكميّة ينتفع بها المريد السالك والواصل ومَن وقف عليها -إن شاء الله تعالى-

وَصَّى الإِلَهُ وَأَوْصَتْ رُسْلُهُ فَلِذَا — كَانَ التَّأَسِّيْ بِهِمْ مِنْ أَفْضَلِ العَمَلِ
لَوْلا الوَصِيَّةُ كانَ الخَلْقُ فِيْ عَمَهٍ — وبالْوَصِيَّةِ دَارَ المُلْكُ فِي الدُّوَلِ
فاعْمَلْ عَلَيْها وَلا تُهْمِلْ طَرِيْقَتَها — إِنَّ الوَصِيَّةَ حُكْمُ اللهِ فِي الأَزَلِ
ذَكَّرْتُ قَوْمًا بِمَا أَوْصَى الإِلَهُ بِهِ — ولَيْسَ إِحْدَاثُ أَمْرٍ فِي الوَصِيَّةِ لِي
فَلَمْ يَكُنْ غَيْر ما قالُوْهُ أَوْ شَرَعُوا — مِنَ السُّلُوكِ بِهِمْ فِي أَقْوَمِ السُّبُلِ
فَهَدْيُ أَحْمَد عَيْنُ الدِّيْنِ أَجْمَعِهِ — وَمِلَّةُ المُصْطَفَى مِنْ أَنْوَرِ المِلَلِ
لَمْ تَطْمِسِ العَيْنَ بَلْ أَعْطَتْهُ قُوَّتَها — حَتَّى يُقِيْمَ الذِيْ فِيْهِ مِنَ المَيَلِ
وَخُذْ[٢] بِسِرِّكَ عَنْهُ مِنْ مَراكِزِهِ — عُلْوًا إِلَى القَمَرِ العَالِي إِلَى زُحَلِ
إِلَى الثَّوابِتِ لا تَنْزِلْ بِساحَتِها — وانْهَضْ إِلَى الدَّرَجِ العالِيْ مِنَ[٣] الحَمَلِ
ومِنْهُ لِلْقَدَمِ الكُرْسِيّ ثُمَّ إِلَى — العَرْشِ المُحِيْطِ إِلَى الأَشْكالِ والمُثُلِ
إِلَى الطَّبِيْعَةِ لِلنَّفْسِ النَّزِيْهَةِ لِلْعَقْلِ المُقَيَّدِ بِالأَعْراضِ والعِلَلِ
إِلَى العَمَاءِ الذِيْ ما فَوْقَهُ نَفَسٌ — مِنْهُ إِلَى المَنْزِلِ المَنْعُوتِ بِالأَزَلِ
وانْظُرْ إِلَى الجَبَلِ الرَّاسِيْ عَلَى الجَبَلِ — وقَدْ رَآهُ فَلَمْ يَبْرَحْ وَلَمْ يَزُلِ
لَوْلا العُلُوُّ الذِي فِي السُّفْلِ ما سَفُلَتْ — وُجُوْهُنَا تَطْلُبُ المَرْئِيَّ بِالمُقَلِ
لِذَلِكُمْ شَرَعَ اللهُ السُّجُودَ لَنَا — فَتَشْهَدُ الحَقَّ فِي عُلْوٍ وفِي سُفُلِ
هَذِيْ وَصِيَّتُنَا إِنْ كُنْتَ ذَا نَظَرٍ[٤] — فَإِنَّها حِيْلَةٌ مِنْ أَحْسَنِ الحِيَلِ

---

(١) البسملة ص ٢
(٢) ص ٢ب
(٣) ق: "إلى" وكتب فوقها بقلم الأصل: "من"
(٤) مكتوب فوقها بقلم الأصل: "صح" وفي الهامش: "عَمل" وفوقها "صح"

تَــرَى[1] بِهَــا كُلَّ مَعْلُــومٍ بِصُــوْرَتِهِ ... عَـلَى حَقِيْقَـةِ مَـا هُـوْ لا عَـلَى البَـدَلِ

حَـتَّى تَـرَى المَنْظَـرَ الأَعْـلَى وَلَـيْسَ لَهُ ... سِـوَاكَ مَجْـلَى فَـلا تَـبْرَحْ وَلا تَـزُلِ

فَإِنْ دَعاكَ إِلَى عَيْنٍ تُسَرُّ بِها ... فَـلا تُجِبْـهُ وَكُـنْ مِنـهُ عَـلَى وَجَـلِ

إِنّا إِناثٌ لِمَــــا فِيْنــــا يُـــــوَلِّدهُ ... فَلْنَحْمُدِ اللهَ ما فِي الكَوْنِ مِنْ رَجُلِ

إِنَّ الرِّجــالَ الذِيْــنَ العُــرْفُ عَيَّــنَهُمْ ... هُمُ الإِناثُ فَهُمْ نَفْسِي وَهُمْ أَمَلِي

* * *

فمن ذلك وصيّة

(في الوصيّة العامّة)

قال الله -تعالى- في الوصيّة العامّة: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾[2] فأمر الحقُّ بإقامة الدين -وهو شرع الوقت في كلّ زمان وملّة- وأن يُجْتَمَع عليه، ولا يُتَفرَّق فيه؛ فإنّ «يد الله مع الجماعة»، «وإنما يأكل الذئبُ القاصية»، وهي البعيدة التي شردت وانفردت عمّا هي الجماعة عليه. وحكمة[3] ذلك أنّ الله لا يُعقل إلها إلّا من حيث أسمائه الحسنى، لا من حيث هو مُعَرّى عن هذه الأسماء الحسنى؛ فلا بدّ من توحيد عينِه، وكثرة أسمائه، وبالمجموع هو الإله؛ فيد الله -وهي القوّة- مع الجماعة.

* * *

أوصى حكيمٌ أولادَه عند موته، وكانوا جماعة، فقال لهم: ائتوني بِعِصِيٍّ. فجمعها، وقال لهم: "اكسروها" وهي مجموعة، فلم يقدروا على ذلك. ثمّ فرَّقها، فقال لهم: "خذوا واحدة واحدة فاكسروها" فكسروها. فقال لهم: "هكذا أنتم بعدي؛ لن تُغلبوا ما اجتمعتم، فإذا تفرّقتم تمكّن منكم عدوُّكم فأبادكم"، وكذلك القائمون بالدِّين، إذا اجتمعوا على إقامة الدِّين، ولم يتفرّقوا فيه؛ لم يقهرهم

(١) ص ٣

(٢) [الشورى: ١٣]

(٣) ص ٣ب

عدوّ. وكذلك الإنسان في نفسه؛ إذا اجتمع في نفسه على إقامة دين الله؛ لم يغلبه شيطان من الإنس، ولا من الجنّ؛ بما يوسوس به إليه، مع مساعدة الإيمان والمَلَك بِلمَّته له.

* * *

وصيّة

(إذا عصيتَ الله -تعالى- بموضع؛ فلا تبرح من ذلك الموضع؛ حتى تعمل فيه طاعةً، وتقيم فيه عبادة)

إذا عصيتَ الله -تعالى- بموضع؛ فلا تبرح من ذلك الموضع؛ حتى تعمل فيه طاعةً، وتقيم فيه عبادة. فكما يشهد عليك إن استُشْهِد؛ يشهد لك؛ وحينئذ تنتزح عنه. وكذلك ثوبك إن عصيت الله فيه؛ فكن كما ذكرتُه لك: اعبُد الله فيه. وكذلك ما يفارقك منك؛ من قَصِّ شارب، وحلق عانة، وقصّ أظفار، وتسريح شعر، وتنقية وسخ. لا يفارقك شيء[1] من ذلك من بدنك؛ إلّا وأنت على طهارة وذكرٍ للهِ ﷻ[2] فإنّه يُسأل عنك؛ كيف تركك؟ وأقلّ عبادة تقدر عليها عند هذا كلّه؛ أن تدعو الله في أن يتوب عليك عن أمره -تعالى- حتى تكون مؤدّيا واجبا في امتثالك أمر الله، وهو قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ فأمرك أن تدعوه، ثمّ قال في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ يعني هنا بالعبادة: الدعاء، أي من يستكبر عن الذلّة إليّ والمسكنة -فإنّ الدعاءَ سمّاه: عبادة، والعبادةُ ذلّةٌ، وخضوع، ومسكنة- ﴿سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[3] أي أذلّاء. فإذا فعلوا ما أُمِروا به؛ جازاهم الله بدخول الجنّة أعزّاء.

دخلت[4] يوما الحمام لغسل طرأ عليّ سَحَرا، فلقيت فيه نجم الدين أبا المعالي بن اللهيب، وكان صاحبي، فاستدعى بالحلّاق يحلق رأسَه. فصحتُ به: يا أبا المعالي؛ فقال لي من فوره، قبل أن أتكلّم: إنّي على طهارة، قد فهمتُ عنك. فتعجّبت من حضوره، وسرعة فهمه، ومراعاته الموطنَ وقرائن الأحوال، وما يعرفه منّي في ذلك. فقلت له: بارك الله فيك. واللهِ؛ ما صحتُ

---

(١) الحروف المعجمة مهملة عدا نقطة تحت أول حرف بحيث يمكن قراءة الكلمة: بشيء
(٢) ص ٤
(٣) [غافر: ٦٠]
(٤) ق: "ولقد دخلت" وهناك خط فوق اللفظة الأولى إشارة المسح

بك إلّا لتكون على طهارةٍ وذِكرٍ عند مفارقة شَعرك. فدعا لي، ثمّ حلق رأسه. ومثلُ هذا قد أغفله الناس، بل يقولون: إذا عصيت الله في موضع؛ فتحوّل عنه؛ لأنّهم يخافون عليك أن تذكّرك البقعة بالمعصية؛ فتستحليها؛ فتزيد ذنبا إلى ذنب. فما ذكروا ذلك إلّا شفقة، ولكن فاتهم علم كبير. فأطِعِ الله فيه؛ وحينئذ[1] تتحوّل عنه؛ فتجمع بين ما قالوه، وبين ما وصّيتك به.

وكلّما ذكرتَ خطيئةً أتيتها؛ فتب عنها عقيب ذِكْرك إيّاها، واستغفر الله منها، واذكر الله عندها بحسب ما كانت تلك المعصية؛ فإنّ رسول الله ﷺ يقول: «أتبع السيّئة الحسنة تمحها» وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[2] ولكن يكون لك ميزان في ذلك، تَعرف به مناسبات السيّئات والحسنات التي تَزِنُها.

* * *

وصيّة
(حسّن الظنّ بربّك على كلّ حال، ولا تسيء الظنّ به)

حسّن الظنّ بربّك على كلّ حال، ولا تسيء الظنّ به. فإنّك لا تدري؛ هل أنت على آخر أنفاسك في كلّ نفَس يخرج منك؛ فتموت؛ فتلقى الله على حسن ظنّ به، لا على سوء ظنّ. فإنّك لا تدري؛ لعلّ الله يقبضك في ذلك النفَس الخارج إليه. ودع عنك ما قال مَن قال بسوء الظنّ في حياتك، وحسِّن الظنّ بالله عند موتك. وهذا عند العلماء بالله مجهول؛ فإنّهم مع الله بأنفاسهم. وفيه من الفائدة والعلم بالله أنّك وفّيت في ذلك الحقَّ حقَّه؛ فإنّ مِن حقّ الله عليك الإيمان بقوله: ﴿وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[3] فلعلّ اللهَ ينشئك في النفَس الذي تظنّ أنّه يأتيك ناشئة الموت والانقلاب إليه، وأنت على سوء ظنّ بربّك؛ فتلقاه على ذلك. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربّه أنّه[4] ﷻ يقول: «أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي خيرا» وما خصّ وقتا من وقت.

---

(١) ص ٤ب
(٢) [هود: ١١٤]
(٣) [الواقعة: ٦١]
(٤) ص ٥

واجعل ظنّك بالله علمًا بأنّه يعفو، ويغفر، ويتجاوز، وليكن داعيك الإلهيّ إلى هذا الظنّ قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾[1] فنهاك، وما نهاك عنه يجبُ عليك الانتهاء عنه، ثمّ أخبرَ وخبرُه صدق لا يدخله نسخ -فإنّه لو دخله نسخ لكان كذبا، والكذب على الله محال- فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ وما خصّ ذنبا من ذنب، وأكّدها بقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ ثمّ تمّم فقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ فجاء بالضمير الذي يعود عليه ﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ من كونه سبقت رحمتُه غضبَه. وكذلك قال: ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ ولم يعيّن إسرافا من إسراف، وجاء بالاسم الناقص الذي يعمّ كلّ مسرف. ثمّ إضافة العباد إليه؛ لأنّهم عباده، كما قال الحقّ عن العبد الصالح عيسى عليه السلام أنّه قال: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾[2] فأضافهم إليه -تعالى- وكفى شرفا شرفُ الإضافة إلى الله تعالى.

* * *

وصيّة
(عليكم بذِكْر الله في السرّ والعلن)

عليكم بذِكْر الله في السرّ والعلن، وفي أنفسكم، وفي الملأ، فإنّ الله يقول: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[3] فجعل جوابَ الذِّكرِ من العبدِ الذِّكْر من الله، وأيّ ضرّاءَ على العبد أضرُّ من الذنب؟ وكان يقول ﷺ[4] في حال الضرّاء: «الحمد لله على كلّ حال» وفي حال السرّاء: «الحمد لله المنعِم المفضِل» فإنّك إذا أشعرت قلبك ذِكْرَ الله دائمًا في كلّ حال؛ لا بدّ أن يستنير قلبُك بنور الذِّكْرِ؛ فيرزقك ذلك النورُ الكَشفَ؛ فإنّه بالنور يقع الكَشفُ للأشياء، وإذا جاء الكشفُ جاء الحياءُ يصحبه، دليلك على ذلك: استحياؤك من جارك، وممن ترى له حقًّا وقدرا. ولا شكّ أنّ الإيمان يعطيك تعظيم الحقّ عندك، وكلامنا إنما هو مع المؤمنين، ووصيّتنا إنما هي لكلّ مسلم مؤمن بالله، وبما جاء من عنده، والله يقول في الخبر المأثور الصحيح عنه الحديث وفيه: «وأنا

(١) [الزمر: ٥٣]
(٢) [المائدة: ١١٨]
(٣) [البقرة: ١٥٢]
(٤) ص ٥ب

معه» يعني مع العبد «حين يذكرني؛ إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»، وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾(١) وأكبرُ الذِّكْر ذِكْرُ الله على كلّ حال.

* * *

وصيّة
(ثابر على إتيان جميع القُرَب جهد الاستطاعة)

ثابر على إتيان جميع القُرَب جهد الاستطاعة في كلّ زمان وحال، بما يخاطبك به الحقّ بلسان ذلك الزمان ولسان ذلك الحال. فإنّك، إن كنت مؤمنا، فلن تخلُص لك معصيةٌ أبدا، من غير أن تخالطَها طاعة؛ فإنّك مؤمن بها أنّها معصية. فإن أضفت إلى هذا التخليط(٢) استغفارا وتوبة؛ فطاعة على طاعة، وقُربة إلى قربةٍ؛ فيقوى جُزءُ الطاعة الذي(٣) خلط العمل السيّئ. والإيمانُ من أقوى القُرَبِ، وأعظمها عند الله؛ فإنّه الأساس الذي انبنى عليه جميع القُرب.

ومن الإيمان حُكمك على الله بما حكم به على نفسه، في الخبر الذي صحّ عنه -تعالى- الذي ذكر فيه: «وإن تقرّب منّي شبرا تقرّبت منه ذراعا، وإن تقرّب إليّ ذراعا تقرّبت منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» وسبب هذا التضعيف من الله، والأقلّ من العبد والأضعف؛ فإنّ العبد لا بدّ له أن يتثبّت، من أجل النيّة، بالقربة إلى الله في الفعل، وإنّه مأمور بأن يَزِن أفعاله بميزان الشرع؛ فلا بدّ من التثبّط فيه. وإن أسرع، ووصف بالسرعة؛ فإنما سرعته في إقامة الميزان في فعله ذلك، لا في نفس الفعل؛ فإنّ إقامةَ الميزان به تصحُّ المعاملة. وقربُ الله لا يحتاج إلى ميزان؛ فإنّ ميزان الحقّ الموضوع الذي بيده، هو الميزان الذي وَزنتَ أنت به ذلك الفعل الذي تطلب به القُربة إلى الله؛ فلا بدّ مَن هذا نعتُه أن يكون في قربه منك أقوى وأكثر من قربك منه. فوصف نفسَه بأنّه يقرُب منك في قُربك منه؛ ضعفَ ما قربتَ منه، مِثلا بمثل؛ لأنّك على الصورة خُلقت.

---

(١) [الأحزاب: ٣٥]
(٢) ص ٦
(٣) ق: التي

وأقلُّ خلافةٍ لك؛ (خلافتك) على ذاتك. فأنت خليفته في أرض بَدَنِك، ورعيّتُك[1] جوارحُك وقواك الظاهرة والباطنة. فعينُ قُرْبِه منك، قربُك منه وزيادة؛ وهي ما قال من الذراع، والباع، والهرولة. فالشبر إلى الشبر ذراع، والذراع إلى الذراع باع، والمشيُ إذا ضاعفتَه هرولةٌ. فهو في الأوّل الذي هو قُرْبُك منه، وهو في الآخِر الذي هو قربه منك؛ فهو الأوّل والآخِر، وهذا هو القرب المناسب؛ فإنّ القُربَ الإلهيّ من جميع الخلق غير هذا، وهو قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[2] فما أريدُ هنا ذاك القرب، وإنما أريد القرب الذي هو جزاء قرب العبد من الله، وليس للعبد[3] قربٌ من الله؛ إلّا بالإيمان بما جاء من عند الله، بعد الإيمان بالله، وبالمبلِّغ عن الله.

* * *

وصيّة
(ألزِم نفسك الحديث بعمل الخير)

ألزِم نفسك الحديث بعمل الخير وإن لم تفعل، ومهما حدّثتَ نفسك بشرٍّ؛ فاعزم على ترك ذلك؛ لله. إلّا أن يغلبك القدر السابق والقضاء اللاحق؛ فإنّ الله إذا لم يقض عليك بإتيان ذلك الشيء الذي حدّثتَ به نفسَك؛ كتبه لك حسنة. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ عن ربّه ﷻ أنّه يقول: «إذا تحدّث عبدي بأن يعمل حسنة؛ فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها». وكلمة "ما" هنا ظرفيّة. فكلّ زمان يمرّ عليه[4] في الحديث بعمل هذه الحسنة، وإن لم يعملها، فإنّ الله يكتبها له حسنة واحدة في كلّ زمان يصحبه الحديث بها فيه، بلغتْ تلك الأزمنة من العدد ما بلغتْ، فله بكلّ زمان حديثٍ حسنة، ولهذا قال: «ما لم يعملها» ثمّ قال تعالى: «فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها»، ومن هنا فُرِض العُشر فيما سَقَت السماء إن علِمتَ. فإن كانت من الحسنات المتعدّية التي لها بقاء؛ فإنّ الأجر يتجدّد عليها ما بَقِيتْ إلى يوم القيامة؛ كالصدقة الجارية؛ مثل

(١) ص ٦ب
(٢) [ق: ١٦]
(٣) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٤) ص ٧

الأوقاف، والعِلم الذي يبثّه في الناس، والسنّة الحسنة، وأمثال ذلك.

ثمّ تمّم نِعَمه على عباده فقال -تعالى-: «وإذا تحدّث بأن يعمل سيّئة؛ فأنا أغفرها له ما لم يعملها» و"ما" هنا ظرفيّة، كما كانت في الحسنة سَواء، والحكمُ كالحكم في الحديث والجزاء، بالغا ما بلغ. ثمّ قال: «فإذا عملها؛ فأنا أكتبها له بمثلها» فجعل العدل في السيّئة، والفضل في الحسنة، وهو قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾(١) وهو الفضل، وهو ما زاد على المِثل.

ثمّ أخبر -تعالى- عن الملائكة أنّها تقول بحكم الأصل عليها الذي نطّقها في حقّ أبينا آدم بقولها: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾(٢) فما ذَكَرتْ إلّا مَساوينا، وما تعرّضتْ للحسَن من ذلك؛ فإنّ الملأ الأعلى تغلب عليه الغَيرة على جناب الله أن يُهتضم، وعلِمتْ من هذه النشأة العنصريّة(٣)؛ أنّها لا بدّ أن تخالف ربّها، لما هي عليه من حقيقتها، وذلك عندها بالذوق من ذاتها، وإنما هي في نشأتنا أظهر. ولولا أنّ الملائكة في نشأتها على صورة نشأتنا؛ ما ذكر الله عنهم أنّهم يختصمون، والخصام ما يكون إلّا مع الأضداد.

وما ذكر الله عن الملائكة في حقّنا أنّهم يقولون: ذاك عبدُك يريد أن يعمل حسنة. فانظر قوّة هذا الأصل ما أحكمه لمن نظر!. ومن هنا تعلم فضل الإنسان إذا ذَكَر خيرا في أحد، وسكت عن شرّه؛ أين تكون درجته؟ مع القصد الجميل من الملائكة فيما ذكروه. ولكن نبّهتُك -على ما نبّهتُك عليه من ذلك- لتعرف نشأتهم، وما جُبِلوا عليه؛ فكلٌّ يعمل على شاكلته. كما قال تعالى وأخبر «أنّ الملائكة تقول: ذاك عبدك فلان يريد أن يعمل سيّئة وهو أبصر به. فقال: ارقبوه؛ فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة؛ إنّه إنما تركها من جرّائي» أي من أجلي.

(١) [يونس: ٢٦]
(٢) [البقرة: ٣٠]
(٣) ص ٧ب

فالملائكة المذكورة هنا هم الذي قال الله لنا فيهم: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ. كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾[١] فالمرتبة والتولية أعطتهم أن يتكلّموا بما تكلّموا به، فلهم كتابة الحسَن من غير تعريف بما تقدّم الله إليهم به في ذلك، ويتكلّمون في السيّئة؛ لما[٢] يعلمونه من فضل الله وتجاوزه. ولولا ما تكلّموا في ذلك؛ ما عرفنا ما هو الأمر فيه عند الله، مثل ما يقولونه في مجالس الذِّكْر في الشخص الذي يأتيها إلى حاجته، لا لأجل الذِّكْر؛ فأطلق الله للجميع المغفرة، وقال: «هم القوم لا يشقى جليسهم» فلولا سؤالُهم وتعريفُهم بهم؛ ما عرفنا حكم الله فيهم. فكلامهم -عليهم السلام- تعليمٌ ورحمةٌ، وإن كان ظاهره كما يسبق إلى الأفهام القاصرة؛ مع الأصل الذي نبّهناك عليه، وقد قال الله في الحسنة والسيّئة: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ وأزيد ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾[٣] وأَغْفِرُ بعد الجزاء لقوم، وقبل الجزاء لقوم آخرين؛ فلا بدّ من المغفرة لكلّ مسرف على نفسه، وإن لم يتب.

فمن تحقّق بهذه الوصيّة؛ عرف النِّسبة بين النشأة الإنسانيّة والمَلَكيّة، وأنّ الأصل واحد، كما أنّ ربّنا واحدٌ، وله الأسماء المتقابلة؛ فكان الوجود على صورة الأسماء.

* * *

وصيّة
(ثابر على كلمة الإسلام)

ثابر على كلمة الإسلام، وهي قولك: "لا إله إلّا الله" فإنّها أفضل الأذكار بما تحوي عليه من زيادة علم. وقال ﷺ[٤]: «أفضل ما قلتُه أنا والنبيّون من قبلي: لا إله إلّا الله» فهي كلمةٌ جمعتْ بين النفي والإثبات، والقسمة منحصرة. فلا يَعرف ما تحوي عليه هذه الكلمة؛ إلّا مَن عرف وزنها، وما تَزِن، كما ورد في الخبر الذي نذكره في الدلالة عليها. فاعلم أنّها كلمة توحيد، والتوحيد لا يماثله شيء؛ إذ لو ماثَله شيءٌ؛ ما كان واحدا، ولَكان اثنين فصاعدا؛ فما ثَمّ ما يَزِنه؛ فإنّه ما

(١) [الإنفطار: ١٠ ، ١١]
(٢) ص ٨
(٣) [الأنعام: ١٦٠]
(٤) ص ٨ب

يَزِنه إلّا المعادِل والمماثِل، وما ثَمّ مماثِل ولا معادِل. فذلك هو المانع الذي منع "لا إله إلّا الله" أن تدخل الميزان. فإنّ العامّة من العلماء يرون أنّ الشرك -الذي هو يقابل التوحيد- لا يصحّ وجود القول به من العبد، مع وجود التوحيد. فالإنسان؛ إمّا مشرك وإمّا موحِّد. فلا يزن التوحيد إلّا الشرك؛ فلا يجتمعان في ميزان.

وعندنا إنما لم يدخل في الميزان؛ لما ورد في الخبر لمن فَهِمه واعتبره، وهو خبر صحيح عن الله، يقول الله: «لو أنّ السماوات السبع وعامِرُهنّ غيري، والأرضين السبع وعامرهنّ غيري؛ في كفّة، ولا إله إلّا الله في كفّة؛ مالت بهنّ لا إله إلّا الله» فما ذكر إلّا السماوات والأرض؛ لأنّ الميزان ليس له موضع[1] إلّا ما تحت مقعّر فلك الكواكب الثابتة من السدرة المنتهى، التي تنتهي إليها أعمال العباد، ولهذه الأعمال وُضِع الميزان؛ فلا يتعدّى الميزان؛ الموضع الذي لا تتعدّاه الأعمال. ثمّ قال: «وعامرهنّ غيري» وما لها عامر إلّا الله؛ فالخبير تكفيه الإشارة.

وفي لسان العموم مِن علماء الرسوم، يعني بالغير، الشريك الذي أثبته المشرك، لو كان له اشتراك في الخلْق؛ لكانت "لا إله إلّا الله" تميل به في الميزان؛ لأنّ "لا إله إلّا الله" الأقوى على كلّ حال؛ لكون المشرك يرجّح جانبَ الله -تعالى- على جانب الذي أشرك به؛ فقال فيهم إنّهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[2] فإذا رفع ميزان الوجود، لا ميزان التوحيد؛ دخلت "لا إله إلّا الله" فيه، وقد تدخل في ميزان توحيد العظمة، وهو توحيد المشركين، فتزنه "لا إله إلّا الله" وتميل به. فإنّه إذا لم يكن العامر غير الله؛ فلا تميل، وعينه ما ذكره إنما هو الله، فإلى أين تميل، وما ثَمّ إلّا واحد في الكفّتين؟

وأمّا صاحب السجلّات؛ فما مالت الكفّة إلّا بالبطاقة؛ لأنّها هي التي حواها الميزان من كون "لا إله إلّا الله" تلفّظ بها قائلُها فكتبها المَلَك؛ فهي "لا إله إلّا الله" المكتوبة، المخلوقة في النطق، ولو وُضِعت[3] لكلّ أحد؛ ما دخل النارَ مَن تلفّظ بتوحيد. وإنما أراد اللهُ أن يُري فضلَها أهلَ

---

(١) ص ٩

(٢) [الزمر: ٣]

(٣) ص ٩ب

الموقف في صاحب السجلّات، ولا يراها، ولا توضع إلّا بعد دخول مَن شاء الله من الموحّدين النار. فإذا لم يبق في الموقف موحِّد قد قضى الله عليه أن يدخل النار، ثمّ بعد ذلك يخرج بالشفاعة، أو بالعناية الإلهيّة؛ عند ذلك يؤتَى بصاحب السجلّات، ولم يبق في الموقف إلّا من يدخل الجنّة ممن لا حظّ له في النار، وهو آخر مَن يوزن له من الخلق؛ فإنّ "لا إله إلّا الله" له البدء والختام، وقد يكون عينُ بُدئها ختامَها، كصاحب السجلّات.

ثمّ اعلم أنّ الله ما وضع في العموم إلّا أفضل الأشياء، وأعمّها منفعة، وأثقلها وزنا؛ لأنّه يماثل بها أضدادا كثيرة. فلا بدّ أن يكون في ذلك الموضوع في العامّة من القوّة؛ ما يقابل به كلّ ضدّ، وهذا لا يَتفطّن له كلّ عارف من أهل الله إلّا الأنبياء الذين شرعوا للناس ما شرعوا. ولا شكّ أنّه قال ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيّون من قبلي: لا إله إلّا الله» وقد قال ما أشارت إلى فضله مَن ادّعى الخصوص من الذِّكْر بكلمة: "اللهْ اللهْ، وهُوْ هُوْ" ولا شكّ أنّه من جملة الأقوال التي "لا إله إلّا الله" أفضل منها عند العلماء بالله.

فعليك -يا وليّ- بالذِّكْر الثابت[1] في العموم؛ فإنّه الذِّكْر الأقوى، وله النور الأضوا، والمكانة الزلفى. ولا يشعر بذلك إلّا مَن لزمه، وعمل به حتى حكمه. فإنّ الله ما وسّع رحمته؛ إلّا للشمول، وبلوغ المأمول، وما من أحد إلّا وهو يطلب النجاة وإن جَهِل طريقَها. فَمَن نفى بـ"لا إله" عيْنَه أثبت بـ"إلّا الله" كونَه؛ فتنفي عينَك حُكما لا عِلما، وتوجب كونَ الحقّ حُكما وعِلما. والإله مَن له جميع الأسماء، وليست إلّا لعين واحدة؛ وهي مسمّى "الله" عامر السماوات والأرض، الذي بيده ميزان الرفع والخفض. فعليك بلزوم هذا الذِّكْرِ الذي قرَن اللهُ به وبالعلم به؛ السعادة؛ فعمّ.

---

(١) ص ١٠

وصيّة

(وإيّاك ومعاداة أهل "لا إله إلّا الله")

وإيّاك ومعاداة أهل "لا إله إلّا الله" فإنّ لها من الله الولاية العامّة. فهم أولياءُ الله. وإن أخطؤوا، وجاءوا بقراب الأرض خطايا، لا يشركون بالله؛ لقيهم الله بمثلها مغفرة. ومَن ثَبَتت ولايته؛ فقد حَرُمت محاربته، ومَن حارب اللهَ؛ فقد ذكر اللهُ جزاءه في الدنيا والآخرة. وكُلُّ مَن لم يُطلعْك الله على عداوته لله؛ فلا تتّخذه عدوّا. وأقلُّ أحوالك -إذا جهِلته- أن تهمل أَمرَه. فإذا تحقّقتَ أنّه عدوّ لله -وليس إلّا المشرك- فتبرّأ منه كما[1] فعل إبراهيم الخليل عليه السلام في حقّ أبيه آزر، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾[2] هذا ميزانُك. يقول الله تعالى: ﴿تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ﴾[3] كما فعل إبراهيم الخليل ﴿أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ ومتى تعلم ذلك؟! ولا تعادِ عبادَ الله بالإمكان، ولا بما ظهر على اللسان، والذي ينبغي لك أن تكره فعلَه، لا عينَه، والعدوّ لله إنما تكره عينَه.

ففرّق بين من تكره عينَه -وهو عدوّ الله- وبين مَن تكره فِعْلَه؛ وهو المؤمن، أو مَن تجهل خاتمتَه ممن ليس بمسلم في الوقت، واحذر قوله -تعالى- في الصحيح: «مَن عادى لي وليّا فقد آذنتُه بحرب» فإنّه إذا جَهل أمره وعاداه؛ فما وَفّى حقّ الحقّ في خلقه؛ فإنّه ما يدري عِلْمَ الله فيه، وما بيّنه الله له حتى يتبرّأ منه ويتّخذه عدوّا. وإذا علم حاله الظاهر وإن كان عدوّا لله في نفس الأمر، وأنت لا تعلم؛ فَوَالِهِ لإقامة حقّ الله، ولا تُعادِهِ؛ فإنّ الاسم الإلهيّ الظاهر يخاصمك عند الله. فلا تجعل لله عليك حجّة فتهلك؛ فإنّ لله الحجّةَ البالغة.

فعامل عباد الله بالشفقة والرحمة، كما أنّ الله يرزقهم على كفرهم وشركهم، مع علمه بهم. وما

---

(١) ص ١٠ب

(٢) [التوبة: ١١٤]

(٣) [المجادلة: ٢٢]

رَزَقهم إلّا لعلمه بأنّ الذي هم فيه[1]؛ ما هم فيه بهم، وهم فيه بهم؛ لما قد ذكرناه بلسان العموم؛ فإنّ الله خالقُ كلّ شيء، وكفرُهم وشركُهم مخلوقٌ فيهم. وبلسان الخصوص؛ ما ظهر حكمٌ في موجودٍ إلّا بما هو عليه في حال العدم في ثبوته الذي عِلمه الله منه. ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾[2] على كلّ أحد، مهما وقع نزاعٌ ومحاجّةٌ؛ فيُسلَّم الأمر إليه، واعلم أنّك على ما كنت عليه.

وعمّ برحمتِك وشفقتِك جميعَ الحيوان والمخلوقين، ولا تقل: هذا نبات وجماد، ما عندهم خبرٌ. نَعم؛ عندهم أخبار، أنت ما عندك خبرٌ. فاترك الوجود على ما هو عليه، وارحمه برحمة موجِده في وجوده، ولا تنظر فيه من حيث ما يقام فيه في الوقت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[3] فيتعيَّن عليك عند ذلك أن تتّخذهم أعداء؛ لأمر اللهِ لك بذلك؛ حتى نهاك أن تتّخذ[4] عدوّه وليّا تلقي إليه بالمودّة. فإن اضطرّك ضعفُ يقين إلى مداراتهم؛ فدارِهم من غير أن تلقي إليهم بمودّة؛ ولكن مسالمةً لرفع الشرّ عنك. ففوّض الأمر إليه، واعتمد في كلّ حال عليه، إلى أن تلقاه.

وصيّة
(وعليك بملازمة ما افترضه اللهُ عليك)

وعليك[5] بملازمة ما افترضه اللهُ عليك على الوجه الذي أمرك أن تقوم فيه. فإذا أكملتَ نشأة فرائضك -وإكمالُها فرضٌ عليك- حينئذ تتفرّغ ما بين الفرضين لنوافل الخيرات، كانت ما كانت. ولا تحقّر شيئا من عملك؛ فإنّ الله ما احتقره حين خَلَقَهُ وأوجبَه. فإنّ الله ما كلّفك بأمر؛ إلّا وله بذلك الأمر اعتناء وعناية حتى كلّفك به، مع كونك في الرتبة أعظم عنده؛ فإنّك محلٌّ لوجود ما كلّفك؛ إذ كان التكليف لا يتعلّق إلّا بأفعال المكلَّفين؛ فيتعلّق بالمكلّف من حيث فعلِه، لا من حيث عيْنِه.

---

(١) ص ١١
(٢) [الأنعام: ١٤٩]
(٣) [التوبة: ٤٣]
(٤) "نهاك أن تتّخذ" هي في ق: "ما كان يتّخذ"
(٥) ص ١١ب

واعلم أنّك إذا ثابرتَ على أداء الفرائض؛ فإنّك تقرّبْتَ إلى الله بأحبّ الأمور المقرِّبة إليه. وإذا كنتَ صاحبَ هذه الصفة؛ كنتَ سمعَ الحقِّ وبصرَه؛ فلا يسمع إلّا بك، ولا يبصر إلّا بك؛ فَيَدُ الحقّ يَدُك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾[1] وأيديهم من حيث ما هي يَدُ الله؛ فوق أيديهم من حيث ما هي أيديهم؛ فإنّها المبايِعة -اسم فاعل- والفاعل هو الله؛ فأيديهم يدُ الله؛ فبأيديهم بايَعَ -تعالى- وهم المبايعون. الأسبابُ كلّها يد الحقّ التي لها الاقتدار على إيجاد المسبَّبات، وهذه هي[2] المحبّة العظمى التي ما ورد فيها نصٌّ جليّ كما ورد في النوافل. فإنّ للمثابرة على النوافل حبّا إلهيّا منصوصا عليه، يكون الحقُّ سمعَ العبدِ وبصرَه، كما كان الأمر بالعكس في حبِّ أداء الفرائض.

ففي الفرض عبوديّة الاضطرار، وهي الأصليّة، وفي الفرع -وهو النفل- عبوديّة الاختيار؛ فالحقُّ فيها سمعُك وبصرُك. ويسمّى نفلا؛ لأنّه زائد، كما أنّك بالأصالة زائدٌ في الوجود؛ إذ كان اللهُ ولا أنتَ، ثمّ كنتَ؛ فزاد الوجود الحادث. فأنت نفلٌ في وجود الحقّ؛ فلا بدّ لك من عمل يسمّى: نفلا، هو أصلُك، ولا بدّ من عمل يسمّى: فرضا، وهو أصل الوجود، وهو وجود الحقّ.

ففي أداء الفرضِ أنت له، وفي النفلِ أنت لك. وحبُّه إيّاك من حيث ما أنت له؛ أعظمُ وأشدُّ مِن حبِّه إيّاك، من حيث ما أنت لك. وقد ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالى: «ما تقرّب إلي عبد بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحببته؛ فكنت سمعَه الذي به يسمع، وبصرَه الذي به يبصر، ويدَه التي بها يبطش، ورجلَه التي بها يمشي، ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما تردّدتُ عن شيء أنا فاعله[3] تردّدي عن نفس عبدي المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مساءتَه» فانظر إلى ما تنتجه محبّة الله؛ فثابِر على أداء ما يصحّ به وجود هذه المحبّة الإلهيّة.

---

(١) [الفتح: ١٠]
(٢) ص ١٢
(٣) ص ١٢ب

ولا يصحّ نفلٌ إلّا بعد تكملة الفرض، وفي النفل عينِه فروضٌ ونوافلٌ؛ فما فيه من الفروض تكملُ الفرائض. ورد في الصحيح أنّه يقول تعالى: «انظروا في صلاة عبدي أتمّها أم نقصها؛ فإن كانت تامّة كُتِبَتْ له تامّة، وإن كان انتقص منها شيئا قال: انظروا هل لعبدي من تطوُّع، فإن كان له تطوُّع قال الله: أكملوا لعبدي فريضته من تطوّعه، ثمّ تؤخذ الأعمال على ذاكُم». وليست النوافل إلّا ما لها أصل في الفرائض، وما لا أصل له في فرض؛ فذلك إنشاء عبادة مستقلّة، يسمّيها علماءُ الرسوم: "بدعة" قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾[1] وسمّاها رسول الله ﷺ «سنّة حسنة» والذي سنّها له أجرها وأجر مَن عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن يُنقِص من أجورهم شيئا.

ولَمّا لم يكن في قوّة النفل أن يَسُدَّ مَسَدّ الفرض؛ جعل في نفس النفل فروضا لتجبر الفرائض بالفرائض. كصلاة النافلة بحكم الأصل، ثمّ إنّها تشتمل على فرائض من[2] ذِكْرٍ، وركوع، وسجود، مع كونها في الأصل نافلة، وهذه الأقوال والأفعال فرائض فيها.

* * *

وصيّة
(وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك)

وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك؛ فإنّ أقوالك من جملة عملك. ولهذا قال بعض العلماء: "مَن عَدَّ كلامه من عمله؛ قَلَّ كلامُه". واعلم أنّ الله راعى أقوال عباده، وأنّ الله عند لسان كلّ قائل؛ فما نهاك الله عنه أن تتلفّظ به؛ فلا تتلفّظ به وإن لم تعتقده؛ فإنّ الله سائلك عنه. روينا أنّ الملَك لا يكتب على العبد ما يعمله حتى يتكلّم به، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[3] يريد الملَك الذي يحصي عليك أقوالك. يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ

(١) [الحديد: ٢٧]
(٢) ص ١٣
(٣) [ق: ١٨]

لَحَٰفِظِينَ. كِرَامًا كَٰتِبِينَ. يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾[1] وأقوالك من أفعالك. انظر في قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢ﴾[2] فنهاك عن القول؛ فإنّه كذّب اللهَ مَن قال مثل هذا القول؛ فإنّ الله قال فيهم إنّهم ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾. ألا ترى إلى قوله -تعالى- حيث يقول: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾[3] وقال: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾[4] وقال: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ﴾[5] وهو القول؛ فإذا تكلّمتَ؛ فتكلّم[6] بميزان ما شرع الله لك أن تتكلّم به. وكان رسول الله ﷺ يمزح، ولا يقول إلّا حقّا. فعليك بقول الحقّ الذي يرضي الله، فما كلّ حقّ يقال يرضي الله. فإنّ النميمةَ حقٌّ، والغيبة حقٌّ، وهي لا ترضي الله، وقد نُهيتَ أن تغتاب، وأن تَنُمَّ بأحد.

ومن مراعاة الله الأقوال؛ ما رويناه في صحيح مسلم عن الله -تعالى- لمّا مطرت السماء قال ﷻ: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر؛ فمَن قال: مُطِرْنا بنوء كذا وكذا؛ فهو كافر بي، مؤمن بالكوكب، وأمّا من قال: مُطِرْنا بفضل الله ورحمته؛ فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب» فراعى أقوالَ القائلين.

وكان أبو هريرة يقول إذا مطرت السماء: مُطرنا بنوء الفتح، ثمّ يتلو: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٍ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾[7]. ولو كنتَ تعتقد أنّ الله هو الذي وضع الأسباب، ونَصَبَها، وأجرى العادة عندنا بأنّه يفعل الأشياء عندها، لا بها، ومع هذا كلّه لا تقل ما نهاك الله عنه أن تقوله، وتتلفَّظ به؛ فإنّه كما نهاك عن أمور؛ نهاك عن القول، وإن كان حقّا.

وانظر ما أحكم قول الله ﷻ في قوله: «مؤمن بي كافر بالكوكب، وكافر بي مؤمن بالكوكب»

---

(١) [الإنفطار: ١٠ - ١٢]
(٢) [البقرة: ١٥٤]
(٣) [آل عمران: ١٦٩]
(٤) [النساء: ١٤٨]
(٥) [النساء: ١١٤]
(٦) ص ١٣ب
(٧) [فاطر: ٢]

فإنّه مهما قال[1]: "بالله" فقد ستر الكوكبَ حيث لم ينطق باسمه. ومن قال: "بالكوكب" فقد ستر الله، وإن اعتقد أنّه الفاعل، مُنزِل المطر؛ ولكن لم يتلفّظ باسمه؛ فجاء -تعالى- بلفظ الكفر، الذي هو الستر. فإيّاك والاستمطار بالأنواء أن تتلفّظ به؛ فأحرى أن تعتقده. فإنّ اعتقادك، إن كنتَ مؤمنا، أنّ الله نصبها أدلّة عاديّة -وكلّ دليل عاديّ يجوز خرق العادة فيه- فاحذر من غوائل العادات، ولا تصرفنّك عن حدود الله التي حدّ لك، فلا تتعدّاها؛ فإنّ الله ما حدّها حتى راعاها، وذلك في كلّ شيء.

ورد في الخبر الصحيح: «إنّ الرجل يتكلّم بالكلمة مِن سخَط الله، ما يظنّ أن تبلغ ما بلغتْ، فيهوي بها في النار سبعين خريفا، وإنّ الرجل ليتكلّم بالكلمة مِن رضوان الله، ما يظنّ أن تبلغ ما بلغتْ، فيرفع بها في علّيّين». فلا تنطق إلّا بما يرضي الله، لا بما يسخط الله عليك، وذلك لا يتمكن لك إلّا بمعرفة ما حدّه لك في نطقك، وهذا بابٌ أغفله الناس. قال رسول الله ﷺ: «وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلّا حصائدُ ألسنتهم» وقال الحكيم: "لا شيء أحقّ بسجنٍ مِن لسان". وقد جعله الله خلف بابين: الشفتين والأسنان، ومع هذا يُكثر الفضول ويفتح الأبواب.

*　　*　　*

وصيّة

(وإيّاك أن تصوِّر صورة بيدك من شأنها أن يكون لها روح)

وإيّاك[2] أن تصوِّر صورة بيدك من شأنها أن يكون لها روح؛ فإنّ ذلك أمر يهوّنه الناس على أنفسهم، وهو عند الله عظيم. فالمصوِّرون أشدُّ الناس عذابا يوم القيامة؛ يقال للمصوّر يوم القيامة: أحيي ما خلقتَ، أو انفخ فيها روحا، وليس بنافخ. وقد ورد في الصحيح عن الله -تعالى- أنّه قال: «ومن أظلمُ ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي، فليخلقوا ذرّة، أو ليخلقوا حبّة، أو

(١) ص ١٤

(٢) ص ١٤ب

ليخلقوا شعيرة». وإنّ العبد إذا راعى هذا القدر، وتركه لما ورد عن الله فيه، ولم يزاحم الربوبيّة في تصوير شيء؛ لا مِن حيوان ولا مِن غير حيوان؛ فإنّه يطّلع على حياة كلّ صورة في العالم؛ فيراه كلّه حيوانا ناطقا يسبّح بحمد الله. وإذا سامح نفسه في تصوير النبات، وما ليس له روح في الشاهد في نظر البصر في المعتاد؛ فلا يطّلع على مثل هذا الكشف أبدا؛ فإنّه -في نفس الأمر- لكلّ صورة من العالم روح، أخذ الله بأبصارنا عن إدراك حياة ما نقول عنه إنّه ليس بحيوان، وفي الآخرة ينكشف الأمر في العموم، ولهذا سمّاها بالدار الحيوان؛ فما ترى فيها شيئا إلّا حيّا ناطقا، بخلاف حالك في الدنيا.

كما روي في الصحيح: «أنّ الحصى سبّح في كفّ رسول الله ﷺ». فجعل الناسُ خرقَ العادة في تسبيح الحصى، وأخطؤوا؛ وإنما خرق العادة في سمع[1] السامعين ذلك؛ فإنّه لم يزل مسبِّحا كما أخبر الله. إلّا أن يسبِّح بتسبيح خاص، أو هيئة في النطق خاصة لم يكن الحصى قبل ذلك يسبِّح به، ولا على تلك الكيفيّة؛ فحينئذ يكون خرق العادة في الحَصَى، لا في سمع السامع. والذي في سمع السامع كونه سَمِع نُطق مَن لم تجر العادة أن يسمعه.

* * *

وصيّة: (وعليك بعيادة المرضى)

وعليك -يا أخي- بعيادة المرضى لما فيه من الاعتبار والذِّكْرى؛ فإنّ الله خلق الإنسان من ضعف؛ فينبّهك النظر إليه في عيادتك[2] على أصلك لتفتقر إلى الله في قوّة يقوّيك بها على طاعته، وأنّ الله عند عبده إذا مرض. ألا ترى إلى المريض ما له استغاثة إلّا بالله؟ ولا ذِكْرٌ إلّا "اللهْ"؟ فلا يزال الحقّ بلسانه منطوقا به، وفي قلبه التجاءٌ إليه. فالمريض لا يزال مع الله، أيّ مريضٍ كان. ولو تطبَّب، وتناول الأسباب المعتادة لوجود الشفاء عندها، ومع ذلك فلا يغفل عن الله؛ وذلك لحضور الله عنده. وإنّ الله يوم القيامة يقول: «يا ابن آدم؛ مرضتُ فلم تَعُدْني؟ قال: يا ربّ؛ كيف أعودك وأنت ربّ العالمين قال: أما علمت أنّ عبدي فلانا مرض فلم تعدْه،

(١) ص ١٥
(٢) ق: عبادتك

أما إنّك لو عدْتَه لوجدتني عنده» الحديث، وهو صحيح. فقوله[1]: «لوجدتني عنده» هو ذِكْرُ المريض ربَّه في سرّه وعلانيّته.

وكذلك إذا استطعمك أحدٌ من خلق الله، أو استسقاك؛ فأطعمه واسقِه إذا كنت موجِدا لذلك؛ فإنّه لو لم يكن لك من الشرف والمنزلة إلّا أنّ هذا المستطعِم والمستسقي قد أنزلك منزلة الحقّ الذي يطعِم عبادَه ويسقيهم، وهذا نظرٌ قلّ مَن يعتبره. انظر إلى السائل إذا سأل ويرفع صوته يقول: "يا ألله أعطني" فما نطّقه الله إلّا باسمه في هذه الحال، وما رفع صوتَه إلّا لسمعك أنت حتى تعطيه؛ فقد سمّاك بالاسم الله، والتجأ إليك برفع الصوت التجاءَه إلى الله. ومَن أنزلك منزلة سيّده؛ فينبغي لك أن لا تحرمه، وتبادر إلى إعطائه ما سألك فيه.

فإنّ في هذا الحديث الذي سقناه آنفا في مرض العبد أنّ الله يقول: «يا ابن آدم؛ استطعمتك فلم تطعمني؟ قال: يا ربّ؛ كيف أطعمك وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أنّ عبدي فلانا استطعمك فلم تطعِمه؛ أما لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم؛ استسقيتك فلم تسقني؟ قال: يا ربّ؛ كيف أسقيك وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أنّ عبدي فلانا استسقاك فلم تُسْقِه؛ أما لو سَقَيْتَه لوجدت ذلك عندي» خرّج هذا الحديث مسلم، عن محمد[2] بن حاتم عن بهز عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «فأنزل الله نفسَه في هذا الخبر منزلة عبده».

فالعبد الحاضر مع الله، الذاكر اللهَ في كلّ حال في مثل هذه الحال؛ يرى الحقَّ أنّه الذي استطعمه واستسقاه؛ فيبادر لما طلب الحقُّ منه؛ فإنّه لا يدري يوم القيامة لعلّه يقام في حال هذا الشخص الذي استطعمه واستسقاه من الحاجة؛ فيكافئه الله على ذلك، وهو قوله: «لوجدتَ ذلك عندي» أي تلك الطعمة والشربة كنتُ أرفعها لك وأُربّيها حتى تجيء يوم القيامة؛ فأردّها عليك أحسن، وأطيب، وأعظم، مما كانت.

---

(١) ص ١٥ب
(٢) ص ١٦

فإن لم تكن لك همّة أن ترى هذا الذي استسقاك قد أنزلك منزلة مَن بيده قضاء حاجته؛ إذ جعلك الله خليفة عنه؛ فلا أقلّ أن تقضي حاجة هذا السائل بنيّة التجارة طلبا للربح، وتضاعف الحسنة. فكيف إذا وقفت على مثل هذا الخبر، ورأيت أنّ الله هو الذي سألك ما أنت مستخلَفٌ فيه؛ فإنّ الكلّ لله، وقد أمرك بالإنفاق مما استخلفك فيه، فقال: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾[1] وعظّمَ الأجر فيه إذا أنفقتَ.

فلا تردّ سائلا، ولو بكلمة طيّبة، والْقَهُ طلْق الوجه، مسرورا به[2]؛ فإنّك إنما تلقى الله. وكان الحسين أو الحسن - عليهما السلام- إذا سأله السائل؛ سارع إليه بالعطاء، ويقول: "أهلا والله وسهلا بحامل زادي إلى الآخرة" لأنّه رآه قد حمل عنه، فكان له مثل الراحلة. لأنّ الإنسان إذا أنعم الله عليه نعمة، ولم يحمل فضلَها غيرُه؛ فإنّه يأتي بها يوم القيامة وهو حامِلُها حتى يُسألَ عنها. فلهذا كان الحسن يقول: إنّ السائل حامل زاده إلى الآخرة، فيرفع عنه مؤُونة الحِمْل.

* * *

وصيّة: (وإيّاكم ومظالم العباد)

وإيّاكم ومظالم العباد؛ فإنّ «الظلم ظلمات يوم القيامة». وظلمُ العباد أن تمنعهم حقوقهم التي أوجب الله عليك أداءها إليهم، وقد يكون ذلك بالحال. فما تراه عليه من الاضطرار، وأنت قادرٌ واجدٌ[3] لِسَدِّ خُلّته ودفع ضرورته؛ فيتعيّن عليك أن تعلم أنّ له بحاله حقّا في مالِك؛ فإنّ الله ما أطلعك عليه إلّا لتدفع إليه حقَّه، وإلّا فأنت مسئول. فإن لم يكن لك بما تسدّ خلّته؛ فاعلم أنّ الله ما أطلعك على حاله سُدَى؛ فاعلم أنّه يريد منك أن تعينه بكلمة طيّبة عند مَن تعلم أنّه يسدّ خَلّته. فإن لم تعمل؛ فلا أقلّ من دعوة تدعو له، ولا يكون هذا إلّا بعد بذل المجهود واليأس، حتى لا يبقى عندك إلّا الدعاء. ومهما غفلت عن هذا القدر؛ فأنت من جملة مَن

(١) [الحديد: ٧]
(٢) ص ١٦ب
(٣) ق: "مواجد" وفي الهامش بقلم الأصل: "واجد"

ظلم صاحب هذا الحال[1]، هذا كلّه إن مات ذلك المحتاج من تلك الحاجة. فإن لم يمت، وسدّ خلّته غيرُك من المؤمنين؛ فقد أسقط أخوك عنك هذه المطالبة من حيث لا يشعر؛ فإنّ «المؤمن أخو المؤمن، لا يُسلمه» وإن لم يَنْوِ المعطي ذلك؛ ولكن هكذا هو في نفس الأمر، وكذا يقبله الله.

فإذا أعطيتَ أنت سائلا بالحال ضرورته، فانْوِ في ذلك أن تنوب عن أخيك المؤمن الأوّل الذي حَرَمه، وتجعل ذلك منه إيثارا لجنابك عليه بذلك الخير الذي أبقاه من أجلك حتى تصيبه؛ إذ لو أعطاه اقتنع بما أعطاه، ولم تجد أنت ذلك الخير. فبهذه النيّة عطاءُ العارفين أصحابَ الضرورات السائلين بأحوالهم وأقوالهم.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[2] وسَواء كان ذلك في القوتِ المحسوس أو المعنويّ؛ فإنّ العلم من هذا الباب والإفادة. فإنّ الضالَّ يطلب الهداية، والجائع يطلب الإطعام، والعاري يطلب الكسوة التي تقيه برد الهواء وحرّه، وتستر عورته، والجاني العالم بأنّك قادر على مؤاخذته يطلب منك العفو عن جنايته. فأَهْدِ الحَيران[3]، وأطعمِ الجائع، واسق الظمآن، واكسِ العُريان. واعلم أنّك فقير لما يُفتقر إليك فيه، والله غنيّ عن العالمين؛ ومع هذا يجيب دعاءهم، ويقضي حوائجهم، ويسألهم أن يسألوه في[4] دفع المضارّ عنهم، وإيصال المنافع إليهم؛ فأنت أَوْلَى أن تعامِل عبادَ الله بمثل هذا؛ لحاجتك إلى الله في هذه الأمور.

خرّج مسلم في الصحيح عن عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي، عن مروان بن محمد الدمشقي، عن سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذرّ عن النبيّ ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنّه قال: «يا عبادي؛ إنّي حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّما؛ فلا تظالموا. يا عبادي؛ كلّكم ضالّ إلّا مَن هديته، فاستهدوني

---

(١) ص ١٧
(٢) [الضحى: ١٠]
(٣) رسمها يقرب من: الجيران
(٤) ص ١٧ب

أهدِكم. يا عبادي؛ كلّكم جائع إلّا من أطعمته، فاستطعموني أُطعمكم. يا عبادي؛ كلّكم عارٍ إلّا مَن كسوته؛ فاستكسوني أكسكم. يا عبادي؛ أنتم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا؛ فاستغفروني أغفر لكم» والحقّ -تعالى- يعطيك[1] هذا كلّه من غير سؤال منك إيّاه فيه، ولكن مع هذا أمرك أن تسأله؛ فيعطيك إجابةً لسؤالك؛ ليريك عنايته بك حيث قَبِل سؤالك، وهذه منزلة أخرى زائدة على ما أعطاك.

وإذا كان سؤالك عن أمره، وقد علم منك أنّك تسأله، ولا بدّ من ضرورة؛ أَصَّلَ ما خُلِقتَ عليه من الحاجة والسؤال؛ لتكون في سؤالك مؤدّيا أمرا واجبا؛ فتجزى جزاء من امتثل أمر الله؛ فتزيد خيرا إلى خير. فما أَمَرَك إلّا رحمة بك، وإيصال خير إليك، ولِيُنَبِّهَك على[2] أنّ حاجتك إليه، لا إلى غيره؛ فإنّه ما خلقك إلّا لعبادته، أي لتذلّ له.

فالذي أوصيك به؛ الوقوف عند أوامر الحقّ ونواهيه، والفهم عنه في ذلك؛ حتى تكون من العلماء بما أراده الحقّ منك في أمره ونهيه إيّاك. ومَن لم يسأل ربَّه؛ فقد بَخَّله، هذا في حقّ العموم، فإن فرّطتَ فيما أوصيتك به فلا تلومنّ إلّا نفسك. فإنّك إن كنت جاهلا فقد عَلّمتُك، وإن كنت ناسيا وغافلا فقد نبّهتُكَ وذكّرتُكَ. فإن كنت مؤمنا؛ فإنّ الذِّكْرى تنفعك، فإنّي قد امتثلتُ أمر الله بما ذكّرتُك به، وانتفاعُك بالذِّكْرى شاهِدٌ لك بالإيمان. قال الله ﷻ في حقّي وفي حقّك: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3] فإن لم تنفعك الذِّكرى فاتّهم نفسك في إيمانك، فإنّ الله صادق، وقد أخبر بأنّ الذِّكْرى تنفع المؤمنين.

ومن تمام هذا الخبر الإلهيّ الذي أوردناه بعد قوله: «أغفر لكم» أن قال: «يا عبادي؛ إنّكم لن تبلغوا ضُرّي فتضرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني» ومعلوم أنّه -سبحانه- لا يتضرّر ولا ينتفع؛ فإنّه الغنيّ عن العالمين، ولكن لمّا أنزل نفسه منزلة عبده، فيما ذكرناه من الاستطعام والاستسقاء؛ نبّهنا بالعجز عن بلوغ الغاية في ضرّ العباد وفي نفعهم؛ فمن المحال بلوغ الغاية في

---

(١) ق: يعطيكم
(٢) ص ١٨
(٣) [الذاريات: ٥٥]

ذلك. ولكون الله قد قال في حقّ قوم: إنّهم[1] ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾[2]، وهو في الظاهر ضرر؛ نَزَّه نفسه عن ذلك. وكذلك مَن فعل فعلا يرضي الله به ويفرحه، كالتائب في فرح الله بتوبة عبده؛ فكان هذا الخبر كالدواء؛ لما يطرأ من المرض من ذلك في بعض النفوس الضعيفة في العلم بالله التي لا علم لها بما يعطيه قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[3].

ثمّ من تمام هذا الخبر قوله: «يا عبادي؛ لو أنّ أوّلكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد؛ ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبادي؛ لو أنّ أوّلكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد؛ ما نقص ذلك من ملكي شيئًا. يا عبادي؛ لو أنّ أوّلكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم، قاموا في صعيد واحد؛ فسألوني؛ فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألته؛ ما نقص ذلك مما عندي إلّا كما ينقص المخيط إذا دخل في البحر» وهذا كلّه دواء لما ذكرناه من أمراض النفوس الضعيفة. فاستعمل -يا وليّ- هذه الأدوية. يقول الله: «إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم، ثمّ أوفّيكم إيّاها. فمَن وجد خيرا فليحمد الله، ومَن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه».

ومن سأل عن حاجة فقد ذلّ، ومَن ذلّ لغير الله فقد ضلّ وظلم نفسه، ولم يسلك بها طريق هداها. وهذه وصيّتي إيّاك فالزمها، ونصيحتي فاعلمها. وما زال الله -تعالى- يوصي[4] عباده في كتابه، وعلى ألسنة رسله. فكلّ من أوصاك بما في استعماله سعادتك؛ فهو رسول من الله إليك؛ فاشكره عند ربّك.

*　　*　　*

وصيّة: (إذا رأيتَ عالما لم يستعمله علمه؛ فاستعمل أنت علمك فيه في أدبك معه)

إذا رأيتَ عالما لم يستعمله علمه؛ فاستعمل أنت علمك فيه في أدبك معه؛ حتى توفّي العالِم حقّه من حيث ما هو عالِم، ولا تُحْجَبْ عن ذلك بحالِهِ السيّئ؛ فإنّ له عند الله درجة عِلمه؛

---

(١) ص ١٨ب
(٢) [محمد: ٢٨]
(٣) [الشورى: ١١]
(٤) ص ١٩

فإنّ الإنسان يُحشر يوم القيامة مع مَن أحبّ. ومَن تأدّب مع صفة إلهيّة؛ كُسِيَها يوم القيامة، وحُشِر فيها.

وعليك بالقيام بكلِّ ما تعلم أنّ الله يحبّه منك؛ فتبادر إليه. فإنّك إذا تحلّيتَ به على طريق التحبّب إليه -تعالى- أحبّك، وإذا أحبّك أسعدك بالعلم به، وبتجلّيه، وبدار كرامته؛ فينعِّمك في بلائك. والذي يحبّه -تعالى- أمور كثيرة أذكر منها ما تيسّر على جهة الوصيّة والنصيحة:

فمن ذلك التجمُّل لله؛ فإنّه عبادة مستقلّة، ولا سيما في عبادة الصلاة؛ فإنّك مأمور به. قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[1] وقال في معرض الإنكار: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ[2] يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[3] وأكثر من هذا البيان في مثل هذا في القرآن فلا يكون. ولا فرق بين زينة الله، وزينة الحياة الدنيا، إلّا بالقصد والنيّة؛ وإنما عينُ الزينة هي هي، ما هي أمرٌ آخر. فالنيّةُ روحُ الأمور، وإنما لامرئ ما نوى.

فالهجرةُ من حيث ما كانت هجرةً واحدةُ العين «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوّجها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه». وكذلك ورد في الصحيح في بيعة الإمام في الثلاثة الذين لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم، وفيه: «ورجل بايع إماما لا يبايعه إلّا لدنيا؛ فإن أعطاه منها وَفَى، وإن لم يعطه منها لم يَفِ» فالأعمال بالنيّات، وهو أحد أركان بيت الإسلام.

وورد في الصحيح في مسلم أنّ رجلا قال لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله؛ إنّي أحبّ أن يكون نعلي حسنا وثوبي حسنا». فقال له رسول الله ﷺ: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال» وقال: «إنّ الله أَوْلَى من تُجمّل له».

---

(١) [الأعراف: ٣١]
(٢) ص ١٩ب
(٣) [الأعراف: ٣٢]

ومن هذا الباب: كونُ الله -تعالى- لم يَبعث إليه جبريل في أكثر نزوله عليه إلّا في صورة دحية، وكان أجملَ أهل زمانه، وبلغ من أثر جماله في[1] الخلق أنّه لمّا قدم المدينة، واستقبله الناس، ما رأته امرأة حامل إلّا ألقت ما في بطنها. فكأنّ الحقّ يقول يبشّر نبيّه ﷺ بإنزال جبريل عليه في صورة دحية: "يا محمد؛ ما بيني وبينك إلّا صورة الجمال" يخبره -تعالى- بما له في نفسه -سبحانه- بالحال. فمن فاتَهُ التجمّل لله كما قلناه؛ فقد فاتَهُ من الله هذا الحبّ الخاص المعيّن، وإذا فاتَهُ هذا الحبّ الخاص المعيّن؛ فاتَهُ من الله ما ينتجه من علمٍ، وتجلٍّ، وكرامة في دار السعادة، ومنزلةٍ في كثيب الرؤية، وشهودٍ معنويٍّ علميّ روحيّ في هذه الدار الدنيا في سلوكه ومشاهِده. ولكن كما قلنا: ينوي بذلك التجمّل لله، لا للزينة والفخر بعرَض الدنيا، والزهو والعجب والبطر على غيره.

ومن ذلك: الرجوع إلى الله عند الفتنة؛ فـ«إنّ الله يحبّ كلَّ مُفَتَّنٍ توّاب» كذا قال رسول الله ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾[2] والبلاء والفتنة بمعنى واحد، وليس إلّا الاختبار لما هو الإنسان عليه من الدّعوى ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ أي اختبارك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ أي تحيّره ﴿وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُ﴾[3] أي تبيّن له طريق نجاته فيها.

وأعظمُ الفتن: النساءُ، والمالُ، والولدُ،[4] والجاهُ. هذه الأربعة إذا ابتلى الله بها عبدا من عباده، أو بواحد منها، وقام فيها مقام الحقّ في نَصْبِها له، ورجع إلى الله فيها، ولم يقف معها من حيث عينها، وأخذها نعمةً إلهيّة أنعم الله عليه بها؛ فردّته إليه -تعالى-، وأقامته في مقام حقّ الشكر الذي أمر الله نبيّه ﵇ موسى به فقال له: «يا موسى؛ اشكرني حقّ الشكر. قال موسى: يا ربّ؛ وما حقّ الشكر؟ قال له: يا موسى؛ إذا رأيت النعمة منّي؛ فذلك حقّ الشكر» ذكره ابن ماجة في سننه عن رسول الله ﷺ.

---

(١) ص ٢٠
(٢) [الملك: ٢]
(٣) [الأعراف: ١٥٥]
(٤) ص ٢٠ب

ولمّا غفر الله لنبيّه محمد ﷺ ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وبشّره بذلك في قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(١) قام حتى تورّمت قدماه شكرا لله -تعالى- على ذلك، فما فتر ولا جنح إلى الراحة. ولمّا قيل له في ذلك، وسئل في الرفق بنفسه، قال ﷺ: «أفلا أكون عبدا شكورا» وذلك لمّا سمع الله يقول: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(٢) فإن لم يقم في مقام شكر المنعِم؛ فاتَهُ من الله هذا الحبّ الخاص بهذا المقام الذي لا يناله من الله إلّا الشكور؛ فإنّ الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾(٣) وإذا(٤) فاتَهُ؛ فاتَهُ ما له من العلم بالله، والتجلّي، والنعيم الخاص به في دار الكرامة، وكثيب الرؤية يوم الزَّوْر الأعظم؛ فإنّه لكلّ حبّ إلهيّ من صفة خاصّة علمٌ، وتجلٍ، ونعيمٌ، ومنزلةٌ، لا بدّ من ذلك، يمتاز بها صاحبُ تلك الصفة من غيره.

فأمّا فتنة النساء: فصورةُ رجوعه إلى الله في محبّتهنّ؛ بأن يرى أنّ الكلَّ أحبّ بعضَه، وحنَّ إليه؛ فما أحبّ سوَى نفسه. لأنّ المرأة في الأصل خُلِقت من الرَّجُل، من ضلعه القصيرى، فينزلها من نفسه منزلةَ الصورة التي خلقَ اللهُ الإنسانَ الكاملَ عليها؛ وهي صورة الحقّ؛ فجعلها الحقُّ مجلى له. وإذا كان الشيءُ مجلى للناظر؛ فلا يرى الناظر في تلك الصورة إلّا نفسَه. فإذا رأى في هذه المرأة نفسَه؛ اشتدَّ حبُّه فيها، وميلُه إليها؛ لأنّها صورتُه. وقد تبيّن لك أنّ صورتَه صورةُ الحقّ التي أوجدَه عليها؛ فما رأى إلّا الحقّ؛ ولكن بشهوة حبّ، والتذاذ وَصِلة يفنى فيها فناء حقٍّ بحبٍّ صدق، وقابلها بذاته مقابلة المِثليّة؛ ولذلك فني فيها؛ فما من جزء فيه إلّا وهو فيها، والمحبّة قد سَرَت في جميع أجزائه؛ فتعلّق كلّه بها؛ فلذلك فني في مثله الفناء الكلّيّ، بخلاف حبّه غيرَ مِثله، فاتّحد بمحبوبه إلى أن قال(٥):

أنا مَن أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنا

وقال الآخر في هذا المقام: "أنا الله". فإذا أحببتَ مثلك شخصا هذا الحبّ؛ وردّك(٦) إلى

---

(١) [الفتح: ٢]
(٢) [الزمر: ٦٦]، وهي وفق ما ورد في ق: "إن الله يحب الشاكرين"
(٣) [سبأ: ١٣]
(٤) ص ٢١
(٥) ص ٢١ب
(٦) ق: "ردّك" والترجيح من س

الله شهودُك فيه هذا الردّ؛ فأنت ممن أحبّه الله، وكانت هذه الفتنةُ فتنةً أعطتك المهداة.

وأمّا الطريقة الأخرى في حبّ النساء؛ فإنّهنّ محَالُّ الانفعال والتكوين لظهور أعيان الأمثال في كلّ نوع، ولا شكّ أنّ الله ما أحبّ أعيانَ العالم، في حال عدم العالم؛ إلّا لكون تلك الأعيان محَلُّ الانفعال. فلمّا توجّه عليها من كونه مريدا قال لها: ﴿كُن﴾ فكانت؛ فظهر ملكه بها في الوجود، وأعطت تلك الأعيانُ اللهَ حقَّه في ألوهته؛ فكان إلها؛ فعبدته -تعالى- بجميع الأسماء بالحال، سواء علِمت تلك الأسماء أو لم تعلمها. فما بقي اسمٌ لله، إلّا والعبد قد قام فيه بصورته وحاله، وإن لم يعلم نتيجة ذلك الاسم، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ في دعائه بأسماء الله: «أو استأثرتَ به في علم غيبك، أو علّمتَه أحدا من خلقك» يعني من أسمائه أن يَعرف عينَه حتى يفصِله من غيره علما. فإنّ كثيرا من الأمور في الإنسان بالصورة والحال، ولا يَعلم بها، ويعلم الله منه أنّ(١) ذلك فيه. فإذا أحبّ المرأة لما ذكرناه؛ فقد ردَّه حُبُّها إلى الله -تعالى- فكانت نِعمتَ الفتنةِ في حقّه؛ فأحبّه الله برجعته إليه -تعالى- في حبّه إيّاها.

وأمّا تعلّقُه بامرأة خاصّة في ذلك دون غيرها -وإن كانت هذه الحقائق التي ذكرناها ساريةً في كلّ امرأة- فذلك لمناسبة روحانيّة بين هذين الشخصين؛ في أصل النشأة، والمزاج الطبيعيّ، والنظر الروحيّ. فمنه ما يجري إلى أجل مسمّى، ومنه ما يجري إلى غير أجل، بل أجله الموت، والتعلّق لا يزول كحبّ النبيّ ﷺ عائشةَ؛ فإنّه كان يحبّها أكثر من حبِّه جميعَ نسائه، وحبُّه أبا بكر أيضا وهو أبوها؛ فهذه المناسبات الثواني هي التي تعيّن الأشخاصَ، والسبب الأوّل هو ما ذكرناه. ولذلك الحبّ المطلق، والسماعُ المطلق، والرؤيةُ المطلقة التي يكون عليها بعضُ عباد الله؛ ما تختصّ بشخص في العالم دون شخص؛ فكلّ حاضر عنده، له محبوب، وبه مشغول. ومع هذا؛ لا بدّ من مَيْل خاصّ لبعض الأشخاص، لمناسبة خاصّة مع هذا الإطلاق، لا بدّ من ذلك؛ فإنّ نشأة العالم تعطي في آحاده هذا، لا بدّ من تقييد، والكامل مَن يجمع بين التقييد والإطلاق. فالإطلاقُ مثلُ قول النبيّ ﷺ: «حُبّب إليّ من دنياكم ثلاث: النساء..» وما خصّ

(١) ص ٢٢

امرأة من امرأة. ومثل التقييد؛ ما[1] روي مِن حُبِّه عائشةَ أكثر من سائر نسائه؛ لنسبة إلهيّة روحانيّة قيّدته بها دون غيرها، مع كونه يحبّ النساء. فهذا قد ذكرنا من الركن الواحد ما فيه كفاية لمن فهم.

وأمّا الركن الثاني من بيت الفتن وهو الجاه، المعبَّر عنه بالرئاسة. تقول فيه الطائفة التي لا علم لها منهم: "آخر ما يخرج من قلوب الصدّيقين حبُّ الرئاسة" فالعارفون من أصحاب هذا القول، ما يقولون ذلك على ما تفهمه العامّة من أهل الطريق منهم؛ وإنما ذلك على ما نبيّنه من مقصود الكمّل من أهل الله بذلك. وذلك أنّ في نفس الإنسان أمورا كثيرة خبّأها الله فيه، وهو ﴿ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[2] أي ما ظهر منكم، وما خفي مما لا تعلمونه منكم فيكم؛ فلا يزال الحقُّ يُخرج لعبده من نفسه مما أخفاه فيها ما لم يكن يعرف أنّ ذلك في نفسه، كالشخص الذي يرى منه الطبيب من المرض ما لا يعرفه العليل من نفسه، كذلك ما خبّأ الله في نفوس الخلق.

ألا تراه يقول ﷺ: «مَن عرف نفسه عرف ربَّه» وما كلُّ أحد يعرف نفسه، مع أنّ نفسَه عينُه، لا غير ذلك؟ فلا يزال الحقّ يُخرج للإنسان من نفسه ما خبّأه فيها؛ فيشهده؛ فيعلم من نفسه عند ذلك ما لم يكن يعلمه[3] قبل ذلك. فقالت الطائفة الكبيرة: "آخر ما يخرج من قلوب الصدّيقين حُبُّ الرئاسة" فيظهر لهم إذا خرج؛ فيحبّون الرئاسة بحبٍّ غير حبِّ العامّة لها؛ فإنّهم يحبّونها من كونهم على ما قال الله فيهم: إنّه سمعُهم، وبصرُهم، وذكر جميع قواهم، وأعضاءهم. فإذا كانوا بهذه المثابة؛ فما أحبّوا الرئاسة إلّا بالله؛ إذ التقدّم لله على العالَم؛ فإنّهم عبيده، وما كان الرئيس إلّا بالمرءوس وجودا وتقديرا؛ فحبُّه للمرءوس أشدُّ الحبّ؛ لأنّه المثبتُ له الرئاسةَ. فلا أَحبَّ من المَلِك في مُلْكه؛ لأنّ مُلْكَه المثبتُ له كونه مَلِكا؛ فهذا معنى: "آخر ما يخرج من قلوب الصدّيقين حُبُّ الرئاسة" لهم؛ فيرونه، ويشهدونه ذوقا، لا أنّه يخرج من قلوبهم فلا يحبّون

---

(١) ص ٢٢ب
(٢) [النمل: ٢٥]
(٣) ص ٢٣

الرئاسة. فإنّهم إن لم يحبّوها؛ فما حصل لهم العلم بها ذوقا، وهي الصورة التي خلقهم الله عليها في قوله ﷺ: «إنّ الله خلق آدم على صورته» في بعض تأويلات هذا الخبر ومحتملاته، فاعلم ذلك.

والجاهُ (هو) إمضاءُ الكلمة، ولا أمضى كلمةً من قوله: ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] فأعظمُ الجاه مَن كان جاهُه بالله[2]؛ فيرى هذا العبدُ مع بقاء عينِه؛ فيعلمُ عند ذلك أنّه المِثل الذي لا يماثَل؛ فإنّه عبدٌ رَبٌّ، واللهُ ﷻ ربٌّ لا عبد؛ فله الجمعيّة، وللحقّ الانفراد.

وأمّا الركن الثالث؛ وهو المال. وما سمّي المال بهذا الاسم؛ إلّا لكونه يُمال إليه طبعا. فاختبر اللهُ به عبادَه حيث جعل تيسير بعض الأمور بوجوده، وعلّق القلوب بمحبّة[3] صاحب المال وتعظيمه، ولو كان بخيلا؛ فإنّ العيونَ تنظر إليه بعين التعظيم؛ لِتَوَهّم النفوس باستغنائه عنهم لما عنده من المال. وربما يكون صاحبُ المال أَشدَّ الناس فقرا إليهم في نفسه، ولا يجد في نفسه الاكتفاء، ولا القناعة بما عنده؛ فهو يطلب الزيادة مما بيده. ولمّا رأى العالَم ميلَ القلوب إلى ربّ المال لأجل المال؛ أحبّوا المال. فطلب العارفون وجها إلهيّا يحبّون به المال؛ إذ ولا بدّ من حبّه. وهنا موضع الفتنة والابتلاء التي لها الضلالة والمهداة.

فأمّا العارفون فنظروا إلى أمور إلهيّة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾[4] فما خاطب إلّا أصحاب الجِدَة. فأحبّوا المال؛ ليكونوا من أهل هذا الخطاب؛ فيلتذّوا بسماعه حيث كانوا[5]. فإذا أقرضوه رأَوا «أنّ الصدقة تقع بيد الرحمن»؛ فحصل لهم -بالمال وإعطائه- مناولة الحقِّ منهم ذلك؛ فكانت لهم وصلة المناولة، وقد شرّف اللهُ آدمَ بقوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾[6] فَمن يعطيه عن سؤاله القرضَ أَتَمُّ في الالتذاذ بالشرف، ممن خلقه بيديه. فلولا المالُ؛ ما سمعوا، ولا كانوا أهلا لهذا الخطاب الإلهيّ، ولا حصل لهم بالقرض هذا التناول الربّاني؛ فإنّ ذلك نِعم الوصلة مع الله.

---

(١) [يس: ٨٢]
(٢) ص ٢٣ب
(٣) ق: بمحبته
(٤) [الحديد: ١٨]
(٥) ص ٢٤
(٦) [ص: ٧٥]

فاختبرهم الله بالمال، ثُمّ اختبرهم بالسؤال منه، وأنزل الحقُّ نفسَه منزلة السائلين مِن عباده أهلِ الحاجة، أهل الثروة منهم والمال، بقوله في الحديث المتقدّم في هذا الباب: «يا عبدي؛ استطعمتك فلم تطعمني، واستسقيتك فلم تسقني» فكان لهم بهذا النظر حبُّ المال فتنةً مُهداة إلى مثل هذا.

وأمّا فتنة الولد؛ فلكونه سِرَّ أبيه، وقطعةً مِن كِبِده، وأَلصقَ الأشياء به. فحُبُّه حبُّ الشيءِ نفسَه، ولا شيء أحبّ إلى الشيء من نفسِه. فاختبره الله بنفسه في صورةٍ خارجة عنه، سمّاه "ولدا" ليرى؛ هل يحجبه النظر إليه عمّا كلّفه الحقُّ من إقامة الحقوق عليه؟ يقول رسول الله ﷺ في حقّ ابنته فاطمة، ومكانتُها من قلبه المكانةُ التي لا تُجهل: «لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت قطعتُ يدها». وجَلَد عمرُ بن[1] الخطاب ابنَه في الزنا؛ فمات، ونفسُه بذاك طيّبة. وجاد ماعِزٌ بنفسه، والمرأةُ في إقامة الحدّ عليهما الذي فيه إتلاف نفوسهما، وقال في توبتها رسولُ الله ﷺ: «وأيُّ توبة أعظم من أن جادت بنفسها»، والجودُ بإقامة الحقّ المكروه على الولد أعظمُ في البلاء. يقول الله في موت الولد في حقّ الوالد: «ما لعبدي المؤمن إذا قبضتُ صفيَّهُ من أهل الدنيا عندي جزاءٌ إلّا الجنّة». فَمَن أَحكمَ هذه الأركان، التي هي من أعظم الفتن، وأكبر المحن، وآثَرَ جناب الحقّ، وراعاه فيها؛ فذلك الرجلُ الذي لا أعظمَ منه في جنسه.

(وصيّة: كن من أهل الوتر)

ومن وصيّتي إيّاك: أنّك لا تنام إلّا على وِتْر؛ لأنّ الإنسانَ إذا نام قبِضَ اللهُ روحَه إليه؛ في الصورة التي يرى نفسَه فيها إن رأى رؤيا؛ فإن شاء ردَّها إليه إن كان لم ينقضِ عمره، وإن شاء مسكها[2] إن كان قد جاء أجلُه. فالاحتياط أنّ الإنسان الحازم لا ينام إلّا على وِتر؛ فإذا نام على وترٍ؛ نام على حالةٍ وعملٍ يحبّه الله. ورد في الخبر الصحيح: «إنّ الله وتر يحبّ الوتر» فما أحبّ إلّا نفسَه. وأيُّ عنايةٍ وقربٍ أعظمُ من أَن أنزَلك منزلةَ نفسِه، في حبّه إيّاك؛ إذا كنت من أهل الوتر في جميع أفعالك التي تطلب العدد والكميّة؟ وقد أمرك اللهُ -تعالى- على[3] لسان رسوله

(١) ص ٢٤ب
(٢) س، هـ: أمسكها
(٣) ص ٢٥

ﷺ فقال: «أوتروا يا أهل القرآن»، و«أهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصّته».

وكذلك إذا اكتحلتَ فاكتحل وِترا، في كلّ عين واحدة، أو ثلاثة؛ فإنّ كلَّ عين عضوٌ مستقلٌّ بنفسه. وكذلك إذا طعمتَ؛ فلا تنزع يدك إلّا عن وتر. وكذلك شُربُك الماءَ؛ في حسواتك إيّاه اجعلها وِترا، وإذا أخذك الفواق؛ اشرب من الماء سبع حسوات؛ فإنّه ينقطع عنك، هذا جرّبته بنفسي. وإذا تنفّستَ في شربك؛ فتنفّس ثلاث مرّات، وأزل القدح عن فِيْكَ عند التنفّس، هكذا أمرك رسول الله ﷺ فإنّه أَبْرأ، وأَمْرأ، وأَرْوَى. وإذا تكلّمتَ بالكلمة لِتُفْهِمَ السامعَ؛ فأعِدها عليه ثلاث مرّات وِترًا، حتى يَفهم عنك، فهكذا كان يفعل رسول الله ﷺ؛ فإنّي ما أوصيك إلّا بما جرت السنّة الإلهيّة عليه، وهذا هو عين الاتباع الذي أمرك الله -تعالى- به في القرآن فقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾(١) فهذه محبّة الجزاء.

وأمّا محبّته الأُولَى التي ليست جزاء؛ فهي المحبّة التي وفّقك بها للاتّباع. فحُبُّك قد جعله الله بين حبّين إلهيّين: حُبُّ مِنّة، وحبُّ جزاء؛ فصارت المحبّة بينك وبين الله وِترا: حبّ المِنّة؛ وهو(٢) الذي أعطاك التوفيق للاتّباع، وحبّك إيّاه، وحبّه إيّاك جزاءً من كونك اتّبعتَ ما شرعه لك ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾(٣) وبهذه الآية ثبتتْ عصمةُ رسول الله ﷺ فإنّه لو لم يكن معصوما؛ ما صحّ التأسّي به. فنحن نتأسّى برسول الله ﷺ في جميع حركاته، وسكناته، وأفعاله، وأحواله، وأقواله، ما لم ينه عن شيء من ذ لك على التعيين في كتاب، أو سنّة؛ مثل نكاح الهبة ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٤) ومثل وجوب قيام الليل عليه، والتهجّد. فهو ﷺ يقومه فرضا، ونحن نقومه تأسّيا ندبًا؛ فاشتركنا في القيام.

يقول أبو هريرة: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث..» فأوتَر في وصيّته «.. وأن لا أنام إلّا على وتر». وورد في الحديث الصحيح: «إنّ لله تسعة وتسعين اسما مائة إلّا واحدا من أحصاها

(١) [آل عمران: ٣١]
(٢) ص ٢٥ب
(٣) [الأحزاب: ٢١]
(٤) [الأحزاب: ٥٠]

دخل الجنّة» فـ«إنّ الله وتر يحبّ الوتر». وقد تقدّم في هذا الكتاب، في باب سؤالات الترمذي الحكيم، وهو آخر أبواب فصل المعارف؛ حبّ الله التوّابينَ، والمتطهّرينَ، والشاكرينَ، والصابرين، والمحسنين، وغيرهم، مما ورد أنّ الله يحبّ إتيانه، كما وردت أشياء لا يحبّها الله، قد ذكرناها في هذا الكتاب فأغنى عن إعادتها.

* * *

وصيّة[1] (عليك بمراقبة الله ﷻ فيما أخذ منك، وفيما أعطاك)

عليك بمراقبة الله ﷻ فيما أخذ منك، وفيما أعطاك. فإنّه -تعالى- ما أخذ منك إلّا لتصبر؛ فيحبّك؛ فإنّه يحبّ الصابرين. وإذا أحبّكَ؛ عامَلك معاملةَ المحبِّ محبوبَه؛ فكان لك حيث تريدُ إذا اقتضتْ إرادتُك مصلحتَك. وإذا لم تقتض إرادتُك مصلحتَك؛ فعل بحبّه إيّاك معك ما تقتضيه المصلحةُ في حقّك. وإن كنت تكره في الحال فِعله معك؛ فإنّك تحمد بعد ذلك عاقبةَ أمرك؛ فإنّ اللهَ غيرُ مُتَّهم في مصالح عبده إذا أحبّه. فميزانك في حبّه إيّاك؛ أن تنظر إلى ما رزقك من الصبر على ما أخذه منك ورزأك فيه؛ من مال، أو أهل، أو ما كان؛ مما يعزّ عليك فراقه. وما من شيء يزول عنك من المألوفات؛ إلّا ولك عِوَضٌ منه عند الله، إلّا الله. كما قال بعضهم:

لِكُلِّ شَيْءٍ إذا فَارَقْتَهُ عِـوَضٌ وَلَيْسَ للهِ إِنْ فَارَقْتَ مِنْ عِـوَضِ

فإنّه لا مِثل له. وكذلك إذا أعطاك وأنعم عليك، ومن جملة ما أنعم به عليكَ وأعطاك؛ الصبرُ على ما أخذه منك؛ فأعطاك لتشكر، كما أخذ منك لتصبر؛ فإنّه تعالى يحبّ الشاكرين، وإذا أَحبّك حبَّ الشاكرين غفر لك. قال رسول الله ﷺ[2] في «رجل رأى غصنَ شوكٍ في طريق الناس؛ فنحّاه؛ فشكر اللهُ فعلَه؛ فغَفر له»؛ فإنّ «الإيمانَ بضعٌ وسبعون شعبة، أدناها إماطةُ الأذى عن الطريق» وهو ما ذكرناه «وأرفعُها قولُ: لا إله إلّا الله» فالمؤمن الموفَّق يبحث عن

---

(١) ص ٢٦
(٢) ص ٢٦ب

شُعب الإيمان؛ فيأتيها كلّها، وبحثُه عن ذلك من جملة شُعب الإيمان. فذلك هو المؤمن الذي حاز الصفة، وملأ يديه من الخير.

وما شَكرك اللهُ بسبب أَمرٍ أَتيتَه مما شرع لك الإتيان به؛ إلّا لتزيد في أعمال البرّ. كما أنّك إذا شكرته على ما أنعم به عليك؛ زادك من نِعَمِه لقوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] ووصف نفسه بأنّه يشكر عبادَه؛ فهو الشكور؛ فَزِدْهُ كما زادك لِشُكرك. ومع هذا فاعتقد أنّ كلّ شيء عنده بمقدار، وكلّ شيء في الدنيا يجري إلى أجل مسمّى عند الله؛ فما ثَمّ شيء في العالم إلّا وهو لله؛ فإن أخذه منك فما أخذه إلّا إليه، وإن أعطاك فما أعطاك إلّا منه؛ فالأمر كلّه منه وإليه.

وكفى بك، إذا علمتَ أنّ الأمر على ما أعلمتُك، أن تكون مع الله؛ تشهده في جميع أحوالك مِن أخذٍ وعطاءٍ؛ فإنّك لن تخلوَ في نفسك مِن أخذٍ وعطاء (إلهيّ) في كلّ نفَس. أوّلُ[2] ذلك أنفاسُك التي بها حياتك؛ فيأخذ منك نفَسك الخارج بما خرج من ذِكْرٍ من قلب أو لسان؛ فإن كان خيرا؛ ضاعفَ لك أجرَه، وإن كان غير ذلك فمِن كرمِه وعفوه يغفرُ لك ذلك. ويعطيك نفَسك الداخل بما شاءه، وهو واردُ وقتِك؛ فإن ورد بخير فهو نعمة من الله؛ فقابِلها بالشكر، وإن كان غير ذلك مما لا يرضي الله؛ فاسأله المغفرة والتجاوز والتوبة. فإنّه ما قضى بالذنوب على عباده؛ إلّا ليستغفروه فيغفر لهم، ويتوبوا إليه فيتوب عليهم.

وورد في الحديث: «لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ويتوبون فيغفر الله لهم ويتوب عليهم» حتى لا يتعطّل حكم من الأحكام الإلهيّة في الدنيا. ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لله ما أَخذ وله ما أعطى وكلّ شيء عنده بأجل مسمّى» فإذا انتهى أجله انقضى، وجاء غيره. وإنما قال رسول الله ﷺ هذا معرّفا إيّانا بما هو الأمر عليه؛ لنسلِّم الأمر إليه؛ فَنُرزق درجة التسليم والتفويض، مع بذل المجهود فيما يجبّ منّا أن نرجع إليه فيه بحسب الحال: إن كان في المخالفة فبالتوبة والاستغفار[3]، وفي الموافقة بالشكر وطلب الإقامة على طاعة الله وطاعة

(١) [إبراهيم: ٧]
(٢) ص ٢٧
(٣) ص ٢٧ب

رسوله، ونجد عزاءً في نفوسنا بمعرفتنا أنّ كلّ شيء عند الله في الدنيا يجري إلى أجل مسمّى. وللصابرين حمدٌ يخصّهم وهو: «الحمد لله على كلّ حال» وللشاكرين حمدٌ يخصّهم، وهو: «الحمد لله المنعِم المفضِل»، كذا كان يحمد رسول الله ﷺ ربّه ﷻ في حالة السرّاء والضرّاء، والتأسّي برسول الله ﷺ في ذلك أَوْلَى من أن نستنبط حمدا آخَر؛ فإنّه لا أعلى مما وضعه العالِمُ المكَمَّلُ الذي شهد الله له بالعلم به، وأكرمه برسالته واختصاصه، وأمرنا بالاقتداء به واتّباعه.

فلا تُحدِث أمرا ما استطعتَ؛ فإنّك إذا سننتَ سنّة لم يجيء مثلها عن رسول الله ﷺ، وهي حسنة، فإنّ لك أجرها وأجر من عمل بها، وإذا تركت تسنينها، اتّباعا لكون رسول الله ﷺ لم يسنّها؛ فإنّ أجرَك في اتّباعك ذلك -أعني ترك التسنين- أعظمُ من أجرك من حيث ما سننتَ بكثير؛ فإنّ النبيّ ﷺ كان يكره كثرة التكليف على أُمّته، وكان يكره لهم أن يسألوا في أشياء؛ مخافة أن[1] ينزل عليهم في ذلك ما لا يطيقونه إلّا بمشقّة، ومَن سَنَّ فقد كلَّف، وكان النبيّ ﷺ أَوْلَى بذلك، ولكن تركه تخفيفا. فلهذا قلنا: الاتّباعُ في التركِ أعظمُ أجرا من التسنين، فاجعل بالك لما ذكرته لك.

ولقد بلغني عن الإمام أحمد بن حنبل ؓ أنّه ما أكل البطيخ، فقيل له في ذلك، فقال: "ما بلغني كيف كان رسول الله ﷺ يأكله" فلمّا لم تبلغ إليه الكيفيّة في ذلك؛ تَرَكَهُ. وبمثل هذا تقدّم علماءُ هذه الأمّة على سائر علماءِ الأمم.

هكذا هكذا وإلّا فلا لا[2]

فهذا الإمامُ عَلِمَ وتحقّق معنى قوله تعالى عن نبيّه ﷺ: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[3] وقوله: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾[4] والاشتغال بما سنّ مِن فعل، وقول، وحال، أكثر من أن نحيط به؛ فكيف أن نتفرّغ لِنَسُنَّ؟ فلا نكلّف الأمّة أكثر مما ورد.

---

(١) ص ٢٨

(٢) من بيت للمتنبي (٣٠٣-٣٥٤هـ) وهو:

ذي المَعالي فَليَعلَوَن مَن تَعالى هَكَذا هَكَذا وَإِلّا فَلا لا

(٣) [آل عمران: ٣١]

(٤) [الأحزاب: ٢١]

وصيّة: (عليك بأداء الأوجب من حقّ الله، وهو أن لا تشركَ به شيئا)

عليك بأداء الأوجب من حقّ الله، وهو أن لا تشركَ به شيئا من الشرك الخفيّ الذي هو الاعتماد على الأسباب الموضوعة، والركون إليها بالقلب، والطمأنينة بها؛ وهي[1] سكون القلب إليها وعندها؛ فإنّ ذلك من أعظم رزيّة دينيّة في المؤمن، وهو -والله أعلم- قوله من باب الإشارة: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[2] يعني -والله أعلم به- هذا الشرك الخفيّ الذي يكون معه الإيمان بوجود الله. والنقضُ في الإيمان بتوحيد الله في الأفعال، لا في الألوهة؛ فإنّ ذلك هو الشرك الجليّ الذي يناقض الإيمان بتوحيد الله في ألوهته، لا الإيمان بوجود الله.

ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أتدرون ما حقُّ الله على العباد؛ أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا» فأتى بلفظة "شيء"، و"شيء" نكرة؛ فدخل فيه الشرك الجليّ والخفيّ. ثمّ قال: «أتدرون ما حقّهم على الله إذا فعلوا ذلك: أن لا يعذّبهم» فاجعل بالَك من قوله: «أن لا يعذّبهم» فإنّهم إذا لم يشركوا بالله شيئا؛ لم يتعلّق لهم خاطر إلّا بالله؛ إذ لم يكن لهم توجّه إلّا إلى الله.

وإذا أشركوا بالله الشركَ الناقض للإسلام، أو الشرك الخفيّ؛ الذي هو النظر إلى الأسباب المعتادة؛ فإنّ الله قد عذّبهم بالاعتماد عليها؛ لأنّها معرَّضة للفقد. ففي حال وجودها؛ يتعذّبون بتوهُّم فَقْدِها، وبما ينقص منها. وإذا فقدوها؛ تعذّبوا بفقدها[3]؛ فهم معذَّبون على كلّ حال: في وجود الأسباب، وفقدها. وإذا لم يشركوا بالله شيئًا من الأسباب؛ استراحوا، ولم يبالوا بفقدها ولا بوجودها. فإنّ الذي اعتمدوا عليه، وهو الله، قادرٌ على إتيان الأمور من حيث لا يحتسبون، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجًا. وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[4] ولقد قال في ذلك بعضهم نظما وهو:

ومَـنْ يَتَّـقِ اللهَ يَجْعَـلْ لَهُ   كَمَا قالَ مِنْ أَمْرِهِ مَخْرَجا

(١) ص ٢٨ب
(٢) [يوسف: ١٠٦]
(٣) ص ٢٩
(٤) [الطلاق: ٢ ، ٣]

ويَرْزقْهُ مِنْ غَيْرِ حسْبانِهِ وإنْ ضاقَ أَمْرٌ بِهِ فَرَّجا

فمن علامة التحقُّق بالتّقوى؛ أن يأتي للمتّقي رزقُه من حيث لا يحتسب، وإذا أتاه من حيث يحتسب؛ فما تحقّق بالتّقوى، ولا اعتمد على الله؛ فإنّ معنى التّقوى في بعض وجوهه: أن تتّخذ الله وقاية من تأثير الأسباب في قلبك؛ باعتمادك عليها. والإنسانُ أبصر بنفسه، وهو يعلم من نفسه بمن هو أوثق، وبما تسكن إليه نفسُه. ولا يقول: "إنّ الله أمرني بالسعي على العيال، وأوجبَ عليّ النفقة عليهم؛ فلا بدّ من الكدِّ في الأسباب التي جرت العادة أن يرزقهم الله عندها" فهذا لا يناقض ما قلناه. فنحن إنما نهيناك عن الاعتماد عليها[1] بقلبك، والسكون عندها، ما قلنا لك: "لا تعمل بها". ولقد نمتُ عند تقييدي هذا الوجه، ثمّ رجعتُ إلى نفسي، وأنا أنشد بيتين لم أكن أعرفهما قبل ذلك وهما:

لا تَعْتَمِـدْ إلَّا عَـلَى اللهِ فَـكُلُّ أَمْـرٍ بِيَـدِ اللهِ
وهَذِهِ الأَسْبابُ حُجَّابُهُ فَلا تَكُنْ إلَّا مَعَ اللهِ

فانظر في نفسك؛ فإن وجدت أنّ القلب سكن إليها؛ فاتّهم إيمانك، واعلم أنّك لست ذلك الرجل. وإن وجدتَ قلبَك ساكنا مع الله، واستوى عندك حالةُ فَقْدِ السبب المعيّن، وحالةُ وجودِه، ولكن مع الفقد يكون ذلك؛ فاعلم أنّك ذلك الرجل الذي آمن ولم يشرك بالله شيئا، وأنّك من القليل. فإن رَزَقك من حيث لا تحتسب؛ فذلك بشرى من الله أنّك من المتّقين.

ومِن سِرّ هذه الآية أنّ الله، وإن رزقك من السبب المعتاد الذي في خزانتك، وتحت حكمك وتصريفك، وأنت متَّقٍ، أي قد اتّخذت اللهَ وقاية، فإنّه الواقي؛ فإنّك مرزوق من حيث لا تحتسب. فإنّه ليس في حسبانك أنّ الله يرزقك، ولا بدّ؛ مما بيدك، ومن الحاصل عندك؛ فما رزقك إلّا من حيث لا تحتسب. وإن أكلتَ وارتزقت من ذلك الذي بيدك، فاعلم ذلك؛ فإنّه[2] معنى دقيق، ولا يَشعر به إلّا أهلُ المراقبة الإلهيّة الذين يراقبون بواطنَهم وقلوبهم. فإنّ الوقايةَ، وليست إلّا الله، تمنعُ العبدَ من أن يصل إلى الأسباب بحكم الاعتماد عليها لاعتماده على

(١) ص ٢٩ب
(٢) ص ٣٠

الله ﷻ وهذا هو معنى قوله: ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ فهذا مخرج التّقوى في هذه الآية، وهي وصيّةُ الله عبدَه، وإعلامُه بما هو الأمر عليه.

* * *

وصيّة: (احذر أن تريد علوّا في الأرض)

احذر -يا وليّ- أن تريد علوّا في الأرض، والزم الخمول. وإن أعلى الله كلمتك؛ فما أعلى إلّا الحقّ، وإن رزقك الرفعة في قلوب الخلق؛ فذلك إليه ﷻ. والذي يلزمك التواضعُ والذلّةُ والانكسارُ؛ فإنّه إنما أنشأك من الأرض. فلا تَعْلُ عليها فإنّها أُمُّك، ومَن تكبّر على أُمّه فقد عَقّها، وعقوق الوالدين حرام. ثمّ إنّه قد ورد في الحديث: «إنّ حقّا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلّا وضعه» فإن كنت أنت ذلك الشيء؛ فانتظر وَضْعَ الله إيّاك. وما أخاف على مَن هذه صفته إلّا أنّ الله -تعالى- إذا وضعه؛ يضعه في النار، وذلك إذا رفع ذلك الشيءُ نفسَه، لا إذا رفعه الله. فذلك ليس إليه؛ إلّا أنّه لا بدّ أن يراقب الله فيما أعطاه من الرفعة في الأرض بولايةٍ وتقدُّم؛ يُخْدَمُ من أجله، ويُغْشَى بابُه، ويُلزَم رِكابُه؛ فلا يبرح ناظرا في عبوديّته وأصله؛ فإنّه[1] خُلِق من ضعفٍ، ومن أصلٍ موصوف بأنّه ذلول، ويعلم أنّ تلك الرفعة إنما هي للرتبة والمنصب، لا لذاته؛ فإنّه إذا عُزل عنها؛ لم يبق له ذلك الوزن الذي كان يتخيّله، وينتقل ذلك إلى مَن أقامه الله في تلك المنزلة؛ فالعلوّ للمنزلة، لا لذاته. فمَن أراد العلوَّ في الأرض؛ فقد أراد الولاية فيها، وقد قال رسول الله ﷺ في الولاية: «إنّها يوم القيامة حسرةٌ وندامة» فلا تكن من الجاهلين.

فالذي أوصيك به أنّك لا تريد علوّا في الأرض، وإن أعطاك الله، لا تطلب أنت من الله؛ إلّا أن تكون في نفسك صاحب ذلّة، ومسكنة، وخشوع. فإنّك لن تحصّل ذلك؛ إلّا أن يكون الحقّ مشهودا لك، وليس مدار الخلق والأكابر إلّا على أن يحصل لهم مقام الشهود؛ فإنّه الوجود المطلوب.

---

(١) ص ٣٠ب

وصيّة: (عليك بالاغتسال في كلّ يوم جمعة)

وعليك بالاغتسال في كلّ يوم[1] جمعة، واجعله قبل رواحك إلى صلاة الجمعة. وإذا اغتسلتَ فانوِ فيه أنّك تؤدّي واجبا؛ فإنّه قد ورد في الصحيح: «إنّ غسل الجمعة واجب على كلّ مسلم» وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «حقٌّ على كلّ مسلم أن يغتسل في كلّ سبعة أيّام» فيجمع بين الحديثين بغسل الجمعة؛ وذلك أنّ الله خلق سبعة أيّام، وهي أيّام الجمعة، فإذا انقضت جمعة[2] دارتِ الأيّام فهي الجديدة الدائرة؛ فلا تنصرف عنك دورة إلّا عن طهارة تحدثها فيها؛ إكراما لذاتها، وتقديسا، وتنظيفا. كما جاء في السِّواك: «إنّه مطهرة للفم، ومرضاة للربّ» وكذلك الغسلُ في الأسبوع مطهرةٌ للبدن، ومرضاةٌ للربّ. أي العبد فعل فعلا يرضي الله به، من حيث أنّ الله أمره بذلك؛ فامتثَل أمره.

* * *

وصيّة: (إيّاك والمِراء في شيء من الدين، وهو الجدال)

إيّاك والمِراء في شيء من الدين، وهو الجدال. فلا تخلو من أحد أمرين: إمّا أن تكون محِقًّا، أو مبطِلا، كما يفعل فقهاء زماننا اليوم في مجالس مناظراتهم؛ ينوون في ذلك تلقيح خواطرهم. فقد يلتزم المناظر في ذلك مذهبا لا يعتقده، وقولا لا يرتضيه، وهو يجادل به صاحبَ الحقّ الذي يعتقد فيه أنّه حقٌّ، ثمّ تخدعه النفس في ذلك؛ بأن تقول له: إنما نفعل ذلك لتلقيح الخاطر، لا لإقامة الباطل، وما علم أنّ الله عند لسان كلّ قائل، وأنّ العاميّ إذا سمع مقالته بالباطل، وظهوره على صاحب الحقّ، وهو عنده أنّه فقيه؛ عَمِلَ العاميُّ المقلِّد على ذلك الباطل لما رأى من ظهوره على[3] صفة الحقّ، وعجز صاحب الحقّ عن مقاومته؛ فلا يزال الإثم يتعلّق به ما دام هذا السامع يعمل بما سمع منه.

ولهذا ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ الثابت أنّه قال: «أنا زعيمٌ ببيت في ربض الجنّة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنّة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا». ومنه المِراء

---

(١) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٢) ص ٣١
(٣) ص ٣١ب

في الباطل. وكان رسول الله ﷺ يمزح، ولا يقول إلّا حقّا.

* * *

وصيّة: (عليك بحسن الأخلاق، وإتيان مكارمها، وتجنّب سفسافها)

وعليك بحسن الأخلاق، وإتيان مكارمها، وتجنّب سفسافها، فإنّ النبيّ ﷺ يقول: «إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق» وأنّه ﷺ قد ضمن بيتا في أعلى الجنّة لمن حسّن خُلقه. ولمّا كانت الأخلاق الحسنة عبارة عن أن يفعل مع المتخلَّق معه الذي يصرف أخلاقه معه في معاملته إيّاه، وعلمنا أنّ أغراض الخلق متقابلة، وأنّه إن أرضى زيدا أسخط عدوَّه عمرا، لا بدّ من ذلك؛ فمن المحال أن يقوم في خلق كريم يرضي جميع الخلائق.

ولمّا رأينا أنّ الأمر على هذا الحدّ، وأدخل اللهُ نفسَه مع عباده في الصحبة، كما[1] ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال لربّه: «أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل» وقال (تعالى): ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2] وقال: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[3] وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[4]؛ قلنا: فلا نصرف مكارم الأخلاق إلّا في صحبة الله خاصة؛ فكلّ ما يرضي الله نأتيه، وكلّ ما لا يرضيه نجتنبه، وسواء كانت المعاملة والخُلُق مما يخصّ جانب الحقّ أو تتعدّى إلى الغير، وأنّها وإن تعدّت إلى الغير؛ فإنّها مما يرضي الله، وسَواء عندك سخط ذلك الغير أو رضي. فإنّه إن كان مؤمنا؛ رضي بما يرضي الله، وإن كان عدوّا لله؛ فلا اعتبار له عندنا؛ فإنّ الله يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[5] وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[6] فحسنُ الخلق إنما هو فيما يرضي الله؛ فلا تصرفه إلّا مع الله، سَواء كان ذلك في الخَلق، أو فيما يختصّ بجناب الله.

---

(١) ص ٣٢

(٢) [الحديد: ٤]

(٣) [التوبة: ٤٠]

(٤) [طه: ٤٦]

(٥) [الحجرات: ١٠]

(٦) [الممتحنة: ١]

فمن راعى جناب الله؛ انتفع به جميعُ المؤمنين وأهلُ الذمّة؛ فإنّ لله حقّا على كلّ مؤمن في معاملة كلّ أحد من خلْق الله على الإطلاق من كلّ صنف من ملَك، وجانّ، وإنسان، وحيوان، ونبات، وجماد، ومؤمن، وغير مؤمن، وقد ذكرنا ذلك في[1] رسالة "الأخلاق" لنا، كتبنا بها إلى بعض إخواننا سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وهي جزء لطيف، غريب في معناه، فيه معاملة جميع الخَلق بالخُلُق الحسن الذي يليق به. وحسن الخُلُق بحسب أحوال مَن تُصَرِّفها فيه ومعه، هذا أمر عام، والتفصيل فيه لك بالواقع، فانظر فيه؛ فإنّه أكثر من أن تحصى آحاده، لما في ذلك من التطويل، والله الموفّق لا ربّ غيره.

وكذلك تجنّب سفساف الأخلاق، ولا تَعرف مكارمَ الأخلاق من سفسافِها إلّا حتى تَعرف مصارفَها؛ فإذا علمتَ مصارفها؛ علمتَ مكارمَها وسفسافَها، وهو علم خفيٌّ شريف. فلا يفوتنّك علمُ مصارف الأخلاق؛ فإنّ ذلك يختلف باختلاف الوجوه.

* * *

وصيّة: (عليك بالهجرة، ولا تقم بين أظهر الكفّار)

وعليك بالهجرة، ولا تقم بين أظهر الكفّار؛ فإنّ في ذلك إهانة دين الإسلام، وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله. فإنّ الله ما أمر بالقتال إلّا لتكون كلمةُ الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى. وإيّاك والإقامة، أو الدخول تحت ذمّة كافر ما استطعت.

واعلم أنّ المقيم بين أظهر الكفّار، مع[2] تمكّنه من الخروج من بين ظهرانيهم؛ لا حظّ له في الإسلام؛ فإنّ النبيّ ﷺ قد تبرّأ منه، ولا يتبرّأ رسول الله ﷺ من مسلم، وقد ثبت عنه أنّه ﷺ قال: «أنا بريء من مسلم يقيم بين أظهر المشركين» فما اعتبر له كلمة الإسلام. وقال الله -تعالى- فيمن مات وهو بين أظهر المشركين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) ص ٣٢ب
(٢) ص ٣٣

مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾(1).

ولهذا حجرنا، في هذا الزمان، على الناس زيارة بيت المقدس، والإقامة فيه؛ لكونه بيد الكفّار؛ فالولاية لهم والتحكم في المسلمين، والمسلمون معهم على أسوإ حال، نعوذ بالله من تحكّم الأهواء. فالزائرون اليوم البيت المقدس، والمقيمون فيه من المسلمين، هم من الذين قال الله فيهم: ﴿ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾(2). وكذلك فلتهاجر عن كلّ خُلق مذموم شرعا؛ قد ذمّه الحقُّ في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ.

*　　*　　*

وصيّة: (عليك باستعمال العلم في جميع حركاتك وسكناتك)

وعليك(3) باستعمال العلم في جميع حركاتك وسكناتك؛ فإنّ السخيَّ الكاملَ السخاءِ مَن يسخى بنفسه على العلم؛ فكان بحكم ما شرع اللهُ له؛ فَعَلِم وعَمِلَ وعلَّم مَن لم يَعلم. وقد أثنى رسول الله ﷺ على مَن قَبِل العلم وعمِل به وعلّمه، وذمّ نقيض ذلك، فثبت عنه ﷺ أنّه قال: «مَثَلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمَثَل غيثٍ أصاب أرضا، فكانت منها طائفة قبِلت الماء؛ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء؛ فنفع اللهُ به الناسَ؛ فشربوا منها، وسَقَوا، وزرعوا، وأصاب منها طائفة، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تُنبت كلأ. وكذلك مَن فَقِه في دين الله، ونفعه الله بما بعثني به؛ فعلِم وعمِل وعلَّم. ومَثَلُ مَن لم يرفع بذلك رأسا مَثَلُ القيعان التي لم تمسك ماء، ولا أنبتت كلأ».

فكن -يا أخي- ممن علِم وعمِل وعلَّم، ولا تكن ممن عَلِم وترك العمل؛ فتكون كالسراج أو كالشمعة تضيء للناس وتحرق نفسَك. فإنّك إذا عملت بما علمت؛ جعل الله لك فُرقانا ونورا، وورّثك ذلك العمل علما آخر لم تكن تعلمه؛ من العلم بالله، وبما لك فيه منفعة عند الله في آخرتك. فاجهد أن تكون من العلماء العاملين المرشدين.

---

(1) [النساء: 97]
(2) [الكهف: 104]
(3) ص 33ب

وصيّة[1]: (عليك بالتودّد لعباد الله من المؤمنين)

وعليك بالتودّد لعباد الله من المؤمنين؛ بإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والسعي في قضاء حوائجهم. واعلم أنّ المؤمنين أجمعهم جسدٌ واحد، كإنسان واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى. كذلك المؤمن إذا أصيب أخوه المؤمن بمصيبة؛ فكأنّه هو الذي أصيب بها؛ فيتألّم لتألّمه. ومتى لم يفعل ذلك المؤمن مع المؤمنين؛ فما ثبتت أخوّة الإيمان بينه وبينهم؛ فإنّ الله قد واخى بين المؤمنين، كما واخى بين أعضاء جسد الإنسان. وبهذا وقع المثل من النبيّ ﷺ في الحديث الثابت، وهو قوله ﷺ: «مَثَلُ المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسهر».

واعلم أنّ «المؤمنَ كثيرٌ بأخيه»، وأنّ "المؤمنَ" لمّا كان من أسماء الله، مع ما ينضاف إلى ذلك مِن خَلْقِه على الصورة؛ ثبت النَّسب، و«المؤمنُ أخو المؤمنِ لا يُسلِمه ولا يخذله». فمن كان مؤمنا بالله، من حيث ما هو الله مؤمن؛ فإنّه يصدقه في فعله، وقوله، وحاله، وهذه هي العصمة؛ فإنّ[2] اللهَ من كونه مؤمنا يصدقه في ذلك، ولا يصدق اللهُ إلّا الصادق؛ فإنّ تصديق الكاذب على الله محال؛ فإنّ الكذب عليه محال، وتصديق الكاذب كذبٌ بلا شكّ. فمن ثبت إيمانه بالله من كون الله مؤمنا؛ فإنّ هذا العبد لا شكّ أنّه من الصادقين في جميع أموره مع الله؛ لأنّه مؤمن بـ(أنّ) الله مؤمن به أيضا. فتنبّه لما دللتك عليه، ووصّيتك به في الإيمان بالله من كونه مؤمنا؛ تنتفع. فإنّي قد أريتك الطريق الموصل إلى نيل ذلك، واعتصِم بالله ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[3] فإنّ الله على صراط مستقيم، وليس إلّا ما شرعه لعباده.

* * *

وصيّة: (لا تكترث لما يصيبك الله به من الرزايا)

لا تكترث لما يصيبك الله به من الرزايا في مالك، ومَن يعزُّ عليك من أهلك؛ مما يسمّى في

---

(١) ص ٣٤

(٢) ص ٣٤ب

(٣) [آل عمران: ١٠١]

العُرف رزيّة ومصابا، وقل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[1] عند نزولها بك، وقل فيها كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: ما أصابتني من مصيبة إلّا رأيت أنّ لله عليّ فيها ثلاث نِعم: النعمة الواحدة حيث لم تكن المصيبة في ديني، والنعمة الثانية حيث لم يكن ما هو أكبر منها؛ فدفع الله بها ما هو أعظم منها، والنعمة الثالثة ما جعل الله[2] فيها من الأجر بالكفّارة لما كنّا نتوقّاه من سيّئات أعمالنا".

واعلم أنّ المؤمن في الدنيا كثير الرزايا؛ لأنّ اللهَ يحبّ أن يطهّره؛ حتى ينقلب إليه طاهرا مطهَّرا من دنس المخالفات التي كتب الله عليه في الدنيا أن يقام فيها؛ فلا يزال المؤمنُ مُرْزأ في عموم أحواله، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ في ذلك: «مَثَلُ المؤمن كمَثَلِ الخامة من الزرع: تصرعها الريح مرّة، وتعدلها أخرى حتى تهيج».

* * *

وصيّة: (عليك بتلاوة القرآن وتَدَبُّرِه)

عليك بتلاوة القرآن وتَدَبُّرِه، وانظر في تلاوتك إلى ما حُمِد فيه من النعوت والصفات التي وصف الله بها مَن أحبّه من عباده؛ فاتَّصِفْ بها، وما ذمّ الله في القرآن من النعوت والصفات التي اتّصف بها مَن مَقته الله؛ فاجتنبها؛ فإنّ الله ما ذكرها لك، وأنزلها في كتابه عليك، وعرّفك بها إلّا لتعمل بذلك. فإذا قرأتَ القرآن؛ فكن أنت القرآن لما في القرآن، واجتهد أن تحفظه بالعمل كما حفظتَه بالتلاوة؛ فإنّه لا أحدَ أشدُّ عذابا يوم القيامة مِن شخص حفظ آية ثمّ نسيها، كذلك مَن حفظ آية ثمّ ترك العمل بها؛ كانت عليه شاهدةً يوم القيامة[3] وحسرةً. وإنّه قد ثبت عن رسوله الله ﷺ في أحوال مَن يقرأ القرآن، ومَن لا يقرؤه من مؤمن ومنافق، فقال ﷺ: «مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مَثَلُ الأُتْرُجَّة ريحها طيّب» يعني بها التلاوة والقراءة؛ فإنّها أنفاسٌ تخرج، فشبّهها بالروائح التي تعطيها الأنفاس «وطعمها طيّب» يعنى به الإيمان، ولذلك. قال: «ذاق طعمَ الإيمان مَن رضي بالله ربّا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيّا» فنسب الطعمَ للإيمان، ثمّ قال:

(١) [البقرة: ١٥٦]
(٢) ص ٣٥
(٣) ص ٣٥ب

«ومَثَلُ المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كَمَثَلِ التمرة طعمُها طيّب» من حيث أنّه مؤمن ذو إيمان، ولا ريح لها من حيث أنّه غير تالٍ في الحال التي لا يكون فيها تاليا، وإن كان من حفّاظ القرآن، ثمّ قال: «ومَثَلُ المنافق الذي يقرأ القرآن كَمَثَلِ الريحانة ريحها طيّب» لأنّ القرآنَ طيّب، وليس سِوَى أنفاس التالي والقارئ، في وقت تلاوته وحال قراءته «وطعمها مُرّ» لأنّ النفاق كفر الباطن؛ لأنّ الحلاوة للإيمان؛ لأنّها مستلذّة، ثمّ قال: «ومَثَل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرّ ولا ريح لها» لأنّه غير قارئ في الحال.

وعلى هذا المساق؛ كلُّ كلام طيّب فيه رضا الله؛ صورتُه من المؤمن والمنافق صورةُ القرآن في التمثيل. غير[1] أنّ القرآن منزلته لا تخفى؛ فإنّ كلام الله لا يضاهيه شيء من كلّ كلام مقرّب إلى الله.

فينبغي للذاكر إذا ذكر الله متى ذكره؛ أن يُحْضِر في ذِكْرِه ذلك ذِكْرًا من الأذكار الواردة في القرآن؛ فيذكر الله به ليكون قارئا في الذِّكْرِ، وإذا كان قارئا؛ فيكون حاكيا للذِكْرِ الذي ذَكَر اللهُ به نفسَه، وإذا كان كذلك؛ فقد أنزل نفسَه فيه منزلةَ ربّه منه، وهو قوله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[2] وقوله: «إنّ الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده» ويقال للقارئ يوم القيامة: «اقرأ وارْقَ» ورُقِيُّهُ في الدنيا في أيّام التكليف في قراءته؛ أن يرقى من تلاوته إلى تلاوته؛ بأن يكون الحقّ هو الذي يتلو على لسان عبده، كما يكون سمعَه الذي به يسمع، وبصرَه الذي به يبصر، ويديه اللتين بهما يبطش، ورجليه اللتين بهما يسعى، كذلك هو لسانه الذي به ينطق ويتكلّم؛ فلا يحمد الله، ولا يسبّحه، ولا يهلّله إلّا بما ورد في القرآن عن استحضار منه لذلك. فيرقى مِن قراءته بنفسه إلى قراءته بربّه؛ فيكون الحقُّ هو الذي يتلو كتابه؛ فيرتفع يوم القيامة في الآية التي ينتهي إليها في قراءته ويقف عندها؛ إلى الدرجة التي تليق بتلك الآية، التي يكون الحقّ هو التالي لها بلسان هذا العبد؛ عن حضور من العبد التالي

---

(١) ص ٣٦

(٢) [التوبة: ٦]

لذلك؛ فإنّ أفضل الكلام كلام الله الخاصّ المعروف[1] في العرف.

*   *   *

وصيّة: (عليك بمجالسة مَن تنتفع بمجالسته في دينك)

وعليك بمجالسة مَن تنتفع بمجالسته في دينك مِن عِلْمٍ تشهده منه، أو عمل يكون فيه، أو خُلُقٍ حسن يكون عليه. فإنّ الإنسان إذا جالس مَن تُذِكِّره مجالسته الآخرة؛ فلا بدّ أن يتحلّى منها بقدر ما يوفّقه الله لذلك. وإذا كان الجليسُ له هذا التعدّي؛ فاتّخذ الله جليسا بالذِّكْر، والذِّكْرُ القرآنُ، وهو أعظم الذِّكْر. قال -تعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾[2] يعني القرآن، وقال: «أنا جليس مَن ذكرني» وقال ﷺ: «أهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصّته» وخاصّةُ المَلِك جلساؤه في أغلب أحوالهم، والله له الأخلاق وهي الأسماء الحسنى الإلهيّة. فمن كان الحقَّ جليسُه؛ فهو أنيسه؛ فلا بدّ أن ينال من مكارم أخلاقه على قدر مدّة مجالسته.

ومَن جلس إلى قوم يذكرون الله؛ فإنّ الله يُدخله معهم في رحمته «فهم القوم الذين لا يشقى جليسُهم» فكيف يشقى مَن كان الحقّ جليسه، وقد ورد في الحديث الثابت: «إنّ الجليس الصالح كصاحب المِسْكِ إن لم يصبك منه أصابك مِن ريحه. والجليس السوء كصاحب الكير إن لم يُصِبْكَ مِن[3] شَرَرِه أصابك من دخانه» وهو أنّه مَن خالط أصحاب الرِّيَب؛ ارتيب فيه؛ وذلك لما غلب على الناس من سوء الظنّ بالناس لخبث بواطنهم.

وهنا فائدة أنبّهك عليها أَغفلَها الناسُ، وهي تدعو إلى حسن الظنّ بالناس، ليكون محلّك طاهرا من السُّوء. وذلك أنّك إذا رأيت مَن يعاشر الأشرار، وهو خَيِّرٌ عندك؛ فلا تسيء الظنَّ به لصحبته الأشرار؛ بل حسِّن الظنّ بالأشرار لصحبتهم ذلك الخيِّر، واجعل المناسبة في الخير لا في الشرّ؛ فإنّ الله ما سأل أحدا قطّ يوم القيامة عن حسن الظنّ بالخَلق، ويسأله عن سوء الظنّ بالخَلق؛ ويكفيك هذا نُصحا إن قَبِلت، ووصيّة إن قلت بها.

---

(١) ص ٣٦ب

(٢) [الحجر: ٩]

(٣) ص ٣٧

والذاكر ربَّه حياتُه متّصلة دائمة لا تنقطع بالموت(١)؛ فهو حيّ -وإن مات- بحياةٍ هي خير وأتَمّ من حياة المقتول في سبيل الله، إلّا أن يكون المقتول في سبيل الله من الذاكرين؛ فهي حياة الشهيد وحياة الذاكر. فالذاكر حيّ وإن مات، والذي لا يذكر الله ميّتٌ، وإن كان في الدنيا من الأحياء؛ فإنّه حيّ بالحياة الحيوانيّة، وجميعُ العالم حيّ بحياة الذِّكْر. فمَثَل الذي يذكر(٢) ربّه والذي لا يذكر ربَّه مَثَلُ الحيّ والميّت، كذا مَثَّلَه رسولُ الله ﷺ.

وأمّا ما ادّعيتُه في أنّ الذاكر أفضل من الشهيد الذي لا يذكر الله؛ فلِما صحّ عن رسول الله ﷺ في قوله: «ألا أُنبّئكم» أو كما قال: «بخيرٍ لكم من أن تلقوا عدوّكم فيضربَ رقابكم وتضربون رقابهم؟ ذِكْرُ الله» فذَكَرَ ضرب الرقاب، وهو الشهادة، فذِكْرُ(٣) العبدِ ربَّه أفضلُ من قتل الشهيد. وثبت عنه أنّ الذاكر حيٌّ؛ فخرج من ذلك أنّ حياة الذاكر خيرٌ من حياة الشهيد إذا لم يكن (الشهيد) ذاكرا ربّه ﷻ.

* * *

وصيّة: (عليك بإقامة حدود الله في نفسك وفيمن تملكه)

وعليك بإقامة حدود الله في نفسك وفيمن تملكه؛ فإنّك مسئول من الله عن ذلك. فإن كنتَ ذا سلطانٍ؛ تعيّن عليك إقامةُ حدود الله فيمن ولّاك الله عليه؛ «فكلّكم راعٍ ومسئول عن رعيّته»، وليس سِوَى إقامةِ حدود الله فيهم. وأَقلُّ الولايات؛ ولايتُك على نفسك وجوارحك. فأَقِم فيها حدودَ الله إلى الخلافة الكبرى؛ فإنّك نائبُ الله على كلّ حال في نفسك فما فوقها. وقد ورد(٤) الحديث الثابت في الذي يقيم حدود الله والواقع فيها فمَثَّلَهُما رسول الله ﷺ «بقوم استهموا على سفينة؛ فأصاب بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفلها. فكان الذين أسفلها إذا استقَوا مَرُّوا على مَن فوقهم، فقالوا: إنّا نخرق في نصيبنا، لا نؤذي مَن فوقَنا. فإن تركوهم وما أرادوا؛ هلكوا جميعا».

---

(١) ق: "لا تنقطع إلا بالموت" وفي الهامش: "لا تنقطع بالموت" وفوقها حرف ظ (أي ظن)، والترجيح من س
(٢) ص ٣٧ب
(٣) ق: "وذكر" والترجيح من س
(٤) ص ٣٨

فإذا خطر لك - يا وليّي- خاطِرٌ يأمرك بالخير؛ فذلك لَمّةُ المَلَك. ثمّ يأتي بعد ذلك خاطرٌ ينهاك عن ذلك الخير أن تفعله؛ فذلك لَمّةُ الشيطان. ولا تعرف الخير والشرّ إلّا بتعريف الشرع. وإذا خطر لك خاطر يأمرك بفعل الشرّ؛ فذلك لَمّة الشيطان. فإذا أعقبه خاطر ينهاك عن فعل ذلك الشرّ؛ فذلك لَمّة المَلَك. وأنت السفينة: إن انخرقت هلكتَ، وهلك جميع مَن فيك. فعليك بعلم الشريعة؛ فإنّك لن تعلم حدود الله؛ حتى تقوم بها، أو تعرف مَن يقع فيها ممن قام بها؛ إلّا أن تعلم علم الشريعة؛ فيتعيّن عليك طلبُ علم الشريعة لإقامة حدود الله.

* * *

وصيّة: (عليك بالصدقة)

وعليك بالصدقة؛ فإنّ الله قد ذكر المتصدّقين والمتصدّقات. وهي[1] فرضٌ ونفل؛ فالفرض منها يسمّى زكاة، والنفل منها يسمّى تطوّعا. وبالفرض منها يزول عنك اسم البخل، وبصدقة التطوّع منها تنال الدرجات العلى، وتتّصف بصفة الكرم، والجود، والإيثار، والسخاء. وإيّاك والبخل. ثمّ إنّه عليك في مالِك حقٌّ زائد على الزكاة المفروضة؛ وهو إذا رأيت أخاك المؤمن على حالة الهلاك، بحيث أنّك إذا لم تعطِه مِن فضل مالِك شيئا هلكَ هو وعائلته، إن كانت له عائلة. فيتعيّن عليك أن تواسيه؛ إمّا بالهبة أو بالقرض؛ فلا بدّ من العطاء، وذلك العطاء صدقة. حتى أنّي سمعت بعض علمائنا بأشبيلية يقول في حديثِ «هل عليَّ غيرها» يعني في الزكاة المفروضة، قال (ص): «لا إلّا أن تطوّع»، قال لي ذلك الفقيه: "فيجب عليك" فاستحسنتُ ذلك منه - رحمه الله-.

وإنما سمّى اللهُ الإنسانَ متصدِّقا، وسمّى ذلك العطاءَ صدقة، فرضًا كان أو نفلا؛ لأنّه أعطى ذلك عن شدّة لكونه مجبولا على البخل، فإنّ الله يقول فيه: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[2] فقال ﷺ في فضل الصدقة وزمانها: «أن تصّدّق وأنت صحيح شحيح، تخاف الفقر وتأمل الحياة

---

(١) ص ٣٨ب
(٢) [المعارج: ٢١]

والغنى» يقول[1] الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2] أي الناجون. لأنّ الإنسان إذا كان له مالٌ، ويأمل الحياة؛ فإنّه يخاف أن يفتقر ويذهب ما بيده من المال بطول حياته لنوائب الزمان، وأمله بطول حياته؛ فيؤدّيه ذلك إلى البخل بما عنده من المال، والإمساك عن الصدقة والتوسعة على المحتاجين مما آتاه الله من الخير. فهو يكنزه، ولا ينفقه، ولا يؤدّي زكاته؛ حتى يُكوى به جنبُه وجبينُه وظهرُه، كما قال -تعالى- فيهم: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[3]. فلهذا العطاءُ عن شدّة سُمّيت صدقة، يقال: "رُمْحٌ صَدْقٌ" أي صُلْبٌ.

وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلا في البخيل والمتصدِّق، فقال ﷺ: «مَثَل البخيل والمتصدِّق كمثل رجلين عليهما جُبّتان من حديد قد اضطرّت أيديهما إلى تراقيهما، فجعل المتصدِّق كلّما تصدّق بصدقة انبسطت عليه حتى تُجِنَّ ثيابه وتعفو أثره، وجعل البخيل كلّما همّ بصدقة قلصت، وأخذت كلّ حلقة مكانها».

فإيّاك والبخل فإنّه[4] يرديك، ويوردك الموارد المهلكة في الدنيا والآخرة. ولا يجعلك تتكرّم وتتصدّق إلّا استعمالُ العلمِ؛ فإنّك إذا علمتَ أنّ رزقَك لا يأكله، ولا يقتات به، ولا يحيا به غيرُك، ولو اجتمع أهل السماوات والأرض على أن يحولوا بينك وبين رزقك ما أطاقوا، وإذا علمتَ أنّ رزق غيرك فيما أنت مالكه؛ لا بدّ أن يصل إليه حتى يتغذّى به ويحيا، وأنّ أهل السماوات والأرض لو اجتمعوا على أن يحولوا بينه وبين رزقه، الذي هو في مِلكك؛ ما أطاقوا.

فادفع إليه مالَه إذا خطر لك خاطر الصدقة؛ تتّصف بالكرم والثناء الجميل، وأنت ما أعطيتَه إلّا ما هو له بحقٍّ، في نفس الأمر عند الله، وأنت محمود. فإذا علمتَ هذا؛ هان عليك إخراج ما بيدك، ولحقتَ بأهل الكرم، وكُتبتَ في المتصدّقين؛ إن أخرجتَ ذلك عن تردّد ومكابدة،

---

(١) ص ٣٩
(٢) [الحشر: ٩]
(٣) [التوبة: ٣٥]
(٤) ص ٣٩ب

وأتبعتَة نفسك، ورأيت بذلك أنّ لك فضلا على مَن أوصلتَه تلك الراحة. فإيّاك أن تجهل على أحد، كما تحبُّ أن لا يُجهل عليك. وقد كان رسول الله ﷺ يقول في تعوّذاته: «وأعوذ بك أن أَجهل أو يُجهل عليّ» فمن حكم فيك بالعلم فقد أنصفك.

* * *

وصيّة: (عليك بالجهاد الأكبر، وهو جهادُك هواك)

عليك[1] بالجهاد الأكبر، وهو جهادُك هواك؛ فإنّه أكبر أعدائك، وهو أقرب الأعداء إليك الذين يلونك؛ فإنّه بين جنبيك، والله يقول -سبحانه-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾[2] ولا أَكْفَر عندك من نفسك؛ فإنها في كلّ نفَس تكفر نعمةَ الله عليها من بعد ما جاءتها. فإنّك إذا جاهدتَ نفسك هذا الجهاد؛ خَلُص لك الجهاد الآخر في الأعداء الذي إن قُتِلت فيه؛ كنت من الشهداء الأحياء الذين عند ربّهم يُرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، مستبشرين بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم.

وقد علمتَ فضل المجاهد في سبيل الله في حال جهاده، حتى يرجع إلى أهله بما اكتسبه من أجرٍ وغنيمة؛ أنّه كالصائم، القائم، القانت بآيات الله، لا يفتر من صلاة ولا من صيام، حتى يرجع المجاهد. وقد علمتَ بالحديث الصحيح أنّ «الصوم لا مِثل له» وقد قام الجهاد مقامَه ومقامَ الصلاة، وثبت هذا عن رسول الله ﷺ وهذا في الجهاد الذي فرضه الله -تعالى- المعيَّن، ويعصي الإنسانُ بتركه، لا بدّ من ذلك. ولا يزال العبد العالِم، الناصِح نفسَه، المستبرئ لدينه في جهاد أبدا؛ لأنّه مجبول على خلاف ما دعاه إليه الحقّ. فإنّه بالأصالة متَّبِعٌ هواه[3]، الذي هو بمنزلة الإرادة في حقّ الحقّ:

فَيَفْعَلُ الحَقُّ ما يُرِيْدُهْ فإنّنا كُلَّنَا عَبِيْدُهْ

ولا تحجير عليه. ويريد الإنسان أن يفعل ما يهوى، وعليه التحجير؛ فما هو مطلَق الإرادة؛

(١) ص ٤٠
(٢) [التوبة: ١٢٣]
(٣) ص ٤٠ب

فهذا هو السبب الموجب في كونه لا يزال مجاهِدا أبدا. ولذلك طلب أصحابُ الهمم أن يلحقوا بدرجات العارفين بالله حتى تكونَ إرادتُهم إرادةَ الحق؛ أي يريدون جميع ما يريده الحقُّ، وهو ما هم[١] الخلق عليه؛ فيريدونه من حيث أنّ الله أراد إيجادَه، ويكرهون منه بكراهة الحقِّ ما كرهه الحقُّ، ووصف نفسه بأنّه لا يرضاه. فهو يريده ولا يرضاه، ويريده ويكرهه في عين إرادته إن أراد أن يكون مؤمنا، وإن لم يكن كذلك وإلّا فقد انسلخ من الإيمان، نعوذ بالله من ذلك، فإنّه غاية الحرمان، وهذا هو الحقّ الممقوت، كما تقول في الغيبة: إنّها الحقّ المنهيّ عنه.

* * *

وصيّة: (عليك بإسباغ الوضوء على المكارِه)

وعليك بإسباغ الوضوء على المكارِه، وذلك في زمان البرد. واحذر من الالتذاذ باستعمال الماء البارد في زمان الحرّ؛ فتسبغ الوضوء لالتذاذك به في زمان الحرّ؛ فتتخيّل أنّك ممن[٢] أسبغ الوضوء عبادة، وأنت ما أسبغته إلّا لوجود الالتذاذ به؛ لما أعطاه الحال والزمان من شدّة الحرّ. فإذا أسبغته في شدّة البرد؛ صار لك عادة. وقال رسول الله ﷺ: «الخيرُ عادة» فاصحبْ تلك النيّة في زمان الحرّ. فإن غلبتك النفسُ على الإسباغ بما تجده من اللذّة المحسوسة في ذلك؛ فاعلم أنّ الالتذاذ هنا إنما وقع بدفع ألم الحرّ وإزالته؛ فانْوِ في ذلك دفع الألم عن نفسك (فإنّك مأجور في دفع المضارّ عنك). ألا ترى قاتل نفسِه[٣] كيف حرّم الله عليه الجنّة؟ فحقُّ النفس على صاحبها أعظمُ من حقّ الغير عليه؛ فكذلك يؤجر في دفع الألم عن نفسه.

وإنّ الله يرفع بإسباغ الوضوء على المكاره درجةَ العبد، ويمحو اللهُ به الخطايا. قال ﷺ: «ألا أنبّئكم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغُ الوضوء على المكاره» فهذا محو الخطايا؛ فإنّه تنظيف وتطهير، ثمّ قال: «وكثرةُ الخُطا إلى المساجد» (فهذا رفع درجات) فإنّه سلوك في صعود ومشي، ثمّ قال تمام الحديث وهو: «وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط؛ فذلكم

(١) أثبت فوقها بقلم الأصل: "هو"
(٢) ص ٤١
(٣) "ألا ترى قاتل نفسه" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع حرف ت

الرباط؛ فذلكم الرباط» والرباطُ الملازمةُ، مِن ربطت الشيء. وبالانتظار قد ألزم نفسَه، فربط[1] الصلاة بالصلاة المنتظرة؛ بمراقبة دخول وقتها؛ ليؤدّيها في وقتها. وأيّ لزوم أعظم من هذا؟ فإنّه يوم واحد مقسَّم على خمس صلوات، ما منها صلاة يؤدّيها فيفرغ منها، إلّا وقد ألزم نفسَه مراقبة دخول وقت الأخرى، إلى أن يفرغ اليوم، ويأتي يوم آخر؛ فلا يزال كذلك. فما ثَمّ زمان لا يكون فيه مراقِبا لوقت أداء صلاة، لذلك أكّده بقوله ثلاث مرّات.

فانظر إلى علم رسول الله ﷺ بالأمور؛ حتى أنزل كلَّ عمل في الدنيا منزلتَه في الآخرة، وعيّن حكمَه، وأعطاه حقَّه، فذَكَر وضوءًا ومشيا وانتظارا، وذكر محوًا ورفعَ درجة ورباطا، ثلاث لثلاث، هذا يدلّك على شهوده مواضع الحكم، ومن هنا وأمثاله، قال عن نفسه: «إنّه أوتي جوامع الكلم».

* * *

وصيّة: (عليك بمراعاة كلّ مسلم)

وعليك بمراعاة كلّ مسلم، من حيث هو مسلم، وساوِ بينهم كما سوّى الإسلام بينهم في أعيانهم، ولا تقل: هذا ذو سلطان، وجاهٍ، ومالٍ، وكبيرٌ، وهذا: صغيرٌ، وفقير، وحقير. ولا تخفر صغيرا ولا كبيرا في ذمّته، واجعل الإسلام كلَّه كالشخص الواحد، والمسلمين كالأعضاء لذلك الشخص، وكذلك هو الأمر. فإنّ الإسلام ما[2] له وجود إلّا بالمسلمين، كما أنّ الإنسان ما له وجود إلّا بأعضائه، وجميع قواه الظاهرة والباطنة. وهذا الذي ذكرناه هو الذي راعاه رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه من قوله في ذلك: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يدٌ واحدة على مَن سِوَاهم» وقال: «المسلمون كرجل واحدٍ إن اشتكى عينُه اشتكى كلُّه، وإن اشتكى رأسُه اشتكى كلُّه» ومع هذا التمثيل فأنْزِل كلّ أحد منزلته، كما أنّك تعامل كلّ عضو منك بما يليق به، وما خُلِق له؛ فتغضّ بصرك عن أمر لا يعطيه السمع، وتفتح سمعك لشيء لا يعطيه البصر، وتصرف يدك في أمر لا يكون لرجلك، وهكذا جميع قواك؛ فتنزل كلّ عضو

(١) ص ٤١ب
(٢) ص ٤٢

منك فيما خُلق له.

كذلك؛ وإن اشترك المسلمون في الإسلام، وساويت بينهم؛ فأعطِ العالِم حقّه من التعظيم والإصغاء إلى ما يأتي به، وأعط الجاهل حقّه من تذكيرك إيّاه وتنبيهه على طلب العلم والسعادة، وأعط الغافل حقّه بأن توقظه من نوم غفلته؛ بالتذكّر لما غفل عنه، مما هو عالِم به، غير مستعمل علمَه، وكذلك الطائع والمخالف.

وأعط السلطان حقّه من السمع والطاعة فيما هو مباحٌ لك[1] فعلُه وتركُه؛ فيجب عليك بأمره ونهيه أن تسمع له وتطيع؛ فيعود -لأمر السلطان ونهيه- ما كان مباحا قبل ذلك؛ واجبا أو محظورا بالحكم المشروع من الله، في قوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[2]. وأعط الصغير حقَّه من الرفق به، والرحمة له، والشفقة عليه. وأعط الكبير حقّه من الشرف والتوقير؛ فإنّ من السنّة: رحمة الصغير، وتوقير الكبير، ومعرفةُ شرفِه. ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «ليس منّا من لم يرحم صغيرَنا ويعرف شرف كبيرنا» وفي حديث: «ويوقّر كبيرَنا».

وعليك برحمة الخلق أجمع، ومراعاتهم، كانوا ما كانوا؛ فإنّهم عبيدُ الله وإن عَصَوا، وخَلْقُ الله وإن فَضُل بعضُهم بعضا. فإنّك إذا فعلت ذلك أُوجِرْتَ، فإنّه ﷺ قد ذكر أنّه «في كلّ ذي كبد رطبة أجر» ألا ترى إلى الحديث الوارد في البغيّ «أنّ بغيًّا من بغايا بني إسرائيل، وهي الزانية، مرّت على كلبٍ قد خرج لسانه من العطش، وهو على رأس بئر. فلمّا نظرت إلى حاله؛ نزعت خُفَّها، وملأته بالماء من البئر، وسقت الكلب؛ فشكر الله فعلها؛ فغفر لها بكلب».

وأخبرني الحسن الوجيه المدرس بملطية الفارسيّ عن والي بخارى، وكان ظالما مُسْرِفًا على[3] نفسه، فرأى كلبا أجرب في يوم شديد البرد، وهو ينتفض من البرد، فأمر بعض شاكريّته؛ فاحتمل الكلبَ إلى بيته، وجعله في موضع حارّ، وأطعمه وسقاه، ودفئ الكلب. فرأى (الوالي) في النوم، أو سمع هاتفا -الشكُّ منّي- يقول له: "يا فلان؛ كنتَ كلبا فوهبناك لكلب" فما بقي إلّا

(١) ص ٤٢ب
(٢) [النساء: ٥٩]
(٣) ص ٤٣

أيّاما يسيرة ومات؛ فكان له مشهد عظيم لشفقته على كلب! وأين المسلم من الكلب؟!

فافعل الخير ولا تبالِ فيمن تفعله؛ تكن أنت أهلًا له، ولتأت كلَّ صفة محمودة من حيث ما هي من مكارم الأخلاق؛ تتحلّى بها، وكن محلّا لها؛ لشرفها عند الله، وثناء الحقّ عليها. فاطلب الفضائل لأعيانها، واجتنب الرذائل العرفيّة لأعيانها، واجعل الناس تبعا؛ لا تقف مع ذمِّهم ولا حمدهم، إلّا أنّك تقدِّم الأَوْلَى فالأَوْلَى إن أردت أن تكون من الحكماء المتأدّبين بآداب الله التي شرعها للمؤمنين على ألسنة الرسل -عليهم السلام-. واعلم أنّ «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا» وما في العالَم إلّا مؤمن؛ لأنّ ما في العالَم إلّا مَن هو ساجد لله، إلّا بعض الثقلين من[1] الجنّ والإنس؛ فإنّ في الإنسان الواحد منهم كثير ممن يسبّح الله ويسجد لله، وفيه مَن لا يسجد لله؛ وهو الذي حَقّ عليه العذاب.

انظر في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾[2] فسمّاهم مؤمنين، وأمرهم بالإيمان. فالأوّل عمومُ الإيمان؛ فإنّ الله قال في حقّ قوم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[3] والثاني خصوص الإيمان، وهو المأمور به. والأوّل إقرار منهم من غير أن يقترن به تكليف بل ذلك عن علم، وأيسرُه في بني آدم حين أشهدهم على أنفسهم، كما قال: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّٰتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[4] فخاطبهم بالمؤمنين حين أيَّهَ بهم، ثمّ أمرهم بالإيمان في هذه الحالة الأخرى، وما تعرّض للتوحيد المطلَق؛ رحمة بهم، فإنّه القائل: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[5] الشركَ الخفيَّ، وقد ذكرناه. فلذلك قال لهم: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾[6] ولم يقل: "بتوحيد الله" فمن آمن بوجود الله فقد آمن، ومن آمن بتوحيده فما أشرك. فالإيمانُ إثباتٌ، والتوحيدُ نفيُ شريك. ومن أسماء الله: "المؤمن" وهو يشدّ من المؤمن المخلوق. قال ﷺ: «يرحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد» وهو الاسم: "المؤمن". فالمؤمن[7] يشدّ من المؤمن، فافهم. هَٰذَا

---

(١) ص ٤٣ب
(٢) [النساء: ١٣٦]
(٣) [العنكبوت: ٥٢]
(٤) [الأعراف: ١٧٢]
(٥) [يوسف: ١٠٦]
(٦) [النساء: ١٣٦]
(٧) ص ٤٤

وصيّة: (كن عُمَرِيّ الفعل)

كن عُمَرِيّ الفعل؛ فإنّ عمر بن الخطاب ﷺ يقول: "مَن خَدَعَنا في الله انخدعنا له" فاحذر - يا أخي- إذا رأيت أحدا يخدعك في الله، وأنت تعلم بخداعه إيّاك؛ فمِن كرم الأخلاق أن تنخدع له، ولا توجِدَه أنّك عرفت بخداعِه، وتَبَالَهْ له حتى يغلب على ظنّه أنّه قد أثّر فيك بخداعه، ولا يدري أنّك تعلم بذلك. لأنّك إذا قمت في هذه الصفة؛ فقد وفّيت الأمر حقَّه؛ فإنّك ما عاملت إلّا الصفة التي ظهر لك بها، والإنسان إنما يعامِل الناس لصفاتهم، لا لأعيانهم. ألا تراه لو كان صادقا غير مخادِع؛ لوجب عليك أن تعامله بما ظهر لك منه؟ وهو ما يَسعدُ إلّا بصدقه، كما أنّه يشقى بخداعه ونِفاقه؛ فإنّ المخادع منافق.

فلا تفضحه في خداعه، وتجاهل له، وانصبِغ له باللون الذي أراده منك أن تنصبغ له به، وادعُ له وارحمه؛ عسى الله أن ينفعه بك، ويجيب فيه صالح دعائك. فإنّك إذا فعلت هذا كنتَ مؤمنا حقًّا؛ فإنّ «المؤمنَ غِرٌّ كريم»؛ لأنّ خُلُق الإيمان تعطي المعاملة بالظاهر، «والمنافق[1] خِبٌّ لئيم»، أي لئيم على نفسه؛ حيث لم يسلك بها طريق نجاتها وسعادتها.

كن رداء وقميصا لأخيك المؤمن، وحُطّهُ من ورائه، واحفظه في نفسه، وعِرْضِه، وأهله، وولده؛ فإنّك أخوه بنصّ الكتاب العزيز، واجعله مرآةً ترى فيها نفسك؛ فكما تزيل عنك كلّ أذى تكشفه لك المرآة في وجهك، كذلك فَلْتُزِلْ عن أخيك المؤمن كلّ أذى يتأذّى به في نفسه؛ فإنّ نفسَ الشيء وجهُه وحقيقتُه.

* * *

وصيّة: (احفظ حقّ الجار والجوار)

واحفظ حقّ الجار والجوار، وقدِّم الأقرب دارا إليك فالأقرب، وتفقَّدْ جيرانك مما أنعم الله به عليك؛ فإنّك مسؤول عنهم، وادفع عنهم ما يتضرّرون به، كان الجيران ما كانوا. وما سُمّيتَ جارا له، و(سمّي) جارا لك؛ إلّا لميْلِك إليه بالإحسان، وميله إليك، ودفع الضرر مشتقٌّ من جار، إذا

(١) ص ٤٤ب

مال؛ فإنّ الجَوْرَ (هو) الميلُ. فمن جعله من الجور، الذي هو الميل إلى الباطل والظلم في العرف، فهو كمن يسمّي اللديغَ سليما، في النقيض، وفي هذا، فغلبت حقّ الجوار كان الجار ما كان، كأنّه يقول: وإن كان الجار من أهل الجور، أي المَيل[1] إلى الباطل؛ بِشركٍ أو كفرٍ؛ فلا يمنعنك ذلك منه عن مراعاة حقّه؛ فكيف بالمؤمن؟! فحقُّ الجار إنما هو على الجار.

وأعجب ما رويتُه في ذلك عن بعض شيوخنا، فذكر من مناقب بعض الأعراب؛ أنّ جرادا نزل بفناء بيته؛ فخرجت الأعراب إليه بالعُدد ليقتلوه ويأكلوه. فقال لهم صاحب البيت: ما تبتغون؟ فقالوا له: نبتغي جارَك. فقال: بعد أن سمّيتموه جاري؛ فوالله لا أترك لكم سبيلا إليه. وجرّد سيفه يذبُّ عنه؛ مراعاةً لحقّ الجوار. فهذا كما سئل مالك بن أنس عن أكل خنزير البحر. فقال: هو حرام. فقيل له: إنّه سمكٌ من حيوان البحر الذي أحلّ الله أكلَه لنا. فقال لهم مالك: أنتم سمّيتموه خنزيرا، ما قلتم: ما تقول في سمك البحر؟

فاهجر ما نهاك الله عنه، وقد نهاك عن أذى الجار؛ فاهجر أذاه، و﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ. وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾[2]. وفيما روينا من الأخبار في سبب نزول هذه الآية «أنّ أعرابيا[3] جاء إلى رسول الله ﷺ من المشركين من فصحاء العرب، وقد سمع أنّ الله قد أنزل عليه قرآنا عجز عن معارضته فصحاءُ العرب[4]. فقال له: يا رسول الله؛ هل فيما أُنزل عليك ربُّك مثل ما قلتُه؟ فقال له رسول الله ﷺ وما قلتَ؟ فقال الأعرابي: قلت:

وَحَيِّ ذَوِي الأَضْغانِ تَسْبِ عُقُوْلَهُمْ ... تَحِيَّتَكَ القُرْبَى فَقَدْ تَرْفَعِ النَّغَلْ[5]
وإِنْ هَجَرُوا بِالقَوْلِ فَاعْفُ تَكَرُّمًا ... وإِنْ سَتَرُوا عَنْكَ المَلامَةَ لَمْ تُبَلْ
فَإِنّ الذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ اسْتِمَاعُهُ ... وإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيْلَ خَلْفَكَ لَمْ يُقَلْ

---

(١) ص ٤٥
(٢) [فصلت: ٣٤، ٣٥]
(٣) هو العلاء بن الحصين
(٤) ص ٤٥ب
(٥) في الهامش تعريف النغل بقلم آخر: النغل بالتحريك الفساد، يقال: نغل الـ... إذا عفن وتهرّى في الدباغ ففسد وهلك.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾. فقال الأعرابي: هذا -والله- هو السِّحر الحلال. والله ما تخيّلت، ولا كان في علمي؛ أنّه يُزاد أو يؤتَى بأحسن مما قلته. أشهد أنّك رسولُ الله، والله ما خرج هذا إلّا مِن ذِي إِلٍّ». فمثل هؤلاء عرفوا إعجاز القرآن.

أتُرى -يا وليّ- يكون هذا الأعرابيّ فيما وصف به نفسَه بأكرم من الله في هذا الخُلُق في تحمّل[1] الأذى، وإظهار البِشر، والتغاضي[2] عن العقوبة، والعفو مع المقدرة، وتهوين ما يقبح على النفس، والتغافل عمّن أراد التستّر عنك بما يشينه لو ظهر به؟! بل والله أكرم منه، وأكثر تجاوزا وعفوا وحلما، وأصدق قيلا. فإنّ هذا القول من العربي، وإن كان حسنا، فما يُدرى عند وقوع الفعل ما يكون منه، والحقّ صادقُ القول بالدليل العقلي. فما يأمر بمكرمة إلّا وهي صفته التي يعامل بها عباده، ولا ينهى عن صفة مذمومة لئيمة إلّا وهو أنزه عنها، لا إله إلّا هو العزيز الحكيم، الغفور الرحيم.

أنصر أخاك ظالما أو مظلوما: فنُصرةُ الظالم من حيث ما هو مظلوم؛ فإنّ الشيطان ظلَمه؛ بما وسوس إليه به في صدره مِن ظُلم غيره؛ فتنصره بأن تعينه على دفع ما ألقى الشيطان عنده من تزيينه ظلمَ الغير، حتى سُمّي بظالم. فما نصرته إلّا لكونه مظلوما؛ لمن وسوس في صدره، وحال بينه وبين الهدى الذي هو له مِلْك؛ فابتاعه منه الشيطان بالضلالة؛ فاشترى الضلالة بالهدى؛ فسمّي ظالما. فإذا أبنتَ له أنتَ بنُصحك، وأَفتيتَه أنّ هذا البيعَ مفسوخ، لا يجوز شرعا؛ فلا[3] ينعقد، وأنّ صفقته خاسرة، وتجارته بائرة؛ فقد نصرتَه مع كونه ظالما؛ فرجع عن ظلمه وتاب؛ وذلك هو فسخ البيع. يقول الله في مثل هؤلاء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ

---

(١) ص ٤٦
(٢) ق: الشر والمخالفات. هـ: البشر والمخالفات
(٣) ص ٤٦ب

بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾[1].

فإيّاك أن تخذل مَن استنصر بك، وقد قال (تعالى) مع غناه عنك: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾[2] فطلب منكم أن تنصروه، وما هو إلّا هذا. ولا تظلمه؛ فإنّ «الظلم ظلمات يوم القيامة»، ومَن كان سعيه في ظلمة؛ لا يدري متى يقع في مهواة، أو ما يؤذيه في طريقه مِن هوامٍ يكون في أذاه هلاكُه. وأوصيك: لا تحقَر أحدا من خلق الله؛ فإنّ الله ما احتقره حين خلقه.

لا تَحْقَرَنَّ عِبادَ اللهِ إِنَّ لَهُمْ　　قَدْرًا وَلَوْ جُمِعَتْ لَكَ المَقاماتُ

فلا يكون اللهُ يُظهر العناية بإيجاد مَن أَوجده من عدم، وتحقّره أنت؛ فإنّ في ذلك تسفيهَ مَن أوجده واحتقارَه، نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين؛ فإنّ هذا من أكبر الكبائر، فالكلّ نِعَمُ الله يتغذّى بها عباد الله، كانوا ما كانوا.

قال ﷺ: «لا تحقَرنْ إحداكنّ ما تهديه لجارتها، ولو فِرْسَنْ شاة[3]» فإنّ[4] الاحتقارَ جهلٌ محضٌ. ولا تكن لعّانا، ولا سبّابا، ولا سخّابا؛ فإنّ لعنَ المؤمن مِثْلُ قتلِه سَواء.

لقي عيسى عليه السلام خنزيرا، فقال له: انْجُ بسلام. فقيل له في ذلك، فقال عليه السلام: «ما أريد أن أعوّد لساني إلّا قول الخير». كن حديثا حسنا. وفي ذلك قلت:

إِنَّمَا النـاسُ حَـدِيْثٌ كُلُّهُـمْ　　فَلْتَكُنْ خَيْرَ حَدِيْثٍ يُسْـمَعُ
وإِذا شـاكَتْكَ مِـنْهُمْ شَـوْكَةٌ　　فَلْـتَكُنْ أَقْـوَى مِجَـنٍّ يَـدْفَعُ
وإِذا مـا كُنْـتَ فِـيْهِمْ هَكَـذا　　أَنْـــتَ واللهِ إِمـــامٌ يَنْفَـــعُ
إِنَّمَا الشَّـمْعَةُ تُـؤْذِي نَفْسَـها　　وَهْيَ لِلنَّاظِرِ نُوْرٌ يَسْـطَعُ[5]
إِنَّمَــا اللُّـــؤْمُ الذِي نَعْرِفُــهُ　　نِعْمَـةٌ فِي يَـدِ شَخْـصٍ يَمْنَـعُ

---

(١) [البقرة: ١٦]
(٢) [محمد: ٧]
(٣) الفِرْسِنُ: عظم قليل اللحم
(٤) ص ٤٧
(٥) "للناظر نور يسطع" كتب مقابلها في الهامش بقلم الأصل: "للعين سراج يسطع"

وصيّة: (إيّاك والخيلاء)

إيّاك والخيلاء، وارفع ثوبك فوق كَعْبِك، أو إلى نصف ساقك. روي[١] عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أُزْرَةُ المؤمن إلى نصف ساقه» أو كما قال. ولعليّ بن أبي طالب في ذلك:

تَقْصِيْرُكَ الثَّوْبَ حَقّا أَنْقَى وأَبْقَى وأَتْقَى

فأمّا قوله: "أنقى" فلارتفاعه عن القاذورات التي تكون في الطرق والنجاسات. وأمّا قوله: "أبقى" فإنّ الثوب إذا طال حكَّ في الأرض بالمشي؛ فيسارع إليه التقطيع؛ فيقلّ عمر الثوب؛ فإنّه يَخْلَقُ بالعجلة إذا طال بما يصيب الأرض منه. وأمّا قوله: "أتقى" فإنّه مشروع، أعنى تقصير الثوب إلى نصف الساق، والمتّقي مَن جعل الشرعَ له وقايةً وجُنّةً يتّقي به ما يؤذيه من شياطين الإنس والجنّ، «وإنّ الله لا ينظر لمن يجرّ ثوبه خُيلاء».

وإيّاك أن تسأل الناس تكثُّرا وعندك ما يغنيك في حال سؤالك؛ فإنّ المسألةَ خُدوشٌ أو خُموشٌ في وجهك يوم القيامة. فإذا اضطررتَ، ولم تقدر على شغل؛ فَسَلْ قوتَك لا تتعدّاه إذا لم يرزقك الله يقينا وثقة به، وكفّارةُ ذلك السؤال عدمُ تكثُّرك واقتصارُك في المسألة على بُلْغَةِ وقتِك. فإنّ مسألةَ المؤمن حَرَقُ النار، ومعنى ذلك أنّ المؤمن يجد عند سؤاله مخلوقا مثله في دفع ضرورته مثل[٢] حَرَقِ النار في قلبه من الحياء في ذلك، حيث لم يُنزل مسألتَه ودَفْعَ ضرورته بربّه الذي بيده ملكوت كلّ شيء، وهو الذي يسخّر له هذا المسؤول منه حتى يعطيه. ومَن وجد ذلك (أي حَرَق النار) تعزُّزا وتكبّرا حيث التجأ إلى مخلوق مثله؛ فذلك من شرف همّته من حيث لا يشعر، وشرفُ الهمّة أحسنُ من دناءة الهمّة؛ فإنّ العبدَ يتعزّز على عبد مثله، كما أنّ فخرَه وشرفَه (هو) في فقره إلى سيّده، وسؤاله في دفع ضروراته، ومُلِمّاته، وقضاء مهمّاته.

---

(١) ص ٤٧ب
(٢) ص ٤٨

وصيّة: (في حُبّ الأنصار)

إذا رأيت أنصاريًّا أو أنصاريّة، وإن كان عدوّا لك، فلتحبّه الحبّ الشديد، واحذر أن تبغضه فتخرج من الإيمان؛ فإنّ النبيّ ﷺ «لقي امرأة من الأنصار في طريقه، فقال لها: إنّكم لَمِن أحبِّ خلق الله إليّ» وثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «آيةُ الإيمان حبُّ الأنصار، وآيةُ النفاق بغضُ الأنصار».

واعلم أنّ كلَّ مَن نصر دين الله في أيّ زمان كان؛ فهو من الأنصار، وهو داخل في حكم هذا الحديث. واعلم أنّ الأنصار لدين الله رَجُلان[(١)]: الواحدُ نَصَر دينَ الله ابتداء من نفسه، من غير أن يعرف وجوب ذلك عليه، ورجلٌ عَرَف وجوب[(٢)] نصرة الدين عليه بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾[(٣)] فأمرهم بنصرة الله، فأدّى واجبا في نصرته؛ فله أجرُ النصرة، وأجرُ[(٤)] أداء الواجب بما نواه من امتثال أمر الله في ذلك وتعيّن عليه، ولو كفاه غيرُه مئونةَ ذلك؛ فلا يتأخّر عن أمر الله. ونصرةُ الله قد تكون بما يعطي من العلم المُظهِر للحقّ، الدافع للباطل؛ فهو جهاد معنويٌّ محسوس. فكونه معنويًّا؛ لأنّ الباطن يقبله؛ فإنّ العلم متعلَّقُه النفس. وأمّا كونه محسوسا؛ فما يتعلّق بذلك من العبارة عنه باللسان أو الكتابة؛ فيحصل للسامع أو الناظر؛ بطريق السمع من المتكلِّم، أو بطريق النظر من الكتابة.

وجهادُ العدوّ نصرةٌ محسوسة، ما هي معنويّة. فإنّه ما نال العدوُّ من المقاتل له شيئا في الباطن يردُّه عن اعتقاده، كما ناله من العالِم إذا عَلَّمه، وأصغى إليه، ووفَّقه الله للقبول، وفتحَ عينَ فَهْمِه لما يورده عليه العالِمُ في تعليمه، وهي أعظم نصرة، وهو أعظم أنصاريٍّ لله. يقول النبيّ ﷺ: «لأَن يهدي اللهُ بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس» وقد طلعت الشمس على كلِّ عالِم عامل بخير؛ فأنت خيرٌ منه إذا نصرتَ بتعليم العلم دينَ الله في نفس هذا المخاطَب.

---

(١) ق: "رجلين" وفي الهامش بقلم آخر: "رجلان" ومعها حرف ظ
(٢) ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب، وحرف ظ
(٣) [الصف: ١٤]
(٤) ص ٤٨ب

وعليك بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصدق الوعد. فاجتنب الكذب، والخيانة، وخلف الوعد. وإذا خاصمتَ أحدا فلا تفجُر عليه؛ فإنّ علامةَ المنافق وآيتَه: «إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أتُمِن خان، وإذا خاصم فجر». وأعظمُ الخيانة[1] أن تحدِّث أخاك بحديثٍ يرى أنّك صادق فيه، وأنت على غير ذلك. وأنّ الإنسان إذا كذب الكذبةَ تَباعَدَ منه الملَك ثلاثين ميلا مِن نَتَنِ ما جاء به. وكذلك الشيطانُ إذا أمرَ ابنَ آدم بالمعصية؛ فعصى؛ تبرّأ منه الشيطانُ خوفا من الله تعالى.

فاعمل على ذوق هذه الروائح المعنويّة واستنشاقها؛ فإنّ له حجبا على أنفك تمنعك من إدراك نتن ذلك. فلا يكن الشيطانُ مع كفره أَدْرَكَ للأمور وأَخوفَ من الله منك. واعتبر في تَبَرُّئِهِ من ذلك؛ فإنّها خميرة من الله في قلبه إلى زمانٍ مّا يظهر حكمها فيه، مع كونه مجبولا على الإغواء، كما هو مجبول على التبرُّئ والخوف من الله. أخبر اللهُ عنه أنّه يقول للإنسان: ﴿ٱكۡفُرۡ﴾ فإذا كفر يقول الشيطان: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2] فما أُخِذ الشيطانُ قطّ بعمله؛ لشرف عِلمه؛ وإنما يؤخذ لصدق الحقّ فيما قاله فيما شرعه في «مَن سَنّ سنّة سيّئة فعليه[3] وزرها ووزر من عمل بها» فالشيطانُ يوم القيامة يحملُ أثقال غيره؛ فإنّه في كلّ إغواء يتوب عقيبه، ثمّ يشرع في إغواءٍ آخر؛ فيؤخذ بعمل غيره لأنّه من وسوسته. والإنسان الذي لا يتوب؛ إذا سنّ سنّةً سيّئةً يحمل ثقلها وأثقال مَن عمل بها. فيكون الشيطان أسعد حالا منه بكثير.

وإيّاك أن[4] تخلِف وعدَك، ولتخلِف إيعادك، ولكن سَمِّ إخلافَ إيعادِك تجاوزا، حتى لا تتسمّى بأنّك مخلِف ما أوعدتَ به من الشرّ، وهذه شبهة المعتزلة، وغاب عنها قوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾[5] وما تواطئوا عليه، أعني الأعراب، إذا أوعدت أو وعدت بالشرّ التجاوز عنه، وجعلت ذلك من مكارم الأخلاق؛ فعامَلهم الحقُّ بما تواطئوا عليه.

---

(١) ص ٤٩
(٢) [الحشر: ١٦]
(٣) ق: فله
(٤) ص ٤٩ب
(٥) [إبراهيم: ٤]

فزلّت هنا المعتزلة زلّة عظيمة، أوقعها في ذلك استحالةُ الكذب على الله -تعالى- في خبره، وما عَلِمَتْ أنّ مثل هذا لا يسمّى كذبا في العرف الذي نزل به الشرع. فحجبهم دليلٌ عقليٌّ، عن علم وضع حِكمي، وهذا من قصور بعض العقول، ووقوفها في كلّ موطن مع أدلّتها. ولا ينبغي لها ذلك، ولتنظر إلى المقاصد الشرعيّة في الخطاب، ومَن خاطب؟ وبأيّ لسان خاطب؟ وبأيّ عرف أوقع المعاملة في تلك الأمّة المخصوصة؟

يقول بعض الأعراب في كرم خلقه:

وإِنِّي إذا أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَمُخْلِفُ إِيْعادِيْ ومُنْجِزُ مَوْعِدِي

لكن لا ينبغي أن يقال: مخلِف، بل ينبغي أن يقال: إنّه عفوٌّ متجاوز عن عبده.

* * *

وصيّة: (عليك بالبذاذة)

عليك بالبذاذة؛ فإنّها من الإيمان، وهي عدم الترفُّه في[1] الدنيا. وقد ورد قوله (ص): «اخشوشنوا» وهي من صفات الحاجّ، وصفة أهل يوم القيامة؛ فإنّهم شُعْثٌ غُبْرٌ حفاة؛ فإنّ ذلك كلَّه أَنْفَى للكِبر، وأبعد من العُجب والزهو والخُيَلاء والصلَف، وهي أمور ذمّها الشرع، وكَرّهها، وهي مذمومة في العرف عند الناس وعند الله. ولذلك جعل النبيّ ﷺ «البذاذة من الإيمان»، وألحقها بشُعَبِه؛ فإنّ النبيّ ﷺ يقول: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق». ولا شكّ أنّ الزهوَ والعُجبَ والكبر أذى في طريق سعادة المؤمن، ولا يماط هذا الأذى إلّا بالبذاذة؛ فلهذا جعلها رسول الله ﷺ من الإيمان.

* * *

وصيّة: (عليك بالحياء)

وعليك بالحياء؛ فـ«إنّ الله حييّ»، و«الحياء من الإيمان» و«الحياء خيرٌ كلّه» و«إنّ الله

(١) ص ٥٠

يستحي من ذي الشيبة يوم القيامة» فإنّ العبدَ إذا اتّصف بالحياء من الله؛ تَرَك كلّ ما لا يرضي الله وما يَشِينه عند الله -تعالى- وعند رسول الله ﷺ والحياءُ معناه التَّرْك. قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾ يقول: إنّ الله لا يترك ﴿أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾[1] في الصِّغر لقول من ضلّ بهذا[2] المثل من المشركين الذين تكلّموا فيه، فإنّ الله قال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ أي بهذا المَثل ﴿كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[3] فإنّهم حاروا فيه، والضلالةُ الحَيْرةُ، ورأَوا عزّةَ الله، وجلالَه، وكبرياءَه، وحقارةَ البعوضة في المخلوقات؛ فاستعظموا جلال الله أن ينزل في ضرب المثل لعباده هذا النزول، وذلك لجهلهم بالأمور.

فإنّه لا فرق بين أعظم المخلوقات، وهو العرش المحيط، وبين الذرّة في الخَلْق والبعوضة، وإخراجها من العدم إلى الوجود. فما هي حقيرة إلّا مِن صِغر جسمها، إذا أضفته إلى ذي الجسم الكبير. بل الحكمة في البعوضة أَتَمّ، والقدرة أنفذ؛ فإنّ البعوضة على صِغرها خلَقَها الله على صورة الفيل على عِظَمِهِ، فخَلْقُ البعوضة أعظمُ في الدلالة على قدرة خالقها من الفيل لأهل النظر والاعتبار. ولهذا لم يصف نفسَه بالحياء في ذلك لما فيها من الدلالة على تعظيم الحقّ.

ثمّ إنّ مواطن الحياء التي في الإنسان كثيرة؛ فإنّ الحياءَ صفةٌ يسري نفعُها ممن قامت به في أكثر الأشياء، ولهذا قال (ص): «الحياءُ خيرٌ كلُّه» و«الحياءُ لا يأتي إلّا بخير» وهو أن لا يفعل الإنسان ما يخجل فيه إذا عُرِف منه بأنّه فَعَله. وقد علِم المؤمنُ أنّ الله يعلم ويرى كلَّ ما يتحرّك فيه العبد؛ فيلزمه الحياء منه؛ لعلمه بذلك، ولإيمانه أنّه[4] لا بدّ أن يقرّره يوم القيامة على ما عمله؛ فيخجل؛ فيؤدّيه ذلك إلى ترك العمل فيه، وذلك هو الحياء؛ فمن هنا لا يأتي إلّا بخير، و«الله أحقّ أن يُستحيا منه».

---

(١) [البقرة: ٢٦]
(٢) ص ٥٠ب
(٣) [البقرة: ٢٦]
(٤) ص ٥١

وصيّة: (عليك بالنصيحة على الإطلاق فإنّها الدين)

وعليك بالنصيحة على الإطلاق فإنّها الدين. خرّج مسلم في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الدين النصيحة قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم» واعلم أنّ النصاح: الخيط، والمنصحة: الإبرة، والناصح الخائط، والخائط هو الذي يؤلّف أجزاء الثوب حتى يصير قميصا، أو ما كان، فينتفع به بتأليفه إيّاه، وما ألّفه إلّا بنُصحه.

والناصحُ في دين الله هو الذي يؤلِّف بين عباد الله وبين ما فيه سعادتهم عند الله، ويؤلّف بين الله وبين خلقه، وهو قوله (ص): «النصيحة لله» وفيه تنبيه في الشفاعة عند الله؛ إذا رأى العبدُ الناصح أنّ الله يريد مؤاخذة العبد على جريمته، فيقول لله: يا ربّ؛ إنّك ندبتَ إلى العفو عبادَك، وجعلتَ ذلك من مكارم الأخلاق، وهو أَوْلَى من جزاء المسيء بما يسوءه، وذكرتَ للعبد أنّ أجر العافين عن الناس فيما أساءوا إليهم فيه مما توجّهتْ عليهم به الحقوق على الله؛ فأنت أحقّ بهذه الصفة؛ لما أنت عليه من الجود والكرم والامتنان، ولا مُكْرِه لك؛ فأنت أهل العفو والتكرّم بالتجاوز عن[1] هذا العبد المسيء، المتعدّي حدودَك عن إساءته، وإسبال ذيل الكرم عليه.

واتّصافُ الحقّ بالجود، والعفو عن الجاني؛ أعظمُ من المؤاخذة على الإساءة. فإنّ المؤاخذة والعقوبة جزاء، وما في الجزاء على الشرّ فضلٌ، إلّا إذا كان في الدنيا؛ لِمَا في إقامة الحدود من دفع المضرّة العامّة، وما في ذلك من المصالح التي تعود على الناس، مثل قوله ﷻ: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾[2]. وأمّا في الآخرة؛ فما ثمّ ما يندفع بجزاء المسيء ما يندفع به في الدنيا. فكأنّ العبدَ إذا قال هذا يوم القيامة، أو حيث قاله لله بطريق الشفاعة؛ كأنّه ناصح للمقام الإلهيّ في أن يثنى عليه إذا عفا عن المسيء بالكرم والطَّوْل والفضل؛ فإنّ في ذلك عين الامتنان. فهذا معنى قوله: «الدين النصيحة.. لله» أي في حقّ الله. فإنّه يسعى في أن يثنى على الله إذا عفا بما يكون ثناء حسنا،

(١) ص ٥١ب
(٢) [البقرة: ١٧٩]

ولا سيما وقد ورد في الحديث الثابت: «إنّه لا شيء أحبّ إلى الله من أن يُمدح» فكما أنّه مُدِح في الدنيا بما نَصب من الحدود التي درأ بها المضارّ عن عباده، إذا أقامها أئمّة المسلمين على المذنبين، كذلك يُمدح بالعفو والتجاوز في الدار الآخرة؛ لأنّه هنالك ما تمشي هذه المصلحة التي نُصِبَتْ من أجلها إقامة الحدود التي لا يتمكن الشفاعة فيها؛ كحدِّ السارق، والزاني، وحقوق الله على الإطلاق.

وأمّا[1] ما هو حقّ للعبد؛ فإنّ اللهَ قد ندب فيه إلى العفو والتجاوز؛ فالعفو من وليّ الدم، أو قبول الديّة. فإنّ المظلوم هو المقتول، وقد مات. فالطالب قد تقدّم؛ كالشاكي الذي يمشي إلى السلطان رافعا على مَن ظلمه. فجعل الديّة كالإحسان لوليّ الدم؛ لعلّ ذلك الشاكي إذا بلغه إحسانه لذوي رَحِمِه يسكت عنه، ولا يطالبه عند الله الحَكَم العدل بشيء من دمه.

وأمّا النصيحة لرسول الله ﷺ؛ ففي زمانه: إذا رأى منه الصاحبُ أمرا قد قرّر خلافَه، والإنسانُ صاحبُ غفلات؛ فينبّهُ الصاحبُ رسولَ الله ﷺ على ذلك؛ حتى يواصل فِعْلَه بالقصد؛ فيكون حكما مشروعا، أو فَعِلَهُ عن نسيان؛ فيرجع عنه. فهذا من النصح لرسول الله ﷺ؛ مثل سهوِه في الصلاة، فالواجب عليه في الرباعيّة أن يصلّيها أربعا، فسلّم من اثنتين؛ فقيل له في ذلك. فهذه نصيحة لرسول الله ﷺ فرجع، وأتمّ صلاته، وسجد سجدتي السهو، وكان ما قد روي في ذلك وأمثال هذا.

ولهذا أمر الله ﷻ نبيّه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما لم يوحَ إليه فيه. فإذا شاورهم[2] تعيّن عليهم أن ينصحوه فيما شاورهم فيه، على قدر علمهم، وما يقتضيه نظرهم في ذلك أنّه مصلحة. كنزوله يوم بدر على غير ماء؛ فنصحوه، وأمروه أن يكون الماء في حيّزه ﷺ ففعل، ونصحه عمر بن الخطاب في قتل أُسارى بدر حين أشار بذلك.

وأمّا بعد رسول الله ﷺ فلم تبق له نصيحة. ولكن إذا كانت هذه اللام لامُ الأَجْلِيّة؛ بقيت النصيحة. فهذا قد بيّنّا ما نصيحة رسول الله ﷺ أنّ المشير الناصح قد جمع بين رسول الله ﷺ

---

(١) ص ٥٢

(٢) ص ٥٢ب

وبين الرأي الذي فيه المصلحة، كما يجمع الناصح الذي هو الخائط بالخياطة بين قطعة الكُمّ والبدن في الثوب.

وأمّا النصيحة لأئمّة المسلمين، وهم ولاة الأمر منّا، القائمون بمصالح عباد الله الدينيّة؛ والحكام، وأهل الفتاوى في الدين من العلماء يدخلون في أئمّة المسلمين أيضا. فإن كان الحاكم عالما كان، وإن لم يكن من العلماء بتلك المسألة سأل مَن يعلم عن الحكم فيها؛ فيتعيّن على المفتي أن ينصح، ويفتيه بما يراه أنّه حقٌّ عنده، ويذكر له دليله على ما أفتاه به؛ فيخلّصه[1] عند الله؛ فهذه هي النصيحة لأئمّة المسلمين.

ولمّا لم تُفرض العصمة لأئمّة المسلمين، وعُلِم أنّهم قد يخطئون ويتّبعون أهواءهم؛ تعيّن على أهل الدين من العلماء بالدين أن ينصحوا أئمّة المسلمين، ويَرُدّوهم عن اتّباع أهوائهم في الناس؛ فيؤلّفون بين ما هو الدين عليه وبينهم؛ فمثل هذا هو النصح لأئمّة المسلمين؛ فيعود على الناس نفعُ ذلك.

وأمّا النصيحة لعامّتهم فمعلومة؛ وهي أن يشير عليهم بما لهم فيه المصلحة التي لا تضرّهم في دينهم ولا دنياهم. فإن كان ولا بدّ من ضرر يقوم من ذلك؛ إمّا في الدين، أو في الدنيا؛ فيرجّحوا في النصيحة ضرر الدنيا على ضرر الدين؛ فيشيرون عليهم بما يَسلم لهم فيه دينُهم؛ فإنّ الله يقول: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2] وقال (ص): «دين الله يسر» وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[3] وإن أَضرّ بدنياهم. ومهما قدروا على دفع الضرر في الدين والدنيا معًا بوجهٍ من الوجوه وعرفوه؛ تعيّن عليهم في الدين أن ينصحوه في ذلك ويبيّنوه، والمستفتي بالخيار في ذلك بحسب ما يوفّقه الله إليه.

والذي أقول به: إنّ النصيحة تعمّ؛ إذ هي عينُ الدين، وهي صفة الناصح؛ فتسري[4] منفعتُها في جميع العالَم كلّه من الناصح الذي يستبرئ لدينه، ويطلب معالي الأمور؛ فيرى حيوانا قد

---

(١) ص ٥٣
(٢) [الحج: ٧٨]
(٣) [التغابن: ١٦]
(٤) ص ٥٣ب

أضرّ به العطش، وقد حاد ذلك الحيوان عن طريق الماء؛ فتعيّن عليه أن يردّه إلى طريق الماء، أو يسقيه إن قدر على ذلك؛ فهذا من النصيحة الدينيّة. وكذلك لو رأى مَن ليس على ملّة الإسلام يفعلُ فعلا من سفساف الأخلاق؛ تعيّن على الناصح أن يردّه عن ذلك مهما قدر إلى مكارم الأخلاق، وإن لم يقدر عليه؛ تعيّن عليه أن يبيّن له عيب ذلك؛ فربما انتفع بتلك النصيحة ذلك الشخصُ بما له في ذلك من الثناء الحسن، وينتفع بتلك النصيحة مَن اندفع عنه ضرر هذا الذي أراد أن يَضُرَّهُ، وإن لم يكن مسلما ذلك المدفوع عنه.

فيتعيّن على صاحب الدين نُصْحُ عبادِ الله مطلقا، ولهذا يتعيّن على السلطان أن يدعو عدوّه الكافر إلى الإسلام قبل قتاله؛ فإن أجاب، وإلّا دعاه إلى الجزية إن كان من أهل كتاب، فإن أجاب إلى الصلح بما شرط عليه قَبِل منه. يقول الله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾(١) فيبقي على المسلمين إن كانت المنفعة للمسلمين في ذلك. فإن أبَوا(٢) إلّا القتال؛ قاتَلَهم، وأمر المسلمين بقتالهم على أن تكون ﴿كَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾(٣) و﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ﴾. إلّا أنّه مَن التزم النصح قَلَّ أولياؤه؛ فإنّ الغالبَ على الناس اتّباعُ الأهواء. ولذلك يقول رسول الله ﷺ: «ما ترك الحقّ لِعُمَرَ من صديق» وكذلك قال أويس القرني: "وقولُك الحقَّ لم يترك لك صديقا" ولنا في ذلك:

لَمّا لَزِمْتُ النُّصْحَ والتَّحْقِيْقا لَـمْ يَـتْرُكَا لِيْ فِي الوُجُـودِ(٤) صَـدِيْقا

ويحتاج الناصح إلى علم كثير من علم الشريعة؛ لأنّه العلم العام الذي يعمّ جميع أحوال الناس، وعلم زمانه، ومكانه. وما ثَمّ إلّا الحالُ، والزمانُ، والمكانُ، وبقي للناصح علمُ الترجيح إذا تقابلتْ هذه الأمور، فيكون ما يُصلح الزمانَ يُفسد الحالَ أو المكانَ، وكذلك كلُّ واحد منها؛ فينظر في الترجيح؛ فيفعل بحسب ما يترجّح عنده، وذلك على قدر إيمانه.

---

(١) [الأنفال: ٦١]
(٢) ص ٥٤
(٣) [التوبة: ٤٠]
(٤) هناك استبدال بقلم آخر فوق الكلمة لتقرأ: الوَرَى

مثالُ ذلك أن يعلم أنّ الزمان قد أعطى بحاله في أمرين، هما صالحان في حقّ شخص، وضاق الزمان عن فعلهما معًا؛ فيعدِل إلى أولاهما؛ فيشير به على المستشير. وكذلك إذا[1] عَرف مِن حال شخصٍ المخالفةَ واللجاج، وأنّه إذا دلّه على أمرٍ فيه مصلحته؛ يَفعل بخلافه. فمن النصيحة أنّه لا ينصحه، بل يشير عليه بخلاف ذلك؛ إذا علم أنّ الأمر محصور بين أن يفعل ذلك، أو هذا الذي فيه المصلحة، وشأنه المخالفة واللجاج؛ فيشير عليه بما لا ينبغي؛ فيخالفه؛ فيفعل ما ينبغي. والأَوْلَى عندي تركُه. ولقد جرى لي مع أشخاصٍ أظهرنا لهم أنّ في فعلهم ذلك الخير الذي نريده منهم نِكايتنا، وهم يريدون نكايتنا؛ فأشرنا عليهم أن لا يفعلوا ذلك، ولهم في فعله الخير العظيم لهم؛ فلم يفعلوا، وفعلوا ما نهيتهم عنه أن يفعلوه. فهذه نصيحة خفيّة لا يَشعر بها كلُّ أحد، وهذا يسمّى علمُ السياسة؛ فإنّه يسوس بذلك النفوس الجموحة، الشاردة عن طريق مصالحها.

فلذلك قلنا: إنّ الناصح في دين الله يحتاج إلى علم كثير، وعقل، وفكر صحيح، وروية حسنة، واعتدال مزاج، وتؤدة. وإن لم تكن فيه هذه الخصال؛ كان الخطأ أسرعَ إليه من الإصابة. وما في مكارم الأخلاق أدقّ، ولا أخفى، ولا أعظم من النصيحة. ولنا فيه جزء سمّيناه "كتاب النصائح" ذكرنا فيه ما لا يعوّل عليه، وما يعوَّل عليه، ولكنّ[2] أكثره فيما لا يعوَّل عليه مما يعوِّل الناس عليه، ولكن لا يعلمون.

* * *

وصيّة: (عليك بمراعاة حالك في الزمان بين الصلاتين)

وعليك بمراعاة حالك في الزمان بين الصلاتين، وأنت لا تخلو أبدا أن تكون بين صلاتين؛ فإنّ الأمرَ دَوْرٌ. فالزمانُ الذي بين الظهر والعصر زمانٌ بين صلاتين، وكذلك بين العصر والمغرب، وبين المغرب والعشاء، وبين العشاء والصبح، وبين الصبح والظهر. ودار الدَّوْر، وجاء الكَوْرِ. وإذا خرج وقتُ صلاةٍ دخلَ وقتُ صلاة الأُخرى؛ إلّا صلاة الصبح؛ فإنّه لا يدخل وقتُ صلاة الظهر بخروج وقتِ صلاة الصبح بلا خلاف، وكذلك العتمة والصبح بخلاف. إلّا

(١) ص ٥٤ب
(٢) ص ٥٥

أنّه لا يدخل وقت الظهر إلّا بعد خروج وقت الصبح، لا بدّ من ذلك؛ فلا يدخل وقتُ صلاة حتى يخرج وقتُ التي قبلها. فالداخلة أبدا على أثر الخارجة.

وقد يكون بعد طلوع الشمس وقتُ أداء الصبح بوجهٍ إلى أن تزول الشمس؛ فيدخل وقت الظهر، وذلك أنّ الإنسان قد يصلّي الركعة الأُولَى من الصبح مثلا قبل طلوع الشمس، ويقول الشارع فيه: "إنّه أدرك الصبح" فتطلع[١] الشمس عليه وقد شرع في الركعة الثانية من الصبح، فلو أطالها إلى حدّ الزوال؛ لجاز، وذلك وقتُها، وهو مُؤَدٍّ لها. فما خرج وقت صلاة الصبح في حقّ هذا حتى دخل وقت الظهر، وهكذا في جميع الصلوات. فإنّ أوقات هذه الصلوات فيها خلاف بين العلماء؛ فلهذا ذكرناها تنبيها على أنّ فيها خلافا. فيجوز على هذا أن تكون صلاةٌ على أثر صلاةٍ، ولا لغو بينهما. فقد جعل أنّ بين الصلاتين زمانا لا صلاة فيه، ذلك الزمان هو زمان اللغو، أو تركه.

وإنما قلنا: زمان اللغو أو تركه للحديث الثابت: «صلاةٌ على أثر صلاةٍ لا لغو بينهما؛ كتابٌ في عِلّيّين» ويدخل في هذا الحديث صلاةُ النافلة بعد النافلة، والنافلة بعد الفريضة، والفريضة بعد النافلة، والفريضة بعد الفريضة. واللغوُ من الكلام هو الساقطُ لا دخول له في الميزان، وهو المباح. فيقول رسول الله ﷺ في الرجل يصلّي الصلاة ثمّ يتبعها بصلاة أخرى، ولم يفعل بين هاتين الصلاتين، في الزمان الذي لا يكون فيه مصلّيا، فعلا مباحا من قول وعمل؛ بل كان مشتغلا بما يدخل الميزان؛ من أمرٍ مندوب إليه؛ مِن ذِكْرٍ أو غير ذِكْر، ثمّ يصلّي الصلاة الأخرى[٢]؛ فإنّ ذلك كتاب في علّيّين؛ لأنّه لم يفعل بين الصلاتين لغوا أصلا، وهذا عزيز الوقوع. فإنّ أَحمدَ أحوال الناس اليوم مَن يتصرّف في المباح؛ فلا عليه ولا له، والغالبُ من أحوال الناس التصرّفُ في المكروه أو المحظور؛ فلهذا أوصيتك بمراعاة الزمان الذي بين الصلاتين. وما رأيت أحدا نبّه عليه؛ إلّا إن كان وما وصل إلينا، إلّا رسول الله ﷺ ومنه أخذنا ذلك.

---

(١) ص ٥٥ب
(٢) ص ٥٦

وصيّة: (عليك بالصلاة المكتوبة حيث ينادى بها مع الجماعة)

وعليك بالصلاة المكتوبة حيث ينادى بها مع الجماعة؛ فإنّ المساجد ما اتّخذت إلّا لإقامة الصلاة المكتوبة فيها، وما ينادى إلّا إلى الإتيان إليها؛ فإنّ ذلك سنّة رسول الله ﷺ والمراد بذلك: الاجتماع على إقامة الدين، وأن لا نتفرّق فيه. ولهذا اختلف الناس في صلاة الفذّ المكتوبة إذا قدر على الجماعة؛ هل تجزيه، أم لا؟ ومَن ترك سنّة رسول الله ﷺ ضلّ بلا شكٍّ؛ لأنّه ﷺ ما سَنّ إلّا ما هو المهداة ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[1].

فحافظ على المكتوبة في[2] الجماعات، والأرض كلّها مسجد؛ فحيث ما قامت الجماعة من الأرض فما قامت إلّا في مسجد. ولهذا ينبغي لمن صلّى في جماعة في مسجد بيته أن يؤذِّن لها، وإن كانت الإقامة أذانا. وإنما سمّيت إقامة؛ لقيام المصلّي إلى الصلاة عند هذا الأذان الخاص؛ ففرّق بين الأذانين بالإقامة. والأذان معناه الإعلام، وأبقوا اسم الأذان على الأوّل المعلِم بدخول الوقت. فالأذان الأوّل للإعلام بدخول الوقت، والأذان الثاني الذي هو الإقامة للإعلام بالقيام إلى الصلاة، فزاد على الأذان بقوله: "قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة".

* * *

وصيّة: (عليك بالمحافظة على صلاة الأوّابين)

وعليك بالمحافظة على صلاة الأوّابين، وهي الصلاةُ في الأوقات المغفول عنها عند العامّة، وهي ما بين الضحى إلى الزوال، وما بين الظهر والعصر، وما بين المغرب والعشاء الآخرة. و(على) التهجّد؛ وهو أن ينام من أوّل الليل بعد صلاة العشاء الآخرة، ثمّ يقوم إلى الصلاة، ثمّ ينام، ثمّ يقوم إلى الصلاة إلى أن يطلع الفجر. فإذا طلع الفجر؛ فاركع ركعتي الفجر، ثمّ اضطجع على شقّك الأيمن من غير نوم، ثمّ قم إلى صلاة الصبح[3].

---

(١) [يونس: ٣٢]
(٢) ص ٥٦ب
(٣) ص ٥٧

واجعل وِتْرَك ثلاث عشرة ركعة في تهجُّدك؛ فإنّ هذا كان وِتْر رسول الله ﷺ. وأَطِل الركعتين الأُوليين من التهجّد، ثمّ اللتين بعدهما أقلّ منهما في الطول، والركعة الأُولَى من كلّ ركعتين؛ على قدر الثانية من اللتين تقدّمتهما، والركعة الثانية من كلّ ركعتين على النصف من الركعة الأُولَى منهما، أو قريب من ذلك، إلى أن توتر بركعة واحدة؛ إن شئت أن لا تجلس إلّا في آخر ركعة مِن وتر صلاتك وهي الإحدى عشرة، وإن شئتَ جلستَ في كلّ ركعتين، ولا تسلّم إلّا في آخر ركعة مفردة. وإن شئت خمّستَ، وسبّعتَ، وتسَّعْتَ؛ كلّ ذلك مباح لك. ولا تثلِّث من أجل التشبّه بصلاة المغرب، وقد ورد في النهي عن ذلك خبرٌ، وكذلك في الركعة الواحدة، وتسمّى البتيراء. فاجتنب مواقع الخلاف ما استطعتَ، واهرب إلى محلّ الإجماع، مع أنّه ثبت أنّه (ص) أوتر بثلاث. فإن أوترتَ بثلاث؛ فلا تجلس إلّا في آخرها وتسلِّم، حتى تفرّق في الشَّبَه بينها وبين المغرب.

وإذا قمتَ إلى الصلاة بالليل، وتوضّأتَ؛ فاركع ركعتين خفيفتين، ثمّ بعدهما اشرع في صلاة الليل كما رسمتُ لك. وعند قيامك للتهجّد امسح عينيك من النوم بيديك، ثمّ اتْلُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[1] وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2] الآيات بكمالها، ثمّ قم فتوضّأ، واستفتح صلاتك بركعتين خفيفتين، ثمّ اشرع في قيام الليل على ما وصفته لك، في باب الصلاة من هذا الكتاب وأذكاره، فانظره فيه وانظر اعتباره -إن شاء الله-.

وقد ثبت أنّ صلاة الأوّابين حين ترمض الفصال[3]، واجتنبْ الصلاة عند الاستواء، وبعد العصر حتى تغرب الشمس، وبعد الصبح حتى تطلع الشمس. وحافظ على الصلاة في جماعة فإنها تزيد على صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة. وحافظ على أربع ركعات في أوّل النهار عند الإشراق، كما قال (تعالى): ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾[4] والسبحةُ صلاةُ النافلة. يقول عبد الله بن عمر، وهو عربيّ في النافلة في السفر: "لو كنت مسبِّحا أتممتُ". ثمّ صلاة الضحى ثمان

---

(١) ص ٥٧ب
(٢) [آل عمران: ١٩٠]
(٣) رَمَضُ الفِصالِ: أن تحترق الرَّمْضاءُ، وهو الرمل، فتبرك الفِصال من شدة حرّها وإحراقها أخفافها وفراسنها. والمعنى: عند ارتفاع النهار
(٤) [ص: ١٨]

ركعات بعد صلاة الإشراق، ثمّ أربع ركعات قبل الظهر وبعد الزوال، ثمّ أربع ركعات بعد صلاة الظهر، ثمّ أربع ركعات قبل صلاة العصر، ثمّ ستّ ركعات بعد المغرب، ثمّ ثلاث عشرة ركعة وِتْرك من الليل، فيها ركعتي الفجر، وتبقى إحدى عشرة ركعة هي صلاةُ الليل. هذا لا بدّ منه؛ لمن يريد اتّباع السنّة والاقتداء. وفي رواية: «ركعتين قبل المغرب» ثمّ إن زدتَ؛ فأنت وذلك؛ فإنّ «الصلاة خيرٌ موضوع؛ فمن[1] شاء فليستقلل، ومن شاء فليستكثر»؛ فإنّه يناجي ربّه. والحديثُ مع الله، والاستكثارُ منه؛ أشرفُ الأحوال. وأمّا الوصيّة بالصدقة والصوم، فقد تقدّم في باب الزكاة، وباب الصيام، وكذلك الحجّ من هذا الكتاب.

* * *

وصيّة: (عليك بالورع)

عليك بالورع في المنطق كما تتورّع في المأكل والمشرب، والورع عبارة عن اجتناب الحرام والشبهات. وأمّا الشبهة؛ فما حاك في صدرك. ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الإثمُ ما حاك في صدرك» قال بعض العلماء من أهل الله: "ما رأيتُ أسهل عليّ من الورع؛ كلّ ما حاك له في نفسي شيء تركته" وقد ورد في الخبر: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» وورد أيضا: «استفتِ قلبك وإن أفتاك المفتون» يعني بالحِلّ، وتجد أنت في نفسك وقفةً في ذلك؛ فاجتنبه؛ فهو أَوْلَى بك، ولا تحرِّمه.

وعليك بالهَدْي الصالح، وهو هدي الأنبياء؛ وهو اتّباع آثارهم الذي أُمِرَ رسول الله ﷺ باتّباعهم في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[2] وكذلك السمتُ الصالح، والاقتصادُ في أمورك كلّها؛ فإنّ النبيّ ﷺ قد ثبت عنه: «أنّ[3] الهَدْيَ الصالحَ والسمتَ الصالح والاقتصادَ جزءٌ من خمسة وعشرين جزءا من النبوّة».

---

(١) ص ٥٨

(٢) [الأنعام: ٩٠]

(٣) ص ٥٨ب

وتحفّظ من العجلة إلّا في المواطن التي أمرك رسول الله ﷺ بالعجلة فيها، والمسارعة إليها؛ مثل الصلاة لأوّل ميقاتها، وإكرام الضيف، وتجهيز الميّت، والبكر إذا أدركت، بل وكلّ عمل للآخرة؛ فالمسارعة إليه أَوْلَى من التؤدة فيه. واجعل التسويف والتؤدة في أمور الدنيا؛ فإنّه ما فاتك من الدنيا ما تندم عليه؛ بل تفرح بفوته، وما فاتك من أمور الآخرة؛ فإنّك تندم عليه. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «التؤدة في كلّ شيء إلّا في عمل الآخرة» وقد ذكر مسلم أنّ رسول الله ﷺ قال للأشجّ؛ أشجّ عبد القيس: «إنّ فيك لخصلتين يحبّها الله ورسوله. قال: وما هما يا رسول الله؟ قال: الحلم والأناة» أراد: الحلم عمّن جنى عليك، والأناة في أمور الدنيا وأغراض النفس.

وإن كان لك عائلة فَكُدَّ عليهم؛ فإنّ «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله». وكن خيرَ الرعاة في كلّ ما استرعاك الله فيه على الإطلاق. فـ«السلطان راع، وكلّ راع مسئول عن رعيّته»؛ ما فعل فيهم: هل اتّقى الله فيهم؟ أو لم يتّق؟ «والرجلُ راع على أهل بيته، والمرأة راعية[1] على بيت زوجها وولده، والعبد راع على مال سيّده».

ولا تغفل عن الصلاة على رسول الله ﷺ إذا ذكَرْتَه أو ذُكِرَ عندك؛ تأمن من البخل؛ فإنّه ثبت عنه ﷺ أنّه قال: «البخيلُ مَن ذُكِرت عنده فلم يصلّ عليّ» ولو لم يكن في ذلك إلّا إطلاق البخل عليك، وهو من أَذَمِّ الصفات وأرداها. ومعنى البخيل هنا: بُخْلُه على نفسه؛ فإنّه قد ثبت فيمن صلّى على النبيّ -صلّى الله عيه وسلّم- مرّة؛ صلّى اللهُ عليه عشرا. فمن ترك الصلاة على النبيّ ﷺ فقد بخل على نفسه؛ حيث حرمها صلاة الله عليه عشرا؛ إذا صلّى هو واحدة فما زاد.

(١) ص ٥٩

وصيّة: (لا تعقد مع الله عقدا ولا عهدا؛ ثمّ تنقضه)

اللهَ اللهَ أن تعود في شيء خرجتَ عنه لله -تعالى-، ولا تعقد مع الله عقدا ولا عهدا؛ ثمّ تنقضه بعد ذلك، وتحلّه، ولا تفي به، ولو تركتَه لِمَا هو خير منه؛ فإنّ ذلك من خاطر الشيطان. فافعله، وافعل الخير الآخر الذي أخطره لك الشيطانُ حتى لا تفي بالأوّل؛ فإنّ غرضه أن توصف بوصف ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾[1].

وعليك بصلة الرحم؛ فإنّها «شجنةٌ من الرحمن» وبها[2] وقع النَّسبُ بيننا وبين الله. فَمَن وَصَل رَحِمَهُ وَصَله اللهُ، ومَن قطع رحمه قطعه الله.

وإذا استُشِرتَ في أمر فقد أَمَّنَك المستشيرُ؛ فلا تَخُنْهُ. فإن كان في نكاح؛ فإن شئت أن تذكر ما تعرفه فيمن سئلتَ عنه مما يكرهه لو سمعه؛ فإنّ ذلك الذِّكْر ليس بغيبة يتعلّق بها ذمّ. فإن كنت من أهل الورع الأشدّاء فيه، ويحوك في نفسك شيء من هذا الذكر؛ فلا تذكر ما تعرف فيه من القبيح، وقل كلاما مجملا، مثل أن تقول: "ما تصلح لكم مصاهرته" من غير تعيين، ويكفي هذا القدر من الكلام. فإن كنت تعلم من قرائن الأحوال أنّ هذا الأمر الذي تذمّه به في نظرك، لا يقدح عند القوم الذين يطلبون نكاحه؛ فما خنتَهم إذا لم تذكر لهم ما يقبح عندك؛ فإنّه ليس بقبيح عِندهم، وهم مقدِمون عليه، وهذا موقوف على معرفة أحوال الناس. ومثل هذا الكلام في الأسانيد في حديث رسول الله ﷺ؛ كان أحمد بن حنبل يقول ليحيى بن معين: "تعال نَغْتَبْ في الله"، والمستشار مؤتمن.

وإيّاك والأَكل والشرب في أواني الذهب والفضة، وإيّاك والجلوسَ على مائدة يُدار عليها الخمر، ولا (أيّ) حرام أصلا. واجتنب لباس الحرير والذهب إن كنت رجلا، وهو حلال للمرأة.

(١) [البقرة: ٢٧]
(٢) ص ٥٩ب

وإذا رأيت رؤيا[١] تحزنك، واستيقظتَ؛ فاتفل عن يسارك ثلاث مرّات، وقل: "أعوذ بالله من شرّ ما رأيت" وتحوّل عن جنبك الذي كنت عليه في حال رؤياك، إلى الجنب الآخر، ولا تحدِّث بما رأيت؛ فإنّها لا تضرّك؛ فحافظ على مثل هذا تَرَ برهانَه. فإنّ كثيرا من الناس، وإن استعاذوا، يتحدّثون بما رأوه، وقد ورد أنّ «الرؤيا معلّقة برجل[٢] طائر؛ فإذا قالها (صاحبها) سقطت لَمّا قيلت[٣] له».

وعليك باستعمال الطِّيب؛ فإنّه سنّة. واستعمل منه إن كنت ذَكَرا ما ظهر ريحه، وخفي لونه، وإن كنت امرأة؛ فاستعمل منه ما ظهر لونه، وخفي ريحه؛ فإنّ الحديث النبوي بهذا ورد. وعليك بالسِّواك لكلّ صلاة، وعند كلّ وضوء، وعند دخولك إلى بيتك؛ فـ«إنّه مَطْهَرة للفم، ومرضاة للربّ». وقد ورد: «إنّ صلاةً بِسِوَاك تفضلُ سبعين صلاة بغير سِواك» ذكره ابن زنجويه في كتاب "الترغيب في فضائل الأعمال".

وإيّاك واليمين الغموس؛ فإنّها تغمس صاحبها في الإثم؛ فإنّ الناس اختلفوا في كفّارتها؛ فمنهم من ألحقها في الكفّارة بالأيمان، ومنهم من قال: إنّها لا كفّارة فيها، وهي اليمين التي تَقطع بها حقّا للغير وجبَ عليك. وفي هذا فقهٌ عجيب دقيق لمن نظر وتفقّه في وجوب الحقّ؛ متى يكون؟ وبأيّ صفة يكون؟ وما منعني أن أُبيّنه للناس إلّا سدّ الذريعة، حتى[٤] لا يَتأوّل فيه الجاهل، فيجاوز القدر الذي نذكره؛ فيقع في الإثم وهو لا يشعر، فإنّ الفقهاء أغفلوا هذا الوجه الذي أومأنا إليه، وما ذكروه.

وإيّاك والمِراء في القرآن؛ فإنّه كُفْرٌ بنصّ الحديث؛ وهو الخوض فيه بأنّه محدَث أو قديم، أو هل هذا المكتوب في المصاحف، والمتلوّ المتلفَّظُ به؛ عينُ كلام الله؟ أو ما هو عين كلام الله؟ فالكلام في مثل هذا، والخوض فيه؛ هو الخوض في آيات الله، وهذا هو المِراءُ والجدالُ في القرآن، الداخل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ

(١) ص ٦٠
(٢) ق، هـ: من رجل
(٣) ق: قبلت
(٤) ص ٦٠ب

﴿يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ﴾(١) فسمّاه حديثا، وليس إلّا القرآن. فلو أراد آيات غير القرآن؛ لقال فيها بضمير الآية أو الآيات، فليس للذكوريّة هنا دخولٌ إلّا إذا أراد آيات القرآن، والقرآنُ خبرُ الله، والخبرُ عينُ الحديث، وقال: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ﴾(٢) و﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾(٣) والذِّكْرُ (هو) الحديثُ.

وصيّة: (اكظم التثاؤب)

اكظم التثاؤب ما استطعت؛ فإنّه من الشيطان، وإيّاك أن تصوّت فيه؛ فإنّ ذلك صوت الشيطان. والعُطاس في الصلاة من الشيطان أيضا، وفي غير الصلاة العطاسُ ليس من الشيطان. وإيّاك والطَّرْقَ(٤)؛ وهو الضرب بالحَصَى، قال الشاعر(٥):

لَعَمْرُكَ(٦) ما تَدْرِي الضَّوارِبُ بِالحَصَى وَلا زَاجِـراتِ الطَّـيْرِ مـا اللهُ صـانِعُ

وكذلك العيافةُ والطّيرة، وعليك بالفأل، والطِّيَرَة شِرْكٌ. وإيّاك والبصاق في المسجد؛ فإن غفلتَ؛ فادفنها فذلك كفّارَتُها. وإيّاك أن تستقبل القِبلة ببصاقك ولا بِخَلائِكَ، ولا تستدبرها أيضا ببول ولا غائط؛ فإنّ ذلك من آداب النبوّة. وإذا أردتَ أن تأكل فاغسل يديك قبل الأكل وبعده، وزد المضمضة منه في الغسل بعده.

وعليك بالإحسان إذا مَلَكَتْ يمينُك؛ من جارية وغلام، ولا تكلّفهما فوق طاقتهما، وإن كَلّفتهما؛ فأَعِنْهُما؛ فإنّهما من إخوانكم، وإنما الله مَلّككم رقابَهم، الكلُّ بنو آدم؛ فهم إخوتنا؛ فَرَاعِ اللهَ فيهم، واعلم أنّك مسئول عنهم يوم القيامة.

وإذا عاقبتَ أحدَهم على جناية؛ فاعلم أنّ الله يوم القيامة يوقِفُ العبدَ وسيّدَهُ بين يديه، ويحاسبه على جنايته، وعلى عقوبته على ذلك؛ فإن خرجتَ رأسًا برأسٍ كان، وإن كانت العقوبةُ

(١) [الأنعام: ٦٨]
(٢) [الأنبياء: ٢]
(٣) [الحجر: ٩]
(٤) الطَّرْق: الضرب بالحصى، وهو ضرب من التكهن
(٥) لَبيد بن ربيعة العامِري [ت: ٤١هـ]: من المخضرمين، وهو أحد أصحاب المعلقات
(٦) ص ٦١

أكثرَ من الجناية؛ اقتُصّ للعبد من السيّد. فتحفَّظ، ولا تزد في العقوبة على ثلاثة أسواط؛ فإن كثّرتَ فإلى عشرة، ولا تزد إلّا في إقامة حدٍّ من حدود الله؛ فذلك حدُّ الله لا تتعدّاه. وإن عفوت عن العبد في جنايته؛ فهو أَوْلَى بك، وأحوط لك.

وإذا جئتَ إلى بيت قوم؛ فاستأذِن ثلاث مرّات[1]؛ فإن أُذِن لك، وإلّا فارجع. ولا تنظر في بيت أخيك من حيث لا يَعرف بك؛ فإنّك إذا نظرتَ فقد دخلتَ، وإنما جُعل الإذن من أجل البصر. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾[2] وقال: ﴿فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْ﴾[3] وثبت في الحديث: «الاستئذانُ ثلاث؛ فإن أُذِن لك، وإلّا فارجع».

وإيّاك أن تتّخذ الجرَس في عنق دابّتك؛ فإنّ الملائكة تنفر منه، وقد ورد بذلك الحديث النبويّ. وكان بمكة رجلٌ من أهل الكشف يقال له: ابن الأسعد، من أصحاب الشيخ أبي مدين، صحبه ببجاية، فكان يوما بالطواف، وهو يشاهد الملائكة تطوف مع الناس، فنظر إليهم وإذا بهم قد تركوا الطواف، وخرجوا من المسجد سراعا! فلم يدر ما سبب ذلك، حتى بقيت الكعبة ما عندها مَلَك! وإذا بالجِمال؛ بالأجراس في أعناقها قد دخلت المسجدَ بالروايا تسقي الناس، فلمّا خرجوا؛ رجعت الملائكة. وقد ثبت أنّ الجرَس مزاميرُ الشيطان.

والذي أوصيك به أن تحافظ على أن تشتري نفسك من الله بعتقِ رقبتك من النار؛ بأن تقول: "لا إله إلّا الله" سبعين ألف مرّة؛ فإنّ الله يعتق رقبتك بها من النار، أو رقبة مَن تقولها عنه من الناس. ورد في ذلك خبرٌ نبويّ. ولقد أخبرني أبو العباس أحمد بن علي بن ميمون بن آب التوزري[4]، عُرِف بالقسطلاني بمصر، قال في هذا الأمر: إنّ الشيخ أبا الربيع الكفيف المالقي كان على مائدة طعام، وكان قد ذَكَر هذا الذِّكْر، وما وهبه لأحد، وكان معهم على المائدة

---

(١) ص ٦١ب
(٢) [النور: ٢٧]
(٣) [النور: ٢٨]
(٤) ص ٦٢

شابٌّ صغيرٌ من أهل الكشف من الصالحين. فعندما مدّ يده إلى الطعام؛ بكى. فقال له الحاضرون: ما شأنك تبكي؟ فقال: هذه جهنّم أراها، وأرى أُمّي فيها. وامتنع من الطعام، فأخذ في البكاء. قال الشيخ أبو الربيع: فقلت في نفسي: "اللهمّ إنّك تعلم أنّي قد هلّلتُ بهذه السبعين ألفا، وقد جعلتُها عِتْقَ أمِّ هذا الصبيّ من النار" هذا كلّه في نفسي. فقال الصبيّ: الحمد لله؛ أرى أُمّي قد خرجت من النار، وما أدري ما سبب خروجها. وجعل الصبيُّ يبتهج سرورا، وأكل مع الجماعة. قال أبو الربيع: فصحّ عندي هذا الخبرُ النبويُّ بكشفِ هذا الصبيّ، وصحّ عندي كشفُ هذا الصبيّ بالخبر.

وقد عملتُ أنا على هذا الحديث، ورأيت له بركة في زوجتي لَمّا ماتت.

وعليك بإصلاح ذات البَين؛ وهو الفراق؛ فإنّ الإصلاحَ بين الناس؛ من الخير المعيّن في الكتاب. وإذا كان اللهُ قد رغَّبَ، بل أَمَر المسلمين إذا جنح الكفّارُ إلى السَّلْم أن يجنحوا لها؛ فأحرى الصلح بين المتهاجرين من المسلمين. و«إيّاك وإفساد ذات البَين؛ فإنّها الحالقة» والبَيْنُ هنا هو الوصلُ، ومعنى قول النبيّ ﷺ: «الحالقة» أنّها تحلق الحسنات[1] كما يحلق الحلّاق الشعر من الرأس. قال الله -تعالى-: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾[2] -بالرفع- يعني الوصل. والبَيْنُ في اللسان من الأضداد؛ كالجون[3].

يا وليّ؛ أطعِمْ عبدَك مما تأكل، واكسِهِ مما تلبس، وراعِ قدرَه، وانظر فيما ثبتَ فيهم من رسول الله ﷺ بقوله: «إخوانُكم خَوَلُكُم؛ جعلهم الله تحت أيديكم. فمن كان أخوه تحت يده؛ فليُطعمه مما يأكل، وليُلبسه مما يلبَس». واغتنم صحّة البدن، والفراغ من شغل الدنيا، واستعِن بهاتين النعمتين، اللتين أنعم الله عليك بهما، على طاعة الله؛ فإنّه ما أَصَحَّ بدنَك، ولا فرّغك من هموم الدنيا؛ إلّا لطاعته، والقيام بحدوده؛ وإلّا كانت الحجّة عليك لله؛ فاحذر أن يكون اللهُ خصمَك.

---

(١) ص ٦٢ب
(٢) [الأنعام: ٩٤]
(٣) الجون: الأسود، والأبيض

ولتقل في كلّ يوم، عند كلّ صباح، مائة مرّة: «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» فإنّ هذا الذِّكْر لا يُبقي عليك ذنبا.

* * *

وصيّة: (عليك بحفظ جوارحك)

عليك بحفظ جوارحك؛ فإنّه مَن أرسل جوارحَه أتعبَ قلبَه. وذلك أنّ الإنسان لا يزال في راحة؛ حتى يرسل جوارحه. فربما نظر إلى صورة حسنة تعلّق قلبُه بها، ويكون صاحب تلك الصورة من المنعةِ بحيث لا يقدرُ هذا الناظرُ على الوصول إليها؛ فلا يزال في تعبٍ من[١] حُبّها: يسهرُ الليلَ، ولا يهنأ له عيش. هذا إذا كان حلالا؛ فكيف به إن كان أرسله فيما لا يحلّ له النظر إليه؟ فلهذا أُمرنا بتقييد الجوارح؛ فإنّ زِنَى العيون النظرُ، وزنى اللسان النطقُ بما حرّم عليه، وزنى الأذن الاستماعُ إلى ما حجر عليه، وزنى اليد البطشُ، وزنى الرِّجل السعيُ. وكلُّ جارحةٍ تصرّفتْ فيما حرِّم عليها التصرّف فيه؛ فذلك التصرّفُ منها على هذا الوجه الحرام هو زِناها.

فاللسانُ؛ يقول بعضهم: هو الذي أوردني الموارد المهلكة. وقال ﷺ: «وهل يُكِبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلّا حصائدُ ألسنتهم» قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[٢] يعني بها. فتقول اليد: بطش بي في كذا، يعني في غير حقّ فيما حرّم عليه البطش فيه. وتقول الرِّجلُ كذلك، واللسانُ، والبصرُ، وجميعُ الجوارح كذلك ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾[٣]. خرّج مسلم عن محمد بن أبي عمر، عن سفيان، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله؛ هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده؛ لا تُضارّون في رؤية ربّكم؛ فيلقى العبد فيقول: أي فل[٤]؛ ألم أُكْرِمك، وأسوّدك، وأزوّجك، وأسخّر لك الخيل والإبل[٥]، وأَذَرك

(١) ص ٦٣
(٢) [النور: ٢٤]
(٣) [الإسراء: ٣٦]
(٤) المعنى: يا فلان
(٥) ص ٦٣ب

ترأس وتربع؟ فيقول: بلى يا ربّ؛ فيقول: أفظننتَ أنّك ملاقيّ؟ فيقول: آمنتُ بك، وبكتابك، وبرسلك، وصلّيت، وصمت، وتصدّقت، ويثني بخير ما استطاع. فيقول: ها هنا إذَنْ. قال: ثُمّ يقال له: الآن نبعثُ شاهدا عليك! ويتفكّر في نفسه: من ذا الذي يشهد عليّ؟ فيُختم على فيه، ويقال لفخذه: أنطقي. فتنطِقُ فَخْذُهُ، ولحمه، وعظامه، بعمله؛ وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي سخط الله عليه».

وقد ورد في الحديث الثابت في أمر الدنيا: «إنّ الساعة لا تقوم[١] حتى تكلّمَ الرجلَ فَخْذُهُ[٢] بما فعل أهلُه وعذبَةُ سوطه»، وقد قيل في التفسير: إنّ الميّتَ الذي أحياه الله في بني إسرائيل في حديث البقرة في قوله: ﴿ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ﴾[٣] قال: ضُرِب بفخذها وإنّ الله ما عيّن ذلك البعض، فاتّفق أن ضربوه بالفخذ. فاحذر -يا أخي- يوما تشهد فيه عليك الجلود والجوارح، وأنصف من نفسك، وعامل جوارحك بما تشكرك به عند الله.

ولقد رأينا ذلك عيانًا في الدنيا في زمان الأحوال التي كنّا فيها، أعني نُطق الجوارح إذا أراد العبدُ أن يصرفها فيما لا يجوز شرعا، تقول له الجارحة: "يا هذا؛ لا تفعل، لا تجبرني على فعل ما حجر عليك فعله؛ فإنّي شهيد عليك يوم القيامة. فاجعلني شاهدا لك، لا عليك، واصحبني بالمعروف" وهو في غفلة لا يسمع. فإذا وقع منه الفعل، تقول الجارحة: "يا ربّ؛ قد[٤] نهيتُه كما نهيتَه، فلم يسمع، اللهم إنّي أبرأ إليك مما وصل إليه من مخالفتك بي" وعلى كلّ حال فإرسال الجوارح يؤدّي إلى تعب القلب؛ فإنّ الله خلقك لك، واصطفى منك لنفسه قلبَك، وذكر أنّه يسعه إذا كان مؤمنا تقيّا ذا ورع.

فإذا شغلتَه بما تصرّفتْ فيه جوارحُك؛ كنتَ ممن غصب الحقَّ فيما ذكر أنّه له منك، وأيّ ظلم أعظم ممن ظلم الحقّ؟ فلا تجعل الحقَّ خصمَك؛ فإنّ لله الحجّة البالغة، كما ذكر عن نفسه

(١) ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب
(٢) ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب
(٣) [البقرة: ٧٣]
(٤) ص ٦٤

بكلّ وجهٍ[١]. وقد أشهدني الله حجّته على خلقه؛ كيف تقوم؛ وذلك في أنّ العلم يتبع المعلوم إن فهمتَ؛ فأكثر من هذا التصريح ما يكون.

* * *

وصيّة: (عليك بالأذان لكلّ صلاة)

وعليك بالأذان لكلّ صلاة، أو تقول ما يقول المؤذِّن إذا أذّن. وإذا أذّنت فارفع صوتك؛ فإنّ المؤذّن يشهد له يوم القيامة مدى صوته من رطب ويابس، ولو علم الإنسان ما له في الأذان؛ ما تركه. قال ﷺ: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأوّل ثُمّ لم يجدوا إلّا أن يستهِموا عليه لاستهَموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا». فإن لم يؤذِّن، وسمع الأذان؛ فليقل مثل ما يقول المؤذّن سَواء، وإن قال ذلك عند كلّ كلمة، إذا فرغ المؤذِّن منها؛ قالها هذا السامع بحضور[٢] وخشوع.

ولقد أذّنتُ يوما، فكلّما ذكرت كلمة من الأذان كشفَ الله عن بصري، فرأيت ما لها مَدَّ البصر من الخير. فعاينتُ خيرا عظيما لو رآه الناس العقلاء لذهلوا لكلّ كلمة، وقيل لي: "هذا الذي رأيتَ ثوابُ الأذان" وإنما ارتضينا ووصّينا أن يقول السامعُ مثل ما يقول المؤذّن عند فراغ كلّ كلمة، لِمَا رويناه من حديث الترمذي عن ابن وكيع، عن إسماعيل بن محمد بن جحادة يبلغ به النبيّ ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَن قال: لا إله إلّا الله والله أكبر؛ صدّقه ربُّه، وقال: لا إله إلّا أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلّا الله وحده، يقول الله: لا إله إلّا أنا، وأنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، قال الله: لا إله إلّا أنا وحدي، لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلّا الله له الملك وله الحمد، قال الله: لا إله إلّا أنا لي المُلك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلّا الله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، قال الله: لا إله إلّا أنا، ولا حول ولا قوّة إلّا بي» قال: وكان يقول: «مَن قالها في مرضه لم تطعمه النار».

---

(١) لم ترد في ق، وأثبتناها من هـ، س
(٢) ص ٦٤ب

ويكفي العاقلَ في الأمر بالأذان أمرُ النبيّ ﷺ: «مَن سمع المؤذّن يؤذّن أن يقول مثل قوله، فهو أذان» فما رغّبه فيه إلّا وله أجره فإنّه مُعْلِم لذلك نفسَه، وذاكِرٌ ربَّه بصورة الأذان؛ فما أمره إلّا بما له فيه خير كثير. وليؤذّن[1] على أكمل الروايات، وأكثرها ذِكْرا؛ فإنّ الأجر يكثر بكثرة الذِّكْر. قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[2] وقال: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا﴾[3] وقد ورد أنّ الإنسان إذا كان بأرض فلاة، فدخل الوقت وليس معه أحد، قام فأذّن؛ فإذا أذّنَ صلّى خلفَه من الملائكة كأمثال الجبال، ومَن كانت جماعته مثل أولئك يؤمِّنون على دعائه؛ كيف يشقى؟! وإنما وصّينا بمثل هذا لغفلة الناس عن مثله.

فالعاقل مَن لا يغفل عن فعل ما له فيه الخير الباقي عند الله ﷻ؛ فإنّ ذلك من رحمتك بنفسك. فإنّ اللهَ جعل رحمتَك بنفسك أعظمَ من رحمتك بغيرك، كما جعل أذاك نفسَك أعظمَ في الوزر مِن أذاك غيرَك. قال (ص) في قاتل الغير إذا لم يُقتل به: «أمرُه إلى الله؛ إن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذه» وقال في القاتل نفسَه: «حرّمت عليه الجنّة» وقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن» فَمَن رَحِم نفسَه؛ يسلكُ بها سبل هداها، ويحول بينها وبين هواها؛ فرحمه الله رحمةً خاصّةً خارجةً عن الحدّ والمقدار؛ فإنّه رَحِم أقربَ جار إليه؛ وهي نفسُه، ورحم صورةً خلقها الله على صورته؛ فَجمع بين الحسنيين: مراعاة قرب الجوار، ومراعاة الصورة.

وأيُّ جار سِوَى نفسِه[4]، فهو أبعد منها، ولذلك أُمِر الداعي إذا دعا أن يبدأ بنفسه أوّلا؛ مراعاة لحقّها. والسرُّ الآخر أنّ الداعي لغيره يحصل في نفسه افتقارُ غيرِه إليه، ويذهل عن افتقاره؛ فربما يدخله زَهْوٌ وعُجب بنفسه لذاك، وهو داء عظيم؛ فأمره رسول الله ﷺ أن يبدأ لنفسه بالدعاء؛ فتحصل له صفة الافتقار في حقّ نفسه؛ فتزيل عنه صفةُ الافتقارِ صفةَ العُجبِ والمنّةِ على الغير، وفي أثر ذلك يدعو للغير على افتقار وطهارة. فلهذا ينبغي للعبد أن يبدأ بنفسه في الدعاء، ثمّ يدعو لغيره؛ فإنّه أقرب إلى الإجابة؛ لأنّه أخلص في الاضطرار والعبوديّة، ومثلُ هذا

(١) ص ٦٥
(٢) [الأحزاب: ٣٥]
(٣) [الأحزاب: ٤١]
(٤) ص ٦٥ب

النظر مغفولٌ عنه. لا أحدَ أعظمُ من الوالدين، وأكبرُ بعد الرسل حقّا منهما على المؤمن، ومع هذا أُمِر الداعي أن يقدّم في الدعاء نفسَه على والديه، فقال نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1] وقال الخليلُ إبراهيم عليه السلام في دعائه: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾[2] فقدّم نفسه ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾[3] ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[4] فبدأ بنفسه وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾[5].

وإنما أوصيتُك بالأذانِ لِمَا[6] فيه عند الله يوم القيامة؛ فإنّ «المؤذّنين أطولُ الناس أعناقا في ذلك اليوم»، يقول: تمتدّ أعناقهم دون الناس؛ لينظروا ما أثابهم الله به، وما أعطاهم من الجزاء على أذانهم، هذا إن كان من الطُّول. فإن كان من الطَّوْل، الذي هو الفضل، والعُنُقُ الجماعةُ؛ فهم أفضل الناس جماعة. ومَن رواه بكسر الهمزة؛ فهو أفضلهم سيرا؛ لما يرونه من الخير الذي لهم على الأذان؛ فإنّ المؤذّن يحافظ على الأوقات؛ فهو يسرع إلى الإعلام بدخول وقت الصلاة؛ فإنّه مُراعٍ ذلك.

* * *

وصيّة: (إن كنت واليا فاقض بالحقّ بين الناس)

وإن كنت واليا فاقض بالحقّ بين الناس ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ وسبيل الله هو ما شرعه لعباده في كتبه وعلى ألسنة رسله. فـ﴿ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[7] يعني به، والله أعلم، يوم الدنيا؛ حيث لم يحاسِبوا نفوسَهم فيه؛ فإنّ النِّسيانَ التركُ. يقول رسول الله ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا». ولقد أشهدني الله في هذا مشهدا عظيما، بأشبيلية سنة ست وثمانين وخمسمائة.

---

(١) [نوح: ٢٨]
(٢) [إبراهيم: ٣٥]
(٣) [إبراهيم: ٤٠]
(٤) [إبراهيم: ٤١]
(٥) [الأنعام: ٩٠]
(٦) ص ٦٦
(٧) [ص: ٢٦]

ويوم الدنيا -أيضا- هو يوم الدين، أي يوم الجزاء؛ لما فيه من إقامة الحدود ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ[1] لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[2] وهذا عين الجزاء، وهو أحسن في حقّ العبد المذنِب من جزاء الآخرة؛ لأنّ جزاء الدنيا مذكِّر، وهو يوم عمل، والآخرة ليست كذلك، ولهذا قال في الدنيا: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ يعني إلى الله بالتوبة. فيوم الجزاء أيضا يومُ الدنيا، كما هو يوم الآخرة، وهو في يوم الدنيا أنفع. فاقْضِ بالحقّ؛ فإنّ الله قد قضى في الدنيا بالحقّ بما شرعه لعباده، وفي الآخرة بما قال؛ فإنّ «القضاة في الدنيا ثلاثة[3]: واحد في الجنّة، واثنان في النار».

والذي أوصيك به إذا فتح الله عينَ بصيرتك، ورزَقك الرجوع إليه المسمّى: توبة؛ فانظر أيَّ حالة أنت عليها من الخير لا تزُل عنها: إن كنت واليا؛ أُثبت على ولايتك، وإن كنت عَزَبا؛ أُثبت على ذلك، وإن كنت ذا زوجة؛ فلا تطلِّق، واثبت على ذلك مع أهلك، واشرع في العمل بتقوى الله في الحالة (التي) أنت عليها من الخير، كانت ما كانت. فإنّ لله في كلّ حالٍ بابُ قربةٍ إليه -تعالى- فاقرع ذلك الباب يُفتح لك، ولا تحرِم نفسَك خيرَه. وأقلُّ الأحوال أنّك في الحال التي كنت عليها في زمان مخالفتك؛ إذا ثبتَّ عليها عند توبتك؛ تَحمدك تلك الحالة. فإن فارقتها؛ كانت عليك، لا لك؛ فإنّها ما رأت منك خيرا. وهذا معنى دقيقٌ لطيفٌ لا ينتبه له كلُّ أحد -فإنّها[4] لا تشهد لك إلّا بما رأته منك. فإذا رأتْ منك خيرا شهِدتْ لك به- ويفوتك ما ذكرته لك من نَيْل ما فيها من الخير المشروع، وأعني بذلك كلَّ حال أنت عليها من المباحات؛ فإنّ توبتَك إنما كان رجوعك عن المخالفات.

وإيّاك أن تتحرّك بحركة إلّا وأنت تنوي فيها قربةً إلى الله. حتى المباح -إذا كنت في أمر مباح- فانْوِ فيه القربة إلى الله، من حيث إيمانك به أنّه مباح، ولذلك أتيتَه؛ فتؤجر فيه ولا بدّ. حتى المعصية إذا أتيتَها؛ إنْوِ المعصية فيها؛ فتؤجر على الإيمان بها أنّها معصية. ولذلك لا تخلص معصية لمؤمن أبدا، من غير أن يخالطها عملٌ صالح؛ وهو الإيمان بكونها معصية، وهم من الذين

---

(١) ص ٦٦ب

(٢) [الروم: ٤١]

(٣) رسمها في ق: ثلاث

(٤) ص ٦٧

قال الله فيهم: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾(١) فهذا معنى المخالطة. فالعملُ الصالح هنا الإيمانُ بالعمل الآخر السيّئ؛ أنّه سيّء. و"عسى" من الله واجبةٌ؛ فيرجع عليهم بالرحمة؛ فيغفر لهم تلك المعصية بالإيمان الذي خلطها به(٢). فمتعلَّقُ "عسى" هنا رجوعُه -سبحانه- عليهم بالرحمة، لا رجوعهم إليه؛ فإنّه ما ذكر لهم توبة. كما قال في موضع آخر: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾(٣) وهنا جاء بحكم آخر ما فيه ذكر توبتهم، بل فيه توبة الله -تعالى- عليهم.

والذي أوصيك به؛ أنّك لا تنقل مجلسا، ولا(٤) تُبلغ ذا سلطان حديثا إلّا خيرا. خرّج الترمذي حديثا عن حذيفة أو غيره -أنا الشاكّ- أنّ رجلا مرّ عليه، فقيل له عنه: إنّ هذا يبلّغ الأمراءَ الحديثَ. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنّة قتّات» قال أبو عيسى: والقتّاتُ (هو) النمّامُ. وإذا حدّثك إنسان، وتراه يلتفت يمينا وشمالا؛ يحذر أن يسمع حديثَه أحدٌ؛ فاعلم أنّ ذلك الحديث أمانةٌ أودعك إيّاه؛ فاحذر أن تخونه في أمانته بأن تحدّث بذلك عند أحد؛ فتكون ممن أدّى الأمانة إلى غير أهلها؛ فتكون من الظالمين، وقد ثبت أنّ «المجالس بالأمانة». وأمّا وصيّتي لك أن لا تبلغ ذا سلطان حديثا بشرّ؛ فإنّ ذلك نميمة، قال -تعالى- في ذَمِّهِ: ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾(٥).

*   *   *

ومن الوصايا: (الحذر من الطعن في الأنساب)

الحذر من الطعن في الأنساب؛ فلا تَحُلْ بين شخص وبين أبيه صاحب الفراش؛ فإنّ ذلك كفرٌ بنصّ الشارع فيه.

وعليك بمراعاة الأوقات في الدعاء؛ مثل الدعاء عند الأذان، وعند الحرب، وعند افتتاح الصلاة؛ فإنّ المطلوب من الدعاء إنما هو الإجابة فيما وقع السؤال فيه من الله، وأسباب القبول

---

(١) [التوبة: ١٠٢]
(٢) ق: بها
(٣) [التوبة: ١١٨]
(٤) ص ٦٧ب
(٥) [القلم: ١١]

كثيرة، وتنحصر في الزمان، والمكان، والحال، ونفس الكلمة[1] التي تذكر الله بها من الذِّكْر حين تدعوه في مسألته. فإنّه إذا اقترن واحد من هذه الأربعة بالدعاء؛ أجيب الدعاء. وأقوى هذه الأربعة الاسمُ، ثمّ الحال.

وعليك بمراعاة حقّ الله وحقّ الخلق إن توجَّه لهم عليك حقٌّ؛ فإنّ الله يؤتيك أجرك مرّتين: من حيث ما أدّيته من حقّه، ومن حيث ما أدّيت مِن حقِّ مَن تعيّن عليك له حقٌّ من خلق الله. وإن كانت لك جارية، فأدّبتها وأحسنتَ أدبها؛ فإنّ لك في ذلك أجرا عظيما. ثمّ إن أعتقتها؛ فلك في العتق الأجرُ العظيمُ العامُّ لذاتك. فإن تزوّجتَ بها؛ فلك أجرٌ آخرُ أعظمُ من أنّك لو تزوّجت بغيرها. فإذا رأيت غازيا فأَعِنْهُ بطائفة من مالك، وكذلك المكاتب، وكذلك الناكح يريد بنكاحه عصمةَ دينه والعفاف. فإنّك إذا فعلت ذلك، وأَعَنْتَهُم؛ فإنّك نائبُ الله في عونهم؛ فإنّ عونَ هؤلاء حقٌّ على الله بنصّ الخبر.

فمن أعانهم؛ فقد أدّى عن الله ما أوجبه الله على نفسه لهم؛ فيكون اللهُ يتولّى كرامتَه بنفسه. فما دام المجاهِد في سبيل الله مجاهدا بما أعنته عليه؛ فإنّك شريكه في الأجر، ولا ينقصه شيء. وكذلك إعانةُ الناكح؛ حتى إنّه لو وُلِد له ولد، فكان صالحا؛ فإنّ لك في ولده وفي عَقِبه أجرا وافرا، تجده يوم القيامة عند الله، وهو أعظم من المكاتب والمجاهد. فإنّ النكاحَ أفضلُ نوافل الخيرات، وأقربُه[2] نِسبةً إلى الفضل الإلهيّ في إيجاده العالَم، ويَعظم الأجر بعظم النِّسب.

واعلم أنّ الإنسانَ مجبولٌ على الفاقة والحاجة؛ فهو مجبول على السؤال. فإن رزَقك اللهُ يقينا؛ فلا تسأل إلّا الله -تعالى- في طلب نفعٍ يعودُ عليك، أو دفع ضرر نزل بك. فإذا سألك أحدٌ بالله، لا بقرابة، ولا بشيء غير الله ﷻ فأعطه مسألتَه بحيث لا يعلم بذلك أحدٌ إلّا هو خاصّة، ولا بدّ لك في مثل هذه الأُعطية أن يَعرفها؛ فإنّه ينجبر في نفسه ما انكسر منها عند سؤاله. فإذا لم يعلم أنّ سؤاله نفع؛ انكسرَ؛ فلا بدّ أن تجيبه إلى مسألته على علم منه. فإن علمت بحاله من

---

(١) ص ٦٨

(٢) ص ٦٨ب

غير سؤال منه؛ فمثل هذا تعمَّل أن تعطيه مسألته بالحال، من غير أن يعلم أنّك أعطيته؛ فإنّه يخجل بلا شكّ، ولا سيما إن كان من أهل المروءات والبيوت، وممن لم تتقدّم له عادة بذلك. وفرِّق بين الحالتين؛ فإنّ الفرق بينهما دقيق. فإنّ السائل الأوّل يخجل إذا لم يعلم أنّك أعطيته، والثاني يخجل إذا علم أنّك أعطيته، والمقصودُ رفعُ الخجل عن صاحب الفاقة.

وعليك بذِكْر الله بين الغافلين عن الله، بحيث لا يعلمون بك؛ فتلك خلوة العارف بربّه، وهو كالمصلّي بين النائمين.

وإيّاك ومنع فضل الماء من ذي الحاجة إليه، واحذر من المنّ في العطاء؛ فإنّ المنّ في العطاء يؤذِن بجهل[1] المعطي من وجوهٍ، منها: رؤيته نفسَه بأنّه رَبُّ النعمة التي أعطى، والنعمة إنما هي لله خلقا وإيجادا. والثاني نسيانُه منّةَ الله عليه فيما أعطاه ومَلَّكه مِن نِعمة، وأحوجَ هذا الآخر لما في يده. والثالث نسيانه أنّ الصدقة التي أعطاها إنما تقع بيد الرحمن. والآخر؛ ما يعود عليه[2] من الخير في ذلك. فلنفسه أحسن، ولنفسه سعى؛ فكيف له بالمنّة على ذلك الآخر أنّه ما أوصل إليه إلّا ما هو له؟ إذ لو كان رِزْقه؛ ما أوصله إليه؛ فهو مؤدّ أمانة من حيث لا يشعر. فجهْلُه بهذه الأمور كلِّها جعله يمتنُّ بالعطاء على مَن أوصل إليه راحة، وأبطل عملَه، فإنّ الله يقول: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾[3] وقال الله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[4].

وإيّاك أن تتقدّم قوما في الصلاة إماما، وهم يكرهون تَقَدُّمَك عليهم في صلاة وفي غيرها. غير أنّ هنا دقيقة؛ وهي أن تنظر ما يكرهون منك؛ فإن كرهوا منك ما كره الشرعُ منك؛ فهو ذاك، وإن كرهوا منك ما أحبّه الشرع منك؛ فلا تُبالِ بكراهتهم. فإنّهم إذا كرهوا ما أحبَّ الشرعُ؛ فليسوا بمؤمنين، وإذا لم يكونوا مؤمنين؛ فلا مراعاة لهم؛ ولتتقدّم، شاءوا أم أبَوا. فمن ذلك الصلاة: إذا

---

(١) ص ٦٩

(٢) ق: "عليك" وفوقها إشارة وفي الهامش بقلم الأصل: "عليه"

(٣) [البقرة: ٢٦٤]

(٤) [الحجرات: ١٧]

كنتَ أَقْرَأَ القوم؛ فأنت أحقّ بالإمامة بهم[1]، أو ذا سلطان؛ فإنّ الله قدّمك عليهم. ومع هذا فينبغي للناصح نفسَه أن لا يتّصفَ بصفة يُكْرَه منها تقدّمه في أمر دينيّ، ولْيَسْعَ في إزالة تلك الصفة عن نفسه ما استطاع. وحافِظ على الصلاة لأوّل ميقاتها، ولا تؤخِّرها حتى يخرج وقتها.

وإيّاك أن تتعبّد حُرًّا وتسترقّه بشبهة، ولا ترى أنّ لك فضلا على أحد فإنّ الفضل لله ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2] وتعبُّد الحُرِّ على نوعين: إمّا أن تأخذ مَن هو حُرُّ الأصل فتبيعه، وإمّا أن تُعتق عبدا ولا تمكّنه من نفسه، وتتصرَّف فيه وتصرِّفه تَصَرُّف السيّد لعبده، وليس لك ذلك إلّا بإذنه أو إجارته. فإنّي رأيت كثيرا من الناس مَن يعتق المملوك، ولا يمكّنه من كتاب عتقه، ويستعبده مع حريّته. والسيّد إذا أعتق عبدَه؛ ما له عليه حكمٌ إلّا الولاء. فإذا أعتقتَ عبدا؛ فلا تستخدمه إلّا كما تستخدم الحرّ: إمّا برضاه، وإمّا بالإجارة، كالحرِّ سواء؛ فإنّه حُرٌّ. ثبت عن رسول الله ﷺ الوعيد الشديد فيمن تعبّد محرَّرَهُ، وفيمن اعتبَد حُرًّا، وفيمن باع حرّا؛ فأكل ثمنَه. والذي أوصيك به إذا استأجرتَ أجيرا، واستوفيتَ منه؛ فأعطه حقّه، ولا تؤخّره.

* * *

وصيّة: (إذا كنت جُنُبًا ولم تغتسل؛ فتوضّأ أو تيمّم)

إذا[3] كنت جُنُبًا ولم تغتسل؛ فتوضّأ إن كان لك ماء، وإلّا فتيمّم. وإذا أردتَ أن تعاود؛ فتوضّأ بينهما وضوءًا، وإذا أردتَ أن تنام وأنت جنبٌ؛ فتوضّأ، وإن لم تكن جنبًا؛ فلا تنم إلّا على طهارة. وإذا أردتَ أن تأكل أو تشرب، وأنت جنب، فتوضّأ. وإيّاك والتضمّخ بالخَلُوق؛ فإنّ الله لا يقبل صلاة أحد وعلى جسده شيء من خلوق، وثبت أنّ الملائكة لا تقربه، ولا تقرب الجنب إلّا أن يتوضّأ؛ إنّه قد ثبت أنّ الملائكة لا تقرب جيفة الكافر. فإيّاك أن تنزل نفسك -

---

(١) ص ٦٩ب
(٢) [الحديد: ٢٩]
(٣) ص ٧٠

بترك الوضوء في الجنابة- منزلة جيفة[1] الكافر في بُعْد المَلَك منك؛ فإنّهم المطهّرون بشهادة الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ. فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ. لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾[2] يعني بالكتاب المكنون الذي هو صُحُفٌ مُكَرَّمَة. مَرْفُوعَة مُطَهَّرَة. بِأَيْدِي سَفَرَةٍ. كِرَامٍ بَرَرَةٍ.

وإيّاك والغَدْرَ؛ وهو أن تعطي أحدا عهدا ثمّ تغدر به؛ فإنّ رسولَ الله ﷺ قَبِلَ إسلامَ المغيرة، وما قبل غَدْرَتَه بصاحبه، مع كون صاحبه كافرا؛ فكيف حال من يغدر بمؤمن؟ فإنّ الله قد أوعد على ذلك الوعيدَ الشديدَ، وليس من مكارم الأخلاق، ولا مما أباحته الشريعة.

وإيّاك وعقوق الوالدين إن أدركتَهما؛ فأشقى الناس مَن أدرك والديه ودخل النار. قال (تعالى): ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ[3] أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا. وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[4] وقال في الوالدَين إذا كانا كافرين: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾[5] وقال: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾[6] ورجِّحِ الأمَّ، وقدِّمها في الإحسان والبِرّ على أبيك. ثبت أنّ رجلا قال لرسول الله ﷺ: «مَن أبرُّ؟ قال له: أُمّك، ثمّ قال له: من أبرُّ؟ قال: أمّك، ثلاث مرّات، ثمّ قال في الرابعة: من أبرُّ؟ قال: أمّك، ثمّ أباك» فقدَّمَ الأُمَّ على الأب في البِرّ، وهو الإحسان، كما قدَّمَ الجارَ الأقرب على الأبعد، ولكلٍّ حقٌّ. وإن لم يكن لك أُمّ، وكانت لك خالة؛ فبِرَّها؛ فإنّها بمنزلة الأُمّ. فإنّ النبيّ ﷺ أوصى ببِرِّ الخالة.

يا أخي؛ وما أوصيتك في هذه الوصيّة بشيء استنبطته من نفسي؛ فإنّي لا أحكم على الله بأمر في حقّ أحدٍ فيما أوصيتك في هذه الوصيّة إلّا بما أوصاك به اللهُ -تعالى- أو رسولُه ﷺ؛ إمّا معَيَّنا فأذكره على التعيين، وإمّا مجملا فأُفَصِّله لك، غير ذلك ما أقول به.

وإيّاك -يا أخي- أن تزكّي على الله أحدا؛ فإنّ الله قد نهاك عن ذلك في قوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ

---

(١) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٢) [الواقعة: ٧٧ - ٧٩]
(٣) ص ٧٠ب
(٤) [الإسراء: ٢٣ ، ٢٤]
(٥) [لقمان: ١٥]
(٦) [لقمان: ١٤]

﴿أَنفُسَكُمۡۖ﴾ أي أمثالكم ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[(١)] ولكن قُل: أحسبه كذا، وأظنّه كذا، كما أمرك به رسولُ الله ﷺ قال: «ولا أزكّي على الله أحدا» فإنّه[(٢)] من الأدب مع الله عدمُ التحكم عليه في خلقه؛ إلّا بتعريفه وإعلامه. وما هذا من قوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[(٣)] فإنّ ذلك تحلية النفس، وتطهيرها من مذامّ الأخلاق، وإتيان مكارمها.

واعلم أنّ «الإيمانَ بضعٌ وسبعون شعبة؛ أدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، وأعلاها لا إله إلّا الله» وما بينهما وهو على قسمين من الله: عملٌ وتَرْكٌ، أي مأمورٌ به ومنهيٌّ عنه. فالمنهيُّ عنه هو الذي يتعلّق به الترك، وهو قوله: "لا تفعل" والمأمور به هو الذي يتعلّق به العمل، وهو قوله: "افعل" ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[(٤)] وقال ﷺ: «ما نهيتكم عنه فانتهوا» وأَطلَق؛ لم يقيّد. وقال في الأمر: «وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم» فهذا من رحمته بأمّته، وهو لا ينطق عن الهوى؛ فهذا من رحمة الله تعالى بعباده.

وأمرُه بما وجب به الإيمان على نوعين: فرض ومندوب، والنهي على قسمين: نهي حظر ونهي كراهة. والفرض على نوعين: فرض كفاية وفرض عين. وكذلك الواجب أقول فيه: واجب موسّع، وواجب مضيّق. فالواجب الموسّع: موسّع بالزمان، وموسّع بالتخيير، وهو الواجب (المخيّر)؛ مثل كفّارة المتمتّع. وإتيان ما يؤتى من هذا كلّه، وترك ما يُترك من هذا كلّه؛ هو الإيمان الذي فيه سعادة العباد. فالبضع والسبعون من الإيمان هو الفرض منه مِن عمل وترك، وأمّا غَيْرُ الفرض[(٥)] كالمندوبات والمكروهات؛ فيكاد لا تنحصر عند أحد؛ فابحث عليها في الكتاب والسنّة.

فمِن شُعب الإيمان: الشهادةُ بالتوحيد، وبالرسالة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ، والجهاد، والوضوء، والغسل من الجنابة، والغسل يوم الجمعة، والصبر، والشكر، والورع، والحياء، والأمان، والنصيحة، وطاعة أُولِي الأمر، والذِّكْر، وكفّ الأذى، وأداء الأمانة، ونصرة

---

(١) [النجم: ٣٢]
(٢) ص ٧١
(٣) [الشمس: ٩]
(٤) [الحشر: ٧]
(٥) ص ٧١ب

المظلوم، وترك الظلم، وترك الاحتقار، وترك الغيبة، وترك النميمة، وترك التجسّس، والاستئذان، وغضّ البصر، والاعتبار، وسماع الأحسن من القول، واتّباعه[(١)]، والدفع بالتي هي أحسن، وترك الجهر بالسُّوء من القول، والكلمة الطيّبة، وحفظ الفرْج، وحفظ اللسان، والتوبة، والتوكّل، والخشوع، وترك اللغو، والاشتغال بما يعني، وترك ما لا يعني، وحفظ العهد، والوفاء بالعقود، والتعاون على البرّ والتّقوى، وترك التعاون على الإثم والعدوان، والتّقوى، والبِرّ، والقنوت، والصدق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإصلاح ذات البين، وترك إفساد ذات البين، وخفض الجناح، واللِّين، وبِرّ الوالدين، وترك العُقوق، والدعاء[(٢)]، والرحمة بالخلق، وتوقير الكبير ومعرفة شرفه، ورحمة الصغير، والقيام لحدود الله، وترك دعوى الجاهليّة؛ فإنّ النبيّ ﷺ يقول: «دعوها فإنّها منتنة» والتودّد، والحبّ في الله، والبغض في الله، والتؤدة، والحلم، والعفاف، والبذاذة[(٣)]، وترك التدابر، وترك التحاسد، وترك التباغض، وترك التناجش[(٤)]، وترك شهادة الزور، وترك قول الزور، وترك الهمز واللمز والغمز، وشهود الجماعات، وإفشاء السلام، والتهادي، وحسن الخُلق، والسمت الصالح، وحسن العهد، وحفظ السرّ، والنكاح، والإنكاح، وحبّ الفال، وحبّ أهل البيت، وترك الطيرة، وحبّ النساء، وحبّ الطيب، وحبّ الأنصار، وتعظيم الشعائر، وتعظيم حرمات الله، وترك الغشّ، وترك حمل السلاح على المؤمن، وتجهيز الميّت، والصلاة على الجنائز، وعيادة المريض، وإماطة الأذى، وأن تحبّ لكلّ مؤمن ما تحبّ لنفسك، وأن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليك مما سِوَاهما، وأن تكره أن تعود في الكفر، وأن تؤمن بملائكة الله، وكتبه، ورسله، وبكلّ ما جاءت به الرسل من عند الله إلى ما لا يحصى كثرة، يأتي -إن شاء الله- من ذلك في هذه الوصيّة ما[(٥)] يذكّرني الله به، ويجريه على خاطري وقلمي.

---

(١) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٢) ص ٧٢
(٣) البذاذة: رثاثة الهيئة
(٤) التناجش: التزايد في البيع وغيره
(٥) ص ٧٢ب

ومَن تتبّع كتاب الله، وحديث رسوله ﷺ يجد ما ذكرناه وزيادة مما لم نذكره. وكلّ ما ورد فله أوقاتٌ تخصّه، وأمكنةٌ، ومحالٌّ، وأحوالٌ. والجامع للخير كلّه في ذلك أن تنوي في جميع ما تعمله أو تتركه؛ القربةَ إلى الله بذلك العمل أو الترك، وإن فاتتك النيّةُ فاتَك الخيرُ كلُّه. فكثيرٌ مّا بين تاركٍ بنيّة القربة إلى الله، من حيث أنّ الله أمره بترك ذلك، وبين تاركٍ له بغير هذه النيّة، وكذلك في العمل ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ﴾[1] والإخلاص هي النيّةُ، والعبادةُ عملٌ وتركٌ، والإخلاصُ مأمورٌ به شرعا.

وصيّة: (إذا كنتَ إمامَ قوم، فدعوتَ؛ فلا تخصّ نفسك بالدعاء دونهم)

إذا كنتَ إمامَ قوم، فدعوتَ؛ فلا تخصّ نفسك بالدعاء دونهم؛ فإنّك إن فعلت ذلك فقد خُنتهم، وفيه من مذامّ الأخلاق؛ تبخيلُ الحقِ، وتحجيرُ الرحمة التي وسِعَتْ كلَّ شيء، وإيثار نفسك على غيرك، وإنّ الله ما مدح في القرآن إلّا مَن آثر على نفسه. سمع رسول الله ﷺ رجلا من الأعراب يقول: «اللهم ارحمني ومحمدا، ولا ترحم معنا أحدا. فقال رسول الله ﷺ: لقد حجر هذا واسعا» يريد قوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ[2] شَيۡءٖ﴾[3].

والذي أوصيك به: إيّاك أن تصلّي وأنت حاقن؛ حتى تخفِّف. وإذا حضر الطعام، وأقيمت الصلاة؛ فابدأ بالطعام، ثمّ تصلّي بعد ذلك إن كنت ممن يتناوله بعد الصلاة فحينئذ تفعل ذلك.

وارغب في دعاء الوالدين، ودعاء المسافر، واتّق دعوة المظلوم؛ فإنّه ليس بينها وبين الله حجاب.

وعليك بالاستحداد؛ وهو حلقُ العانة، وتقليمِ الأظفار، ونتفِ الإبط، وقصِّ الشارب، وإعفاءِ اللحية، وردِّ السلام، وتشميتِ العاطس، وإجابةِ الداعي.

وعليك بالعدل في أمورك كلّها، والمحافظة على عبادة الله، وكسر الشهوتين، وتعاهد

---

(١) [البينة: ٥]
(٢) ص ٧٣
(٣) [الأعراف: ١٥٦]

المساجد للصلاة، والبكاء من خشية الله، والاعتصام بحبل الله، وعليك بمحابِّ الله ومراضيه؛ فاتّبعها، فمنها: تعاهد المساجد.

وعليك بصيام داود عليه السلام فهو أحبّ الصيام إلى الله، وأفضله، وأعدله؛ وهو صيام يوم وفطر يوم، وقد ذكرنا ما يختصّ من الأسرار والفوائد بالصوم، في باب الصيام من هذا الكتاب، وكذلك في الطهارة، والصلاة، والزكاة، والحجّ، فلتنظر هناك.

وأحبُّ الصلاة إلى الله بالليل صلاةُ داود: كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه؛ وذلك هو التهجّد.

وإن كان لك ولدٌ فسمِّه عبد[1] الله، أو عبد الرحمن، وكَنِّه أبا محمد. أو سمِّه محمدا، وكَنِّه بأبي عبد الله، أو بأبي عبد الرحمن.

وإذا عملت عملا من الخير؛ فداوِم عليه وإن قلَّ؛ فهو أفضل فـ«إنّ الله لا يملّ حتى تملّوا» فإنّ في قطع العمل، وعدم المداومة عليه؛ قطعُ الوصلة مع الله. فإنّ العبد لا يعمل عملا إلّا بِنيّة القربة إلى الله، وحينئذ يكون عملا مشروعا؛ فمتى تركه فقد ترك القربة إلى الله. ومن أراد أنّه لا يزال في حال قربة من الله دائما؛ فعليه بالحضور الدائم مع الله، في جميع أفعاله وتروكه. فلا يعمل عملا إلّا وهو به مؤمن بما لله فيه من الحكم، ولا يترك عملا إلّا وهو مؤمن بما في تركه من الحكم لله؛ فإذا كان هذا حاله فلا يزال في كلّ نفَس مع الله، وهو الذي يحرّم ما حرّم الله، ويحلّ ما أحلّ الله، ويكره ما كره اللهُ، ويبيح ما أباح الله؛ فهو مع الله في كلّ حال.

واحذر من الإلحاد في آيات الله، ومن الإلحاد في حَرَمِ الله إن كنت فيه، والإلحادُ: الميلُ عن الحقّ شرعا. ولذلك قال: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ﴾[2] فذكَر الظلم.

وعليك بأفضل الصدقات؛ و«أفضلُ الصدقات ما كان عن ظهر غنى»، ومعنى «عن ظهر

(١) ص ٧٣ب
(٢) [الحج: ٢٥]

غنى» أي تستغني بالله عن ذلك الذي تعطيه وتصّدّقُ به وإن كنت محتاجا إليه. فإنّ الله مدح قوما فقال[1]: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾[2] وذلك أنّهم لم يؤثِروا على أنفسهم مع الخصاصة حتى استغنوا بالله. فإن نزلتَ عن هذه الدرجة؛ فلتكن صدقتُك بحيث أن لا تُتْبِعها نفسَك. فلتُغْنِ أوّلا نفسَك بأن تطعمها، فإذا استغنت عن الفاضل؛ فتصدّق بالفضل؛ فإنّك ما تصدّقت إلّا بما استغنيت عنه، وتلك هي الصدقةُ عن ظهر غنى في حقّ هذا، والأوّلُ أفضل.

وعليك بصيام رجب، وشعبان، فإن[3] قدرتَ على صومهما على التمام فافعل؛ فإنّه ورد: «أفضل الصيام بعد شهر رمضان صيامُ شهر الله المحرَّم؛ وهو رجب» فإنّه يقال له شهرُ الله، هذا الاسم له دون الأشهر كلّها. وكان رسول الله ﷺ يكثر صومَ شعبان، يقول الراوي: "ربما صامه كلّه" وحافِظ على صوم سَرَرِه، ولا يفوتنّك إن فاتَك صومُه. وافطر السادس عشر من شعبان ولا بدّ، حتى تخرج من الخلاف؛ فإنّه أَوْلَى؛ فإنّ فِطْرَه جائزٌ بلا خلاف، وصومه فيه خلاف، فإنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا انتصف شعبان فأمسكوا عن الصوم». وعليك بقول الحقّ في مجلس مَن يُخافُ ويُرْجَى من الملوك، ولا يعظم عندك على الحقّ شيءٌ؛ إلّا ما أمرك اللهُ بتعظيمه.

وعليك بعمل البِرّ في يوم النحر؛ فإنّه[4] أعظمُ الأيّام عند الله، ورد في ذلك خبر نبويّ؛ فأَكثِر فيه من ذِكْر الله، ومن الصدقة. وكلُّ فعل فيه لله رضى، وتقدر عليه في هذا اليوم؛ فلا تتخلّف عنه؛ فإنّه أفضلُ من يوم عرفة ويوم عاشوراء، وفيه خبر كما قلنا.

أعط كلّ ذي حقّ حقّه، حتى الحقّ أعطه حقّه، ولا ترى أنّ لك على أحد حقّا فتطلبه منه. فأنصف من نفسك، ولا تطلب النَّصَف من غيرك، واقبل العذر ممن اعتذر إليك، وإيّاك والاعتذار؛ فإنّ فيه سوء الظنّ منك بمن اعتذرت إليه، فإن علمت أنّ في اعتذارك إليه خيرا

(١) ص ٧٤
(٢) [الحشر: ٩]
(٣) س، هـ: وإن
(٤) ص ٧٤ب

له، وصلاحا في دينه؛ فاعتذر إليه في حقّه، من غير سُوء ظنّ به، بل قضاء حقّ له تعيّن عليك. وأحقُّ الحقوق حقُّ الله.

*　　*　　*

وصيّة: (عليك بكثرة الدعاء في حال السجود)

وعليك بكثرة الدعاء في حال السجود؛ فإنّك في أقرب قربة إلى الله، لما ثبت من قوله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجدٌ» فأَكثِروا الدعاء. ولا قُرب أقربُ من قُرب السجود، ولا دعاء إلّا في القُرب من الله. فإذا دعوت في السجود؛ فادع في دوام الحال الذي أوجب لك القرب المطلوب من الله؛ فإنّك تعلم أنّه قريب من خلقه، وهو معهم أينما كانوا. والمطلوب أن يكون العبد قريبا من الله، وأن يكون مع الله في أيّ شأن يكون الله فيه[1]؛ فإنّ الشئونَ لله كالأحوال للخلق، بل هي عينُ أحوال الخلق التي هم فيها.

وعليك بصلة أهل وُدِّ أبيك بعد موته؛ فإنّ ذلك مِن أَبرّ البِرّ. ورد في الحديث: «إنّ مِن أَبرّ البرّ أن يصل الرجل أهل وُدِّ أبيه» وأنّ ذلك من أحبّ الأعمال إلى الله؛ وهو الإحسان إليهم، والتودّد بالسلام، والخدمة، وبما تصل إليه يدك من الراحات، والسعي في قضاء حوائجهم.

وعليك بالتلطّف بالأهل والقرابة، ولا تعامل أحدا من خلق الله إلّا بأحبّ المعاملة إليه؛ ما لم تُسخط الله؛ فإن أرضاه ما يُسخط الله؛ فأرضِ الله.

وابدأ بالسلام على مَن عرفتَ، ومَن لم تَعرف. فإن عرفتَ مِن الذي تلقاه أنّه يسلّم عليك؛ فاتركه يبدأ بالسلام، ثمّ تردّ عليه؛ فيحصل لك أجر الوجوب؛ فإنّ ردّ السلام واجب، والابتداء به مندوب إليه، وأحبّ ما تُقُرِّبَ به إلى الله؛ ما افترضه على خلقه. وإذا علمتَ مِن شخص أنّه يكره سلامك عليه، وربما تؤدّيه تلك الكراهة إلى أنّه لو سلّمت عليه لم يرد عليك؛ فلا تسلّم عليه ابتداء؛ إيثارا له على نفسك، وشفقة عليه؛ فإنّك تحول بينه وبين وقوعه في المعصية إذا لم يرد عليك السلام؛ فإنّه يترك أمر الله الواجب عليه، ومن الإيمان الشفقة على

(١) ص ٧٥

خلق الله؛ فبهذه النيّة اترك السلام عليه[1]. وإن علِمت من دينه أنّه يردّ السلام عليك؛ فسلّم عليه وإن كَرِه، واجهر بالسلام عليه، وابدأه به؛ فإنّك تدخل عليه ثوابا بِرَدِّ السلام، وتسقط من كراهته فيك بسلامك عليه؛ بقدر إيمانه ونفسه الصالحة، إن كان ممن جُبل على خُلُق حسن.

وعليك بالنظر إلى مَن هو دونك في الدنيا، ولا تنظر إلى أهل الثروة والاتّساع؛ خوفا من الفتنة؛ فإنّ الدنيا حلوة خضرة، محبوبة لكلّ نفس. فإنّ النعيم محبوب للنفوس طبعا، ولولا النعيم الذي يجده الزاهد في زهده؛ ما زَهِد، والطائع في طاعته؛ ما أطاع. فإنّ أخوف ما خافه رسول الله ﷺ علينا ما يخرج الله لنا من زهرة الدنيا، قال الله -تعالى- لنبيّه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[2] ثمّ حبّب إليه رزق ربّه الذي هو خير وأبقى، وهو الحال الذي هو عليه في ذلك الوقت هو رزق ربّه الذي رزقه؛ فإنّه -تعالى- لا يُتَّهم في إعطائه الأصلح لعبده؛ فما أعطاه إلّا ما هو خير في حقّه، وأسعد عند الله؛ وإن قلَّ. فإنّه ربما لو أعطاه ما يتمنّاه العبد؛ طغى، وحال بينه وبين سعادته، فإنّ الدنيا دار فتنة.

وإذا كان لأحد عندك دَيْنٌ، وقضيته؛ فأحسن[3] القضاء، وزده في الوزن وأرجح؛ تكن بهذا الفعل من خير عباد الله بإخبار رسول الله ﷺ فهو من السنّة، وهو الكرم الخفيّ اللاحق بصدقة السرّ. فإنّ المعطَى إيّاه لا يشعر بأنّه صدقة، وهو عند الله صدقةُ سِرٍّ في علانية، ويورث ذلك محبّة ووُدًّا في نفس الذي أُعْطِيَه، وتخفي نعمتك عليه في ذلك، ففي حسن القضاء فوائدُ جمّة.

وعليك -يا أخي- بالذبّ والدفع عن أخيك المؤمن عن عِرضه، ونفسه، وماله، وعن عشيرتك، بما لا تأثم به عند الله. فلا يبرح من يدك ميزان مراعاة حقّ الله في جميع تصرّفاتك، ولا تتّبع هواك في شيء يسخط اللهَ؛ فإنّك لا تجد صاحبا إلّا الله؛ فلا تفرّط في حقّه، وحقُّه أَحَقُّ الحقوق وأوجبُها علينا، كما ثبت: «حقُّ الله أحقُّ أن يُقضى».

---

(١) ص ٧٥ب
(٢) [طه: ١٣١]
(٣) ص ٧٦

وإن عزمت على نكاح فاجهد في نكاح القرشيّات، وإن قدرت على نكاح مَن هي من أهل البيت فأعظم وأعظم؛ فإنّه قد ثبت أنّ «خير نساءٍ رَكِبْنَ الإبل نساءُ قريش» وعاشرهنّ بالمعروف، واتّق الله فيهنّ، وأحقّ الشروط ما استحللتَ به فروجهنّ، وأحسِن إليهنّ في كلّ شيء.

وإيّاك أن تعذِّب ذا روح إذا كان في يدك؛ حتى الأضحية إذا ذبحتها؛ فَحُدَّ الشفرة، وأسرع، وأرِح ذبيحتك، وادفع[1] الألم عن كلّ من يتألّم جهد استطاعتك، كان ما كان؛ الألم الحسّي من كلّ حيوان وإنسان، ومن النفسي ما تعلم أنّه يُرضِي الله. واعلم أنّه مما يرضي الله؛ ما أباحه لك أن تفعله.

وإذا رأيت أنصاريًا من بني النجّار؛ فقدِّمه على غيره من الأنصار، مع حبّك جميعهم. وعليك بأحسن الحديث، وهو كتاب الله، فلا تزَل تاليا إيّاه بتدبُّر وتفكّر عسى الله أن يرزقك الفهم عنه فيما تتلوه[2]. وعَلِّم القرآن تكن نائب الرحمن؛ فإنّ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ. عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ. خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ. عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾[3] وهو القرآن، فإنّه قال فيه: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ وهو القرآن ﴿وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[4] فعلَّم القرآن قبل الإنسان أنّه إذا خلق الإنسان لا ينزل إلّا عليه، وكذلك كان، فإنّه نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ وهو ينزل على كلّ قلبِ تالٍ، في حال تلاوته؛ فنزوله لا يبرح دائما. فعلّمَ اللهُ القرآنَ، كما علّمَ الإنسانَ القرآنَ؛ فخيرُكم مَن عُلِّمِ القرآن وعلَّمَه. واتّق شحّ الطبيعة؛ فإنّ المفلح عند الله مَن يوق شحّ نفسه.

وكن شجاعا مقداما على إتيان العزائم التي شرع الله لك أن تأتيها؛ فتكن من أُولي العزم، ولا تكن جبانا. فإنّ الله أمرك بالاستعانة به[5] في ذلك، وإذا كان الله المعين فلا تبال؛ فإنّه لا يقاومه شيء، بل هو القادر على كلّ شيء؛ فما ثَمّ مع الإعانة الإلهيّة قوّة تقاوي قوّة الحقّ. فإنّ

---

(١) ص ٧٦ب
(٢) حروفها المعجمة مهملة
(٣) [الرحمن: ١ - ٤]
(٤) [آل عمران: ١٣٨]
(٥) ص ٧٧

الله يقول فيمن سأله الإعانة: «ولعبدي ما سأل» في الخبر الصحيح فإذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] يقول الله: «هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل» وإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[2] إلى آخر السورة، وهدايته من معونته، يقول الله: «هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل» وخبره صدق، وقد قال: «ولعبدي ما سأل» فلا بدّ من إعانته.

ولكن هنا شرط لا يغفل عنه العالِم إذا تَلا مثل هذا؛ لا يتلوه حكاية؛ فإنّ ذلك لا ينفعه فيما ذهبنا إليه وفيما أُريدَ له، وإنما الله -تعالى- ما شرع له أن يقرأ القرآن، ويذكره بهذا الذِّكْر؛ إلّا ليعلّمه كيف يذكره؛ فيذكره ذِكْرَ طلب، واضطرار، وافتقار وحضور[3] في طلبه من ربّه ما شرع له أن يطلبه؛ فذلك هو الذي يجيبه الحقّ إذا سأله. فإن تَلا حكاية؛ فما هو سائل، وإذا لم يسأل، وحكى السؤال؛ فإنّ الحقّ لا يجيب مَن هذه صفته. ولا جرم أنّ التالين الغالبُ عليهم الحكاية؛ لأنّه لا ثمرة عندهم. فهم يقرءون القرآن بألسنتهم[4]، لا يجاوز تراقيهم، وقلوبهم لاهية في حال التلاوة، وفي حال سماعه.

فإذا رأيت مَن يقدم على الشدائد في حقّ الله؛ فاعلم أنّه مؤمن صادق، وإذا رأيته قويّ العزم في دين الله، وفي غير دين الله؛ فتعلم أنّه قويّ النفس، لا قويّ الإيمان بالأصالة؛ فإنّ المؤمن هو القويّ في حقّ الله خاصة، الضعيف في حقّ الهوى، لا يساعد هواه في شيء. إذا جاءه الهوى النفسي يطلب منه أن يعينه في أمر مّا؛ يريه من الضعف والخوف ما يقطع به يأسه منه؛ فينقمع الهوى إذ لا يجد معونة من قبول المؤمن عليه؛ فيعصم جوارحه من إمضاء ما دعاه إليه الهوى وسلطانه. فإذا جاءه وارِدُ الإيمان؛ وجدَ عنده من القوّة والمساعدة بالله ما لا يقاومه شيء؛ فإنّ الله هو المعين له. فإنّ الإنسان خُلِق هلوعا من حيث إنسانيّته، وإنّ المؤمن له الشجاعة والإقدام من حيث ما هو مؤمن.

---

(١) [الفاتحة: ٥]
(٢) [الفاتحة: ٦]
(٣) ق: حضور
(٤) ص ٧٧ب

كما حكي عن بعض الصحابة، وأظنّه عمرو بن العاص أنّ رسول الله ﷺ أخبره أنّه لا بدّ له أن يَلِيَ مِصر. فحضر في حصار بلد، فقال لأصحابه: اجعلوني في كفّة المنجنيق، وارموا بي إليهم؛ فإذا حصلتُ عندهم قاتلتُ حتى أَفتح لكم باب[1] الحصن! فقيل له في ذلك، فقال: إنّ رسول الله ﷺ ذكر لي أنّي أَلِيَ مصر، وإلى الآن ما وليتها، ولا أموت حتى أَلِيَها. فهذا من قوّة الإيمان؛ فإنّ العادة تعطي في كلّ إنسان؛ أنّ شخصا إذا رمي في كفّة المنجنيق أنّه يموت؛ فالمؤمن أقوى الناس جأشا.

ومن أسمائه -تعالى- "المؤمن"، وقد ورد أنّ «المؤمنَ للمؤمنِ كالبنيان يشدّ بعضه بعضا» من كونه مؤمنا. فالمؤمن المخلوق يستعين بالمؤمن الخالق؛ فيشدّ منه، ويقوّي ما ضعف عنه، من كونه مخلوقا؛ فإنّ الله خلقه من ضعف، ثمّ جعل من بعد ضعف قوّة؛ فهي إشارة، وذلك إن كانت قوّة الشباب تفسيرا؛ فهي قوّة الإيمان بما أمر من الإيمان به تنبيها، فاعلم.

* * *

وصيّة: (كن فقيرا من الله كما أنت فقير إليه)

كن فقيرا من الله كما أنت فقير إليه، فهو مثل قوله ﷺ: «وأعوذ بك منك» ومعنى فقرك من الله أن لا يشمّ منك رائحة من روائح الربوبيّة، بل العبوديّة المحضة، كما أنّه ليس في جناب الحقّ شيء من العبوديّة، ويستحيل ذلك عليه؛ فهو ربٌّ محضٌ؛ فكن أنت عبدا محضا. فكن مع الله بقيمتك، لا بعينك؛ فإنّ عينَك عليه روائحُ الربوبيّة بما خلقك عليه[2] من الصورة بالدعوى، وقيمتك ليست كذلك. بهذا أوصاني شيخي وأستاذي أبو العباس العُرَيْبِي -رحمه الله- فلِقِيمتك التصرّف بالحال لا بالدعوى؛ فكن أنت كذلك. فمتى قالت لك نفسُك: كن غنيّا بالله؛ فقد أمرتك بالسيادة، فقل لها: أنا فقير إلى الله، وإلى ما أفقرني الله إليه؛ فإنّ الله أفقرني إلى الملح يكون في عجيني.

---

(١) ص ٧٨
(٢) ص ٧٨ب

وصيّة: (عليك بالرباط)

عليك بالرباط؛ فإنّه من أفضل أحوال المؤمن. فكلّ إنسان إذا مات يُختم على عمله، إلّا المرابط؛ فإنّه يُنْمى له إلى يوم القيامة، ويأمن فتّانَيْ القبر، ثبت هذا عن رسول الله ﷺ. والرباط: أن يُلزم الإنسانُ نفسَه (الخير في سبيل الله) دائمًا من غير حدّ ينتهي إليه، أو يجعله في نفسه، فإذا ربط نفسه بهذا الأمر فهو مرابط، والرباط في الخير كلّه؛ ما يختصّ به خيرٌ من خيرٍ؛ فالكلُّ سبيلُ الله. فإنّ سبيلَ الله (هو) ما شرعه الله لعباده أن يعملوا به، فما يختصّ بملازمة الثغور فقط، ولا بالجهاد؛ فإنّ رسول الله ﷺ قال في انتظار الصلاة بعد الصلاة: إنّه «رباط» والله يقول في كتابه للمؤمنين: ﴿ٱصْبِرُوا۟[1] وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يعني في ذلك كلّه، أي اجعلوه وقاية تتّقوا به هذه العزائم، وذلك معونته في قوله: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[2] و﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ﴾[3] وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[4] فهذا معنى ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5] أي تكون لكم النجاة من مشقّة الصبر والرباط.

وينبغي لك إذا ناجيتَ رسول الله ﷺ وذلك زمان قراءتك الأحاديثَ المرويّة عنه ﷺ أن تقدِّم بين يدي نجواك صدقة، أيّ صدقة كانت؛ فإنّ ذلك خير لك وأطهر، بهذا أُمِرْتَ؛ فإنّ الصدقات التي نصّ الشرع عليها كثيرة، ولذلك ورد أنّه «يصبح على كلّ سُلامَى منّا صدقة» في كلّ يوم تطلع فيه الشمس، ثمّ أخبر ﷺ أنّ: «كلّ تهليلة صدقة، وكلّ تكبيرة صدقة، وكلّ تسبيحة صدقة، وكلّ تحميدة صدقة، وأَمْر بمعروف صدقة، ونَهْي عن منكر صدقة» فانظر حالَك عندما تريد قراءة الحديث النبوي؛ فهي التي بقيت في العامّة من مناجاة الرسول. فالذي يعيّنُ لك حالُك عند ذلك من الصدقات فقدِّمها بين يدي قراءتك الحديث، كانت ما كانت، فقد أوسع الله عليك في ذلك؛ فلم يبق لك عذرٌ[6] في التخلّف بعد أن أعلَمَك ﷺ بأنواع الصدقات؛

---

(١) ص ٧٩
(٢) [البقرة: ١٥٣]
(٣) [الأعراف: ١٢٨]
(٤) [الفاتحة: ٥]
(٥) [آل عمران: ٢٠٠]
(٦) ص ٧٩ب

فقدِّم منها بين يدي نجواك ما أعطاه حالُك، بلغ ما بلغ، وحينئذ تشرع في قراءة الحديث النبويّ.

وإيّاك أن تُحشر يوم القيامة مع المصوِّرين، الذين يصوّرون ذوات الأرواح من الحيوانات. فإنّك إن صوّرتَ صورة من صور الحيوانات؛ تَبِعها روحُها من عند الله من حيث لا تشعر[1] بذلك في الدنيا. فإذا كان في الآخرة؛ يجعل الله لكلّ مصوِّر في النار بكلّ صورةٍ صورةٍ أنفُسا تعذِّبه في نار جهنّم؛ فإنّ الخلق من اختصاص الله. فمن نازعه في خلقه؛ فإنّه يعذّبه بما خلق من ذلك، والخلق لله لا إليه؛ إذ لم يكن بإذن الله، كخلق عيسى عليه السلام الطير من الطين بإذن الله، ونفخ فيه الروح بإذن الله. فلو أذن الله للمصوِّر في ذلك؛ لكان طاعةً فِعْلُ ذلك، فاعلم أنّ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ.

*　　*　　*

وصيّة: (احذر أن تكفِّر أحدا من أهل القبلة بذنب)

واحذر أن تكفِّر أحدا من أهل القبلة بذنب، فقد ثبت أنّه من قال لأخيه: "كافرٌ" فقد باء به أحدهما: إن كان كما قال، وإلّا رجعت عليه، ومعنى الرجوع عليه: أنّه هو الكافر؛ فإنّه مَن كفَّر مسلما[2] لإسلامه فهو كافر. يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ فقال الله -تعالى- فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ والسفيه هو الضعيف الرأي. يقولون إنّهم ما آمنوا إلّا لضعف رأيهم وعقلهم؛ فحار ذلك عليهم لقول الله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ أي هم الذين ضعفتْ آراؤُهم؛ فحال ذلك الضعف بينهم وبين الايمان ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[3].

فتحفّظْ من الكلام القبيح؛ وهو أن تنسبَ صفةً مذمومةً لأخيك المؤمن، وإن كانت فيه؛ لا في حضوره ولا في غيبته. فإنّك إن واجهتَه بذلك فقد عيّرته، فما تأمن أن يعافيه الله من تلك الصفة ويبتليك بها، وقد ورد: «لا تُظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك» وإن كان غائبا

---

(١) رسمها في ق أقرب إلى: يشعر
(٢) ص ٨٠
(٣) [البقرة: ١٣]

فهي غيبة، وقد نهاك الله عن الغيبة، فإنّك إذا ذكرته بأمرٍ هو فيه، مما يسوءه لو قابلتَه به؛ فقد اغتبتَه، وإن نَسبتَ إليه من القبيح ما ليس فيه؛ فذلك البهتان. ولا بدّ أن تجنيَ ثمرة غرسِك- إلّا أن يعفو اللهُ بإرضاء الخصم- وأن يعود عليك وبال ما نسبتَه إلى أخيك المؤمن مما ليس هو عليه.

وكذلك خِداع المؤمن؛ فلا تكن ممن يخادع الله. فإنّك إن اعتقدتَ ذلك[1]؛ كنت من الجاهلين بالله؛ حيث تخيّلتَ أنّك تُلَبّس على الحقّ و﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ. وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[2] وإن خادعتَ المؤمنَ فما تخادع إلّا نفسَك كما قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يُخَٰدِعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾[3] في خداعهم الذين آمنوا، (أي المؤمنين بغير الحقّ) فإنّهم مؤمنون أيضا بالباطل قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[4] فوصفهم بالإيمان بالباطل وقال في حديث الأنواء -فيمن قال: مُطرنا بِنَوء كذا-: «إنّه كافر بي مؤمن بالكوكب» فهذا قوله: ﴿وَمَا يُخَٰدِعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾[5] في خداعهم الذين آمنوا. وأمّا في خداعهم اللهَ؛ فإنّ الله هو خادعهم بخداعهم، أي هو خِداع الله بهم لكونهم اعتقدوا أنّهم يخادعون الله. فإيّاك والجهل؛ فإنّه أقبحُ صفة يتّصف بها الإنسان.

فإن كنت -يا وليّ- ذا زوجة؛ فأوصِها، بل لا تتركها، ولا أختا، ولا بنتا، ولا أيّ امرأة كانت ممن تحكم عليها، أو تعلم أنّها تسمع منك؛ فانصحها، كانت مَن كانت، أن لا تَستعطرَ إذا خرجتْ بطيبٍ يكون له ريحٌ؛ فإنّه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أَيُّمَا امرأة[6] استعطرت فمرّت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية» وقد ورد مقيَّدا في ذلك: «أيّما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العِشاء الآخرة» وذلك لأنّ الليل آفاتُه كثيرة، والظلمة ساترة، وما تدري إذا أصاب الرجل

(١) ص ٨٠ب
(٢) [فصلت: ٢٢ ، ٢٣]
(٣) [البقرة: ٩]
(٤) [العنكبوت: ٥٢]
(٥) [البقرة: ٩]
(٦) ص ٨١

ريحها الطيّب في طريق المسجد ما تلقى منه إذا لم يتقّ الله، فلهذا نهاها رسول الله ﷺ عن شهود العِشاء الآخرة. وبالجملة فلا ينبغي للمرأة أن تخرج بطيب له رائحة، لا في ليل ولا في نهار.

وإيّاك والاستهزاء والسخريّة بأهل الله، استهزاءً بدين الله، ولا تتّخذْهم ضحكة؛ فإنّ وبال ذلك يعود عليك يوم القيامة؛ فيسخر الله منك ويستهزئ بك، وهو أن يريك بالفعل ما فعلته أنت هنا -أعني في الدنيا- بالمؤمن إذا لقيته، تقول: "أنا معك" على طريق الهُزْء به والسخريّة منه؛ فإذا كان يوم القيامة يجازيك الله عدلا، بقدر ما تراءيت به للمؤمنين من الإقبال عليهم، والإيمان بما هم عليه أهل الله ﷻ. وقد رأينا على ذلك جماعة من المدرّسين الفقهاء يسخرون بأهل الله، المنتمين إلى الله، المخبرين عن الله بقلوبهم ما يَرِدُ عليهم من الله فيها.

فيأمر بمن هذه صفته إلى الجنّة حتى ينظر[1] إلى ما فيها من الخير؛ فيُسرّون كما يُسَرُّ أهلُ الله في حال استهزائهم بهم، ويتخيّلون أنّهم صادقون فيما يظهرون به إليهم، فإذا وفّى الله جزاء عملهم، وانفهقت لهم الجنّة بخيرها؛ أَمَرَ الله بهم أن يُصرفوا عنها إلى النار، فتصرفهم الملائكةُ إلى النار؛ فذلك استهزاء اللهِ بهم؛ كما أنّ هؤلاء المنافقين لمّا رجعوا إلى أهليهم قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾[2] وقال: ﴿سَخِرُواْ مِنۡهُمۡ﴾[3] ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾[4] كما كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين لإيمانهم. وكذلك بعض المؤمنين يضحكون من أهل الله في الدنيا، ولا سيما الفقهاء إذا رأوا العامّة على الاستقامة يتحدّثون بما أنعم الله عليهم في بواطنهم؛ يضحكون منهم، ويظهرون لهم القبول عليهم، وهم في بواطنهم على خلاف ذلك.

فلا أقلَّ -يا أخي- إذا لم تكن[5] منهم؛ أن تسلِّم[6] لهم أحوالهم؛ فإنّك ما رأيت منهم ما ينكره دين الله، ولا ما يردّه العلم الصحيح النقلي والعقلي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) ص ٨١ب
(٢) [البقرة: ١٤]
(٣) [هود: ٣٨]
(٤) [المطففين: ٣٤]
(٥) ق: يكن
(٦) ق: يسلم

يَضۡحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ﴾[1] هكذا والله رأيت فقهاء الزمان مع أهل الله؛ يتغامزون عليهم، ويضحكون منهم، ويظهرون القبول عليهم، وهم على غير ذلك[2]!. فاحذر مِن هذه الصفة، ومِن صحبة مَن هذه صفته؛ لئلّا يسرقك الطبع؛ فما أعظم حسرتهم يوم القيامة، فهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾[3] و﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾[4] ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾[5].

* * *

وصيّة: (احذر أن تكون من شرار الناس؛ فيتّقي الناسُ لسانَك)

واحذر -يا أخي- أن تكون من شرار الناس؛ فيتّقي الناسُ لسانَك؛ فإنّ من شرار الناس الذين يُكرَّمون اتّقاء ألسنتهم، وأنت أَعرفُ بنفسك في ذلك. أَقبل رجلٌ على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ فيه قبل أن يصل إليه، وقد رآه مقبلا: «بئس ابنُ العشيرة» فلمّا وصل إليه بَشَّ في وجهه، وضحك له. فلمّا انصرف، قالت له عائشة: يا رسول الله؛ قلتَ فيه ما قلتَ، ثمّ بششتَ في وجهه! فقال: «يا عائشة؛ إنّ مِن شرِّ الناس مَن أكرمه الناسُ اتّقاءَ شَرِّهِ» فاحذر أن تكون ممن هذه صفتهم؛ فتكون من شرّ الناس بشهادة رسول الله ﷺ.

وإن كانت لك زوجةٌ فإيّاك إذا أَفضيتَ إليها، وكان بينك وبينها ما كان، أن تنشرَ سِرَّها؛ فإنّ ذلك من الكبائر عند الله، فإنّه ثبت عن رسول الله ﷺ: «إنّ من شرّ الناس عند[6] الله يوم القيامة الذي يفضي إلى امرأته وتفضي[7] إليه ثمّ ينشر سِرَّها» فذلك من الكبائر.

وإيّاك أن تَسُبَّ أبا أحد أو أُمَّه؛ فيسبّ أباك وأمّك؛ فإنّ ذلك من العقوق. وكذلك إذا جالستَ مشركا؛ فلا تسبَّ من اتّخذه إلها مع الله. وإذا جالست مَن تعرف أنّه يقع في الصحابة

(١) [المطففين: ٢٩ ، ٣٠]
(٢) ص ٨٢
(٣) [البقرة: ١٧٥]
(٤) [البقرة: ٨٦]
(٥) [البقرة: ١٦]
(٦) ص ٨٢ب
(٧) ق: فتفضي

من الروافض؛ فلا تتعرّض ولا تُعَرّض بذِكْرِ أحد من الصحابة التي تعلم أنّ جليسك يقع فيهم، بشيء من الثناء عليهم؛ فإنّ لَجَاجَه يجعله يقع فيهم؛ فتكون أنت قد عرّضتهم بذِكْرك إيّاهم للوقوع فيهم. يقول الله: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾[1] ونهى رسول الله ﷺ عن شتم الرجل والديه، فقيل له: يا رسول الله؛ وكيف يشتم الرجل والديه؟ فقال ﷺ: «يسبّ أبا الرجل فيسبّ أباه، ويسب أُمّه فيسبّ أُمّه». وإنّ «من الكبائر استطالةُ الرجل في عِرض رجل مسلم بغير حقّ» هذا هو الثابت عن رسول الله ﷺ.

وعليك بشهود العتمة والصبح في جماعة؛ فإنّه «مَن شهد العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليلة، ومَن شهد الصبح في جماعة فكأنما قام ليلة».

وعليك بالشفقة على عباد الله مطلقا، بل على كلّ حيوان؛ فإنّه «في كلّ ذي[2] كبد رطبة أجر» عند الله تعالى.

* * *

وصيّة: (احذر أن ترجّح نظرَك على علم الله في خلقه بمن قدَّمه من الولاة)

احذر أن ترجِّح نظرَك على علم الله في خلقه بمن قدَّمه من الولاة في النظر في أمور المسلمين وإن جاروا؛ فإنّ لله فيهم سِرًّا لا تعرفه. وإنّ ما يدفع الله بهم من الشرور ويحصل بهم من المصالح؛ أكثرُ من جَوْرهم إن جاروا، وهذا كثير ما يقع فيه الناس؛ يرجِّحون نظرهم على ما فعل الله في خلقه، ويأتيهم الشيطان؛ فيعلِّق تسفيهَهم بالذين وَلَّوْهُ، ويحول بينهم وبين الصحيح من كون الله وَلّاهُم، وينسيهم أمرَ النبيّ ﷺ: «أن لا نخرج يدا من طاعة، وأن لا ننازع الأمرَ أهله» فيدخل عليهم الشيطان من التأويل في هذه الأحاديث وأمثالها بما يخرجهم بذلك من الإسلام، وينسيهم قولَه ﷺ: «فإن جاروا فلكم وعليهم، وإن عدلوا فلكم ولهم» و«إنّ الله يَزَع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» لو لم يكن في هذه المسألة إلّا اعتراض الملائكة على الله -تعالى- في خلافة آدم عليه السلام لكان كافيا. وقد جعل رسول الله ﷺ من تمام الزكاة أن ينقلبَ المصدِّق -وهو

(١) [الأنعام: ١٠٨]
(٢) ص ٨٣

العامل الذي على الزكاة- راضيا عنك وإن ظلمك. وهذا باب قد أغفله الناس، وقد[1] أغلقوه على أنفسهم، فما يُرى أحد إلّا وله في ذلك نصيبٌ، ولا يعلم ما فيه عند الله، وقد رأينا على ذلك براهين من الله كثيرة. ومتى ذَمَمْتَ ولا بدّ؛ فذُمَّ الصفة بِذَمِّ الله، ولا تذمَّ الموصوف بها إن نصحتَ نفسَك، ومتى حمدتَ؛ فاحمد الصفة والموصوف معا؛ فإنّ الله يحمدك على ذلك.

* * *

وصيّة: (أُوصِيتُ بها في مبَشِّرة أُرِيتها)

أُوصِيتُ بها في مبَشِّرة أُرِيتها، سمعتها من كلام الله -تعالى- بلا واسطة في البقعة المباركة التي كلّم الله فيها موسى عليه السلام مِن بِلّةٍ على قدر الكفِّ، كلاما لا يكيَّف ولا يشبه كلام مخلوق، عينُ الكلام هو عينُ الفهم من السامع. فممّا فهمتُ منه: "كن سماءَ وحيٍ، وأرضَ ينبوعٍ، وجبلَ تسكينٍ. فإذا تحرّكتَ فلتكن حركة إحياء وَسَطِيَّة بتحريكٍ عن وحيٍ سماويٍّ" ثمّ وقع في نفسي نظم فكنت أنشد:

جَعَلْـتَ فِيَّ الذِي جَعَلْتَـا وقُلْتَ لِي أَنْتَ قَدْ عَمِلْتَا
وأَنْـتَ تَـدْرِي بِـأَنَّ كَـوْنِي مـا فِيْـهِ غَيْرُ الذِي جَعَلْتَا
فَـكُلُّ[2] فِعْـلٍ تَـرَاهُ مِـنِّي أَنْــتَ إِلَهِــي الذِي فَعَلْتَــا

* * *

وصيّة: (إذا قلتَ خيرا أو دللتَ على خير؛ فكن أنت أوّلَ عامل به)

إذا قلتَ خيرا أو دللتَ على خير؛ فكن أنت أَوّلَ عامل به، والمخاطَبَ بذلك الخير. وانصح نفسك؛ فإنّها آكَدُ عليك؛ فإنّ نظرَ الخلق إلى فعل الشخص أكثرُ من نظرهم إلى قوله، والاهتداء بفعله أعظمُ من الاهتداء بقوله. ولبعضهم في ذلك:

وإذا المَقَالُ مَعَ الفِعَـالِ وَزَنْتَـهُ رَجَحَ الفِعَالُ وَخَفَّ كُلُّ مَقَالِ

---

(١) ص ٨٣ب
(٢) ص ٨٤

واجهد أن تكون ممن يُهْتَدَى بهديك؛ فتلحق بالأنبياء ميراثا، فإنّ رسول الله ﷺ يقول: «لأنْ يَهتدي بهداك رجلٌ واحدٌ خيرٌ لك مما طلعتْ عليه الشمسُ» يقول الله -تعالى- في نقصانِ عقلِ مَن هذه صفته: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[1] فإذا تَلا الإنسانُ القرآنَ، ولا يرعوي إلى شيء منه؛ فإنّه مِن شرار الناس بشهادة رسول الله ﷺ فإنّ الرجلَ يقرأُ القرآنَ والقرآنُ يلعنُه، ويلعنُ نفسَه فيه. يقرأ: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2] وهو[3] يظلمُ فيلعنُ نفسَه، ويقرأ: ﴿لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[4] وهو يكذب؛ فيلعنه القرآنُ ويلعنُ نفسَه في تلاوته. ويمرّ بالآية فيها ذمّ الصفة، وهو موصوف بها؛ فلا ينتهي عنها. ويمرّ بالآية فيها حمد الصفة؛ فلا يعمل بها ولا يتّصف بها؛ فيكون القرآن حجّة عليه، لا له. قال ﷺ في الثابت عنه: «القرآنُ حجّةٌ، لك أو عليك، كلّ الناس يغدو فبائعٌ نفسَه فمعتِقُها أو موبقُها».

وإذا كنت -يا أخي- ممن يجلس مع الله بترك الأسباب؛ فتحفّظْ من السؤال؛ فلا تسأل أحدا. وإيّاك أن تقتدي بهؤلاء أصحاب الزنابل اليوم؛ فإنّهم من أدنى الناس همّة، وأخسّهم قدرا عند الله، وأكذبهم على الله؛ فإمّا يقينٌ صادق، وإمّا حرفة فيها عِزُّ نفسِك؛ فإنّ ذلك خير لك عند الله. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب على ظهره فيها خيرٌ له من أن يسأل رجلا» وفي حديث: «أعطاه أو منعه» فإمّا يقين صادق وإمّا شغل موافق.

* * *

وصيّة: (عليك بإكرام الضيف)

عليك بإكرام الضيف؛ فإنّه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم[5] ضيفه» فإن كان الضيف مقيما؛ فثلاثة أيّام حقّه عليك، وما زاد فصدقة. فإن كان مجتازا؛ فيوم وليلة جائزته.

(١) [البقرة: ٤٤]
(٢) [هود: ١٨]
(٣) ص ٨٤ب
(٤) [آل عمران: ٦١]
(٥) ص ٨٥

ولشيخنا أبي مدين في هذه المسألة حكاية عجيبة: كان ﷺ يقول بترك الأسباب التي يرتزق بها الناس، وكان قويّ اليقين، ويدعو الناس إلى مقامه والاشتغال بالأهمّ فالأهمّ من عبادة الله. فقيل له في ذلك، أي في ترك الأسباب والأكل من الكسب، وأنّه أفضل من الأكل من غير الكسب. فقال ﷺ: "ألستم تعلمون أنّ الضيف إذا نزل بقوم وجب بالنصّ عليهم القيام بحقّه ثلاثة أيّام إذا كان مقيما؟" فقالوا: نعم. فقال: "فلو أنّ الضيف في تلك الأيّام يأكل من كسبِه؛ أليس كان العار يلحق بالقوم الذين نزل بهم؟" فقالوا: نعم. فقال: "إنّ أهل الله رحلوا عن الخلق، ونزلوا بالله أضيافا عنده؛ فهم في ضيافة الله ثلاثة أيّام ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1] فنحن نأخذ ضيافته على قدر أيّامه؛ فإذا كملتْ لنا ثلاثةُ أيّام مِن أيّام الله، مِن نزلنا عليه ولا نحترف، ونأكل مِن كسبِنا؛ عند ذلك يتوجّه اللوم، وإقامة مثل هذه الحجّة علينا". فانظر -يا أخي- ما أحسن نظر هذا الشيخ، وما أعظم موافقته للسنّة؛ فلقد نوّر اللهُ قلب هذا الشيخ. فحقّ الضيف واجب[2]، وهو من شُعب الإيمان -أعني إكرام الضيف-.

وكذلك مِن شُعب الإيمان قولُ الخير، أو الصمت عن الشرّ. يقول الله: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾[3] هذا في النجوى ومخاطبة الناس، وذِكْرُ الله أفضلُ القول، والتلاوةُ أفضلُ الذِّكْر.

ومِن الإيمان وشُعَبِه اجتنابُ مجالس الشرب، فإنّه ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يُدار عليها الخمر».

وعليك إذا عملتَ عملا مشروعا أن تحسِّنه؛ فإنّه مَن حسّن عملَه بلَغَ أَمَلَه. وحُسن العمل (هو) أن تعمله كما شرع اللهُ لك أن تعمله، وأن ترى الله -تعالى- في عملك إيّاه، فإنّ رسول الله ﷺ فَسَّر الإحسان بما ذكرناه، فقال في الثابت عنه: «الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه».

---

(١) [الحج: ٤٧]
(٢) ص ٨٥ب
(٣) [النساء: ١١٤]

وإذا أردتَ أن تأتي الجمعة فاغتسل لها؛ فإنّ الغسل، وإن كان واجبا عليك يوم الجمعة لمجرّد اليوم، فإنّه قبل الصلاة للصلاة أفضل بلا خلاف. فإذا توضّأتَ، كما ذكرت لك في باب الوضوء من هذا الكتاب، فامش إلى الجمعة، وعليك السكينة والوقار، ولا تفرّق بين اثنين إلّا أن ترى فُرجة فتأوي إليها، وتقرب[1] من الخطيب، وأنصت لكلامه إذا خطب، ولا تمسح الحصى فإنّ مسح الحصى لغوٌ، ولا تقل لمتكلّم: "أنصت" والإمام يخطب؛ فإنّ ذلك من اللغو، وفرّغ قلبك لما يأتي به من الذِّكْر؛ فإنّ المؤمن ينتفع بالذِّكْرى، ولتلبس أحسن ثيابك، وتمسَّ من الطيب إن كان معك، ولتهجّر ما استطعتَ. وإن أردت الخروج من الخلاف في التهجير، فتسعى إليها في أوّل ساعة من النهار؛ تكن من أصحاب البُدْنِ، وتدنو من الإمام ما استطعتَ. وإن كان لك أهلٌ؛ فلتجعلهم يغتسلون يوم الجمعة كما اغتسلتَ. وإن كنت جُنبا؛ فاغتسل غسلين: غسل الجنابة، وغسل الجمعة؛ فهو أَوْلَى. فإن لم تفعل؛ فاغتسل للجنابة؛ فعسى يجزيك عن غسل الجمعة؛ فإنّه قد ثبت: «مَن غسّل واغتسل، وبكّر وابتكر».

وعليك بالوضوء على الوضوء؛ فإنّه نور على نور. ولقيتُ على ذلك جماعة من الشيوخ ببلاد المغرب يتوضّأون لكلّ صلاة فريضة، وإن كانوا على طهارة. وأمّا التيمّم لكلّ فريضة؛ فالدليل في وجوب ذلك أقوى من قياسه على الوضوء، وإليه أذهب؛ فإنّ نصّ القرآن في ذلك. ولولا أنّ رسول الله ﷺ شرع في الوضوء ما شرع من صلاة فريضتين[2] فصاعدا بوضوء واحد؛ لكان حكم القرآن يقتضي أن يُتوضّأ لكلّ صلاة، وبالجملة فهو أحسن بلا خلاف؛ فإنّ الوضوء عندنا عبادة مستقلّة، وإن كان شرطا في صحّة عبادة أخرى؛ فلا يُخرجه ذلك عن أن يكون عبادة مستقلّة في نفسه، مرادا لِعينه.

وتحفّظْ أن تؤذي شخصا قد صلّى الصبح؛ فإنّه في ذِمَّة الله، فلا تُخْفِر الله في ذمّته، وما رأيتُ أحدا يدّعي هذا القدر في معاملته الخلقَ، وقد أغفله الناس، فإنّه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «مَن صلّى الصبح فهو في ذمّة الله» فإيّاك أن يُتْبِعك الله بشيء من ذمّته.

---

(١) ص ٨٦

(٢) ص ٨٦ب

وحافظ كلّ يوم على صلاة اثنتي عشرة ركعة؛ فإنّه قد ثبت الترغيب في ذلك عن رسول الله ﷺ، وحافظ على صلاة العصر؛ فإنّه من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله.

وإذا قعدتَ في مسجد أو في مجلسك، أو حيث كنت؛ فاقعد على طهارة منتظرا دخول وقت الصلاة، واجعل موضع جلوسِك مسجدَك؛ فإنّ الأرضَ كلَّها مسجدٌ بالنصّ. وإن كان في المسجد المعروف في العُرف كان أفضل؛ فإنّه «مَن غدا إلى المسجد، أو راح؛ أعدّ الله له نُزلا في الجنّة كلّما غدا أو راح». وقد ثبت عن رسول الله ﷺ[(١)] أنّه قال: «من تطهّر في بيته، ثمّ مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله؛ كانت خطوتاه إحداهنّ تحطُّ عنه خطيئة، والأخرى ترفع درجة».

وعليك من قيام الليل بما يزيل عنك اسم الغفلة، وأقلّ ذلك أن تقوم بعشر آيات؛ فإنّك إذا قمتَ بعشر آيات لم تُكتب من الغافلين، هكذا ثبت عن المبلِّغ ﷺ عن الله. وحافظ في السَّنة كلِّها على القيام كلّ ليلة، ولو بما ذكرتُ لك. ولا تهمل الدعاء في كلّ ليلة، واجعل من دعائك السؤال في العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة؛ فإنّك لا تدري متى تصادف ليلة القدر من سَنَتِك؛ فإنّي قد أُرِيتُها مرارا في غير شهر رمضان؛ فهي تدور في السنة، وأكثر ما تكون في شهر رمضان، وأكثر ما تكون في ليلة وتر من الشهر، وقد تكون في شفع. وقد أُرِيتُها في ليلة الثامن عشر من الشهر، وقد أُرِيتُها في العَشر الوسط من رمضان. فإن زدتَ على عشر آيات في قيام الليل؛ فأنت بحسب ما تزيد، فإن زدتَ إلى المائة كُتِبتَ من الذاكرين، وإن زدتَ إلى ألف آية كُتِبتَ من المقسطين.

وعليك بصيام ستة أيّام من شوال، ولتجعلها من ثاني يوم من شوال متتابعات إلى أن[(٢)] تفرغ؛ لتخرج بذلك من الخلاف. وإذا قضيتَ أيّام رمضان من مرض أو سفر؛ فاقضه متتابعا كما أفطرتَه متتابعا تخرج بذلك (من) الخلاف؛ فإنّ شهر رمضان متتابع الأيّام في الصوم. وإن قدرتَ

(١) ص ٨٧

(٢) ص ٨٧ب

أن تشارك في فطرك صائما، أو تفطِّر صائما فافعل؛ فإنّ لك أجرَه، أي مثل أجره.

وعليك، إن كنت مجاورا بمكة، بكثرة الطواف؛ فإنّ طواف كلّ أسبوع يعدل عتق رقبة، فأعتق ما استطعتَ تلحقْ بأصحاب الأموال مع أجر الفقر. واجهد أن ترمي بسهم في سبيل الله، وإن تعلّمتَ الرمي فاحذر أن تنساه؛ فإنّ نسيان الرمي بعد العلم به من الكبائر عند الله، وكذلك مَن حفظ آية من القرآن ثمّ نسيها؛ إمّا من محفوظه، وإمّا ترك العمل بها؛ فإنّه لا يعذَّب أحد من العالمين يوم القيامة بمثل عذابه؛ لأنّه لا مِثل للقرآن الذي نسيه.

وعليك بتجهيز المجاهد بما أمكنك ولو برغيفٍ إذا لم تكن أنت المجاهد، واخلُف الغزاة في أهلهم بخير؛ تُكتب معهم وأنت في أهلك. واحذر إن لم تَغْزُ أن لا تحدِّث نفسَك بالغزو؛ فإنّك إن لم تغز، ولا تحدّث نفسك بالغزو؛ كنتَ على شُعبة من نفاق. واجهد في إعطاء ما يفضُل عنك لمعدِم ليس له[1] ذلك من طعام، أو شراب، أو لباس، أو مركوب.

وعليك بتعلّم[2] علم الدين إن عملتَ به عملتَ على علم، أو علّمته أحدا من الناس؛ كان ذلك التعليم عملا من أعمال الخير قد أتيته. وأسأل من الله ما تعلم أنّ فيه خيرا عند الله؛ فإنّه إن أعطاك ما سألتَ، وإلّا أعطاك أجرَ ما سألت، فإنّه قد ثبت عن رسول الله ﷺ ما يؤيّد ما ذكرناه، وذلك أنّه قال: «من سأل الشهادةَ بصدق بلّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه».

وعليك بالإحسان إلى كلّ مَن تعول، وادع إلى خيرٍ ما استطعتَ؛ فإنّك لن تدعوَ إلى خير إلّا كنتَ من أهله، ومَن أجابك إليه فَلَكَ مثل أجره فيما أجابك من ذلك. ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه: «مَن سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرُها وأجرُ من عمل بها بعده لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا» ولقد بلغني عن الشيخ أبي مدين أنّه سنّ لأصحابه ركعتين بعد الفراغ من

(١) ق: "لك" وصححت في الهامش بقلم آخر
(٢) ص ٨٨

الطعام، يقرأ في الأُولَى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾[1] وفي الآخرة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2] ومشتْ سنّةً في أصحابه، وقد ثبتَ أنّه «مَن دلّ على خير فله مثل أجر فاعله».

وعليك بِصِلة الأرحام، وحافظ على النَّسب الذي بينك وبين الله؛ فإنّه من الأرحام.

وعليك بإنظار المعسِر إلى ميسرة، فإنّ الله يقول: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ[3] إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖ﴾[4] وإن وضعتَ عنه فهو أعظم لأجرك، فإنّه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «من أنظر معسرا أو وضع عنه؛ أظلّه الله في ظلّه» وأنّ الله يوم القيامة يتجاوز عمّن يتجاوز عن عباده. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أيضا أنّه قال: «مَن سَرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفِّس عن معسر أو يضع عنه».

واعلم أنّ من الايمان أن تَسُرَّك حسنتُك وتسوءَك سيّئتُك. واحذر من الكِبر والغِلّ والرين[5]. واستر عورة أخيك إذا أطلعك الله عليها؛ فإنّ ذلك يعدل إحياء موءودة، هكذا ورد النصّ في ذلك عن رسول الله ﷺ فإنّ مقادير الثواب لا تدرَك بالقياس.

وعليك بالسعي في قضاء حوائج الناس، وقد رأينا على ذلك جماعةً من الناس يثابرون عليه، وهو من أفضل الأعمال.

وفرِّج عن ذي الكربة كربتَه، واستر على مسلم إذا رأيته في زلّة يطلب التستّر بها ولا تفضحه، وأَقِلْ عثرةَ أخيك المسلِم، وخذ بيده كلّما عثر، وأَقِلْهُ بيعتَه إذا استقالك؛ فإنّ ذلك كلّه مرغَّبٌ فيه، مندوبٌ إليه، مأمورٌ به شرعا، وهو من مكارم الأخلاق.

---

(١) [قريش: ١]
(٢) [الإخلاص: ١]
(٣) ص ٨٨ب
(٤) [البقرة: ٢٨٠]
(٥) رسمها في ق يقرب من: والدين

وعليك بالزهد في الدنيا ولباس الخشن؛ فإنّه قد ورد أنّه «مَن ترك لِبْسَ ثوبِ جمالٍ وهو[١] يقدر عليه؛ كساه الله حلّة الكرامة» وهذا ثابت. وكن من الكاظمين الغيظ إذا قدرتَ على إنفاذه؛ فإنّ الله قد أثنى على الكاظمين الغيظ، العافين عن الناس، وقال ﷺ: «مَن كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه ملأه الله أمنا وإيمانا» فمن الإيمان كظمُ الغيظ. واحْمِ أخاك المؤمن ممن يريد ضُرَّه ما استطعتَ، وبما قدرتَ عليه من ذلك. وإذا نزل بك ضُرٌّ؛ فلا تنزله إلّا بالله، ولا تسأل في كشفه إلّا اللهَ. وإن قلت بالأسباب؛ فلا يغب اللهُ عن نظرك فيها؛ فإنّ لله في كلّ سبب وجها؛ فليكن ذلك الوجه من ذلك السبب مشهودا لك.

وأعلم أنّه ما من نبيّ إلّا وقد أنذر أُمّتَه الدجّال، وأنّ رسول الله ﷺ كان يستعيذ من فتنة الدجّال تعليما لنا أن نستعيذ من ذلك. وفي الاستعاذة من فتنته وجهان: الوجه الواحد الاستعاذة[٢] من فتنته حتى لا نصدّقه في دعواه، وأن نُعْصَم منه. ومن أراد أن يعصمه الله من ذلك؛ فليحفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف؛ فإنّه يُعصم بها من فتنة الدجّال. والوجه الآخر أن تُعصم (من) أن يقوم بك من الدّعوى ما قام بالدجّال؛ فتدّعي لنفسك دعوتَه؛ فإنّك مستعدّ لكلّ خير وشرّ يقبله الإنسان، من حيث ما هو إنسان.

وثابر ما استطعتَ على[٣] أن تسأل اللهَ الوسيلةَ لرسوله ﷺ فإنّه ﷺ قد سأل منّا ذلك. فالمؤمن مَن أسعفه في سؤاله مع ما يعود عليه في ذلك من الخير، أدناه وجوب الشفاعة له يوم القيامة إن اضطرّ إليها. وإذا رأيتَ مَن يتعمّل في تحصيل خير فأَعِنْهُ على ذلك بما استطعتَ. ولا تمنع رِفْدَك ممن استرفدك.

وإيّاك أن تجلد عبدَك فوق جنايته، وإن عفوت فهو أحوط لك؛ فإنّك عبد الله، ولك إساءةٌ تطلب من الله العفوَ عنك لها؛ فاعف عن عبدك. ولا تأكل وحدك ما استطعت، ولو لقمة تجعلها في فم خادمك من الطعام الذي بين يديك إذا لم يجبك إلى الأكل معك.

(١) ص ٨٩
(٢) ق: الاستعاد
(٣) ص ٨٩ب

واستغنِ بالله صدقا من حالك؛ فإنّ الله لا بدّ أن يغنيك؛ فإنّ استغناءك بالله من القُرَب إلى الله، وقد ثبت أنّه «مَن تقرّب إلى الله شبرا تقرّب الله منه ذراعا» الحديث، وكذلك مَن يَسْتَعِفُّ بالله. روي أنّ بعض الصالحين لم يكن له شيء من الدنيا فتزّوج فجاءه ولد، وما أصبح عنده شيء. فأخذ الولد وخرج ينادي به: هذا جزاء من عصى الله! فقيل له: زنيتَ؟ فقال: لا، وإنما سمعتُ الله يقول في كتابه العزيز: ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾(١) فعصيتُ أمر الله وتزوّجتُ وأنا لا أجد نكاحا؛ فافتضحتُ. فرجع إلى منزله بخير كثير.

وإن(٢) قدرت على العتق فاعتق، وإن لم تجد مالًا، ويكون لك علمٌ؛ فاهْدِ به رجلا منافقا أو كافرا، أورُدَّ به مسلما عن كبيرة؛ فإنّك تعتقه بذلك من النار، وهو أفضل من عتق رقبة مِن مِلك أحد في الدنيا. وفَكاكُ العاني أَوْلَى من عتق العبد فإنّه عتقٌ وزيادة.

واعلم أنّ الفقير الذي لا يقدر على إحياء أرض ميتة؛ فليحيي أرض بدنه بما يعمل فيها من الطاعة لله -تعالى-، وليحيي مواضع الغفلة بذِكْر الله فيها، وليحيي العمل بالإخلاص فيه.

وإن أردت أن لا يضرّك في يومك سِحر ولا سُمٌّ؛ فلتَصبَّح بسبع تمرات من العجوة أو تسحَّر بها إن أصبحتَ صائمًا؛ فإنّه كذا ثبت عن رسول الله ﷺ.

وعليك بخدمة الفقراء إلى الله، ومجالسة المساكين، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب عموما وخصوصا، وصحبة الصالحين، والتحبّب إليهم، وانْوِ في جميع حركاتك خيرا مشروعا؛ فإنّك لِمَا نويت. وإذا رأيت من أعطاه الله مالا، وفَعل فيه خيرا، وحرمك اللهُ ذلك المال؛ فلا تحرم نفسك أن تمنّى (أن) تكون مثله؛ فإنّ الله يأجرك مثل أجره وزيادة(٣).

وإذا جلست مجلسا فاذكر الله فيه ولا بدّ.

وإيّاك أن تحرَم الرفق؛ فإنّك إن حُرمت الرفق فقد حُرمت الخير.

---

(١) [النور: ٣٣]

(٢) ص ٩٠

(٣) ثابتة في الهامش بقلم الأصل

وأجِرْ مَن استجار بك إلّا في حدّ من حدود الله، فإن كان في حدٍّ من حدود الخلق؛ فأصلح في ذلك ما استطعت بينه[1] وبين صاحب الحقّ، ولا تسلِمه ولو مضى فيه جميع مالك. وإذا رأيتَ من يستعيذ بالله؛ فأعِذْهُ؛ فإنّ النبيّ ﷺ تزوّج امرأة فلمّا دخل عليها استعاذت بالله منه لشقاوتها. فقال: «عُذْتِ بعظيم، الحقي بأهلك» فطلّقها، ولم يَقْرَبْها، وأعاذها.

وإذا سألك أحد بالله وأنت قادر على مسألته؛ فأعطه، وإن لم تقدر على مسألته؛ فادْعُ له؛ فإنّك إذا دعوت له مع عدم القدرة؛ فقد أعطيتَه ما بلغتْ إليه يَدُك من مسألته؛ فإنّ الله لا يكلّف نفسا إلّا ما آتاها.

وإذا أسدى إليك أحدٌ معروفا؛ فلتكافئه على معروفه، ولو بالدعاء إذا عجزت عن مكافأته بمثل ما جاءك به. وإذا أسديتَ أنت إلى أحد معروفا؛ فأسقط عنه المكافأة، ولتُعلِمه بذلك، ولتُظهر له الكراهة إن كافأك حتى تريح خاطرَه، ولا سيما إن كان من أهل الله. فإن جاءك بمكافأة على ذلك، وتعلم منه أنّه يعزّ عليه عدم قبولك لذلك؛ فاقبله منه. وإن علمت منه أنّه يفرح بردّك عليه، بعد أن وفّى هو ما وجب عليه من المكافأة؛ فَرُدَّ عليه بسياسة وحسن تلطُّف، واجعل لك الحاجة عنده في قبول ما رددتَ عليه من ذلك، حتى يتحقّق أنّه قد قضى لك حاجة في قبول ما رددتَ عليه من المكافأة.

وإيّاك أن تدّعي ما ليس لك؛ فإنّ ذلك ليس من المروءة، مع ما فيه من الوزر[2] عند الله.

وإن رُميتَ بشيء مذموم؛ فلا تنتصر لنفسك، واسكت ولا تتعرّض لمن رماك بأنّه يكذب، ولا تقرّ على نفسك بما لم تفعل مما نُسب إليك، وهكذا فعل ذو النون مع المتوكّل حين سأله عمّا يقول الناس فيه مِن رَمْيِهِ بالزندقة، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن قلتُ: لا؛ أكذبتُ الناس، وإن قلتُ: نعم؛ كذبتُ على نفسي. فاستحسن ذلك منه أمير المؤمنين، وما قَبِلَ فيه قولَ قائل، ورَدَّه مكرَّما إلى مصر، واعتذر له، وحكايته في ذلك مشهورة ذكرها الناس. وقد ثبتت الأخبار

(١) ص ٩٠ب
(٢) ص ٩١

الصحيحة في إثم مَن ادّعى ما ليس له، أو اقتطع ما لا يجب له من حقّ الغير.

واحذر في يمينك أن تحلفَ بملّةٍ غير ملّة الإسلام، أو بالبراءة من الإسلام؛ فإنّك إن كنتَ صادقا فلن ترجع إلى الإسلام سالما، ولتجدّد إسلاما إذا فعلتَ مثل ذلك، ومع هذا فلا تحلف إلّا بالله؛ فإنّك إن حلفتَ بغير الله كنتَ عاصيا؛ للنهي الوارد في ذلك. وإن حلفتَ على يمين، فرأيت غيرها خيرا منها؛ فكفِّر عن يمينك، ولتأت الذي هو خير.

وإيّاك والكذبَ في الرؤيا، أو الكذب على الله، أو على رسول الله، أو تحدّث بحديث ترى أنّه كذب، فتحدِّث به ولا تبيِّن عند السامع أنّه كذب.

واحذر أن تسمع حديث قوم وهم يكرهون أن تسمعه؛ فإنّه نوع من التجسّس[١] الذي نهى الله عنه.

واحذر أن تخبّث امرأة على زوجها، أو مملوكا على سيّده.

واحذر أن تنام على سطح ما له احتجار؛ فإن فعلتَ فقد برئتْ منك الذمّة.

وإيّاك أن تحبّ قيامَ الناس لك، وبين يديك؛ تعظيما لك، وهذا كثير في هذه البلاد -أعني العراق وما جاوره- فما رأيتُ منهم أحدا يسلَم من حبّ ذلك، مع علمهم بما فيه، وقد جرت لنا معهم في ذلك حكايات مع علمائهم، فما ظنّك بعامّتهم؟ وقمت مرّة لأحدهم، فقال لي: لا تفعل، وقال[٢] لي: إنّ النهي قد ورد في ذلك. فقلت له: يا فقيه؛ أنت المخاطَب بذلك، أن لا تحبّ أن يتمثّل الناس بين يديك قياما، ما أنا المخاطب بذلك أنّي لا أقوم لمثلك! فتعجّب من هذا الجواب، واستحسنه، وكان من علماء الشريعة.

وإيّاك أن تقبل هديّةَ مَن شفعتَ فيه شفاعة، فإنّ ذلك من الربا الذي نهى الله عنه بنصّ رسول الله ﷺ في ذلك. ولقد جرى لنا مثل هذا في تونس، من بلاد أفريقية، دعاني كبير من

---

(١) ص ٩١ب

(٢) ق: فقال

كبرائها يقال له: ابن معتب إلى بيته لكرامة استعدّها لي، فأجبت الداعي. فعندما دخلتُ بيته وقدّم الطعام، طلب منّي شفاعة عند صاحب البلد، وكنت مقبول القول عنده متحكّما. فأنعمتُ له في ذلك، وقمت، وما[1] أكلتُ له طعاما، ولا قبلتُ منه ما قدّمه لنا من الهدايا، وقضيتُ حاجته، ورجع إليه مِلكه، ولم أكن بعدُ وقفتُ على هذا الخبر النبويّ؛ وإنما فعلتُ ذلك مروءة وأنفة، وكان عصمة من الله في نفس الأمر، وعناية إلهيّة بنا.

وإيّاك أن تشفع عند حاكم في حدٍّ من حدود الله. كُلِّمَ ابن عباس في رجل أصاب حدًّا من حدود الله أن يكلِّم الحاكم فيه. فقال ابن عباس: "لعنني الله إن شفعت فيه، ولعن الله الحاكم إن قبِل الشفاعة فيه. لو أردتم ذلك لجئتموني قبل أن يصل إلى الحاكم" وكان سارقا. ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ: «مَن حالت شفاعته دون حدٍّ من[2] حدود الله فقد ضادّ الله». وإيّاك أن تخاصم في باطل؛ فتسخط الله عليك. وكذلك لا تُعِنْ على خصومة بعلمٍ تدفع به حقّا، فإنّ النبيّ ﷺ يقول فيمن أعان على ذلك إنّه يَبوءُ بغضب من الله.

ولا تقل في مؤمن ما ليس فيه مما يشينه عند الناس، وقد ثبت أنّه «مَن رمى مسلما بشيء يريد شَيْنَه؛ حبسه الله على جسر جهنّم حتى يخرج مما قال» يعني يتوب.

واحذر أن تأكل الدنيا بالدين، أو تأكل مالَ أحد[3] بإخافته؛ فيعطيك اتّقاء.

وإيّاك أن تُسَمِّع، فيُسمِّع الله بك. سمعت شيخنا المحدِّث الزاهد أبا[4] الحسين يحيى بن الصائغ[5]، بمدينة سبتة، ونحن بمنزله، يقول: لأكلُ الدنيا بالدفّ والمزمار؛ خير لي من أنّي آكلها بالدِّين.

وكفَّ لسانك عن اللعنة ما استطعتَ؛ فإنّه مَن لعن شيئا ليس له بأهل؛ رجعتْ عليه

(١) ص ٩٢
(٢) س، ه: - حدٍّ من، وعليها إشارة شطب في ق
(٣) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٤) ص ٩٢ب
(٥) سبقت ترجمته في السفر ٢٥

اللعنةُ، أي بَعُد عنه الخير الذي كان له من ذلك الذي لعنه لو لم يلعنه. ولقد روينا عن رجل كان في غَزاة؛ فضاع له آلة من آلات دابّته، فسئل عن الضائع، فقال: راح في لعنة الله. ثمّ إنّ الرجل استشهد في تلك الغزاة، فرآه إنسان في النوم، فسأله ما فعل الله به؟ فقال: إنّ الله وزن لي كلّ ما عندي، حتى روث الفرس وبوله جعله في ميزاني، وأثابني به، فلم أر في الميزان سرج الدابّة الذي كان ضاع لي! فقلت: يا ربّ؛ وأين سرج دابتي؟ فقال: هو حيث جعلتَه في لعنة الله، حيث سُئلتَ عنه. فحرم خيرَه، فعادتْ لعنة السرج عليه بهذا المعنى.

وكان رسول الله ﷺ في سفر، فسمع امرأةً تلعنُ ناقتَها. فأمر بها فسيّبت، وقال: «لا يصحبنا ملعون»، فطردتْ من الركب. قال الراوي: فلقد كنّا نراها تطلب أن تلحق بالركب، والناس يطردونها؛ فتركناها منقطعة. فكانت عقوبة صاحبتها أن بَعُدَ عنها خيرُها[1]، وهو ركوبُها؛ فحارت اللعنة عليها؛ فإنّ اللعنةَ: البُعْدُ.

واحذر أن تكفّر مؤمنا؛ فإنّ تكفير المؤمن كقتله.

ولا تهجر أخاك فوق ثلاث؛ فإذا لقيته بعد ثلاث فابدأه بالسلام؛ تكن خير الشخصين المتهاجرين. ولمّا هجر الحسنُ محمدَ بن الحنفيّة أخاه، وتهاجرا؛ نفذ إليه محمد بن الحنفيّة بعد ثلاث، فقال: يا أخي؛ يا ابن رسول الله؛ إنّ رسول الله ﷺ يقول: «لا يهجر (أحدكم) أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصدّ هذا ويصدّ هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» وقد فرغَتْ الثلاث؛ فإمّا أن تأتيني فتبدأني بالسلام؛ فإنّك خير منّي، وإن كنّا ابني رجل واحد؛ فأنت سبط رسول الله ﷺ؛ فإنّ خير الرجلين المتهاجرين من يبدأ بالسلام، وإن لم تفعل؛ جئتُ إليك فبدأتك بالسلام. فبلغ ذلك الحسن؛ فشكره، وركب دابّته، وقصد إلى منزله؛ فبدأه بالسلام». فانظر ما أحسن هذا؛ كيف آثر على نفسه مَن هو أفضل منه، يرجو بذلك المنزلة والمحبّة عند رسول الله ﷺ. فهكذا ينبغي للعاقل أن يحتاط لنفسه، ويأتي الأفضل فالأفضل، ويعرف الفضل لأهله. وقد ثبت أنّه «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه».

---

(١) ص ٩٣

وإيّاك واللعِبَ بالنرد[١]؛ فإنّ في اللعب بالنرد معصيةَ اللهِ ورسولِه، وفي الشطرنج خلاف، وكلّ ما فيه خلاف فالاحتياط أن تخرج من الخلاف باجتنابه. واجتنب القمار بكلّ شيء مطلقا، وكلّ ما تغفل باللهو به عن أداء فرض من فروض الله عليك، أو عن ذِكْر الله؛ فاجتنبه.

دخل بعض أهل الله من العلماء على قوم يلعبون بالشطرنج. فقال: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[٢] وإن كان اللعب بالشطرنج حلالا[٣]، فالمصوِّر له مأثومٌ إثمَ المصوّرين.

مبشّرة[٤]:

أخبرني الزكي شيخنا أحمد بن مسعود بن شدّاد المقري الموصلي، بمدينة الموصل، سنة إحدى وستمائة قال: رأيت رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله؛ ما تقول في الشطرنج؟ يعني في اللعب به. قال ﷺ: "حلال" وكان الرائي حنفيّ المذهب. قال: فقلت: والنرد؟ قال: "حرام". قال: قلت: يا رسول الله؛ ما تقول في الغناء؟ قال: "حلال" قلت فالشبّابة؟ قال: "حرام" قال: قلت يا رسول الله؛ ادع الله لي؛ فقد مسّتني الحاجة، أو كما قال مما هذا معناه. قال ﷺ: «رزقك الله ألف دينار كلّ دينار من أربعة دراهم» واستيقظت، فدعاني[٥] الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب -رحمه الله- في شغل، فلمّا خرجت من عنده أمر لي بأربعة آلاف درهم، فما بِتُّ إلّا والدراهم عندي كاملة التي عيّنها لي في دعائه رسولُ الله ﷺ. قال: فاعتقدتُ من تلك الساعة تحليلَ الشطرنج الذي كنت أعتقد تحريمه، وتحريم الشبّابة، وكنت أعتقد النقيض في هذين الشيئين.

وإيّاك وتصديق الكُهّان، وإن صدقوا. واجتنبْ ما استطعتَ الاستمطار بالأنواء. وعلم النجوم اجتنبه مطلَقا احتياطا إلّا ما يحتاج منه إلى معرفة الأوقات.

(١) ص ٩٣ب
(٢) [الأنبياء: ٥٢]
(٣) ق: حلال
(٤) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٥) ص ٩٤

والوقوف عند قول الشارع هو طريق النجاة، وتحصيل السعادة، وما ندندن إلّا على ذلك.

واحذر أن تنام وفي يدك دَسَم، أو على ظاهر فمك؛ من أجل الهوام والشياطين.

وإيّاك أن تشاقِق على أحد، ولا تضارِرْه.

ولا تكن ذا وجهين؛ تأتي قوما بوجه، وقوما بوجه.

واحذر من الاحتكار لانتظار الغلاء لأمّة محمد ﷺ.

ولا تتّخذ كلبا؛ إلّا أن تكون في أمر تطلب الحراسة فيه، أو صيد.

ولا[1] تَغْصِب مسلما شيئا، ولا ذِمّيّا، ولا ذا عهد.

وإذ ضربتَ مملوكا أو مملوكة حَدًّا لم يأتِه، أو لطمتَه في وجهه؛ فأعتقه؛ فإنّ كفّارة فعلِك به ذلك عِتْقُه. ولا تَرْمِ مملوكَك ولا مملوكتك بالزنا من غير علم؛ فإنّ الله يقيم عليك الحدّ في ذلك يوم القيامة.

واحذر من اتّباع الصيد، والمداومة عليه، ولزوم البادية؛ فإنّ الصيد يورث الغفلة، وسُكنى البادية تورث الجفاء.

وإيّاك وصحبة الملوك؛ إلّا أن تكون مسموع الكلمة عندهم؛ فتنفعَ مسلما، أو تدفعَ عن مظلوم، أو تردَّ السلطان عن فعل ما يؤدّي إلى الشقاء عند الله.

وعليك بالوفاء بالنذر إذا نذرتَ طاعة؛ فإن نذرت معصية فلا تعص الله، وكفّر عن ذلك كفّارة يمين؛ فإنّه أحوط وأرفعُ للخلاف.

---

(١) ص ٩٤ب

وعليك بطاعة أُولِي الأمر من الناس ممن ولّاه السلطانُ أمرَك؛ فإنّ طاعة أُولِي الأمر واجبةٌ بالنصّ في كتاب الله[١]. وما لهم أمرٌ يجب علينا امتثال أمره فيه إلّا المباح، لا الأمر بالمعاصي. فإن غصبوك؛ فاقبل غصبَهم في بعض أحوالك، وإن أمروك بالغصب؛ فلا تغصب. ولا تفارق الجماعة، ولا تخرج يدا من طاعة[٢] ؛ فتموت[٣] ميتة جاهليّة بنصّ رسول الله ﷺ ولا تخرج على الأمّة، ولا تنازِع الأمرَ أهلَه، وقاتل مع الأعدل من الاثنين. وأَوفِ لذي العهد بعهده، ولذي الحقّ بحقّه.

ولا تحمل السلاح في الحرم لقتال، وإذا دخلتَ السوق بسهام؛ فأمسك على نصالها لا تعقر أحدا وأنت لا تشعر، ولا تمازح أخاك بحمل السلاح عليه.

وأَكرِمْ شعرَك، وغِبَّ بترجيله، واكتحل. وإذا اكتحلتَ؛ فاكتحل وترا. واشرب مَصًّا، ولا تتنفّسْ في الإناء إذا شربتَ، وأزل الإناء عن فمك.

وكُلْ بثلاث أصابع، وصغِّر اللقمة، وكثِّر مضغَها، ولا تشرع في لقمة أخرى حتى تبتلع الأُولَى، وسَمِّ الله عند قطع كلّ لقمة، واحمد الله إذا ابتلعتها، واشكره على أنّه سوَّغَك إيّاها.

ولا تجلس في مجلس أحد إذا قام منه بنيّة الرجوع إليه؛ إلّا أن يفارقه ولا يريد الرجوع إليه. وكان ابن عمر رضي الله عنه إذا قام أحدٌ إليه من مكانه ليجلسه فيه؛ يمتنع عليه ولا يجلس؛ فإنّ القائم أحقُّ به بنصّ رسول الله ﷺ.

ولا تردَّ طِيبا إذا عُرِض عليك، ولا لَبَنًا، ولا وسادة؛ إذا[٤] قُدِّم إليك شيء من هذا كلّه.

وإذا أخذتَ دَيْنا فانْوِ قضاءه ولا بدّ؛ فإنّ الله يقضيه عنك إذا نويتَ ذلك.

واعدل بين نسائك، وفي رعيّتك إن كنت راعيا تسعد -إن شاء الله-.

---

(١) "بالنص.. الله" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٢) أضيف في الهامش بقلم آخر: الإمام
(٣) ص ٩٥
(٤) ص ٩٥ب

وصيّة: (إن كنت عالما؛ فحرام عليك أن تعمل بخلاف ما أعطاك دليلك)

والذي أُوصيك به إن كنت عالما؛ فحرام عليك أن تعمل بخلاف ما أعطاك دليلك، ويحرم عليك تقليد غيرك مع تمكّنك من حصول الدليل. وإن لم تكن لك هذه الدرجة، وكنتَ مقلِّدا؛ فإيّاك أن تلتزمَ مذهبا بعينه؛ بل اعمل كما أمرك الله؛ فإنّ الله أمرك أن تسأل أهلَ الذِّكْر إن كنت لا تعلم، وأهل الذِّكْر هم العلماء بالكتاب والسنّة؛ فإنّ الذِّكْرَ: القرآنُ بالنصّ. واطلب رفع الحرج في نازلتك ما استطعت؛ فإنّ الله يقول: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1] وقال ﷺ: «دينُ الله يُسر» فاسأل عن الرخصة في المسألة حتى تجدها؛ فإذا وجدتها اعمل بها. وإن قال لك المفتي: "هذا حكم الله، أو حكم رسوله في مسألتك" فخذ به. وإن قال لك: "هذا[2] رأيي" فلا تأخذ به، وسل غيره. وإن أردت أن تأخذ بالعزائم في نوازلك؛ فافعل، ولكن فيما يختصّ بك. ورفع الحرج هو السنّة. وإذا علِمتَ علما من علوم الشريعة؛ فبلّغه مَن لا يعلمه؛ تكن من حملة العلم لمن لا يعلم. وإيّاك أن تكتم ما أنزل اللهُ من البيّنات للناس إذا علمتَ ذلك.

وعليك بالسماحة في بَيعك وابتياعك، وإذا اقتضيتَ فكن سمحا في اقتضائك.

واجتنب الوَشْمَ أن تعمله أو تأمر به، وكذلك التنميص؛ وهو إزالة الشعر من الوجه بالمنماص، والمنماص هو الذي يسمّونه العوام: الجفت. وكذلك التفليج، فإنّ رسول الله يقول: «لعن الله الواشمة والمستوشمة، والنامصة والمتنمّصة، والواشرة والمستوشرة» وهي التي تفلج أسنانها «والواصلة والمستوصلة، المغيّرات خلقَ الله» والواصلة هي التي تصل شعرها.

واحذر أن تعيّر عباد الله بما ابتلاهم الله به في خَلْقِهم وفي خُلُقهم، وما قدّر عليهم من المعاصي.

واسأل الله ﷻ العافية ما استطعتَ، وكن على نفسك، لا تكن لها؛ إن أردت أن تسعدها عند الله. وإيّاك وما تستحليه النفس[3]؛ إلّا أن يكون معها الشرع في ذلك؛ فهو الميزان.

---

(١) [الحج: ٧٨]
(٢) ص ٩٦
(٣) ص ٩٦ب

وإيّاك أن تذبح ذبيحة لغير الله، ولا تأكل مما أُهِلَّ لغير الله، وما لم يُذكر اسم الله عليه فإنّه فسق بنصّ القرآن.

ولا يستميلونك، أهلُ الذمّة، إلى ما يتبرّكون به في دينهم؛ فإنّ ذلك من الأمور المهلكة عند الله. ولقد رأيتُ بدمشق أكثر نسائها يفعلن ذلك، ورجالهنّ يسامحونهنّ في ذلك؛ وهو أنّهم يأخذون الصبيان الصغار، ويحملونهم إلى الكنيسة حتى يبارِكَ[1] القسُّ عليه، ويرشّونهم بماء المعموديّة بِنيّة التبرُّك، وهذا قرين الكفر؛ بل هو الكفر عينُه، وما يرتضيه مسلم ولا الإسلام، ويقرّبون القرابين لذلك.

واحذر أن تؤوي محدِثا أحدث في دين الله أمرا يبعِّد عن الله ويردُّه الدين، مثل هذا الذي ذكرناه.

وإيّاك أن تغيِّر حدود الأرض؛ فإنّ ذلك غصب، وقد لَعن رسول الله ﷺ مَن غيّر منار الأرض. واحذر أن تمثِّل بحيوان، أو تتّخذه غرضا، أو يتّخذه غيرك، ولا تنهاه عنه.

وإيّاك ونكاح البهائم. ولقد كان عندنا رجل صالح، قليل العلم، قد انقطع في بيته، فاشترى حمارة لم تُعْلَمْ له حاجة إليها[2]. فسأله بعض الناس بعد سنين، وقال له: ما تصنع بهذه الحمارة، وما لك حاجة إليها ولا تركبها؟ فقال: يا أخي؛ ما اشتريتها إلّا عصمة لديني أنكحها حتى لا أزني. فقال له: إنّ ذلك حرام. فبكى وتاب إلى الله من ذلك، وقال: والله ما علمتُ. فعليك بالبحث عن دينك؛ حتى تعلم ما يحلّ لك أن تأتي منه، مما لا يحلّ لك أن تأتيه في تصرّفاتك.

(١) رسمها في ق: يبرِك
(٢) ص ٩٧

وصيّة: (إذا سألت المغفرة فاسأل أن يسترك عن الذنب أن يصيبك)

إذا سألت المغفرة، وهي طلب الستر، فاسأل أن يسترك عن الذنب أن يصيبك؛ فتكون معصوما أو محفوظا. وإن كنت صاحب ذنب؛ فاسأله أن يسترك أن يصيبك عقوبة الذنب.

وإيّاك أن تظهر إلى الناس بأمر يعلم الله منك خلافَه، فلقد أخبرني الثقة عندي عن الشيخ أبي الربيع الكفيف المالقي، كان بمصر يخدمه أبو عبد الله القرشيّ المبتلى، فدخل عليه الشيخ، وسمعه يقول في دعائه: اللهمّ يا ربّ؛ لا تفضح لنا سريرة. فصاح فيه الشيخ وقال له: الله يفضحك على رءوس الأشهاد يا أبا عبد الله، ولأيّ شيء تظهر لله بأمر، وللناس بخلافه؟ أصدقْ مع الله ﷻ في[1] جميع أحوالك، ولا تضمر خلاف ما تظهر. فتاب إلى الله من ذلك، ورجع.

وليس للمغفرة متعلَّق إلّا أن يسترك من الذنب، أو يسترك من العقوبة عليه. يقول الله -سبحانه- لنبيّه ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[2] فما تقدّم لا يعاقبك عليه، وما تأخّر لا يصيبك، وهذا إخبار من الله بعصمته ﷺ. أخبرني سليمان الدنبلي، وكان عبدا صالحا فيما أحسب، كثير البكاء، وكان له أنس بالله، فقعدت معه بمقصورة الدولعي، زاوية عائشة بجامع دمشق، وجرى بيني وبينه كلام. فقال لي: يا أخي؛ لي والله أكثر من خمسين سنة، ما حدّثتني نفسي بمعصية قطّ، لله الحمد على ذلك.

واحذر -يا أخي- من التنطُّع في الكلام، والتشدّق، وإيّاك أن يستعبدك غير الله مِن عَرَضٍ من عروض الدنيا؛ فإنّك عبد لمن استعبدك. وإيّاك والتكبّر والجبروت.

وتفقَّد مصالح ما عندك من الحيوانات؛ من بهيمة، وفرس، وجمل، وهِرّة، وغير ذلك، ولا تغفل عنهم؛ فإنّهم خُرس، وأمانات بأيديكم؛ إذا أنتم حبستموها عن مصالحها.

---

(١) ص ٩٧ب
(٢) [الفتح: ٢]

وإيّاك أن تحدِّث أخاك[١] بحديث يرى أنّك فيه صادق، فيصدِّقك، وأنت فيه كاذب.

لا تحقّر أخاك شيئا من نعيم الله وإن قَلَّ، ولا تَزْدَرِ أحدا من عباد الله، واملِك نفسك عند الغضب.

وعليك بتحمُّل الأذى من عباد الله، والصبر عليه؛ فـ«ليس أحد أصبر على أذى يسمعه[٢] من الله»؛ إنّهم ليدّعون له ولدا، وهو يرزقهم ويعافيهم؛ فاجعل الحقَّ أمامك إمامَك، وعامِل عبادَه بما عامَلَهم به. نزل مشركٌ بإبراهيم الخليل، فاستضافه، فقال له إبراهيم ﷺ: "حتى تُسْلِمْ" فقال: يا إبراهيم؛ لا أفعل، وانصرف. فأوحى الله إليه: «يا إبراهيم؛ من أجل لقمة يترك دينه ودين آبائه! إنّه ليشرك بي منذ سبعين سنة، وأنا أرزقه». فخرج إبراهيم ﷺ في أثر الرجل، فعرض عليه الرجوع. فاستخبره عن ذلك؛ فأخبره بِعَتْبِ الله له في ذلك؛ فأسلم المشرك.

وعليك بترتيل القرآن والتغنّي به، وذلك بأن تحبّرَه وتستوفِيَ حروفَه.

وإيّاك أن تدعو إلى عصبيّة؛ بل ادعُ إلى الله.

وإذا كنت في سفر؛ فلا تَصُمْ؛ فإنّ ذلك ليس من البِرّ عند الله -تعالى-.

وإن كنت ولا بدَّ صاحبَ لَهْوٍ؛ فبامرأتك، وفرسك، وسهامك.

واجتنب الاسترقاء، والاكتواء، والطِّيرة؛ إن أردت أن تكون من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنّة بغير حساب.

وعليك بفعل البِرّ في[٣] يوم الاثنين ويوم الخميس؛ فإنّهما يومان تُعرض فيهما الأعمال على الله -تعالى-، وكان رسول الله ﷺ لا يترك صومهما، ويقول: «إنّي أحبّ أن يُرفع عملي وأنا صائم» فإنّ الصومَ عبادةٌ تستغرقُ النهارَ كلَّه، سَوَاء غفل العبد عن عبادةٍ في ذلك اليوم أو لم يغفل؛ فإنّه

---

(١) ص ٩٨

(٢) ثابتة في الهامش بقلم الأصل

(٣) ص ٩٨ب

في عبادة صومه بما نواه.

وإيّاك والشحناء؛ فإنّه نظير الشرك في عدم المغفرة عند الله.

واعلم أنّ العبد يُبعث على ما مات عليه؛ فلا تمت إلّا وأنت مسلِم.

إيّاك وصحبة مَن تفارقه، ولا تصحب إلّا من لا يفارقك؛ وهو العمل. فاجعل عملك صالحا تأنس به وتُسَرُّ، واجعله لك، لا عليك. واعلم أنّ القبر خزانة أعمالك؛ فلا تخزِن فيه إلّا ما إذا دخلتَ إليه يسرّك ما تراه، يقول بعضهم[1]:

يا مَنْ بِدُنْياهُ اشْتَغَلْ أَغَرَّهُ طُولُ الأَمَلْ
وَلَمْ يَزَلْ فِي غَفْلَةٍ حَتَّى دَنا مِنْهُ الأَجَلْ
المَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً والقَبْرُ صُنْدُوقُ العَمَلْ

«يرجع عن الميّت أهلُه ومالُه، ويبقى معه عمله».

أشقى الناس يوم القيامة مَن أَمر بالمعروف ولم يأته، ونهى عن المنكر وأتاه. وعليك بكسب الحلال، وطِيب المطعم، وفِرَّ بدينك من الفتن إذا وقعتْ في[2] الناس وظهرتْ. وإيّاك والحرص على المال، واحذر أن تسبّ الدهرَ «فإنّ اللهَ هو الدهر» وإن أردت به الزمان؛ فما بيد الزمان شيء، بل الأمر بيد الله. لا تقل: مالي؛ «وهل لك من مالك إلّا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأَبليتَ، أو تصدّقتَ فأمضيتَ» وما بقي بعد ذلك فعليك لا لك، وأنت مسئول عمّا جمعتَ: من أين جمعت؟ وفيمَ أنفقت؟ ولِمَ[3] اختزنت؟

لا تتزوّج من النساء إلّا ذات الدِّين؛ فإنّ من أعظم النِّعم على العبد المرأةَ الصالحة؛ تعينُ على الدين، ولا تكفُر العشير.

كن من حملة الدِّين تكن عدلا بشهادة الرسول ﷺ فإنّه قال: «يحمل هذا العلم مِن كلّ خَلَفٍ

(١) القائل هو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
(٢) ص ٩٩
(٣) ق: وفيمَا أنفقت؟ ولِمَا

عُدُولُهُ».

ابدأ بالسلام على مَن هو أكبر منك، وابدأ بالسلام على الماشي إن كنت راكبا، وعلى القاعد إن كنت ماشيا. ولقد جرى لي مع بعض الخلفاء ﷺ ذات يوم، كنّا نمشي ومعنا جماعة، وإذا بالخليفة مقبِلٌ؛ فتنحّينا عن الطريق، وقلت لأصحابي: مَن بدأه بالسلام أَرذلتُ به عنده. فلمّا وصل، وحاذانا بفرسه؛ انتظرَ أن نسلِّم عليه كما جرت عادة الناس في السلام على الخلفاء والملوك، فلم نفعل. فنظر إلينا، وقال: "سلام عليكم ورحمة الله وبركاته" بصوت جهير. فقلنا له بأجمعنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. فقال[1]: جزاكم الله عن الدين خيرا، وشكرَنا على فِعلنا، وانصرف. فتعجّب الحاضرون!.

«لا تَؤُمَّنَّ رجلا في سلطانه، ولا تقعد على تَكْرِمَتِه إلّا بإذنه»، ولا تدخل بيتَه إلّا بإذنه، ولا تَجُزَّ مقدَّم دابته إلّا بإذنه، «وليكن إمامَ القوم أقرؤهم لكتاب الله»، هذه وصيّة رسول الله ﷺ.

إذا استيقظتَ من نومك؛ فامسح النوم من عينيك، واذكر الله؛ تَحُلَّ بذلك عقدة واحدةً من عُقَد الشيطان؛ فإنّه «يَعقِد على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عُقَد، يضربُ مكان كلّ عقدة: عليك ليلٌ طويل؛ فارقد. فإن توضّأتَ حللتَ بوضوئك العقدة الثانية، فإن صلّيتَ حللتَ العُقَد كلَّها».

إيّاك أن تطلب الإمارة؛ فَتُوكَّل إليها.

وعليك بالصِّباغ، واجتنب السواد فيه؛ فإنّ رسول الله ﷺ أمر به، ورغّب فيه، وأعجبه.

واعلم أنّ «القلوب بيد الله بين إصبعين من أصابع الرحمن» كقلب واحد يصرّفه كيف يشاء. وقلوب الملوك بيد الله كذلك؛ يقبضها عنّا إذا شاء، ويعطف بها علينا إذا شاء، ليس لهم من الأمر شيء. فاعذروهم، وادعوا لهم، ولا تقعوا فيهم؛ فإنّهم نوّاب الله في عباده، وهم من الله

---

(١) ص ٩٩ب

بمكان؛ فاتركوا وُلاتَه له -تعالى- يعاملهم كيف شاء: إن شاء عفا عنهم فيما[1] قصّروا فيه، وإن شاء عاقبهم؛ فهو أبصر بهم. وعليك بالسمع والطاعة لهم، وإن كان عبدا حبشيّا مجدّع الأطراف.

دخل رجل نصرانيّ مشركٌ بعضَ البلاد، فبينا هو يمشي، وإذا بالناس يهرعون من كلّ مكان، ويقولون: هذا السلطان قد أقبل. فوقف المشرك ليراه؛ فإذا به أسود، كان مملوكا لبعض الناس، وأعتقه، مجدَّع الأطراف، أقبح الناس صورة. فلمّا نظر إليه قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له في مُلكه، يفعل ما يريد، ويحكم ما يشاء. فقيل له: ما الذي دعاك إلى الإسلام والتوحيد؟ فقال: سلطنة هذا العبد الأسود؛ فإنّي رأيت من المحال أن يجتمع اثنان على تولية مثل هذا على الناس والأشراف والعلماء وأرباب الدين؛ فعلمت أنّ الله واحد يحكم بعلمه في عباده كيف يشاء، لا إله إلّا هو.

ورأيت هذا أنا من تصديق الله -تعالى- رسولَه ﷺ فيما مثّل به لنا في قوله: «وإن كان عبدا حبشيّا مجدّع الأطراف» فإنّي جرّبت المخبِرين عن الله إذا ضربوا الأمثال بأمر مّا؛ فإنّه لا بدّ من وقوع ذلك المضروب به المَثل.

كان أبو يزيد البسطامي يشير عن نفسه أنّه قطب الوقت، فقيل له يوما عن بعض الرجال إنّه يقال فيه: إنّه قطب الوقت. فقال: الولاةُ كثيرون، وأميرُ المؤمنين واحد، لو أنّ رجلا شقّ العصا، وقام[2] ثائرا في هذا الموضع -وأشار إلى قلعة معيّنة- وادّعى أنّه خليفة؛ قُتِل، ولم يتمّ له ذلك، وبقي أميرُ المؤمنين أميرَ المؤمنين. فما مرّت الأيّام حتى ثار في تلك القلعة ثائر، ادّعى الخلافة وقُتِل، وما تمّ له ذلك، فوقع ما ضرب به أبو يزيد المثل عن نفسه.

فإيّاك والوقوع في ولاة أمور المسلمين، وإيّاك أن تنزل أحدا من الله منزلةً لا تعرفها، لا بتزكية عند الله فيه، ولا بتجريح؛ إلّا أن تكون على بصيرة من الله -تعالى- فيه؛ فإنّ ذلك افتراء على الله، ولو صادفتَ الحقّ؛ فقد أسأتَ الأدب، وهذا داء عضال؛ بل حسِّن الظنّ به، وقل:

---

(١) ص ١٠٠

(٢) ص ١٠٠ب

فيما أحسب وأظنّ هو كذا وكذا، ولا تزكّي على الله أحدا. فهذا رسول الله ﷺ ولا يدري ما يُفعلُ به، ولا بنا؛ بل يتّبع ما يوحى إليه؛ فما عُرِّف به من الأمور عرَّفها، وما لم يُعرَّف به من الأمور لم يُعرِّفه، وكان فيه كواحد من الناس.

فكم رجُلٍ عظيمٍ عند الناس يأتي يوم القيامة لا يزنُ عند الله جناح بعوضة؟ وفكِّر في يوم القيامة وهَوْلِه، وما يلقى الناس فيه، وهو يوم التنادي ﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖ﴾[(١)] تلجؤون إليه. ولقد ثبت أنّ العَرَقَ يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين ذراعا، وأنّه ليبلغ أفواه الناس. وعليك بالدعاء؛ أن[(٢)] يعيذك الله من فتنة القبر، ومن فتنة الدجّال، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرّ ما صنعت، ومن شرّ ما خلق.

وقد أوصيتك بتغطية الإناء؛ فإنّه ثبت: «إنّ لله في السنة ليلةً غيرَ معيّنةٍ ينزل فيها وباءٌ لا يمرّ بإناء ليس عليه غطاء؛ إلّا دخل فيه من ذلك الوباء، أو سِقاء ليس عليه وكاء».

وإنّ للشيطان فتنة؛ فاستعذ بالله منها، وراقبْ قلبَك وخواطرك، وَزِنْها بميزان الشريعة الموضوع في الأرض لمعرفة الحقّ؛ فإنّك إذا فعلتَ ذلك؛ كنت في أمورك تجري على الحقّ؛ فإنّ إبليسَ يضع عرشه على الماء؛ لِمَا علم أنّ العرش الرحمانيّ على الماء، يلبّس بذلك على الناس أنّه الله، كما فعل بابن صيّاد، وقد قال له رسول الله ﷺ: ما ترى؟ قال: أرى عرشا على البحر. فقال (ص): «ذلك عرشُ إبليس» يقول الله -تعالى- في عرشه: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾[(٣)] ثمّ قال: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ والابتلاءُ فتنةٌ. فإبليس ما له نظرٌ إلّا في الأوضاع الإلهيّة الحقيقيّة، فيقيم في الخيال أمثلتَها، ليقال: "هي عينُها" فيغترُّ بها مَن نظر إليها، وما ثَمّ شيء؛ فإنّ الله قد أعطاه السلطنة على خيال[(٤)] الإنسان؛ فَيُخَيِّل إليه ما يشاء. فإذا وضع عرشَه على الماء؛ بعث سراياه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا إلى قلوب بني آدم: إلى الكافر ليثبت على كفره، وإلى المؤمن ليرجع

(١) [غافر: ٣٣]
(٢) ص ١٠١
(٣) [هود: ٧]
(٤) ص ١٠١ب

عن إيمانه، وأدناهم مِن إبليس منزلةً أعظمُهم فتنةً، فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

* * *

وصيّة: (ادعُ الله أن يجعلك من صالحي المؤمنين)

ادعُ الله أن يجعلك من صالحي المؤمنين تكنْ وليَّ رسول الله ﷺ وناصِرَه؛ فإنّ اللهَ قَرَن صالحَ المؤمنين مع نفسه، وجبريل، والملائكة في نُصرة رسول الله ﷺ، وقال رسول الله ﷺ: «إنما وليّيَ اللهُ وصالحُ المؤمنين».

وإن كنتَ واليا فلتُساوِ في إقامة الحدود الشرعيّة على مَن تعيَّنَتْ؛ من شريف ووضيع، ومَن تحبّه وتكرهه؛ فإنّ رسول الله ﷺ ثبت عنه أنّه قال: «إنما هَلَكَ مَن كان قبلكم أنّهم كانوا يقيمون الحدود على الوضيع ويتركون الشريف».

وإيّاك -يا أخي- أن تحجر عناية الله عن إماء الله[1] لمّا سمعت أنّ ﴿لِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[2] فتلك درجة الانفعال (بحكم الأصل)؛ فإنّ حوّاء خُلقت من آدم؛ فلمّا انفعلت عنه كان له عليها درجة السبق. فكلّ أنثى مِن سَبْقِ ماءِ المرأة ماءَ الرجل، وعلوّه على ماء الرجل. هذا هو الثابت عن رسول الله ﷺ فاعلم ذلك؛ فللرجال عليهنّ درجة؛ فإنّ الحكم لكلّ أنثى لماء أُمّها. وهنا سِرٌّ عجيب دقيق روحانيّ، من أجله كان «النساء شقائق الرجال» فخُلقت المرأة من شِقّ الرجل؛ فهو أصلها؛ فله عليها درجة السببيّة. ولا تقل: "هذا مخصوص بحوّاء"؛ فكلّ أنثى -كما أخبرتُك- من مائها، أي مِن سَبْق مائها، وعلوّه على ماء الرجل. وكلُّ ذكرٍ مِن سَبْقِ ماءِ الرجل، وعلوّه على ماء الأنثى. وكلُّ خنثى فمِن مساواة المائين، وامتزاجهما من غير مسابقة.

واحذر من فتنة الدنيا وزينتها. وفرّق بين زينة الله، وزينة الشيطان، وزينة الحياة الدنيا. إذا جاءت الزينة مهملةً، غيرَ منسوبة؛ فإنّك لا تدري مَن زيّنها لك؛ فانظر ذلك في موضع آخر،

---
(١) هناك إشارة شطب على حرف الألف الأولى، ثم كلمة "صح" فوق لفظ الجلالة
(٢) [البقرة: ٢٢٨]، ص ١٠٢

واتّخذه دليلا على ما انبهم عليك، مثل قوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[1] ومثل قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾[2] ولم يذكر مَن زيّنه؛ فتستدلّ على مَن زيّنه من[3] نفس العمل. فزينة الله غير محرَّمة، وزينةُ الشيطان محرَّمة، وزينة الدنيا ذات وجهين: وجهٌ إلى الإباحة والندب، ووجهٌ إلى التحريم. والحياةُ الدنيا وطنُ الابتلاء؛ فجعلها الله حلوة خضرة، واستخلف فيها عبادَه؛ فناظِرٌ كيف يعملون فيها، بهذا جاء الخبر النبويّ. فاتّقِ فتنتَها، وميِّز زينتها، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[4].

وإذا فجأك أمرٌ تكرهه؛ فاصبر له عندما يفجؤك؛ فذلك هو الصبر المحمود. ولا تتسخّط[5] له ابتداء، ثمّ تنظر[6] بعد ذلك أنّ الأمر بيد الله، وأنّ ذلك من الله؛ فتصبر عند ذلك؛ فليس ذلك بالصبر المحمود عند الله الذي حرّض عليه رسول الله ﷺ. ولقد مرّ رسول الله ﷺ بامرأة وهي تصرخ على ولدٍ لها مات، فأمرها أن تحتسبه عند الله وتصبر، ولم تعرف (المرأةُ) أنّه رسول الله ﷺ فقالت له: إليك عنّي؛ فإنّك لم تُصَبْ بمصيبتي. فقيل لها: هذا رسول الله ﷺ فجاءت تعتذر إليه مما جرى منها. فقال لها رسول الله ﷺ: «إنما الصبر عند الصدمة[7] الأُولَى» ينبّه ﷺ العبدَ أنّه لا يزال حاضرا مع الله أبدا؛ فهو أَوْلَى به.

وعليك برحمة الضعيف المستضعف؛ فإنّه قد ثبت «أنّ الله ينصر عباده ويرزقهم بضعفائهم».

وإذا اقترضت من أحدٍ قرضا؛ فأحسِن الأداءَ، وأرجح إذا وَزَنْتَ له، واشكره على قرضِه إيّاك، وانظر الفضلَ له ولكلِّ مَن أحسن إليك، أو أهدَى لك هديّة، أو تصدّقَ عليك ولو بالسلام؛ فإنّ له الفضل عليك بالتقدّم[8]. وما عرف مقدار السلام -الذي هو التحيّة- إلّا

---

(١) [النمل: ٤]
(٢) [فاطر: ٨]
(٣) ص ١٠٢ب
(٤) [طه: ١١٤]
(٥) ق: يتسخط
(٦) ق: ينظر
(٧) ص ١٠٣
(٨) "فإن له.. بالتقدم" ثابتة في الهامش بقلم الأصل

الصدر الأوّل؛ فإنّي رويت أنّهم كانوا إذا حالت بين الرجلين شجرةٌ، وهما يمشيان في الطريق، فإذا تركاها والتقيا سلَّمَ كلٌّ واحد منهما على صاحبه؛ لمعرفته بسرعة تقلّب النفوس، وما يبادر إليها من الخواطر القبيحة من إلقاء إبليس. فيكون السلامُ بشارةً لصاحبه أنّه سلِم من ذلك، وأنّه معه على ما افترقا عليه من حسن المودّة؛ فانظر إلى معرفتهم بالنفوس ﷺ.

ومن قال لك أنّه يحبّك؛ فلو أحببته ما عسى أن تحبّه؛ لن تبلغَ درجة تقدُّمه في حبّه إيّاك؛ فإنّ حبَّك نتيجةٌ عن ذلك الحبّ المتقدّم. وما قلت لك ذلك إلّا أنّي رأيت وسمعت من فقراء زماننا؛ مِن[1] جهّالهم، لا من علمائهم؛ يرون الفضل لهم على الأغنياء؛ حيث كانوا فقراء لما يأخذونه منهم؛ إذ لولا الفقراء ما صحّ لهم هذا الفضل. وهذا غلط عظيم؛ فإنّ الثناء على المعطي ما هو من حيث ما وَجَد من يأخذ منه، وإنما هو لقيام صفة الكرم به، ووقايته شُحَّ نفسه، سواء وَجد مَن يأخذ منه، أو لم يجد.

ألا ترى إلى النصّ الوارد في المتمنّي مع العدم، إذا تمنّى ويقول: لو أنّ لي مالا؛ فعلتُ فيه من الخير مثل ما فعل هذا المعطي؛ فأجرهما سَوَاء، وزاد عليه بارتفاع الحساب عنه والسؤال؟ ولهذا قلنا: بأن ترى الفضل عليك لمن أعطى؛ بما أعطى؛ فهو أَوْلَى بك، وأنّ «اليد العليا هي خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفِقة، واليد السفلى هي السائلة» هذا السؤال[2]؛ ولكن إذا لم تر اللهَ في سؤالها؛ لأنّ الحقّ قد سأل عباده في أمره إيّاهم أن يُقرضوه ويذكروه. وهنا أسرار في التنزّل الإلهيّ إلى عباده.

* * *

وصيّة: (إذا قرأتَ فاتحةَ الكتاب؛ فَصِلْ بَسْمَلَتَها معها في نَفَس واحد من غير قطع)

إذا قرأتَ فاتحةَ الكتاب؛ فَصِلْ بَسْمَلَتَها معها في نَفَس واحد من غير قطع؛ فإنّي أقول: بالله العظيم، لقد حدّثني أبو الحسن علي بن أبي الفتح المعروف والده بالكناري، بمدينة الموصل،

(١) ص ١٠٣ب
(٢) "هذا السؤال" ثابتة في الهامش بقلم الأصل

سنة[1] إحدى وستمائة، وقال: بالله العظيم، لقد سمعت شيخنا أبا الفضل عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب يقول: بالله العظيم لقد سمعت والدي أحمد يقول: بالله العظيم لقد سمعت المبارك بن أحمد بن محمد النيسابوري المقري يقول: بالله العظيم، لقد سمعت من لفظ أبي بكر الفضل بن محمد الكاتب الهروي، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثنا أبو بكر محمد بن علي الشاشي الشافعي من لفظه، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني عبد الله المعروف بأبي نصر السرخسي، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثنا أبو بكر محمد بن الفضل، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى الورّاق الفقيه، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني محمد بن يونس الطويل الفقيه، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني محمد بن الحسن العلوي الزاهد وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني موسى بن عيسى وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني أبو بكر الراجعي وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني عمّار بن موسى البرمكي وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني أنس بن مالك، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني عليّ بن أبي طالب، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني أبو بكر الصدّيق، وقال[2]: بالله العظيم، لقد حدّثني محمد المصطفى -صلّى الله عليه وسلّم تسليما- وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني جبريل عليه السلام وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني ميكائيل عليه السلام وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني إسرافيل عليه السلام وقال: قال الله -تعالى- لي: «يا إسرافيل؛ بعزّتي وجلالي، وجودي وكرمي؛ من قرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[3] متّصلة بفاتحة الكتاب مرّة واحدة؛ اشهدوا عليّ أنّي قد غفرت له، وقبِلت منه الحسنات، وتجاوزت عنه السيّئات، ولا أُحرق لسانه بالنار، وأجيره من عذاب القبر، وعذاب النار، وعذاب القيامة، والفزع الأكبر، ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين».

(١) ص ١٠٤
(٢) ص ١٠٤ب
(٣) [الفاتحة: ١]

وصيّة: (كن غيورا لله -تعالى)

كن غيورا لله -تعالى-، واحذر من الغيرة الطبيعيّة الحيوانيّة أن تستفزّك وتلبّس عليك نفسك بها، وأنا أعطيك في ذلك ميزانا؛ وذلك أنّ الذي يغار لله دينا؛ إنما يغار لانتهاك محارم الله على نفسه وعلى غيره. فكما يغار على أُمّه أن يزني بها أحدٌ، كذلك يغار على أُمّ غيره أن[1] يزني هو بها، وكذلك البنت، والأخت، والزوجة، والجارية. فإنّ كلّ امرأة يُزنى بها قد تكون أُمًّا لشخص، وبنتا لآخر، وأختا لآخر، وزوجة لآخر، وجارية لآخر. وكلّ واحد منهم لا يريد أن يزني أحدٌ بأُمّه، ولا بأخته، ولا بابنته، ولا بزوجته، ولا بجاريته كما لا يريد هذا الغَيْرَان الذي يزعم أنّه يغار لله دينا. فإن فعل شيئا من هذا، وزَنَى، وادّعى الغيرة في الدين، أو المروءة؛ فاعلم أنّه كاذب في دعواه. فإنّه ليس بذي دين ولا مروءة؛ مَن يكره لنفسه شيئا، ولا يكرهه لغيره؛ فليس بذي غَيْرَة إيمانيّة. يقول النبيّ ﷺ في سعدٍ والحديث مشهور: «إنّ سعدا لغيور، وإنّي لأغْيَر من سعد، وإنّ الله أغيرُ منّي؛ ومن غيرته حرّم الفواحش» ولقد مات رسول الله ﷺ وما مسّتْ يدُه يدَ امرأة لا يحلُّ له لمسُها، وهو رسول الله. وما كانت تبايعه النساء إلّا بالقول، وقولُه للواحدة قولُه للجميع. فاجعل ميزانَك في الغيرة للدين هذا؛ فإن وفّيت به فاعلم أنّك غيور للدين والمروءة، وإن وجدت خلاف ذلك؛ فتلك غَيْرة طبيعيّة حيوانيّة، ليس لله ولا للمروءة فيها دخول؛ حتى تغار منك كما تغار عليك. وقد ثبت: «ما من أحد أَغْيَرُ من الله أن يَزْنِيَ عبدُه[2] أو تزني أَمَتُه».

وإذا أصابتك مصيبة فقل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[3] فلا تُنزل ما تجدُ منها إلّا بالله، ثمّ قل: «اللهم أجبرني في مصيبتي، واخلف لي خيرا منها» فإنّه ثبت عن رسول الله ﷺ: «إنّ العبد إذا قال هذا أخلف اللهُ له خيرا منها». ولقد مات أبو سلمة؛ فقالت امرأتُه هذا القول، وهي تقول: ومَن خيرٌ من أبي سلمة؟ فأخلفَها اللهُ خيرا من أبي سلمة، وهو رسول الله ﷺ فتزوّج

(١) ص ١٠٥
(٢) ص ١٠٥ب
(٣) [البقرة: ١٥٦]

بها، وصارت من أمّهات المؤمنين. ولم يكن أصلُ هذه العناية الإلهيّة بها إلّا هذا القول، عندما أصيبت بموت زوجها أبي سلمة.

وإذا مات لك ميّتٌ؛ فاجهد أن يصلّي عليه مائةُ مسلم، أو أربعون؛ فإنّهم شفعاءُ له عند الله، ثبت في ذلك عن رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يصلّي عليه أمّةٌ من المسلمين يبلغون مائة كلّهم يشفعون له إلّا شُفِّعوا فيه». وحديث آخر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل مسلم يموت يقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا؛ إلّا شفّعهم الله فيه» ومعنى "لا يشركون بالله شيئا" أي لا يجعلون مع الله إلها آخر. وروينا عن بعض العرب أنّه مرّ بجنازة يصلّي عليها أمّةٌ كثيرة من المسلمين، فنزل عن دابّته[1]، وصلّى عليها. فقيل له في ذلك، فقال: إنّها من أهل الجنّة. فقيل: ومَن لك بذلك؟[2] فقال: وأيُّ كريم يأتي إليه جماعة يشفعون عنده في شخص؛ فيردّ شفاعتهم؟! لا والله؛ لا يردّها أبدا؛ فكيف الله الذي هو أكرم الكرماء، وأرحم الرحماء؟! فما دعاهم ليشفعوا فيه إلّا ويقبل شفاعتهم؛ إذ الكريم يقبلها وإن لم يَدْعُهم إلى الشفاعة فيه؛ فكيف وقد دعاهم؟!

اعلم أنّ الله أمرك أن تتّقي النار، فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾[3] أي اجعل بينك وبينها وقاية؛ حتى لا يَصل إليك أذاها يوم القيامة. فإنّه ثبت أنّه «ما من أحدٍ إلّا سيكلّمه الله ليس بينه وبينه ترجمان. فينظر أيمنَ منه؛ فلا يرى إلّا ما قدّم، وينظر أشأمَ منه؛ فلا يرى إلّا ما قدّم، وينظر بين يديه؛ فلا يرى إلّا النار؛ فاتّقوا النار ولو بشقّ تمرة». ولقد وُشي ببعض شيوخنا بالمغرب عند السلطان بأمرٍ فيه حتفُه، وكان أهلُ البلد قد أجمعوا على ما وُشِي به وما قيل فيه مما يؤدّي إلى هلاكه. فأمر السلطان نائبَه أن يجمع الناسَ ويحضر هذا الرجل؛ فإن أجمعوا عليه على ما قيل فيه؛ أَمَر الوالِيَ أن يقتله، وإن قيل غير ذلك؛ خلّى سبيله. فَجُمع الناس لميقات يوم معلوم، وعرفوا ما جُمعوا له، وكلّهم على لسان واحد أنّه فاسقٌ يجب قتله بلا مخالف. فلمّا

(١) ص ١٠٦
(٢) هناك تعليق في الهامش بقلم آخر هو: "مما يحفظ جدّا"
(٣) [آل عمران: ١٣١]

جيء[1] بالرجلِ مَرَّ في طريقه بخبّاز؛ فاقترض منه نصف رغيف؛ فتصدّق به من ساعته.

فلمّا وصل إلى المحفل، وكان الوالي مِن أكبر أعدائه، أُقيم في الناس، وقيل لهم: ما عندكم في هذا الرجل؟ وما تقولون فيه؟ وسَمَّوْه. فما بقي أحد من الناس إلّا قال: "هو عدلٌ رضا" عن آخرهم. فتعجّب الوالي من قولهم خلاف ما كان يعلمه منهم، وما كانوا يقولون فيه قبل حضوره! فعلم أنّ الأمر إلهيٌّ، والشيخ يضحك. فقال له الوالي: ممّ تضحك؟ فقال: من صِدق رسول الله ﷺ تعجُّبًا به وإيمانا. واللهِ؛ ما من أحد من هذه الجماعة إلّا ويعتقد فِيّ خلاف ما شَهِد به، وأنت كذلك، وكلّكم عليّ، لا لي. فتذكّرتُ النار، ورأيتها أقوى غضبا منكم، وتذكّرت نصف رغيف، ورأيته أكبر من نصف تمرة، وسمعت عن رسول الله ﷺ يقول: «اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة»؛ فاتّقيت غضبكم بنصف رغيف؛ فدفعت الأقلّ من النار بالأكثر من شقّ التمرة.

وعليك -يا أخي- بالصدقة؛ فإنّها تطفئ غضب الربّ، ولها ظلٌّ يوم القيامة يقي من حرّ الشمس في ذلك الموقف، وإنّ الرجل يكون يوم القيامة في ظلّ صدقته حتى يُقضى بين الناس. وما من يوم يصبح فيه العبد[2] إلّا ومَلَكان ينزلان، كذا جاء وثبت عن رسول الله ﷺ «يقول أحدهما: اللهمّ أعط منفقا خلفا، وهو قوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾[3] ويقول الآخر: اللهمّ أعط ممسكا تلفا» يدعو له بالإنفاق مثل الأوّل المنفِق، لا يدعو عليه؛ فإنّهم لا يدعون إلّا بخير؛ فهم الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾[4] وهم الذين قال الله فيهم إنّهم ﴿يَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[5] فما أراد المَلَك بالتلف في دعائه إلّا الإنفاق، وهذا خلاف ما يتوهّمه الناس في تأويل هذا الخبر، وليس إلّا ما قلناه. فإنّ النبيّ ﷺ يقول في الرجل الذي آتاه الله مالا فسلّطه على هلكَته؛ فيتصدّق به يمينا وشمالا؛ فجعل صدقته هلاكَ المال، وهذا معنى تلفه. والإنفاق ليس إلّا هلاك المال؛ فإنّه مِن نَفقتِ الدابّةُ إذا هَلَكَتْ، فالمال المنفوق

---

(١) ص ١٠٦ب
(٢) ص ١٠٧
(٣) [سبأ: ٣٩]
(٤) [غافر: ٧]
(٥) [الشورى: ٥]

هو الهالك؛ لأنّه هلَكَ عن يد صاحبه؛ ولهذا دعا للمنفِق بالخلَف وهو العِوَض لما مرّ منه، مع ادّخار الله له ذلك عنده إلى يوم القيامة؛ إذا قصد به القربةَ، واقترنت بعطائه النيّة الصالحة.

* * *

وصيّة: (احذر أن يراك الله حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمَرَك)

احذر أن يراك الله حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمَرَك. واجهد[1] أن يكون لك خبيئَة عمل؛ لا يعلم بها إلّا الله؛ فإنّ ذلك أعظم وسيلة لخلوص ذلك العمل من الشَّوْب، وقليل من يكون له هذا.

وعليك بصيام يوم عرفة ويوم عاشوراء، وثابر على عمل الخير في عَشر ذي الحجّة، وفي عَشر المحرّم. وإذا قدرتَ على صوم يوم في سبيل الله؛ بحيث لا يؤثِّر فيك ضعفا في بلائك في العدوّ؛ فافعل.

وإذا علمتَ أنّ النفس تحبّ أن تمشي في خدمتها؛ فاجهد أن تجعل الملائكة تمشي في خدمتك، وتضع أجنحتها لك في طريقك؛ وذلك بأن تكون من طلّاب العلم. وإن كان بالعمل فهو أَوْلَى، وأَحقّ، وأعظم عند الله، وهو قوله: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾[2]. وكذلك إذا خرجت تعود مريضا ممسِيًا أو مصبِحا أو معًا؛ فأنت إذا خرجت من عنده خرج معك سبعون ألف مَلَك يستغفرون لك؛ إن كان صباحا حتى تمسي، وإن كان مساء حتى تصبح.

واجهد أن تقرأ في كلّ صباح ومساء: "أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم" ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ. هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ. هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ[3] ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ

---

(١) ص ١٠٧ب
(٢) [الأنفال: ٢٩]
(٣) ص ١٠٨

ٱلۡحَكِيمُ﴾[1] تقرأ ذلك ثلاث مرّات على صورة ما قلناه، تتعوّذ في كلّ مرّة بالتّعوذ الذي ذكرناه.

وكذلك بعد صلاة المغرب، وبعد صلاة الصبح قبل أن تتكلّم وعندما تسلّم من الصلاة تقول[2]: "اللهم أجرني من النار" سبع مرات. وكذلك إذا صلّيت المغرب بعد أن تسلِّم وقبل أن تتكلّم؛ تصلّي ست ركعات؛ ركعتان منها تقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ست مرّات والمعوّذتين في كلّ ركعة من الركعتين. فإذا سلّمت، تقل عقيب السلام: "اللهم سدّدني بالإيمان، واحفظه عليّ: في حياتي، وعند وفاتي، وبعد مماتي". وكذلك تقول في أثر كلّ صلاةٍ فريضة إذا سلّمت منها وقبل الكلام: "اللهم إنّي أقدّم إليك بين يدي كلّ نفَس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض، وكلّ شيء هو في علمك كائن أو قد كان، اللهم إنّي أقدّم إليك بين يدي ذلك كلّه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾[3].

وإيّاك والإصرار؛ وهو الإقامة على الذنب؛ بل تب إلى الله في كلّ حال، وعلى أثر كلّ ذنب.

ولقد أخبرني بعض الصالحين، بمدينة قُرْطُبَة من أهلها، قال: سمعت أنّ بمرسيّة رجلا عالما -أعرفه، ورأيتُه، وحضرتُ مجلسه سنة خمسٍ وتسعين وخمسمائة بمرسيّة، وكان هذا العالم مسرفا على نفسه، وما منعني أن أُسمّيه إلّا خوفي أن يُعرف إذا سمّيته- فقال لي ذلك الفقير الصالح: قصدتُ زيارة هذا العالم؛ فامتنع من الخروج إليّ؛ لراحة كان عليها مع إخوانه؛ فأبيت إلّا رؤيته. فقال: أخبروه بالذي أنا عليه. فقلت: لا بدّ لي منه. فأمر؛ فدخلت عليه، وقد فرغ ما كان بأيديهم من الخمر. فقال له بعض الحاضرين: اكتب إلى فلان يبعث إلينا شيئا من الخمر. فقال: لا

(١) [الحشر: ٢٢ - ٢٤]
(٢) "تتكلم.. تسلم.. تقول" هي في ق: "يتكلم.. يسلم.. يقول"
(٣) [البقرة: ٢٥٥]

أفعل؛ أتريدون أن أكون مُصِرًّا على معصية الله، والله ما أشرب كأسا إذا تناولته إلّا وأتوب عقِيبه إلى الله -تعالى-، ولا أنتظر الكأس الآخر، ولا أحدِّث به نفسي. فإذا وصل الدور إليّ، وجاء الساقي بالكأس ليناولني إيّاه؛ أنظر في نفسي؛ فإن رأيت أن أتناولَه منه تناولته وشربته، وتبت عقِيبه، فعسى الله أن يمنّ عليّ بوقت لا يخطر لي فيه أن أعصي الله. قال الفقير: فتعجّبت منه مع إسرافه على نفسه؛ كيف لم[1] يغفل عن مثل هذا، ومات -رحمه الله-.

* * *

وصيّة: (إذا صلّيت فلا ترفع بصرك إلى السماء)

إذا صلّيت فلا ترفع بصرك إلى السماء؛ فإنّك لا تدري: يرجعُ إليك بصرُك، أم لا؟ وليكن نظرك إلى موضع سجودك أو قِبلتك، وحافظ على تسوية الصفّ في الصلاة، وإذا رأيت مَن برز بصدره عن الصفّ؛ رُدّه إليه.

واحذر أن تأتي أمرا إلّا عن بصيرة وعلم، ولا تدخل في عملٍ لا تعرف حكمه عند الله، وأَدِّ الحقوق في الدنيا؛ فإنّه لا بدّ من أدائها. فإن أدّيتها هنا؛ شكر الله فِعلك، وأفلحتَ.

وعليك بمخالفة أهل الكتاب، وكلِّ من ليس على دينك. ولو كان خيرا فاطلب على ذلك في الشرع؛ فإذا وجدته مجملا أو معيّنا؛ فاعمل به من حيث ما هو مشروع لك؛ تكن مؤمنا. وإذا رأيت ما تنكره ولا تعرفه؛ فسلِّمه إلى صاحبه، ولا تعترض عليه؛ فإنّ الله ما ألزمك إلّا بما تعرف حكم الله فيه؛ فتحكم فيه بحكم الله، ولا تنظر إلى إنكارك فيه مع عدم علمك به؛ فقد يكون ذلك الإنكار من الشيطان وأنت لا تعرف، ورأيتُ كثيرا من الناس يقعون في مثل هذا.

وإيّاك والاعتداءَ في الدعاء والطهور؛ فإنّ ذلك مذموم وليس بعبادة. ومثل الاعتداء في الدعاء: أن تدعوَ بقطيعة[2] رحم، وشبه ذلك. والاعتداء في الطهور: الإسراف في الماء، والزيادة على الثلاث في الوضوء. وإذا توضّأتَ فاعزم أن تجمع بين مسح رجليك، وغسلهما؛ فإنّه

(١) ص ١٠٩
(٢) ص ١٠٩ب

أَوْلَى. ولا تترك شيئا من سنن الوضوء؛ فإنّ من سننه ما فيه خلاف بين وجوبه وعدم وجوبه؛ كالمضمضة، والاستنثار.

وإذا صلّيت فاسكن في صلاتك، ولا تلتفت يمينا وشمالا، ولا تعبث بلحيتك في الصلاة، ولا بشيء من ثيابك، ولا تشتمل الصمّاء في الصلاة، وليكن ظهرك مستويا في ركوعك، ولا تدبج كما يدبج الحمار.

واحذر أن تكون مكّاسا، وهو العَشّار، أو مدمنَ خمر، أو مُصِرًّا على معصية. وإيّاك والغُلول والربا.

وعليك بالدعاء بين الأذان والإقامة.

وعليك بذِكْر لفظة: "اللهْ اللهْ" من غير مزيد؛ فإنّ نتيجة هذا الذِّكْر عظيمة. قلت لبعض الحاضرين مع الله من شيوخنا وكان ذِكْرُه: "اللهْ اللهْ" من غير مزيد. فقلت له: لِمَ لا تقول: "لا إله إلّا الله" أطلب بذلك الفائدة. فقال لي: يا ولدي؛ أنفاسُ المتنفِّس بيد الله، ما هي بيدي، وكلّ حرف نفَس؛ فنخاف إذا قلت: "لا" أريد: "لا إله إلّا الله" فربما يكون النفَس بـ"لا" آخرَ نَفَسي؛ فأموت في وحشة النفي، وكلمة "اللهْ" فيها من الفائدة ما لا يكون في غيرها؛ فإنّه ما ثَمّ[1] كلمة تحذف منها حرفا فحرفا؛ إلّا ويختلّ ما بقي؛ إلّا هذه الكلمة، كلمة "اللهْ" فلو زال الألِفُ بقي: "لله" كلمة مفيدة، فلو زالت اللام الأُولَى؛ بقي: "له" وقد قال: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[2] وقال: ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[3] فلو زال اللامان والألِف؛ بقي: "الهاء"، وهو قولك: "هُو" وقد جاء: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾[4] وفي غير هذه الكلمة -فيما أظنّ- ما تجد غير هذا، وكان رجلا أُمِّيًّا من عامّة الناس، وكان نظره مثل هذا واعتباره[5].

(١) ص ١١٠
(٢) [البقرة: ٢٨٤]
(٣) [البقرة: ١٠٧]
(٤) [الكهف: ٣٨]
(٥) رسمها في ق: واعتبار

وعليك بالتباهي في الأمور الدينيّة، وتزيين المصاحف والمساجد، ولا تنظر إلى قول الشارع في ذلك إنّه من أشراط الساعة، كما يقول من لا علم له[(١)]؛ فإنّ رسول الله ﷺ ما ذمّ ذلك. وما كلّ علامة على قرب الساعة تكون مذمومة؛ بل ذَكَر رسول الله ﷺ للساعة أمورا ذمَّها، وأمورا حمِدها، وأمورا لا حمد فيها ولا ذمّ. فمن علامات الساعة المذمومة: أن يعقّ الرجلُ أباه، ويبرّ صديقه، وارتفاع الأمانة. ومن المحمود: التباهي في المساجد[(٢)]، وزخرفتها، فإنّ ذلك من تعظيم شعائر الله، ومما يغيظ الكفّار. ومما ليس بمحمود ولا مذموم؛ كنزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابّة؛ فهذه من علامات الساعة، ولا يقترن بها ذمٌّ ولا حمد؛ لأنّها ليست من فعل المكلَّف، وإنما يتعلَّق الذمُّ والحمد بفعل المكلَّفِ[(٣)]. فلا تجعل علامات الساعة من الأمور المذمومة كما يفعله مَن لا علم له، ورأيت من القائلين بذلك كثيرا.

وحافِظ على الصفّ الأوّل في الصلاة ما استطعتَ؛ فإنّه قد ثبت: «لا يزال قوم يتأخّرون عن الصفّ الأوّل حتى يؤخّرهم الله في النار». وإذا دعوتَ الله فلا تستبطئ الإجابة، ولا تقل: إنّ الله ما استجاب لي؛ فإنّه الصادق، وقد قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِي﴾[(٤)] فقد أجابك، إن كان سَمْعُ إيمانك مفتوحا؛ فقد سمعتَه، وإلّا فاتّهم إيمانك بذلك. فإن دعوتَ بإثمٍ أو قطيعة رحم؛ فإنّ مثل هذا الدعاء لا يستجيب الله لصاحبه؛ فإنّه -تعالى- قد شرع لنا ما ندعوه فيه، وهذا هو الاعتداء في الدعاء «وأنّ الله يستجيب للعبد ما لم يقل العبد الداعي: لم يستجب لي» -بما يجوز فيه الدعاء-. فإنّه إذا قال: "لم يستجب لي" فقد كذّب اللهَ في قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ ومَن كذّب اللهَ؛ فليس بمؤمن، وله الويل مع المكذِّبين؛ إلّا أن يتوب.

---

(١) ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب وحرف خ
(٢) رسمها في ق: المسجد
(٣) ص ١١٠ب
(٤) [البقرة: ١٨٦]

وعليك، إذا لم تواصل صومك، بتعجيل الفطر، وتأخير أكلة السحور.

وأمّا العبد إذا صلّى؛ أقبل الله عليه في صلاته ما لم يلتفِت؛ فإذا التفتَ أعرض الله عنه، وكان لِمَا التفت. إلّا إذا التفت لأمر مشروع؛ ليقيم -بذلك الالتفات- أمرا[1] يختصّ بالصلاة؛ كالتفات أبي بكر لَمّا سُبّح به عند مجيء رسول الله ﷺ؛ فذلك ما أعرض عن الله.

واجتنِب دخول المسجد إن كنت جنبا، وقراءة القرآن، ومسّ المصحف، وكذلك الحائض؛ فإنّه أَخْرَجُ عن الخلاف. وكلّما قدرتَ أن لا تفعل فعلا إلّا ما يكون الإجماع عليه؛ فهو أَوْلَى ما لم تضطر إليه؛ مثل اجتناب أكل ثمن الكلب، وثمن[2] الحجام، وحُلوان الكاهن، ومهر البغيّ. ولا تقبل صدقة إن كنت ذا غِنى، أو قادرا على الكسب.

وإيّاك أن تتقدّم على قوم إلّا بإذنهم، ولا تروِّع مسلما بما يَروعه منك، أيّ شيء كان.

وعليك بمجالس الذِّكْر.

ولا تتصدّق إلّا بطيّب، أعني بحلال.

وإن كنت مجاورا بالمدينة[3]؛ فلا يخرجنّك منها ما تلقاه من الشدّة فيها؛ من الغلاء، واللأواء. ولا تُرِدْ أهلَ المدينة بسوءٍ، بل ولا مسلما[4] أصلا. وإذا أُصبت من جهة فاجتنبها.

وانظر في محاسن الناس، ولا تنظر من إخوانك من المؤمنين إلّا محاسنهم؛ فإنّه ما من مسلم إلّا وفيه خلق سيّئٌ وخلق حسنٌ؛ فانظر إلى ما حسُن من أخلاقه، ودع عنك النظر فيما يسوء من أخلاقه.

وإذا صلّيت فأقم صلبَك في الركوع والسجود.

واشكر الله على قليل النِّعم كما تشكره على كثيرها، ولا تستقلل من الله شيئا من نِعمه.

---

(١) ص ١١١
(٢) أثبت في الهامش بقلم آخر: "أجرة" وبجانبها "ظن"
(٣) هي المدينة المنورة
(٤) رسمها في ق: "مسلم" وصححت في الهامش بقلم آخر، وبجانبها: ظن

ولا تكن لعّانا ولا[1] سبّابا.

وإيّاك وبغضَ من ينصر اللهَ ورسولَه، أو يحبّ اللهَ ورسوله. ولقد رأيت رسول الله ﷺ سنة تسعين وخمسمائة في المنام بتلمسان، وكان قد بلغني عن رجل أنّه يقع في الشيخ أبي مدين، وكان أبو مدين من أكابر العارفين، وكنت أعتقد فيه، وكنت فيه على بصيرة؛ فكرهت ذلك الشخص لبغضه في الشيخ أبي مدين. فقال لي رسول الله ﷺ: "لِمَ تكره فلانا؟" فقلت: لبُغضه في أبي مدين. فقال لي: "أليس يحبّ الله ويحبّني؟" فقلت له: بلى يا رسول الله؛ إنّه يحبّ الله ويحبّك. فقال لي: "فلِمَ بغضته لبغضه أبا مدين، وما أحببتَه لحبِّه اللهَ ورسولَه" فقلت له: يا رسول الله؛ من الآن، إنّي واللهِ زللت وغفلت، والآن فأنا تائب، وهو من أَحبّ الناس إليّ؛ فلقد نبّهتَ ونصحتَ -صلّى الله عليك-.

فلمّا استيقظت؛ أخذت معي ثوبا له ثمن كبير، أو نفقة، لا أدري. وركبت، وجئت إلى منزله، فأخبرته بما جرى؛ فبكى، وقَبِل الهديّة، وأخذ الرؤيا تنبيها من الله؛ فزال عن نفسه كراهته في أبي مدين، وأحبّه. فأردت أن أعرف سبب كراهته في أبي مدين، مع قوله بأنّ أبا مدين رجل صالح! فسألته، فقال: كنت معه ببجاية، فجاءته ضحايا في عيد الأضحى، فقسّمها على أصحابه وما أعطاني منها شيئا؛ فهذا سبب كراهتي[2] فيه ووقوعي، والآن فقد تبت. فانظر ما أحسن تعليم النبيّ ﷺ فلقد كان رفيقا رقيقا.

وإذا استرعاك اللهُ رعيّةً؛ مسلمين أو أهل ذمّة؛ فإيّاك أن تغشّهم، ولا تضمر لهم سوءًا، وانظر فيما أوجب الله عليك من الحقوق لهم؛ فأدِّها إليهم، وعاملهم بها ظاهرا وباطنا، سِرًّا وعلانية. ولا تجعل ذمّيّا خصمَك يوم القيامة.

وإذا رأيت من أحد حالةً سيّئة، يطلب أن تُسْتَرَ عليه؛ فاستره فيها. ولو لم يُرد الستر؛ فاسترها أنت عليه، على كلّ حال.

---

(١) ص ١١١ب
(٢) ص ١١٢

وإذا أكلت طعاما؛ فلا تأكل أكل الجبّارين متّكئا، وكُلْ كما يأكل العبد؛ فإنّك عبدٌ على مائدة سيّدك؛ فتأدّب.

وإذا رأيت من يطلب ولاية عمل؛ فلا تَسْعَ له في ذلك؛ فإنّ الولاية مندمة وحسرة في الآخرة، وقد أمرك الله بالنصيحة. وإذا رأيت قوما ولّوا أمرهم امرأة؛ فلا تدخل معهم في ذلك.

* * *

وصيّة: (لا تُسْبَقْ إلى فضيلة)

لا تُسْبَقْ إلى فضيلة إذا وجدتَ السبيل إليها، وانظر في الدنيا نظرَ الراحل عنها، والمطالَب بما نال منها.

وإذا نكحتَ فأَوْلِمْ بما قدرتَ عليه. وإذا نمت، أو دخلت بيتك، أو أكلت، أو شربت، أو فعلت فعلا؛ فَسَمِّ الله عليه، واذكره. وتناول بيمينك أمورَك كلّها إلّا[1] ما ورد فيه النهي من الشارع، أو ما يجري مجرى النهي؛ مثل الاستنجاء، ومَسك الذَّكَر باليمين أيضا عند البول، والامتخاط؛ فاجعل ذلك كلّه بيسارك.

وإذا أكلت مع جماعة طعاما واحدا؛ فكُلْ مما يليك، وإذا اختلف الطعام؛ فكُلْ من حيث شئت، وقلِّل النظر إلى من يأكل معك، وصغِّر اللقمة، وشدِّد المضغ، وسَمِّ الله في أوّل كلّ لقمة[2]، واحمد الله في آخرها إذا ابتلعتها، واشكر الله حيث سوَّغَكَها، ولا تكثر الشره في الأكل.

وتعاهد المشي إلى المساجد؛ مساجد الجماعات في أوقات الصلوات، ولا سيما العتمة والصبح من غير سراج؛ تُبَشّر بالنور التامّ يوم القيامة.

وإذا سمعت من يعطس وحَمِد الله؛ فشمِّتْه، وإن لم يحمد الله فذكِّره بحمد الله؛ فإذا حمد

(١) ص ١١٢ب
(٢) رسمها في ق: اللقمة

الله فشمِّته. فإذا زاد في العطاس على ثلاث[١] فهو مزكوم؛ فادع الله له في الشفاء.

وإيّاك أن تخون مَن خانك، ولا تعتدِ على مَن اعتدى عليك؛ فإنّ ذلك أفضل لك عند الله. واعذُر ولا تعتذر؛ فإنّ اعتذارك يتضمّن سوء ظنّك بمن اعتذرت له. وابدأ في المعاملة مع الخلق بالأَوْلَى فالأَوْلَى، وإذا تساوت الأمور، وبدأ الله بذِكْر شيء منها؛ فابدأ بما بدأ الله به، كما فعل[٢] رسول الله ﷺ في حجّته لمّا أراد أن يسعى بين الصفا والمروة، «وقف على الصفا وقرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[٣] أبدأُ بما بدأ الله به».

وإذا قمت في عبادة الله؛ فاعمل نشاطك، فإذا كسلتَ؛ فاترك، ولا تكن من الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى. وإذا صلّيت، وأحَدٌ ينظر إليك؛ فانْوِ في تحسين صلاتك تعليمَه، وأَخلص لله عبادتك؛ فإنّه ما أمرك أن تعبده إلّا مخلِصا، وافعل ما أوجب الله عليك فِعله ولا بدّ، سواء كسلت أو كنت نشيطا، وإنما أمرتك بالترك في النوافل. ولا تعبد الله بكسل، وانتقل إلى نافلة غيرها، ولا تحسّن صلاتك في الملأ دون الخلا؛ فإن فعل ذلك مَن فعله؛ فإنّ ذلك الفعل استهانةٌ استهان بها ربَّه، كذا ثبت. وإن كنت ممن يصلح للإمامة؛ فصلِّ خلف الإمام؛ فإنّه إن أحدث الإمام في الصلاة استخلفك، وإن لم تكن من أهلها؛ فصلّ في يمين الصف أو يساره. وحافظ على الصفّ الأوّل، وإذا رأيت فُرجة في الصفّ؛ فَسُدَّها بنفسك -فلا حرمة لمن رآها وتركها- وتَخَطّ رقاب الناس إليها، وسارِع إلى الخيرات وكن لها سابقا، ونافس فيها قبل أن يحالَ بينك[٤] وبينها.

وإيّاك أن تتخلّى[٥] في طريق الناس، أو في ظلّهم، ولا تحت شجرة مثمرة، ولا في مجالس الناس. ولا تَبُلْ في هَوِي، ولا في جُحْرٍ، ولا في ماء دائم ثمّ تتوضّأ منه، أو تغتسل فيه.

واتّق الله في زوجتك، وولدك، وخادمك، وفي جميع مَن أمرك الله بمعاملته. واحذر فتنة

---

(١) ق، هـ: ثلاثة
(٢) ص ١١٣
(٣) [البقرة: ١٥٨]
(٤) ص ١١٣ب
(٥) تتخلّى: تتبرز

الدنيا، والنساء، والولد، والمال، وصحبة السلطان. واتّق الله في البهائم.

واجعل من صلاتك في بيتك، وعيِّن في بيتك مسجدا لك تتنفّل فيه، وتصلّي فيه فريضتك إن اضطررت إلى ذلك.

وأَكثِر من قراءة القرآن بتدبُّر إن كنت عالما؛ فإنّه أرفعُ الأذكار الإلهيّة. وإن كنت في جماعة يقرءون القرآن؛ فاقرأ معهم ما اجتمعتم عليه؛ فإن اختلفتم فقُم عنهم. وحافظ على قراءة الزهراوين: البقرة وآل عمران. وإذا شرعت في قراءة سورة من القرآن؛ فلا تتكلّم حتى تختمها؛ فإنّ ذلك دأب العلماء الصالحين. ولقد حدّثني غير واحد بقرطبة، عن الفقيه ابن زرب، صاحب "الخصال" أنّه كان يقرأ في المصحف سورة من القرآن، فمرّ عليه أمير المؤمنين من بني أميّة، فقيل للخليفة عنه؛ فمسك فرسه، وسلَّم عليه، وسأله. فلم يكلّمه الشيخ[١] حتى فرغ من السورة، ثمّ كلّمه. فقال له الخليفة في ذلك؛ فقال: ما كنت لأترك الكلام مع سيّدك، وأكلّمك وأنت عبده، هذا ليس من الأدب. ثمّ ضرب له مثلا به وبعبيده، فقال: أرأيتَ لو كنتُ في حديثٍ معك، وكلّمني بعض عبيدك؛ أيحسن منّي أن أترك الكلام معك وأقطعه، وأكلّم عبدك؟ قال: لا. قال: فإنّك عبد الله. فبكى الخليفة. ولقيت جماعة على ذلك من شيوخنا، منهم أبو الحجاج الشبربلي، بأشبيلية، وكان كثيرا ما يقرأ القرآن في المصحف إذا خلى بنفسه.

وإذا دخلتَ على مريض أو ميّت؛ فاقرأ عنده سورة "يس"؛ فإنّه اتّفق لي فيها صورة عجيبة.

وعليك بالصلاة في النِّعال إذا لم يكن بها قذَر، والمشي فيها. واستوصِ بطالب العلم خيرا وبالنساء. واعتدل في السجود إذا سجدتَ في الصلاة، أو في القراءة، ولا تبسط ذراعيك في سجودك كما يفعل الكلب. ولا تكلِّف نفسك من العمل؛ إلّا ما تطيقه وتعلم أنّك تدوم عليه. وإذا حضرتَ عند ميّت؛ فلقّنه "لا إله إلّا الله" ولا تسيء الظنّ به إذا لم يقل ذلك، أو يقول: "لا" فإنّي أعلم أنّ شخصا بالمغرب جرى له مثل هذا، وكان مشهورا بالصلاح، فلمّا أفاق قيل له في

(١) ص ١١٤

ذلك، فقال: ما كنت معكم[1]، وإنما جاءني الشياطين في صورةِ مَن سَلَفَ ودَرَجَ من آبائي وإخواني، فكانوا يقولون لي: إيّاك والإسلام؛ مت يهوديّا أو نصرانيّا. فكنت أقول لهم: "لا" حين سمعتموني أقول: "لا" إلى أن عصمني الله منهم.

وإذا كان لك صاحبٌ فَعُدْهُ إن مرض، وصلِّ عليه إن مات، وشيِّع جنازتَه. وإذا شيّعتَ جنازة: إن كنت راكبا فامش، وإن كنت ماشيا فامش بين يدها. وإذا حضرت دفن ميّت من المسلمين؛ فلا تنصرف عن قبره، وقِف ساعة قدر ما يُسأل؛ فإنّه يجد لوقوفك أُنْسًا. وإن حملتَ جنازة؛ فأسرع بها؛ فإن كان خيرا سارعتَ بها إليه، وإن كان شرّا حططتَه عن رقبتك. ولا تذكر مساوئ الموتى.

وغطِّ الإناءَ الذي تشرب منه، وأطفِ السراج عند نومك، وأغلق بابك إذا أردت النوم؛ فإنّ الشياطين لا تفتح بابا مغلقا، واقرأ آية الكرسي عند نومك.

وسدِّد في الأمور وقارب ما استطعت، فاعمل الخير ولا تقل: إن كان الله كتبني شقيّا فأنا شقيّ، وإن كان كتبني سعيدا فأنا سعيد؛ فلا أعمل. فاعلم أنّك إذا وُفّقت لعمل الخير فهو بشرى من الله أنّك من السعداء؛ فإنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وأنّ الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ. وَصَدَّقَ[2] بِٱلْحُسْنَىٰ. فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ. وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ. وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ. فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[3] وقال ﷺ: «اعملوا واتّكلوا وكلٌّ ميسَّر لما يُسِّر» فمن خُلق للنعيم فسييسَّر لليسرى، ومن خُلق للجحيم فسييسَّر للعسرى.

وأنزِل كلّ أحد منزلته؛ تكن عادلا، واترك حقّك لأخيك ما استطعت، وأَقِلْ عثرات أهل المروءات والهيئات[4]؛ إلّا في إقامة الحدود المشروعة إن كنت حاكما ذا سلطان. وإن كنت ذا ثروة وحظّ من الدنيا؛ فارتبط فرسا، أو خيلا في سبيل الله، وامسح بنواصيها وأعجازها،

(١) ص ١١٤ب
(٢) ص ١١٥
(٣) [الليل: ٥ - ١٠]
(٤) رسمها في ق: "والهيات" مع إهمال حروفها المعجمة

وقلِّدها، ولا تقلِّدها وَتَرا ولا جَرَسا، وجاهد بمالك ونفسك مَن أشرك بالله. واشفع إلّا في حدٍّ إذا بلغ إلى الحاكم.

والبس البياض من الثياب؛ فإنّه خير لباس المؤمن وأطهَرُه وأطيَبُه، وكفِّن الميّتَ فيه.

وإذا جاءك سائل في العلم أو غيره؛ فلا تنهره، ولا تخيِّب من جاء يسترفدك مما فضّلك الله عليه من الرزق.

وأكثِر من زيارة القبور، ولا تكثِر الجلوس عندها، ولا تقل هجرا؛ بل اجلس ما دمتَ تعتبر، وتذكّرك الآخرة، ولا تؤذ أصحاب القبور بالحديث عندها في أمور الدنيا.

وبلِّغ عن رسول الله ﷺ[1] ولو خبرا واحدا، أو آية؛ فإنّك تحشر بذلك في زمرة العلماء المبلِّغين.

ومُر الصبيّ بالصلاة لسبع سنين، واضربه عليها لعشر سنين، وفرِّق بين الصبيان في المضاجع. وإيّاك أن تفضي إلى أخيك في الثوب الواحد.

وتابع بين الحجّ والعمرة، وإن جاورتَ بمكة؛ فأكثِر من الاعتمار والطواف، (ولا سيما في رمضان)[2] فإنّ عمرة في رمضان تعدل حجّة، هذا هو الثابت.

وأكثِر من أكل الزيت والادِّهان به، وإذا اشتريت طعاما فاكتَلْهُ.

واجتنب السبع الموبقات، وهي: الشرك بالله، والسِّحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلّا بالحقّ، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصَنات الغافلات المؤمنات.

---

(١) ص ١١٥ب

(٢) ما بين القوسين لم ترد في ق ووردت في هـ، س

وصيّة: (تتضمن وصايا)

عليك بكثرة السجود والجماعة.

وإن قدرت أن تسكن الشام؛ فإنّ رسول الله ﷺ ثبت عنه أنّه قال: «عليكم بالشام؛ فإنّها خيرة الله من أرضه، وإليها يجتبي خيرتَه من عباده».

وإيّاك والحديث بالظنّ؛ فإنّ «الظنَّ أكذبُ الحديث». وإيّاك والحسد، ولا تجلس على الطرقات، ولا تدخل على النساء المغِيبات. وإذا بِعْتَ فلا تُكْثِر من[1] اليمين على سلعتك.

وإيّاك أن تتقلّد أمرا من أمور المسلمين؛ فإن أُلجئت إلى ذلك ولا بدّ؛ فلا تحكم بين اثنين وأنت غضبان، ولا وأنت حاقن، ولا جائع، ولا أنت مستوفز لأمر لا بدّ لك منه.

واعدل بين رِجليك إذا انتعلتَ، أو وضعت إحدى رجليك على الأخرى. واعلم أنّ جوارحك من رعيّتك فاعدل فيها؛ فإنّ الله أمرك بالعدل فيمن استرعاك. وإن كنت مملوكا فلا تقل لمالِكك: "ربّي" وقل: "سيّدي"، وإن كان لك مملوك أو مملوكة فلا تقل: "عبدي" ولا "أَمَتي" وقل: "غلامي" و"جاريتي". ولا تقل لأحد: "مولاي" فإنّ المولى هو الله. وقد نهيت أن تقول: "خُبثت نفسي" وقل: «لَقِست نفسي».

وإذا طلب منك جارُك أن يغرز خشبةً في جدارك؛ فلا تمنعه. ولا تنظر في عورة أحد ولا في بيته إلّا بإذنه. ولا تصحب إلّا مَن تجد في صحبته الزيادة في دينك وإيمانك، وقدّم في معروفك كلَّ تقي، ولا تعط الفاجر ما يستعين به على فجوره. وإن كانت لك زوجةٌ وضربتَها لأمر طرأ منها؛ فلا تجامعها مِن يومها. وإيّاك أن تسأل شيئا سِوَى الله إلّا الله في جنّته ورؤيته، وأمّا في شيء من عرَض الدنيا؛ فلا.

وإن ركبت البحر فلا تركبه إلّا حاجّا أو معتمرا، ولا تخطب امرأة على خطبة أخيك، ولا

---

(١) ص ١١٦

تَسُمْ[1] على سَوْمِه حتى[2] يَذَر.

وإن كنت ضيفا عند قوم فلا تصم إلّا بإذنهم، وإذا كنت في خدمة شيخ فلا تَصُم ولا تتحرّك في شيء إلّا بإذنه، والمرأة لا تصوم إلّا بإذن زوجها صوم النافلة أو قضاء شهر رمضان، ولا تأذن في بيت زوجها إلّا بإذنه إذا كان حاضرا. ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتنكح بعلها، ولا تسافر امرأةٌ فوق ثلاث إلّا مع ذي محرَم.

وإذا دعوت في المغفرة فاعزم المسألة، ولا تقل: "اغفر لي إن شئت" واطلب رحمة الله وغفرانه، ولا تستكثر شيئا تسأله من الله؛ فإنّ الله كبيرٌ، عنده فوق ما تأمل.

وإيّاك أن تتصرّف في مال أخيك إلّا بإذنه، وإذا أصبحتَ في كلّ يوم، فقل: "اللهم إنّي تصدّقتُ بعِرضي على عبادك، اللهمّ مَن آذاني، أو شتمني، أو غصبني، أو فعل معي أمرا لي الحكم فيه؛ أُشهدك يا ربّ؛ أنّي قد أسقطت طلبي عنه في ذلك، دنيا وآخرة".

وإذا شربتَ ماء فاشرب قاعدا. ولا تقل: "يا خيبة الدهر" فـ«إنّ الله هو الدهر» هذا ثابت عن رسول الله ﷺ. وإيّاك أن تبرِز فخذك حتى يُرى منك، ولا تنظر إلى فخذ حيّ ولا ميّت.

وإيّاك أن تقعد على قبر، ولا تصلِّ وأنت تستقبله، أو تستقبل إنسانا في صلاتك ووجهه إليك. ولا تتّخذ القبر مسجدا، ولا تمنّ الموت لِضُرٍّ نزل بك، بل قل: اللهمّ أَحيني[3] ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيرا لي، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون.

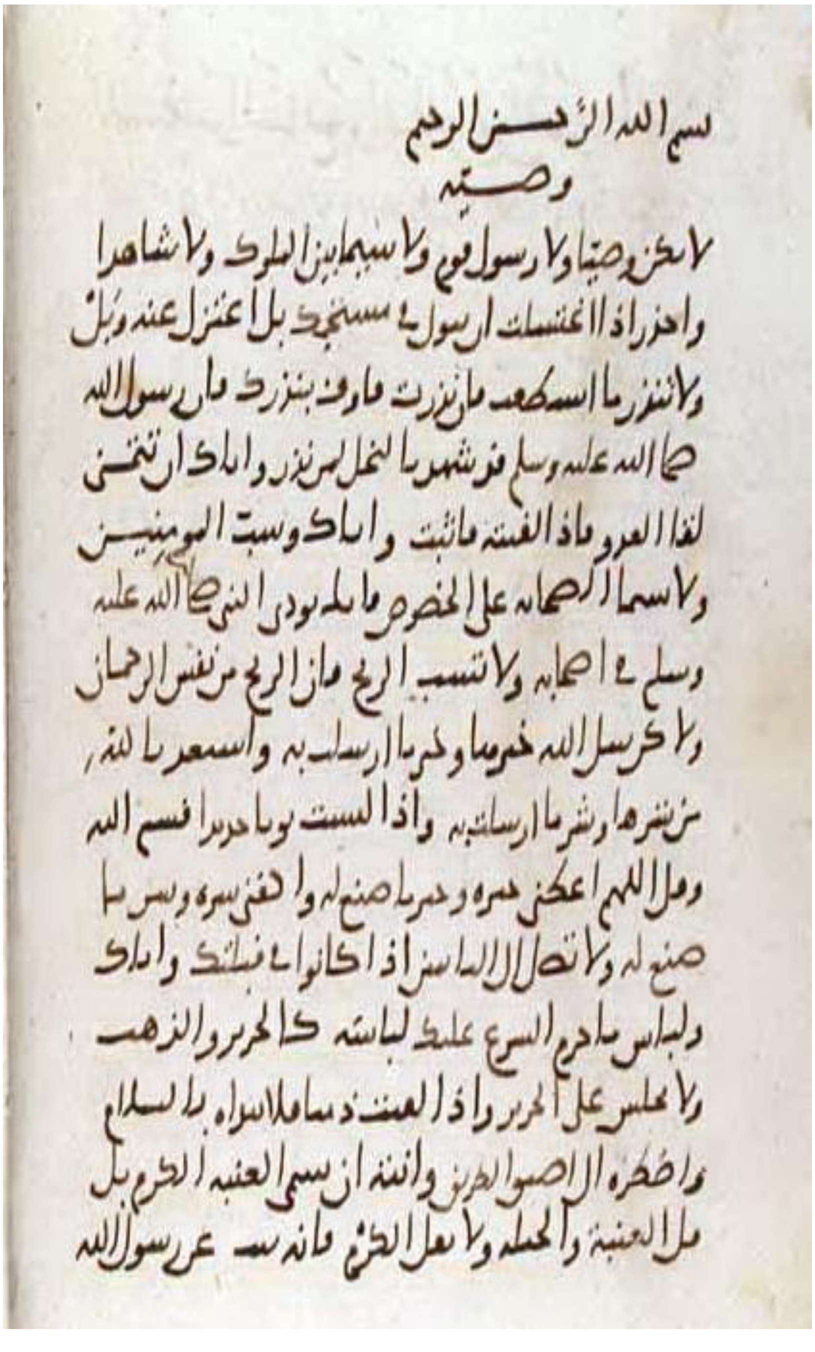
انتهى السفر السادس والثلاثون من الفتوح المكي، يتلوه السفر السابع والثلاثون منه؛ وصيّة: لا تكن وصيّا ولا رسول قوم، ولا سيما بين الملوك. والحمد لله.[4]

(١) السوم من المساومة وهو المبالغة في السعر
(٢) ص ١١٦ب
(٣) ص ١١٧
(٤) أسفل المتن هناك ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٦٣

المحتويات

السفر السابع والثلاثون من الفتوح المكّيّ[1]

(١) العنوان ص ١ب، وكتب فوق العنوان: "وقف" وبعد العنوان مباشرة بقلم الشيخ محمد بن إسحق القونوي: "إنشاء مولانا وشيخنا الإمام العالم العارف الكامل الفرد محيي الملة والدين أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي رضي الله عنه وأرضاه به منه، آمين". يليه في الجزء الأيسر بنفس القلم: "انتقل هذا السفر وما تقدمه من الأسفار، أعني جميع الكتاب، من منشيه وكاتبه الإمام المعظم شيخ الإسلام رضي الله عنه بحكم الإنعام إلى خادمه وربيب لطفه محمد بن إسحق بن محمد غفر الله له ولوالديه، ونفعه بكل علم مقرّب إليه نافع لديه، في شهور سنة سبع وثلاثين وستمائة، والحمد لله حقّ حمده، وصلواته على محمد وآله وصحبه أجمعين". وفي الجزء الأيمن: "وقف الشيخ رضي الله عنه على زاويته وشرط أن لا يخرج منها لا برهن ولا بغيره، جميع الفتوحات سبعة وثلاثون سفرا كلّها بخط الشيخ الأكبر رضي الله عنه وعن المشائخ كلهم أجمعين". يلي ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٣٩. وفي الصفحة السابقة يوجد طابع دمغة برقم ١٧٣٩، وإشارة إلى عدد صفحات السفر: ٢٢٢ صحيفة. وفي الصفحة الداخلية للغلاف يوجد طابع دمغة برقم: ١٨٨١



بسم الله الرحمن الرحيم
وصيته
لا تخن وصيا ولا رسولا ولا سيما بين الملوك ولا شاهدا
واحذر اذا اغتسلت ان تبول في مستحمك بل اعتزل عنه وبل
ولا تنتزر ما استطعت فان نزرت فارفق بنتزرك فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد نهى ان تحمل لمن نزر وإياك ان تتمنى
لقاء العدو فاذا لقيته فاثبت وإياك وسب المؤمنين
ولا سيما الصحابة على الخصوص فانه يؤذي النبي صلى الله عليه
وسلم في اصحابه ولا تسب الريح فان الريح من نفس الرحمان
ولا خبر سل الله خيرها وخير ما ارسلت به واستعذ بالله
من شرها وشر ما ارسلت به واذا لبست ثوبا جديدا فسم الله
وقل اللهم اعطني خيره وخير ما صنع له واكفني شره وشر ما
صنع له ولا تصل الى الناس اذا كانوا في شغلك وإياك
ولباس ما حرم الشرع عليك لباسه كالحرير والذهب
ولا تجلس على الحرير واذا العنت د سا ملا سواه بالسلام
واحذر ان الاصوات الغريبة وانته ان تسمي العتمة العشاء بل
قل العتمة والعشاء ولا تقل الكرم فانه نهى عن رسول الله

الصفحة الثانية من مخطوط قونية



الصفحة الأخيرة من مخطوط قونية

بسم الله الرحمن الرحيم[(١)]

وصيّة: (لا تكن وصيّا، ولا رسول قوم..)

لا تكن وصيّا، ولا رسول قوم، ولا سيما بين الملوك، ولا شاهدا.

واحذر إذا اغتسلت أن تبول في مستحمِّك، بل اعتزل عنه، وبُلْ.

ولا تُنذر ما استطعت؛ فإن نذرتَ فأوفِ بنذرك، فإنّ رسول الله ﷺ قد شهد بالبخل لمن نذر.

وإيّاك أن تمنّى لقاء العدوّ؛ فإذا لقيته فاثبت ولا تَفِرّ [(٢)].

وإيّاك وسَبَّ المؤمنين ولا سيما الصحابة على الخصوص؛ فإنّك تؤذي النبيّ ﷺ في أصحابه.

ولا تسبّ الريح؛ فإنّ الريح من نفَس الرحمن، ولكن سل الله خيرَها وخيرَ ما أُرسلتْ به، واستعذ بالله من شرّها وشرّ ما أُرسلت به.

وإذا لبست ثوبا جديدا فسَمِّ الله، وقل: اللهم أعطني خيره وخير ما صنع له، واكفني شرَّه وشرّ ما صنع له.

ولا تصلِّ إلى النائمين إذا كانوا في قِبلتِك.

وإيّاك ولباس ما حرّم الشرع عليك لباسَه؛ كالحرير والذهب، ولا تجلس على الحرير.

وإذا لقيت ذِمّيًّا فلا تبدأه بالسلام، واضطرّه إلى أضيق الطريق.

وانْتَهِ أن تسمّي العنبةَ الكَرْم، بل قل: العنبة والحَبَلة، ولا تقل: الكَرْم، فإنّه ثبت عن رسول الله ﷺ[(٣)] في ذلك: «لا تسمّو العنبَ الكَرْم، فإنّ الكَرْمَ الرجلُ المسلم، فلا تقولوا: الكَرْم،

---

(١) البسملة ص ٢
(٢) "ولا تفر" من هـ، س فقط
(٣) ص ٢ب

وقولوا: العِنَب والحبَلة».

وإيّاك أن تَصُرَّ[1] الإبل والغنم إذا أردتَ بيعها؛ إلّا أن تُعلِم المشتري بأنّها مُصْراة.

وإيّاك أن تحلف بغير الله جملة واحدة.

ولا تكفِّر أحدا من أهل القبلة بذنب إلّا مَن كفَّره رسول الله ﷺ.

وإن كانت لك زوجة تريد الصلاة في مسجد الجماعة؛ فلا تمنعها من ذلك، ولكن عرّفها أنّ بيتها خيرٌ لها وأفضل.

واحذر أن تدعو على نفسك في غيظ، ولا غير غيظ، ولا على ولدك، ولا على خادمك، ولا على مالك.

ولا تُكْرِه المريض على الطعام.

وإيّاك أن تعذِّب بالنار أحدا، وإذا أكلت لحما فانهشه ولا تقطعْه بسكّين.

* * *

وصيّة: (إذا حضر الطعام والصلاة..)

إذا حضر الطعام والصلاة؛ فابدأ بالطعام.

وإيّاك والصلاة وأنت حاقنٌ تدافع الأخبثين.

وإذا أمرك مَن فرض الله عليك طاعته بمعصية؛ فلا تطعْه.

وإيّاك وما يُعتذر منه فما كلُّ من أورثتَه نكرا[2] أوسعتَه عذرا.

واصغ إلى مَن يحدّثك، وإن كان نزرا؛ فإنّ لكلّ أحدٍ عند نفسه قدْرا؛ فإنّك تأخذ بقلبه

(١) صررت الناقة: شددت عليها الصِّرار، وهو خيط يُشدّ فوق الخِلف لئلّا يرضعها ولدها
(٢) رسمها غير واضح وهو بين نكرا، تكريها، تكريما

بذلك، ويكون لك لا عليك، وإنّ الله قد أمرَك بالتحبّب، وهذا من التحبّب إلى الناس. وإذا كانت لأحدٍ[1] عندك شهادة لا يعرفها، وقد اضطرّ إليها فعرِّفه بها. وامنح أخاك الفقير منحة ما قدرتَ عليها؛ فإنّ أجرها عظيم.

وليكن خوفك من الله، ورجاؤك فيه؛ بالإيمان على السَّواء وطلب الرجاء، وحسن الظنّ بالله، واطمع في رحمته؛ فإنّه ثبت عن رسول الله ﷺ: «لو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنّة أحدٌ».

وإيّاك أن تردّ الهديّة، ولا تحقِّرها، ولو كانت ما كانت.

وعليك بالتوبة إلى الله مع الأنفاس. وإذا شاركتَ أحدا في شيء فلا تَخُنْهُ، وإذا فعلتَ فِعلا فحسِّنْه؛ فإنّ الله كتب الإحسان على كلّ شيء.

وعليك بالتواضع وعدم الفخر على أحد، قال عليّ بن أبي طالب القيرواني في ذلك:

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمْثِيْلِ أَكْفَاءُ   أَبُوهُمُ آدَمٌ والأُمُّ حَوَّاءُ
فإنْ يَكُنْ لَهُمُ مِنْ أَصْلِهِمْ نَسَبٌ   يُفاخِرُونَ بِهِ فالطِّيْنُ والماءُ
ما الفَضْلُ إلّا لأَهْلِ الفَضْلِ إنَّهُمُ   عَلَى الهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ
وقَدْرُ[2] كُلِّ امْرِئٍ ما كانَ يُحْسِنُهُ   والجاهِلُونَ لأَهْلِ العِلْمِ أَعْداءُ

لا فخر إلّا بتقوى الله؛ فإنّه نَسبُ الله الذي بينه وبينَ عِباده.

وإيّاك والقيلَ والقالَ فيما لا ينبغي ولا يُغني، لكن في إيصال الخير خاصّة.

وإيّاك وكثرة السؤال إلّا في البحث عن دِينك الذي في عِلْمِك به سعادتُك ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[3] وقد علمتَ أنّه ما لأحدٍ حركةٌ ولا سكونٌ، ولا دخول ولا

(١) ص ٣
(٢) ص ٣ب
(٣) [النحل: ٤٣]

خروج؛ إلّا وللشرع فيها حكم من أحد الأحكام الخمسة. فإذا لم تعلم؛ فاسأل عن كلّ شيء تكون فيه: ما حُكْم الشرع فيه؟ واطلب على رفع الحرج ما استطعتَ، وغلِّب الحرمة، وخذ بالعزائم في حقّ نفسك.

وإيّاك وإضاعة المال؛ وهو إنفاقه في معصية الله. ومِن إنفاقه في معصية الله؛ إعطاؤه لمن تعلم منه أنّه يخرجه فيما لا يرضي الله، فإن لم تعلم ذلك فلا بأس. ولا تفارق أحدا وهو على ما لا يرضي الله، وتعتقد فيه أنّه باق على ما فارقته عليه، لا سبيل إلى ذلك، وإنما ذلك في الأحكام المشروعة؛ فإنّهم يرون استصحابَ الحال[1] المعلومة من الشخص، حتى يقوم لهم دليل على زوالها؛ فيستصحبون أيضا ما رجع إليه، حتى يدلّ دليل على ذهابه.

وإيّاك أن تكون معنِّتا، ولا متعنّتا، ولا منفِّرا، ولا معسِّرا؛ وكن ميسِّرا، ومعلِّما، ومبشِّرا.

وإيّاك أن تأتي الفواحش الظاهرة والباطنة[2]؛ فإنّ «الله أحقّ من يُستحيا منه». ولا تغترّ إذا كنت على طريقة غير مرضيّة بما يملي الله لك؛ فإنّ الله يقول: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3] فاحذر مكر الله بك في ذلك، ولا تيأس من رَوْح الله ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[4].

وإيّاك وكلّ مُزيل للعقل؛ مثل شرب الخمر وغيره.

وإيّاك والتصنّع في الكلام.

ولا تقرأ القرآن في صلاتك؛ راكعا، ولا في حال سجودك؛ بل قل في ركوعك: «سبحان ربّي العظيم وبحمده» وعظّم ربّك فيه. و(قل) في سجودك: «سبحان ربّي الأعلى وبحمده» وأدنى القول من ذلك ثلاث مرّات إلى ما فوقها.

---

(١) ص ٤
(٢) ق: والباطن
(٣) [آل عمران: ١٧٨]
(٤) [يوسف: ٨٧]

وصيّة: (عليك بكثرة الاستغفار)

عليك بكثرة الاستغفار ولا سيما بالأسحار، في حقّك وفي حقّ غيرك؛ فللّه ملائكة يستغفرون لمن في الأرض عموما، ولله ملائكة يستغفرون للذين آمنوا خصوصا في[1] كلّ حال، وعند القيام من مجالس تَحَدُّثِكَ.

وعليك بالصدق في الموضوع المشروع لك الصدق فيه، ولا تجبُن، ولا تَخَفْ. واجتنب الكذب في الموضوع المشروع لك اجتنابه، وخَفْ ثلاثة: خَفِ اللّهَ، وخف نفسك، وخف من لا يخاف الله.

وإن كنت خطيبا إماما فقصِّر الخطبة، وأطِل صلاة الجمعة؛ فإنّ ذلك من فقه الرجل.

وعليك بالحضور مع الله، والنيّة الصالحة في كلّ ما تعمله من عمل.

وعليك بإكرام ذي الشيبة فـ«إنّ الله يستحي من ذي الشيبة». وعليك بإكرام حمَلة القرآن، وبإكرام الحاكم العادل.

وإيّاك والدَّيْن؛ فإنّه فكرة بالليل، وذلّة بالنهار.

واحذر أن يقيمك لعبادة ربّك شيءٌ من زينة الحياة الدنيا؛ فإنّك لِمَنْ أقامك، ولا لأغراض النفوس؛ فإنّ الأغراض أمراض حاضرة. فإنّه مما رويناه في مثل ذلك أنّ رجلا من الأبدال كان يمشي في الهواء مع أصحابه، فمرّوا على روضة خضراء فيها عينٌ خرّارة. فاشتهى أن يتوضّأ من ذلك الماء، ويصلّي في تلك الروضة؛ فسقط من بين الجماعة، وتركوه، وانصرفوا، وانحطَّ عن رتبتهم بهذا القدر. فانظر في هذا السِّرِّ ما[2] أعجبه! فإنّ فيه معنى دقيقا، وقد وعظك الله به إن كنت اتّعظتَ.

وإن استطعت أن لا تمرّ عليك ساعة من ليل أو نهار، إلّا وأنت داع فيها ربَّك، فافعل.

---

(١) ص ٤ب
(٢) ص ٥

وإذا أدّيت زكاة فانْوِ في أدائها أداءَ حقٍّ تدفعه لوكيل صاحب الحقّ، وهو العامل عليها الذي نصبه الحقُّ. ولا تدفع زكاتك لغير عامل السلطان إلّا بأمر السلطان؛ فتكون أنت عينَ العامل عليها؛ فلا تبرأ ذِمَّتُك إلّا إن فعلت ما ذكرتُه لك. وإن ظَلَمَ العاملُ أربابَها فهو المسئول عن ذلك، لا أنت، وقد دخل على الناس في هذا شبهة لا يعرفونها إلّا في الدار الآخرة.

واحذر أن تتصدّق على شريف من أهل البيت، وانْوِ فيما توصله إليهم الهديّة، لا الصدقة. فإنّك إن نويتَ الصدقة عليهم أَثِمْتَ، إلّا أن تعرّفهم بذلك. فإن أكلوا صدقتك؛ فقد أثموا بأكلها، وأثمتَ أنت حيث أعطيتَهم ما لا يجوز لك أن تعطيه إيّاهم، وتخيّلتَ القرب في عين البُعد. وإيّاك أن تخوض في مال الله بغير حقّ.

وإيّاك أن تنتفي عن أبيك، كان من كان. ولا تتبّع عوراتِ الناس، ولا مثالِبَهم، واشتغل بنفسك. وحسِّن أدب ابنك واسمَه. وإن ابتلِيت بصحبة الزوجة فدَارِها، وتَنَزَّل من عقلك إلى عقلها؛ فإنّ[1] ذلك من كمال عقلك؛ فعامِل كلّ شخص من حيث هو، لا من حيث ما أنت عليه؛ فإنّ الغالب على النساء أَنّهنّ لا يستطعن أن يبلغن مبلغ الرجال الكمّل، إلّا من جاء النصُّ بكمالهما؛ وهما مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون؛ فإنّ النصّ ورد فيهما بالكمال من النبيّ ﷺ.

وعليك بالعدل في الحكم، وأطفِئ النارَ إذا فرغتَ من حاجتك إليها.

وعليك باستعمال الحبّة السوداء، وهو الشونيز، فإنّها شفاء من كلّ داء إلّا السامّ، والسامُّ الموتُ. ولقد ابتلي عندنا رجل من أعيان الناس بالجذام، وقال الأطبّاء بأجمعهم لمّا أبصروه، وقد تمكنت العلّة منه: ما لهذا المرض دواء! فرآه رجل من أهل الحديث، من بني عفير من أهل لَبْلَةَ، يقال له: سعد السعود، وكان عنده إيمان بالحديث عظيم يقطع به، فقال له: "يا هذا؛ لم لا تُطِبَّ نفسك؟" فقال له الرجل: إنّ الأطبّاء قالوا: ليس لهذه العلّة دواء. فقال: كذبت الأطبّاء؛

(١) ص ٥ب

النبيّ ﷺ أصدقُ منهم، وقد قال في الحبّة السوداء: «إنّها شفاء من كلّ داء» وهذا الداء الذي نزل بك من جملة ذلك. ثمّ قال: عليَّ بالحبّة السوداء والعسل؛ فخلط هذا بهذا، وطلى بهما بدنَه كلّه، ورأسه، ووجهَه إلى[1] رجليه، وألْعَقَه من ذلك، وتركه ساعة. ثمّ إنّه غسل ذلك عنه؛ فانسلخ من جلده، ونبت له جلد آخر، ونبت ما كان قد سقط من شعره، وبرئ، وعاد إلى ما كان عليه في حال عافيته. فتعجّب الأطبّاء والناس من قوّة إيمانه بحديث رسول الله ﷺ، وكان -رحمه الله- يستعمل الحبّة السوداء في كلّ داء يصيبه، حتى في الرمد إذا رمد عينُه؛ اكتحل بها؛ فيبرأ من ساعته.

* * *

وصيّة: (ادفع عن عِرض أخيك المسلم ما استطعتَ)

ادفع عن عِرض أخيك المسلم ما استطعتَ، ولا تخذله إذا انتُهِكَتْ حرمتُه؛ فإنّه ثبت عن رسول الله ﷺ: «ما من امرئٍ مسلمٍ يخذل امْرَأً مُسلمًا في موضعٍ تُنتهك فيه حُرمتُه ويُنتقص به مِن عِرضه؛ إلّا خذله الله في موضعٍ تجب نصرته» وما رأيتُ أحدا تحقّق بمثل هذا في نفسه مثل الشيخ أبي عبد الله الدقّاق، بمدينة فاس من بلاد المغرب؛ ما اغتاب أحدا قطّ، ولا اغتيب بحضرته أحدٌ قطّ، وكان يقول هذا عن نفسه، وربما كان يقول: لم يكن بعد أبي بكر الصدّيق صِدّيقٌ مثلي، ويذكر هذا. وكان نِعْمَ السيّد، خرّج ذِكْرَه ومناقبَه شيخُنا أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي، الإمام[2] بالمسجد الأزهر بعين الخيل من مدينة فاس، في[3] كتاب له سمّاه: "المستفاد في ذِكْر العُبّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد" سمعنا هذا الكتاب عليه، وبقراءته، أظنّ سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

إذا لقيتَ أحدا من المسلمين؛ فصافحه إذا سلّمتَ عليه، ولا تَنْحَنِ له كما تفعله الأعاجم؛ فإنّ ذلك عادة سوء. وقد ورد أنّ رسول الله ﷺ «قيل له: إذا لقي الرجل الرجل أينحني له؟ قال:

---

(١) ص ٦
(٢) لم ترد في ق، ووردت في هـ، س
(٣) ص ٦ب

لا. قيل له: أيصافحه؟ قال: نعم» وقد ثبت أنّه: «ما من مسلمين يتصافحان إلّا غُفِر لهما قبل أن يتفرّقا».

وأوصِ أهلَك، وبناتِك، ونساءَ المؤمنين أن لا يخلعنَ ثيابهنّ في غير بيوتهنّ.

وإيّاك أن تبيت ليلةً إلّا ووصيّتك عند رأسك مكتوبة؛ فإنّك لا تدري إذا نمت؛ هل تصبح في الأحياء، أو في الأموات؟ فإنّ الله يمسك نفسَ الذي قضى عليه الموت في النوم، إذا هو نام، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمّى.

والتواضعُ للخلق رفعةٌ عند الله.

ولا تكثِر مجالسةَ النساء ولا الصبيان؛ فإنّه ينقص من عقلك بقدر ما تنزل إلى عقولهم، مع الفتنة التي يُخاف منها في مجالسة النساء.

وأوْصِ نساءك أن لا يخضعن في القول؛ فيطمع الذي في قلبه مرض، وأن يقعدن في بيوتهنّ، ويغضضن من أبصارهنّ، ولا يُبدين زينتهنّ إلّا حيث أَمرهنّ الله.

وإيّاك ودخول الخُدّام على نسائك؛ فإنّهم من[1] أُولِي الإربة، واحجبْ نساءك عنهم كما تحجبهم عن فحول الذُّكران؛ فإنّهم من الرجال.

وكن نِعم الجليس للمَلَك القرين الموكّل بك، واصغ إليه، واحذر من الجليس الثاني الذي هو الشيطان. ولا تنصر الشيطان على المَلَك بقبولك منه ما يأمرك به، واخذله، واستعن بقبولك من المَلَك عليه. وأكرم جلسائك من الملائكة الكرام الكاتبين الحافظين عليك، فلا تُمْلِ عليهم إلّا خيرا؛ فإنّك لا بدّ لك أن تقرأ ما أمليتَه عليهم.

واحذر مِن بسط الدنيا عليك -إذا بسطها الله- أن تتصرَّف فيها، أو تُصرِّفها في غير طاعة الله. ولا تعص الله بنِعَمِه، وإنّ من شكر النعمة أن تطيع اللهَ بها، وتستعين بها على طاعة الله.

---

(١) ص ٧

وإيّاك والتنافس في الدنيا، وأقلل منها ما استطعت، ومِن صحبة أهلها؛ فإنّ قلوبهم غافلة عن الله بحبّها، وإذا غفل القلب عن الله لم ينطق اللسان بذِكْر الله، إلّا إن ذَكَرَه في يمينٍ لا يكون فيها بارًّا، أو يكون بارًّا، أو فيما لا يجوز أن يذكره فيه مما يمقته الله على ذلك الذِّكْر.

* * *

وصيّة: (إيّاك والبطنة..)

إيّاك والبطنة؛ فإنّها تذهب بالفطنة، وكُلْ لتعيش، وعش لتطيع ربّك، ولا تعش لتأكل، ولا تأكل لتسمن؛ فما مُلِئَ وِعاءٌ شَرٌّ[١] من بطنٍ مُلِيء بحلال، وعليك بلقيمات يقمن صلبك.

وإذا صلّيت خلف إمام فاقتدِ به واتّبعه؛ فلا تكبّر حتى يكبّر، ولا تركع حتى يركع[٢]، ولا ترفع حتى يرفع، ولا تسجد حتى يسجد، وإذا أَمَّنَ بعد الفراغ من الفاتحة فأَمِّنْ ولا تختلفْ عليه. وإذا كنتَ إماما فاقتدِ بأضعفِ القوم، ولا تطيل عليه حتى تُكَرِّهِ إليه الصلاة؛ بل خفِّف في تمام ركوع وسجود.

وإذا قرأتَ آية فانظر أين أنت منها، وإذا سمعتَ الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فكن أنت المخاطَب، وافتح له أُذْنَ[٣] فهمِك لما يقول لك في هذا التأيُّه؛ فكن في قبول ذلك بحسب ما يقول: إن نهاك انْتَهِ، وإن أَمرك فافعل منه ما استطعت. فإذا سمعت منه أمرا لا تستطيع فِعلَه؛ فما أنت المأمور به في تلك الحال، فاعلم هذا ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾[٤].

وإذا قال الإمام: "سمع الله لمن حمده" فاعتقد أنّ ذلك القولَ قالَهُ اللهُ على لسان عبده؛ فقل أنت: «ربّنا ولك الحمد، حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه، مباركا عليه، كما تحبُّ ربّنا وترضى؛ ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد. أحقّ ما قال العبدُ،

---

(١) ص ٧ب
(٢) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٣) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٤) [التغابن: ١٦]

وكلُّنا لك عبد: لا مانع لما أعطيت، ولا معطيَ لما[1] منعت، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ»، وقل ثلاث مرّات في ركوعك: «سبحان الله العظيم» أو «سبحان ربّي العظيم وبحمده»، وقل في سجودك ثلاث مرّات: «سبحان ربّي الأعلى وبحمده» وذلك أدناه. وقد ذهب ابن راهويه إلى أنّ المصلّي إذا لم يقُل ذلك ثلاث مرّات في ركوعه، وثلاث مرّات في سجوده؛ لم تُجْزِه صلاتُه، وقد تقدّمتُ إليك بالوصيّة أن تخرج من الخلاف ما استطعتَ.

وإذا أردت الحجّ؛ فأحرم بالحجّ، أو قارن بين الحجّ والعمرة إن كان لك هديٌ، وإن لم يكن لك هديٌ؛ فأحرم بعمرة -ولا بدّ- متمتّعا، واخرج من الخلاف إذا فعلتَ هذا. وإن جَهِلْتَ، وأحرمت بالحجّ، وما معك هديٌ؛ فافسخ، وردّها عمرة. هكذا أمر رسول الله ﷺ أصحابَه في حجّة الوداع؛ أمر بالفسخ لمن لم يكن له هديٌ.

وإذا حضرتَ عند مريض أو ميّت؛ فلا تقل إلّا خيرا.

وإذا رأيتَ إناء قد وَلَغ فيه كلبٌ؛ فبَدِّدْه، ولا تتوضّأ بذلك الماء، واغسل الإناء سبع مرّات، والثامنة بالتراب، أو الأُولَى إن شئت.

ولا تدخِل يدك في إناء وضوئك إذا قمت من النوم، واجتنب النجاسات أن تمسّ ثيابك، وإذا بُلْتَ فاستنثر من بولك.

وإن كنت في سفر، وجئتَ؛ فلا تطرق أهلَك ليلا، وابدأ[2] بالمسجد؛ فصلِّ فيه ركعتين، وحينئذ تنصرف إلى بيتك، ولا تفجأهم[3] بالقدوم عليهم، وقدّم بين يديك مَن يُعَرِّفهم؛ ليلقوك بما يسرّك، ويصلحوا من شأنهم ما تكره أن تراهم فيه.

وإذا كان بين يديك طعامٌ، فوقع فيه ذبابٌ؛ فلا تُزِلِ الذباب عنه حتى تغمسه فيه؛ فإنّ في جناحه الواحد داء، وفي الآخر دواء لذلك الداء، وهو أبدا يرفع الجناح الذي فيه الدواء.

---

(١) ص ٨
(٢) ص ٨ب
(٣) رسمها في ق: تفجؤهم

وإذا ضربتَ أحدا[١] فاجتنب ضرب الوجه أو قاتلته، وإذا أحببت أحدا؛ فأعلمه بمحبّتك إيّاه؛ فإنّك تجلبُ بذلك الإعلام محبّتَه إيّاك؛ فيحبّك بلا شكّ، ويرى لك.

وإن مات لك ميّتٌ تتولّى شأنَه؛ فأحسِن كفنَه وتكفينه، واجعل في غُسله سِدْرا.

وإن قُدِّم إليك طعام في قصعة؛ فَكُلْ من جوانبها، ولا تأكل من أعلاها.

وإذا مشيتَ إلى الصلاة؛ فبوقارٍ وسكينةٍ في غير كِبْر، وامشِ كأنّك تنحطّ في صَبَب؛ فإنّ ذلك أنفى للكبر. وأسرع لقضاء الحاجة.

واحذر أن تصلّي وأنت تدفع النوم؛ بل نَمْ؛ فإذا ذهب النوم فَصَلِّ. ولقد كنت ليلةً أُصلّي وأنا أدفع النوم، فذهبت لأقرأ؛ فسمعتُني أَسُبُّ نفسي بدلا من القراءة؛ فتركتُ الصلاة ونمتُ. ولا تَنَمْ قبل صلاة العتمة، ولا تتحدّث بعدها.

وإذا ركعتَ ركعتي الفجر فاضطجع على شقّك الأيمن، وحينئذ تصلّي الصبح، وإذا قعدتَ للتشهّد؛ فصلّ على محمد، واستعذ بالله من عذاب القبر وعذاب[٢] النار وفتنة المسيح الدجّال وفتنة المحيا والممات، واجهد أن لا تترك هذا حتى تخرج من الخلاف بفعلك ما أمرتك به؛ فإنّي ما أمرتك بأمر تفعله من عباداتك إلّا لما أعرف في تركه من الخلاف بين العلماء، وأريد أن تأتي العبادة على أتمّ وجوهها مما لا اختلاف فيه، هذا غرضي في هذه الوصيّة بمثل هذه الأمور؛ فلا تهمل شيئا مما وصّيتك به.

* * *

وصيّة: (إيّاك أن تقترف ذنبا وأنت صائم..)

إيّاك أن تقترف ذنبا وأنت صائم فإنّه يبطل صومك، فالصوم لله لا لك، فلا يراك في عمل هو له على ما لا يرضاه منك، فلتكن على أحسن الحالات في صومك «وإن شاتمك أحد أو

(١) لم ترد في ق، هـ، وأثبتناها من س
(٢) ص ٩

قاتلك فقل: إنّي صائم» فلا تجازه بفعله.

وإن كان لك مال فاجهد أن تكون لك صدقة جارية توقفها على الناس، لا تخصّ بها طائفة من طائفة، بل على المسلمين الذين تلفّظوا بالشهادة، أو ولدوا في الإسلام؛ فإنّ هذه الأوقاف إن لم تكن على حدِّ ما ذكرتها لك، وإلّا أَكَلَ الناسُ حراما، ويكون الواقف هو الذي أساء في حقّهم حيث اشترط شرطا معيّنا سِوَى الإسلام. فإن اشترط ولا بدّ، فليشترط من يتظاهر بالخير في أغلب أحواله. وكذلك إن كان لك علم نافع في الدين فبُثّه في الناس لينتفع[1] به كلُّ سامع إلى يوم القيامة.

يا أخي؛ إذا كان في يدك سيفٌ مُصْلَتٌ، فأراد أحد أن يتناوله منك، فلا تناوله إيّاه حتى تغمده.

الله الله إذا رأيت أحدا على عمل يكرهه الشرع من المسلمين، فاكره عمله ولا تكره المسلم الذي هو العامل، وإن كنت صادقا في كراهيّتك عَمَلَه فلا تعمل بمثله؛ فإن عملت بمثله وكرهته من غيرك فأنت مُرَاءٍ بما ظهرتَ به من الكراهة لذلك. وهنا سِرٌّ خفيٌّ ومكرٌ دقيق يؤدّي إلى ترك تغيير المنكر.

وإذا كنت في سفر وأردت التعريس بالليل؛ فاجتنب الطريق؛ فإنّ الهوام بالليل تقصد الطريق؛ فربما يؤذيك شيء منها، وقل إذا نزلت منزلا: «أعوذ بكلمات الله التامّات كلّها من شرّ ما خلق» فإنّه لن يضرّك شيء ما دمت في ذلك المنزل.

أخبرني صاحبي عبد الله بدر الحبشي الخادم عن الشيخ ربيع بن محمود الحطّاب المارديني قال: بتنا ليلة برأس العين في مسجد، وبرأس العين عقارب تسمّى الجرّارات، لا ترفع أذنابها إلّا عند الضرب، وهي قتّالة؛ ما ضَرَبَتْ أحدا فعاش. فجاء شخص فبات في المسجد، وذكر هذه الاستعاذة، فضربته العقرب في تلك الليلة، فقال للشيخ ربيع حدِيثَه، فقال له: صحّ الحديث؛

(١) ص ٩ب

فإنّ الله رفع عنك الموت؛ فإنّها ما ضربت أحدا[1] إلّا مات.

وقد رأيت أنا مثل هذا من نفسي؛ لدغتني العقرب مرّة بَعْدَ مرّة في[2] وقت واحد، فما وجدتُ لها ألَمًا، وكنت قد ذكرتُ هذه الاستعاذة، إلّا أنّه كان في حزامي بُندقتان، وكنت قد سمعت أنّ البندق بالخاصيّة يدفع ألم الملسوع، فلا أدري هل كان ذلك للبندق، أو للدعاء، أو لهما معا، إلّا أنّه تورّم رجلي، وحصل فيه خدر، وبقي الورم ثلاثة أيّام، ولا أَجِد ألَمًا أَلْبَتَّة.

وعليك بالتسمية في كلّ حال تشرع فيه؛ من أكل وشرب، ودخول وخروج، وحِلّ وترحال، وحركة وسكون.

وإذا دخلتَ بيت الله فابدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجتَ فأخِّر رجلك اليمنى، وإذا انتعلتَ فابدأ باليمنى، وإذا خلعتَ فابدأ باليسار.

* * *

وصيّة: (لا تسارِر صاحبك بشيء ومعكما ثالث دونه..)

لا تسارِر صاحبك بشيء ومعكما ثالث دونه؛ فإنّ ذلك يوحشه بلا شكّ، ومقصود الحقّ من عباده تألُّف القلوب والمحبّة والتودّد، وأنّ الله قد جعل الأُلفة مِن مِنّة الله على نبيّه ﷺ فقال: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[3] وكذلك لا تتكلّم معه بلسان لا يعرفه الثالث؛ فإنّه لا فرق بينه وبين المساررة.

والتزِم الصدق في حديثك أبدا، وفي أفعالك؛ تكن أصدق الناس رؤيا.

وإذا سمعتَ صياح الدِيَكة؛ فاسألِ الله من فضله؛ فإنّها رأتْ مَلَكا. وإذا سمعتَ نهيق الحمار؛ فتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم[4]؛ فإنّ الحمار لا ينهق إلّا إذا رأى شيطانا، والديك لا يصيح

---

(١) ق: أحد
(٢) ص ١٠
(٣) [الأنفال: ٦٣]
(٤) ص ١٠ب

إلّا إذا رأى مَلَكا. وقد روينا «أنّ لله ديكا في السماء إذا صاح وسمعته الديوك في الأرض؛ صاحت لصياحه».

كن في كلّ حال ذا نِيّة حميدة مع الله يرضاها الله منك، وعلى عمل صالح، ولا سيما إذا كثر الفساد في العامّة؛ فما تدري لعلّ الله يرسل عليهم عذابا يعمّ الصالح والطالح؛ فتكون ممن يحشر على عمل خير[1]، كما قبضتَ عليه، يقول الله: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[2].

ولا تشمِّت عاطسا لم يحمد الله، ولكن ذكِّره أن يحمد الله، ثُمّ شمِّته. وإيّاك إذا غلبك التثاؤبُ أن تصوِّت فيه، واكظمه ما استطعت.

وإيّاك أن تمدح أحدا في وجهه فتخجله، وإذا مدحك أحد في وجهك فاحْثُ التراب في وجهه برفق، وصورة حثو التراب أن تأخذ كفًّا من تراب وترمي به بين يديه، وتقول له: ما عسى أن يكون مَن خُلِق من تراب، ومَن أنا، وما قدْري؟ توبِّخ بذلك نفسَك وتعرِّف المادح بقدرك وقدره، هكذا فلتَحْثُ التراب في وجوه المدّاحين. وقد كان شيخنا عبد الحليم الغماد، بمدينة سَلَا، إذا رأى شخصا راكبا ذا شارة يعظّمه الناس وينظرون[3] إليه، يقول له ولهم: ترابٌ راكب على تراب، ثمّ ينصرف وينشد:

حَتّى مَتَى وإلَى مَتَى تَتَوانَى   أَتَظُنُّ ذَلِكَ كُلَّهُ نِسْيَانَا

وكان[4] الغالب عليه التولّه.

وإذا كان لك ولد صغير وجاءت فحمة العشاء فأمسكه عن التصرّف؛ فإنّ الشياطين تنتشر حينئذ؛ فلا تأمن عليه أن يصيبه لممٌ؛ فإنّ الشارع أمر بذلك.

---

(١) ق: خيرا
(٢) [الأنفال: ٢٥]
(٣) ق: وينظروا
(٤) ص ١١

وإذا صنع لك خادمك طعاما، وأتاك به، فأجلسه معك، فإن أبى وتأدّب؛ فأذِقه منه ولا بدّ، ولو لقمة. وإيّاك أن تأكل وعينٌ تنظر إليك من غير أن تأكل معك.

وإذا سمعت أحدا يوم الجمعة (يتكلّم) والإمام يخطب، فلا تقل له: "أنصت" فإن قلت له ذلك فأنت ممن لغا في جمعته، ولا تعبث بشيء -لا بالحصى ولا بغيره- والإمام يخطب؛ فإنّه لغو.

وإذا كنت صائمًا وأفطرت؛ فأفطر على تمر إن وجدتَ، فإن لم تجد؛ فعلى حسوات من ماء، وليكن ذلك وترا، وعجّل بالفطر، ثمّ صَلِّ بعد ذلك؛ إلّا إن حضر الطعام. فإن حضر الطعام؛ فابدأ به قبل الصلاة إن كنت آكلا ولا بدّ.

وإذا حدّثك إنسان وتراه يلتفت؛ فحديثه إيّاك أمانة أودعك إيّاها؛ فلا تَخُنْهُ فيه بالإفشاء.

وراقب قلبك في الناس، فمهما خطر لك تغيُّر في أحدٍ من المؤمنين في قلبك، فأزِلْه وظُنَّ خيرا، وأقم له عذرا فيما تغيَّرتَ له.

وإن حالتْ بينك وبين الماشي معك شجرة أو جدار؛ ثمّ تلاقيتما؛ فسلِّم عليه حتى يعلم أنّك على الودّ الذي فارقته عليه.

* * *

وصيّة: (عامل كلَّ من تصحبه أو يصحبك بما تعطيه رتبته)

عامل(١) كلَّ من تصحبه أو يصحبك بما تعطيه رتبته: فعامل اللهَ بالوفاء؛ لما عاهدته عليه من الإقرار بربوبيّته عليك، وهو الصاحب بقول رسول الله ﷺ. وعامل الآيات بالنظر فيها، وعامل ما تدركه الحواسّ منك بالاعتبار، وعامل الرسل بالاقتداء بهم، وعامل الملائكة بالطهارة والذِّكْر، وعامل الشيطان -إذا عرفت أنّه شيطان من إنس وجانّ- بالمخالفة، وعامل الحفظة بحسن ما تملي عليهم، وعامل مَن هو أكبر (منك) بالتوقير، ومَن هو أصغر منك بالرحمة، ومن هو كفؤك بالتجاوز والإنصاف والإيثار، وأن تطالب نفسك بحقّه عليها، وترك حقّك له.

---

(١) ص ١١ب

وعامل العلماء بالتعظيم، وعامل السفهاء بالحِلْم، وعامل الجهّال بالسياسة، وعامل الأشرار ببسط الوجه وما تتّقي به شرَّهم، وعامل الحيوان بالنظر فيما يحتاجون إليه؛ فإنّهم خُرْس، وعامل الأشجار والأحجار بعدم الفضول، وعامل الأرض بالصلاة عليها، وعامل الموتى بالدعاء لهم، وذِكر محاسنهم، والكفّ عن مساويهم، وعامل الصوفيّة أهل الكشف والوجود منهم بالتسليم أصحاب الأحوال، وعامل الإخوان في الله بالبحث عن حركاتهم وسكناتهم فيماذا يتحرّكون ويسكنون، وعامل الأولاد بالإحسان، وعامل الزوجة بحسن الخلق، وعامل[(١)] أهل البيت بالمودّة.

وعامل الصلاة بالحضور، وعامل الصوم بالتنزّه عن الذنوب، وعامل المناسك بذِكْرِ الله والتعظيم، وعامل الزكاة بسرعة الأداء، وعامل التوحيد بالإخلاص، وعامل الأسماء الإلهيّة بما تعطيه حقيقة كلّ اسم إلهيّ من الأخلاق؛ فمعاملة الأسماء الإلهيّة بالتخلّق بها. وعامِل الدنيا بالرغبة عنها، وعامل الآخرة بالرغبة فيها، وعامل النساء بالحذر من فتنتهنّ، وعامل المال بالبذل، وعامل النار والحدود بالتّقوى والرهبة، وعامل الجنّة بالرغبة، وعامل الأولياء بما تزيد ولايتهم، وعامل الأعداء بما تكفّ أذاهم، وعامل الناصح بالقبول، وعامل المحدّث بالإصغاء إلى حديثه، وعامل الموجودات كلّها بالنصيحة، وعامل الملوك بالسمع والطاعة، والأخذ على أيدي الظلَمة منهم ما استطعتَ بطريقة تكتفي بها شرّهم.

وإيّاك وصحبة الملوك؛ فإنّك إن أكثرتَ مخالطة الملِك مَلَّكَ، وإن تركته أَذَلَّك؛ فخذ وأعطِ إن بُلِيْتَ بصحبتهم، وعامل قارئ القرآن بالإنصات ما دام تاليا، وعامل القرآن بالتدبّر، وعامل الحديث النبويّ بالبحث عن صحيحه وسقيمه، وعرضه على الأصول؛ فما وافق الأصول فخذ به وإن لم يصحّ الطريق إليه؛ فإنّ الأصل يعضده، وإذا ناقض الأصول بالكلّيّة؛ فلا تأخذ به وإن صحّ طريقه، ما[(٢)] لم تعلم له وجها؛ فإنّ أخبار الآحاد لا تفيد سِوَى غلبة الظنّ.

وعليك بالسنّة المتواترة وكتاب الله فهما خير مصحوب وخير جليس، وإيّاك والخوض فيما

---

(١) ص ١٢
(٢) ص ١٢ب

شجر بين الصحابة، ولتحبّهم كلّهم عن آخرهم، ولا سبيل إلى تجريح واحد منهم؛ فعنهم نأخذ الدين الذي تعبّدنا الله به، وعاملهم بالعدالة في الأخذ عنهم، ولا تتّهمهم؛ فهم خير القرون.

وعامِل بيتك بالصلاة فيه، وعامل مجلسك بذِكْر الله فيه، وعامل فُرْقَتَك من مجلسك بالاستغفار، والضابط للصحبة أن تعطي كلّ ذي حقّ حقّه، ولا تترك مطالبةً لأحد عليك بحقّ يتوجّه له قِبَلَك، وعامل الجاني عليك بالصفح والعفو، وعامل المسيء بالإحسان، وعامل بصرك بالغضّ عن محارم الله، وسمعَك بالاستماع إلى أحسن الحديث والقول، ولسانَك بالصمت عن السوء من القول، وإن كان حقًّا، لكن كَرّه الشرع أو حرّم النطق به، وعامِل الذنوب بالخوف، وعامِل الحسنات بالرجاء، وعامل الدعاء بالاضطرار، وعامل نداء الحقّ إيّاك بالتلبية لما ناداك إليه من عمل أو ترك.

وصايا نبويّة

روينا عن عليّ بن أبي طالب ﵁ أنّه قال: وصّاني رسول الله ﷺ فقال:

يا عليّ؛ أوصيك بوصيّة فاحفظها، فإنّك(١) لا تزال بخير ما حفظتَ وصيّتي.

يا عليّ؛ إنّ للمؤمن ثلاثَ علامات: الصلاة، والصيام، والزكاة. وللمتكلِّف ثلاث علامات: يتملّقُ إذا شهد، ويغتاب إذا غاب، ويشمت بالمصيبة. وللظالم ثلاث علامات: يقهر مَن دونه بالغلبة، ومَن فوقه بالمعصية، ويظاهر الظلَمة. وللمُرائي ثلاث علامات: ينشط إذا كان عند الناس، ويتكاسل(٢) إذا كان وحده، ويحبّ أن يُحمد في جميع الأمور. وللمنافق ثلاثُ علامات: إن حدَّث كذب، وإن وعد أخلف، وإن ائتمن خان.

يا عليّ؛ وللكسلان ثلاثُ علامات: يتوانى حتى يفرِّط، ويفرِّط حتى يضيِّع، ويضيِّع حتى يأثم. وليس ينبغي للعاقل أن يكون شاخصا إلّا في ثلاث: مَرَمَّةٍ لمعاش، أو لذّةٍ في غير محرَّم، أو خطوةٍ لمعاد(٣).

يا عليّ؛ إنّ من اليقين أن لا ترضي أحدا بسخط الله، ولا تحمدنّ أحدا على ما أتاك الله، ولا تذمّنّ أحدا على ما لم يؤتِكَهُ الله؛ فإنّ الرزق لا يُجْرِهِ حِرْصُ حريص، ولا يصرفه كراهيّة كاره، وإنّ الله ﷻ جعل الرَوح والفرَح في اليقين والرضا بِقَسْم الله، وجعل الهمّ والحزن في السخط بِقَسْم الله.

يا عليّ؛ لا فقرَ أشدُّ من الجهل، ولا مالَ أجودُ من العقل، ولا وحدةَ أوحشُ من العُجب، ولا مظاهرةَ أوثقُ من المشاورة، ولا إيمانَ كاليقين، ولا ورعَ كالكفِّ، ولا حسب كحسن الخُلُق، ولا(٤) عبادةَ كالتفكّر.

يا عليّ؛ إنّ لكلّ شيء آفةً، وآفةُ الحديثِ الكذِبُ، وآفةُ العلمِ النسيانُ، وآفةُ العبادةِ الرياءُ،

---

(١) ص ١٣

(٢) ثابتة في الهامش

(٣) ق: لمعاذ

(٤) ص ١٣ب

وآفةُ الظرف الصلَفُ، وآفةُ الشجاعةِ البغيُ، وآفةُ السماحةِ المنُّ، وآفةُ الجمالِ الخُيَلاءُ، وآفةُ الحسبِ الفخرُ، وأفةُ الحياء الضعفُ، وآفةُ الكرم الفخرُ، وآفةُ الفضلِ البخلُ، وآفةُ الجودِ السرفُ، وآفةُ العبادةِ الكِبرُ، وآفةُ الدِّين الهوى.

يا عليّ؛ إذا أُثني عليك في وجهك فقل: "اللهم اجعلني خيرا مما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني فيما يقولون" تَسلم مما يقولون.

يا عليّ؛ وإذا أمسيت صائما فقل عند إفطارك: "اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت" يُكتب لك أجر مَن صام ذلك اليوم من غير أن يَنْقُص من أجورهم شيء. واعلم أنّ لكلّ صائم دعوةً مستجابةً؛ فإن كان عند أوّل لقمة يقول:" بسم الله الرحمن الرحيم، يا واسع المغفرة اغفر لي" فإنّه مَن قالها عند فطره؛ غُفِر له، واعلم أنّ الصوم جُنّة من النار.

يا عليّ؛ لا تستقبل الشمس والقمر واستدبرهما؛ فإنّ استقبالهما داء واستدبارهما دواء.

يا عليّ؛ استكثِر من قراءة "يس"؛ فإنّ في قراءة "يس" عشر بركات: ما قرأها قطّ جائع إلّا شبع، ولا قرأها ظمآنٌ إلّا رُوِي، ولا عارٍ إلّا اكتسَى، ولا مريضٌ[١] إلّا برئ، ولا خائفٌ إلّا أَمِن، ولا مسجونٌ إلّا فرج[٢]، ولا أعزبُ إلّا تزوّج ولا مسافرُ إلّا أُعين على سفره، ولا قرأها أحدٌ ضلّت له ضالّةٌ إلّا وجدها، ولا قرأها على رأس ميّت حضرَ أجلُه إلّا خُفّف عليه، ومَن قرأها صباحا كان في أمان حتى يمسي، ومَن قرأها مساء كان في أمان حتى يصبح.

يا عليّ؛ اقرأ "حم" الدخان في ليلة الجمعة تصبح مغفورا لك.

يا عليّ؛ اقرأ "آية الكرسيّ" دُبُر كلّ صلاة تُعْطَ قلوب الشاكرين وثواب الأنبياء وأعمال الأبرار.

يا عليّ؛ اقرأ "سورة الحشر" تُحشر يوم القيامة آمِنًا من كلّ شيء.

(١) ص ١٤
(٢) س: خرج

يا عليّ؛ أقرأ "تبارك" و"السجدة" يُنجياك من أهوال يوم القيامة.

يا عليّ؛ اقرأ "تبارك" عند النوم يرجع عنك عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير.

يا عليّ؛ اقرأ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾(١) على وضوء؛ تنادى يوم القيامة: يا مادح الله؛ قم فادخل الجنّة.

يا عليّ؛ اقرأ سورة البقرة؛ فإنّ قراءتها بركة وتركها حسرة، وهي لا تطيقُها البَطلة، يعني السحَرة.

يا عليّ؛ لا تُطِل القعود في الشمس؛ فإنّها تثير الداء الدفين، وتُبلي الثياب، وتغيّر اللون.

يا عليّ؛ أمانٌ لك من الحرق أن تقول: "سبحانك ربّي لا إله إلّا أنت عليك(٢) توكّلت وأنت ربّ العرش العظيم".

يا عليّ؛ أمانٌ لك من الوسواس أن تقرأ: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾(٣) إلى قوله: ﴿وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾(٤).

يا عليّ؛ أمانٌ لك من شرّ كلّ عاين أن تقول: "ما شاء الله كان، وما لا يشاء لا يكون، أشهد أنّ الله على كلّ شيء قدير، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾(٥)، ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾(٦)، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله".

يا عليّ؛ كُلِ الزيتَ وادَّهِن بالزيت؛ فإنّه مَن أكل الزيت وادّهن بالزيت لم يقربه الشيطان أربعين صباحا.

يا عليّ؛ ابدأ بالمِلح واختم بالمِلح؛ فإنّ الملح شفاء من سبعين داء؛ منها الجنون، والجذام، والبرص، ووجع الحلق، ووجع الأضراس، ووجع البطن.

---

(١) [الإخلاص: ١]
(٢) ص ١٤ب
(٣) [الإسراء: ٤٥]
(٤) [الإسراء: ٤٦]
(٥) [الطلاق: ١٢]
(٦) [الجن: ٢٨]

يا عليّ؛ إذا أكلتَ فقل: "بسم الله" وإذا فرغت قل: "الحمد لله" فإنّ حافِظَيْك لا يستريحان يكتبان لك الحسنات حتى تنبذه عنك.

يا عليّ؛ إذا رأيت الهلال في أوّل الشهر فقل: "الله أكبر -ثلاثا-، الحمد(١) لله الذي خلقني وخلقك، وقدّرك منازل، وجعلك آية للعالمين" يباهي الله بك الملائكة يقول: «يا ملائكتي؛ اشهدوا أنّي قد أعتقت(٢) هذا العبد من النار».

يا عليّ؛ فإذا نظرت في المرآة فقل: «اللهم كما حسّنت خَلقي(٣) فحسِّن خُلقي وارزقني».

يا عليّ؛ وإذا رأيت أسدًا واشتدّ بك أمرٌ فكبِّر ثلاثا وقل: "الله أكبر وأجلّ وأعزّ مما أخاف وأحذر، اللهم إنّي أدرأ بك في نحره، وأعوذ بك من شرّه" فإنّك تُكفى بإذن الله. وإذا رأيت كلبا يَهِرُّ فقل: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾(٤).

يا عليّ؛ إذا خرجت من منزلك تريد حاجة؛ فاقرأ "آية الكرسي" فإنّ حاجتك تُقضى -إن شاء الله-.

يا عليّ؛ وإذا توضّأتَ فقل: "باسم الله والصلاة على رسول الله".

يا عليّ؛ صَلِّ من الليل ولو قدر حلْبِ شاة، وادع الله -سبحانه- بالأسحار؛ لا تُرَدّ دعوتك فإنّ الله -سبحانه- يقول: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾(٥).

يا عليّ؛ غَسِّل الموتى؛ فإنّه مَن غَسَل ميتا غُفِر له سبعون مغفرة، لو قُسّمت مغفرة منها على جميع الخلق لوسِعَتهم. فقلت: يا رسول الله؛ ما يقول مَن غسل ميتا؟ فقال ﷺ يقول: "غفرانك يا رحمن" حتى يفرغ من الغسل.

---

(١) س، هـ: والحمد
(٢) ص ١٥
(٣) ثابتة في الهامش بقلم آخر
(٤) [الرحمن: ٣٣]
(٥) [آل عمران: ١٧]

يا عليّ؛ لا تخرج في سفرٍ وحْدَك؛ فإنّ الشيطان مع الواحد، وهو من(١) الاثنين أَبعد.

يا عليّ(٢)؛ إنّ الرجل إذا سافر وحده غاوٍ، والاثنان غاويان، والثلاثة نَفَر.

يا عليّ؛ إذا سافرتَ فلا تنزل الأودية؛ فإنّها مأوى السِّباع والحيّات.

يا عليّ؛ لا تردِفَنّ ثلاثةً على دابّة؛ فإنّ أحدهم ملعون وهو المقدَّم.

يا عليّ؛ إذا وُلِد لك مولودٌ؛ غلام أو جارية؛ فأذِّن في أذنه اليمين، وأَقِمْ في أذنه اليسار؛ فإنّه لا يضرّه الشيطان.

يا عليّ؛ لا تأتِ أهلَك ليلة الهلال، ولا ليلة النصف؛ فإنّه يُتخوّف على ولدك الخَبَل. قال عليّ: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: لأنّ الجنّ يكثرون غشيان نسائهم ليلة النصف وليلة الهلال، أما رأيت المجنون يُصرع ليلة النصف وليلة الهلال.

يا عليّ؛ وإذا نزلتْ بك شدَّة فقل: "اللهم إنّي أسألك بحقّ محمد وآل محمد عليك أن تنجيني" وإذا أردتَ الدخول إلى مدينة أو قرية فقل حين تعاينها: "اللهم إنّي أسألك خير هذه المدينة وخير ما كتبت فيها، وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما كتبت فيها، اللهم ارزقني خيرها، وأعذني من شرّها، وحبّبنا إلى أهلها، وحبّب صالح أهلها إلينا".

يا عليّ؛ وإذا نزلت منزلا فقل: "اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين" تُرزق خيره، ويُدفع عنك شرّه.

يا عليّ؛ وإيّاك والمُرائي(٣)؛ فإنّه لا تُعقل حكمتُه، ولا تؤمن فتنته.

يا عليّ؛ وإيّاك والدخول إلى الحمّام بلا مِئزر؛ فإنّه ملعونٌ؛ الناظرُ والمنظورُ إليه.

يا عليّ؛ لا تَخَتَّمْ(٤) بالسبّابة والوسطى؛ فإنّه مِن فِعل قوم لوط.

---

(١) مكتوب تحتها بقلم الأصل: "مع"
(٢) ص ١٥ب
(٣) ص ١٦
(٤) تختّم: تلبس الخاتم

يا عليّ؛ لا تلبس المعصفر، ولا تَبِتْ في ملحفة حمراء؛ فإنّها مُحْتَضرةُ الشيطان.

يا عليّ؛ لا تقرأ وأنت راكع ولا ساجد.

يا عليّ؛ إيّاك والمجادلة؛ فإنّها تحبط الأعمال.

يا عليّ؛ لا تنهر السائل ولو جاءك على فرس، فأَعطه؛ فإنّ الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل.

يا عليّ؛ باكِر بالصدقة؛ فإنّ البلاء لا يتخطّى الصدقة.

يا عليّ؛ عليك بحسن الخُلُق؛ فإنّك تدرك بذلك درجة الصائم القائم.

يا عليّ؛ إيّاك والغضب؛ فإنّ الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم إذا غضِب.

يا عليّ؛ إيّاك والمزاح؛ فإنّه يذهب ببهاء ابن آدم ونشاطه.

يا عليّ؛ عليك بقراءة: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فإنّها مَنهاة للفقر، وإيّاك والرِّبَا؛ فإنّ فيه ستّ خصال؛ ثلاث منها في الدنيا، وثلاث[1] في الآخرة. فأمّا التي في الدنيا: تعجّل الفناء، وتذهب بالغِنى، وتمحق الرزق. وأمّا التي في الآخِرة: فسوء الحساب، وسخط الربِّ ﷻ، والخلود في النار، أو[2] الخلوة -شكّ الراوي.

يا عليّ؛ وإذا دخلت منزلك؛ فسلِّم على أهل بيتك؛ يكثُر خيرُ بيتك.

يا عليّ؛ أَحِبَّ الفقراء والمساكين يحبّك الله.

يا عليّ؛ لا تنهرِ المساكينَ والفقراءَ؛ فتنهرك الملائكة يوم القيامة.

يا عليّ؛ عليك بالصدقة؛ فإنّها تدفع عنك السوء.

يا عليّ؛ أَنفق وأوسع على عيالك، ولا تخش من ذي العرش إقلالا.

---

(١) ق، هـ: ثلاثة منها في الدنيا، وثلاثة

(٢) ص ١٦ب

يا عليّ؛ إذا ركبت دابّة[1] فقل: "الحمد لله الذي كَرّمنا وهدانا للإسلام، ومَنَّ علينا بمحمد ﷺ الحمد لله ﴿ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ. وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾[2].

يا عليّ؛ لا تغضبنّ إذا قيل لك اتّق الله؛ فيسوءك ذلك يوم القيامة.

يا عليّ؛ إنّ الله يعجب من عبده إذا قال: "اللهم اغفر لي إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت" يقول الله: "يا ملائكتي؛ عبدي هذا علِم أنّه لا يغفر الذنوب غيري؛ اشهدوا أنّي قد غفرت له".

يا عليّ؛ إذا لبستَ ثوبا جديدا فقل: "بسم الله والحمد لله الذي كساني ما أُواري به عورتي، وأستغني به عن الناس" لم يبلغ الثوب ركبتيك حتى يُغفر لك.

يا عليّ؛ مَن لبس ثوبا جديدا؛ فكسا فقيرا أو يتيما عريانا أو مسكينا؛ كان[3] في جوار الله وأَمْنِه وحِفظه ما دام عليه منه سِلْك.

يا عليّ؛ إذا دخلت السوق فقل حين تدخل: "بسم الله وبالله، اشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله" يقول الله -تعالى-: "عبدي هذا ذكرني والناس غافلون؛ اشهدوا أنّي قد غفرت له".

يا عليّ؛ إنّ الله يعجب ممن يذكره في الأسواق.

يا عليّ[4]؛ إذا دخلتَ المسجد قل: "بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم افتح لي أبواب رحمتك" وإذا خرجتَ فقل: "بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم افتح لي أبواب فضلك".

يا عليّ؛ وإذا سمعت المؤذّن؛ قل مثل مقالته يُكتب لك مثل أجره.

يا عليّ؛ وإذا فرغت من وضوئك فقل: "أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمدا رسول الله، اللهم اجعلني من التوّابين واجعلني من المتطهّرين؛ تخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أمّك،

(١) ق: "دابتك" وفي الهامش بقلم الأصل: "دابة"
(٢) [الزخرف: ١٣ ، ١٤]
(٣) ص ١٧
(٤) لم ترد في ق، ووردت في هـ، س

وتفتح لك ثمانية أبواب الجنّة يقال: ادخل من أيّها شئت".

يا عليّ؛ إذا فرغت من طعامك، فقل: "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين".

يا عليّ؛ إذا شربت فقل: "الحمد لله الذي سقانا ماء جعله عذبا فراتا برحمته، ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا" تُكتب شاكرا.

يا عليّ؛ إيّاك والكذب[1]؛ فإنّ الكذبَ يُسوِّد الوجه، ولا يزال الرجل يكذب حتى يسمّى عند الله كذّابا، ويصدق حتى يسمّى عند الله صادقا، إنّ الكذب مجانب الإيمان.

يا عليّ؛ لا تغتابنّ أحدا؛ فإنّ الغيبة تفطِّر الصائم، والذي يغتاب الناس يأكل لحمَه يوم القيامة.

يا عليّ؛ إيّاك والنميمة، ولا يدخل الجنّة قتّات، ويعني النمّام.

يا عليّ؛ لا تحلف بالله كاذبا ولا صادقا.

يا عليّ؛ لا تجعلوا الله عُرضة لأيمانكم؛ فإنّ الله لا يرحم ولا يزكّي مَن يحلف بالله كاذبا.

يا عليّ؛ املَك عليك لسانَك، وعوِّده الخير؛ فإنّ العبد يوم القيامة ليس عليه شيء أشدّ من خيفة لِسانه.

يا عليّ؛ إيّاك واللجاجة؛ فإنّها ندامة.

يا عليّ؛ إيّاك والحرص؛ فإنّ الحرصَ أَخرجَ أباك من الجنّة.

يا عليّ؛ إيّاك والحسد؛ فإنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

يا عليّ؛ ويلٌ لمن يَكذب ليُضحك الناس، ويلٌ له ويلٌ له.

يا عليّ؛ عليك بالسِّواك؛ فإنّه مطهرةٌ للفم، ومرضاة للرب -تعالى- ومجلاة للأسنان.

يا عليّ؛ عليك بالتخلّل؛ فإنّه ليس شيء أبغض إلى الملائكة أن ترى في أسنان العبد طعاما.

---

(١) ص ١٧ب

فقال(١) عليٌّ عليه السلام: قلت: "يا رسول الله؛ أخبرني عن قول الله -تعالى-: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾(٢) ما هؤلاء الكلمات؟" فقال النبيّ ﷺ: إنّ الله -تعالى- أهبط آدم عليه السلام بأرض الهند، وحوّاء بجدّة، والحيّة بأصبهان، وإبليس ببيسان(٣)، ولم يكن في الجنّة أحسن من الحيّة والطاووس، وكان للحيّة قوائم كقوائم البعير. فلمّا دخل إبليس -لعنه الله- جوفَها أغوى آدم عليه السلام وخدعه. فغضب اللهُ -تعالى- على الحيّة، فألقى عنها قوائمها، وقال: جعلتُ رِزقَكِ من التراب، وجعلتك تمشين على بطنِك، لا رَحِمَ الله مَن رَحِمك. وغضب الله عز وجل على الطاووس، فمسخ رجليه؛ لأنّه كان دليلا لإبليس على الشجرة. فمكث آدم عليه السلام مائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء، يبكي على خطيئته، قد جلس جلسة الحزين.

فبعث الله جبريل عليه السلام فقال: السلام عليك يا آدم؛ اللهُ عز وجل يقرئك السلام، ويقول لك: ألم أخلقك بيديّ؟ وأَنفخ فيك من روحي؟ ألم أُسجد لك ملائكتي؟ ألم أزوّجك حوّاء أَمَتي؟ ما هذا البكاء؟! قال: يا جبريل؛ وما يمنعني من البكاء، وقد أُخرجت من جوار ربّي؟ قال له جبريل عليه السلام: يا آدم؛ تكلّم بهؤلاء الكلمات؛ فإنّ الله -تعالى- غافِرٌ ذنبَك، وقابلٌ توبتك. قال: فما هُنَّ؟ قال؛ قل: "اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمد وآل محمد، سبحانك اللهمّ(٤) وبحمدك، عملتُ سوءًا وظلمتُ نفسي (فاغفر لي فـ) (٥) إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت، وارحمني وأنت خير الراحمين. سبحانك وبحمدك، لا إله إلّا أنت عملتُ سوءا وظلمتُ نفسي؛ فتب عليّ إنّك أنت التوّاب الرحيم. سبحانك وبحمدك لا إله إلّا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي وأنت خير الغافرين" فهؤلاء الكلمات.

يا عليّ؛ وأنهاك عن حيّات البيوت؛ إلّا الأفطس والأبتر؛ فإنّهما شيطانان.

يا عليّ؛ وإذا رأيت حيّة في رَحْلِك فلا تقتلها حتى تُحَرِّج عليها ثلاثا، فإن عادت الرابعة فاقتلها.

---

(١) ص ١٨
(٢) [البقرة: ٣٧]
(٣) هناك فراغ في ق محل الكلمة، وهي واردة في هـ، س "ببيسان"
(٤) ص ١٨ب
(٥) ما بين القوسين لم ترد في ق، ووردت في هـ، س

يا عليّ؛ وإذا رأيت حيّة في الطريق؛ فاقتلها؛ فإنّي قد اشترطتُ على الجنّ أن لا يظهروا في صورة الحيّات في الطريق، فمن فعل خلّى بنفسه للقتل.

يا عليّ؛ أربعُ خِصال من الشقاء: جمودُ العين، وقساوةُ القلب، وبُعد الأَمل، وحبّ الدنيا.

يا عليّ؛ أنهاك عن أربع خصال عظام: الحسد، والحرص، والكذب، والغضب.

يا عليّ؛ ألا أنبّئك بشرِّ الناس؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله؛ قال: مَن سافر وحده، ومَنَع رِفده، وضَرب عبده. ألا أنبّئك بشرّ من هؤلاء جميعا؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال[1]: مَن لا يُرجى خيرُه، ولا يؤمن شرُّه.

يا عليّ؛ إذا صلّيت على[2] جَنازة، فقل: "اللهمّ هذا عبدُك وابن عبدِك وابن أَمَتِك؛ ماضٍ فيه حكمُك، خلقتَه ولم يكن شيئا مذكورا، نزل بك وأنت خير منزول به. اللهم لقِّنه حجّته، وألحقه بنبيّه ﷺ، وثبِّته بالقول الثابت؛ فإنّه افتقر إليك، واستغنيت عنه، كان يشهد أن لا إله إلّا الله؛ فاغفر له، وارحمه، ولا تحرمنا أجرَه، ولا تفتنّا بعده. اللهم إن كان زاكيا فزكِّه، وإن كان خاطئا فاغفر له".

يا عليّ؛ إذا صلّيت على جنازة امرأة، فقل: "اللهمّ أنت خلقتها، وأنت أحييتها، وأنت أَمَتَّها، تعلمُ سِرَّها وعلانيّتها، جئناك شفعاء لها؛ فاغفر لها، وارحمها، ولا تحرمنا أجرها، ولا تفتنّا بعدها".

وإذ صلّيت على طفل، فقل: "اللهمّ اجعله لوالديه سلفا، واجعله لهما ذخرا، واجعله لهما رشدا، واجعله لهما نورا، واجعله لهما فَرَطا، وأعقب والديه الجنّة، ولا تحرمهما أجره، ولا تفتنهما بعده".

يا عليّ؛ إذا توضّأتَ فقل: "اللهمّ إنّي أسألك تمام الوضوء، وتمام مغفرتك ورضوانك".

---

(١) وردت في س فقط
(٢) ص ١٩

يا عليّ؛ إنّ العبد المؤمن إذا أتى عليه أربعون سنة؛ أَمّنه الله من البلايا الثلاث[(١)]: الجنون، والجذام، والبرص. وإذا أتت عليه ستون سنة؛ فهو في إقبال، وبعد الستين في إدبار؛ رزقه الله الإنابة فيما يحبّ. وإذا أتت عليه سبعون سنة؛ أحبّه أهل السماوات، وصالحوا[(٢)] أهل الأرض. وإذا أتت عليه ثمانون سنة؛ كُتبت له حسناته، ومحيت عنه سيّئاته. وإذا أتت عليه تسعون سنة؛ غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر. وإذا أتت عليه مائة سنة؛ كتب الله اسمَه في السماء: "أسيرُ الله في أرضه" وكان حبيسَ الله -تعالى-.

يا عليّ؛ احفظ وصيّتي؛ إنّك على الحقّ، والحقّ معك.

* * *

(من وصايا الصالحين)

ومن وصايا الصالحين: قال رجل لذي النون: والله إنّي لأحبّك. فقال له ذو النون: إن كنت عرفت الله فحسبك الله، وإن كنت لم تعرفه فاطلب مَن يَعرفه؛ حتى يدلّك على الله، وتتعلّم منه حفظ الحرمة لمولاك.

* * *

وفي معنى ما قاله ذو النون وأوصى به ما اتّفق لنا مع صاحبنا عبد الله ابن الأستاذ الموروري، وكان من كبار الصالحين، كان له أخ مات، فرآه في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال له[(٣)]: أدخلني الجنّة؛ آكل وأشرب وأنكح. قال له: ليس عن هذا أسألك؛ هل رأيت ربّك؟ قال: لا يراه إلّا مَن يعرفه. واستيقظ، فركب دابّته، وجاء إلينا إلى أشبيلية، وعرّفني بالرؤيا ثمّ قال لي: قد قصدتك لتعرّفني بالله. فلازَمَني حتى عرف الله بالقدر الذي يمكن للمحدَث أن يعرفه به، من طريق الكشف والشهود، لا[(٤)] من طريق الأدلّة النظريّة -رحمه الله-.

وقال بعضهم: اصحب الذين وصفهم الله في كتابه؛ وهم أهل التّقوى الذين هم على سمت

---

(١) ق، س، هـ: الثلاثة
(٢) ص ١٩ب
(٣) ق: لي
(٤) ص ٢٠

محجّته؛ لعلّك أن ترقى في ملكوت السماوات؛ فتكون للأبرار جليسا، وللأخيار في أَمْنِ ذلك المقيل أنيسا. وإن كنت على التّقوى عازما؛ فالنجاء النجاء فيما بقي من عمرك.

وقال بعض العلماء: تزوّد من الدنيا للآخرة وطريقها ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾(١) وسارع إلى الخيرات، ونافِس في الدرجات قبل فناء العمر وتقارُب الأجل والفوت.

* * *

وصيّة: (إيّاكم ومجالسةَ أقوام يتكلّفون بينهم زخرف القول غرورا)

قيل لبعض العلماء: أَوصِنا؟ فقال: إيّاكم ومجالسةَ أقوام يتكلّفون بينهم زخرف القول غرورا، ويتملّقون في الكلام خداعا، وقلوبهم مملوءة غشًّا، وغلًّا، ودغلا، وحسدا، وكبرا، وحرصا، وطمعا، وبغضا، وعداوةً، ومكرا، وخَتْلا؛ دينُهم التعصّب، واعتقادُهم النفاق، وأعمالُهم الرياء، واختيارُهم شهوات الدنيا؛ يتمنّون الخلود فيها مع علمهم بأنّهم لا سبيل لهم إلى ذلك، يجمعون ما لا يأكلون، ويبنون ما لا يسكنون، ويؤمّلون(٢) ما لا يدرِكون، ويكسبون الحرام، وينفقون في المعاصي، ويمنعون المعروف، ويركبون المنكر.

* * *

وصيّة: (عليك بصحبة من يذكِّرك اللهَ ﷻ رؤيتُه..)

روينا(٣) عن يوسف بن الحسين قال: قلت لذي النُّون في وقت مفارقتي إيّاه: مَن أُجالِس؟ قال: عليك بصحبة من يذكِّرك اللهَ ﷻ رؤيتُه، وتقع هيبته على باطنك، ويزيد في عملِك منطقُه، ويزهِّدك في الدنيا عملُه، ولا تعص الله ما دمت في قُرْبِه، يعظك بلسان فِعله، ولا يعظِك بلسان قوله؛ يدلّك(٤) وهو تارك لما يدلّك عليه، أي هو خالٍ من الفضائل؛ لأنّ الرجل قد يكون على عمل من أعمال البرّ يقتضيه حاله، ويدلّك بقوله على عمل من أعمال البرّ يقتضيه حالُك ولا يقتضيه حالُه في الوقت. فيريد بقوله: "بلسان فعله" أي أفعاله مستقيمة، وهذا معنى

---

(١) [البقرة: ١٩٧]
(٢) كتب في الهامش بقلم الأصل: ويأملون
(٣) ص ٢٠ب
(٤) هناك فراغ في ق محل الكلمة، وفي س: "يديد" وهي مصحفة على ما يبدو من: "يدلك"

قول الله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ﴾ وما عَيّن بِرًّا من بِرٍّ ﴿وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[1].

* * *

وصيّة نبوّية عيسويّة

قال عيسى عليه السلام: "يا بني إسرائيل؛ اعلموا أنّ مَثَلَ دنياكم مع آخرتكم كَمَثَلِ مشرقكم مع مغربكم؛ كلّما أقبلتم إلى المشرق بَعُدْتُم من المغرب، وكلّما أقبلتم إلى المغرب ازددتم من المشرق بُعدا" وصّاهم بهذا المَثل أن يقرُبوا من الآخرة بالأعمال الصالحة.

* * *

وصيّة: (إيّاكم أن تكونوا من قوم يتمرّدون..)

أوصى بعض العلماء قال: إيّاكم أن تكونوا من قوم يتمرّدون، وفي طغيانهم يعمهون[2]؛ لا يسمعون النداء، ولا يجيبون الدعاء، تراهم مولّين مدبِرين؛ عن الآخرة معرضين، وعلى الأعقاب ناكصين، وعلى الدنيا مُكبّين، يتكالبون تكالُبَ الكلاب على الجِيَف، منهمكين في الشهوات، تاركين الصلوات، لا يسمعون الموعظة، ولا تنفعهم التذكرة، لا جرم أنّ مَن هذه صفته؛ يُمْهَلون قليلا، ويَتمتّعون يسيرا، ثمّ تجيئهم سكرةُ الموت بالحقّ، ذلك ما كانوا منه يحيدون، شاءوا أم أبَوا. فيفارقون محبوبَهم على رغمٍ منهم، ويتركون ما جمعوه لغيرهم، يتمتّع بمال أحدهم حليلُ زوجته، وامرأةُ ابنه، وبعلُ ابنته، وصاحبُ ميراثه؛ للوارث المهناة، وعليهم الوبال، ثقيلٌ ظهرُه بأوزاره، معذَّبُ النفس بما كسبت يداه، يا حسرة عليه إذا قامت على أبنائها القيامةُ. فاحذروا أن تكونوا من هؤلاء، وكونوا من الذين أَخذوا مِن عاجِلهم لآجِلهم، ومن حياتهم لموتهم، كما قال ﷺ فيهم: «صحِبوا الدنيا بأجسادٍ أرواحُها معلّقةٌ بالمحلِّ الأعلى».

---

(١) [البقرة: ٤٤]

(٢) ص ٢١

وصيّة: (احذر أن تنقطع عنه فتكون مخدوعا)

قال بعض الصالحين يوصي إنسانا: احذر أن تنقطع عنه فتكون مخدوعا. قال له: وكيف يكون ذلك؟ قال: لأنّ المخدوع مَن يَنظرُ إلى عطاياه[1]، وينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه. ثمّ قال: تعلّق الناسُ بالأسباب، وتعلّق الصدّيقون بوليّ الأسباب. ثمّ قال: علامةُ تعلُّقهم بالعطايا: طلبهم منه العطايا، ومِن علامات تعلُّق قلب الصدّيق بوليّ العطايا: انصباب العطايا عليه، وشغله عنها به. ثمّ قال: ليكن اعتمادك على الله في الحال، لا على الحال. ثمّ قال: اعقل؛ فإنّ هذا من صفوة التوحيد.

* * *

وصيّة نبويّة روحيّة

قال عيسى عليه السلام لبعض أصحابه يوصيه: "صم عن الدنيا، واجعل فِطرك الموت، وكن كالمداوي جرحه بالدواء خشية أن ينغل عليه. وعليك بكثرة ذِكْر الموت؛ فإنّ الموت يأتي إلى المؤمن بخيرٍ لا شرَّ بعده، وإلى الشِّرّير بشرٍّ لا خير بعده".

* * *

وصيّة بتنبيه

قال ذو النون: ثلاثةٌ من أعلام الإيمان: اغتمامُ القلب بمصائب المسلمين، وبذْلُ النصيحة لهم متجرِّعا لمرارة ظنونهم، وإرشادهم إلى مصالحهم وإن جهلوه وكرهوه.

* * *

قال أحمد بن أحمد بن سلمة: أوصاني ذو النون: لا تشغلنّك عيوبُ الناس عن عيب نفسك، لست عليهم برقيب، ثمّ قال: إنّ أحبَّ عباد الله إلى الله عزّ وجلّ أعقلُهم[2] عنه، وإنما يُستدلّ على تمام عقل الرجل وتواضعه في عقله حُسْنُ استماعه للمحدِّث وإن كان به عالما، وسرعةُ قبوله للحقّ وإن جاء ممن هو دونه، وإقراره على نفسه بالخطأ إذا جاء به.

---

(١) ص ٢١ب
(٢) ص ٢٢

وصيّة أوصى بها راهبٌ عارفا من المسلمين

اجتاز بعض العارفين في سياحته براهب في صومعة على رأس جبل، فوقف به، فناداه: يا راهب؛ فأخرج الراهبُ رأسَه من صومعته، وقال: من ذا؟ قال: رجل من أبناء جنسك الآدميّين. قال: فماذا تريد؟ قال: كيف الطريق إلى الله؟ قال الراهب: في خلاف الهوى. قال: فما خير الزاد؟ قال: التّقوى. قال: فلِمَ تَبعَّدتَ عن الناس، وتحصّنتَ في هذه الصومعة؟ قال: مخافةً على قلبي من فتنتهم، وحذرا على عقلي الحيرةَ من سوء عشرتهم، وطلبتُ راحةَ نفسي من مقاساة مُداراتهم وقبيح فَعالِهم، وجعلتُ معاملتي مع ربّي؛ فاسترحت منهم.

قال: فخبّرني -يا أَحدَ تُبّاع المسيح- كيف وجدتم معاملتكم مع ربّكم، واصدقِ القولَ لي، ودع عنك تزويق الكلام وزخرف القول؟ فسكت[1] الراهب ساعة متفكّرا، ثمّ قال: شرَّ معاملة تكون. قال له العارف: كيف؟ قال: لأنّه أَمرنا بالكدِّ للأبدان، وجهد النفوس، وصيام النهار، وقيام الليل، وترك الشهوات المركوزة في الجِبِلّة، ومخالفة الهوى الغالب، ومجاهدة العدوّ المسلَّط، والرضا، وخشونة العيش، والصبر على الشدائد والبلوى، ومع هذه كلّها جعل الأجر بالنَّسِيئة في الآخرة بعد الموت، مع بُعد الطريق، وكثرة الشكوك، والحيرة، والخوف من اليأس[2]؛ فهذه حالتنا في معاملتنا مع ربّنا. فأخبِرنا عنكم -يا معشر تبّاع أحمد- كيف وجدتم معاملتكم مع ربّكم؟

قال العارف: خيرَ معاملة وأحسنَها. قال الراهب: صف لي ما هي؟ وكيف هي؟ قال العارف: ربّنا أعطانا سلَفا كثيرا قبل العمل، ومواهب جزيلة لا تُحْصَى فنونُ أنواعها من النِّعم والإحسان والإفضال قبل المعاملة؛ فنحن ليلنُا ونهارُنا في أنواعِ نِعَمِه[3]، وفنون من آلائه؛ ما بين سالفٍ معتاد، وآنِفٍ مستفاد. قال له الراهب: فكيف خُصصتم بهذه المعاملة دون غيركم والربّ واحد؟ قال العارف: أما النِّعمة والإفضال والإحسان؛ فعموم للجميع[4]، قد غمرتنا كلّنا، ولكنّا خصّصنا بحسن الاعتقاد، وصحّة الرأي، والإقرار بالحقّ، والإيمان والتسليم له، ووفّقنا لمعرفة

---

(١) ص ٢٢ب
(٢) الحرف الثالث مهمل في ق
(٣) ق: نعمة
(٤) ص ٢٣

الحقائق لمّا أُعطينا الانقياد للإيمان والتسليم، وصِدق المعاملة؛ من محاسبة النفس، وملازمة الطريق، وتفقُّد تصاريف الأحوال الطارئة من الغيب، ومراعاة القلب بما يَرِد عليه؛ من الخواطر، والوحي، والإلهام، ساعة ساعة.

قال الراهب: زدني في البيان؛ فإنّها وصيّة عجيبة، ما سمعتُ بمثلها من أهل هذا الشأن؟ قال العارف: أزيدك؛ اسمع ما أقوله، وافهم ما تسمع، واعقل ما تفهم. إنّ الله -جلّ ثناؤه- لَمّا خلق الإنسان من طين ولم يك شيئا مذكورا ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾(١) ﴿نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾(٢) ثمّ قَلّبه حالا بعد حال بعد تسعة أشهر إلى أن أخرجه من هناك خَلقا سويّا؛ ببِنية صحيحة، وصورة تامّة، وقامة منتصبة، وحواسّ سالمة، ثمّ زوّده من هناك لَبنا خالصا لذيذا سائغا للشاربين حولين كاملين، ثمّ ربّاه، وأنشأه، وأنماه، بفنون لطفِه وغرائب حكمته، إلى أن يبلغه أشدّه واستوى، ثمّ آتاه حُكما، وعلّمه، ثمّ أعطاه قلبا ذكيًا، وسمعا دقيقا، وبصرا حادّا، وذوقا(٣) لذيذا، وشمًّا طيّبا، ولمسا ليّنا، ولسانا ناطقا، وعقلا صحيحا، وفهما جيّدا، وذهنا صافيا، وتمييزا وفكرا ورويّةً، وإرادةً ومشيئةً واختيارا، وجوارحَ طائعةً، ويدين صانعتين، ورِجلين ساعيتين، ثمّ علّمه الفصاحة والبيان، والخطّ بالقلم، والصنائع والحِرَف، والحرث والزراعة، والبيع والشراء، والتصرُّف في المعاش، وطلب وجوه المنافع، واتّخاذ البنيان، وطلب العزّ والسلطان، والأمر والنهي، والرئاسة والتدبير والسياسة، وسخّر له ما في الأرض جميعا من الحيوان، والنبات، وخواصّ المعادن؛ فغدا متحكّما عليها تحكّم الأرباب، متصرّفا فيها تصرُّف المُلّاك، متمتّعا بها إلى حين.

ثمّ إنّ الله -جلّ ثناؤه- أراد أن يزيده من فضله، وإحسانه، وجوده، وإنعامه، فَنًّا آخر؛ هو أشرف وأجلُّ من هذا الذي تقدّم ذِكْره، وهو ما أُكرم به ملائكته، وخالصَ عباده، وأهلَ جنّتِه؛ من النعيم الأبديّ الذي لا يشوبه شيء من النقص، ولا من التنغيص؛ إذ كان نعيم الدنيا مشوبا

(١) [السجدة: ٨]
(٢) [المؤمنون: ١٣]
(٣) ص ٢٣ب

بالبؤس، ولذَّاتُها بالآلام، وسرورها بالحَزَن، وفرحُها بالغَمّ، وراحتُها بالتعب، وعزّها بالذُّلّ، وصَفْوُها بالكدَر، وغِناها بالفقر، وصحّتها[1] بالسقم، أَهلُها فيها معذَّبون في صورة المنعّمين، ومغرورون في صورة الواثقين، مهانون في صورة المكرَمين، وجِلون غير مطمئنّين، خائفون غير آمنين، متردِّدون بين المتضادَّين؛ نور وظلمة، وليل ونهار، وصيف وشتاء، وحرّ وبرد، ورطب ويابس، وعطشٌ وريّ، وجوع وشِبع، ونوم ويقظة، وراحة وتعب، وشباب وهَرم، وقوّة وضعف، وحياة وموت، وما شاكلَ هذه الأمور التي أَهْلُ الدنيا وأبناؤها فيها متردّدون، مدفوعون إليها، متحيّرون فيها.

فأراد ربّي -أيّها الراهب- أن يخلِّصهم من هذه الأمور والآلام المشوبة باللذّات، وينقلهم منها إلى نعيمٍ لا بؤس فيه، ولذّة لا ألم فيها، وسرور بلا حزنٍ، وفرحٍ بلا غمٍّ، وعزٍّ بلا ذلٍّ، وكرامة بلا هوان، وراحة بلا تعب، وصفو بلا كدَر، وأمن بلا خوف، وغِنى بلا فقر، وصحّة بلا سقم، وحياة بلا موت، وشباب بلا هرم، ومودَّة بين أهلها بلا رَيبة. فهم في نورٍ لا تشوبه ظلمة، ويقظة بلا نوم، وذِكْر بلا غفلة، وعِلم بلا جهالة، وصداقة بين أهلها بلا عداوة، ولا حسد، ولا غِيبة ﴿إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾[2] آمنين مطمئنّين، أبد الآبدين.

ولمّا لم يُمكن الإنسان[3] أن يكون بهذا المزاج المظلِم الخاصّ، الذي هو محلُّ القذارات، المتولّد من الأركان التي لا تليق بتلك الدار الآخرة، والصفات الصافية، والأحوال الباقية؛ اقتضت العناية الإلهيّة بواجب حكمةِ الباري -تعالى- أن ينشئه نشأة أخرى، كما ذكر في قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ﴾[4] النشأةَ الآخرة أنّها على غير مِثال كما كانت الأُولَى على غير مثال. فهم في هذه النشأة الآخرة؛ لا يبولون، ولا يتغوّطون، ولا يتمخّطون، وفضلاتُ أطعمتهم وأغذيتهم عَرَقٌ يخرج من أَعراضهم أطيبُ من ريح المسك. فأين هذه النشأة من تلك؟ وأين هذا المزاج من ذلك المزاج؟ مع كونها نشأة طبيعيّة، معتدلة المزاج، متساوية الأمشاج! قال

(١) ص ٢٤
(٢) [الحجر: ٤٧]
(٣) ص ٢٤ب
(٤) [الواقعة: ٦٢]

تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١) و﴿ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾(٢).

فبعث الله -جلّ ثناؤه- لهذا السبب أنبياءه إلى عباده؛ يبشّرونهم بها، ويدعونهم إليها، ويرغِّبونهم فيها، ويَدُلّونَهم على طريقها، كيما يطلبوها مستعدِّين قبل الورود عليها -ولكن يسهِّل عليهم أيضا مفارقة مألوفات الدنيا؛ من شهواتها ولَذّاتها، وتخِفّ عليهم -أيضا- شدائدُ الدنيا ومصائبُها(٣) إذ كانوا يرجون بعدها ما يغمرها، ويمحو(٤) ما قبلها من نعيم الدنيا وبؤسها- ويحذّروهم فوتَ نعيمها؛ فإنّه مَن فاتته فقد خسر خسرانا مبينا.

قال العارف: فهذا رأيُنا واعتقادنا -يا راهب- في معاملتنا مع ربّنا الذي قلتُ لك، وبهذا الاعتقاد طاب عيشنا في الدنيا، وسهل علينا الزهد فيها، وترك شهواتها، واشتدّت رغبتنا في الآخرة، وزاد حِرصنا في طلبها، وخفَّ علينا كدُّ العبادة؛ فلا نحِسُّ بها، بل نرى ذلك نعمة، وكرامة، وفخرا وشرفا؛ إذ جعلَنا (اللهُ) أهلًا أن نذكره؛ فهدَى قلوبَنا، وشرح صدورنا، ونوّر أبصارنا، لمّا تعرّف إلينا بكثرة إنعامه وفنون إحسانه.

فقال الراهب: جزاك الله خيرا مِن واعظٍ ما أبلَغَه، ومِن ذاكرِ إحسان ما أَرفَقَه، ومِن هادي رشد ما أَبْصَرَه، ومِن طبيبٍ رفيقٍ ما أَحْذَقَه، ومِن أخٍ ناصحٍ ما أَشْفَقَه.

* * *

وصيّة ونصيحة

قال ذو النون: "ليس بذي لُبٍّ مَن كاسَ في أمر دنياه، وحمق في أمر آخرته، ولا مَن سَفِه في مواطن حِلْمِه، وتكبّر في مواطن تَواضُعه، ولا مَن فُقِد منه الهوى في مواطن طبعِه، ولا مَن غضب(٥) مِن حقٍّ إن قيل له، ولا مَن زهد فيما يرغب العاقل في مِثله، ولا فيما يزهد الأَكياس في مثله، ولا مَن استقلَّ الكثْر من خالقه ﷻ، واستكثر قليل الشكر من نفسه، ولا مَن طلب الإنصاف مِن غيره لنفسه، ولم ينصف مِن نفسه غيرَه، ولا مَن نسي اللهَ في مواطن طاعته،

(١) [الواقعة: ٦١]
(٢) [العنكبوت: ٢٠]
(٣) ص ٢٥
(٤) كتب فوقها بقلم الأصل: ويمحي
(٥) ص ٢٥ب

وذَكَر الله في مواطن الحاجة إليه، ولا مَن[1] جمع العلم فعُرِف به؛ ثمّ آثر عليه هواه عند متعلّمه، ولا مَن قلّ منه الحياء مِن الله على جميل ستره، ولا مَن أغفل الشكر عن إظهار نِعَمه، ولا مَن عجز عن مجاهدة عدوّه لنجاته؛ إذ صبر عدوُّه على مجاهدته، ولا مَن جَعل مروءتَه لباسَه، ولم يجعل أدبه ومروءته وتقواه لباسه، ولا مَن جعل عِلمه ومعرفته تظرُّفا وتزيُّنا في مجلسه".

ثمّ قال: "أستغفر الله؛ إنّ الكلام كثير، وإن لم تقطعه لم ينقطع". وقام، وهو يقول: "لا تخرجوا من ثلاثة: النظر في دينكم بإيمانكم، والتزوّد لآخرتكم من دنياكم، والاستعانة من ربّكم فيما أمركم به ونهاكم عنه".

* * *

وصيّة لقمانيّة

قال لقمان لابنه: "جالِس العلماءَ وزاحمهم بركبتيك؛ فإنّ[2] الله -جلّ ثناؤه- يحيي القلوب الميّتة بنور العلم، كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء. وإيّاك ومنازعةَ العلماء؛ فإنّ الحكمة نزلت من السماء صافية؛ فلمّا تعلّمها الرِّجال صرفوها إلى هوى نفوسهم".

* * *

وصيّة حِكميّة

روينا عن ذي النون المصري أنّه قال: "مَن نظر في عيوب الناس عمي عن عيوب نفسه، ومَن عني بالفردوسِ والنارِ شُغِل عن القيل والقال، ومَن هرب من الناس سَلِم من شرّهم، ومَن شكر المزيد زِيْدَ له".

وقال بعضهم: "مَثَلُ العالم الراغب في الدنيا، الحريص في طلب شهواتها، كَمَثَل الطبيب المداوي غيرَه، المُمرِض نفسه؛ فلا يرجى منه الصلاح؛ فكيف يشفي غيرَه؟".

---

(١) من س فقط
(٢) ص ٢٦

وصيّة صحيحة

سئل بعض الأولياء العارفين بالله: ما سببُ الذنب؟ قال: سببه[١] النظرة، ومِن النظرة الخطرة؛ فإن تداركتَ الخطرة بالرجوع إلى الله ذهبَتْ، وإن لم تدركها[٢] امتزجتْ بالوساوس؛ فتتولّد منها الشهوة، وكلّ ذلك بَعْدُ باطنٌ لم يظهر على الجوارح. فإن تداركتَ الشهوة؛ وإلّا تولّد منها الطلب، فإن تداركتَ الطلب؛ وإلّا تولّد منه الفعلُ.

* * *

تذكرة[٣] تتضمّن وصيّة نبويّة

قال عيسى عليه السلام في بعض مواعظه لبني إسرائيل: "أيّها العلماء؛ وأيّها الفقهاء؛ قعدتم على طريق الآخرة؛ فلا أنتم تسيرون فيها فتدخلون الجنّة، ولا تتركون أحدا يجوزكم إليها، وإنّ الجاهلَ أعذَرُ من العالِم، وليس لواحد منهما عذر".

وقال بعض الصالحين: "مَن ترك الشغل بفضول الدنيا؛ فهو زاهد. ومَن أنصف في المودّة، وقام بحقوق الناس؛ فهو متواضع. ومَن كظم الغيظ، واحتمل الضيم، والتزم الصبر؛ فهو حليم. ومَن تمسّك بالعدل، وترك فضول الكلام، وأوجز في المنطق، وترك ما لا يعنيه، واقتصد في أموره؛ فهو عاقل. ومَن تفرّغ إلى الأمور المقرِّبة إلى الله، وتفرّغ من نكد الدنيا، (وقال في نفسه:) إن لم تأكل متّ، وإن شبعتَ كسلتَ، وإن زدتَ مرضتَ؛ فهو عابد".

* * *

وصيّة: (آثِروا اللهَ على جميع الأشياء)

من رجل صالح ناصح لعباد الله، وقد قال له مَن حضر من أصحابه: أوصِنا بوصيّة لعلّ الله أن ينفعنا بها؟ فقال رضي الله عنه: آثِروا اللهَ على جميع الأشياء، واستعملوا الصدق فيما بينكم وبينه، وأَحبّوه بكلّ قلوبكم، والزموا بابه، واشتغلوا به، وتوسّدوا الموت إذا نِمْتم، واجعلوه[٤] نصب

---

(١) ق: "سبب" وفي الهامش: "سببه" مع حرف ظ

(٢) في الهامش بقلم آخر: "تداركها" وبجانبها حرف ظ

(٣) ص ٢٦ب

(٤) ص ٢٧

أعينكم إذا قُمتم، وكونوا كأنّكم لا حاجة لكم إلى الدنيا، ولا بدّ لكم من الآخرة، واحفظوا ألسنتكم، ولْتحزنكم ذنوبُكم، وليكن افتخاركم بربّكم، وكونوا مِن خالصي الله؛ تسلموا، ويَسلمْ منكم الناس؛ فتنالوا غدا مُناكم. ثمّ قال: استغفر الله؛ فإنّ للكلام حلاوة في الدنيا، وما أعظم مئونته في الآخرة. ثمّ قال: ﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡ﴾[1] وفي دون ما قلتُ كفاية.

* * *

وصايا نبويّة محمديّة

أوصى بها رسول الله ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه فلنذكر منها ما يَسَّرَ الله على قلمي الذي أُنشِئُ به صور الحروف الدالّة على المعاني. وفي مثل هذا قلت أخاطب الخادمَ الذي يَقِدُ لِيَ السراجَ حتى أكتب ما يلقي الله في روعي من الأسرار الإلهيّة والمعارف الربّانيّة:

قِدِ السِّراجَ عَسَى أَحْظَى بِرُؤْيَتِهِ ... وأُنْشِئ المَلأَ المَرْقُومَ فِي الوَرَقِ
فَمَا تَرَى طَبَقًا يَعْنُوْ لِخِدْمَتِهِ ... إلّا ويُخْبِرُ بِالأَحْوالِ عَنْ طَبَقِ
فِي أَحْرُفٍ ما لَهَا حَدٌّ فَيَحْصُرُها ... تَبْدُو مَعَانِيْهِ لِلأَبْصارِ فِي نَسَقِ
يُخَطِّطُ[2] القَلَمُ العُلْوِيُّ صُوْرَتَها ... عَلَى يَدِي دائِمًا ما دامَ بِي رَمَقِي

---

(1) [الأحزاب: ٨]
(2) ص ٢٧ب

قال رسول الله ﷺ (في وصيّته لأبي هريرة)

يا أبا هريرة؛ إذا توضّأت فقل: "بسم الله والحمد لله" فإنّ حفظَتَك لا تزال تكتب لك حتى تفرغ من ذلك الوضوء.

يا أبا هريرة؛ إذا أكلت طعاما فقل: "بسم الله والحمد لله" فإنّ حفظَتَك لا تستريح تكتب لك حسنات حتى تنبذه عنك.

يا أبا هريرة؛ إذا غشيتَ أهلَك وما مَلَكَتْ يمينُك، فقل: "بسم الله والحمد لله" فإنّ حفظَتَك تكتب لك حسنات حتى تغتسل من الجنابة، فإذا اغتسلت من الجنابة؛ غفر لك ذنوبك.

يا أبا هريرة؛ فإن كان لك ولد من تلك الوقعة؛ كتب لك حسناتٌ بعدد نفَس ذلك الولد وعقِبِه، حتى لا يبقى منه شيء.

يا أبا هريرة؛ إذا ركبتَ دابّة فقل: "بسم الله والحمد لله" تكن من العابدين حتى تنزل من ظهرها.

يا أبا هريرة؛ إذا ركبتَ السفينة فقل: "بسم الله والحمد لله" تُكتب من العابدين حتى تخرج منها.

يا أبا هريرة؛ إذا لبست ثوبا(١) فقل: "بسم الله والحمد لله" تُكتب لك عشر حسنات بعدد كلّ سلك فيه.

يا أبا هريرة؛ لا يهابنّك ما ملكتْ يمينُك(٢)؛ فإنّك إن متّ وأنت كذلك؛ كنت وجيها عند الله.

---

(١) ق: "ثوبا جديدا" مع إشارة مسح على اللفظة الثانية
(٢) ص ٢٨

يا أبا هريرة؛ لا تهجر امرأتك إلّا في بيتها، ولا تضربها ولا تشتمها إلّا في أمر دينها؛ فإنّك إن كنت كذلك؛ مشيتَ في طرقات الدنيا وأنت عتيق الله من النار.

يا أبا هريرة؛ احمل الأذى عمّن هو أكبر منك، وأصغر منك، وخير منك، وشرّ منك؛ فإنّك إن كنت كذلك؛ باهى اللهُ بك الملائكة، ومَن باهى الله به الملائكة جاء يوم القيامة آمِنًا من كلّ سوء.

يا أبا هريرة؛ إن كنت أميرا، أو وزيرَ أمير، أو داخلا على أميرٍ، أو مشاوَر[1] أميرٍ؛ فلا تُجاوِزَنْ سِيرتي وسُنّتي؛ فإنّه أيّما أميرٍ، أو وزيرِ أمير، أو داخلٍ على أمير، أو مشاورِ أميرٍ خالَفَ سُنّتي وسِيرتي؛ جاء يوم القيامة تأخذه النار من كلّ مكان.

يا أبا هريرة؛ عَدْلُ ساعةٍ خيرٌ من عبادة ستّين سنة؛ قيام ليلها وصيام نهارها.

يا أبا هريرة؛ قل للمؤمنين الذي أصابوا الصغائر والكبائر: "لا يمت أحد منهم وهو مُصِرٌّ عليه" فإنّه مَن لقي ربّه ﷻ على ذلك، وهو مُصِرٌّ عليها؛ فإنّ عقوبتها -يعني الصغيرة- كعقوبة مَن لقي الله على كبيرة وهو مُصِرّ عليها.

يا أبا هريرة؛ لأنْ تلقى الله ﷻ على كبائر قد تبت منها؛ خيرٌ لك مِن أن تلقاه وقد تعلّمتَ آية من كتاب الله ﷻ ثمّ تنساها.

يا أبا هريرة[2]؛ لا تلعن الولاة؛ فإنّ الله ﷻ أدخل أُمَّةً جهنّمَ بلَعنتهم وُلاتَهُمْ.

يا أبا هريرة؛ لا تَسُبَّنَّ شيئا إلّا الشيطان؛ فإنّك إن متّ وأنت كذلك؛ صافحتْك جميعُ رُسُلِ الله -تعالى- وأنبياءُ اللهِ -تعالى وجلّ- والمؤمنون حتى تصير إلى الجنّة.

يا أبا هريرة؛ لا تَسُبَّ مَن ظلَمك؛ تُعْطَ من الأجر أضعافا.

---

(١) ق: ومشاوَر
(٢) ص ٢٨ب

يا أبا هريرة؛ أشبع اليتيم والأرملة، وكن لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج العطوف؛ تُعْطَ بكلّ نفَس تنفَّستَ في دار الدنيا قصرا في الجنّة، كلُّ قصرٍ خيرٌ من الدنيا وما فيها.

يا أبا هريرة؛ امش في ظُلَم الليل إلى مساجد الله ﷻ تُعْطَ حسناتٍ بوزن كلّ شيء وضعتَ عليه قدمَك مما تحبّ أو تكره، إلى الأرض السابعة السفلى.

يا أبا هريرة؛ ليكن مأواك المساجد، والحجّ، والعمرة، والجهاد في سبيل الله؛ فإنّك إن مُتَّ وأنت كذلك؛ كان الله مُؤنِسَك في القبر، ويوم القيامة، وعلى الصراط، ويكلّمك في الجنّة.

يا أبا هريرة؛ لا تنتهر الفقير؛ فتنتهرك الملائكة يوم القيامة.

يا أبا هريرة؛ لا تغضب إذا قيل لك: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[1] وأنت قد هممتَ بسيّئة أن تعملها؛ تكن خطيئتُك عقوبتُها النار.

يا أبا هريرة؛ مَن قيل له: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فغضب؛ جِيْءَ به يوم القيامة، فيوقَف[2] موقفا لا يبقى ملَك إلّا مَرَّ به، فقال له: أنت الذي قيل له: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فغضِب؟ فيسوءه ذلك؛ فاتّق مساوئ يوم القيامة، أو مسَاءه -الشكّ من الراوي.

يا أبا هريرة؛ أَحسن إلى ما خوّلَك الله؛ فإنّه مَن أساء إلى شيء مما خوّله الله؛ فإنّه يرصده على الصراط؛ فيتعلّق به. فكم من مؤمن يُرَدّ إلى الصراط للقِصاص؟

يا أبا هريرة؛ على كلّ مسلم صلاة في جوف الليل، ولو قدْر حلْب شاة. ومن صلّى في جوف الليل يريد أن يرضي ربّه ﷻ رضي الله عنه وقضى له حاجته في الدنيا والآخرة. فزعم أبو هريرة قال: قلت: يا رسول الله؛ في أيّ الليل الصلاة أفضل؟ قال: وسط الليل.

يا أبا هريرة؛ إن استطعت أن تلقى اللهَ خفيف الظهر من دماء المسلمين وأموالهم

(١) [البقرة: ٢٠٦]
(٢) ص ٢٩

وأعراضهم فافعل؛ تكن من أوّل المقرَّبين، ولا تتّخذنّ أحدا من خلق الله غرضا؛ فيجعلك الله غرضا لشرر[١] جهنّم يوم القيامة.

يا أبا هريرة؛ إذا ذكرت جهنّم؛ فاستجر بالله منها، ولْيَبْكِ قلبُك منها، ونفسك، ويقشعرّ جلدك منها؛ يُجِرْكَ الله منها.

يا أبا هريرة؛ إذا اشتقتَ إلى الجنّة؛ فاسأل ربّك أن يجعل لك فيها نصيبا ومَقيلا، وليحنَّ[٢] قلبك شوقا إليها، وتدمع عيناك وأنت مؤمن بها؛ إذَنْ يعطيها الله -تعالى- ولا يردّك.

يا أبا هريرة؛ إن شئت أن لا تفارقني يوم القيامة حتى[٣] تدخل معي الجنّة؛ أحببني حبّا لا تنساني، واعلم أنّك إن أحببتني لم تترك ثلاثة[٤]: (الاقتداء بهديي، والشوق إليّ، وكثرة الصلاة عليّ). قلت: فوصل إليّ منها (سرور عظيم)، وارض بقَسْم الله؛ فإنّه من خرج من الدنيا وهو راض بقَسْم الله؛ خرج والله عنه راضٍ، ومَن رضي الله عنه فمصيره إلى الجنّة.

يا أبا هريرة؛ أُؤمُر بالمعروف وانْهَ عن المنكر. قال: كيف آمر بالمعروف وأنْهَى عن المنكر؟ قال: عَلِّم الناس الخيرَ، ولقّنهم إيّاه، وإذا رأيت مَن يعمل بمعاصي الله -تعالى- لا تخافُ سَوْطَه وسيفَه؛ فلا يحلّ أن تجاوزه حتى تقول له: "اتّق الله".

- يا أبا هريرة؛ تعلّم القرآن وعلّمه الناس؛ حتى يجيئَك الموتُ وأنت كذلك؛ وإن كنت كذلك؛ جاءت الملائكة إلى قبرك، وصلّوا عليك، واستغفروا لك إلى يوم القيامة، كما يحجّ المؤمنون إلى بيت الله ﷻ.

- يا أبا هريرة؛ الْقَ المسلمين بطلاقة وجهك، ومصافحة أيديهم بالسلام، إن استطعت أن تكون كذلك حيث كنت؛ فإنّ الملائكة معك -سِوَى حفظتك- يستغفرون لك، ويصلّون

---

(١) رسمها في ق أقرب إلى: لسور
(٢) ق: ولتحن
(٣) ص ٢٩ب
(٤) الحروف المعجمة مهملة

عليك. واعلم أنّه مَن خرج من الدنيا والملائكة يستغفرون له؛ غفر الله له.

- يا أبا هريرة؛ إن أحببتَ أن يُفْشى لك الثناء الحسن في الدنيا والآخرة؛ كُفَّ لسانك عن غيبة الناس؛ فإنّه مَن لم يغتب الناس؛ نصره الله في الدنيا والآخرة. أمّا نُصرته في الدنيا[١]؛ فليس أحد يتناوله إلّا كانت الملائكة تكذِّبهم عنه، وأمّا نُصرته في الآخرة؛ فعفو الله عن قبيح ما صنع، ويتقبّل منه أحسن ما عمل.

- يا أبا هريرة؛ أُغْزُ[٢] في سبيل الله؛ يبسط الله لك الرزق.

- يا أبا هريرة؛ صِلْ رَحِمَكَ؛ يأتِكَ الرزقُ من حيث لا تحتسب، واحجج البيت؛ يغفر الله لك ذنوبَك التي وافيت بها البلد الحرام.

- يا أبا هريرة؛ أعتق الرقاب؛ يعتق الله بكلِّ عضو منه عضوا منك، وفيه أضعاف ذلك من الدرجات.

- يا أبا هريرة؛ أشبع الجائع؛ يكن لك مثل حسناته وحسنات عقِبِه، وليس عليك من سيّئاتهم شيء.

- يا أبا هريرة؛ لا تحقِرنّ من المعروف شيئا تعمله، ولو أن تُفْرِغ مِن دَلْوِكَ في إناء المستقي؛ فإنّه من خصال البِرّ، والبِرُّ كلّهُ عظيم، وصغيره ثوابُه الجنّة.

- يا أبا هريرة؛ مُرْ أهلَك بالصلاة؛ فإنّ الله -تعالى- يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب، ولا يكن للشيطان في بيتك مدخلا ولا مسلكا.

- يا أبا هريرة؛ إذا عطس أخوك المسلم فَشمّته؛ فإنّه يكتب لك به عشرون حسنة. فقلت: يا رسول الله؛ بأبي أنت وأُمّي كيف ذاك؟ قال: إنّك حين تقول له: يرحمك الله؛ تكتب لك

---

(١) ص ٣٠
(٢) رسمها في ق: أغذ

عشر حسنات، وحين يقول لك: يهديك الله[١]؛ تكتب لك[٢] عشر حسنات.

- يا أبا هريرة؛ كن مستغفرا للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات؛ كانوا كلّهم شفعاء لك، وكان لك مثلُ أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

- يا أبا هريرة؛ إن كنت تريد أن تكون عند الله صِدّيقا؛ فآمن بجميع رسل الله، وأنبياء الله، وكتبه.

يا أبا هريرة؛ إن كنتَ تريد أن تحرِّم على النار جسدَك؛ فقل إذا أصبحت وإذا أمسيت: "لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، لا إله إلّا الله له الملك وله الحمد، لا إله إلّا الله والله أكبر، لا إله إلّا الله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله".

يا أبا هريرة؛ لا يحلُّ لك أن تدخل على مَن هو في سكرات الموت، ولو كان نبيّا، حتى تلقّنه شهادة أن لا إله إلّا الله.

يا أبا هريرة؛ مَن لقّن مريضا في سكرات الموت شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، فقالها؛ كان له مثلُ جميع حسناته، فإن لم يقلها؛ فله عتق رقبة بقوله: لا إله إلّا الله.

يا أبا هريرة؛ لقِّن الموتى "شهادة أن لا إله إلّا الله، ربّ اغفر لي" فإنّها تهدم الذنوب هدما. فقلت: يا رسول الله؛ هذا للموتى فكيف للأحياء؟ فقال: هي أهدم وأهدم. قال[٣]: فعدّده رسول الله ﷺ عليّ أكثر من عشرين مرّة، يقول رسول الله ﷺ: أهدم وأهدم.

يا أبا هريرة؛ فإن استطعت أن لا تمطر السماء مطرا إلّا صلّيت عنده ركعتين؛ فإنّك تعطى حسنات بعدد كلّ قطرة نزلت تلك الساعة، وعدد كلّ ورقة أنبتَ ذلك المطرُ.

يا أبا هريرة؛ صَدَّقْ بالماء؛ فإنّه لا يتوضّأ أحدٌ إلّا كان لك مثل حسناته، من غير أن ينقص

(١) ص ٣٠ب
(٢) ق، س: له
(٣) ص ٣١

من حسناته.

يا أبا هريرة؛ أما علمتَ أنّ رجلا غُفر له؛ احتشَّ حشيشا فجاءت بهيمة فأكلته.

يا أبا هريرة؛ قل للناس حُسْنا؛ تفلح يوم القيامة.

يا أبا هريرة؛ عُدْ على المسكين، كافرا كان أو مسلما، فإن كان عُدْت على المسكين الكافر؛ رحمك الله، وأمّا ثوابك إن عُدْتَ على المسكين المسلم؛ فلا أُحسن صفته.

يا أبا هريرة؛ إذا كنت في عيال أبيك، أَوْ أُمِّك، أو ولدك، فلا يحلُّ لك أن تتصدّق منه إلّا بإذنه.

يا أبا هريرة؛ لا يحلُّ لك من مال امرأتك شيء إلّا شيء تعطيك من غير أن تَسألها، وذلك هو قول[1] الله ﷻ: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيًّا مَّرِيًّا﴾[2].

يا أبا هريرة؛ قل للنِّساء: لا يحلُّ لهنّ أن يتصدّقن من بيوت أزواجهنّ شيئا، إلّا بكلّ رطب يَخَفْنَ فسادَه إذا كان غائبا.

يا أبا هريرة؛ عَلِّم الناس سُنَّتي؛ يكن لك النور الساطع يوم القيامة، يغبطك به الأوّلون والآخرون.

يا أبا هريرة؛ كن مؤذِّنا وإماما؛ فإنّك إذا رفعت صوتك بالأذان؛ يُرفع صوتُك حتى يبلغ العرش، فلا يمرّ صوتك على شيء إلّا كان لك بعدده عشر حسنات. ولك إذا كنت إماما بعدد مَن صلّى خلفك، ولك مثلُ صلاتهم، لا يُنقص من صلاتهم شيئا؛ إلّا أن تكون إماما خائنا. قلت: يا رسول الله؛ وكيف الإمام الخائن؟ قال: إذا خصصت نفسك بالدعاء دونهم؛ فقد خُنْتَهم.

يا أبا هريرة؛ لا تضربنّ في أَدبٍ فوق ثلاث؛ فإنّك إن زدتَ فهي قصاص يوم القيامة.

---

(١) ص ٣١ب

(٢) [النساء: ٤]

يا أبا هريرة؛ أَدِّبْ صِغارَ أهل بيتك بلسانك على الصلاة والطهور، فإذا بلغوا عشر سنين فاضرب، ولا تجاوز ثلاثا.

يا أبا هريرة؛ عليك بابن[1] السبيل؛ فقدِّمه إلى أهلك[2]، أو إلى أهله؛ تشيّعك الملائكة إلى الصراط.

يا أبا هريرة؛ جالِس الفقراء؛ فإنّ رحمة الله لا تبعُدُ عنهم طرفة عين.

يا أبا هريرة؛ لا تؤذِ المسلمين في طريقهم؛ فإنّه مَن آذى المسلمين في طُرُقهم؛ ذمَّه المسلمون والملائكةُ جميعا.

يا أبا هريرة؛ إذا مررتَ على أذى في الطريق؛ فغطِّه بالتراب؛ يستر الله عليك يوم القيامة.

يا أبا هريرة؛ إذا أرشدتَ أعمى؛ فخذ يده اليسرى بيدك اليمنى؛ فإنّها صدقة.

يا أبا هريرة؛ مَن مشى مع أعمى مَيْلًا يسدِّده؛ كان له بكلّ ذراع من الميل (عتق رقبة)[3].

يا أبا هريرة؛ أَسْمِع الأصمّ الذي يسألك عن خير؛ يُسْمِعْك الله ما يسرّك يوم القيامة.

يا أبا هريرة؛ أرشِدِ الضالَّ؛ ترشدك الملائكة إلى أحسن المواقف يوم القيامة.

يا أبا هريرة؛ لا ترشد اليهوديّ إلى بَيعته، ولا النصراني إلى كنيسته[4]، ولا الصابئيّ إلى صومعته، ولا المجوسيّ إلى بيت ناره، ولا المشرك إلى بيت وثنِه؛ إذَنْ تكتب عليك مثل خطاياه حتى يَرجع.

يا أبا هريرة[5]؛ لا تُرشِد أحدا إلى حدود الله فيعمل به؛ إذَنْ يكون[1] عليك مثل ذنبه.

---

(١) ق: بأبناء
(٢) ص ٣٢
(٣) ق، س، هـ: "حتى يسمعك الله ما يسرك يوم القيامة" وهو مكرر مع ما سيأتي
(٤) "بيعته.. كنيسته" في ق: "كنيسته.. بيعته"
(٥) ص ٣٢ب

يا أبا هريرة؛ أَرْشد عباد الله إلى مساجد الله، وإلى البلد الحرام، وإلى قبري؛ يكن لك مثلُ أجورهم، ولا ينتقص من أجورهم شيئا.

يا أبا هريرة؛ أبلغ النساء أنّه ليس عليهنّ زيارة قبري، ولكن عليهنّ حجّ بيت الله إذا كان معهنّ مَحْرَمٌ، وإلّا فلا. قلت: يا رسول الله؛ فإن كانت امرأة مثل الحشفة؟ قال: وإن كانت امرأة مثل الحشفة.

يا أبا هريرة؛ إن استطعت أن لا يكون لأحد من الظالمين عليك يدٌ ولا لسانٌ؛ فإنّي أحِبّ لك ذلك.

يا أبا هريرة؛ لا يكن أمير مَن أمرِك إلّا أميرا يعدل مثل ما[2] تعدل أنت، فإن عدلت أنت وجار هو؛ كنت أنت شريكه في الإثم، ولم تكن شريكه في الأجر.

يا أبا هريرة؛ إن كان لك مالٌ وَجَبت عليه زكاة فزكّه، فإن أصابته آفة وقد زكّيته مرّة واحدة؛ فهو يجزيه إلى يوم القيامة.

يا أبا هريرة؛ إذا لقيت اليهوديّ والنصرانيّ فلا تصافحه وأنت على وضوء، فإن فعلت فأعِد الوضوء.

يا أبا هريرة؛ لا تُكَنِّي اليهوديَّ، والمجوسيَّ[3]، والنصرانيّ، ولكن سَمِّه باسمه؛ فإنّك والله تذلّه بذلك، ولا يحلّ لك أن تكرمه؛ إنما لهم من العهد والذمّة أن لا تؤخَذْ أموالهم إلّا بطيب أنفسهم، ولا تُدْخَل بيوتهم إلّا بإذنهم، ولا تُحَلْ بينهم وبين أطفالهم، ولا يُخانون في نسائهم؛ فبذلك آمُرُك لتعرف الملّة.

---

(١) مصحفة، وكانت: يكتبون

(٢) "مثل ما" كانت في ق: "كما" وصححت بقلم الأصل

(٣) ص ٣٣

يا أبا هريرة؛ إذا خلوتَ بنصرانيّ، أو يهوديّ، أو مجوسيّ؛ فلا يحلّ لك أن تفارقه حتى تدعوه إلى الإسلام.

يا أبا هريرة؛ لا تجادلنّ أحدا منهم؛ فعسى أن يأتيك بشيء من التنزيل؛ فتكذّبه، أو تجيء بشيء فيكذّبك، لا يكون من حديثك إلّا أن تدعوه إلى الإسلام، وهو قول الله -تعالى-: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1] الدعاء إلى الإسلام.

يا أبا هريرة؛ صَلِّ -إماما كنت أو غير إمام- في ثوب واحدٍ إن كان صفِيقا[2].

يا أبا هريرة؛ أتريد أن يكون أجرك كأجر شهداء بدر؟ انظر رجلا مسلما ليس له ثوب يجمّع فيه يوم الجمعة؛ فأعِزْهُ ثوبَك أو هَبْهُ له.

- يا أبا هريرة؛ أتريد أن لا تسمع حسيس النار، ولا يقع بك شررُها؟ فأغِثْ مَن استغاث بك: حريقٌ كان، لِصٌّ كان، سَيْلٌ كان، غريق كان، هدْمٌ كان.

- يا أبا هريرة[3]؛ نفّس عن المكروبين والمغمومين؛ تخرج من غَمِّ يوم القيامة.

- يا أبا هريرة؛ امْشِ إلى غريمك بحقّه؛ تشيّعك الملائكة بالصلاة عليك.

- يا أبا هريرة؛ مَن عَلِمِ اللهُ منه أنّه يريد قضاء دَيْنِه؛ رزقه الله من حيث لا يحتسب، وهيّأ له قضاء دَيْنِه، في حياته أو بعد موته.

- يا أبا هريرة؛ مَن أصاب مالا حلالا، وأدّى زكاته، ثمّ ورّثه عقِبه؛ فكلّ ما يصنع فيه ورثته من الحسنات؛ فله مثل ذلك من غير أن ينقص من أجورهم.

- يا أبا هريرة؛ مَن قذف محصَنا أو محصَنة؛ حُبِس يوم القيامة في وادي خبال هناك؛ حتى

---

(١) [النحل: ١٢٥]
(٢) صفيق: متين، جيد النسج
(٣) ص ٣٣ب

يخرج أو يجيء ببيان ما قال. قال: قلت: يا رسول الله؛ وما[1] وادي خبال؟ قال: وادي خبال وادٍ في[2] جهنّم، يسيل فيه قَيْحُهم، وما يخرج من أجوافهم.

- يا أبا هريرة؛ مَن مات وعليه دَيْنٌ، وتَرك وفاءَ ذلك، فجَحَدهم ورثتُه، وليس لهم عليه بيّنة، ولم يَعلم الله منه أنّه يريد قضاءه؛ فهو قصاص من حسناته يوم القيامة.

- يا أبا هريرة؛ المقتولُ في سبيل الله؛ يُغفر له جميع ذنوبه؛ إلّا دَيْنا، أو قذفَ محصنة[3] أو محصَن.

- يا أبا هريرة؛ كلُّ ذنب غَمٌّ يوم القيامة. فَرُبَّ ذنب له ثارة من الغمِّ، وربَّ غَمٍّ له ثارات، ولا ذنبَ على المسلم أطولُ ثارات من مظلمة الدم، أو مال، أو عِرض.

- يا أبا هريرة؛ مَن أصاب شيئا من ذلك، فتاب إلى الله ﷻ قبل موته، واستكان، وتضرَّع، وليس عنده إذن تلك المظلمة؛ فإنّ على الله أن يرضي خصماءه يوم القيامة مِن عنده بما شاء.

- يا أبا هريرة؛ إن ظلمَك إنسان؛ فلا تَشْكه، ولا تُسَمِّع به الناس، وتعرّفهم حالته؛ تكون أنت وهو سَوَاء.

- يا أبا هريرة؛ مَن عفا عن مظلمةٍ صغيرة أو كبيرة؛ فأجره على الله، ومَن كان أجره على الله؛ فهو من المقرَّبين الذين يدخلون الجنة مُدخلا.

- يا أبا هريرة؛ لا تروِّع أحدا من خلق الله ﷻ؛ فتروِّعك ملائكة الله في الآخرة يوم القيامة.

- يا أبا هريرة؛ أتريد أن تكون عليك رحمة الله حيّا، وميّتا، ومقبورا، ومبعوثا؟ فقم بالليل، وصَلِّ، وأنت تريد به رضاء ربّك، ثمّ مُرْ أهلك يصلّون، إذا فرغوا يوقظونك؛ فإنّه إذا مرّ عليك من الليل ثلاث ساعات، ومن النهار ثلاث ساعات، وفي بيتك من يعبد الله؛ أعطاك الله مثل

(١) أثبت حرف الفاء فوق الواو لتقرأ: فما
(٢) "واد في" في ق: "وادي"
(٣) ص ٣٤

ذلك.

- يا أبا هريرة؛ صَلِّ في زوايا بيتك جميعا؛ يكون نور بيتك في السماء؛ كنور الكواكب والنجوم[1] في السماء عند أهل الدنيا.

- يا أبا هريرة؛ احمل غداءك وعشاءك إلى أقاربك المحتاجين؛ يكن لك في كلِّ خير يقسمه الله من أوليائه وأحبّائه في الدنيا والآخرة سهمٌ وافر.

- يا أبا هريرة؛ ارحم جميع خلق الله؛ يرحمك الله من النار يوم القيامة. قال: قلت: يا رسول الله؛ إنّي لأرحم الذباب يكون في الماء. فقال له رسول الله ﷺ: رحمك الله، رحمك الله، رحمك الله.

- يا أبا هريرة؛ إذا نزلتْ بك مصيبة؛ فارْضَ بما أعطاك الله، وليعلم الله منك أنّ ثوابَ المصيبة أحبُّ إليك من المصيبة؛ يعطِك الله الصلاة، والرحمة، والهدى.

- يا أبا هريرة؛ عَزِّ الحزين كما تحبُّ أن تُعزَّى، واذكر ثواب ما أعدّ الله على المصيبة؛ تُعْطَ بكلِّ خطوةٍ خطوتَ عِتق رقبة.

- يا أبا هريرة؛ إذا مررتَ بجمع نساء فلا تسلِّم عليهنّ؛ فإن بدأنَكَ بالسلام فاردد عليهنّ.

- يا أبا هريرة؛ إذا سَلَّمَ المسلم على المسلم فَرَدَّ عليه؛ صَلَّتْ عليه الملائكة سبعين مرّة.

- يا أبا هريرة؛ الملائكة تتعجّب من المسلم يلقى المسلم فلا يسلِّم عليه.

- يا أبا هريرة؛ تعوَّد التسليم؛ فإنّه خصلة من خصال الجنّة، وهو تحيّة[2] أهل الجنّة. قال ابن شاهين: "وهي تحيّة أهل الجنّة يوم القيامة".

(١) ص ٣٤ب
(٢) ص ٣٥

- يا أبا هريرة؛ أَصبحْ وأَمْسِ ولسانك رطبٌ من ذِكْر الله؛ تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة.

- يا أبا هريرة؛ إنّ الحسنات يُذهبن السيّئات كما يُذهب الماءُ الوسخَ.

- يا أبا هريرة؛ استر عورةَ أخيك؛ يكن الله لك ناصرا.

- يا أبا هريرة؛ انصر أخاك واستر عليه قبل أن يُرفعَ إلى السلطان في حدٍّ من حدود الله، (فإن رُفِع إلى السلطان) فإيّاك أن تباشر له بنفسك ومالِك؛ فإنّه مَن حالتْ شفاعته دون حدٍّ من حدود الله فهو كذا وكذا.

* * *

وصيّة: (مَن حاسب نفسه ربح)

قال بعض العلماء في وصيّة أَوصى بها: "اعلم أنّه مَن حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومَن نظر إلى العواقب نجا، ومَن اعتبر أبصر، ومَن فهم علِم، وفي التواني والإفراط تكون الهلكة، وفي التأنّي السلامة والبركة، وزارع البرِّ يحصد السرور، والقليل مع القناعة خيرٌ من الكثير مع السرف، الشرفُ في الذلِّ، والتّقوى نجاة، والطاعة مُلْك، وحليف الصدق موفَّق، وصاحب الكذب مخذول، وصديق الجاهل تَعِب(1)، ونديم العاقل مغتبِط.

فإذا جهلتَ فاسأل، وإذا ندمتَ فأقلِع، وإذا غضبت فاحْلُم، وإن ائتمنتَ فاكتم، ومَن كافأك بالشكر فقد أَدّى إليك الصنيعة، ومَن أقرضك الثناء فاقضِه الفِعل، ومَن بدأك ببِرّه شغلك بشكره.

فتفهّم ما وفد منّي إليك، واجعله ممثَّلا بين عينيك؛ فإنّ الذي أفدتُك من وصيّتي؛ أبلغ في رِفْدك من عطيّتي، وضع الصنائع عند الكرام ذوي الأحساب، ولا تضعنّ معروفك عند اللئام؛ فتضيّعه؛ فإنّ الكريم يشكر لك، ويرصد لك المكافأة، واللئيم يحسب ذلك خوفا، ويَؤول أمرك معه إلى المذمّة". وقال الشاعر(2):

---

(1) ص ٣٥ب

(2) الشاعر هو صالح بن عبد القدوس (ت ١٦٠هـ) [انظر أبو هلال العسكري؛ جمهرة الأمثال ١٥٤٧]

إذا أَوْلَيْــتَ مَعْرُوفًــا لَئِيْمًــا يَعُــدَّكَ قَــدْ قَتَلْــتَ لَهُ قَتِـيْلَا
فَكُنْ مِـنْ ذَاكَ مُعْتَـذِرًا إِلَيْـهِ وَقُــلْ إِنِّي أَتَيْتُــكَ مُسْــتَقِيْلَا
فـإِنْ تَغْفِـرْ فَمُجْتَرَمِـي عَظِـيْمٌ وإِنْ عاقَبْـتَ لَـمْ تَظْـلِمْ فَتِـيْلَا
وإِنْ أَوْلَيْــتَ ذَلِكَ ذَا وَفَــاءٍ فَقَدْ أَوْدَعْتَـهُ شُـكْرًا طَـوِيْلَا[1]

* * *

ومن[2] الوصايا: (إيّاك أن تكون في المعرفة مدّعيا..)

أَوصى بعضُ العارفين بالله إنسانا، فقال: "إيّاك أن تكون في المعرفة مدّعيا، وتكون بالزهد متحرِّفا، أو تكون بالعبادة متعلِّقا". فقيل له: يرحمك الله؛ فسِّر لنا ذلك؟ فقال: "أما علمتَ أنّك إذا أشرت في المعرفة إلى نفسك بأشياء أنت معرًّى عن حقائقها؛ كنت مدّعيا، وإذا كنتَ بالزهد موصوفا بحاله وبك دون الأحوال؛ كنتَ محترفا، وإذا علَّقتَ قلبك بالعبادة، وظننتَ أنّك تنجو من الله بالعبادة، لا بالله في العبادة؛ كنت بالعبادة متعلِّقا".

* * *

وصيّة نبويّة

قال رسول الله ﷺ في وصيّته لأبي هريرة: عليك -يا أبا هريرة؛- بطريق أقوام: إذا فزع الناس؛ لم يفزعوا، وإذا طلب الناسُ الأمان من النار؛ لم يخافوا. قال أبو هريرة: مَن هم يا رسول الله؛ حَلِّهم، وصِفْهم لي؛ حتى أَعرفهم؟ قال: قوم من أمّتي في آخر الزمان، يحشرون يوم القيامة محشر الأنبياء، إذا نظر إليهم الناس ظنّوهم أنبياء مما يرون من حالهم، حتى أُعرّفهم أنا، فأقول: أُمّتي أُمّتي؛ فتعرف الخلائق أنّهم ليسوا أنبياء. فيمرّون مثل[3] البرق والريح، تعشى أبصارُ أهل الجمع مِن أنوارهم.

(١) أضاف في الهامش بقلم الأصل: وقال: إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا
(٢) ص ٣٦
(٣) ص ٣٦ب

فقلت يا رسول الله؛ مُرني بمثل عملهم؛ لعلّي ألحق بهم. فقال: يا أبا هريرة؛ ركب القوم طريقا صعبا؛ لحقوا بدرجة الأنبياء: آثروا الجوع بعد ما أشبعهم الله، والعريَ بعد ما كساهم، والعطش بعد ما أرواهم، تركوا ذلك رجاء ما عند الله؛ تركوا الحلال مخافة حسابه، صحبوا الدنيا بأبدانهم، ولم يشتغلوا بشيء منها، عجِبَت الملائكةُ والأنبياءُ من طاعتهم لربّهم، طوبى لهم، طوبى لهم، وددتُ أنّ الله جمع بيني وبينهم.

ثمّ بكى رسول الله ﷺ شوقا إليهم، ثمّ قال: إذا أراد الله بأهل الأرض عذابا؛ فنظر إليهم؛ صرف العذاب عنهم. فعليك -يا أبا هريرة؛- بطريقتهم؛ فمن خالف طريقتهم تَعِب في شدّة الحساب.

* * *

وصيّة

كتبتُ إلى بعض معارفنا بوصيّة ضمّنْتُها أبياتا أُحرّضه فيها على تكملة إنسانيّته، وهي:

إنْ تَكُــنْ رَوْحًــا وَرَيْحَــانا ... كُنْتَ بَيْنَ الناسِ إنْسـانا
إنّمَــــا أَعْطـــاكَ صُــــوْرَتَهُ ... لِتَكُنْ فِي الخَلْقِ رَحْمَانا
فـالذِي[1] قَـدْ حَـازَ صُوْرَتَهُ ... حـازَ مـا يـأْتِي وَمَـا كَانا
والذِي فِي الغَيْـبِ مِـنْ عَجَـبٍ ... والذِي قَــدْ جَــاءَهُ الآنا
والذِي يَــــدْعُوهُ خالِقُــــهُ ... إِنَّمَـا يَـدْعُوهُ مِحْسـانا

(١) ص ٣٧

وأوصى بعض الصالحين إنسانا، فقال: أكثِر مساءلةَ الحكماء، وليكن أوّل شيء تسأل عنه: العقل؛ لأنّ جميع الأشياء لا تدرَك إلّا بالعقل، ومتى أردتَ الخدمة لله فاعقل لمن تخدم، ثمّ اخدم.

سأل إبراهيم الأخميّ ذا النون أن يوصيه بوصيّة يحفظها عنه. قال: وتفعل؟ قال إبراهيم: قلت: نعم -إن شاء الله- فقال: يا إبراهيم؛ احفظ عنّي خمسا؛ فإن أنت حفظتهنّ لم تبال ماذا أصبتَ بعدهنّ. قلت: وما هنّ -رحمك الله-؟ قال: عانِق الفقر، وتوسَّد الصبر، وعادِ الشهوات، وخالِف الهوى، وافزع إلى الله في أمورك كلّها؛ فعند ذلك يورثك الشكرَ والرضا، والخوفَ، والرجاء، والصبر.

وتورثك هذه الخمسةُ خمسةً: العلم، والعمل، وأداء الفرائض، واجتناب المحارم، والوفاء[١] بالعهود.

ولن تصل إلى هذه الخمسةِ إلّا بخمسٍ: عِلم غزير، ومعرفة شافية، وحكمة بالغة، وبصيرة نافذة، ونفس راهبة.

والويل كلّ الويل لمن بُلِي بخمسٍ: حرمان، وعصيان، وخذلان، واستحسان النفس بما يسخط الله، والإزراء على الناس بما يأتي.

وأقبح القبح خمسٌ: قبح الفِعال، ومساوئ الأعمال، وثقل الظهور بالأوزار، والتجسُّس على الناس بما لا يحبّ الله، ومبارزة الله بما يكره.

وطوبى ثمّ طوبى لمن أخلص خمسة (وخمسة): من أخلص عِلمه وعمله، وحبّه وبغضه، وأخذه وعطاه، وكلامه وصمته. وقوله وفعله.

واعلم -يا إبراهيم- أنّ وجوه الحلال خمسة: تجارة بالصدق، وصناعة بالنصح، وصيدُ البرّ والبحر، وميراثٌ حلالُ الأصل، وهديّةٌ مِن موضع ترضاها.

---

(١) ص ٣٧ب

فكلّ الدنيا فضول إلّا خمسة: خبز يشبعك، وماء يرويك، وثوب يسترك، وبيت يكنّك، وعلم تستعمله.

وتحتاج أيضا أن يكون معه خمسة أشياء: الإخلاص، والنيّة، والتوفيق، وموافقة الحقّ، وطيب المطعم والملبس.

وخمسة أشياء فيها الراحة: تَرْك قرناء السوء، والزهد في الدنيا، والصمت، وحلاوة الطاعة؛ إذا غبتَ عن أعين المخلوقين[1]، وترك الإزراء على عباد الله؛ حتى لا ترى أحدا يعصي الله.

وعندها يسقط عنك خمس: المراء، والجدال، والرياء، والتزيّن، وحبّ المنزلة.

وخمسٌ فيهنّ جمع الهمّ: قطع كلِّ علاقة دون الله، وترك كلّ لذّة فيها حساب، والتبرُّم بالصديق والعدوّ، وخفّة الحال، وترك الادّخار.

وخمسٌ -يا إبراهيم- يتوقّعهن العالم: نعمة زائلة، أو بليّة نازلة، أو ميتة قاضية، أو فتنة قاتلة، أو تَزِلّ قدمٌ بعد ثبوتها.

حسبك -يا إبراهيم- إن عمِلت بما علّمتُك.

---

(١) ص ٣٨

منظوم لأبي العتاهية في هذا الباب

مـــا أَنا إلّا لِمَـــنْ بَغَـــانِي ... أَرَى خَلِـــيْلِي كَمَا يَـــرَانِي
لَسْتُ أَرَى ما مَلَكْتُ طَرْفِي ... مَكانَ مَـنْ لا يَـرَى مَكانِي
فَـــلِي إِلَى أَنْ أَمُـــوتَ رِزْقٌ ... لَوْ جَهِدَ الخَلْقُ ما عَدَانِي
فاسْـتَغْنِ بِاللهِ عَـنْ فُـلانٍ ... وَعَـنْ فُـلانٍ وَعَـنْ فُـلانِ
فالمَـــالُ[1] مِـــنْ حِـــلِّهِ قِـــوامٌ ... لِلعِـرْضِ والوَجْـهِ واللِّسـانِ
والفَقْـــــرُ ذُلٌّ عَلَيْــــهِ بابٌ ... مِفْتاحُـهُ العَجْـزُ والتَّـوَانِي
وَرِزْقُ رَبِّي لَهُ وُجُـــــــوهٌ ... هُـنَّ مِـنَ اللهِ فِي ضَمَـانِ
سُـبْحانَ مَـنْ لَـمْ يَـزَلْ عَلِيًّـا ... لَـيْسَ لَهُ فِي العُلُـوِّ ثَانِ[2]
قَضَـــى عَـلَى خَلْقِـهِ المَنـايا ... فَـكُلُّ حَيٍّ سِـــوَاهُ فَـــانِ
يا رَبِّ لَـمْ نَبْـكِ مِـنْ زَمـانٍ ... إِلّا بَكَيْـــتُ عَـــلَى زَمَـــانِ

نصيحة عُمَرِيّة

قال عمر بن الخطاب ﵁: مَن أظهر للناس خشوعا فوق ما في قلبه؛ فإنما أظهر نفاقا على نفاق.

* * *

موعظة تتضمّن وصيّة ونصيحة نبويّة

قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن تواضع في[3] غير منقصة، وذلّ في نفسه في غير مسكنة، وأنفق من مالٍ جمعه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذلّة والمسكنة. طوبى لمن طاب كَسْبُه، وصلحتْ سريرتُه، وكَرُمَتْ علانيّته، وعزل عن الناس شرَّه. طوبي لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله».

---

(١) ص ٣٨ب
(٢) كتب في الهامش بقلم آخر: "بلغ"
(٣) ص ٣٩

وصيّة الفضيل بن عياض أميرَ المؤمنين

روينا أنّ أمير المؤمنين هارون الرشيد حجّ ومعه الفضل بن الربيع، قال: أتاني أمير المؤمنين، فخرجت إليه مسرعا، فقلت: يا أمير المؤمنين؛ لو أرسلتَ إليّ لأتيتك! فقال: ويحك، قد كان ذلك في نفسي، فانظر لي رجلا أسأله؟ فقلت: هاهنا سفيان بن عيينة. فقال: امض بنا إليه. فأتيناه، فقرعت الباب، فقال: مَن ذا؟ فقلت[1]: أجب أمير المؤمنين. فخرج مسرعا، فقال: يا أمير المؤمنين؛ لو أرسلتَ إليّ لأتيتُك. قال له: خذ لما جئناك له -رحمك الله- فحدّثه ساعة. ثمّ قال له: عليك دَيْن؟ قال: نعم. فقال: اقض دَيْنَه. فلمّا خرجنا قال: ما أغنى عنّي صاحبُك شيئا. انظر[2] لي رجلا أسأله. فقلت: هاهنا عبد الرزّاق، فذكر مثل ما جرى له مع سفيان، وقال: ما أغنى عنّي صاحبُك شيئا. انظر لي رجلا أسأله.

فقلت: هاهنا الفضيل بن عياض، فقال: امشِ بنا إليه. فإذا هو قائم يصلّي، يتلو آية من القرآن يردِّدها. قال: اقرع الباب. فقرعتُ، فقال: مَن هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين. فقال: ما لي ولأمير المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله! أما (له) عليك طاعة؟ فنزل، ففتح الباب، ثمّ ارتقى إلى الغرفة؛ فأطفأ السراج، ثمّ التجأ إلى زاوية من زوايا البيت. فدخلنا، فجعلنا نجول عليه بأيدينا، فسبقتْ كفُّ أمير المؤمنين قبلي إليه. فقال: يا لها من كفٍّ ما ألينها إن نَجَتْ غدا من عذاب الله ﷻ! فقلت في نفسي: لَيُكلّمنه الليلة بكلامٍ مِن قلب نقيّ.

فقال له (الخليفة): خذ لما جئناك له -رحمك الله-. فقال له: إنّ عمر بن عبد العزيز لَمّا وَلِيَ الخلافةَ دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إنّي قد ابتُليت بهذا البلاء؛ فأشيروا عليّ؟ فعَدَّ الخلافة بلاء، وعددتَها أنت وأصحابك نعمة. فقال له سالم بن عبد الله: إن أردتَ النجاة من عذاب الله؛ فَصُم[3] الدنيا، وليكن فطرك الموت. وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله؛ فليكن كبير المسلمين عندك أبًا، ووسطهم

(١) ق، س، ه: فقال
(٢) ص ٣٩ب
(٣) ص ٤٠

عندك أخًا، وأصغرهم عندك ولدا؛ فوقِّر أباك، وأكرم أخاك، وتحنّن على ولدك. وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غدا من عذاب الله؛ فأحبّ للمسلمين ما تحبّ لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثمّ مت إذا شئت.

وإنّي أقول لك: يا هارون؛ إنّي أخاف عليك أشدّ الخوف يوم تزلّ فيه الأقدام؛ فهل معك -رحمك الله- مَن يشير عليك بمثل هذا؟ فبكى هارون بكاء شديدا حتى غشي عليه. فقلت له: أرفق بأمير المؤمنين! فقال لي[1]: تقتله أنت وأصحابُك، وأرفقُ به أنا! ثمّ أفاق، فقال له: زدني -رحمك الله-. فقال: يا أمير المؤمنين؛ بلغني أنّ عاملا لعمر بن عبد العزيز شكا إليه، فكتب إليه: يا أخي؛ أُذَكِّرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإيّاك أن يُنصرف بك من عند الله ﷻ؛ فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء. فلمّا قرأ الكتابَ؛ طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز. فقال له: ما[2] أخرجك؟ قال: خلعتَ قلبي بكتابك؛ لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله ﷻ.

قال: فبكى هارون بكاء شديدا، ثمّ قال: زدني -رحمك الله- فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ العباس عمّ المصطفى ﷺ جاء إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله؛ أَمِّرني على إمارة؟ فقال له: إنّ الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميرا فافعل. فبكى هارون بكاء شديدا، وقال له: زدني -رحمك الله- قال: يا حسن الوجه! أنت الذي يسألك الله ﷻ عن هذا الخلق يوم القيامة؛ فإن استطعت أن تقي هذا الوجه؛ فافعل، وإيّاك أن تصبحَ وتمسيَ وفي قلبك غشٌّ لأحد من رعيّتك؛ فإنّ النبيّ ﷺ قال: «من أصبح لهم غاشًّا؛ لم يَرح رائحة الجنّة».

فبكى هارون، وقال له: عليك دَيْن؟ قال: نعم! دَيْن لربّي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم أُلْهَم حجّتي. قال: إنما أعني من دَيْن العباد؟ قال: إنّ ربّي لم يأمرني بهذا، وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾[3] فقال له: هذه ألف دينار؛

---

(١) ق: له

(٢) ص ٤٠ب

(٣) [الذاريات: ٥٨]

خذها[1]، وأنفقها على عيالك، وتقوّى بها على عبادتك. فقال: سبحان الله! أنا أدلّك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا؟ سلّمك الله، ووفّقك. ثمّ صَمَتَ فلم يكلّمنا.

فخرجنا من عنده، فلمّا صرنا على الباب، قال لي هارون: إذا دللتني على رجل؛ فدلّني على مثل هذا؛ هذا سيّد المسلمين. فدخلتْ عليه امرأةٌ من نسائه، فقالت له: يا هذا؛ قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قَبِلتَ هذا المالَ؛ لفرّجت عنّا به. فقال لها: مَثَلي ومَثَلكم كَمَثَل قومٍ كان لهم بعير يأكلون مِن كسْبِه، فلمّا كبر نحروه؛ فأكلوا لحمه. فلمّا سمع هارون هذا الكلام، قال: تدخل؛ فعسى أن يقبل المال. فلمّا عَلِم الفضيل خَرَج، فجلس في السطح على باب الغرفة. فجاء هارون، فجلس إلى جنبه، فجعل يكلّمه ولا يجيبه. فبينا نحن كذلك؛ إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا؛ قد آذيت الشيخ هذه الليلة، فانصرِف -رحمك الله-. فانصرفنا.

وقال رجلٌ لذي النون المصري: دلّني على طريق الصدق والمعرفة. فقال: يا أخي؛ أَدِّ إلى الله صِدقَ حالِك التي أنت عليها على موافقة الكتاب والسنّة، ولا تَرْقَ حيث لا تُرقى فتزلّ قدمُك؛ فإنّه إذا دُلَّ بك لم تسقط، وإذا ارتقيتَ أنت تسقط، وإيّاك أن تترك ما تراه يقينا لما ترجوه شَكًّا.

* * *

وصيّة[2] مشفق ناصح

ليكن آثر الأشياء عندك وأحبّها إليك إحكام ما افترض الله عليك، واتّقاء ما نهاك عنه؛ فإنّ ما تعبّدك الله به خيرٌ لك وأفضل مما تختاره لنفسك من أعمال البِرّ التي لم تجب عليك، وأنت ترى أنّها أبلغ لك فيما تريد، كالذي يؤدِّب نفسه بالفقر والتقلّل وما أشبه ذلك، إنما ينبغي للعبد أن يراعي أبدا ما وجب عليه من فرضٍ فيحكمه على تمام حدوده، وينظر إلى ما نهي عنه فيتّقيه على إحكام ما ينبغي.

(١) ص ٤١

(٢) ص ٤١ب

فالذي قطع العباد عن ربّهم ﷻ وقطعهم (عن) أن يرزقوا حلاوة الإيمان، وعن أن يبلغوا حقائق الصدق، وحجب قلوبهم من النظر إلى الآخرة، وما أعدّ الله فيها لأوليائه وأعدائه حتى يكونوا كأنّهم مشاهدون؛ إنما قطعَهم تَهاوُنُهم عن إحكام ما فرض عليهم في قلوبهم، وأسماعهم، وأبصارهم، وألسنتهم، وأيديهم، وأرجلهم، وبطونهم، وفروجهم. ولو وقفوا على هذه الأشياء وأحكموها؛ لأدخل عليهم البِرّ إدخالا، يُعْجِز أبدانَهم وقلوبَهم عن حمل ما رزقهم من حسن معونته وفوائد كرامته؛ ولكن أكثر القرّاء والنسّاك حقّروا محقَّرات الذنوب، وتهاونوا بالقليل منها، ومما فيهم من العيوب؛ فَحُرِموا لذّة[1] ثواب الصادقين في العاجل. وأستغفر اللهَ مما نقول ولا نفعل.

* * *

وصيّة عبد الله المغاور

وكان رجلا كبيرا من أهل لَبْلَة، من أعمال أشبيلية بغرب الأندلس، كان سبب رجوعه إلى طريق الله أنّ الموحِّدين لما دخلوا لَبْلَة رَمَتْ امرأةٌ عليه نفسَها وقالت له: احملني إلى أشبيلية وأزلني من أيدي هؤلاء القوم. فأخذها على عنقه، وخرج بها. فلمّا خلا بها، وكان من الشطّار الأشِدّاء، وكانت المرأة ذاتَ جمال فائق؛ فدعته نفسه إلى وقاعها. فقال: يا نفسي هي أمانة بيدي، ولا أحبّ الخيانة، وما هذا وفاء مع صاحبها، فأبتْ عليه نفسه إلّا الفعل. فلمّا خاف على نفسه؛ أخذ حجرا وجعل ذَكَرَه عليه وهو قائم، وأخذ حجرا آخر فقال به عليه؛ فرضخه بين الحجرين، فقال: يا نفسي؛ النار ولا العار؛ فجاء منه واحِدُ زمانه، وخرج من حينه يطلب الحجّ، فأقام بالإسكندريّة إلى أن مات بها. أدركتُه ولم أجتمع به.

فأخبرني أبو الحسن الأشبيلي قال: أوصاني عبد الله المغاور، فقال لي: يا أبا الحسن؛ آمرك بخمس، وأنهاك عن خمس: آمرُك باحتمال أذى الخلق، وترك أذى الخلق، وإدخال الراحة على الإخوان، وأن تكون أُذنًا لا لسانا، أي اسمع أكثر مما تتكلّم[2] به، والخامس أن تكون مع الناس على نفسك. وأنهاك عن معاشرة النساء، وحبّ الدنيا، وحبّ الرئاسة، وعن الدّعوى، وعن

(١) ص ٤٢
(٢) ص ٤٢ب

الوقوع في رجال الله.

* * *

وصيّة حكيم -رويناها من حديث ابن مروان المالكي- في المجالسة

قال: ثنا ابن أبي الدنيا، قال: سمعتُ محمد بن الحسين يقول: قال حكيم لحكيم: أوصني. فقال: اجعل الله همّك، واجعل الحزن على قدر ذنبك، فكم مِن حزينٍ وقف به حُزنه على سرور الأبد، وكم مِن فَرِحٍ نقلَه فرحُه إلى طول الشقاء.

* * *

وصيّة نبويّة رويناها من حديث أبي الدرداء

قال: قال رسول الله ﷺ: «توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا، وَصِلُوا الذي بينكم وبين ربّكم تُسعدوا، وأكثِروا الصدقة تُرزقوا، وأْمروا بالمعروف تُخصبوا، وانهوا عن المنكر تُنصروا. أيّها الناسُ؛ إنّ أكيَسَكم أكثرُكم للموت ذِكْرا، وأَحزَمَكم أَحسنُكم له استعدادا، ألا وإنّ من علامات العقل: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزوّد لسكنى القبور، والتأهّب ليوم النشور».

* * *

وأنشد[١] بعضهم:

كُنَّا عَلَى ظَهْرِهَا والدَّهْرُ فِي مَهَلٍ ... والعَيْشُ يَجْمَعُنا والدَّارُ والـوَطَنُ

فَفَرَّقَ الدَّهْرُ بِالتَّصْرِيْفِ أُلْفَتَنا ... واليَوْم يَجْمَعُنَا فِي بَطْنِهَا الكَفَنُ

* * *

وصيّة الجرهمي عمرو بن لحيّ بالحرم

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[٢] فكان ابن عباس يسكن

(١) ص ٤٣
(٢) [الحج: ٢٥]

الطائف لأجل ذلك، وثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «احتكارُ الطعام بمكة إلحادٌ فيه»

قال الجرهمي يخاطب عمرو بن لحيّ يوصيه:

يا عَمْرُو لا تَظْلِمْ بِمَكَّةَ إِنَّهَا بَلَدٌ حَرَامْ

سائِلْ بِعادٍ أَيْنَ هُمْ وكَذاكَ يُخْتَرَمُ[1] الأَنامْ

ومِنَ العَمَالِيْقِ الذِيْنَ لَهُمْ بِهَا كانَ السَّدَامْ[2]

* * *

(ومن وصايا ذي النون)

ومن وصايا ذي النون بعضَ الفتيان: يا فتى؛ خذ لنفسك بسلاح الملامة، واقمعها بِرَدِّ الظلامة؛ تلبس غدا سرابيل السلامة. واقصرها في روضة الأمان، وذوّقها مضض فرائض الإيمان؛ تظفر بنعيم الجنان. وجرِّعها كأس الصبر[3]، ووطِّنها على الفقر؛ حتى تكون تامّ الأمر. فقال له الفتى: وأيُّ نفس تقوى على هذا؟ فقال: نفسٌ على الجوع صبرتْ، وفي سربال الظلام خطرتْ، نفسٌ ابتاعت الآخرة بالدنيا بلا شرط ولا ثنيا، نفس تدرّعتْ رهبانيّة القلق، ورعتْ الدجى إلى واضح الفلق، فما ظنّك بنفس في وادي الحنادس[4] سلكتْ، وهجرت اللذّات فملكتْ، وإلى الآخرة نظرتْ، وإلى العيناء أبصرتْ، وعن الذنوب أَقصرتْ، وعلى النّزر من القوت اقتصرتْ، ولجيوش الهوى قهرتْ، وفي ظلام الدياجي زهرتْ؛ فهي بقناع الشوق مختمرة، وإلى عزيزها في غلس الدجى مشمِّرة، قد نبذت المعايش[5]، ورعت الحشائش، هذه نفس خدوم، عملت ليوم القُدوم، وكلّ ذلك بتوفيق الحيّ القيّوم.

---

(١) يخترم: يهلك ويفنى.
(٢) السدام: الندم
(٣) ص ٤٣ب
(٤) الحندس: المظلم
(٥) رسمها في ق أقرب إلى: "المعاشر" والترجيح من هـ، س

وصيّة ذي النون أخاه الكِفْل

قال له: يا أخي؛ كن بالخير موصوفا، ولا تكن للخير وصّافا.

* * *

وصيّة نبويّة حدّثنا بها محمد بن قاسم بمدينة فاس

قال: ثنا هبة الله بن مسعود، ثنا محمد بن بركات، ثنا محمد بن سلامة بن جعفر، ثنا هبة الله بن إبراهيم الخولاني، ثنا علي بن الحسين بن بندار، ثنا إسماعيل بن أحمد بن[1] أبي حازم، ثنا أبي، ثنا عمرو بن هاشم، أنا سليمان بن أبي كريمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة؛ أحسِن مجاورة مَن جاورك تكن مسلما، وأحسِن مصاحبة مَن صاحبك تكن مؤمنا، واعمل بفرائض الله تكن عابدا، وارض بقِسم الله تكن زاهدا».

* * *

وصيّة محكمة في موعظة منظمة لأبي العتاهية

أَلَا إِنَّ خَـيْرَ الذُّخْـرِ خَـيْرٌ تُنِـيْلُهُ ... وشَرَّ كَلَامِ القَــائِلِيْنَ فُضُــولُهُ
أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ المَـرْءَ فِي دارِ بُلْغَـةٍ ... إِلَى غَيْرِها والمَوْتُ فِيْهَا سَبِيْلُهُ
وأَيُّ بَــلاغٍ يُكْتَفَــى بِكَثِــيْرِهِ ... إذا كانَ لا يَكْفِيْكَ مِنْهُ قَلِيْلُهُ؟
مَضـاجِعُ سُـكَّانِ القُبُـورِ مَضـاجِعٌ ... يُفـارِقُ فِـيْهِنَّ الخَلِيْـلَ خَلِـيْلُهُ
تَـزَوَّدْ مِـنَ الدُّنْيـا بِـزَادٍ مِـنَ التُّقَى ... فَكُلٌّ بِهَا ضَيْفٌ وَشِيْكٌ رَحِيْلُهُ
وَخُـذْ[2] لِلْمَنَـايا -لا أَبا لَكَ- عُـدَّةً ... فـإِنّ المَنَـايا مَـنْ أَتَـتْ لا تُقِيْلُهُ
وَمَـا حـادِثاتُ الدَّهْـرِ إِلّا لِعِـزَّةٍ ... تَبُـتُّ قُوَاهـا أَوْ لِمُـلْكٍ تُـزِيْلُهُ

---

(١) ص ٤٤
(٢) ص ٤٤ب

- ومِن ذلك أيضا مما ضمّنه ديوانه:

عَيْـبُ ابْـنِ آدَمَ مـا عَلِمْـتَ كَثِـيْرُ وَمَجِيْئُـــهُ وَذهابُـــهُ تَقْـــدِيرُ
غَرَّتْــكَ نَفْسُــكَ لِلْحَيــاةِ مُحِبَّــةً المَــوْتُ حَــقٌّ والبَقَــاءُ يَسِــيْرُ
لَا تَغْــبَطِ الدُّنْيَــا فــإِنَّ جَمِيْــعَ مــا فِيْهَــا يَسِــيْرٌ لَــوْ عَلِمْــتَ حَقِـيْرُ
يا ســاكِنَ الدُّنْيــا أَلَــمْ تَــرَ زَهْــرَةَ الدُّنْيــا عَــلَى الأَيَّامِ كَيْــفَ تَصِــيْرُ
سَـلْ مـا بَـدَا لَكَ أَنْ تَنـالَ مِـنَ الغِـنَى إِنْ أَنْـتَ لَـمْ تَقْنَـعْ فأَنْـتَ فَقِـيْرُ
يا جــامِعَ المَــالِ الكَثِــيْرِ لِغَــيرِهِ إِنَّ الصَّـغِيْرَ مِـنَ الذُّنُـوبِ كَبِـيْرُ
هَـلْ[1] فِي يَـدَيْكَ مِنَ الحَـوَادِثِ قُـوّةٌ؟ أَوْ هَـلْ عَلَيْـكَ مِـنَ المَنُـونِ خَفِـيْرُ
مــاذا تَقُــولُ إِذا رَحَلْــتَ إِلَى الــبِلَى وإِذا خَــلَا بِــكَ مُنْكَــرٌ ونَكِــيْرُ

* * *

وصيّة: (عليك بمحادثة مَن لا تكتمه ما يعلمه الله منك)

قال بعضهم[2]: سألت أستاذي: مَن أُحادث مِن الناس، وإلى مَن أَسكن؟ فقال: عليك بمحادثة مَن لا تكتمه ما يعلمه الله منك، واجعل للناس ظاهرَك، ولله باطنَك، وعاشِرهم بالتي هي أحسن.

* * *

وصيّة في حكاية عن بعض أهل الولاية

قال بعض السيّاح: كنت جائزا في بعض سياحاتي في أرض الشام، إذ مررتُ بنهر يقال له: نهر الذهب[3]، فرأيت في ظهر قرية من قرى ذلك النهر صومعةً فيها راهبٌ فناديته: يا راهب؛ أجبني. فلم يجبني. فناديته الثانية: يا راهب؛ أجبني. فلم يجبني. فناديته الثالثة: يا راهب؛ أجبني. أو قال: فناديت: يا ربّانيّ؛ فاطّلع فرآني. فقال لي: ما حاجتك، وما الذي تريد؟ فقلت له: عظة

---

(١) ص ٤٥
(٢) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٣) نهر الذهب: ماء يجري بأرض الشام وبلاد حلب ينتهي إلى مواضع في الجبول وغيرها من القرى

أو وصيّة أنتفع بها. فقال لي: أَوَتَركتَ الدنيا؟ قلت: نعم. فقال لي: كُلِ القوتَ، والزم السكوتَ، وعلِّل النفس فإنّك تموت، وذكِّرها[1] الوقوف بين يدي الحيّ الذي لا يموت. ثمّ قال:

لَــوْ قَنِعْنــا لَكَفَــانا مِنْــكَ -يا دارُ- اليَسِــيْرُ
أَنْـتَ نُعْمَـاك قَلِيْـلٌ وَبَـــــلاياكَ كَثِــــيْرُ
وَقُبُــورٌ تَــتَلاشَى حَيْثُ لا تَمْشِي القُبُورُ
يا مُبَهْـرِجْ لا تُبَهْـرِجْ إِنَّمَــا الناقِــدْ بَصِــيْرُ

قال: فتركته وبتُّ ليلتي. فلمّا أصبح عُدْتُ إليه، وناديته: يا راهب؛ زدني من تلك الحكمة. فقال لي: كُلْ مما كسبَتْهُ يمينُك، وعَرَقَ فيه جبينُك، فإن ضَعُف يقينُك؛ فاسألْ ربّك فإنّه يعينُك، ثمّ قال:

إِذا اقْتَرَبَــــتْ ســــاعَةٌ يَا لَهَــــا وَزُلْزِلَــــتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَـــــا
فَــلَا بُــدَّ مِــنْ ســائِلٍ قائِــلٍ مِــنَ النَّــاسِ يَوْمَئِــذٍ مــا لَهَــا
تُحَــــدِّثُ أَخْبَارَهَــــا رَبُّهَــــا وَرَبُّــكَ لا شَــكَّ أَوْحَى لَهَــا
وتَنْفَطِــــرُ الأَرْضُ عَــــنْ ســــاعَةٍ تُشِــيْبُ الكُهُــولَ وأَطْفَالَهَــا
تَـرَى[2] النَّـاسَ سَـكْرَى بِـلَا قَهْـوَةٍ[3] وَلَكِــنْ تَــرَى الــنَّفْسُ مــا هَالَهَــا
تَــرَى الــنَّفْسُ مــا قَــدَّمَتْ مُحْضَــرًا وَلَـــــوْ ذَرَّةً كانَ مِثْقَالَهَـــــا
ذُنُــــوبِي بَــــلَائِي فَمَــــا حِيْلَــــتِي إِذا كُنْــتُ فِي الحَشْــرِ حَمَّالَهَــا
يُحَاســــبِهَا مَــــلِكٌ قــــادِرٌ فإِمّــــا عَلَيْهَــــا وإِمَّــــا لَهَــــا

قال: فتركته وبِتُّ ليلتي. فلمّا أصبح عدتُ إليه وناديته: يا راهب؛ زدني من تلك الحكمة. فقال لي: كُلِ الفَرض، واذكرِ العَرْض، ولا تطلب من أحد الصِّلَة ولا القرض. ثمّ قال:

مَتَى تَهْجُرِ الدُّنْيا وَتَنْوِيْ لَهَا بُغْضَا وتَرْكُكَ لِلعِصْيانِ حَقًّا مَتَى يُقْضَـى

---

(١) ص ٤٥ب
(٢) ص ٤٦
(٣) القهوة: الخمر

مَتَى يا صَفِيْقَ الوَجْهِ تَنْوِيْ بِتَوْبَةٍ وعُمْرُكَ لِلدُّنْيَا يُساقُ بِهَا رَكْضَا
فَلَا بُدَّ بَعْدَ المَوْتِ أَنْ تَسْكُنَ البِلَى يَرُضُّكَ ثِقْلَ اللَّبْنِ تَحْتَ الثَّرَى رَضًّا
وتُعْطَى[1] كِتابًا فِيْهِ كُلُّ فَضِيْحَةٍ وتَشْهَدُ أَهْوالَ القِيامَةِ والعَرْضَا
فَقُمْ فِي دَياجِي اللَّيْلِ للهِ طائِعًا لَعَلَّ الذِي أَسْخَطْتَهُ لَعَسَى يَرْضَى

قال: فتركتُه وبِتُّ ليلتي. فلمّا أصبح عدتُ إليه وناديته: يا راهب؛ زدني من تلك الحكمة. فقال لي: يا هذا؛ شغلتني عن عبادة ربّي. فقمتُ إليه مودِّعا. فقال لي: كُلِ الصبرَ، والزم الفقر، ثمّ أنشد:

مَتَى تُهْدَى إِلَى سُبُلِ الرَّشَادِ إِذَا كُنْتَ المُصِرَّ عَلَى الفَسَادِ
نَهَارُكَ لاعِبًا تَغْتَرُّ فِيْهِ وَلَيْلُكَ لا تَمِلُّ مِنَ الرُّقَادِ
فَدَعْ ظُلْمَ العِبادِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَضَرَّ عَلَيْكَ مِنْ ظُلْمِ العِبَادِ
وَهَيِّ الزَّادَ إِنَّكَ ذُوْ رَحِيْلٍ عَلَى السَّفَرِ البَعِيْدِ عَلَى انْفِرَادِ
تَأَهَّبْ لِلَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ فَإِنَّ المَوْتَ مِيْقاتُ العِبَادِ
يَسُرُّكَ[2] أَنْ تَكُونَ زَمِيْلَ قَوْمٍ لَهُمْ زَادٌ وأَنْتَ بِغَيْرِ زَادِ؟

⋆ ⋆ ⋆

وروينا عن بعض علماء هذا الشأن من أهل الله الناصحين أنفسَهم أنّه قال: ينبغي لمن علم أنّ له مقاما بين يدي الله ﷻ ليسأله عمّا أسلف في هذه الدار، أن لا يؤثِرَ القليل الحقير على الجزيل الكثير، ولا التأنّي والتقصير على الجدِّ والتشمير، ولا سيما إذا كان ممن قد أيّده الله منه بإتقان العلم، ولقَّح عقلَه بدلالات الفهم؛ أن لا يتحيّر في ظلمة الغفلة التي تحيَّر فيها الجاهلون. والعجبُ كلُّ العجب لأهل هذه الصفة: كيف استوحشوا من طاعة الله، وأَنِسوا بغيره، وركنوا إلى الدنيا، وتقلُّب حالاتها، وكثرة آفاتها، ولا زادتهم الدنيا إلّا هوانا، ولا ازدادوا لها إلّا إكراما؛ فما مستيقظٌ مِن وَسَنِه، يخلع وثيق الغلِّ مِن عنقه، ويهتك جلباب الران عن قلبه.

(١) ص ٤٦ب
(٢) ص ٤٧

وإنّ مِن أنصح النصحاء لك -يا أخي- مَن حمَلك مِن أَمْرِك على المحجّة، وأَمَرَك بالرحلة، ولم يحسِّن لك "سوف" و"أرجو" و"لعلّ" و"يكون" فما رأيتُ هذه الخصال تورِّث صاحبَها إلّا الخسارة والندامة؛ فكابِدوا التسويفَ بالعزم، وبادِروا التفريطَ بالحزم؛ فقد وضح لكم الطريق، والله المستعان والمرشِد[1] والدليل.

* * *

وصيّة: (أَعْوَنِ ما يجده العبد على تسكين الشهوة)

سئل بعض أهل الله عن أَعْوَنِ ما يجده العبد على تسكين الشهوة؟ فقال: الصيام بالنهار، والقيام بالليل، وحذف الشهَوات، والتغافُل عنها، وتَرْك محادثة النفس بِذِكرها. فقيل له: فإنّ الرجل يصوم بالنهار، ويقوم بالليل، ولا يأكل الشهوات، ويجد في نفسه حركة واضطرابا! فقال له: ذلك مِن فَرْطِ فضلِ شهوةٍ مقيمةٍ فيه من الأوّل؛ فليقطع أسباب المادّة منها جهده، ويمسكها عن نفسه بالهموم والأحزان، وتسكين سلطانها بذِكْر الموت، وتقريب الأجل، وقصر الأمل، وما يشغل القلوب. اقطع عن نفسك الشهوات، واستقبل مراقبة مَن هو عليك رقيب، والمحافظة على طاعة مَن هو عليك حسيب. نسأل الله -تعالى- التوفيق على بلاغ الطريق، والخروج من كلّ ضيق، إنّه قويّ شفيق.

* * *

وصيّة في ذكرى

قال بعض العلماء: مَن وَثِقَ بالمقادير استراح، ومَن صَحَّح استراح، ومَن تَقَرَّب قُرِّب، ومن صَفَّى صُفِّي له، ومن توكّل وثق[2]، ومن تكلّف ما لا يعنيه ضَيَّع ما يعنيه.

وقيل لبعضهم: بِمَ[3] ينال العبدُ الجنّةَ؟ فقال: بحسن استقامة ليس فيها روَغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة لله في السرّ والعلانيّة، وانتظار الموت بالتأهّب له، والمحاسبة لنفسك قبل أن

---

(١) ص ٤٧ب
(٢) ص ٤٨
(٣) ق، س: بما

تحاسَب. كن عارفا خائفا، ولا تكن عارفا واصفا، لا تكن خصما لنفسك على ربّك تستزيده في رزقك وجاهك، ولكن كن خصما لربّك على نفسك؛ لا تجمع معك عليك، ولا تلقَ أحدا بعين الازدراء والتصغير، وإن كان مشرِكا، خوفا من عاقبتك؛ فلعلّك تُسلب المعرفة، ويُرْزَقَها.

وقال ذو النون: تعوّذوا بالله من النبطي، وقيل من القبطي، إذا استَعْرب. وهذه وصيّة عجيبة مجرّبة، قالها مجرِّب، ولها حكاية: قال ذو النون المصري: رأيت في بِرْبا بموضع يقال له: دنْدرة، مكتوبا فيها: احذروا العبيد المعتَقين، والأحداث المتعزّبين، والجند المتعبِّدين، والقبط المستعربين. حدّثنا بهذا يونس بن يحيى العباسي القصّار، تجاه الركن اليماني سنة تسع وتسعين وخمسمائة، عن أبي بكر بن عبد الباقي، عن أبي الفضل بن أحمد، عن[1] أحمد بن عبد الله، عن محمد بن إبراهيم، قال: سمعت عبد الحكم بن أحمد بن سلام، يقول سمعت ذا النون يقول الحكاية.

* * *

وصيّة إلهيّة

حدّثنا العماد عبد الله بن الحسن المعروف بابن النحّاس قال: حدّثني بدر الجزري قال: قال لي علي بن الخطاب الجزري بالجزيرة وكان من الصالحين: رأيت الحقّ في النوم فقال لي: يا ابن الخطاب؛ تَمَنَّ. قال: فسكتُّ. فقال لي: يا ابن الخطاب؛ تمنّ. قال: فسكتُّ. قال ذلك ثلاثا، ثمّ قال لي في الرابعة: يا ابن الخطاب؛ أَعْرِضُ عليك ملكي وملكوتي وأقول لك: تمنّ، وتسكت! فقال: قلت: يا ربّ؛ إن نطقتُ فبِكَ، وإن تكلّمتُ فبما تجريه على لساني؛ فما الذي أقول؟ فقال: قل أنت بلسانك. فقلت: يا ربّ؛ قد شرَّفتَ أنبياءك بكتب أنزلتها عليهم؛ فشرّفني بحديث ليس بيني وبينك فيه واسطة. فقال: يا ابن الخطاب؛ مَن أحسن إلى مَن أساء إليه؛ فقد أخلص لله شكرا، ومَن أساء إلى مَن أحسن إليه؛ فقد بدّل نعمة الله كفرا. قال: فقلت: يا ربّ؛ زدني. فقال: يا ابن الخطاب؛ حسبك حسبك.

---

(١) ص ٤٨ب

وصيّة، بل وصايا إلهيّة

أَصدقُ[1] الوصايا وأنفعها ما ورد في القرآن العزيز من أوامر الحقّ عبادَه ونواهيه المنزل من حكيم حميد نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين، فلنذكر منها ما يسّره الله على لساني، مذكِّرا بذلك القلوب الغافلة وتبرّكا بكلام الله -تعالى وجَلّ- فمن ذلك: ﴿لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[2] ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾[3] ﴿اعۡبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمۡ وَالَّذِينَ مِنۡ قَبۡلِكُمۡ﴾[4] ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[5] وهنا سِرٌّ لمن تفكّر ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[6] ﴿بَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[7] ﴿أَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[8] ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾[9] ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ. وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ. وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[10] ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ[11]﴾[12] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾[13] ﴿تُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾[14] ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[15] ﴿قُولُواْ حِطَّةٌ﴾[16]

---

(١) ص ٤٩

(٢) [البقرة: ١١]

(٣) [البقرة: ١٣]

(٤) [البقرة: ٢١]

(٥) [البقرة: ٢٢]

(٦) [البقرة: ٢٤]

(٧) [البقرة: ٢٥]

(٨) [البقرة: ٤٠]

(٩) [البقرة: ٤٠]

(١٠) [البقرة: ٤١ - ٤٣]

(١١) ص ٤٩ب

(١٢) [البقرة: ٤٥]

(١٣) [البقرة: ٤٨]

(١٤) [البقرة: ٥٤]

(١٥) [البقرة: ١٧٢]

(١٦) [البقرة: ٥٨]

﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(1) ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(2) ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾(3) ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾(4) ﴿ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾(5) ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ﴾(6) ﴿لَا تَكْفُرْ﴾(7) ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾(8) ﴿ٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ﴾(9) ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾(10) ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾(11) ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(12) ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(13) ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾(14) ﴿وَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾(15) ﴿ٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾(16) ﴿لَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾(17) ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾(18) ﴿كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾(19) ﴿لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾(1) ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ

---

(١) [البقرة: ٦٠]
(٢) [البقرة: ٦٣]
(٣) [البقرة: ٨٣]
(٤) [البقرة: ٨٤]
(٥) [البقرة: ٩١]
(٦) [البقرة: ٩٣]
(٧) [البقرة: ١٠٢]
(٨) [البقرة: ١٠٤]
(٩) [البقرة: ١٠٩]
(١٠) [البقرة: ١١٠]
(١١) [البقرة: ١٢٥]
(١٢) [البقرة: ١٢٥]
(١٣) [البقرة: ١٣٢]
(١٤) [البقرة: ١٣٦]
(١٥) [البقرة: ١٤٤]، ص ٥٠
(١٦) [البقرة: ١٤٨]
(١٧) [البقرة: ١٥٠]
(١٨) [البقرة: ١٥٢]
(١٩) [البقرة: ١٦٨]

ٱللَّهُ﴾[2] ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ... وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾[3] ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي﴾[4] ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَا﴾[5] ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ﴾[6] ﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَا﴾[7] ﴿لَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[8] ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[9] ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ ... وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾[10] ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[11] ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ[12]﴾[13] ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾[14] ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ... وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ﴾[15] ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[16] ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾[17] ﴿أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَ﴾[1]

---

(١) [البقرة: ١٦٨]
(٢) [البقرة: ١٧٠]
(٣) [البقرة: ١٨٥]
(٤) [البقرة: ١٨٦]
(٥) [البقرة: ١٨٧]
(٦) [البقرة: ١٨٨]
(٧) [البقرة: ١٨٩]
(٨) [البقرة: ١٨٩]
(٩) [البقرة: ١٩٠]
(١٠) [البقرة: ١٩١]
(١١) [البقرة: ١٩٣]
(١٢) ص ٥٠ب
(١٣) [البقرة: ١٩٤]
(١٤) [البقرة: ١٩٥]
(١٥) [البقرة: ١٩٦]
(١٦) [البقرة: ١٩٧]
(١٧) [البقرة: ١٩٨]

﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾(٢) ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾(٣) ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾(٤) ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ﴾(٥) ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ﴾(٦) ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْ﴾(٧) ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾(٨) ﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٩) ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾(١٠) ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾(١١) ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ... وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ﴾(١٢) ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ﴾(١٣) ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾(١٤) ﴿لَّا(١٥) تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾(١٦) ﴿مَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ﴾(١٧) ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ

---

(١) [البقرة: ١٩٩]
(٢) [البقرة: ٢٠٠]
(٣) [البقرة: ٢٠٣]
(٤) [البقرة: ٢٠٨]
(٥) [البقرة: ١٩١]
(٦) [البقرة: ٢٢١]
(٧) [البقرة: ٢٢١]
(٨) [البقرة: ٢٢٢]
(٩) [البقرة: ٢٢٣]
(١٠) [البقرة: ٢٢٤]
(١١) [البقرة: ٢٢٩]
(١٢) [البقرة: ٢٣١]
(١٣) [البقرة: ٢٣٢]
(١٤) [البقرة: ٢٣٣]
(١٥) ص ٥١
(١٦) [البقرة: ٢٣٥]
(١٧) [البقرة: ٢٣٦]

ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾[1] ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[2] ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾[3] ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾[4] ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾[5] ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾[6] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[7] ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾[8] ﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡ﴾[9] ﴿فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾[10].

واعلم أنّ الله -تعالى- قد ذكر في كتابه كلّ صفة يحمدها الله وكلّ صفة يذمّها الله وصيّة لنا وتعريفا أن نجتنبَ ما ذَمَّ من ذلك، ونتّصف بما حَمِد من ذلك، وقرّر على أمور وبَّخ بها عباده، ونَعَتَ كلّ صاحب صفة بما هو عليه عند الله.

---

(١) [البقرة: ٢٣٧]
(٢) [البقرة: ٢٣٨]
(٣) [البقرة: ٢٥٤]
(٤) [البقرة: ٢٦٤]
(٥) [البقرة: ٢٦٧]
(٦) [البقرة: ٢٧٨]
(٧) [البقرة: ٢٨١]
(٨) [البقرة: ٢٨٢]
(٩) [البقرة: ٢٨٢]
(١٠) [البقرة: ٢٨٣]

فممّا حمد: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[1] والإيمان بما أنزل على الرسل -عليهم السلام- والإيقان بالآخرة، وقال فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ أي على بيان وتوفيق حيث صدّقوا ربّهم فيما أخبرهم به مما هو غيب في حقّهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[2] الناجون من عذاب الله، الباقون في رحمة الله.

ومما ذَمَّه: الكافر والمنافق. فالكافر ذو الوجه الواحد الذي أظهر معاندة الله، فسَواء عليه أَعلمه الحقّ أو لم يُعلمه؛ فإنّه لا يؤمن بشيء من ذلك لا عقلا ولا شرعا، وأخبر أنّ الله -تعالى- ختم على قلبه بخاتَم الكفر فلا يدخله الإيمان مع عِلمه به، وختم على سمع فَهْمِه، وهو الجاهل، فلم يعلم ما أراد اللهُ بما قاله، وعلى أبصار عقولهم غشاوة حيث نَسَبُوا ما[3] رأوه من الآيات إلى السِّحر.

وقال في ذي الوَجهين، وهو المنافق، إنّه يقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾[4] وبما جاء من عند الله، وهو ليس كذلك، وإنما يفعل ذلك خداعا لله والذين آمنوا، وجعل الفسادَ صلاحا والصلاحَ فسادا، والإيمانَ سفَها والمؤمنين سفهاء، ويأتي المؤمنين بوجهٍ يرضيهم ويأتي الكافرين بوجهٍ يرضيهم؛ فأخبر اللهُ أنّ هؤلاء هم ﴿ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾[5] وأنّهم الصُمّ عن سماع ما ذكرهم الله به، البُكْم عن الكلام بالحقّ، العُمْي عن النظر في آيات الله، وأنّهم لا يرجعون.

ومما ذَمَّ اللهُ[6]: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[7].

---

(١) [البقرة: ٣]
(٢) [البقرة: ٥]
(٣) ص ٥٢
(٤) [البقرة: ٨]
(٥) [البقرة: ١٦]
(٦) لم يرد لفظ الجلالة في ق، وورد في س، هـ
(٧) [البقرة: ٢٧]

وقرّر: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾(١).

ووبّخ: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾(٢).

ومما ذمّ مَن أعطاه الأنفس فطلب الأدوَن لقلّة علمه ودناءة همّته، فقال: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾(٣) يشير إلى أنّ الصبرَ مع الله صعبٌ ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ فـ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ(٤) أَدۡنَىٰ﴾ وهو ما ذكروه ﴿بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌ﴾ وهو ما أنزل الله عليهم من المنّ والسلوى، فأشار إلى دناءة همّتهم بقوله: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ لمّا نزلوا إلى الأدوَن من الأعلى، قيل لهم: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡ﴾ «إنما هي أعمالكم تُردّ عليكم» ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ لأنّهم هبطوا ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لأنّهم لم يختاروا ما اختار الله لهم، وكفروا بالأنبياء وبآيات الله، وقتلوا الأنبياء بغير الحقّ، وعصوا واعتدوا.

ومما ذمّهم به: القساوة، فقال بعد تقرير ما أنعم الله به عليهم: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾ وإنما كانت أشدَّ قسوة لـ﴿إِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾(٥) وأنتم ما عندكم في قلوبكم من هذا شيء، يذمُّهم بذلك.

ومما ذَمَّ من يقول ما توسوس به نفسه وما يسوِّل له شيطانُه: ﴿هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾(٦) من الجاه والرئاسة عليهم، وما يحصّلوه من المال؛ فأخبر الله -تعالى- أنّ لهم الويل من الله من أجل ذلك. هذا كلّه ذكره الله في كتابه لنا لنجتنب مثل هذه الصفات.

ومما أوصى به عبادَه مما يحمده أن(٧) لا تعبدوا ﴿إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

---

(١) [البقرة: ٢٨]
(٢) [البقرة: ٤٤]
(٣) [البقرة: ٦١]
(٤) ص ٥٢ب
(٥) [البقرة: ٧٤]
(٦) [البقرة: ٧٩]
(٧) ص ٥٣

فمن لم[1] يعمل بوصيّته، وصف حاله على جهة الذمّ؛ يسمعنا -تعالى- ما جرى من عباده حتى لا نسلك مسلكهم الذي ذمّهم الله به، فقال عقيب هذا القول: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾[2] ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[3] كما قال في حقّهم وحقّ أمثالهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[4] وأخبر أنّ هؤلاء ﴿هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾[5] وقال: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[6] فإنّه أخبر عن هؤلاء أنّهم ﴿اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[7] كما اشترى[8] أولئك ﴿الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[9] كما اشترى[10] أمثالهم العذاب بالمغفرة، فتعجّب الله مِن صبرهم على النار بقوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[11] فدلّ[12] على أنّهم عرفوا الحقّ وجحدوا مع اليقين، كما قال في حقّ مَن هذه صفته في (سورة) النمل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾[13] أنّها -يعني الآيات- براهين على صدقهم فيما أخبروا به عن الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ وأيُّ آية كانت للعرب معجزة مثل القرآن؟! ولذلك قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾[14] وقال في الذين يكتمون ما أنزل الله ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾: أنّ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين ﴿يَلْعَنُهُمُ

---

(١) لم ترد في ق، ووردت في ه، س
(٢) [البقرة: ٨٣]
(٣) [البقرة: ٨٥]
(٤) [النساء: ١٥٠]
(٥) [النساء: ١٥١]
(٦) [البقرة: ٨٥]
(٧) [البقرة: ٨٦]
(٨) ق، س: اشتروا
(٩) [البقرة: ١٦]
(١٠) ق، س: اشتروا
(١١) [البقرة: ١٧٥]
(١٢) ص ٥٣ب
(١٣) [النمل: ١٤]
(١٤) [البقرة: ١٧٦]

﴿ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾(١) وأنّه من سُئل عن علم تعيّن عليه الجواب عنه وهو يعلمه، فكتمه، وهو مما أنزله الله؛ «ألجمه الله بلجام من النار» وأنّ الذين كتموا ما أنزل الله من الكتاب، واشتروا به ثمنا قليلا، أي بكتمانهم لما حصّلوه من المال والرئاسة بذلك أنّ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾(٢).

وأوصى عبادَه أيضا فقال لهم: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾: فأخبر أنّ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾(٣).

وأوصى وليَّ الدم أن يعفو ويخلّي بين القاتل والمقتول يوم القيامة. وأخبر(٤) ﷺ أنّ حُكْمَ القاتل قَوَدًا حُكْمُ القاتل اعتداء، وهو قوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾(٥) فقال في صاحب النِّسعة: «أما إن قَتَلَهُ كان مِثْلَه» فتركه ولم يقتله ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ مِن وليّ الدم ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ من القاتل إلى وليّ الدم ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ أي إن قتلَه بعد ذلك غدرا، وقد رضي بالديّة، وبما عفا عنه منها ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾(٦).

وذكر في حقِّ مَن حضرته الوفاةُ أن يوصي مما له التصرّف فيه من ماله، وهو الثلث، للأقربين، وهم الذين لا حظَّ لهم في الميراث، والوالدين، وهو مذهب ابن عبّاس، حتى أنّه يعصي عنده من لم يوصِ لوالديه عند الموت بالمعروف، وهو أنّه لا يتجاوز ثلث ماله، وأخبر أنّه ﴿حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(٧) وأخبر أنّه ﴿مَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾ من الموصي أنّ ﴿إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ

(١) [البقرة: ١٥٩]
(٢) [آل عمران: ٧٧]
(٣) [البقرة: ١٧٧]
(٤) ص ٥٤
(٥) [الشورى: ٤٠]
(٦) [البقرة: ١٧٨]
(٧) [البقرة: ١٨٠]

﴿يُبَدِّلُونَهُۥ﴾[1] من الأولياء والحكام، وأخبر عن الساعي بالصلح، بين الموصي والموصى له، أنّه لا إثم عليه. فهذه كلّها وصايا إلهيّة منصوص عليها.

ومنها أيضا: أخبر الحقُّ أنّه لا يَتِّبِعُ المتشابهَ من الكتاب، ويتأوّله على ما يعطيه نظره، إلّا مَن في قلبه زيغٌ، أي مَيْل عن الحقّ، وأخبر أنّه[2] ﴿مَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ وأنّ الراسخين في العلم ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾[3] ومَن جعله معطوفا فيكون الراسخون في العلم: مَن أعلمهم الله بتأويل ما[4] أراد بذلك.

وأقام الله عذر عباده في قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾[5] الآيات، وأخبر عن ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ. ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾[6] وهم الذين اتّقوا، أنّ لهم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾[7].

وأخبر -سبحانه- أنّ الذين ﴿يَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أنّ لهم ﴿عَذَاب أَلِيم﴾[8] ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[9] ينجّيهم من ذلك العذاب.

ونهانا أن نتّخذَ الكافرين أولياء من دون المؤمنين في نصرة دينه ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾[10] وأنّه مَن فعل ذلك ﴿فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾[11] وقد حذّرنا الله نفسَه. وقال ﷺ حين نهى عن التفكّر في ذات الله: إنّه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[12] وقال الله لنبيّه أن يقول لنا: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾ وأخبر أنّه مَن اتّبع رسول الله، فقال: ﴿يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ

---

(١) [البقرة: ١٨١]
(٢) ص ٥٤ب
(٣) [آل عمران: ٧]
(٤) ق: من
(٥) [آل عمران: ١٤]
(٦) [آل عمران: ١٦ ، ١٧]
(٧) [آل عمران: ١٥]
(٨) [آل عمران: ٢١]
(٩) [آل عمران: ٢٢]
(١٠) [آل عمران: ٢٨]
(١١) [آل عمران: ٢٨]
(١٢) [الشورى: ١١]

ذُنُوبَكُمْ﴾[1].

* * *

وصيّة إلهيّة

قال[2] الله: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري؛ فأنا منه بريء، وهو الذي أشرك».

* * *

وصيّة إلهيّة

يقول الله ﷻ: «إنّ أغبط أوليائي عندي لَمؤمنٌ خفيف الحاذِ ذو حظٍّ من صلاة، أحسنَ عبادة ربّه، وأطاعه في السرّ والعلانية، وكان غامضا في الناس؛ لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافا؛ فصبر على ذاك» ثمّ نقر رسول الله ﷺ عندما قال هذا الحديث عن ربّه بيديه، ثمّ قال: «عُجِّلَتْ منيّتُه، وقَلَّتْ بواكيه، وقَلَّ تُراثُه».

* * *

وصيّة في إصلاح ذات البين

قال أنس بن مالك: «بينما رسول الله ﷺ جالسا، إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه. فقال عمر: ما أَضحكك يا رسول الله؛ بأبي أنت وأمّي ؟ قال: رَجُلان من أُمّتي جثيا بين يدي ربِّ العزّة -تعالى- فقال أحدهما: يا ربّ؛ خذ لي بمظلمتي من أخي. فقال: أَعْطِ أخاك مظلمتَه. قال: يا ربّ؛ لم يبق من حسناتي شيء! قال: يا ربّ؛ فليحمل عنّي من أوزاري. وفاضتْ عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثمّ قال: إنّ ذلك ليوم عظيم يوم[3] يحتاج الناس فيه أن يُحْمَل من أوزارهم. قال: فيقول الله ﷻ للطالب: ارفع رأسَك، فانظر إلى الجِنان.

(١) [آل عمران: ٣١]

(٢) ص ٥٥

(٣) ص ٥٥ب

فرفع رأسه، فقال: يا ربّ؛ أرى مدائن من فضّة، وقصورا من ذهب مكلَّلة باللؤلؤ؛ لأيّ نبيّ هذا؟ لأيّ شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطاني الثمن. قال: يا ربّ؛ ومَن يملك ذلك؟ قال: أنت تملِك. قال: بماذا يا ربّ؟ قال: بعفوك عن أخيك. قال: يا ربّ؛ قد عفوت عنه. قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخِله الجنّة. ثمّ قال رسول الله ﷺ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾(١) فإنّ الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة».

* * *

وصايا إلهيّة من التوراة

روينا من حديث كعب الأحبار أنّه قال: وجدتُ في التوراة اثنتي عشرة كلمة، فكتبتُها وعلّقتُها في عنقي، أنظر فيها في كلّ يوم إعجابا بها:

يا ابنَ آدم؛ إن رضيتَ بما قسمتُ لك؛ أرحتَ قلبَك وبدنَك وأنت محمود، وإن لم تَرْضَ بما قسمتُ لك سلّطتُ عليك الدنيا حتى تركض فيها ركض الوحش في البرّيّة، ثُمّ وعزّتي وجلالي لا تنال منها إلّا ما قدّرتُ لك وأنت مذموم.

يا ابنَ آدم؛ كُلٌّ يريدك له، وأنا أريدك(٢) لك، وأنت تَفِرُّ منّي.

يا ابنَ آدم؛ ما تنصفني.

يا ابنَ آدم؛ خلقتك من تراب، ثمّ من نطفة، ولم يُعيني خَلْقُك؛ أفيعييني رغيفٌ أسوقه إليك في حين؟!.

يا ابنَ آدم؛ إنّي وحقّي لك محبٌّ؛ فبحقّي عليك كن لي محبًّا.

يا ابنَ آدم؛ خلقتُك من أَجْلِي، وخلقتُ الأشياء من أجْلِك؛ فلا تهتِك ما خلقتُ من أجلي فيما خلقتُ من أجلك.

يا ابنَ آدم؛ كما لا أطالبك بعمل غدٍ؛ لا تطالبني برزق غدٍ.

---

(١) [الأنفال: ١]

(٢) ص ٥٦

يا ابنَ آدم؛ لي عليك فريضةٌ، ولك عليّ رزقٌ؛ إن خنتني في فريضتي لم أَخُنْك في رزقك على ما كان منك.

يا ابن آدم؛ لا تخافَنّ فَوْتَ الرزق ما دامت خزائني مملوءة، وخزائني مملوءة لا تنفد أبدا.

يا ابن آدم؛ لا تخافنّ من ذي سلطان ما دام سلطاني باقيا، وسلطاني باقٍ لا يبعَد أبدا.

يا ابن آدم؛ لا تأمن مكري حتى تجوز على الصراط.

* * *

وصيّة[1] خليليّة في الوجل من الله تعالى

لمّا قال الله -تعالى- لإبراهيم الخليل عليه السلام: يا إبراهيم؛ ما هذا الوجل الشديد الذي أراه منك؟ قال: فقال له إبراهيم: يا ربّ؛ وكيف لا أَوْجل، ولا أكون على وجَلٍ، وآدمُ أبي كان محلّه في القرب منك: خلقتَه بيديك، ونفختَ فيه من روحك، وأمرتَ الملائكة بالسجود له؛ فبمعصية واحدة أخرجتَه من جوارك؟ فأوحى إليه: يا إبراهيم؛ أما علمتَ أنّ معصية الحبيب على الحبيب شديدة!.

* * *

وصيّة إلهيّة بما يَحجب عن الله فِعْلُهُ

أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: يا دواد؛ حذِّر بني إسرائيل أكْلَ الشهوات؛ فإنّ القلوبَ المتعلّقة بالشهوات محجوبةٌ عنّي.

* * *

وصيّة إلهيّة بِذِكْر الله على كلّ حال

قال موسى عليه السلام: «أي ربّ؛ أبعيد أنت فأناديك، أم قريب فأناجيك؟ فقال الله -تعالى- له: أنا جليس مَن ذكرني، من ذكرني فأنا معه. قال: فأيّ العمل أحبّه إليك يا ربّ؟ قال: تكثر

---

(١) ص ٥٦ب

ذكري على كلّ حال».

*　*　*

وصيّة إلهيّة بقيام الليل

يقول[١] الله -تعالى- إذا نزل في الثلث الباقي من الليل إلى السماء الدنيا: «كذَبَ مَن ادّعى محبّتي ونام عنّي، أليس كلُّ محبٍّ يطلب الخلوة بحبيبه؟ أنا ذا مطّلع على أحبابي، وقد مثّلوني بين أعينهم، وخاطَبوني على المشاهدة، وكلَّموني بحضوري؛ غدا أُقِرُّ أَعينَهم في جِناني».

*　*　*

وصايا بما كلَّم الله ﷻ بها نبيّه موسى عليه السلام وذكرى

يا موسى؛ أُدْنُ منّي واعرف قدري؛ فإنّي أنا الله.

يا موسى؛ أتدري لِمَ كلّمتُك من بين خلقي، واصطفيتك برسالتي وبكلامي دون بني إسرائيل؟ قال: لا يا ربّ؛ قال: لأنّي اطّلعتُ على أسرار عبيدي؛ فلم أر قلبا أصفى لمودّتي من قلبك.

قال موسى: لِمَ خلقتني -يا ربّ- ولم أك شيئا؟ قال: أردت بك خيرا. قال: ربِّ؛ مُنَّ عليّ. قال: أسكنتُك جنّتي في جواري مع ملائكتي؛ فتكون هناك منعَّما، مخلّدا، ملتذّا، فرحا، مسرورا، أبد الآبدين.

فقال موسى: يا ربّ؛ فما الذي ينبغي لي أن أعمل؟ قال: لا يزال لسانك يكون رطبا من ذِكْري، وقلبك وجلًا من خشيتي، وبدنك مشغولا بخدمتي، ولا تأمن مكري أو[٢] ترى رجلك في الجنّة.

---

(١) ص ٥٧

(٢) ص ٥٧ب

قال موسى: يا ربّ؛ فلِمَ ابتليتني بفرعون؟ قال: إنما اصطنعتك لنفسي؛ أخاطب بلسانك بني إسرائيل؛ فأُسْمِعهم كلامي، وأُعلّمهم شريعة التوراة، وسنّة الدين، وطرائق الآخرة؛ مَن اتّبعك منهم ومن غيرهم، كائنا من كان.

يا موسى؛ بلّغ بني إسرائيل، وقل لهم: إنّي لمّا خلقت السماوات والأرض خلقتُ لهما أهلا وسكّانا؛ فأهل سماواتي هم الملائكة وخالص عبادي الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

يا موسى؛ بلِّغ عنّي بني إسرائيل، وقل لهم: مَن قَبِلَ وصيّتي وأوفى بعهدي ولم يعصني؛ رقّيتُه إلى رتبة ملائكتي، وأحللتُه جنّتي معهم، وجازيتهم بأحسن ما كانوا يعملون.

يا موسى؛ قل لبني إسرائيل عنّي: إنّي لمّا خلقت الجنّ والإنس والحيوانات؛ ألهمتهم مصالح الحياة الدنيا، وعرّفتهم كيفيّة التصرّف فيها؛ لطلب منافعها، والهرب من مضارّها، كلّ ذلك لما جعلت لهم من السمع، والبصر، والفؤاد، والتمييز، والشعور، أجمع؛ فهكذا أَلهمتُ أنبيائي، ورسلي، والخواصّ من عبادي، وعرّفتهم أمرَ المبدأ والمعاد، والنشأة[١] الأخرى، وبيّنت لهم الطريق، وكيفيّة الوصول إليها.

يا موسى؛ قل لبني إسرائيل: يقبلون من الأنبياء وصيّتي، ويعملون بها، واضمن عنّي لهم أنّي أَكفيهم كلّ ما يحتاجون إليه من مصالح الدنيا والآخرة جميعا؛ إذا أوفوا بعهدي أُوف بعهدهم، كائنا مَن كان، من سائر بني آدم، وألحقتهم بأنبيائي وملائكتي في الدار الآخرة دار القرار.

فقال موسى: يا ربّ؛ لو خلقتنا في الجنّة، وكفيتنا محن الدنيا، ومصائبها، وبلاياها؛ أليس كان خيرا لنا؟!

قال: يا موسى؛ قد فعلتُ بأبيكم آدم ما ذكرتَ، ولكن لم يعرف حقّها، ولم يحفظ وصيّتي، ولم

---

(١) ص ٥٨

يوف بعهدي؛ بل عصاني فأخرجته من الجنّة؛ فلمّا تاب وأناب، وَعَدْتُهُ أن أَرُدَّه إليها، وآليتُ على نفسي أن لا يدخلها أحد من ذريّته؛ إلّا مَن قَبِلَ وصيّتي وأوفى بعهدي؛ فـ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ولا يدخل جنّتي المتكبّرون[1]، لأنّي جعلتها ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

يا موسى؛ ادعُ إليّ عبادي، وذكِّرهم بآلائي؛ فإنّهم لا يذكرون شيئا؛ إلّا كان خيرا لهم، سالفا وآنفا، عاجلا وآجلا.

يا موسى؛ الويل لمن تفوته جنّتي، ويا حسرة عليه وندامة حين[3] لا ينفعانه.

يا موسى؛ خلقتُ الجنّة يوم خلقتُ السماوات والأرض، وزيّنتها بألوان المحاسن، وجعلت نعيم أهلها وسرورهم رَوْحا وريحانا، فلو نظر أهل الدنيا إليها نظرةً من بعيد؛ لم تُغْنِهم الحياة الدنيا بعدها.

يا موسى؛ هي مذخُورةٌ لأوليائي وعبادي الصالحين ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾[4] ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾[5].

* * *

ومن الوصايا الإلهيّة

«يا ابن آدم؛ صَلِّ أربع ركعات في أوّل النهار أَكْفِكَ آخره» خرّجه النسائي.

---

(١) ق: المتكبرين

(٢) [القصص: ٨٣]

(٣) ص ٥٨ب

(٤) [الأحزاب: ٤٤]

(٥) [الرعد: ٢٩]

توبيخ إلهيّ يتضمّن وصيّة

يقول الله: يا بن آدم؛ أَنّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سوّيتك وعدّلتك مشيتَ بين يديك وللأرض منك وَئِيدٌ، يعني صوتا، ثمّ جمعتَ ومنعتَ حتى إذا بَلغتِ التراقي قلتَ: أَتصدّق، وأَنَّى أوانُ صَدَقَة.

وصيّة إلهيّة بإشفاق

يقول الله: «ابن آدم؛ إنّك إن تَبْذُل الفضلَ خيرٌ لك، وإن تُمْسكه[1] شَرٌّ لك، ولا تلامُ على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى».

وصيّة إلهيّة فيها لطف

حدّثني بها موسى بن محمد القرطبي بمكة، والضياء عبد الوهّاب بن سكينة ببغداد عند اجتماعي به برباطه، قال: يقول الله: "إذا أحدث عبدي ولم يتوضّأ فقد جفاني، وإذا توضّأ ولم يصلِّ فقد جفاني، وإذا صلّى ولم يَدْعُني فقد جفاني، وإذا دعاني ولم أجبه فقد جفوته، ولست بربٍّ جاف، ولست بربٍّ جاف، ولست بربٍّ جاف".

* * *

وصيّة إلهيّة نافعة في طهارة الجوارح

يقول الله: «يا أخا المرسَلين؛ ويا أخا المنذِرين» يعني سيّدنا محمدا ﷺ وصيّة يبلغها إلينا عن ربّه ﷻ: «أن لا تدخلوا بيتا من بيوتي إلّا بقلوب سليمة، وأَلْسُنٍ صادقة، وأيد نقيّة، وفروج طاهرة. ولا تدخلوا بيتا من بيوتي ولأحَدٍ من عبادي عند أحد منهم ظُلامة؛ فأيُّ العَبد ما دام قائمًا بين يديّ يصلّي؛ حتى يردَّ تلك الظلامة إلى أهلها؛ فإذا فعل فأكون سمعَه الذي يسمع[2] به، وأكون بصرَه الذي يبصر به، ويكون من أوليائي وأصفيائي، ويكون جاري مع النبيّين والصِّدِّيقين والشهداء في الجنّة».

---

(١) ص ٥٩

(٢) ص ٥٩ب

وصيّة إلهيّة في توبيخ الواثب على الدنيا

قال الله -تعالى-: يا ابن آدم؛ رَهَصَتْكَ الدنيا[1] ثلاث رَهصات: الفقر، والمرض، والموت، ومع ذلك إنّك وثّاب.

* * *

وصيّة مَلكيّة بالتواضع

«أوحى الله إلى محمد ﷺ وعنده جبريل: إن شئت نبيّا عبدا، وإن شئت نبيّا مِلكا. فنظر إلى جبريل، فأومأ إليه جبريل أن تواضع. قال: فقلت: نبيّا عبدا، ولو قلت: نبيّا مِلكا؛ لسارت معي الجبال ذهبا وفضّة».

* * *

وصيّة إلهيّة بتعظيم الأولياء

يقول الله تعالى: «مَن أهان لي وليّا؛ فقد بارزني بالمحاربة» وفي رواية: «فقد آذنته بحربٍ» وقال: «أحبُّ عبادة عندي النصيحةُ».

وقال تعالى: يا ابن آدم؛ خيري إليك نازل، وشرُّك إليّ صاعد، وأنا أتحبّب إليك بالنِّعم، وأنت تتبغّض إليّ بالمعاصي، في كلّ يوم يأتيني ملَك كريم بقبيح فِعلك.

يا[2] ابن آدم؛ ما تراقبني؟ أما تعلم أنّك بعيني؟

يا بن آدم؛ في خلواتك وعند حضور شهواتك؛ اذكرني، وسلني أن أنزعها من قلبك، وأعصمك عن معصيتي، وأُبَغِّضها إليك، وأُيَسِّر لك طاعتي، وأُحبّبها إليك، وأزيّن ذلك في عينك.

يا ابن آدم؛ إنما أمرتك ونهيتك لتستعين بي وتعتصم بحبلي، لا أن تعصيني وتتولّى عنّي، وأُعرض عنك. أنا الغنيّ عنك، وأنت الفقير إليّ. إنما خلقت الدنيا وسخّرتها لك؛ لتستعدّ للقائي،

---

(١) الرهص: شدّة العَصْر. ورسم الراء في ق قريب من الواو. ق، س: - الدنيا

(٢) ص ٦٠

وتتزوّد منها؛ لئلّا تعرض عنّي وتخلد إلى الأرض. اعلم بأنّ الدار الآخرة خير لك من الدنيا؛ فلا تختر غير ما اخترتُ لك، ولا تكره لقائي؛ فإنّه مَن كره لقائي كرهت لقاءه، ومَن أحبّ لقائي أحببت لقاءه.

وصيّة إلهيّة برغبة وبرهبة

رويناها من حديث محمد بن مسلمة بن وضاح، من أهل قرطبة -رحمه الله- قال: قال الله لبني إسرائيل: رغّبناكم في الآخرة فلم ترغبوا، وزهّدناكم في الدنيا فلم تزهدوا، وخوّفناكم بالنار فلم تخافوا، وشوّقناكم إلى الجنّة فلم تشتاقوا، ونُحْنا عليكم فلم تبكوا؛ بَشِّرِ القتّالين بأنّ لله سيفا لا ينام، وهو دار جهنّم.

ومن وصايا العارفين بالله تعالى

لا[1] تثق بمودّة مَن لا يحبُّك إلّا معصوما. مَن صَحِبَك ووافقك على ما يحبّ، وخالفك فيما يكره؛ فإنما يصحب هواه، ومَن صَحِب هواه فإنما هو طالب راحة الدنيا. يا معشر المريدين؛ مَن أراد منكم الطريق فَلْيَلْقَ العلماءَ: بالجهل، والزهّادَ: بالرغبة، وأهل المعرفة: بالصمت.

وأوصاني شيخي[2] -رحمه الله- أوّل ما دخلت عليه قبل أن أرى وجهه، فقال لي -وقد قلت له: أوصني قبل أن تراني؛ فأحفظ عنك وصيَّتك؛ فلا تنظر إليّ حتى ترى خِلعتَك عليّ- فقال ﵁: هذه همّة شريفة عالية يا ولدي؛ سُدَّ الباب، واقطع الأسباب، وجالس الوهّاب؛ يكلّمك من غير حجاب. فعملت على هذه الوصيّة حتى رأيت بركتها، ودخلت عليه بعد ذلك؛ فرأى خلعتها عليّ؛ فقال:

هكذا هكذا وإلّا فلا لا

---

(١) ص ٦٠ب

(٢) شيخه المقصود هنا هو أبو العباس العريبي، وذكر الشيخ هذا الحوار معه في رسالة روح القدس ص ٦٧

ثمّ قال لي: أُمْحُ ما كتبتَ، وانْسَ ما حفظتَ، واجهل ما علمتَ[١]، وكن هكذا معه على كلّ حال، لا تتحدّث معه بما قد علمته؛ فإنّ في ذلك تضييع الوقت، واطلب المزيد كما أمرك في قوله لنبيّه ﷺ يأمره وأُمّته: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٢].

- اطلب الحاجة بلسان الفقر، لا بلسان الحكم. يقول الله لأبي يزيد البسطامي: "تقرّب إليّ بالذلّة والافتقار". وقال له: "اترك نفسك[٣] وتعال".

* * *

(وحي الله تعالى لموسى عليه السلام)

- أوحى الله -تعالى- إلى موسى عليه السلام: "كن كالطير الوحدانيّ؛ يأكل من رءوس الأشجار، ويشرب من الماء القراح، إذا جنّه الليل أوى إلى كهف من الكهوف استئناسا بي، واستيحاشا ممن عصاني.

يا موسى؛ آليتُ على نفسي أن لا أُتِمَّ لمدبر من دوني عملا.

يا موسى؛ لأَقطعنّ أمل كلِّ مؤمِّل أمَّل غيري، ولأقصمنّ ظهر مَن استند إلى سِوَاي، ولأُطيلنّ وحشة من استأنس بغيري، ولأُعرضنّ عمّن أَحَبَّ حبيبا سِوَاي.

يا موسى؛ إنّ لي عبادا؛ إن ناجَوني أصغيتُ إليهم، وإن نادوني[٤] أقبلتُ عليهم، وإن أقبلوا عليّ أدنيتهم، وإن دنوا منّي قرّبتهم، وإن تقرّبوا منّي اكتنفتهم، وإن والوني واليتهم، وإن صافوني صافيتهم، وإن عملوا لي جازيتهم، هم في حماي وبي يفتخرون، أنا مدبِّر أمورِهم، وأنا سايس قلوبهم، وأنا متولِّي أحوالهم، لم اجعل لقلوبهم راحة في شيء إلّا في ذِكْري؛ فذِكْري لأسقامهم شفاء، وعلى قلوبهم ضياء، لا يستأنسون إلّا بي، ولا يحطُّون رحال قلوبهم إلّا عندي، ولا

---

(١) هنالك فقرة مضافة هنا وجدتها في إحدى نسخ الوصايا من غير النسخ التي اعتمدنا عليها في تحقيق هذا السفر، وهي: "ولا تقِف عندما عرفت، وافن دائما أبدا ما عشت، واتّق به فيما عملت، واعتصم به فيما أردت. فعملت بها حتى أشرقت عليّ بركتها. ثم دخلت عليه فقال: إذا فتح لك باب السير فيه فلا تقف معه تُحجب عنه، وافن عن كل ما يبدو لك منه، وإيّاك وإفشاء سرّه فصنه" [طبعة دار الإيمان بدمشق، ١٩٥٨، ص ٢٣٣]

(٢) [طه: ١١٤]

(٣) ص ٦١

(٤) ق: "بادرني أو نادرني" فالحرف الأول مهمل

يستقرّ بهم القرار في الإيواء إلّا إليّ.

* * *

حُكِي في زمان[1] النبوّة الأُولَى أنّ بعض مَن يوحى إليه من المتقدّمين فكّر في أمر التكليف والبلوى، ولم يتّجه له وجهُ الحكمة في ذلك، وقد أمره الله بالتفكّر في عبادته[2]. فأخذ يناجي[3] ربّه في خلوته بسرّه ولسانه؛ فقال: يا ربّ؛ خلقتني ولم تستأمرني، ثمّ تميتني ولا تستشيرني، وأمرتني ونهيتني ولم تخيّرني، وسلّطتَ عليّ هوى مُردِيًا، وشيطانا مغويًا، وركّبتَ في نفسي شهوات مركوزة، وجعلتَ بين عيني دنيا مزيّنة؛ ثمّ خوّفتني وزجرتني بوعيد وتهديد، وقلت: ﴿ٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾[4] ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾[5] فيضلّك عن سبيلي، واحذر الشيطان أن يقربك، والدنيا لا تغرّنّك، وتجنّب شهواتَك لا ترديك، وآمالَك وأمانيك لا تلهيك، وأوصيك بأبناء جنسك فَدارِهِم، ومعيشتك فاطلبها من وجه حلال؛ فإنّك مسئول عنها إن لم تطلبها، ومسئول عنها إن طلبتها من غير وجهها، ولا تنس الآخرة، كما لم تنس نصيبك من الدنيا ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[6] ولا تعرض عن الآخرة؛ فتخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

فقد حصَلْتُ -يا ربّ- بين أمور متضادّة، وقوى متجاذبة، وأحوال متقابلة؛ فلا أدري كيف أعمل؟! ولا أهتدي أيّ شيء أصنع؟! وقد تحيّرتُ في أموري، وضللتُ عن حيلتي؛ فأدرِكْني -يا ربّ- وخذ بيدي، ودلّني على سبيل نجاتي؛ وإلّا هلكت.

فأوحى الله ﷻ إليه: يا عبدي؛ ما أمرتك بشيء تعاونني فيه، ولا نهيتك[7] عن شيء كان يضرّني إن فعلته؛ بل إنما أمرتك لتعلم أنّ لك ربّا وإلها؛ هو خالقك، ورازقك، ومعبودك،

(١) ثابتة في الهامش بقلم الأصل

(٢) "في عبادته" هي في ق: "وعباده" وفي س: "له ولعباده"

(٣) ص ٦١ب

(٤) [هود: ١١٢]

(٥) [ص: ٢٦]

(٦) [القصص: ٧٧]

(٧) ص ٦٢

ومنشيك، وحافظك، وصاحبك، وناصرك، ومعينك، ولتعلم بأنّك محتاج في جميع ما أمرتك إلى معاونتي، وتوبتي، وهدايتي، وتيسيري، وعنايتي، ولتعلم -أيضا- بأنّك محتاج في جميع ما نهيتك عنه إلى عصمتي، وحفظي، ورعايتي، وأنّك إليّ محتاج في جميع تصرّفاتك وأحوالك في جميع أوقاتك، من أمور دنياك وآخرتك، ليلا ونهارا، وأنّه لا يخفى عليّ من أمورك صغير ولا كبير، سِرًّا أو علانية، وليتبيّن لك وتعرف أنّك مفتقر ومحتاج إليّ، ولا بدّ لك منّي؛ فعند ذلك لا تعرض عنّي، ولا تتشاغل عنّي، ولا تنساني، ولا تشتغل بغيري؛ بل تكون في دائم الأوقات في ذكرى، وفي جميع أحوالك وجميع حوائجك تسألني، وفي جميع تصرّفاتك تخاطبني، وفي جميع خلواتك تناجيني، وتشاهدني، وتراقبني، وتكون منقطعا إليّ من جميع خلقي، ومتّصلا بي دونهم، وتعلم أنّي معك حيث ما تكون، أراك وإن لم ترني.

فإذا أردتَ هذه كلّها، وتيقّنتَ، وبان لك حقيقةُ ما قلتُ، وصحّةُ ما وصفتُ، تركتَ كلَّ شيء وراءك، واتّصلت[1] إليّ وحدك؛ فعند ذلك أُقرّبك منّي، وأُوصلك إليّ، وأرفعك عندي، وتكون من أوليائي وأصفيائي، وأهل جنّتي في جواري، مع ملائكتي، مكرَّما، مفضَّلا، مسرورا، فرحا، منعَّما، ملذَّذا، آمنًا، مبقّى سرمدا أبدا، دائمًا؛ فلا تظنَّ بي -يا عبدي- ظنَّ السُّوء، ولا تتوهّم على غير ما يقتضيه كرمي وجودي، واذكر سالف إنعامي عليك، وقِدَم إحساني إليك، وجميل آلائي لديك؛ إذ خلقتك ولم تك شيئًا مذكورا خلقا سويّا، وجعلت لك سمعًا لطيفا، وبصرًا حادّا، وحواسَّ دَرَّاكة، وقلبًا ذكِيّا، وفهما ثاقبا، وذهنا صافيا، وفكرا لطيفا، ولسانا فصيحا، وعقلا رصينا، وبُنْيَةً تامّةً، وصورةً حسنةً، وأعضاءَ صحيحة، وأدوات كاملة، وجوارح طائعة.

ثمّ ألهمتك الكلام والمقال، وعرّفتك المنافع والمضار، وكيفيّة التصرّف في الأفعال، والصنائع والأعمال، وكشفتُ الحجب عن بصرك، وفتحت عينك؛ لتنظر إلى ملكوتي، وترى مجاري الليل والنهار، والأفلاك الدوّارة، والكواكب السيّارة، وعلّمتك حساب الأوقات، والأزمان، والشهور، والأعوام، والأيّام، وسخّرت لك ما في البرّ والبحر؛ من المعادن، والنبات، والحيوان،

(١) ص ٦٢ب

تتصرّف فيها تصرُّف[1] الملّاك، وتتحكم فيها تحكّم الأرباب.

فلمّا رأيتك متعدّيا، باغيا، خائنا، ظالما، طاغيا، متجاوز الحدّ والمقدار؛ عرَّفتك الحدود، والأحكام، والقياس، والمقدار، والإنصاف، والحقّ، والصواب، والخير، والمعروف، والسيرة العادلة؛ ليدوم لك الفضل والنِّعم، ويُصرف عنك العذاب والنِّقم، وعرّضتك لما هو خير لك، وأفضل، وأشرف، وأعزّ، وأكرم، وألذّ، وأنعم؛ ثمّ أنت تظنّ بي ظنون السوء، وتتوهّم عليّ غير الحقّ.

يا عبدي؛ إذا تعذّر عليك فعل شيء مما أمرتك به؛ فقل: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم» كما قالت حملةُ العرش لَمّا ثَقُل عليهم حملُه.

وإذا أصابتك مصيبة، فقل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[2] كما يقول أهلُ صفوتي ومودّتي.

وإذا زلّت بك القدم في معصيتي، فقل ما قال صفيّي آدمُ وزوجتُه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[3].

وإذا أُشكل عليك أمرٌ، وأهمّك رأيٌ، أو أردت رشدا، وقولا صوابا، فقل كما قال خليلي إبراهيم: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ. وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ. وَإِذَا[4] مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ. وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ. وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ. رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ. وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ. وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ. وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ. وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ. يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾[5].

---

(١) ص ٦٣
(٢) [البقرة: ١٥٦]
(٣) [الأعراف: ٢٣]
(٤) ص ٦٣ب
(٥) [الشعراء: ٧٨ - ٨٩]

وإذا أصابتك مصيبة، فقل كما أعلمتك فيما أُنزله عليك من قول يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾(١).

وإذا جرَتْ منك خطيئة فقل كما قال موسى عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾(٢).

وإذا صرفتُ عنك معصية، فقل كما قال يوسف عليه السلام أو صاحبته(٣): ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(٤).

وإذا ابتلاك الله ببليّة، فافعل ما ذكر الله عن داود عليه السلام: ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾(٥).

وإذا رأيت العصاة من خلق الله، والخاطئين من عباده، ولم تدر ما حكم الله فيهم، فقل كما قال عيسى عليه السلام: ﴿إِن(٦) تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(٧).

وإذا استغفرت الله وطلبتَ عفوه، فقل كما قال ويقول محمد ﷺ وأنصارُه: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٨).

وإذا خِفْتَ عواقبَ الأمور، ولم تدر ماذا يُخْتَم لك، فقل كما يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ. رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾(٩).

---

(١) [يوسف: ٨٦]
(٢) [القصص: ١٥]
(٣) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٤) [يوسف: ٥٣]
(٥) [ص: ٢٤]
(٦) ص ٦٤
(٧) [المائدة: ١١٨]
(٨) [البقرة: ٢٨٦]
(٩) [آل عمران: ٨ ، ٩]

* * *

وصيّة في موعظة

دخل محمد بن واسع على بلال بن أبي بردة في يوم حارّ، وبلال في خيشه[1] وعنده الثلج، فقال بلال: يا أبا عبد الله؛ كيف ترى بيتنا هذا؟ (قال): إنّ بيتك لطيّب، والجنّة أطيب منه، وذِكْر النار يلهي عنه. قال: ما تقول في القَدَر؟ قال[2]: جيرانُك أهلُ القبور؛ ففكِّر فيهم؛ فإنّ فيهم شغلا عن القَدَر. قال: ادْعُ لي. قال: وما تصنع بدعائي وعلى بابك كذا وكذا، كلٌّ يقول: إنّك ظلَمْتَه، يرتفع دعاؤهم قبل دعائي. لا تظلِم ولا تحتاج إلى دعائي.

* * *

ومن كلام الحسن البصري

ما لي أرى رجالا ولا أرى عقولا؛ أرى أناسا ولا أرى أنيسا، دخلوا ثُمّ خرجوا، عرفوا ثمّ أنكروا.

ومن كلامه أيضا ﷺ: عجبا لقوم أُمروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل، وحُبِس أُولاهم على أُخراهم؛ وهم قعود يلعبون! يا بن آدم؛ السكِّين تُحَدُّ، والتنّور يُسجر، والكبش يُعلف؛ كفى بالتجارب تأديبا، وبتقلّب الأيّام عِظة، وبذِكْر الموت زاجرا عن المعصية، ذهبتِ الدنيا بحال بالها، وبقيت الأيّام قلائد في الأعناق. إنّكم تسوقون الناس، والناس[3] تسوقكم، وقد أُسرع بخياركم، فماذا تنتظرون؟ المعاينة! فكأنْ قد (جاءتكم).

---

(١) الخيش: ثياب من الكتان في نسجها رقة

(٢) ص ٦٤ب

(٣) لعلها: "والساعة" كما جاء في س

ومن كلام عمر بن عبد العزيز

إنّ[1] لكلّ سفر زادا لا محالة؛ فتزوّدوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التّقوى، وكونوا كمن عاين ما أعدّ الله من ثوابه وعقابه، وترغّبوا وترهّبوا، ولا يطولنّ عليكم الأمدُ فتقسو قلوبكم، فواللهِ ما يَبسط أملا مَن لا يدري لعلّه لا يصبح بعد مسائه، ولا يمسي بعد صباحه، وربما كانت بين ذانك خطفات المنايا، فكم رأيتم ورأينا مَن كان بالدنيا مغترّا؟ وإنما تَقَرُّ عين مَن وثق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يَفرح مَن أَمِنَ من الأهوال يوم القيامة، فأمّا من لا يداوي كَلْمًا إلّا أصابه جُرح من ناحية أخرى، نعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي؛ فتخسر صفقتي. لقد عنيتم بأمر لو عنيتْ به النجوم لانكدرتْ، ولو عنيت به الجبال لذابتْ، ولو عنيتْ به الأرض لتشقّقتْ. أما تعلمون أنّه ليس بين الجنّة والنار منزلة، وأنّكم صائرون إلى إحداهما.

* * *

ومن وصاياه في مواعظه ﷺ

إنّ الله ﷻ لم يخلقكم عبثا، ولم يَدَع شيئًا من أموركم سُدًى، إنّ لكم مَعادًا ينزل الله فيه للحكم والقضاء بينكم؛ فخاب وخسِر مَن خرج من رحمة الله ﷻ، وحُرم الجنّة التي[2] عرضُها السماوات والأرض؛ فاشترى قليلا بكثير، وفانيا بباق، وخوفًا بأمن.

ألا تروا[3] أنّكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفها بعدكم الباقون، كذلك، حتى تُرَدَّ إلى خير الوارثين. في كلّ يوم وليلة تشيّعون غاديا ورائحا، إلى الله -تعالى- قد قضى نحبه، وانقضى أجله؛ حتى تقبره في صدع من الأرض، في بطن صدع، ثمّ تَدَعُوه غير ممهَّد ولا موسَّد؛ قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وسكن التراب، وواجَه الحساب، مرتهنا بعمله، فقيرا إلى ما قدَّم، غنيّا عمّا ترك؛ فاتّقوا الله قبل نزول الموتِ.

---

(١) ص ٦٥

(٢) ص ٦٥ب

(٣) رسمها في ق: ترا

وأيم الله؛ إنّي لأقول لكم هذه المقالة، وما أعلم عند أحد من الذنوب ما أعلم عندي، وما يبلغني عن أحد منكم حاجة؛ إلّا أحببت أن أسدّ مِن حاجته ما قدرت عليه، وما يبلغني أنّ أحدا منكم لا يسعه ما عندي؛ إلّا وددت أنّه يمكنني تغييره؛ حتى يستوي عيشنا وعيشه. وأيم الله لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش؛ لكان اللسان منّي به ذلولا، عالما بأسبابه؛ ولكن سبَق من الله كتابٌ ناطق، وسنّةٌ عادلة، دلّ فيها على طاعته، ونَهى فيها عن معصيته. ثمّ وضع طرف ردائه على وجهه، وشهق[1]، وبكى النّاسُ.

* * *

وصيّة

وعليك بالاقتداء برسول الله ﷺ في أحواله، وأقواله، وأفعاله، إلّا ما نصّ عليه أنّه مختصّ به مما لا يجوز لنا أن نفعله، أو خاطب به أحدا من الناس أن يفعله، ونهى غيره عن ذلك.

- بَزَق رجلٌ في النيل بحضور ذي النون المصري، فقال: تعستَ يا بغيض؛ تبزق على نعمة الله!. كان ذو النون في ذلك الوقت في مشاهدة النِّعم الإلهيّة التي أحوجنا إليها؛ فلذلك حكم عليه حالُه، فنطق بما نطق به.

-كان شيخنا أبو مدين وقع بينه وبين أبي الحسن بن الدقّاق، وكان ابن الدقّاق ممن يغشاه، ويحضر مجلسه؛ فانقطع عن حضور مجلسه لأجل ذلك. فاستدعاه الشيخ أبو مدين، وقال له: يا أبا الحسن؛ ما شأنك انقطعت؟ إنّ شيطاني خاصَم شيطانَك، ونحن على وُدِّنا كما كنّا ما تغيّرنا، ولا ندخِل أنفسنا بينهما. فتذكّر أبو الحسن، وقَبِل وصيّة الشيخ، واستغفر الله، ورجع إلى حضور مجلسه.

---

(١) ص ٦٦

وصيّة[1] بمكاتبة

اعتلّ رجل من إخوان ذي النون، فكتب إليه أن يدعو له، فكتب إليه ذو النون: سألتني أن أدعو الله لك أن يزيل عنك النِّعم؟! واعلم -يا أخي- أنّ العلّة مجزاة يأنس بها أهلُ الصفاء والهمم، والضياء في الحياة ذِكْرُك للشفاء، ومَن لم يَعُدّ البلاء نعمة؛ فليس من الحكماء، ومَن لم يأمن الشفيقَ على نفسه؛ فقد أَمِن أهل التهمة على أمره. فليكن معك -يا أخي- حياء يمنعك عن الشكوى والسلام.

* * *

- وقال بعضهم: كتبتَ إليّ تسألني عن حالي، فما عسيتَ أن أُخبرك به من حالي وأنا بين خِلالٍ موجِعات، أبكاني منهنّ أربع: حبُّ عيني للنظر، ولساني للفضول، وقلبي للرئاسة، وإجابتي إبليسَ عدوّ الله فيما يكره الله.

وأقلقني منها: عينٌ لا تبكي من الذنوب المنتنة، وقلب لا يخشع عند نزول الموعظة، وعقلٌ وَهِنٌ فَهَمُّه في محبّة الدنيا، ومعرفةٌ كلّما قلّبتُها وجدتُني بالله أجهل.

وأضناني منها: إنّي عدمت خير خصال الإيمان: الحياء، وعدمت خير زاد الآخرة: التّقوى، وفنيتْ أيّامي بمحبّة الدنيا، وتضييعي قلبا لا أقتني مِثلَه أبدا.

* * *

- وودعه إنسان فقال له: قل لأبي يزيد: إلى متى النوم والراحة، وقد[2] جازت القافلة؟ فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون: الرجلُ مَن ينام الليل كلَّه، ثمّ يصبح في المنزل قبل القافلة. فقال ذو النون: هنيئا له؛ هذا كلام لا تبلغه أحوالنا.

* * *

- وكان العلماء يكتب بعضهم إلى بعض بثلاث: مَن أحسن سريرتَه أحسن الله علانيّته،

---

(١) ص ٦٦ب

(٢) ص ٦٧

ومَن أصلح آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومَن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

* * *

- وكتب رجل إلى عالِم: ما الذي أكسبك علمُك من ربّك؟ وما أفادك في نفسك ودينك؟ فكتب إليه العالِم: أثبتَ العلمُ الحجّةَ، وقطع عمود الشكّ والشبهة، وشغلتُ أيّام عمري بطلبه، ولم أدرك منه ما فاتني. فكتب إليه الرجل: العلم نور لصاحبه، ودليل على حظّه، ووسيلة إلى درجات السعداء. فكتب إليه العالِم: أبليتُ إليه في طلبه جَدَّ الشباب؛ فأدركني حين علمتُ الضعفُ عن العمل به، ولو اقتصرتُ منه على القليل؛ كان لي فيه مرشد إلى السبيل.

* * *

- كان شيخنا أبو عبد الله المجاهد، وشيخنا تلميذه أبو عبد الله بن قسّوم، نائبه في التدريس والإمامة، لا يبرح الورق والمداد والقلم معهما؛ يكتبان كلّ يوم ما قدّر لهما من العلم؛ رغبةً[1] أن يحشرا غدا عند الله من طلاب العلم.

* * *

وصيّة

دخل رجل على عبد الملك بن مروان، ممن كان يوصف بالفضل والأدب، فقال له عبد الملك بن مروان: تكلّم. قال: بِمَ[2] أتكلّم، وقد علمتُ أنّ كلّ كلام يَتكلّم به المتكلّمُ وبالٌ؛ إلّا ما كان لله. فبكى عبد الملك، ثمّ قال: يرحمك الله؛ لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين؛ إنّ للناس في القيامة جولة، لا ينجو مِن غصص مرارتها، ومعاينة الردى فيها إلّا من أرضى اللهَ بسخط نفسه. قال: فبكى عبد الملك، ثمّ قال: لا جرم والله لأجعلنّ هذه الكلمات مثالا نُصب عينيّ ما عشت أبدا.

---

(١) ص ٦٧ب

(٢) ق، س، هـ: بما

وصيّة مشفق ناصح عند أمير صالح

لمّا قدم عمر بن هبيرة العراق واليا، أرسل إلى الحسن والشعبي(١)؛ فأمر لهما ببيتٍ، فكانا فيه شهرا أو نحوه، ثمّ إنّ الخصِيّ غدا عليهما ذات يوم، فقال: إنّ الأمير داخلٌ عليكما. فجاء عمر متوكّئا على عصا له، فسلّم، ثمّ جلس معظّما لهما. فقال: إنّ أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب إليّ كتبا، أعرف أنّ في إنفاذها الهلك؛ فإن أطعتُه عصيت (الله)(٢)، وإن عصيته أطعتُ الله؛ فهل(٣) تريان(٤) لي في متابعتي إيّاه فرجا؟ فقال الحسن للشعبي: يا أبا عمرو؛ أجب الأمير. فتكلّم الشعبي بكلام يريد به إبقاء وجهٍ عنده. فقال ابن هبيرة: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال: أيّها الأمير؛ قد قال الشعبي ما قد سمعتَ. قال: ما تقول أنت؟

قال: أقول يا عمر بن هبيرة؛ يوشك أن ينزل بك ملَك من ملائكة الله -تعالى- فظٌّ، غليظٌ، لا يعصي الله ما أمره؛ فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك.

يا عمر بن هبيرة؛ إن تتّق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولن يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله إن أطعته وعصيتَ الله.

يا عمر بن هبيرة؛ لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك؛ فيغلق باب المغفرة دونك.

يا عمر بن هبيرة؛ لقد أدركتُ ناسا من صدر هذه الأمّة، كانوا عن الدنيا -وهي مقبلة- أشدَّ إدبارا من إقبالكم عليها وهي مدبرة.

يا عمر بن هبيرة؛ إنّي أخوّفك مقاما خوّفكه الله، فقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِي﴾(٥).

(١) هما الحسن البصري، وعامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو الكوفي
(٢) لم ترد في ق، ووردت في هـ، س
(٣) ص ٦٨
(٤) ق: تريا
(٥) [إبراهيم: ١٤]

يا عمر بن هبيرة؛ إن تكن مع الله في طاعته؛ كفاك يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله؛ وكّلك الله إليه.

فبكى عمر بن هبيرة، وقام بعَبْرته. فلمّا كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما[1] وجوائزهما؛ فأكثرَ[2] جائزة الحسن، وأنقصَ جائزة الشعبيّ. فخرج الشعبيُّ إلى المسجد فقال: أيّها الناس؛ من استطاع منكم أن يؤثِر الله على خلقه فليفعل؛ فوالذي نفسي بيده ما علِم الحسن منه شيئًا فجهلته، ولكنّي أردتُ وجه ابن هبيرة؛ فأقصاني الله منه.

* * *

- قلت: وكتبت إلى عزّ الدين كيكاوس سلطان بلاد الروم جواب كتاب كتب به إليّ من أنطالية، وكنت مقيما بملطيَة

كَتَبْتُ كِتابِي والدُّمُوعُ تَسِيْلُ ... وَمَا لِي إِلَى ما أَرْتَضِيْهِ سَبِيْلُ
أُرِيْدُ أَرَى دِيْنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... يُقَامُ[3] وَدِيْنَ المُبْطِلِيْنَ يَزُوْلُ
فَلَمْ أَرَ إِلَّا الزُّوْرَ يَعْلُو وَأَهْلَهُ ... يَعِزُّونَ والدِّيْنُ القَوِيْمُ ذَلِيْلُ
فَيَا عِزَّ دِيْنِ اللهِ سَمْعًا لِنَاصِحٍ ... شَفِيْقٍ فَنُصّاحُ المُلُوكِ قَلِيْلُ
وحَاذِرْ بِتَأْيِيْدِ الإِلَهِ بِطانَةً ... تُشِيْرُ بِأَمْرٍ ما عَلَيْهِ دَلِيْلُ
لِيَنْمِيَ[4] بَيْتُ المَالِ والبَيْتُ ساقِطٌ ... فَجُدْ وَتَوَكَّلْ فَالإِلَهُ كَفِيْلُ

* * *

وصيّة بمراقبة الألفاظ المسموعة

بلغني أنّ عمر بن عبد العزيز لمّا وَلِي الخلافة أخذ أقطاعَ أميرٍ كبير، كان أقطعه إيّاها سليمان بن عبد الملك والوليد بن عبد الملك. فلمّا مات عمر بن عبد العزيز وولي يزيد بن عبد الملك،

(١) رسمها في ق: يأذنهما
(٢) ص ٦٨ب
(٣) كتب فوقها بقلم الأصل: "معا" وفي الهامش: "يقوم، يقيم" وفوقها "معا" يشير بذلك إلى صواب أي من هذه الألفاظ الثلاثة
(٤) ص ٦٩

جاء الأمير إليه، فقال له: إنّ أخاك سليمان أمير المؤمنين والوليد، أقطعاني شيئا قطعه عنّي أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ﷺ فأريد منك أن تردّه عليّ. فقال: لا أفعلُ. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّ الحقّ في ما فعل عمر بن عبد العزيز. قال: وبِمَ[1] ذلك؟ قال: لأنّ أخويّ أحسنا إليك، وذكرتهما، وما دعوتَ لهما، وعمر بن عبد العزيز أساء إليك، وذكرته؛ فترضّيت عليه؛ فعلمتُ أنّ عمر آثر اللهَ على هواه فيك، وأنّ سليمان بن عبد الملك والوليد آثرا هواهما على حقّ الله؛ فوالله لا رأيتَه منّي أبدا. وهذا من أحسن ما يحكى من التفاتات ولاة الأمور.

وصيّة في موعظة

قال سعيد بن سليمان: كنت بمكة، وإلى جانبي عبد الله بن عبد العزيز العمري، وقد حجّ هارون الرشيد، فقال له إنسان: يا أبا عبد الله؛ هو[2] ذا أمير المؤمنين يسعى، وقد أُخلي له المسْعَى. قال العمري للرجل: لا جزاك الله عنّي خيرا؛ كلّفتني أمرا كنت عنه غنيّا، ثمّ قام. فتبعته. فأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا، فصاح به: يا هارون؛ فلمّا نظر إليه، قال: لبّيك يا عمري؛ قال: ارْقَ الصفا. فلمّا رَقِيه[3]، قال: إرم بطرْفك إلى البيت. قال هارون: قد[4] فَعَلتُ. قال: كم هم؟ قال: ومَن يحصيهم؟ قال: فكم في الناس مثلهم؟ قال: خلقٌ لا يحصيهم إلّا الله. قال: اعلم -أيّها الرجل- أنّ كلّ واحد منهم يُسأل عن خاصّة نفسه، وأنت وحدك تُسأل عنهم كلّهم؛ فانظر كيف تكون! قال: فبكى هارون، وجلس، وجعل يعطونه منديلا منديلا للدموع. فقال العمري: وأخرى أقولها. قال: قل -يا عمّ- قال[5]: والله؛ إنّ الرجل ليسرع في مالِه فيستحقّ الحجر عليه؛ فكيف بمن أسرع في مال المسلمين. ثمّ مضى، وهارون يبكي. قال البغوي: فبلغني أنّ هارون الرشيد كان يقول: إنّي لأحبّ أن أحجّ كلّ سنة، ما يمنعني إلّا رجل من ولد عمر يُسمعني ما أكره.

---

(١) ق: وبما

(٢) ص ٦٩ب

(٣) ق: رقيته

(٤) ثابتة في الهامش بقلم الأصل

(٥) ق، هـ: - قال

وصيّة نبويّة في موعظة إلهيّة

قال رسول الله ﷺ: يقول الله -تعالى-: «يا ابن آدم؛ كلّ يوم نرزقك وأنت تحزن، وننقص كلّ يوم من عمرك وأنت تفرح، أنت[1] فيما يكفيك، وتطلب ما يطغيك، لا بقليل تقنع، ولا بكثير تشبع».

* * *

وصيّة (أحد الصالحين لأبي جعفر المنصور)

حجّ أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور، فبينا هو يطوف بالبيت ليلا، إذ سمع قائلا يقول: اللهم إنّا نشكو إليك ظهورَ البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحقّ وأهله من الطبع. فخرج المنصور، فجلس ناحية من المسجد، ثمّ أرسل إلى الرجل. فصلّى ركعتين، ثمّ استلم الركن، وأقبل مع الرسول؛ فسلّم عليه بالخلافة. فقال له المنصور: ما الذي سمعتك تذكر؟ قال: إن أمّنتني -يا أمير المؤمنين- أعلمتك بالأمور من أصولها؛ وإلّا اقتصرت على نفسي؛ ففيها لي شغل شاغل. قال: فأنت آمِنٌ على نفسك. فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ الله استرعاك أَمْرَ عباده وأموالهم، فجعلتَ بينك وبينهم حُجَّابا من الجصّ والآجر، وأبوابا من الحديد، وحرّاسا معهم سلاح، ثمّ سجنتَ نفسَك منهم، وبعثت عمّالك في جباية الأموال وجمعها، وأمرت أن لا يدخل عليك من الناس إلّا فلان وفلان، ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف إليك، ولا أحد إلّا وله في هذا المال حقّ.

فلمّا رآك النفر الذين استخلصتهم لنفسك، وآثرتهم على رعيّتك، وأمرت أن لا يُحجبوا دونك؛ تجني الأموال وتجمعها[2]؛ قالوا: هذا خانَ اللهَ؛ فما لنا لا نخونه؟ فأتمروا ألّا يصِل إليك مِن علم أخبار الناس إلّا ما أحبّوه، ولا يخرجَ لك عاملٌ إلّا خوّنوه عندك وعابوه؛ حتى تسقطَ منزلته عندك. فلمّا انتشر ذلك عنك وعنهم؛ أَعظمَهم الناس، وهابوهم، وصانَعوهم، وكان أوّلَ

---

(١) ص ٧٠

(٢) ص ٧٠ب

مَن صانعهم عامِلُك بالهدايا والأموال؛ ليبقوا بذلك عمّالك على ظلم رعيّتك، ثمّ فعل ذلك ذوو المقدرة والأموال من رعيّتك؛ ليصلوا إلى ظلم مَن دونهم.

فامتلأتْ بلادُ الله بغيا وفسادا، وصار هؤلاء القوم شركاءك وأنت غافل. فإن جاء متظلِّم؛ حيل بينك وبينه، وإن أراد رفع قضيّته إليك؛ وجَدَك قد نَهيتَ عن ذلك، ووقّفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم. فإن جاء ذلك المتَظلِّم، وبلغ بطانتك خَبَرُه؛ سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك. فلا يزال المظلوم يختلف إليه، ويلوذ به، ويشكو، ويستغيث، ويدفعه. فإذا جهد وخرج، ظهرَ لك وصرخ بين يديك؛ فَضُرِب ضربا مبرّحا يكون نكالا لغيره، وأنت تنظر فلا تنكِر؛ فما بقاء الإسلام على هذا؟

قال: فبكى المنصور بكاءً شديدا، وقال: ويحك! كيف أحتال لنفسي؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ للناس أعلاما يفزعون إليهم في دينهم، ويَرضَوْنَ بِهِم في[1] دنياهم؛ وهم العلماء، وأهل الديانة. فاجعلهم بطانتك يُرشدوك، وشاورهم يسدّدوك. فقال: قد بعثتُ إليهم فهربوا منّي! فقال: خافوا أن تحملهم على طريقتك، ولكن افتح بابك، وسهِّل حجابك، وانصر المظلوم، واقمع الظالم، وخذ الفَيْءَ والصدقات على وجوهها؛ وأنا ضامنٌ عنهم أنّهم يأتونك، ويسعدونك[2] على صلاح الأمّة. ثمّ أُذِّن بالصلاة، فقام يصلّي، وعاد إلى مجلسه، ثمّ طلب الرجل فلم يجده.

* * *

وصايا نبويّة رويناها من حديث الهاشمي يبلغ بها النبيّ ﷺ أنّه قال:

«أيّها الناس؛ أَقبلوا على ما كُلِّفتموه من إصلاح آخرتكم، وأَعرضوا عمّا ضُمِنَ لكم من أمر دنياكم، ولا تستعملوا جوارح غُذيّت بنعمته، في التعرّض لسخطه بمعصيته، واجعلوا شُغْلَكم التماس مغفرته، واصرفوا هممكم إلى التقرّب إليه بِطاعته؛ إنّه من بدأ بنصيبه من الدنيا فاتَهُ نصيبُه

(١) ص ٧١

(٢) الإسعاد: المعاونة

من الآخرة، ولا يدرِك منها ما يريد، ومن بدأ بنصيبه مِن الآخِرة؛ وصل إليه[1] نصيبُه من الدنيا، وأدرك من الآخرة ما يريد».

⋆ ⋆ ⋆

وصيّة منظومة من ذي علم في الاعتذار[2]

إذا اعْتَذَرَ الصَّدِيْقُ إِلَيْكَ يَوْمًا   مِنَ التَّقْصِيْرِ عُذْرَ أَخٍ مُقِرِّ
فَصُنْهُ عَنْ عِتابِكَ واعْفُ عَنْهُ   فإِنَّ العَفْوَ شِيْمَةُ كُلِّ حُرِّ

⋆ ⋆ ⋆

وصايا إلهيّة

يقول الله تعالى: «يا ابن آدم؛ إذا ذكرتني شكرتني، وإذا نَسِيتني كفرتني. أَنفِق أُنفِق عليك. أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحرّكتْ بي شفتاه. لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أَمْنَيْن؛ إن خافني في الدنيا لم يخفْ في الآخرة، وإن أمِنني في الدنيا لم يأمن في الآخرة. أين المتحابّون بجلالي؛ اليوم أُظلّهم في ظِلّي. أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني. يقول الله: لِأَهونِ أهلِ النار عذابا: لو أنّ لك ما في الأرض مِن غنى؛ كنت تفتدي به؟ قال: نعم. قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا، وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي شيئًا؛ فأبيتَ[3] إلّا الشرك. الكبرياءُ ردائي، والعظمة إزاري؛ فمن نازعني واحدا منهما أدخلته النار».

- (يقول الله لموسى): إنّ هذا دين ارتضيته لنفسي؛ لا يصلحه إلّا السخاء وحسن الخلُق؛ فأكرموه بهما ما صحبتموه.

يا موسى؛ إنّك لن تتقرّب إليّ بشيء أحبّ إليّ من الرضا بقضائي، ولن تعمل عملا أحفظ لحسناتك من النظر في أمورك.

---

(١) ص ٧١ب

(٢) قائلها: محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦هـ)

(٣) ص ٧٢

يا موسى؛ لا تتضرّع إلى أهل الدنيا؛ فأسخط عليك، ولا تَجُدْ بدِينك لدنيا؛ فأغلق عليك أبواب رحمتي.

يا موسى؛ قل للمؤمنين التائبين: أبشروا، وقل للمؤمنين المخبتين: اجتنبوا وأحسنوا، أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. مَن رجا غيري لم يعرفني، ومن لم يعرفني لم يعبدني؛ ومن لم يعبدني فقد استوجب سخطي، ومن خاف غيري حلّتْ به نقمتي.

يا موسى؛ خَفْ ثلاثة: خَفْنِي، وخَفْ نفسك، وخَفْ مَن لا يخافني.

يا ابن آدم؛ إنّك ما دعوتني ورجوتني؛ غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي.

يا ابن آدم؛ لو بلغتْ ذنوبُك عنانَ السماء ثمّ استغفرتني؛ غفرت لك ولا أبالي.

يا ابن آدم؛ إنّك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثمّ لقيتني لا(١) تشرك بي شيئًا؛ لأتيتك بقرابها مغفرة.

- إذا قال العبد: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾(٢) يقول الله: «ذكرني عبدي»

وإذا قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٣) يقول الله: «حمِدني عبدي».

وإذا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾(٤) يقول الله: «أثنى عليّ عبدي».

وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾(٥) يقول الله: «مجّدني عبدي، فوّض إليّ عبدي».

وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾(٦) يقول الله: «هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل»

---

(١) ص ٧٢ب
(٢) [الفاتحة: ١]
(٣) [الفاتحة: ٢]
(٤) [الفاتحة: ٣]
(٥) [الفاتحة: ٤]
(٦) [الفاتحة: ٥]

وإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ. صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[1] يقول الله: «هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل».

فإذا قال: «آمين» يقول الله: «قد أجبت».

- «الإخلاص سِرٌّ من أسراري استودعته قلبَ مَن أحببت من عبادي».

- «إذا أخذتُ كريمتي عبدي في الدنيا -يعني عينيه-؛ لم يكن له جزاءٌ عندي إلّا الجنّة».

- قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر الزمان رجالٌ يحملون الدنيا بالدِّين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسِنَتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله: أبي يغترّون؟ أم عليّ يجترئون؟ فبي حلفت: لأبعثنّ على أولئك منهم فتنةً تَدَعُ الحليمَ منهم[2] حيران».

- قال رسول الله ﷺ: «يُجاء يوم القيامة بابن آدم كأنّه بَذَجٌ[3] فيوقف بين يدي الله -تعالى- فيقول الله: أعطيتك، وخوّلتك، وأنعمتُ عليك؛ فماذا صنعت؟ فيقول: جمعته، وثمّرته، وتركته أكثر ما كان؛ فارجعني. فيقول: أرني ما قدّمت. فيقول: يا ربّ؛ جمعته، وثمّرته، وتركته أكثر ما كان؛ فارجعني آتك به. فإذا عبدٌ لم يقدّم خيرا؛ فيمضى به إلى النار».

- «يا ابن آدم؛ تفرّغ لعبادتي؛ أملأ صدرك غنى، وأسدّ فقرك، وإن لا تفعل؛ أَملأ يديك شغلا، ولم أَسدّ فقرك».

يا ابن آدم؛ لو رأيت يسير ما بقي من أجلك؛ لزهدت في طول ما ترجو من أملِك، وقصّرت من حرصك وحِيلك، وابتغيت الزيادة. وإنما تلقى الندم لو قد زلّت بك القدم، وأَسلمَك الأهل والحشم، وانصرَف عنك الحبيب، وأسلمَك القريب؛ فلا أنت إلى أهلك عائد،

(١) [الفاتحة: ٦، ٧]

(٢) ص ٧٣

(٣) عرفت في الهامش بقلم آخر كما يلي: "البذج من أولاد الضأن بمنزلة العتود من أولاد المعز"

ولا في علمك زائد؛ فاعمل ليوم القيامة، يوم الحسرة والندامة.

وقال الله: «إنما أتقبّل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خَلقي، ولم يبت مصرًّا على معصيتي، وقطع نهاره في ذِكْري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب، ذلك[١] نوره كنور الشمس؛ أَكلؤه بعزّتي، وأستحفظه ملائكتي، أجعل له في الظلمة نورا، وفي الجهالة علما، ومَثَله في خلقي كمَثَل الفردوس في الجنّة».

يا موسى؛ إنّي أعلّمك خمسَ كلمات، هنّ عماد الدين: ما لم تعلم أن قد زال ملكي؛ فلا تترك طاعتي. وما لم تعلم أنّ خزائني نفِدَت؛ فلا تهتمّ برزقك، وما لم تعلم أنّ عدوّك قد مات؛ فلا تأمن فاجِئتَه، ولا تَدَع محاربته. وما لم تعلم أنّي قد غفرت لك؛ فلا تَعِبِ المذنبين. وما لم تدخل جنّتي؛ فلا تأمن مكري.

- قال رسول الله ﷺ: «قال موسى: يا ربّ؛ علّمني شيئًا أذكرك به، وأَدْعُكَ به؟ قال: يا موسى؛ قل لا إله إلّا الله. قال موسى: يا ربّ؛ كلّ عبادك يقول هذا. قال: قل لا إله إلّا الله. قال: لا إله إلّا أنت، إنما أريد شيئا تخصّني به. قال: يا موسى؛ لو أنّ السماوات السبع وعمّارهنّ، والأرضين السبع، في كفّة، ولا إله إلّا الله في كفّة؛ مالت بهنّ لا إله إلّا الله».

- يقول الله لمحمد ﷺ: «يا محمد؛ أما يرضيك أنّه لا يصلّي عليك أحد إلّا صلّيت عليه عشرا، ولا يسلِّم عليك أحد إلّا سلّمت عليه عشرا»؟

- وقال الله: «وجبتْ محبّتي للمتحابّين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتباذلين فيّ، والمتزاورين[٢] فيّ».

- يقول الله ﷻ: «يا دنيا؛ اخدمي من خدمني، وأتعبي -يا دنيا- مَن خدمك».

(١) ص ٧٣ب
(٢) ص ٧٤

- وقال الله: «إنّ عبدا أصححت له جسمه، ووسّعت عليه في المعيشة، تمضي عليه خمسة أيّام(١) لا يفدّ(٢) إليّ لَمَحروم».

- وقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله سيخلّص رجلا من أمّتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلّا، كلّ سجلّ مثل مدّ البصر، ثمّ يقول له: أتنكر من هذا شيئا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الحافظون؟ فيقول: لا يا ربّ. فيقول: فلك عذر؟ فيقول: لا يا ربّ. فيقول: بلى؛ إنّ لك عندي حسنة؛ فإنّه لا ظلم عليك اليوم. فيخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضُرْ وزنَك. فيقول: يا ربّ؛ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقول: إنّك لا تُظلم. قال: فتوضع السجلّات في كفّة، والبطاقة في كفّة؛ فطاشت السجلّات، وثقلت البطاقة؛ فلا يثقل مع اسم الله شيء».

- وقال رسول الله ﷺ: «يوقَفون -يعني الملائكة- بين يدي الله، ويشهدون -يعني للعبد- بالعمل الصالح المخلَص لله، فيقول الله لهم: أنتم الحفظة على عمل عبدي، وأنا(٣) الرقيب على ما في قلبه، إنّه لم يُرِدني بهذا العمل، وأراد به غيري؛ فعليه لعنتي».

- وقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكلّ أمّة جاثية. فأوّل مَن يُدعى به رجلٌ جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال. فيقول الله للقاري: ألم أعلِّمك ما أنزلته على رسولي؟ قال: بلى يا ربّ. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله له: كذبتَ، وتقول الملائكة له: كذبت، ويقول الله: إنما قرأت ليقال: فلان قارئ؛ فقد قيل ذلك.

ويؤتَى بصاحب المال، فيقول الله له: ألم أُوَسِّع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا ربّ؛ قال: فماذا عملتَ فيما آتيتك؟ قال: كنت أَصِل الرحم، وأتصدّق. فيقول الله له:

---

(١) كتب في هامش ق بقلم آخر: "أعوام" وبجانبها حرف خ، وهي كذلك في س

(٢) كتب في هامش ق بقلم آخر: "يفد" وبجانبها حرف خ

(٣) ص ٧٤ب

كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله له: بل أردتَ أن يقال: فلان جواد؛ فقيل ذلك.

ويؤتَى بالذي قُتل في سبيل الله، فيقول الله له: فيماذا قُتلتَ؟ فيقول: أُمرتَ بالجهاد في سبيلك؛ فقاتلتُ حتى قُتلتُ. فيقول الله له: كذبتَ، وتقوله له الملائكة: كذبتَ، ويقول الله له: بل أردتَ أن يقال: فلان جريءٌ؛ فقد قيل ذلك.

ثمّ ضرب رسول الله ﷺ على[1] ركبة أبي هريرة، وقال: يا أبا هريرة؛ أولئك الثلاثة أوّلُ مَن تُسَعَّر بهم النار يوم القيامة. فكان أبو هريرة إذا حدّث بهذا الحديث يُغشى عليه، يقول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[2]».

كَمْ تَمَنَّيْـتُ فَأَحْسَـنْتُ المَقَـالْ … وَفَعَلْـتُ الخَـيْرَ جَهْـرًا لِيُقَـالْ
فـإذا واسَـيْتُ يَوْمًـا سـائِلًا … أَطْلُـبُ الشُّـكْرَ عَلَيْهَـا لِيُقَـالْ
وإذا قاتَلْـتُ يَوْمًـا كافِـرًا … أَطْلُـبُ الذِّكْـرَ عَلَيْـهِ لِيُقَـالْ
وإذا مـا صُمْـتُ يَوْمًـا صـائِمًا … أَشْـتَكِي الجُـوْعَ عَشِـيًّا لِيُقَـالْ
وإذا صَـلَّيْتُ والنـاسُ مَعِـي … أَتَـأَنَّى فِي صَـلاتِي لِيُقَـالْ
وأَنا فِي خُلْـوَتِي أَنْقُرُهَـا … حَيْثُ لا أَخْشَى عَلَيْهَا أَنْ يُقَـالْ
عَمَـلِيْ عُجْـبٌ وصُـنْعٌ وَرِيَا … يَا لَهَـا مِـنْ عَـثَرَاتٍ لا تُقَـالْ
فـاهْجُرُونِي[3] واطْـرُدُونِي عـنْكُمُ … إنّ أَحْمَـالِي وأَوْزَارِي ثِقَـالْ
نَسْـأَلُ اللهَ تَعَـالَى تَوْبَـةً … خـالِصَ الصِّـدْقِ لَهُ لا لِيُقَـالْ

---

(١) ص ٧٥
(٢) [الكهف: ١١٠]
(٣) ص ٧٥ب

وصيّة اعتبار لأحد الأبرار

بلغني أنّ عمر بن عبد العزيز شيّع جنازة، فلمّا انصرفوا تأخّرَ عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة. فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين؛ جنازةٌ أنت وليُّها تأخّرتَ عنها وتركتها؟ فقال: نعم ناداني القبر من خلفي: يا عمر بن عبد العزيز؛ ألا تسألني ما صنعتُ بالأحبّة؟ قلت: بلى. قال: خرقتُ الأكفان، ومزّقتُ الأبدان، ومصصتُ الدم، وأكلتُ اللحم. قال: ألا تسألني ما صنعتُ بالأوصال؟ قلت: بلى. قال: نزعتُ الكفّين من الذراعين، والذراعين من العضدين، والعضدين من الكتفين، والوركين من[1] الفخذين، والفخذين من الركبتين، والركبتين من الساقين، والساقين من القدمين.

ثمّ بكى عمر، ثمّ قال: ألا إنّ الدنيا بقاؤها قليل، وعزيزها ذليل، وغنيّها فقير، وشابُّها يهرم، وحيُّها يموت؛ فلا يغرّنّكم إقبالُها مع معرفتكم بسرعة إدبارها؛ والمغرور مَن اغترّ بها. أين سكّانها الذين بَنَوْا مدائنَها[2]، وشقّقوا أنهارها، وغرسوا أشجارها، وأقاموا فيها أيّاما يسيرة؟ غرّتهم بصحّتهم فاغترّوا، وبنشاطهم فركبوا المعاصي. إنّهم كانوا -واللهِ- في الدنيا مغبوطين بالأموال على كثرة المنع عليه، محسودين على جمعه. ما صنع التراب بأبدانهم؟ والرمل بأجسادهم؟ والديدان بعظامهم وأوصالهم؟ كانوا في الدنيا على أَسِرّة ممهّدة، وفرش منضودة، بين خدم يخدمون، وأهل يكرمون، وجيران يعضدون. فإذا مررتَ فنادِهم إن كنت مناديا، ومُرَّ بعسكرهم، وانظر إلى تقارب منازلهم، واسأل غنيَّهم؛ ما بقي مِن غِناه؟ واسأل فقيرهم؛ ما بقي من فقره؟ واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلّمون، وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون، واسألهم عن الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنة، والأجساد الناعمة؛ ما صنع بها الديدان؟ محت الألوان، وأكلت اللحمان، وعَفّرت الوجوه، ومحت المحاسن، وكسّرت الفقار، وأبانت الأعضاء، ومزّقت الأشلاء.

وأين حجّابُهم وقبابُهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم؟ وجمعهم ومكنونهم؟ والله ما فرشوا فراشا، ولا

(١) ق: و

(٢) ص ٧٦

وضعوا هناك متّكَا، ولا غرسوا لهم شجرا، ولا أنزلوهم من اللحد قرارا. أليسوا في منازل الخلوات والفلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سَواء[١]؟ أليس هم في مدلهمّة ظلماء؟ قد حيل بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبّة. فكم مِن ناعم وناعمة أصبحوا ووجوههم بالية؟ وأجساد لهم من أعناقهم نائية، وأوصالهم متمزِّقة؛ وقد سالت الحَدقات على الوجنات، وامتلأت الأفواه دما وصديدا، ودبَّت دوابُّ الأرض في أجسادهم؛ ففرّقت أعضاءهم، ثمّ لم يلبثوا -واللهِ- إلّا يسيرا حتى عادت العظام رميما، قد فارقوا الحدائق، وصاروا بعد السعة إلى المضائق؛ قد تزوجّت نساؤهم، وتردّدت في الطرق أبناؤهم، وتوزّعت الورثةُ ديارَهم وتراثَهم؛ فمنهم -واللهِ- الموسَّع له في قبره، الغضُّ الناضر فيه، المتنعِّم بلذّته.

يا ساكن القبر غدًا؛ ما الذي غرّك من الدنيا؟ هل تعلم أنّك تبقى، أو تبقى لك؟ أين دارك الفيحاء، ونهرك المطَّرِد؟ وأين ثمرتك الحاضرةُ ينعُها؟ وأين رقاق ثيابك؟ وأين طِيبك؟ وأين بخورك؟ وأين كسوتك لِصَيْفك وشتائك؟ أما رأيته قد نزل به الأمر؛ فما يدفع عن نفسه دَخَلا، وهو يرشح عرقا، ويتلمّظ عطشا، يتقلّب في سكرات الموت وغمراته.

جاء الأمر من السماء، وجاء غالب القدر والقضاء، جاء من الأمر الأجلِّ ما لا يمتنع منه. هيهات! يا مُغمِضَ الوالدِ والأخِ والولدِ وغاسِلَه، يا مكفِّنَ الميّت وحامِلَه، يا مخلّيه في القبر وراجعا عنه. ليت شعري؛ كيف كنت على خشونة الثرى[٢]؟ ليت شعري؛

بأيّ خدّيكَ تبدى البلى ... وأيّ عَيْنَيْــكَ أذَنْ ســالا[٣]

يا مجاور الهَلكَات! صرتَ في محلّ الموتى، ليت شعري ما الذي يلقاني به ملَك الموت عند خروجي من الدنيا؟ وما يأتيني به من رسالة ربّي؟ ثمّ تمثّل[٤]:

---

(١) ص ٧٦ب

(٢) ص ٧٧

(٣) الذنين: ما يسيل من الأنف من المخاط وقد ذنّ الرجل يذن ذنينًا فهو أذنّ. وفي المثل: "أنفك منك وإن كان أذن" [مجمع الأمثال (١ / ٧)]

(٤) الأبيات من شعر عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني

تُسَرُّ بِمَا يَفْنَى وتُشْغَلُ بِالْمُنَى ... كَمَا اغْتَرَّ باللَّذَّاتِ فِي النَّوْمِ حالِمُ
نَهَارُكَ يا مَغْرُورُ سَهْوٌ وغَفْلَةٌ ... ولَيْلُكَ نَوْمٌ والرَّدَى لَكَ لازِمُ
وتَعْمَلُ شَيْئًا سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّهُ ... كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيْشُ البَهَائِمُ

ثمّ انصرف. فما بقي بعد ذلك إلّا جمعة، ومات ﷺ.

* * *

ومن نظمنا في ذلك

شـابَ فَوْدَايَ[1] وشَـبَّ الأَمَـلُ ... ومَضَـى العُمْـرُ وجـاءَ الأَجَـلُ
عَسْـكَرُ المَـوْتَى لَنَـا مُنْتَظِـرٌ ... فـإِذا صِرْنَا إِلَـيْهِمْ رَحَلُـوا
لَيْتَ[2] شِعْرِي لَيْتَ شِعْرِي هَلْ دَرَوا ... أَنَّـنِي بَعْـدَهُمُ مُشْـتَغِلُ
فِي فُنُـونِ اللَّهْـوِ أَفْـنَى طَـرَبًا ... غافِـلٌ عَمَّـا لَهُ أَنْتَقِـلُ

* * *

ولنا في هذا المعنى أيضا

ضَمَّتْ لَنَا آرامُنَا الآراما ... فَكَأَنَّ ذَاكَ العَيْشَ كانَ مَنَاما
يا واقِفِيْنَ عَلَى القُبُورِ تَعَجَّبُوا ... مِنْ قائِمِيْنَ كَيْفَ صارُوا نِيَاما
تَحْتَ التُّرابِ مُوَسِّدِيْنَ أَكُفَّهَمْ ... قَدْ عايَنُوا الحَسَناتِ والإِجْراما
لا يُوْقَظُونَ فَيُخْبِرُونَ بِمَا رَأَوْا ... لا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ نَكُونُ قِيَاما

* * *

ورأيت على قبرٍ أبياتا، وهي على لسان صاحبه

أَيُّهـا النـاسُ كانَ لِي أَمَـلُ ... قَصَّرَ بِي عَنْ بُلُوغِهِ الأَجَلُ

(١) فوداه: جانبا رأسه، مفرده فود
(٢) ص ٧٧ب

فَلْيَتَّـــقِ اللهَ رَبَّـــهُ رَجُـــلٌ　　أَمْكَنَـهُ فِي حَيَاتِـهِ العَمَـلُ
ما أَنَا وَحْدِي نُقِلْتُ حَيْثُ تَـرَوْا　　كُلٌّ إِلَى مِـــثْلِهِ سَـــيَنْتَقِلُ

* * *

ورأيت[1] أيضا مكتوبا على قبر

يا مَنْ بِـدُنْيَاهُ اشْـتَغَلْ　　أَغَـرَّهُ طُـوْلُ الأَمَـلْ
وَلَـمْ يَـزَلْ فِي غَفْـلَةٍ　　حَـتَّى دَنَا مِنْـهُ الأَجَـلْ
المَـوْتُ يَـأْتِي بَغْتَـةً　　والقَبْرُ صُنْدُوقُ العَمَـلْ

ورأيت مكتوبا على قبر أُمّ ابن البسيلي، وكان ابنها من أصدقائي، وقد علّاه وشيّده، وأنفق على بنيانه مالا كثيرا، فكتب شخص من أصحابنا أبياتا عليه لبعضهم يخبر عن صورة الحال، وهي:

أَرَى أَهْـــلَ القُصُـــورِ إذا تُوُفُّـــوا　　بَنَـوْا تِـلْكَ المَقَـابِرَ بِالصُّـخُورِ
أَبَـــوْ إِلَّا مُباهَـــاةً وفَخْـــرًا　　عَـلَى الفُقَـرَاءِ حَـتّى فِي القُبُـوْرِ
فَـإِنْ يَكُـنِ التَّفاضُـل فِي ذُرَاهَـا　　فَـإِنّ العَـدْلَ مِنْهَـا فِي القُعُـورِ
لَعَمْـــرُ أَبِـــيْهِمُ لَـــوْ أَبْـــرَزُوهُمْ　　لَمَـا عَلِمُـوا الغَـنِيَّ مِـنَ الفَقِـيْرِ
وَلا عَرَفُـوا الَعَبِيْـدَ مِـنَ المَـوالِي　　وَلا عَرَفُـوا الإِنَاثَ مِـنَ الذُّكُـورِ
وَلا[2] البَـدَنَ المُلَبَّس ثَـوْبَ صُـوْفٍ　　وَلا البَـدَنَ المُـنَعَّمَ فِي الحَرِيْـرِ
إذا مـا مـات هَـذَا ثُمَّ هَـذَا　　فَمَـا فَضْـلُ الغَـنِيّ عَـلَى الفَقِـيْرِ

* * *

وكان على قبرٍ مكتوبا بمدينة سَلا مُنقطع التراب بيتان على لسان صاحب القبر:

---

(١) ص ٧٨
(٢) ص ٧٨ب

ولَقَدْ نَظَرْتَ كَمَا نَظَرْتُ ... ولَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا اعْتَبَرْتُ
فانْظُرْ لِنَفْسِكَ سَيِّدِي ... قَبْلَ الحُصُولِ كَمَا حَصَلْتُ

* * *

وصيّة سنيّة من ذي همّة عليّة

لا تَضْرَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ ... فإِنّ ذَاكَ مُضِرٌّ مِنْكَ بِالدِّيْنِ
واسْتَرْزِقِ اللهَ رِزْقًا مِنْ خَزائِنِهِ ... فإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الكَافِ والنُّوْنِ

* * *

وفي هذا المعنى قال أبو حازم الأعرج لبعض الخلفاء، وقد سأله الخليفة: ما مالك يا أبا حازم؟ فقال: الرضا عن الله، والغنى عن الناس.

لِلناسِ مَالٌ وَلِي مَالانِ ما لَهُمَا ... إذا يُحارِسُ أَهْلَ المالِ حُرَّاسُ
مالي[1] الرِّضا بالذِي أَصْبَحْتُ أَمْلِكُهُ ... وَمالِيَ اليَأْسُ مِمَّا يَمْلِكُ الناسُ

قال له خاله هشام بن عبد الملك لمّا وَلِي البحرين: ما طعامك يا أبا حازم؟ قال: الخبز والزيت. قال: أفلا تسأمها؟ قال: إذا سأمتها تركتها حتى اشتهيها.

* * *

وصيّة إلهيّة مذكِّرة

﴿مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسُۢ بِأَيِّ أَرْضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾[2].

وَما[3] هَذِهِ الأيّامُ إِلَّا مُعارَةٌ ... فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوْفِهِ فَتَزَوَّدِ
فإِنَّكَ لا تَدْرِي بِأَيَّةِ بَلْدَةٍ ... تَمُوْتُ وَلا ما يُحْدِثُ اللهُ فِي غَدِ
يَقُولُونَ لا تَبْعُدْ وَمَنْ يَكُ بُعْدُهُ ... ذِرَاعَيْنِ مِنْ قُرْبِ الأَحِبَّةِ يَبْعُدِ

---

(١) ص ٧٩
(٢) [لقمان: ٣٤]
(٣) هذه الأبيات للشاعر طرفة بن العبد (٨٦-٦٠ ق.هـ) انظر ترجمته في السفر الثاني عشر

وصيّة من امرأة من ولد حسان بن ثابت

سَلِ الخَيْرَ أَهْلَ الخَيْرِ قِدْمًا وَلا تَسَلْ فَتى ذاقَ طَعْمَ العَيْشِ مُنْذُ قَرِيْبِ

* * *

وصيّة[1] مجنون عاقل، قالها عند خليفة غافل

حجّ هارون الرشيد راجلا من أجل يمينه حين حنث، فقعد يستريح في ظلِّ مَيْل، فمرّ به بهلول المجنون، وكان في الركب، فقال له: يا أمير المؤمنين:

هَبِ الدُّنْيا تُواتِيْكا أَلَيْسَ المَوْت يَأْتِيْكا
أَلَا يا طالِبَ الدُّنْيا دَعِ الدُّنْيا لِشانِيْكا
إِلَى كَمْ تَطْلُب الدُّنْيا وظلُّ المَيْل يَكْفِيْكا

* * *

وصيّة حكيم في صفة الحميم

قيل لخالد بن صفوان: أيّ الإخوان أحبُّ إليك؟ قال: الذي يغفر زلّتي، ويسدّ خَلّتي، ويقيل علّتي.

وكتب رجل إلى صديق له: إنّي وجدت المودّة منقطعةً ما كانت الحشمةُ منبسطة، وليس يزيل سلطان الحشمة إلّا المؤانسة، ولا تقع المؤانسة إلّا بالبِرّ والملاطفة.

* * *

- بتنا ليلةً عند أبي الحسين بن أبي عمرو بن الطفيل بأشبيلية، سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وكان كثيرا ما يحتشمني، ويلتزم الأدب بحضوري، وبات معنا أبو القاسم الخطيب، وأبو بكر بن سام، وأبو الحكم بن السراج، وكلّهم قد منعهم احترام جانبي الانبساط، ولزموا[2] الأدب والسكون. فأردت أعمل الحيلة في مباسطتهم، فسألني صاحب المنزل أن يقف على شيء

---

(١) ص ٧٩ب
(٢) ص ٨٠

من كلامنا؛ فوجدت طريقا إلى ما كان في نفسي من مباسطتهم، فقلت له: عليك من تصانيفنا بكتابٍ سمّيناه: "الإرشاد في خرق الأدب المعتاد" فإن شئت عرضتُ عليك فصلا من فصوله؟ فقال لي: أشتهي ذلك. فمددت رجلي في حجره، وقلت له كبّسني. ففهِم عنّي ما قصدت، وفهِمت الجماعة؛ فانبسطوا وزال ما كان بهم من الانقباض والوحشة، وبتنا بأنعم ليلة في مباسطة دينيّة.

* * *

إفصاح بغالب الأحوال ممن يُعَدُّ من الأبدال

قال الحسن البصري: ما أُعطِي رجل شيئًا من الدنيا إلّا قيل له: خذه، ومثلَه من الحرص.

وقال: أشدّ الناس صراخا يوم القيامة؛ رجلٌ سَنَّ ضلالةً فاتُّبِع عليها، ورجلٌ سَيِّئ المَلَكة، ورجل فارغ استعان بنِعم الله على معاصيه.

* * *

وصيّة: (راقب إيمانك)

يا وليّ؛ راقب إيمانك، وأضِف إلى حسن صورته زينةَ العلم. فإذا زيّنته به؛ ظهر بصورة لم يكن عليها من الحسن، فإذا أعجبك؛ فأضف إليه زينةَ العمل بالعلم؛ فيزيد حسنا إلى حسن. فإذا تعشّقتَ بصورة العمل؛ لما ترى من حسنها، ربما أدّاك ذلك إلى أن تحمّل النفسَ[1] فوق طاقتها. فزيّن العمل بالرفق؛ فإنّ «المنبَتَّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى». وقد قيل: ما أضيف شيء إلى شيء أزين مِن حِلم إلى علم.

وإذا سَبَّك إنسان فانظر فيما سبَّك به؛ فإن كان ما سبّك به صفة فيك؛ فلا تلُمْه؛ فما قال إلّا حقًّا، ولُمْ نفسَك، وأَزِل عنها تلك الصفة المذمومة، واشكره على ما ظهر منه؛ فلقد بالغ في نصحك، وإن لم يقصده؛ ولكنّ الله نطَّقه؛ فارْعَ له ذلك. وإن سبّك بما ليس فيك؛ فخذ ذلك

---

(١) ص ٨٠ب

منه تذكرة وتحذيرا؛ يحذِّرك بما ذكره أن تذكره؛ لئلّا تتّصف به فيما تستقبله من زمانك؛ فقد نصحك على كلّ حال. فإن صدق فيما قال، فقل: "غفر الله لي ولك وللمسلمين" وإن كذب فيما قال: فقل: "غفر الله لك، فلقد نبّهتني على أمر ربما لولا تنبيهك وقعتُ فيه" وأنشده:

هَنِيْئًا[١] مَرِيْئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةَ مِنْ أَعْرَاضِنَا ما اسْتَحَلَّتِ

* * *

-كانت لي كلمة مسموعة عند بعض الملوك، وهو الملك الظاهر صاحب مدينة حلب -رحمه الله- غازي بن الملك الناصر لدين الله، صلاح الدين يوسف بن أيّوب، فرفعتُ إليه من حوائج الناس في مجلسٍ واحد مائة وثمانِ عشرةَ حاجةً، فقضاها كلّها، وكان منها أنّي كلّمته في رجل أظهر سِرَّهُ، وقدح في ملكه، وكان من جملة بطانته[٢]. وعزم (الملِك) على قتله، وأوصى به نائبَه في القلعة؛ بدر الدين ابن[٣] دمور أن يخفي أمره حتى لا يصل إليّ حديثه، فوصلني حديثه.

فلمّا كلّمتُه في شأنه أطرق وقال: حتى أُعرِّفَ المولى ذنبَ هذا المذكور، وأنّه من الذنوب الذي لا تتجاوز الملوك عن مثله. فقلت له: يا هذا؛ تخيّلت أنّ لك همّةَ الملوك، وأنّك سلطان، والله؛ ما أعلمُ أنّ في العالم ذنبا يقاوم عفوي، وأنا واحد من رعيّتك، وكيف يقاوِمُ ذنبُ رجلٍ عفوَك في غير حَدٍّ من حدود الله؟ إنّك لدنيءُ الهمّة. فخجل، وسرَّحه، وعفا عنه. وقال لي: جزاك الله خيرا من جليس، مِثْلُكَ مَن يجالس الملوك. وبعد ذلك المجلس؛ ما رفعتُ إليه حاجة إلّا سارع في قضائها لفوره من غير توقُّفٍ، كانت ما كانت.

- يا وليّ؛ احبس نفسَك على القليل من الذمّ تأمنْ كثيرَه؛ فإنّ النفسَ فيها لجاجة؛ إذا نوزِعَتْ صَدَعَتْ، وإذا سُكِتَ عنها انقمعتْ. قال الأحنف بن قيس في هذا المعنى: مَن لم يصبر على كلمة؛ أُسْمِعَ كلمات، ورُبَّ غيظ قد تجرّعتُه مخافةَ ما هو أشدُّ منه.

---

(١) البيت لكثيّر عزّة (٤٠-١٠٥هـ)

(٢) ص ٨١

(٣) رسمها قريب من: "أي" من غير نقط

- يا وليّ؛ والله؛ ما عاقبتُ أحدا يجب عليّ أدبُه؛ في حال غضبي، فإذا ذهبتْ عنّي حالةُ الغضب والغيظ، ورأيت المصلحة له في الأدب؛ أدّبته. وأمّا ما يرجع إليّ؛ فأعفو عنه عن طيب نفس، وعدم إقامة على دَغَل وحقد، وأبذل جهدي في إيصال خير إليه، وأسارع[1] إلى قضاء حوائجه. وما أدري أنّي أقرضت أحدا قرضا، وفي نفسي أنّي أطلبه منه؛ فلا أطلبه، وإن جاء به، وأرى حاجتي إليه؛ آخُذُه منه، ولا أُعْلِمه. وإن علمت أنّه ضيّق على نفسه فيه؛ أنظرته إلى ميسرة، هذا فيما يختصّ بنفسي. وحكمُ العيال حكمُ الجار الأقرب؛ له حقّ يطلبه، أنا مأمور بإيصاله إليه إذا قدرتُ عليه.

- يا وليّ؛ اعلم أنّ الحاكم لا بدّ إذا أرضى أحد الخصمين؛ أن يُسخِط الأخر، وأنت حاكم، والخصمان في مجلس قلبك: الملَك والشيطان. فأرضِ الملَك وأسخِط الشيطان؛ فإنّه يقول للإنسان: ﴿ٱكۡفُرۡ﴾، فإذا كفر ﴿قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

واعلم أنّ الدِّين أقوى جنّة[3] وأحصن، والعدل أقوى عدّة يتّخذها الحاكم لقتال مَن يسخطه من الخصمين؛ فإنّه يقاتل هواه فيه، ولا سيما إن كان المبطِل حميمه وصاحبه.

وإذا أردتَ أن لا تخاف أحدا فلا تُخِفْ أحدا؛ تأمنْ من كلّ شيء؛ إذا أَمِنَ منك كلُّ شيء. مررتُ في سفري في زمان جاهليّتي، ومعي والدي، وأنا ما بين قرمونة وبلمة من بلاد الأندلس، وإذا بقطيع حُمُرٍ وحشٍ ترعى، وكنت مولعا بِصيدها، وكان غلماني على بُعْدٍ منّي. ففكّرت في نفسي، وجعلت في قلبي أنّي لا أوذي واحدا منها بصيد. وعندما أبصرها الحصان الذي أنا راكبه؛ هشّ إليها، فَمَسَكْتُهُ عنها[4]، ورمحي بيدي، إلى أن وصلت إليها، ودخلت بينها، وربما مرّ سنان الرمح بأسنمة بعضها وهي في المرعى. فوالله؛ ما رفعتْ رءوسَها حتى جُزْتُها، ثمّ أعقبني الغلمان؛ ففرّت الحمر أمامهم، وما علمتُ سبب ذلك إلى أن رجعت إلى هذا الطريق، أعني طريق الله،

---

(١) ص ٨١ب
(٢) [الحشر: ١٦]
(٣) ق: "منه" والترجيح من س
(٤) ص ٨٢

فحينئذ علمت من نظري في المعاملة ما كان السبب، وهو ما ذكرناه؛ فَسَرَى الأمانُ في نفوسهم الذي كان في نفسي لهم.

فَكُفَّ عن ظلمك، واعدل في حكمك؛ ينصرك الحقّ، ويطيعك الخلق، وتصفو لك النِّعم، وترتفع عنك التُّهَم؛ فيطيب عيشُك، ويسكن جأشُك، وملكتَ القلوب، وأمنتَ محاربة الأعداء، وأخفى وُدَّه لك[١] في نفسه مَن أظهر لك العداوة في حِسِّه؛ لحسد قام به؛ فهو حبيبٌ في صورة بغيضٍ.

* * *

ومن منثور الحكم والوصايا

قال بعضهم: العدل ميزان الباري؛ ولذلك هو مُبرَّأ من كلّ زَيْغ ومَيْل.

وقال بعضهم في وصيّة ملِكٍ: إذا حَسُنت سِيرته، وصلُحت سريرته؛ صَيّر رعيّتَه جندا، وإنّ أوّل العدل أن يبدأ الرجل بنفسه فيُلزمها كلَّ خَلَّة زكيّة، وخصلة رضيّة، في مذهب سديد، ومكسب حميد؛ ليسلَمَ عاجلا، ويسعد[٢] آجلا. وإنّ أوّل الجور أن يعمد إليها فيجنِّبها الخير، ويعوِّدها الشرّ، ويُكسبها الآثام، ويُلبسها المذامّ؛ ليعظم وزرُها، ويقبح ذِكْرُها.

وقال بعضهم:

من بدأ بنفسه فساسها؛ أدرَك سياسة الناس.

أصلحوا أنفسكم؛ تصلح لكم آخرتكم.

أصلِح نفسَك لنفسك يكُنِ الناسُ تبعا لك.

أحسنُ العِظات ما بدأتَ به نفسَك، وأجريتَ عليه أمرَك.

---

(١) س، هـ: ودّك

(٢) ص ٨٢ب

من رضي عن نفسه؛ سخِط الناس عليه.

مَن ظلم نفسه؛ كان لغيره أظلم، ومَن هدم دينه؛ كان لمجده أهدم.

خير الآداب؛ ما حصل لك ثمرُه، وظهر عليك أثرُه.

مَن تعزّز بالله لم يُذلّه سلطان، ومَن توكّل عليه لم يضرّه شيطان.

ليكن مرجعك إلى الحقّ، ومنزعك إلى الصدق؛ فالحقُّ أقوى معين، والصدق أفضل قرين.

مَن لم يرحم الناسَ منعهُ اللهُ مِن رحمته، ومَن استطال بسلطانه سلبَهُ اللهُ مِن قدرته.

إنّ العدلَ ميزانُ الله وضعَه للخلق، ونَصبَه للحقّ؛ فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه.

استغنِ عن الناس بخَلّتين: قلّة الطمع، وشدّة الورع.

مَن[(١)] طال كلامه سُئِم، ومَن قلّ احترامه شُتِم.

* * *

ودخلتُ على بعض الصالحين بسبتة على بحر الرقاق، وكان قد جرى بيني وبين السلطان من الكلام ما يوجب وحر الصدر، ويضع من القدر. فوصل إليه الخبر، فلمّا أبصرني قال لي: يا أخي؛ ذَلَّ مَن ليس له ظالِمٌ يعضده، وضَلَّ من ليس له عالِمٌ يرشده. يا أخي؛ الرفقَ الرفقَ. فقلت له: ما دام رأس المال محفوظا، أعني الدِّين. فقال: صدقت، وسكت عنّي[(٢)].

- لا تحاجَّ مَن يُذهلك خوفُه، ويملِكك سَيْفُه؛ فرُبَّ حجّة تأتي على مهجة، وقرصة تؤدِّي إلى غُصَّة.

---

(١) ص ٨٣

(٢) تفاصيل هذه القصة ذكرها الشيخ في رسالة روح القدس ص ١٢١-١٢٢ وخلاصتها أنه ذهب مرة إلى سبتة ووجه له السلطان أبو العلاء مائدتين من الطعام له ولأصحابه فامتنع الشيخ وخواص أصحابه عن الأكل منها معتبرا أنّ مصدرهما حرام.. فوشي به إلى الوزير ثم وصلت المسألة إلى السلطان. فخاف عليه وعلى أصحابه أبو محمد عبد الله بن إبراهيم المالقي المعروف بالقلفاط.. وجرى بينهما الحوار الذي ذكره الشيخ.

وإيّاك واللجاجَ؛ فإنّه يوغِر القلوب، وينتج الحروب.

عِيٌّ تَسْلَمُ به خيرٌ من نُطقٍ تندم عليه، واقتصر من الكلام بما يقيم حجّتَك، ويملِّكك حاجتَك، وإيّاك وفضوله؛ فإنّه يُزِلُّ القدمَ، ويورِث النَّدم.

عِيٌّ يزري بك خيرٌ من براعةٍ تأتي عليك.

* * *

وصيّة نبويّة

قال رسول الله ﷺ لرجل يوصيه: «أقلل من الشهوات يسهل عليك الفقر، وأقلل من الذنوب يسهل عليك الموت، وقدِّم مالك أمامك يَسرّك اللحاق به، واقنع[١] بما أُوتيتَه يخفَّ عليك الحساب، ولا تتشاغل عمّا فرض عليك بما قد ضُمن لك.

إنّه ليس بفائتك ما قُسِم لك، ولست بلاحقٍ ما زُوِيَ عنك، ولا تك جاهدا فيما يصبح نافدا، واسْعَ لِمُلْكٍ لا زوالَ له في منزلٍ لا انتقال عنه».

* * *

ومن الوصايا النبويّة أيضا

قال رسول الله ﷺ: «ما سكن حبُّ الدنيا قلبَ عبد إلّا التاطَ منها بثلاث: شغلٌ لا ينفكُّ عَناه، وفقرٌ لا يُدْرَك غِناه، وأملٌ لا يُنال منتهاه. إنّ الدنيا والآخرة طالبتان ومطلوبتان؛ فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل رزقَه، وطالبُ الدنيا تطلبه الآخرة حتى يأخذ الموت بعنقه. ألا وإنّ السعيدَ مَن اختار باقيةً يدوم نعيمها، على فانيةٍ لا ينفدُ عذابُها، وقدَّمَ لما يقدَم عليه فيما هو الآن في يديه، قبل أن يُخلِّفه لمن يسعدُ بإنفاقه، وقد شقي هو بجمعه واحتكاره».

* * *

ومنها أيضا: قال رسول الله ﷺ: «كأنّ الموتَ على غيرنا كُتِب، وكأنّ الحقَّ فيها على غيرنا

(١) ص ٨٣ب

وَجَبْ، وكأنّ[1] الذين نُشيّع من الأموات سَفْرٌ، عمّا قليل إلينا راجعون، نُبوّئهم أجداثَهم، ونأكل تُراثَهم؛ كأنّا مخلَّدون بعدهم، نسينا كلَّ واعظةٍ، وأَمِنّا كلَّ جائحة.

طوبى لمن شَغله عيبُه عن عيوب الناس.

طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية، وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل الذلّة والمسكنة.

طوبى لمن ذَلّتْ نفسُه، وحسُنتْ خليقتُه، وطابتْ سريرتُه، وعزل عن الناس شرَّه.

طوبى لمن أنفق الفضل من مالِه، وأمسك الفضل من قوله، ووسِعته السنّة، ولم تستهوه البدعة».

* * *

ومن مواعظه ﷺ قيسَ بن عاصم المنقري

روينا من حديث الهاشمي، قال رسول الله ﷺ: «يا قيس؛ إنّ مع العزّ ذلّا، وإنّ مع الحياة موتا، وإنّ مع الدنيا آخرة، وإنّ لكلّ شيء حسيبا، وعلى كلّ شيء رقيبا. وإنّ لكلّ حسنة ثوابا، ولكلّ سيّئة عقابا، وإنّ لكلّ أجل كتابا.

إنّه لا بدّ -يا قيس- مِن قرينٍ يُدفن معك وهو حيٌّ، وتُدفن معه وأنت ميّت؛ فإن كان كريما أكرمك، وإن كان لئيما أسلمَك، ثمّ لا يحشر إلّا معك، ولا تُبعث إلّا معه، ولا تُسأل إلّا عنه؛ فلا تجعله إلّا صالحا. فإنّه[2] إن كان صالحا لم تأنس إلّا به، وإن كان فاحشا لم تستوحش إلّا منه، وهو فِعْلُك».

---

(١) ص ٨٤

(٢) ص ٨٤ب

ومن وصاياه ﷺ

قال رسول الله ﷺ: «أيّها الناس؛ توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا، وصِلوا الذي بينكم وبين ربّكم تُسعدوا، وأَكثروا الصدقة تُرزقوا، وأْمروا بالمعروف تخصبوا، وانهوا عن المنكر تُنصروا.

أيّها الناس؛ إنّ أكيسَكم أكثرُكم للموت ذِكْرا، وأحزمَكم أحسنُكم له استعدادا. ألا وإنّ من علامات العقل؛ التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزوّد لسكنى القبور، والتأهّب ليوم النشور».

* * *

ومنها أيضا عنه ﷺ

قال رسول الله ﷺ: «أيّها الناس؛ إنّ لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، إنّ المؤمن بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاض[1] فيه. فليأخذ العبد لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكِبَر، ومن الحياة قبل الموت. فوالذي نفس محمد بيده؛ ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا دار إلّا الجنّة أو النار».

* * *

ومما ورد عنه ﷺ في خصال الإيمان

ما حدّثنا به أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي بالمسجد الأزهر، بعين الخبل من مدينة فاس، سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، من لفظه وأنا أسمع، وأَسندَه إلى رسول الله ﷺ معنعنا، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُكمِلُ عبدٌ الإيمانَ حتى تكونَ فيه خمسُ خصال: التوكّلُ على الله، والتفويضُ إلى الله، والتسليمُ لأمر الله، والرضا بقضاء الله، والصبرُ على بلاء الله. إنّه مَن أَحبَّ لله، وأبغضَ لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد

---

(١) ص ٨٥

استكمل الإيمان» وقد ثبت عنه ﷺ أنّه قال: «الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبة؛ أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلّا الله».

*　*　*

وصيّة[1] نبويّة محمديّة

قال رسول الله ﷺ: «لا خير في العيش إلّا لعالمٍ ناطِق، أو مستمع واعٍ. أيّها الناس؛ إنّكم في زمان هُدنة، وإنّ السير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار كيف يُبْليان كلَّ جديد، ويُقرّبان كلَّ بعيد، ويأتيان بكلّ موعود. فقال له المقداد: وما الهدنة يا رسول الله؟ فقال ﷺ: دار بلاء وانقطاع، فإذا الْتَبَسَتْ عليكم الأمورُ كقِطع الليل المظلم؛ فعليكم بالقرآن؛ فإنّه شافعٌ مشفَّع، وشاهدٌ مصدَّق. فمَن جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومَن جعله خلفه ساقه إلى النار. هو أوضح دليل إلى خير سبيل: مَن قال به صدَق، ومَن عمل به أُجِرَ، ومن حكم به عدل، وإنّ العبد عند خروج نفسه، وحلول رَمْسِه؛ يرى جزاءَ ما أسلف، وقلّة غِناء ما خلَّف، ولعلّه من باطلٍ جَمَعه، ومِن حقٍّ منَعه».

*　*　*

وصيّة نبويّة بتذكرة

قال رسول الله ﷺ: «إنّ العبد لا يُكتب في المسلمين حتى يسلم الناس من يده ولسانه، ولا ينال درجة[2] المؤمنين حتى يأمن جارُه بوائقَه، ولا يُعدّ من المتّقين حتى يَدَعَ ما لا بأس به حذرا مما به البأس. أيّها الناس؛ إنّه مَن خاف البيات أدلج، ومَن أدلج في المسير وصل، وإنما تَعرفون عواقب أعمالكم لو قد طُوِيَت صحائفُ آجالكم. إن نيّة المؤمن خيرٌ من عمله، ونيّة الفاسق شرٌّ من عمله».

(١) ص ٨٥ب
(٢) ص ٨٦

وصيّة فيها بشرى للمنقطعين إلى الله

قال رسول الله ﷺ: «مَن انقطع إلى الله؛ كفاه الله كلَّ مؤنة فيها، ومَن انقطع إلى الدنيا؛ وكّله الله إليها، ومَن حاول أمرا بمعصية الله؛ كان أبعد له مما رجا، وأقرب مما اتّقى، ومَن طلب محامد الناس بمعاصي الله؛ عاد حامدُهُ منهم ذامّا، ومَن أرضى الناس بسخط الله؛ وكّله الله إليهم، ومَن أرضى الله بسخط الناس؛ كفاه اللهُ شرَّهم، ومَن أحسن فيما بينه وبين الله؛ كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومَن أصلح سريرته؛ أصلح الله علانيته، ومن عمل لآخرته؛ كفاه الله أمر دنياه».

* * *

وصيّة نبويّة خبريّة

قال رسول الله ﷺ: «رحم الله عبدا تكلّم فغنم، أو سكت فسلِم. إنّ اللسان أملَكُ شيء للإنسان، ألا وإنّ كلام العبد[1] كلّه عليه؛ إلّا ذِكْرَ الله، أو أمرا بمعروف، أو نهيا عن منكرٍ، أو إصلاحا بين مؤمنين. فقال له معاذ بن جبل: يا رسول الله؛ أنؤاخَذ بما نتكلّم به؟ قال: وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلّا حصائدُ ألسنتِهم؟» فمن أراد السلامةَ فليحفظ ما جرى به لسانُه، وليحرُس ما انطوى عليه جنانُه، وليحسِّن عملَه، وليقصِّر أملَه.

* * *

وصيّة، أيضا، نبويّة

قال رسول الله ﷺ: «لا تسبّوا الدنيا فنِعمت مطيّةُ المؤمن: عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشرّ. إذا قال العبد: لَعن اللهُ الدنيا، قالت الدنيا: لَعَن اللهُ أعصانا لربّه» قلنا: من هنا قال قتادة رضي الله عنه: "ما أنصف أحدٌ الدنيا؛ ذُمَّتْ بإساءة المسيء فيها، ولم تُحمد بإحسان المحسن فيها". وفي عكس هذا يقول بعضهم في الدنيا:

(١) ص ٨٦ب

إذا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيْبٌ تَكَشَّـفَتْ		لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيابِ صَـدِيْقِ

هذا إنما يريد الحياة الدنيا التي لا يقصد بها الآخرة، وقد ذمّ الله ذلك.

* * *

وصيّة نبويّة

قال[1] رسول الله ﷺ: «أكثِروا ذِكْرَ هادِمِ[2] اللذّات؛ فإنّكم إن ذكرتموه في ضيق؛ وَسَّعه عليكم، ورضيتم به؛ فأُجِرتم، وإن ذكرتموه في غنى؛ بغّضه إليكم؛ فجُدْتُمْ به؛ فأُثِبْتُمْ. إنّ المنايا قاطعات الآمال، والليالي مُدنيات الآجال، وإنّ المرء بين يومين: يوم قد مضى أُحصي فيه عملُه؛ فختِم عليه، ويوم قد بقي لا يدري لعلّه لا يصل إليه».

* * *

وصيّة بتذكرة

قال رسول الله ﷺ: «إنّ الرزق مقسوم، لن يعدوَ امرؤٌ ما كُتِب له؛ فأجملوا في الطلب، وإنّ العمر محدود لن يجاوز أحدٌ ما قُدِّر له؛ فبادِروا قبل نفاد الأجل، والأعمالُ محصاةٌ لن يُهمل منها صغيرةٌ ولا كبيرةٌ؛ فأكثِروا من صالح العمل.

أيّها الناس؛ إنّ في القنوع لَسِعَةً، وإنّ في الاقتصاد لَبُلغةً، وإنّ في الزهد لراحةً، ولكلّ عملٍ جزاءٌ، وكلُّ آتٍ قريبٌ».

* * *

وصيّة بذِكْرى لبيب واعتبار

قال رسول الله ﷺ: «أما رأيتَ المأخوذين على الغِرّة، المزعَجين بعد الطمأنينة، الذين أقاموا على الشبهات، وجنحوا إلى الشهوات، حتى أتتهم رسلُ ربّهم؟ فلا ما كانوا أمَّلوا أدركوا[3]، ولا

(١) ص ٨٧

(٢) كتب فوقها بقلم الأصل: "معا" بعد إضافة نقطة إلى الدال، فتكون: "هادم" و"هاذم" ومعنى: هذمه: أسرع قطعه

(٣) ص ٨٧ب

إلى ما فاتهم رجعوا، قَدِموا على ما عملوا، ونَدِموا على ما خلَّفوا، ولم يُغْنِ الندم، وقد جفّ القلم. فرحم الله امْرَأً قدَّم خيرا، وأنفق قصدا، وقال صدقا، وملك دواعي شهواته ولم تملكه، وعصى أمرَه نفسَه فلم تُهلكه».

* * *

وصيّة وبيان

قال رسول الله ﷺ: «أيّها الناس؛ لا تعطوا الحكمةَ غيرَ أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلَها فتظلموهم، ولا تعاقِبوا ظالما فيبطُلَ فضلُكم، ولا تُراءُوا الناسَ فيحبطَ عملُكم، ولا تمنعوا الموجودَ فيقلَّ خيرُكم.

أيّها الناس؛ إنّ الأشياء ثلاثة: أمرٌ استبان رُشدُه فاتّبِعوه، وأمرٌ استبان غيُّه فاجتنِبوه، وأمرٌ اختلفَ عليكم فردّوه إلى الله.

أيّها الناس؛ ألا أنبّئكم بأمرين خفيف مؤنتُهما، عظيم أجرُهما، لم يُلْقَ اللهُ بمثلهما: الصمتُ، وحسنُ الخلق».

* * *

وصيّة نبويّة

قال رسول الله ﷺ: «إنما يؤتَى الناسُ يوم القيامة من إحدى ثلاث: إمّا مِن شبهةٍ في الدين ارتكبوها، أو شهوةٍ للذّةٍ آثروها، أو غضبةٍ لحميّةٍ أعملوها؛ فإذا لاحتْ[1] لكم شبهةٌ فاجلوها باليقين، وإذا عرضتْ لكم شهوةٌ فاقمعوها بالزهد، وإذا عنتْ لكم غضبةٌ فادرءوها بالعفو. إنّه ينادي منادٍ يوم القيامة: مَن له أجرٌ على الله فليقُمْ؛ فيقوم العافون عن الناس. ألم تَر إلى قوله عزّ جلالُه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[2]».

---

(١) ص ٨٨

(٢) [الشورى: ٤٠]

وصيّة فيها تذكرة غافل

قال رسول الله ﷺ: يقول الله -تعالى-: «يا ابن آدم؛ تؤتَى كلَّ يوم برزقك وأنت تحزن، وينقص كلّ يوم من عمرك وأنت تفرح. أنت فيما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك؛ لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع».

* * *

وصيّة تحريض على الاتّصاف بصفة يحمدها الله من عباده

«قال رسول الله ﷺ وقد قيل له: يا رسول الله؛ مَن أولياء الله الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]؟ فقال: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظرَ الناسُ إلى ظاهرها، واهتمّوا بآجِل الدنيا حين اهتمّ الناسُ بعاجِلها؛ فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم؛ فما[2] عَرَضَهم من نائلها عارضٌ إلّا رفضوه، ولا خادَعهم من رفعتها خادعٌ إلّا وضعوه، خَلِقَت الدنيا عندهم فما يجدّدونها، وخَرِبَت بينهم فما يعمرونها، وماتت في صدورهم فما يحيونها؛ بل يهدمونها فيبنون بها آخرتَهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، ونظروا إلى أهلها صَرْعَى قد حلّتْ بهم المَثُلاتُ؛ فما يرون أمانًا دون ما يرجون، ولا خوفًا دون ما يحذرون».

* * *

وصيّة أيضا نبويّة

قال رسول الله ﷺ: «إنما أنتم خَلْفُ ماضين، وبقيّةُ متقدّمين، كانوا أكثرَ منكم بسطةً، وأعظمَ سطوةً. أُزعِجوا عنها أسكنَ ما كانوا إليها، وغَدَرَتْ بهم أوثقَ ما كانوا بها؛ فلم تُغْنِ عنهم قوّةُ عشيرة، ولا قُبِل منهم بَذْلُ فِدية. فأَرْحِلوا أنفسَكم بزادٍ مُبلِّغ قبل أن تؤاخذوا[3] على فجأة، وقد غفلتم عن الاستعداد، ولا يغني الندم، وقد جفّ القلم».

(١) [يونس: ٦٢]

(٢) ص ٨٨ب

(٣) ق: "تؤاخذ" والحروف المعجمة مهملة، والترجيح من هـ، س

وصيّة بموعظة وذكرى

قال رسول الله ﷺ: «كن في الدنيا كأنّك غريب، أو عابر سبيل، وعُدَّ نفسَك في الموتى، وإذا أصبحَتْ فلا[1] تحدِّثها بالمساء، وإذا أَمسَتْ فلا تحدِّثها بالصباح، وخذ من صحّتك لسقمك، ومن شبابك لهرمك، ومن فراغك لشغلك، ومن حياتك لوفاتك؛ فإنّك لا تدري ما اسمُك غدا».

* * *

وصيّة نبويّة نافعة

قال رسول الله ﷺ: «لا تشغلنّكم دنياكم عن آخرتكم، ولا تؤثِروا أهواءكم على طاعة ربّكم، ولا تجعلوا إيمانَكم ذريعةً لمعاصيكم، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، ومهّدوا لها قبل أن تُعذَّبوا، وتزوّدوا للرحيل قبل أن تُزعَجوا؛ فإنما هو موقفُ عدلٍ، واقتضاءُ حقٍّ، وسؤالٌ عن واجبٍ، ولقد بلغ في الإعذار مَن تقدَّم في الإنذار».

وصيّة نبويّة خبريّة بما ينبغي أن يُقبَل عليه ويُعرَض عنه

قال رسول الله ﷺ: «يا أيّها الناس؛ أَقبلوا على ما كُلِّفتموه من صلاح آخرتكم، وأعرضوا عمّا ضُمِن لكم من أمر دنياكم، ولا تستعملوا جوارحَ غُذِّيَتْ بنعمته في التعرّض لسخطه بمعصيته، واجعلوا شغلَكم بالْتِمَاس مغفرته، واصرفوا هممكم إلى التقرُّب إليه بطاعته، إنّه[2] مَن بدأ بنصيبه من الدنيا؛ فاتَه نصيبُه من الآخرة، ولا يدرِك منها ما يريد، ومَن بدأ بنصيبه من الآخرة؛ وصل إليه نصيبُه من الدنيا، وأدرك من الآخرة ما يريد».

* * *

وصيّةٌ نبويّة فيما ينبغي أن يُترك من الفضول

قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم وفضولَ المطعم؛ فإنّ فضولَ المطعم يَسِمُ القلبَ بالقساوة، ويبطئُ

---

(١) ص ٨٩

(٢) ص ٨٩ب

بالجوارحِ عن الطاعة، ويُصِمُّ الهممَ عن سماع الموعظة. وإيّاكم وفضولَ النظر؛ فإنّه يبذُر الهوى، ويُولِّد الغفلة. وإيّاك واستشعارَ الطمع؛ فإنّه يُشرب القلبَ شِدَّةَ الحرص، ويختم على القلوب بطابع حبّ الدنيا؛ فهو مفتاحُ كلِّ سيّئة، وسببُ إحباط كلِّ حسنة».

* * *

وصيّة نبويّة بما يُرجى ويُتّقى

قال رسول الله ﷺ: «إنما هو خيرٌ يُرْجَى، أو شَرٌّ يُتّقى، وباطلٌ عُرِف فاجتُنب، وحقٌّ تُيُقِّن فطُلب، وآخرة أَظلَّ إقبالُها فسُعِي لها، ودنيا أَزِف نفادُها فأُعرِضَ[١] عنها. وكيف يعمل للآخرة مَن لا تنقطعُ عن الدنيا رغبتُه، ولا تنقضي فيها شهوتُه؟ إنّ العجبَ كلَّ العجب لمن صدَّق بدار البقاء، وهو يسعى لدار الفناء، وعَرَف أنّ رضا الله في طاعته، وهو يسعى في مخالفته».

* * *

وصيّة نبويّة

قال رسول الله ﷺ: «حَلُّوا أنفسكم بالطاعة، وألبسوها قناع المخافة، واجعلوا آخرتكم لأنفسكم، وسعيكم لمستقرّكم، واعلموا أنّكم عن قليل راحلون، وإلى الله صائرون، ولا يغني عنكم هنالك إلّا صالِحُ عملٍ قدّمتموه، أو حسنُ ثواب حُزتموه. إنّكم إنما تَقْدُمون على ما قدَّمتم، وتجازون على ما أسلفتم، ولا تخدعنّكم زخارفُ دنيا دنيّةٍ عن مراتبِ جنّاتٍ عليّة. فكأنْ قد كُشِف القناع، وارتفع الارتياب، ولاقى كلُّ امرئٍ مستقرّه، وعرف مثواه ومقيله».

* * *

وصيّة نبويّة في التحذير من المكر والخداع

قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا ممن خدَعَتْه العاجلة[٢]، وغرّته الأمنيّة، واستهوته الخدعة؛

---

(١) ص ٩٠

(٢) ص ٩٠ب

فركن إلى دارٍ سريعة الزوال، وشيكة الانتقال. إنّه لم يبقَ من دنياكم هذه في جنب ما مضى إلّا كإناخة راكِبٍ أو صَرِّ حالِبٍ. فعلام تُعَرِّجون؟ وماذا تنتظرون؟ فكأنّكم -والله- بما قد أصبحتم فيه من الدنيا كأنْ لم يكن، وما تصيرون إليه من الآخرة كأن لم يزل. فخذوا الأُهبةَ لأزوف النقلة، وأَعدّوا الزاد لقرب الرحلة، واعلموا أنّ كلَّ امرئ على ما قَدَّم قادمٌ، وعلى ما خَلّف نادم».

* * *

وصيّة نبويّة في ذمّ انبساط الأمل ونسيان الأجل

قال رسول الله ﷺ: «أيّها الناس؛ بسيطُ الأمل متقدِّمٌ حلولَ الأجل، والمَعادُ مضمارُ العمل، ومغتبِطٌ بما احتَقَبَ(١) غانمٌ، ومبتئس بما فاته من العمل نادمٌ.

أيّها الناس؛ إنّ الطمعَ فقرٌ، واليأسَ غنى، والقناعةَ راحةٌ، والعزلةَ عبادةٌ، والعملَ كنزٌ، والدنيا معدنٌ. والله ما يسْوَى ما مضى من دنياكم هذه بأهداب بُرْدِي هذا، ولَمَا بقي منها أشبه(٢) بما مضى من الماء بالماء، وكلٌّ إلى نفادٍ وشيك، وزوالٍ قريب؛ فبادروا وأنتم في مَهَل الأنفاس، وجِدة الأحلاس قبل أن يؤخذُ بالكظم، ولا يغني الندم».

وصيّة نبويّة وتعريف

قال رسول الله ﷺ: «تكون أُمّتي في الدنيا على ثلاثة أطباق:

أما الطبق الأوّل: فلا يرغبون في جمع المال وادِّخاره، ولا يسعون في اقتنائه واحتكاره، إنما رِضاهم من الدنيا سَدُّ جوعة، وستر عورة، وغناهم فيها ما بلّغ الآخرة، فأولئك الذين ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۞﴾.

وأمّا الطبق الثاني: فيحبّون جمعَ المال من أطيب سبيله، وصَرْفَه في أحسن وجوهه، يَصِلون به أرحامَهم، ويَبَرُّون به إخوانَهم، ويواسون به فقراءهم، ولَعَضُّ أحدِهم على الرَّضْفِ

---

(١) احتقب: ادّخر

(٢) ص ٩١

أسهلُ عليه من أن يكسب درهما من غير حِلِّه، وأن يضعه في غير وجهه، وأن يمنعه من حقّه، أو أن يكون خازنا له إلى حين موته؛ فأولئك الذين إن نوقشوا عُذِّبوا، وإن عفي عنهم سَلِموا.

وأمّا الطبق الثالث: فيحبّون جمعَ المال مما حَلَّ وحَرُم، ومنعَه مما افْتُرِض أو[1] وَجَب، إن أنفقوه أنفقوه إسرافا وبِدارا، وإن أمسكوه أمسكوه بخلا واحتكارا، أولئك الذين ملكت الدنيا أَزِمَّةَ قلوبهم، حتى أوردتهم النارَ بذنوبهم».

* * *

وصيّة نبويّة في التحذير من ضعف اليقين وما أشبه ذلك

قال رسول الله ﷺ: «إنّ من ضعف اليقين أن تُرضي الناسَ بسخَط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمّهم على ما لم يؤتك الله. إنّ رزق الله لا يُجْرِه حِرْصُ حريص، ولا تَرُدُّهُ كراهيّةُ كارِه. إنّ الله تبارك اسمُه جعل الروحَ والفرحَ في الرضا واليقين، وجعل الهمّ والحزن في الشكّ والسخط، إنّك لم تَدَعْ شيئا تقرُّبا إلى الله؛ إلّا أجزل لك الثواب عليه. فاجعل همَّك وسعيك لآخرةٍ لا ينفد فيها ثوابُ المرضيِّ عنه، ولا ينقطع فيها عقابُ المسخوط عليه».

* * *

وصيّة نبويّة تحرّض على أخلاق سَنيّة مَرْضِيّة

قال رسول الله ﷺ: «ليس شيء يباعدكم من[2] النار إلّا وقد ذكرته لكم، ولا شيء يقرّبكم من الجنّة إلّا وقد دللتكم عليه. إنّ روح القدس نفث في رُوعي أنّه لن يموت عبدٌ حتى يستكمل رزقَه؛ فأجمِلوا في الطلب، ولا يحملنَّكم استبطاءُ الرزق على أن تطلبوا شيئا من فضل الله بمعصيته؛ فإنّه لا يُنال ما عند الله إلّا بطاعتِه. ألا وإنّ لكلِّ امرئ رزقا هو[3] يأتيه لا محالة؛ فمن رضي به بورك له فيه فوسِعَه، ومَن لم يَرْضَ به لم يبارَك له فيه ولم يَسَعْه، إنّ الرزق ليطلب

(١) ص ٩١ب
(٢) ص ٩٢
(٣) ثابتة في الهامش بقلم الأصل

الرجل كما يطلبه أجلُه».

* * *

وصيّة نبويّة مفصّلة

قال رسول الله ﷺ: «إنّ الدنيا دار بلاء، ومنزل قُلْعَةٍ[١] وعَنَاءٍ، قد نزعت عنها نفوسُ السعداء، وانتُزِعت بالكُرْه من أيدي الأشقياء، وأسعد الناس بها أَرْغَبُهم عنها، وأشقاهم بها أَرْغَبُهم فيها. هي الغاشّة لمن انتصحها، والمغوية لمن أطاعها، والخاترة لمن انقاد لها. والفائزُ مَن أَعرض عنها، والهالكُ مَن هوى فيها.

طوبى لعبد اتّقى فيها ربَّه، وناصَحَ نفسَه، وقدَّم توبتَه، وأخَّر شهوتَه، من قبل أن تلفظه الدنيا إلى الآخرة؛ فيصبح في[٢] بطن موحشة غبراء، مدلهمّة ظلماء، لا يستطيع أن يزيدَ في حَسَنَة، ولا ينقص من سيّئة، ثمّ يُنْشَر فيُحشر: إمّا إلى جنّة يدوم نعيمها، أو نار لا ينفكّ عذابُها».

* * *

وصيّة نبويّة في الأُهبة للرحلة

قال رسول الله ﷺ: «شَمِّروا فإنَّ الأمرَ جِدٌّ، وتأهّبوا فإنّ الرحيل قريب، وتزوّدوا فإنّ السفر بعيد، وخفِّفوا أثقالَكم فإنّ وراءكم عقبة كؤودا، لا يقطعها إلّا المخِفُّون.

أيّها الناس؛ إنّ بين يدي الساعة أمورا شِدادا، وأهوالا عظاما، وزمانا صعبا، تَتملّكُ فيه الظَّلَمَة، وتَتصدّرُ فيه الفَسَقَة؛ فَيُضطهدُ الآمرون بالمعروف، ويُضامّ[٣] الناهون عن المنكر. فأعِدُّوا لذلك الإيمانَ، وعُضُّوا عليه بالنواجذ، والجؤوا إلى العمل الصالح، وأَكرِهوا عليه النفوس، واصبروا على الضرّاء؛ تُفضوا إلى النعيم الدائم».

وصيّة نبويّة وترغيب

(١) قلعة: من الانقلاع، أي لا نملكه

(٢) ص ٩٢ب

(٣) ق: ويضامون. س: ويضاهون

قال رسول الله ﷺ: «ارغبْ فيما عند الله يحبّك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبّك الناس، إنّ[1] الزاهدَ في الدنيا يريح قلبَه وبدنَه في الدنيا والآخرة. لَيجيئنَّ أقوامٌ يوم القيامة لهم حسناتٌ كأمثال الجبال، فيؤمَر بهم إلى النار. فقيل: يا نبيّ الله؛ أيُصَلُّون؟ قال: كانوا يُصلّون ويصومون، ويأخذون وَهْنًا من الليل، لكنّهم كانوا إذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه».

*   *   *

وصيّة نبويّة تحرِّض على صفات سَنِيّة

قال رسول الله ﷺ: «أيّها الناس؛ إنّ هذه الدارَ دارُ الْتواء، لا دارُ استواء، ومنزلُ ترح لا منزلُ فرح؛ فَمَن عرَفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء. ألا وإنّ الله خلق الدنيا دارَ بلوى، والآخرةَ دارَ عقبى، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببا، وثوابَ الآخرة من بلوى الدنيا عِوضا؛ فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي. وإنّها لسريعةُ الذهاب، وشيكةُ الانقلاب. فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها، واهجروا لذيذ عاجلها لِكريه آجِلها، ولا تسعَوا في عمران دارٍ قد قضى خرابَها، ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم اجتنابها؛ فتكونوا لسخطِه متعرّضِين، ولعقوبته مستحقّين[2]».

*   *   *

وصيّة نبويّة بما يرضي الله من الأخلاق

قال رسول الله ﷺ: «أيّها الناس؛ اتّقوا الله حقّ تقاته، واسعَوا في مرضاته، وأيقنوا من الدنيا بالفناء، ومن الآخرة بالبقاء، واعملوا لما بعد الموت؛ فكأنّ الدنيا لم تكن، وكأنّ الآخرة لم تزل.

أيّها الناس؛ إنّ مَن في الدنيا ضَيْفٌ، وما في يده عاريةٌ، وإنّ الضيفَ مرتحِلٌ، والعارية مردودةٌ. ألا وإنّ الدنيا عرَض حاضر، يأكل منها البَرُّ والفاجر، والآخرة وعدٌ صادق، يحكم فيها ملِك قادر. فرحم الله امْرَأً نظر لنفسه، ومهَّد لِرَمْسِهِ، ما دام رَسَنُهُ مُرْخَى، وحبلُه على غاربِه

(١) ص ٩٣
(٢) ص ٩٣ب

مُلقى، قبل أن ينفدَ أجلُه فينقطع عملُه».

* * *

وصيّة أيضا نبويّة

قال رسول الله ﷺ: «إنّ الدنيا قد ارتحلتْ مدبِرةً، والآخرة قد تجمّلتْ مقبلةً. ألا إنّكم في يوم عمل ليس فيه حساب، ويوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل. وإنّ الله يعطي الدنيا مَن يحبّ ويبغض، ولا يعطي الآخرة إلّا مَن يحبّ. وإنّ للدنيا أبناءً، وللآخرة أبناءً؛ فكونوا[1] من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا. إنّ شَرَّ ما أَتخوّفُ عليكم: اتّباعُ الهوى، وطولُ الأمل. فاتّباعُ الهوى يصرفُ بقلوبكم عن الحقّ، وطولُ الأمل يصرفُ همَمَكم إلى الدنيا، وما بعدهما لأحدٍ خيرٌ من دنيا ولا آخرة».

* * *

وصيّة نبويّة بموعظة تذكر الموت وتؤذِن بالرحيل

قال رسول الله ﷺ: «ما من بيت إلّا وملَك الموت يقف على بابه في كلِّ يوم خمسَ مرّات؛ فإذا وَجَد الإنسانَ قد نفِد أُكُلُه، وجاء أجله؛ ألقى عليه غَمَّ الموت، فغشيته كُرباتُه، وغمرته عَكراتُه؛ فمِن أهل بيته الناشرةُ شعرَها، والضاربةُ وجهَها، والباكيةُ لِشجوها، والصارخةُ بِوَيْلِها. فيقول ملَك الموت عليه السلام: ويلكم؛ ممّ الفزع؟ وفيم الجزع؟ ما أَذهبتُ لواحد منكم رزقا، ولا قرّبتُ له أجَلا، ولا أتيته حتى أُمِرتُ، ولا قبضت روحه حتى استأمرتُ، وإنّ لي فيكم عودةً ثمّ عودة، ثمّ عودة، حتى لا أُبقي منكم أحدا. قال النبيّ ﷺ: فوالذي نفس محمد بيده؛ لو يرون مكانَه، ويسمعون كلامَه، لَذُهِلوا عن ميّتهم، ولبَكَوا على[2] نفوسهم. حتى إذا حُمل الميّتُ على نعشه، رفرفَ روحُه فوق النعش، وهو ينادي: يا أهلي ويا ولدي؛ لا تلعبنّ بكم الدنيا كما لعِبتْ بي؛ جمعتُ المال مِن حِلِّه ومِن غير حِلِّه، ثمّ خلّفته لغيري؛ فالمَهناة له، والتبعة عليّ؛ فاحذروا

---

(١) ص ٩٤

(٢) ص ٩٤ب

مثل ما حلّ بي».

* * *

وصيّة من زاهد تحوي على فوائد

روينا عن الشبليّ أنّه قال في وصيّته: "إن أردتَ أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها؛ فانظر إلى مزبلةٍ فهي الدنيا، وإذا أردتَ أن تنظر إلى نفسك؛ فخذ كفًّا من تراب؛ فإنّك منها خلِقتَ، وفيها تعود. ومتى ما أردتَ أن تنظر ما أنت؛ فانظر إلى ما يخرج منك في دخولك الخلاء؛ فَمن كان حاله كذا؛ فلا يجوز له أن يتطاول، أو يتكبّر على مَن هو مثله".

وقال بعضهم: "من كان همّته ما يدخله في جوفه؛ فقيمته ما يخرج منه".

* * *

وكتب إبراهيم بن أدهم إلى أخ له

"بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد؛ فإنّي أوصيك بتقوى اللّهَ[1]؛ مَن لا تحلُّ معصيتُه، ولا يُرْجَى غَيْرُه، ولا يُدْرَكِ الغنى إلّا به. فإنّه مَن استغنى عَزّ وشبع ورَوِي، وانتقلَ عندما أبصرَ قلبُه عمّا أبصرتْ عيناه من زهرة الدنيا؛ فترَكها وجانبَ شُبَهَها؛ فارْضَ بالحلال الصافي منها، إلى ما لا بدّ منه، مِن كَسْرَةٍ يَشدّ بها صلبَه، وثوب يواري به عورتَه، أغلظ ما يجده وأخشنه، والسلام".

* * *

وقال رسول الله ﷺ: «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه».

* * *

وروي أنّ عمر بن عبد العزيز ﷺ جيء إليه قبل الخلافة بحلّة بثلاثة ألف درهم

(١) ص ٩٥

فاستحسنها، ثمّ جيء إليه في خلافته بثوب ليشتريه فيلبسه بثلاثة دراهم[1]، فقال: عسى أخشن من هذا فإنّ هذا رقيق! فانظر -يا أخي- أين هذا من ذاك ﷺ مثلُ هذا (ينبغي أن) يلي أمورَ عباد الله.

⋆ ⋆ ⋆

وكتب ابن السمّاك إلى أخ له، وقد سأله أن يصف له الدنيا: أما بعد، فإنّ الله حفَّها بالشهوات، ثمّ ملأها آفات، مُزِجَ حَلالُها بالرزيّات، وحرامها بالتبعات؛ فحلالُها حساب[2]، وحرامها عقاب.

وصيّة مختار بإجارة من استجار

كتب إلينا أبو حفص عمر بن عبد المجيد من روايته: إنّ الله -تعالى- نادى موسى بن عمران: لا تخيِّب مَن قصدك، وأجِر من استجار بك. قال: فبينما موسى عليه السلام في سياحته إذا بجارحٍ يطرُدُ حمامة، فلمّا رآه الحمامُ؛ نزل على كتفه مستجيرا به، ونزل الجارحُ على الكتف الآخر. فلمّا همّ به الجارحُ نزل الحمامُ على كُمِّه، فناداه الجارح بلسان فصيح: يا ابن عمران؛ إنّي قاصدك فلا تخيّبني، ولا تَحُلْ بيني وبين رزقي. وناداه الحمام: يا ابن عمران؛ إنّي أنا مستجير بك؛ فأجرني. فقال موسى: ما أَسرعَ ما ابتُليتُ به! ثمّ مَدّ يده ليقطع مِن فَخذه قطعةً للجارحِ وفاءً لهما، وحفظا لما عهد إليه فيهما. فقال له: يا ابن عمران؛ أنا رسولُ ربِّك أرسلني إليك ليرى صحّة ما عهد إليك.

أَيا سـامِعًا لَـيْسَ السَّـمَاعُ بِنَـافِعٍ ... إذا أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا أَنْتَ سامِعُ
إذا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا عَنِ الخَيْرِ عاجِزًا ... فَمَا أَنْتَ فِي يَوْمِ القِيامَةِ صانِعُ[3]

---

(١) ق: درهم
(٢) ص ٩٥ب
(٣) هذان البيتان لأحمد بن إبراهيم بن أبي عمران (٥٥٧ - ٦٣٣هـ

وكان[1] ابن السمّاك يقول: "لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض، وكن اليوم مشغولا بما أنت عنه مسئول غدا، وإيّاك والفضولَ فإنّ حسابها يطول".

(ولعروة بن أذينة الليثي)[2]:

إنّي عَلِمْتُ وَخَيْرُ العِلْمِ أَنْفَعُهُ إنّ الذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِيْنِي
أَسْعَى لَهُ فَيُعْنِيْنِي تَطَلّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتانِي لا يُعَنّيْنِي

* * *

وصيّة تتضمّن علامة باقتراب القيامة

قال عليّ بن أبي طالب: سئل رسول الله ﷺ عن أشراط[3] الساعة، فقال: «إذا رأيت الناس قد ضيّعوا الحقّ، وأماتوا الصلاة، وأكثروا القذف، واستحلّوا الكذب، وأخذوا الرشوة، وشيّدوا البنيان، وأعظَمُوا أرباب الأموال، واستعملوا السفهاء، واستحلّوا الدماء؛ فصار الجاهل عندهم ظريفا، والعالِمُ ضعيفا، والظلم فخرا، والمساجد طرقا، وتكثرُ الشُّرَط، وحُلِّيَت المصاحف، وطُوّلِت المنارات، وخَرِبت القلوبُ من الدين، وشُرِبت الخمور، وكثُر الطلاقُ وموتُ الفجأة، وفشا[4] الفُجورُ وقولُ البهتان، وحلفوا بغير الله، وائتُمن الخائن، وخان الأمين، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب؛ فعندها قيام الساعة» هذا حديث حسن.

* * *

وصيّة بالتأهّب للموتِ بموعظةٍ في رؤيا

كان أميرُ المؤمنين المنصور ذات ليلة نائمًا، فانتبه مرعوبا، ثمّ عاودَ النومَ، فانتبه كذلك فزعا مرعوبا، ثمّ راجعَ النومَ، فانتبه كذلك، فقال: يا ربيع؛ قال الربيع قلت: لبّيك -يا أمير المؤمنين- قال: لقد رأيتُ في منامي عجبا! قال: ما رأيتَ، جعلني الله فداك؟! قال: رأيتُ كأنّ آتيا أتاني،

---

(١) ص ٩٦
(٢) ما بين القوسين لم يرد في ق، هـ، وأثبتناه من س
(٣) ق، س: اشتراط
(٤) ص ٩٦ب

فهَيْنَمَ بشيء لم أفهمه، فانتبهتُ فزعا، ثمّ عاودتُ النوم، فعاودني يقول ذلك الشيء، ثمّ عاودني يقوله حتى فهمتُه وحفظته، وهو:

كأَنِّي بِهَذَا القَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ ... وعُـرِّيَ مِنْـهُ أَهْـلُهُ ومَنـازِلُهْ

وَصَارَ رَئِيسُ القَوْمِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ ... إِلَى جَدَثٍ تُبْنَى عَلَيْهِ جَنَادِلُهْ

وما أحسبني -يا ربيع- إلّا قد حانت وفاتي، وحضر أجلي، وما لي غير[1] ربّي، قم فاجعل لي غُسلا. ففعلت، فقام، فاغتسل، وصلّى ركعتين، وقال: أنا عازمٌ على الحجّ؛ فهيّئ لنا آلة الحجّ. فخرجنا، وخرج، حتى إذا انتهى إلى الكوفة، ونزل النجف، فأقام أيّاما، ثمّ أمر بالرحيل. فتقدَّمَتْ نوّابُه[2] وجندُه، وبقيت أنا وهو بالقصر، وشاكِريّته بالباب. فقال لي: يا ربيع؛ جئني بفحمة من المطبخ، وقال لي: اخرج، وكن مع دابّتي إلى أن أخرج. فلمّا خرج، وركب، رجعتُ إلى المكان أطلب شيئا، فوجدتُ قد كتب على الحائط بالفحمة:

المَـرْءُ يَهْـوَى أَنْ يَعِـيْشَ ... وطُوْلُ عَيْشٍ مَا يَضُرُّهْ

تَفْـنَى لَذَاذَتُــهُ وَيَبْقَــى ... بَعْـدَ حُلْـو العَـيْشِ مُـرُّهْ

وتصرّفُ الأيّامُ حَتَّى ... مَا يَرَى شَيْئًا يَسُرُّهْ

كَمْ شامِتٍ بِي إِنْ هَلِكْتُ ... وقائِـــــــلٍ: للهِ دَرُّهْ

* * *

وصيّة باعتراف عارف في أشرف المواقف

وقف مُطرِّفٌ، وبكر بن عبد الله، بعرفة، والفضيل بن عياض، فقال مُطرِّف: "اللهمّ لا تردّهم اليوم من أجلي". وقال بكر: "ما أشرفه من موقف، وأرضاه لأهله، لولا أنّي فيهم". ورفع الفضيل رأسَه إلى السماء، وقد قبض على لحيته، وهو يبكي بكاء الثكلى، ويقول: "وا سوأتاه مِنْكَ وإن[3] عفوتَ". تنبيهٌ على الحياء من الله.

(١) ص ٩٧

(٢) ق: "نوائبه" وحروفها المعجمة مهملة، وصححت في الهامش بقلم آخر

(٣) ص ٩٧ب

روينا عن الشيخ عبد الرحمن بن الأستاذ، في كتاب ابن باكويه الشيرازي، عن أبي الأديان[١] قال: "ما رأيتُ خائفا إلّا رجلا واحدا. كنت بالموقف، فرأيت شابّا مطرقا منذ وقف الناس إلى أن سقط القرص. فقلت: يا هذا؛ أُبسط يديك بالدعاء، فقال لي: ثَمَّ وحشةٌ، فقلت له: هذا يوم العفو من الذنوب، قال: فبسط يده، ففي بسطه يديه وقع ميّتا".

* * *

وصيّة نبويّة بالصدقة

قال رسول الله ﷺ: «أتى سائلٌ امرأةً في فمها لقمة؛ فلفظَتْها؛ فناولتها إيّاه، فلم تلبث أن رُزِقَتْ غلاما. فلمّا ترعرع؛ جاء ذئبٌ فاحتمله، فخرجتْ تعدو في أثر الذئب، وهي تقول: ابني ابني. فأمر الله ملَكا: إلحقِ الذئبَ، فخذ الصبيّ مِن فيه، وقل لأُمّه: إنّ الله يقرئك السلام، وقل: هذه لقمة بلقمة».

* * *

وصيّة بِرٍّ بحضور مجالس الذِّكْر

قال عمّار بن الراهب: رأيتُ مسكينةَ الطفاويّةَ في منامي بعد موتها، فقلت: مرحبا يا مسكينة؛ مرحبا. فقالت: هيهات يا عمّار؛ ذهبتْ المسكنةُ، وجاء الغِنى الأكبر!، قلت: هيه، قالت: ما تسأل عمَّن أُبيحَ لها الجنّةَ بحذافيرها، تظلُّ فيها حيث تشاء! قال، قلت: وبِمَ[٢] ذاك؟ قالت: بمجالس الذِّكْر، والصبر على الحقّ. قال عمّار: وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان بالأبلة، تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة. قال عمّار: قلت يا مسكينة؛ فما فعل عيسى بن زاذان -رحمه الله-؟ قال: فضحكت وقالت:

قَدْ كُسِيْ حُلّةَ البَهاءِ وطافَتْ — بِالأَبارِيْـقِ حَـوْلَهُ الخُـدّامُ
ثمّ حُلِّيْ وقِيْلَ يا قَارِئَ ارْقَ — فَلَعَمْرِي لَقَدْ بَرَاكَ الصِّيَامُ

---

(١) الحروف المعجمة مهملة

(٢) ص ٩٨

وصيّة ونصيحة كتبتُ بها إلى السلطان الغالب بأمر الله كيكاوس، صاحب بلاد الروم بلاد يونان -رحمه الله- جوابُ كتاب كتب به إلينا سنةَ تسع وستمائة.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَصَل الاهتمامُ السلطاني الغالبُ بأمر الله العزّي، أدام الله عدل سلطانه، إلى والده الداعي له محمد بن العربي، فتعيّن عليه الجواب بالوصيّة الدينيّة، والنصيحة السِّياسيّة الإلهيّة، على قدر ما يعطيه الوقت، ويحتمله الكتاب، إلى أن يُقدَّر الاجتماع، ويَرتفع الحجاب[١]، فقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الدينُ النصيحةُ قالوا: لمن يا رسول الله؟ فقال: لله ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم» وأنت يا هذا؛ بلا شكّ من أئمّة المسلمين. قد قلّدك اللهُ هذا الأمرَ، وأقامك نائبا في بلاده، ومتحكّما بما تُوَفَّق إليه في عباده، ووضع لك ميزانا مستقيما تقيمه فيهم، وأَوْضَح لك محجّة بيضاء تمشي بهم عليها، وتدعونهم إليها، على هذا الشرط وَلّاك، وعليه بايعناك؛ فإن عدلتَ فلك ولهم، وإن جُرت فلهم وعليك.

فاحذر أن أراك غدًا بين أئمّة المسلمين مِن أخسر الناس أعمالا ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾[٢] ولا يكون شكرك -لما أنعم الله به عليك من استواء مُلْكِك- بكفران النّعم، وإظهار المعاصي، وتسليط النوّابَ السوءِ بقوّة سلطانك على الرعيّة الضعيفة -فإنّ الله أقوى منك- فيتحكّمون فيهم بالجهالة والأغراض، وأنت المسئول عن ذلك.

فيا هذا؛ قد أحسن الله إليك، وخلع خِلع النيابة عليك؛ فأنت نائب الله في خلقه، وظلُّه المدود في أرضه؛ فأنصف المظلوم من الظالم، ولا يغرّنّك أنّ الله وسّع عليك سلطانك، وسَوَّى لك البلاد ومهّدها، مع إقامتك على المخالفة والجور وتعدّي[٣] الحدود؛ فإنّ ذلك الاتّساع، مع

---

(١) ص ٩٨ب

(٢) [الكهف: ١٠٤]

(٣) ص ٩٩

بقائك على مثل هذه الصفات، إمهالٌ من الحقّ لا إهمال. وما بينك، وبين أن تقف على أعمالك إلّا بلوغ الأجل المسمّى، وتصل إلى الدار التي سافر إليها آباؤك وأجدادك، ولا تكن من النادمين؛ فإنّ الندم في ذلك الوقت غير نافع.

يا هذا؛ ومِن أشدِّ ما يمرّ على الإسلام والمسلمين، وقليلٌ ما هم، رَفْعُ النواقِيسِ، والتظاهر بالكفر، وإعلاء كلمة الشرك ببلادك، ورفع الشروط التي اشترطها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ على أهل الذمّة؛ من أنّه: "لا يحدثوا في مدينتهم ولا ما حولَها، كنيسةً، ولا دِيرا، ولا قُلّية، ولا صومعة راهب، ولا يجدِّدوا ما خرب منها، ولا يمنعوا[1] كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال؛ يطعمونهم، ولا يأووا جاسوسا، ولا يكتموا غشًّا للمسلمين، ولا يعلِّموا أولادَهم القرآن ولا يُظهروا شركا، ولا يمنعوا ذوي قراباتهم من الإسلام إن أرادوه، وأن يوقِّروا المسلمين، وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس. ولا يتشبّهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم؛ في قلنسوة، ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا يتسمّوا بأسماء المسلمين، ولا يتكنّوا بِكُناهم، ولا يركبوا سرجا، ولا يتقلّدوا سيفا، ولا يتّخذوا شيئا من[2] سلاح، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربيّة، ولا يبيعوا الخمور، وأن يجزُّوا مقادم رءوسهم، وأن يلزموا زيّهم حيث ما كانوا، وأن يشدُّوا الزنانير على أوساطهم، ولا يُظهروا صليبا، ولا شيئا مِن كتبهم في طريق المسلمين، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يضربوا بالناقوس إلّا ضربا خفيّا، ولا يرفعوا أصواتَهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين، ولا يخرجوا سعَانين، ولا يرفعوا مع أمواتِهم أصواتَهم، ولا يُظهروا النيران معهم، ولا يشتروا من الرقيق ما جرتْ عليه سهام المسلمين. فإن خالفوا شيئًا مما شورطوا عليه؛ فلا ذمّة لهم، وقد حلّ للمسلمين منهم ما يحلّ من أهل المعاندة والشقاق"[3].

---

(١) ق، س: يمنعون

(٢) ص ٩٩ب

(٣) اللافت أنّ هذه الشروط لم يضعها الخليفة عمر بن الخطاب، وإنما وضعها أهل الجزيرة في الشام، وقصّتها أوردها ابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمّة تحت عنوان: "ذكر الأحكام العمرية وأحكامها وموجباتها" وجاء فيها: "قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثني أبو شُرَحْبيل الحمصي عيسى بن خالد قال: حدثني عمر أبو اليمان وأبو المغيرة قالا: أخبرنا إسماعيل بن عياش قال: حدثنا غير واحد من أهل

فهذا كتاب الإمام العادل عمر بن الخطاب ﷺ وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لا تُبنى كنيسة في الإسلام، ولا يُجَدَّد ما خرب منها» فتدبّر كتابي ترشد -إن شاء الله- ما لزمتَ العمل به والسلام.

ثمّ أوقعتُ له بشعرٍ عملتُه في الوقت أخاطبه به، وهو:

إذا أَنْتَ أَعْـزَزْتَ الهُـدَى وتَبِعْتَـهُ ... فَأَنْـتَ لِهَـذا الدِّيْـنِ عِـزٌّ كَمَا تُـدْعَى
وإِنْ أَنْـتَ لَـمْ تَحْفَـلْ بِـهِ وأَهَنْتَـهُ ... فَأَنْـتَ مُـذِلُّ الدِّيْـنِ تَخْفِضُـهُ وَضْـعَا
فَـلا[1] تَأْخُـذِ الأَلْقـابَ زُوْرًا فَـإِنَّكُمْ ... لَتُسْـأَلُ عَنْهَـا يَـوْمَ يَجْمَعُـكُمْ جَمْعَـا
يُقالُ لِعِـزِّ الدِّيْـنِ: أَعْـزَزْتَ دِيْنَـهُ؟ ... ويُسْـأَلُ دِيْـنُ اللهِ عَـنْ عِـزِّكُمْ قَطْعَـا
فـإِنْ شَـهِدَ الدِّيْـنُ العَزِيْـزُ بِعِـزِّكُمْ ... تَكُـنْ مَـعَ دِيْـنِ اللهِ فِي عِـزِّهِ شَـفْعَا
وإِنْ قـالَ دِيْـنُ اللهِ كُنْـتُ بِمُلْكِـهِ ... ذَلِـيْلًا وأَهْـلِي فِي مَيَادِيْنِـهِ صَرْعَـى
وَمـا زِلْـتُ فِي سُـلْطَانِهِ ذَا مَهَانَـةٍ ... وفِي زَعْمِـهِ بِي أَنَّـهُ مُحْسِـنٌ صُـنْعَا
فَمـا حُجَّـةُ السُّـلْطَانِ إِنْ كانَ قَـوْلُهُ ... كَمَا قُلْتُ؟ فَلْيَسْكُبْ لِمَا قُلْتُه الدَّمْعَا

العلم قالوا: كتب أهل الجزيرة إلى عبد الرحمن بن غُنْم: " إننا حين قدمت بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا وأهل ملّتنا على أنا شرطنا لك على أنفسنا ألا نحْدِث في مدينتنا كنيسة، ولا فيما حولها ديراً ولا قلاية ولا صومعة راهب؛ ولا نجدّد ما خرب من كنائسنا ولا ما كان منها في خطط المسلمين. وألّا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار، وأن نوسّع أبوابها للمارة وابن السبيل، ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوساً، وألّا نكتم غشّاً للمسلمين، وألا نضرب بنواقيسنا إلّا ضرباً خفيّاً في جوف كنائسنا. ولا نظهر عليها صليباً، ولا نرفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في كنائسنا فيما يحضره المسلمون، وألّا نخرج صليباً ولا كتاباً في سوق المسلمين، وألّا نخرج باعوثاً - قال: والباعوث يجتمعون كما يخرج المسلمون يوم الأضحى والفطر، ولا شعانين، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين، وألّا نجاورهم بالخنازير ولا ببيع الخمور، ولا نظهر شِرْكاً، ولا نرغب في ديننا، ولا ندعو إليه أحداً. ولا نتخذ شيئاً من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين. وألّا نمنع أحداً من أقربائنا أرادوا الدخول في الإسلام. وأن نلزم زيّنا حيثما كنّا، وألّا نتشبّه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا في مراكبهم، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتني بكناهم، وأن نجز مقادم رءوسنا ولا نفرّق نواصينا، ونشدّ الزنانير على أوساطنا، ولا ننقش خواتمنا بالعربية، ولا نركب السروج، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله، ولا نتقلد السيوف، وأن نوقّر المسلمين في مجالسهم، ونرشدهم الطريق ونقوم لهم عن المجالس إن أرادوا الجلوس، ولا نطلع عليهم في منازلهم، ولا نعلّم أولادنا القرآن. ولا يشارك أحد منّا مسلماً في تجارة إلّا أن يكون إلى المسلم أمر التجارة، وأن نضيف كلّ مسلم عابر سبيل ثلاثة أيام ونطعمه من أوسط ما نجد. ضمِنّا لك ذلك على أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكيننا، وإنْ نحن غيّرنا أو خالفنا عمّا شرطنا على أنفسنا، وقبلنا الأمان عليه، فلا ذمّة لنا، وقد حلّ لك منّا ما يحلّ لأهل المعاندة والشقاق". فكتب بذلك عبد الرحمن بن غُنْم إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فكتب إليه عمر: "أن أمض لهم ما سألوا، وألحق فيهم حرفين أشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم: ألا يشتروا من سبايانا، ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده". فأنفذ عبد الرحمن بن غنم ذلك، وأقرّ من أقام من الروم في مدائن الشام على هذا الشرط.

(١) ص ١٠٠

وأَدْمِنْ لِبَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ تَبْتَغِي		تَجَاوُزَهُ عَنْ ذَنْبِكَ الضَّرْبَ والقَرْعَا
عَسَى جُوْدُهُ يَوْمًا يَجُوْدُ بِفَتْحِهِ		فَيَبْرُزُ عَفْوُ اللهِ يَدْفَعُهُ دَفْعَا
فَيَا رَبّ رِفْقًا بِالجَمِيْعِ، فَيَا لَهَا		إِذا اجْتَمَعَ الخَصْمَانِ مِنْ وَقْعَةٍ شَنْعَا
فأَنْتَ[1] إِمَامُ المتَّقِيْنَ وَرَأْسُهُمْ		إِذا لَمْ تَزَلْ تَجْبُرْ لِدِيْنِ الهُدَى صَدْعَا
لَكُمْ نائِبٌ فِي الأَمْرِ أَصْبَحَ مُلْحِدًا		وأَضْحَى لأَهْلِ الدِّيْنِ يَقْطَعُهُمْ قَطْعَا
فَمَا لَكَ لَمْ تَغْلِبْهُ واسْمُكَ غالِبٌ		وَمَا لَكَ لَمْ تَعْزِلْهُ إِذْ آثَرَ النَّقْعَا
فَيا أَيُّهَا السُّلْطَانُ حَقِّقْ نَصِيْحَتِي		لَكُمْ وارْعنِي مِنْكُمْ لِمَا قُلْتُهُ سَمْعَا
فإِنِّي لَكُمْ -واللهِ- أَنْصَحُ ناصِحٍ		أَذُودُ الرَّدَى عَنْكُمْ وأَمْنَعُهُ مَنْعَا
وأَجْلِبُ لِلسُّلْطانِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ		مِنَ الدِّيْنِ والدُّنْيَا العَوَارِفَ والنَّفْعَا

والله ينفعني بوصيّتي، ويجازيني على نيّتي، ومعاد السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

(١) ص ١٠٠ب

وصايا من منثور الحكم وميسور الكَلِم تُنسب إلى جماعة من العلماء والصالحين

مَن اكتفى باليسير استغنى عن الكثير.

مَن صحّ دينُه صحّ[1] يقينُه.

من استغنى عن الناس أَمِن من عوارض الإفلاس.

الدين أقوى عصمة، والأمن أسنى نعمة.

الصبر عند المصائب من أعظم المواهب.

عيشك ما عشتَ في ظلٍّ يقيك، وقوت يكفيك.

البخيل حارسُ نعمة، وخازنُ ورثة.

مَن لَزِم الطمع عَدِم الورع.

الحسدُ شرُّ عرَض، والطمع أضرُّ غرض.

الرضا بالكفاف خيرٌ من السعي للأشراف.

أفضل الأعمال ما أوجب الشكر، وأنفع الأموال ما أعقب الأجر.

لا تثق بالدولة؛ فإنّها ظلٌّ زائل، ولا تعتمد على النعمة؛ فإنّها ضيف راحل.

مالُكَ ما زجى يَوْمَيْك، وتوفَّر أجرُه وثوابُه عليك.

الكريمُ مَن كفَّ أذاه، والقويّ مَن غلب هواه.

مَن ركب الهوى أدرك العمى.

---

(١) ص ١٠١

مَن غالب الحقَّ لان، ومَن تهاون بالدين هان.

المؤمن غِرٌّ كريم، والمنافق خِبٌّ لئيم.

إذا ذهب الحياءُ يحلُّ البلاء.

كلُّ إنسان طالبٌ أُمنيّة، ومطلوب لِمَنِيَّة.

علمٌ لا ينفع كدَواءٍ لا ينجع.

أحسنُ العلم ما كان مع العمل، وأحسنُ الصمت ما كان عن الخطل[١].

إعص الجاهل تَسلم، وأطع العاقل تغنم.

مَن[٢] صبر على شهوته بالَغَ في مروءته.

مَن كثر ابتهاجه بالمواهب؛ اشتدّ انزعاجه للمصائب.

مَن تمسّك بالدين عزَّ نصرُه، ومَن استظهر بالحقّ ظهر قهرُه.

مَن استقصر بقاءه وأجلَه؛ قَصُرَ رجاؤه وأملُه.

لا تَبِتْ على غير وصيّة؛ وإن كنت مِن جسمك في صحّة، ومِن عمرك في فُسْحَة؛ فإنّ الدهرَ خائنٌ، وما هو كائنٌ كائنٌ.

لا تُخْلِ نفسَك من فكرةٍ تزِدْك حكمةً وتفِدْك عصمة.

مَن جعل مُلْكَه خادما لدينه انقادَ له كلُّ سلطان، ومَن جعل دينَه خادما لملكه طمع فيه كلُّ إنسان.

(١) الخطا: الكلام الفاسد الكثير المضطرب

(٢) ص ١٠١ب

مَن سلك سبيلَ الرشاد بلغَ كُنْهَ المراد.

مَن لزم العافية سلِم، ومَن قبل النصيحة غنِم.

* * *

قلبٌ تأثّر من صادِق مؤثِّر

حدّثنا الزكي أحمد بن مسعود بن شدّاد المقري الموصلي بالموصل سنة إحدى وستمائة وكان ثقة قال: ثنا أبو جعفر بن القاص، قال: ثنا يوسف بن أبي القاسم الديار بكري، ثنا جمال الإسلام أبو الحسن علي بن أحمد القرشي الهكاري، ثنا أبو الحسن الكرخي، ثنا أبو العباس أحمد(١) بن محمد بن الفضل النهاوندي، قال: سمعت شيخي جعفر بن محمد الخلدي، يقول: كنت مع الجنيد -رحمه الله- في طريق الحجاز، حتى صرنا إلى جبل طور سيناء، فصعده الجنيد وصعدنا معه. فلمّا وقفنا في الموضع الذي وقف فيه موسى عليه السلام وقعت علينا هيبة المكان، وكان معنا قوّال، فأشار إليه الجنيد أن يقول شيئًا فقال(٢):

وَبَدَا لَهُ مِنْ بَعْدِ ما انْدَمَلَ الهَوَى ... بَـرْقٌ تَـألَّقَ مُوْهِنًـا لَمَعَانُـهُ
يَبْـدُو كَحَاشِـيَةِ الـرِّدَاءِ ودُوْنَـهُ ... صَـعْبُ الذُّرا مُتَمَنِّـعٌ أَرْكانُـهُ
فَبَدا لِيَنْظُرَ كَيْفَ لاحَ فَلَمْ يُطِقْ ... نَظَـرًا إِلَيْـهِ وَصَـدَّهُ سَجَّانُـهُ
فالنَّارُ ما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ ... والماءُ ما سَمَحَتْ بِهِ أَجْفَانُهُ

قال: فتواجد الجنيد وتواجدنا، فلم يدر أحدٌ منّا: أفي السماء نحن، أو في الأرض؟ وكان بالقرب منّا دَيْرٌ فيه راهبٌ؛ فنادى: يا أمّة محمد؛ بالله أجيبوني؛ فلم يلتفت إليه أحدٌ(٣) لطيب الوقت. فنادانا الثانية: بدين الحنيفيّة إلّا أجبتموني، فلم يجبه أحد. فنادانا الثالثة: بمعبودكم إلّا

(١) ص ١٠٢

(٢) هذه الأبيات من شعر محمد بن صالح بن عبد الله العلوي (ت: ٢٤٨ هـ)

(٣) ص ١٠٢ب

أجبتموني، فلم يرد عليه أحد جوابا. فلمّا فترنا من السماع، وهَمَّ الجنيدُ بالنزول، قلنا له: إنّ هذا الراهب نادانا، وأقسم علينا ولم نردّ عليه. فقال الجنيد: ارجعوا بنا إليه؛ لعلّ الله يهديه إلى الإسلام.

فناديناه، فنزل إلينا، وسلّم علينا، فقال: أيّها منكم الأستاذ؟ فقال الجنيد: هؤلاء كلّهم سادات وأستاذون. فقال: لا بدّ أن يكون واحد هو أكبركم. فأشاروا إلى الجنيد، فقال: أخبرني عن هذا الذي فعلتموه: هو مخصوص في دينكم، أو معموم؟ فقال: بل مخصوص. فقال الراهب: لأقوام مخصوصين، أو معمومين؟ فقال: بل لأقوام مخصوصين. فقال: بأيّ نيّة تقومون؟ فقال: بنيّة الرجاء والفرح بالله -تعالى-. فقال: بأيّ نيّة تسمعون؟ فقال: بنيّة السماع من الله -تعالى-. فقال: بأيّ نيّة تصيحون؟ فقال: بنيّة إجابة العبوديّةِ الربوبيّةَ، لمّا قال الله -تعالى- للأرواح: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾[1] قال: فما هذا الصوت؟ قال: نداء أزليّ. فقال: بأيّ[2] نيّة تقعدون؟ قال: بنيّة الخوف من الله -تعالى- قال: صدقتَ، ثمّ قال الراهب للجنيد: مدّ يدك: أنا أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا ﷺ عبده ورسوله. وأسلم الراهبُ وحسن إسلامه.

فقال الجنيد: بم عرفتَ أنّي صادق؟ قال: لأنّي قرأت في الإنجيل المنزل على المسيح بن مريم: خواصّ أمّة محمد ﷺ يلبسون الخرقة، ويأكلون الكسرة، ويرضون بالبُلغة، ويقومون في صفاء أوقاتهم: بالله يفرحون، وإليه يشتاقون، وفيه يتواجدون، وإليه يرغبون، ومنه يرهبون. فبقي الراهب معنا ثلاثة أيّام على الإسلام، ثمّ مات -رحمه الله-.

* * *

وصايا في القول

سمعت محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي، بمدينة فاس، العدل، أظنّ في سنة أربع وتسعين وخمسمائة، يقول: تكلّم أربعةٌ من الملوك بأربع كلمات، كأنما رُمِيَتْ عن

(١) [الأعراف: ١٧٢]
(٢) ص ١٠٣

قوس واحدة؛ قال كسرى: أنا على رَدِّ ما لم أَقُلْ أقوى منّي على ردِّ ما قلتُ. وقال ملك الهند: إذا[1] تكلّمتُ بكلمة ملكتني، وإن كنت أمْلِكها. وقال قيصر ملك الروم: لا أندم على ما لم أقل، وقد ندمتُ على ما قلت. وقال ملك الصين: عاقبةُ ما قد جرى به القول أشدُّ من الندم على ترك القول.

* * *

قال بعض الشعراء:

لَعَمْـرُكَ مـا شَيْءٌ عَلِمْـتُ مَكَانَـهُ أَحَـقَّ بِسِـجْنٍ مِـنْ لِسَـانٍ مُـذَلَّلِ
عَلَى فِيْكَ مِمّا لَيْسَ يَعْنِيْكَ قَـوْلُهُ بِقُفْلٍ شَدِيْدٍ حَيْثُ ما كُنْتَ أَقْفِـلِ

* * *

وقالت عائشة أُمّ المؤمنين -رضي الله عنها-: خلال المكارم عشر؛ تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في العبد ولا تكون في سيّده: صِدق الحديث، وصِدق الناس وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، والتذمُّم للجار، ومراعاة حقّ الصاحب، وصلة الرحم، وقِرى الضيف، وأداء الأمانة؛ ورأسهنّ الحياء.

* * *

وقال بعضهم: كتمانُك سِرَّك يعقبك السلامة، وإفشاؤك[2] سِرّك يعقبك الندامة، والصبرُ على كتمان السرّ أيسرُ من الندم على إفشائه.

* * *

في الحكمة

ما أقبح بالإنسان أن يخافَ على ما في يده اللصوصَ فيخفيه، ويمكِّن عدوَّه من نفسه بإظهاره ما في قلبه من سِرّ نفسِه أو سِرّ أخيه.

---

(١) ص ١٠٣ب
(٢) ص ١٠٤

جاور معي بمكة، أظنّ سنة تسع وتسعين وخمسمائة، رجلٌ من أهل تونس، يقال له عبد السلام بن السعريّة، وكانت عنده جارية اشتراها بمصر في الشدّة التي وقعت بمصر سنة سبع وتسعين وخمسمائة، فقال لها: يا جارية؛ أوصيك بأمرين: حفظ السرّ، والأمانة. فقالت الجارية: ما تحتاج؛ فإنّي أعلم أنّ الشخص إذا كان أمينا شارَك الناس في أموالهم، وإذا كان حافظا للسِرِّ شارَكهم في عقولهم. فاستحسن هذا الجواب منها، فسأل عنها، فوجدها حرّة قد بيعت في غلاء مصر؛ فأعتقها وسرّحها؛ فرجعت إلى أُمّها وأخواتها.

* * *

وقال معاوية ﵁: "ما أفشيت سِرّي إلى أحد؛ إلّا أعقبني طول الندم، وشدّة الأسف. ولا أودعته جوانح صدري؛ إلّا أكسبني مجدا، وذكرا، وسناء[1]، ورفعة" فقيل له: ولا ابن العاص؟ فقال: ولا ابن العاص. لأنّ عمرو بن العاص كان صاحبَ رأي معاوية، ومشيره، ووزيره، وكان يقول: ما كنتَ كاتِمَهُ مِن عدوِّك؛ فلا تُظهِر عليه صديقَك.

يريد -والله أعلم- معاويةُ، بهذا الكلام؛ ما كان ينشدنا في أكثر مجالسه أبو بكر محمد بن خلف بن صاف اللخمي، أستاذي في القراءات، بمسجده بقوس الحنية من أشبيلية -رحمه الله- يوصينا بذلك:

احْـذَرْ عَـدُوَّكَ مَـرَّةً ... واحْذَرْ صَدِيْقَكَ أَلْفَ مَرَّهْ
فَلَرُبَّمَا هَجَرَ الصَّـدِيْقُ ... فَكَانَ أَعْلَمَ بِالمَضَرَّهْ

* * *

وكان عمّي أخو والدي ينشدني كثيرا للسميسِر:

زَمَــانٌ يَمُــرُّ وعَــيْشٌ يُمِــرُّ ... ودَهْرٌ يَكُرُّ بِمَا لا يَسُرُّ
ونَفْــسٌ تَــذُوْبُ وَهَمٌّ يَنُــوبُ ... ودُنْيَا تُنَادِي بِأَنْ لَيْسَ حُرُّ

---

(١) ص ١٠٤ب

ومن كلام النبوّة في الوصيّة

«مَن كتم سِرَّه كانت الخيرة في يده، ومَن عرّض نفسَه للتهمة فلا يلومنّ مَن أساء به الظنّ، وضَعْ أمر أخيك على أحسنه، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت منه سوءا، وما كافأتَ مَن عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله[1] ﷻ فيه، وعليك بإخوان الصدق؛ فإنّهم زينة عند الرخاء، وعصمة عند البلاء».

* * *

حكاية تتضمّن وصيّة

حدّثني أبو القاسم البجائي بمراكش، عن أبي عبد الله الغزّال العارف، الذي كان بالمريّة، من أقران أبي مدين، وأبي عبد الله الهواري بتنس، وأبي يعزّى، وأبي شعيب السارية، وأبي الفضل البسكري[2]، وأبي النجا[3]، وتلك الطبقة، قال أبو عبد الله الغزّال: كان يحضر مجلس شيخنا أبي العباس بن العرّيف الصنهاجي رجلٌ لا يتكلّم، ولا يسأل، ولا يصحب واحدا من الجماعة، فإذا فرغ الشيخ من الكلام؛ خرجَ فلا نراه قطّ إلّا في المجلس خاصّةً. فوقع في نفسي منه شيء، ووقعت منه عليّ هيبة؛ فأحببت أن أتعرّف به، وأعرِف مكانه.

فتبعته عشيّة يومٍ بعد انفصالنا من مجلس الشيخ من حيث لا يشعر بي، فلمّا كان في بعض سكك المدينة؛ إذا بشخص قد انقضّ عليه من الهواء برغيفٍ في يده، فناوله إيّاه، وانصرف. فجذبته من خلفه، فقلت: السلام عليك. فعرفني، فردّ عليّ السلام. فسألته عن[4] ذلك الشخص الذي ناوله الرغيف، فتوقّف.

فلمّا علم منّي أنّي لا أبرح دون أن يعرّفني، قال لي: هو مَلَكُ الأرزاق، يأتي إليّ من عند

---

(١) ص ١٠٥

(٢) الحروف المعجمة مهملة

(٣) أبو النجا الأندلسي: من تلامذة ابن العريف، كان من المشايخ الزهاد الصالحين الأولياء المعروفين. حج وعاد على العراق، وقدم الموصل واجتمع بها بقضيب البان، ووصل الى الشام، فدخل حلب ودمشق، ومضى الى الديار المصرية، وسكن جزيرة فوّة ومات ودفن بها، بعد ٥٧٠هـ. [انظر بغية الطلب في تاريخ حلب (١٠/ ٤٦٣٩)]

(٤) ص ١٠٥ب

الله كلّ يوم بما قُدّر لي من الرزق، حيث كنتُ من أرض ربّي. ولقد لطف الله بي في بدء أمري ودخولي إلى هذا الطريق، إذا فرغتْ نفقتي وبقيتُ بلا شيء؛ سقط عليَّ من الهواء وبين يدي قدر ما أشتري به ما أحتاج إليه من القوت؛ فأنفق منه، فإذا فرغ جاءني مثل ذلك من عند الله، لكنّي ما كنت أرى شخصا. قال -تعالى- في حقّ مريم ابنة عمران: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1].

* * *

حكاية حُرْمة في سلب نعمة

مرّ زياد بن أميّة بالحيرة، فنظر إلى دير، فقال لخادمه: لمن هذا؟ قال: دير حُرْقةَ بنت النعمان بن المنذر. فقال: ميلوا بنا إليه نسمع كلامها! فجاءت، فوقفت خلف الباب، فكلّمها الخادم، فقال لها: كلّمي الأمير. قالت: أُوجِز أم أُطيل؟ قال: بل أَوْجزي. قالت: كنّا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الأرض أحد أعزّ منّا، فما غربت تلك الشمس[2] حتى رحِمَنا عدوُّنا. قال: فأمر لها بأوساق من شعير. فقالت: أطعَمَتْكَ يدٌ شبعاء جاعتْ، ولا أطعَمَتْكَ يد جوعاء شبعت. فسُرَّ زياد بكلامها، فقال لشاعر معه: قيّد هذا الكلام لا يُدْرَس[3]. يعني: أُنظمه، فقال:

سَلِ الخَيْرَ أَهْلَ الخَيْرِ قِدْمًا وَلَا تَسَلْ ... فَتَى ذَاقَ طَعْمَ الخَيْرِ مُنْذُ قَرِيْبِ

ونظمنا نحن في هذا المعنى:

سَلِ الخَيْرَ أَهْلَ الخَيْرِ إِنْ كُنْتَ سائِلًا ... وَلَا تَسْأَلِ المَعْرُوف مِنْ مُحْدَثِ المالِ
فَإِنَّ اليَدَ الجَوْعاءَ تَبْخَلُ بالذِي ... أَصابَتْهُ مِنْ خَيْرٍ عَلَى الكاسِفِ البالِ
فَإِنْ غَلطَتْ جادَتْ وَتَمَتَّنُّ بالذِي ... تَجُودُ بِهِ يَوْمًا عَلَى التَّرِبِ الحالِ

(١) [آل عمران: ٣٧]
(٢) ص ١٠٦
(٣) يُدرس: يندثر

وإنّ اليَـدَ الشَّـبْعاءَ جـادَتْ بِمَـا تَجِـدْ   عَـلَى طِيْـبِ نَفْـسٍ فِي سُرُورٍ وإِقْبـالِ

في الحكمة

ثوابُ الجود خلفةٌ ومحبّةٌ ومكافأةٌ، وثوابُ البخل حرمانٌ وإتلافٌ ومذمّةٌ.

وكتب[1] حكيم إلى الاسكندر: اعلم أنّ الأيّامَ تأتي على كلّ شيء؛ فتُخلِقه، وتُخْلِق آثارَه، وتُمِيتُ الأفعال؛ إلّا ما رسخ في قلوب الناس. فأَودِع قلوبَهم محبّةً أبديّة؛ يبقى بها حسنُ ذِكْرك، وكريمُ فِعالك، وشرفُ آثارك.

* * *

- وَفَدَ علينا، ونحن بأشبيلية، شيخٌ شاعرٌ يُعرف بالسبيتي من قرطبة -رحمه الله- وكان صاحبُ الديوان عندنا زكريا بن سنان، أديبا، حاذقا، فطنا، فلم يكن للسبيتي موضع ينزل فيه، فكتب إلى صاحب الديوان:

أَتَحْفَـــلُ بِالفِـــرَزْدَقِ والكميـــتِ   وفِي قَيْـدِ الحَيَـا شِـعْرُ السـُّبَيْتِ

يُـــــرَوِّعُنِي بِشِـــــعْرِهِمَا أُنَاسٌ   وجَهْـلًا رَوَّعُـوا حَيًّـا بِمَيْـتِ

لَـــئِنْ أَسْـــكَنْتَنِي بَيْتًـــا رَفِيْعًـــا   لَتَسْـكُنُ مِـنْ ثَنَـائِي أَلْـفَ بَيْـتِ

فوقَّع له صاحبُ الديوان ببيت نزل فيه، واعتذر إليه، ووصله بنفقة.

* * *

- قيل لبرزجمهر عندما قُدِّم للقتل[2]: تكلَّم بكلامٍ تُذكر به. فقال: أيّ شيء أقول؟ إنّ الكلام كثير، ولكن إن أمكنك أن تكونَ حديثا حسنا؛ فافعل.

ولنا:

إنَّمَـا النـاسُ حَـدِيثٌ كُلُّهُـمْ   فَلْتَكُنْ خَيْرَ حَدِيْثٍ يُسْمَعُ

(١) ص ١٠٦ب

(٢) ص ١٠٧

خاتمة الباب: وهو خاتمة الكتاب؛ تعويذات مذكورة وأدعية مشهورة

فمن ذلك ما يقال عند الكرب: «لا إله إلّا الله العظيم الحليم، لا إله إلّا الله ربّ العرش العظيم، لا إله إلّا الله ربّ السماوات والأرض ربّ العرش الكريم».

ويقال عند دخول المسجد: «اللهم افتح لنا أبواب رحمتك».

ويقال عند الخروج منه: «اللهم إنّا نسألك من فضلك».

ويقال عند دخول الخلاء: «اللهم إنّي أعوذ بك من الخبث والخبائث. وقد روينا أيضا أنّه يقال: أعوذ بالله من الخبيث المخبث، الرجْس النجس، الشيطان الرجيم».

ويقال عند الخروج من الخلاء: غفرانك.

ويقال عند الجماع: «اللهم[1] جنّبنا الشيطان، وجنّب الشيطان ما رزقتنا».

ويقال عند انقضاء الطعام: «الحمد لله حمدا طيّبا كثيرا مباركا غير مكفٍ، ولا مودَّع، ولا مستغنىً عنه، ربّنا».

ويقال عند العطاس: «الحمد لله حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه، مباركا عليه كما يحبّ ربّنا ويرضى».

ويقال عند النوم إذا أخذ الإنسان مضجعه: «اللهمّ إنّي أسلمتُ نفسي إليك، ووجّهتُ وجهي إليك، وفوّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رهبة منك ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلّا إليك. آمنتُ بكتابك الذي أنزلت، وبنبيّك الذي أرسلت. اللهمّ باسمك أحيا وباسمك أموت، سبحانك ربّي، لك وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكتَ نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتَها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

---

(١) ص ١٠٧ب

ويقال عند الاستيقاظ من النوم: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».

وإذا أردت النوم، فانْوِ أن تلقى ربّك، ولتحبّ النوم لكون لقاء ربّك فيه، كما تحبّ الموت؛ فإنّ فيه لقاء ربّك، فإنّه «من[1] أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه» و﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾[2].

فالنوم موتٌ أصغر، والذي ننتقل إليه بعد الموت هو الذي ننتقل إليه في النوم، الحضرة واحدة وهي البرزخ، والصورة واحدة، واليقظة مثل البعث يوم القيامة، وإنما جعل الله النوم في الدنيا لأهلها، وما نرى فيه من الرؤيا، وجعل بعده اليقظة، كلُّ ذلك ضَرْبُ مثال للموت، وما يشاهد فيه للرؤيا، والبعث لليقظة، فالقيام من المضاجع كالبعث من القبور سواء.

ويقال عند الصباح: «أصبحنا وأصبح المُلك لله، والحمد لله وحده، لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له المُلك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير، اللهم إنّي أسألك خير هذا اليوم، وخير ما بعده، وأعوذ بك من شرّ هذا اليوم وشرّ ما بعده».

ويقال عند المساء: «أمسينا وأمسى المُلك لله، والحمد لله، لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له المُلك وله الحمد وهو على[3] كلّ شيء قدير. اللهم إنّي أسألك خير هذه الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شرّ هذه الليلة وشرّ ما بعدها».

ويقال عند القيام من كلّ مجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك».

ويقال عند خاتمة المجالس: اللهم أسمِعنا خيرا، وأطلِعنا خيرا، ورزقنا الله العافية، وأدامها لنا،

---

(١) ص ١٠٨
(٢) [الزمر: ٤٢]
(٣) ص ١٠٨ب

وجمع الله قلوبنا على التّقوى، ووفّقنا لما يحبّ ويرضى، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(1) هذا الدعاء سمعته من رسول الله ﷺ في المنام يدعو به بعد فراغ القارئ عليه (من) كتاب صحيح البخاري، وذلك سنة تسع وتسعين وخمسمائة، بمكة بين باب الحزورة وباب أجياد، بقراءة الرجل الصالح محمد بن خالد الصدفي التلمسانيّ، وهو الذي كان يقرأ علينا "الإحياء" لأبي حامد الغزالي.

وسألت رسول الله ﷺ في تلك الرؤيا عن المطلّقة بالثلاث في لفظ واحد، وهو أن يقول لها: أنتِ طالق ثلاثا، فقال لي ﷺ: «هي(2) ثلاث» كما قال: "لا تحلّ له حتى تنكح زوجا غيره" فكنت أقول له: يا رسول الله؛ فإنّ قوما من أهل العلم يجعلون ذلك طلقة واحدة؟ فقال ﷺ: "هؤلائك حكموا بما وصل إليهم وأصابوا" ففهمتُ من هذا تقرير حكم كلّ مجتهد، وأنّ كلّ مجتهد مصيب. فكنت أقول له: يا رسول الله؛ فما أريد في هذه المسألة إلّا ما تحكم به أنت إذا استُفتيتَ، وما لو وقع منك ما كنتَ تصنع؟ فقال: "هي ثلاث" كما قال: "لا تحلّ له حتى تنكح زوجا غيره".

فرأيت شخصا قد قام من آخر الناس، ورفع صوته، وقال بسوء أدب يخاطب رسول الله ﷺ يقول له: يا هذا -بهذا اللفظ- لا بحكمك بإمضاء الثلاث، ولا بتصويبك حكم أولئك الذين ردّوها إلى واحدة! فاحمرّ وجه رسول الله ﷺ غضبا على ذلك المتكلّم، ورفَع صوته يصيح: "هي ثلاث" كما قال: "لا تحلّ له حتى تنكح زوجا غيره، تستحلّوا الفروج" فما زال ﷺ يصيح بهذه الكلمات حتى أسمع مَن كان في الطواف من الناس، وذلك المتكلّم يذوب ويضمحل، حتى ما بقي منه على الأرض شيء. فكنت أسأل عنه؛ مَن هو هذا الذي أغضب رسول الله ﷺ؟ فيقال لي: هو إبليس لعنه الله. واستيقظتُ.

---

(1) [البقرة: ٢٨٦]

(2) ص ١٠٩

وكنت أراه ﷺ[1] في تلك السنة في النوم أيضا، فكنت أقول له: يا رسول الله؛ إنّ الله يقول في كتابه العزيز: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾[2] والقرء عند العرب من الأضداد، يطلقونه ويريدون به الحيض، ويطلقونه ويريدون به الطهر، وأنت أعرف بما أنزل الله عليك؛ فما أراد الله به هنا: الحيض، أو الطهر؟ فكان ﷺ يقول لي في الجواب عن ذلك: «إذا فرغ قِرْؤُها؛ فأفرغوا عليها الماء، وكلوا مما رزقكم الله» يكنّي. فكنت أقول له: يا رسول الله؛ فإذَنْ هو الحيض. فيقول لي: "إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء، وكلوا مما رزقكم الله" فكنت أقول له: فإذَنْ هو الحيض يا رسول الله؛ فيقول لي: "إذا فرغ قرؤها؛ فأفرغوا عليها الماء، وكلوا مما رزقكم الله" ثلاث مرّات، واستيقظتُ. ثمّ نرجع إلى ما كنّا بسبيله من الدعاء.

اللهم اغفر لي خطئي، وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به منّي، أنت المقدِّم وأنت المؤخّر، وأنت على كلّ شيء قدير.

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي من كلّ خير، واجعل الموت راحة لي من كلّ شرّ.

اللهم إنّي أسألك الهدى والتّقى، والعفاف والغنى، ومن[3] العمل ما ترضى.

اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليّها ومولاها.

اللهم إنّي أعوذ بك من فتنة القبر، وعذاب النار، ومن فتنة النار وعذاب القبر، ومن شرّ الغنى، ومن شرّ فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجّال.

اللهم إنّي أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والفزع، والبخل، وأرذل العمر، ومن فتنة

---

(١) ص ١٠٩ب

(٢) [البقرة: ٢٢٨]

(٣) ص ١١٠

المحيا والممات.

اللهم إنّي أعوذ بك من سوء القضاء، وشماتة الأعداء، ودرك الشقاء.

اللهم إنّي أعوذ بك من الهمّ، والحزن، وضَلَع الدين، وغلبة الرجال.

اللهم إنّي أعوذ بك من الفقر والقلّة.

اللهم إنّي أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجأة نقمتك، ومن جميع سخطك.

اللهم إنّي أعوذ بك من الشقاق، والنفاق، ومن سوء الأخلاق.

اللهم إنّي أعوذ بك من الجوع؛ فإنّه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة؛ فإنّها بئست البطانة.

اللهم إنّي أعوذ بك من المرض، والجنون، والجذام، ومن سيّء الأسقام.

اللهم إنّي أعوذ بك من شرّ القرين؛ ما ظهر منه وما بطن.

اللهم إنّي أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك.

اللهم إنّي أعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على[1] نفسك، لا إله إلّا أنت، أستغفرك اللهم ربّنا وأتوب إليك.

اللهم كلّ ما سألتك فيه ومنه؛ فإنّي أسألك ذلك كلّه؛ لي ولوالديّ، وارحمني، وأهلي، وقرابتي، وجيراني، ومَن حضرني من المسلمين، ومَن عرفني أو سمع بذِكْري، أو لم يعرفني، ولوالديهم، وأبنائهم، وإخوانهم، وأزواجهم، وعشيرتهم، وذوي رحمهم، وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، ومَن ظنّ بي خيرا، ومَن لم يظنّ بي خيرا، إنّك واهب الخيرات، ودافع المضرّات، وأنت على كلّ شيء قدير.

---

(١) ص ١١٠ب

اللهم إنّي قد تصدّقتُ بعِرضي، ومالي، ودمي على عبادك، فلا أطالبهم بشيء من ذلك؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأنت الشاهد عليّ بذلك.

وصلّ وسلّم على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت وسلّمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد، وآته الوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود الذي وعدته إنّك لا تخلف الميعاد، واجزِه عنّا وعن أمّته خيرا؛ فلقد بلّغ ونصح، وبذل جهده في ذلك وما قصّر ﷺ.

﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[1] ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2] ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ[3] إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4] ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾[5] ربّنا وابعث فينا وارثَ رسولك منّا، يتلو علينا آياتك، ويعلّمنا الكتاب والحكمة، ويزكّينا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[6] ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[7] ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[8]، ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[9] ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[10] ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[11]، آتنا ما وعدتنا بيُسْرٍ منك في عافية ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[12] ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ. رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ

(١) [البقرة: ١٢٦]
(٢) [البقرة: ١٢٧]
(٣) ص ١١١
(٤) [البقرة: ١٢٨]
(٥) [البقرة: ١٢٨]
(٦) [البقرة: ١٢٩]
(٧) [البقرة: ٢٠١]
(٨) [البقرة: ٢٥٠]
(٩) [البقرة: ٢٨٥]
(١٠) [آل عمران: ٨]
(١١) [آل عمران: ١٩٤]
(١٢) [آل عمران: ١٧٣]

وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾[1] فلا تجعلنا منهم، ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ﴾[2] وصدّقنا وسمعنا وأطعنا بتوفيقك ربّنا، ﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾[3]، ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[4] ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[5] وأدخلنا برحمتك[6] في عبادك الصالحين. ربّنا ﴿وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ. وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ حسنة ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾[7] ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ﴾ بالإيمان بما جاء به ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[8] ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾[9] ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ. رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[10] ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾[11] ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ. رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾[12] ربّ ارحم والديّ كما ربّياني صغيرا ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾[13] ربّ اجعلني رضيّا، ربّ ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[14] ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[15] ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾[16] ﴿رَبِّ

---

(١) [آل عمران: ١٩١، ١٩٢]
(٢) [آل عمران: ١٩٣]
(٣) [آل عمران: ١٩٣]
(٤) [الأعراف: ٢٣]
(٥) [الحشر: ١٠]
(٦) ص ١١١ب
(٧) [الأعراف: ١٥٥، ١٥٦]
(٨) [آل عمران: ٥٣]
(٩) [إبراهيم: ٣٥]
(١٠) [إبراهيم: ٣٧، ٣٨]
(١١) [إبراهيم: ٣٩]
(١٢) [إبراهيم: ٤٠، ٤١]
(١٣) [مريم: ٤]
(١٤) [الأنبياء: ٨٣]
(١٥) [الأنبياء: ٨٧]
(١٦) [الأنبياء: ٨٩]

إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾[1] ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[2].

اللهم خذ بأزِمّةِ قلوبنا إليك، واجعلنا ممن توكّل في جميع أموره عليك، وعُمّنا بالرحمة التي لديك وفي يديك، واجعلنا هادين مهديين، غير[3] ضالّين ولا مُضِلّين.

* * *

انتهى الباب -بحمد الله- بانتهاء الكتاب على أمكن ما يكون من الإيجاز والاختصار على يدي مُنشيه، وهو النسخة الثانية من الكتاب بخطّ يدي.[4]

وكان الفراغ من هذا الباب، الذي هو خاتمة الكتاب، بكرة يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة ست وثلاثين وستمائة، وكتب منشيه بخطّه محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي، وفّقه الله.

هذه النسخة سبعة وثلاثون مجلّدا، وفيها زيادات على النسخة الأُولَى التي وقفتها على ولدي محمد الكبير، الذي أُمّه فاطمة بنت يونس بن يوسف أمير الحرمين، وفّقه الله وعلى عقبه وعلى المسلمين بعد ذلك شرقا وغربا، برًّا وبحرا.[5]

(١) [نوح: ٥]
(٢) [نوح: ٢٨]
(٣) ص ١١٢
(٤) هناك فراغ بعد هذا لأربعة أسطر تقريبا يشير إلى كتابة يبدو أنها محيت مباشرة
(٥) أسفل المتن: "وقف على زاوية الشيخ ﷺ وأرضاه" ثم ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٣٩

المحتويات



الفتوحات المكيّة

للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي

تحقيق ؛ عبد العزيز سلطان المنصوب

عامل كل من تصحبه أو يصحبك بما تعطيه رتبته: فعامل الله بالوفاء؛ لما عاهدته عليه من الإقرار بربوبيته عليك، وهو الصاحب بقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وعامل الآيات بالنظر فيها، وعامل ما تدركه الحواس منك بالاعتبار، وعامل الرسل بالاقتداء بهم، وعامل الملائكة بالطهارة والذكر، وعامل الشيطان – إذا عرفت أنه شيطان من إنس وجان – بالمخالفة، وعامل الحفظة بحسن ما تملى عليهم، وعامل من هو أكبر منك بالتوقير، ومن هو أصغر منك بالرحمة، ومن هو كفؤك بالتجاوز والإنصاف والإيثار، وأن تطالب نفسك بحقّه عليها، وترك حقّك له.

وأياك أن تكون معنتا، ولا متعنتا، ولا منفرا، ولا معسرا؛ وكن ميسرا، ومعلما، ومبشرا.

محيي الدين بن عربي؛ الفتوحات المكية، ج. (12).

الغلاف: عبد العزيز السماحي